

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل



مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية

تصدر عن كلية التربية الأساسية
دورية علمية محكمة

المجلد الأول

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي الثالث
(تكمال العلوم نحو تحقيق أهداف التعليم)

١٠ - ١١ نيسان ٢٠١٩

افتتاحية المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

((نَوَاقِلُكُمْ وَمَا يَسْطُرُونَ))

ايماناً من اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي الدولي الثالث/ المشترك الاول في رفق الجامعة واكاديميها، وبكافة التخصصات العلمية بكل ما هو من شأنه الارتقاء بالمستوى العلمي والاكاديمي، فقد أقيم مؤتمراً هذا تحت عنوان "تكملة العلوم نحو تحقيق أهداف التعليم" للفترة من ١٠ - ١١ نيسان ٢٠١٩، فالبحث العلمي الدائم والدؤوب والقائم على أسس صحيحة يلعب دوراً محورياً في نهوض المجتمع الانساني واصلاحه كونه الوسيلة الاساسية الكفيلة بإيجاد حلول فعالة للمشكلات التي تواجهنا في الحياة اليومية من خلال مواكبة التقدم العلمي على جميع الاصعدة، فالبحث العلمي في الوقت الراهن يحتل مكانة بارزة في تقدم النهضة العلمية حيث تعد المؤسسات الاكاديمية هي المراكز الرئيسة لهذا النشاط العلمي الحيوي لما لها من وظيفة اساسية في تشجيع البحث العلمي وتنشيطه وأثارة الحوافز العلمية لدى الباحث والدارس حتى يتمكن من القيام بهذه المهمة النبيلة على أكمل وجه. والمؤتمر العلمي الدولي الثالث حافل بالعديد من الأبحاث في مجال العلوم التربوية والنفسية، واللغة العربية وآدابها، والعلوم الإسلامية وفروعها، والتاريخ بفتراته القديمة والإسلامية والحديثة والمعاصرة، وعلوم الرياضة والتربية البدنية، والعلوم الصرفة بأنماطها وأنواعها وتخصصاتها.

نأمل أن تُقدم أبحاث هذا المؤتمر الذي يرؤمه الباحثون والاكاديميون وطلبة الدراسات العليا من معرفة نظرية وميدانية وتجريبية.

الاستاذ الدكتور

محمد توفيق عثمان محمد توفيق آغا

رئيس اللجنة التحضيرية

ضوابط النشر في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية

اخلاقيات النشر

بالإشارة الى اخلاقيات البحث العلمي وبنود لجنة اخلاقيات النشر الموضحة في الفقرة (١٤) من كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/دائرة البحث والتطوير المرقم ٧٩٦١/٤ في ٢٠١٨/١٠/١٥ ، فقد وضعت هيئة تحرير مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية اخلاقيات النشر العلمي الخاص بها وعلى النحو الاتي:

رئيس التحرير

يتولى رئيس تحرير مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية وبالتعاون مع اعضاء هيئة تحرير المجلة مسؤولية اختيار المحكمين المناسبين بسرية تامة.

اعضاء هيئة تحرير المجلة

يعمل اعضاء هيئة تحرير المجلة على اختيار المحكمين المناسبين للابحاث المقدمة للمجلة، والحفاظ على سرية عملية التحكيم، ومتابعة وتقييم البحوث تقيماً أولياً، والنظر في مدى صلاحيتها للنشر او الاعتذار عن النشر قبل ارسالها الى المقيمين.

الباحثون

يجب على الباحثين ضمان اصالة ابحاثهم واستيفائها للمعايير الاكاديمية والاخلاقية العالية ويترتب على ذلك الاتي:

١- ان يتمتع البحث المقدم للنشر بمصداقية عالية من حيث اقتباس النصوص أو تقديم البيانات دون تحريف وان يلتزم الباحث بالامانة

العلمية

٢- عدم ادراج اسماء لباحثين غير مشاركين فعلياً في انجاز البحث.

٣- على الباحثين مراجعة أبحاثهم وفقاً لمقترحات المحكمين، وفي حالة اعتراض الباحث على ملاحظات المحكمين فيجب عليه تقديم تبرير منطقي بذلك.

٤- إخضاع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى برنامج الاستئلال، والتأكد من أن نسبة الاستئلال فيها لا تتجاوز الحد المسموح به (٢٠%).

٥- يجب على الباحثين عدم تقديم أبحاث سبق وأن نشرت في مجلات أخرى، وكذلك عدم تقديم البحث إلى أكثر من مجلة في آن واحد، إذ يعد ذلك منافياً لأخلاقيات النشر.

التحكيم والمحكمون

- ١- يتم إخضاع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى اثنين من المحكمين.
- ٢- يلتزم المحكمون بكتابة تقرير مفصل حول سلامة البحث وأصالته العلمية وفق نموذج مخصص لذلك.
- ٣- تتعامل إدارة المجلة مع أسماء خبراء التحكيم بسرية تامة.
- ٤- في حالة وجود تقرير سلبي من أحد خبراء التحكيم يرسل البحث إلى خبير ثالث للبت في صلاحيته للنشر.
- ٥- يجب على خبراء التحكيم تحري الموضوعية في الأحكام الصادرة عن عملية التحكيم.
- ٦- يفترض من المحكمين النأي بالنفس عن المصالح الشخصية.
- ٧- يفترض من المحكمين الالتزام بالوقت المخصص لعملية التحكيم.

الانتحال (السرقه العلمية)

- ١- ترى المجلة في الانتحال أو السرقه العلمية سلوكاً غير أخلاقي في مجال البحث والنشر العلمي.
- ٢- يحق للمجلة اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة بحق أولئك الذين يخالفون أسس وأخلاقيات البحث العلمي وقواعدها.

حقوق النشر

يتم نقل حقوق النشر الى المجلة عند اخطار الباحث بقبول مجته المقدم للنشر في المجلة.

جدول النشر

تلتزم المجلة بجدول النشر حيث تقوم باصدار اربعة اعداد في السنة (اذار-حزيران-ايلول-كانون الاول)

حقوق الملكية

تلتزم المجلة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للباحثين.

دليل الباحث

هنالك ضوابط للنشر ينبغي ان يلتزم بها الباحث وعلى النحو الاتي:

١. تقديم طلب خطي لنشر البحث ، مع التعهد بعدم إرساله او نشره في مجلة أخرى.
٢. يجب أن يكون البحث مطبوعاً على الحاسوب على شكل ملف Word .
٣. متن البحث بحجم ١٤ والهوامش بحجم ١٢ ، نوع الخط للمتن والآيات القرآنية Deco Type Naskh، وتباعد الاسطر والفقرات (١٠٠) للغة العربية، و Time New Roman، وتباعد الاسطر والفقرات (١٠١٥) للغة الإنكليزية وتخطيط الصفحة يكون بشكل عمودان.
٤. لا يتجاوز عدد صفحات بحوث العلوم الصرفة عن ال (١٥) صفحة والعلوم الإنسانية عن ال (٢٠) صفحة، ويستحصل مبلغ (٢٠٠٠) دينار لكل صفحة إضافية.
٥. ينبغي أن يطبع عنوان البحث متبوعاً باسم المؤلف (أو المؤلفين) وعنوانه، ومن ثم ملخص البحث باللغة العربية والإنكليزية على أن لا يتجاوز عدد كلمات الملخص عن (٢٥٠) كلمة، يليها كلمات مفتاحية غير واردة في العنوان ثم يليها متن البحث.

٦. دفع أجور النشر البالغة (١٠٠) ألف دينار للقب الأستاذ، و(٧٥) ألف دينار للقب الأستاذ المساعد، و(٥٠) ألف دينار للقب المدرس فما دون بالنسبة للبحوث العلمية، أما البحوث الإنسانية، فيدفع مبلغ (٧٥) ألف دينار للقب الأستاذ و(٦٠) ألف دينار للقب الأستاذ المساعد و(٤٠) ألف دينار للقب المدرس فما دون، يستحصل القسط الأول عند تسليم البحث للمجلة، ويستحصل القسط الثاني عند استلام القبول بالنشر، كذلك دفع مبلغ (٥) آلاف لنسخة المستل من العدد.
 ٧. بعد قبول البحث للنشر يقدم الباحث نسخة نهائية للبحث مع قرص مدمج (CD) لغرض تنفيذه وفق سياق المجلة .
 ٨. إذا كان البحث مستلًا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه توضع علامة (*) في نهاية عنوان البحث ثم يذكر في الهامش تفاصيل المشرف والباحث و عنوان رسالة الماجستير أو أطروحة الدكتوراه.
 ٩. تقدم الجداول مطبوعة، والأشكال والمخططات على شكل صورة موحدة.
 ١٠. لا تعاد البحوث الى أصحابها سواء أقبلت للنشر ام لم تقبل .
 ١١. أن لا يتجاوز عنوان البحث والملخص باللغة العربية وباللغة الإنكليزية صفحة واحدة فقط.
 ١٢. تكون المراسلات المتعلقة بالمجلة على العنوان التالي :
- (مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية / كلية التربية الأساسية /جامعة الموصل)

صيغة النشر

يعتمد في صيغة النشر قالب **Template** وهو قالب موحد لكتابة البحوث ونشرها مثبتاً فيه شعار المجلة ويكون معداً بأحدى الصيغتين **Word** او **Latex** .

توثيق المصادر

يجب ان تعتمد المجلة في توثيق المصادر على صيغة **APA** (الجمعية الامريكية لعلم النفس) في توثيق المصادر وتنسيقها وترتيبها .

مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية

جامعة الموصل

الرؤية :

أن تكون المجلة رائدة في ميدان نشر الأبحاث الإنسانية، ولها معامل تأثير، ومصنفة ضمن قواعد البيانات العربية والعالمية.

الرسالة :

نشر الأبحاث العلمية، الرصينة والحكمة، والتي تعالج قضايا ومشكلات وموضوعات ذوات الصلة بالعلوم اللغوية، والإسلامية، والاجتماعية، والتربوية والنفسية، والتربية البدنية. فضلاً عن العلوم الرياضية والصرفة.

الأهداف :

- ١- أن تساهم المجلة في نشر أبحاث أعضاء هيئة التدريس والباحثين في عموم المؤسسات الأكاديمية والجامعية، وطنياً وعربياً وعالمياً.
- ٢- أن تصبح المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في العلوم الإنسانية والصرفة.
- ٣- أن تلتزم المجلة بنشر الأبحاث ذوات المنهج الوسطي في معالجة قضايا الفكر والدين، مع احترام الحرية الأكاديمية للباحثين.

افتتاحية العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ إِلَهُكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

بجهود حثيثة من لدن هيئة تحرير المجلة، تواصل المجلة نشر الأبحاث التي حصلت على قبول نشر وفقاً للسياقات العلمية والاجرائية للمجلة، وبفترة قياسية وأعداد كبيرة بغية الانتهاء من النشر الورقي، والتخطيط للالتحاق بالنشر الإلكتروني في مواقع عالمية. ونأمل أن يتحقق ذلك مع بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله. و المجلة ملتزمة دائماً برسالتها وأهدافها ورؤيتها المستقبلية، فضلاً عن التنوع في الأبحاث الانسانية والعلمية. والعدد الذي بين أيدينا هو العدد الرابع من المجلد الخامس عشر لسنة (٢٠١٩) حافل بالعديد من الأبحاث في مجال العلوم التربوية والنفسية، واللغة العربية وآدابها، والعلوم الإسلامية وفروعها، والتاريخ بفرقاته القديمة والإسلامية والحديثة والمعاصرة، وعلوم الرياضة والتربية البدنية، والعلوم الصرفة بأنماطها وأنواعها وتخصصاتها. وخاتمة أبحاث هذا العدد أبحاث في تخصص اللغة الإنكليزية.

نأمل أن تقدم أبحاث هذا العدد الجديد الذي يرومّه الباحثون والأكاديميون وطلبة الدراسات العليا من معرفة نظرية وميدانية وتجريبية. والمجلة لا زالت مرحبة بأي رأي أو نقد بناء أو تصويب للخطأ. والحمد لله رب العالمين.

الاستاذ الدكتور

فاضل خليل ابراهيم

رئيس تحرير المجلة

((محور الدراسات الجغرافية))

اسماء الباحثين	العناوين	رقم الصفحات
د. ا. د. فهد مزبان خزار الخزار	رؤية جيوبوليتيكية لأزمة النزوح الداخلي في العراق ما بعد احتلال الموصل حزيران ٢٠١٤: الاسباب والحلول المستدامة	٣٥-١
د. م. ا. خالد أحمد عيدان الحديدي / م. م. بدر عبد الرحيم محمود اللهبي	العجز السكاني في مدينة الموصل "حي القدس إنموذجاً"	٦٢-٣٦
رائد محمود فيصل / د. بسمان يونس حميد	تأثير الامطار الساقطة على توزيع الغطاء النباتي في محافظة نينوى بأستخدام معطيات التحسس النائي ونظم المعلومات الجغرافية	٧٨-٦٣
د. ا. د. رياض كاظم سلمان الجميلي	الاتجاهات المعاصرة في الجغرافيا (نحو تفكير تطبيقي واعد)	٩٩-٧٩
د. م. ا. طه احمد الطيار / د. م. د. فتحي عبد الله منديل	دراسة لمنولوجية على مياه نهر الخوصر في مدينة الموصل	١١٣-١٠٠
م. لقاء فتحي عبد الله العبادي	العوامل المناخية وأثرها على أبرز الأحداث في تاريخ روسيا المعاصر	١٢٨-١١٤

((محور الدراسات التاريخية))

اسماء الباحثين	العناوين	رقم الصفات
أ.د. فائزة حمزة عباس	رؤية جديدة لنماذج اندلسية في الحرب والسياسة	١٤٣-١٢٩
أ.م.د. ميسون ذنون العبايحي	اعادة تقييم مرويوات المؤرخ الموصلي ابن الاثير حول بيت المقدس في ضوء مرويوات الطبري	١٥٨-١٤٤
أ.م.د. سفيان ياسين ابراهيم	دور العامل الديني في تعيين حكام الاقاليم (اقليمي الشام والجزيرة الفراتية انموذجاً) خلال العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٤٧هـ/٧٤٩-٨٦١م)	١٧٧-١٥٩
أ.م.د. زينب خليل محمد	عنصر جغرافية المكان وأثره في احداث التاريخ الاسلامي دراسة فلسفية	١٨٩-١٧٧
د. احلام صالح وهب يوسف	الدور السياسي والحضاري لمدينة عنابة في المغرب العربي في ظل الحكم الاسلامي	٢٠٨-١٩٠
د. غادة قحطان حسن	المظاهر العمرانية الدينية في مدينة طليطلة الاندلسية	٢٢٢-٢٠٩
د. شيماء يونس اسماعيل	النظم التعبوية للجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢٤٧هـ / ٧٤٩ - ٨٦١ م	٢٤٤-٢٢٣
أ.م.د. عطية مساهر حمد العبيدي أ.م.د. سلوان رشيد رمضان	الأمير فيصل بن الحسين في بلاد الشام بين الأطماع الاستعمارية وضغط القومين العرب ١٩١٦-١٩٢٠	٢٧٢-٢٤٥

اسماء الباحثين	العناوين	رقم الصفات
أ.م.د. د. بيداء سالم صالح	دول المواجهة العربية ومواقفها من سياسة مصر عام ١٩٧٧	٢٩٥-٢٧٣
د. أفراح ناثر جاسم حمدون	محاولة انقلاب ١٥ تموز ٢٠١٦ الفاشلة في تركيا ونتائجها داخليا وخارجيا	٣٣٢-٢٩٦
د. خالدة ابراهيم خليل الحبيطي	انفصال جنوب السودان عام ٢٠١١ ومطالبته بالانضمام إلى جامعة الدول العربية	٣٥٠-٣٣٣
١. د. أكرم محمد الحياي / د. محمد مؤيد مال الله الحياي	المباني الاثرية الشاخصة في مدينة الموصل منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني	٣٨٧-٣٥١
د. لمى عبد العزيز مصطفى	السياسي والاديب يوسف غنيمه وأثره في الفكر الحديث في العراق	٤١٥-٣٨٨
١.م.د. د. عروبة جميل محمود	المناسبات والأعياد الدينية في الموصل منذ أواخر العهد العثماني وحتى سنة ١٩١٨م	٤٢٩-٤١٦
م.د. ماهر حامد جاسم النورة / أ.م.د. د. عماد عبد العزيز يوسف	حرب القرم وتقرير مصير ولايات البلقان العثمانية (١٨٥٣-١٨٥٦م)	٤٥١-٤٣٠
م. د. د. سجي قحطان محمد قبع	التعليم في الموصل في فترة عودة الحكم المركزي عام ١٨٣٤-١٨٧٩	٤٧٦-٤٥٢

اسماء الباحثين	العناوين	رقم الصفات
أ.م.د. عكاب يوسف جمعة	وصف اربل في المصادر الجغرافية والبلدانية والادبية في العصور الاسلامية	٤٩٩-٤٧٧
م.م.د. رنا سالم الحفّو	التربية والتعليم وأثرهما في المجال الديني والثقافي الفترة المدنية	٥٢٢-٥٠٠
م.م. فيان فارس ناصر	الاراضي الزراعية في بلاد الشام في العصر الاموي	٥٣٦-٥٢٣
م.م. ياسر مصلح عزيز م.م. وعد الله زيدان وهب	الجغرافية التاريخية لبلاد القوقاز واثرها على الفتوحات الإسلامية	٥٥٨-٥٣٧
د. سري ممتاز عبدالله	تجار العراق ودورهم في الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي	٥٨٦-٥٥٩
م.د. حنان عبدالحق علي السباعي	قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان مصدر لدراسة النصوص الضائعة من تاريخ اربل لابن المستوفي	٦٠٦-٥٨٧
أ.د. عادل هاشم علي / م.م. اشرف عبد الحسن	الاديرة والمدارس المسيحية في العراق (العهد الساساني)	٦٢٥-٦٠٧
م. ياسمين ياسين صالح	أهمية التنمية الزراعية وأثرها في حياة الإنسان القديم في بلاد الرافدين	٦٣٨-٦٢٦
أ.م.د. نذير عبد الغني محمد العزاوي	حرب البسوس بين السرد التاريخي والشعبي وبين الفن الدرامي	٦٧١-٦٣٩

رؤية جيوبوليتيكية لأزمة النزوح الداخلي في العراق ما بعد احتلال الموصل حزيران ٢٠١٤: الاسباب والاثار والحلول

المستدامة

الاستاذ الدكتور

فهد مزبان خزار الخزار

الملخص

تمثل اهداف البحث بما يلي :

١- دراسة اسباب ظاهرة نزوح السكان داخليا في العراق ما بعد عام ٢٠١٤ ودوافعها الرئيسة .

٢- تحليل تباين التوزيع المكاني للنازحين والعوامل المؤثرة فيه .

٣- دراسة الاثار الناجمة عن ظاهرة النزوح على السكان النازحين انفسهم وعلى المحافظات المستضيفة لهم .

٤- التوصل لألية حلول مستدامة تأخذ بنظر الاعتبار الدمج بين ما هو انساني وانمائي من السياسات والاجراءات .

تكمن مشكلة البحث الرئيسة بالاتي : ما العوامل والاسباب التي ادت الى تباين التوزيع المكاني للسكان النازحين داخليا ؟ وماهي الاثار المترتبة عليها ؟ وما الاجراءات و السياسات التي اعتمدتها الحكومة والجهات المعنية للحد منها ووضع حلول مستدامة لها ؟

منهجية البحث : اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف ظاهرة النزوح وتحديد اسبابها وتحليل اثارها الانية والمستقبلية على محافظات النزوح والمحافظات المستضيفة .

Summary

The research objectives are as follows:

١. Study the causes and motives of the internal population displacement in post-2014 Iraq.

٢. Analysis of the variation of the spatial distribution of the displaced and the factors affecting it.

٣. Studying the effects of the displacement phenomenon on the displaced populations themselves and their host governorates.

- Finding any sustainable solutions that take into consideration the integration between the humanitarian and development policies and procedures.

The main research problem lies in the following: What are the factors and reasons that led to the disparity of the spatial distribution of the IDP population? What are the implications?

Research Methodology: The researcher relied on the descriptive analytical approach based on describing the phenomenon of displacement and determining its causes and analyzing its current and future effects on the displacement and host governorates.

ان النزوح الداخلي في العراق غالبا ما كان يرتبط بالهروب من العنف او نزاع مسلح لاسيما في المناطق

التي اضحت خارج سيطرة الدولة بعد احتلالها من

تنظيم داعش الارهابي او المناطق التي تكون سطوة

الدولة فيها ضعيفة وبالنسبة تعجز عن حماية مواطنيها

. وذكرت دراسة للمنظمة الدولية للهجرة (IOM)

ان ما يقارب من (٧٠ %) من النازحين في العراق

كانوا مجبرين على ترك منطقتهم الاصلية كنتيجة للعنف

او العنف الطائفي او التهديد بالعنف .

يعد سقوط الموصل، ثاني أكبر مدن العراق، في

العاشر من يونيو/حزيران ٢٠١٤ بيد " داعش "

الحدث الأسوأ على مستوى الوضع الإنساني في العراق

بسبب موجة النزوح التي ضربت عددا من المدن بعد

انسحاب الجيش العراقي وتركه للمواقع العسكرية مع

الأسلحة والآليات التي استولى عليها التنظيم فيما بعد

واحتلاله لبقية المناطق المحيطة بالموصل الواحدة بعد الأخرى.

وتقدر مفوضية الامم المتحدة لشؤون اللاجئين أن

هناك ما يقارب (١,٩) مليون عراقي نازح داخليا "

، وأكثر من (٢) مليون في الدول المجاورة وما يقارب

من (٢٠٠) الف في دول بعيدة . وبعبارة اخرى فان

هناك واحد من كل تسعة عراقيين اما ان يكون

شخصا نازحا داخليا او شخصا غادر العراق .

مشكلة البحث واسئلته : تكمن مشكلة البحث

الرئيسية بالاتي : ما العوامل والاسباب التي ادت الى

تباين التوزيع المكاني للسكان النازحين داخليا ؟

وماهي الاثار المترتبة عليها ؟ وما الاجراءات و

السياسات التي اعتمدتها الحكومة والجهات المعنية

للحد منها ووضع حلول مستدامة لها ؟

اهداف البحث : تتمثل اهداف البحث بما يلي :

٣- ان من ابرز مستلزمات وضع استراتيجية مستدامة لحل ازمة النزوح الداخلي في العراق ، هي تعميق الربط بين ماهو انساني وانمائي من الاجراءات ، والذهاب ابعد من المفهوم التقليدي الذي يقتصر على تلبية الحاجات الانسانية الاساسية .

حدود البحث : تعد فكرة تحديد مجال البحث من اهم خطوات البحث العلمي لكونها تسهل على الباحث العمل على اساس علمي سليم أولا" وتمكنه من الوصول الى النتائج المتوخاة ثانيا" ، وبالنظر لأهمية هذا الموضوع تتحدد منطقة الدراسة مكانيا" بالحدود السياسية للعراق ، وزمانيا" بالمدة الممتدة من عام ٢٠١٤ ولغاية ٢٠١٦ .

منهجية البحث : اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف ظاهرة النزوح وتحديد اسبابها وتحليل اثارها الانية والمستقبلية على محافظات النزوح والمحافظة المستضيفة .

أولا": ماهية النزوح الداخلي : إشكالية تحديد المفهوم وتداخلاته :

يعد تحديد المفاهيم والمصطلحات من الخطوات الهامة التي يجب ان يقوم عليها أي بحث علمي وذلك لان التعريف هو الخطوة المنطقية الاولى لتحديد الماهية التي تحدد الاتجاه الذي يسير فيه ذلك البحث .

١- دراسة اسباب ظاهرة نزوح السكان داخليا في العراق ما بعد عام ٢٠١٤ ودوافعها الرئيسة .

٢- تحليل تباين التوزيع المكاني للنازحين والعوامل المؤثرة فيه .

٣- دراسة الآثار الناجمة عن ظاهرة النزوح على السكان النازحين انفسهم وعلى المحافظات المستضيفة لهم .

٤- التوصل لألية حلول مستدامة تأخذ بنظر الاعتبار الدمج بين ما هو انساني وانمائي من السياسات والاجراءات .

فرضية البحث : يستند البحث على التحقق من صحة الفرضيات الرئيسة التالية :

١- لقد كان لسيطرة تنظيم داعش او ما يعرف بالدولة الاسلامية في العراق والشام على ثلاث محافظات في وسط وشمال العراق وما ترتب عليها من عمليات عسكرية قامت بها الحكومة المركزية لتحريرها العامل الابرز لنزوح السكان داخليا في العراق ما بعد عام ٢٠١٤ .

٢- ترتب على ظاهرة النزوح الداخلي العديد من الآثار والتداعيات على السكان النازحين انفسهم وعلى المجتمعات المستضيفة لهم تحتاج الى حلول من قبل الحكومة للحد من اثارها .

طبيعية أو كوارث من فعل البشر ولم يعبروا الحدود الدولية المعترف بها للدولة. (٢)

ينبغي في ضوء التعريف المذكور اعلاه توافر شرطين اساسيين لحدوث حالة النزوح ، هما :

١- الحراك القسري أو غير الارادي (الاضطرابي) ، والذي لا يترك أي خيار اخر للأفراد سوى الرحيل او الهرب من مكان سكناهم .

٢- ان لا يتجاوز هذا الحراك الحدود السياسية للدولة ، أي انه اضطراب الفرد الى الفرار من مكان سكناه الى أماكن أخرى داخل حدود بلاده .

بينما يعرف اللاجئين وفقاً لنص المادة الاولى من اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١ بأنه : (الشخص الذي يوجد خارج بلد جنسيته او بلد اقامته المعتادة ، بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب العنصر ، او الدين ، او القومية ، او الانتماء الى طائفة اجتماعية معينة ، او الى رأي سياسي ، ولا يستطيع بسبب ذلك الخوف او لا يريد ان يستظل بحماية ذلك البلد او العودة اليه خشية التعرض للاضطهاد) . (٣)

وحتى يكون الشخص لاجئاً ، وفق التعريف اعلاه ، لابد وان تتوفر فيه عدة شروط :

١- الخوف من التعرض للاضطهاد بإحدى الاسباب الواردة في التعريف اعلاه .

ان الدلالات الاصطلاحية لمفهوم النزوح تتداخل مع مفاهيم أخرى كاللاجئ ، المهاجر ، ولأجل فك التداخل لابد من التعرف على المعنى التفسيري لكل مفهوم وفقاً لما اقرته الامم المتحدة بموجب اتفاقياتها او مبادئها التوجيهية الخاصة بالنزوح الداخلي والمستندة الى القانون الدولي لحقوق الانسان والقانون الدولي الانساني .

يعرف النزوح (Displacement) بأنه حركة الفرد أو المجموعة من مكان إلى آخر داخل حدود الدولة، ويتم النزوح رغماً عن إرادة النازح بسبب مؤثر خارجي مهدد للحياة، كالجماعة أو الحرب أو الجفاف والتصحر أو أي كوارث أخرى تدفع النازح إلى مغادرة موقعه والتوجه إلى موقع آخر طمعاً في الخلاص من تلك الظروف. (١)

ويُقصد بالنازحين داخلياً" (الاشخاص المشردين داخلياً) Internally displaced persons وفقاً للمبادئ التوجيهية الصادرة عن الامم المتحدة : الأشخاص أو جماعات الأشخاص الذين أُكْرِهوا على الهرب أو على ترك منازلهم أو أماكن إقامتهم المعتادة أو اضطروا إلى ذلك، ولا سيما نتيجة أو سعيًا لتفادي آثار نزاع مسلح أو حالات عنف عام الأثر أو انتهاكات حقوق الإنسان أو كوارث

٢- لا يصبح شخصا "لاجئاً" الا عندما يتجاوز الحدود السياسية لبلده .

٣- يحصل الشخص على وضع لاجئ قانونياً وفقاً لوثيقة دولية، ولا توجد مثل هذه الوثيقة لتحديد وضع النازح داخلياً .

اما المهاجرون: فهم أشخاص يختارون الانتقال ليس بسبب تهديد مباشر بالاضطهاد أو الموت، بل لتحسين حياتهم بشكل أساسي من خلال إيجاد العمل أو في بعض الحالات من أجل التعليم أو لم شمل العائلة أو أسباب أخرى. وعلى عكس اللاجئين الذين لا يستطيعون العودة إلى وطنهم بأمان، لا يواجه المهاجرون مثل هذه العوائق للعودة. فإذا اختاروا العودة إلى الوطن سيستمرون في الحصول على الحماية من حكومتهم.(٤)

وعليه ، تتعامل الدول مع المهاجرين بموجب قوانينها وإجراءاتها الخاصة بالهجرة، ومع اللاجئين بموجب قواعد حماية اللاجئين واللجوء المحددة في التشريعات الوطنية والقانون الدولي على حد سواء . وتحمل الدول مسؤوليات محددة تجاه أي شخص يطلب اللجوء على أراضيها أو على حدودها . وتساعد المفوضية الدول على التعامل مع مسؤولياتها في حماية طالبي اللجوء واللاجئين .

وبالرغم من ان النازحين داخل بلدانهم ليسوا موضوعاً لاتفاقية خاصة بهم مثلما هو الحال مع اللاجئين، إلا أنهم يتمتعون بالحماية بموجب عديد من القوانين، وخاصة القوانين الوطنية وقانون حقوق الإنسان، كما يتمتعون بحماية القانون الدولي الإنساني في حالة ما إذا كانوا في بلد يجري فيه نزاع مسلح. ويمكن ايجازها بالاتي : (٥)

أ . القوانين الوطنية: اقلية النازحين داخلياً هم من رعايا الدول التي وجدوا أنفسهم فيها، وهم بذلك يتمتعون بالحماية الكاملة للقانون الوطني، والحقوق المكفولة لمواطني هذه الدولة من دون أي تمييز محجف ناتج عن واقع نزوحهم.

ب . القانون الدولي لحقوق الإنسان : يوفر القانون الدولي لحقوق الإنسان أيضاً حماية مهمة للنازحين داخل بلدهم، وهو يسري في أوقات السلم وفي حالات النزاع المسلح على السواء، ويهدف القانون إلى منع النزوح وكفالة الحقوق الأساسية للنازحين حال حدوثه . ويُعد الحظر المفروض على التعذيب والمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، والحق في التمتع بالملكات في سلام والتمتع بالسكن والحياة الأسرية ذا أهمية خاصة لمنع النزوح. كما أن الحق في السلامة الشخصية والحق في وطن وفي الغذاء والمأوى والتعليم

- والعمل تقدم حماية جوهريّة في أثناء النزوح. والعديد من هذه الحقوق لها صلة أيضاً بقضية العودة.
- ج . القانون الدولي الإنساني: يسري القانون الدولي الإنساني في حالات النزاع المسلح، سواء كان النزاع دولياً أم غير دولي. وإذا كان النازحون داخل بلدهم موجودين في دولة طرف في نزاع مسلح، فإنهم يعدون مدنيين وبحق لهم التمتع بالحماية المكفولة للمدنيين، بشرط ألا يكونوا مشتركين في الأعمال العدائية.
- ويمكن للقواعد العامة للقانون الدولي الإنساني التي تكفل الحماية للمدنيين أن تعمل على منع النزوح لو أنها لاقت الاحترام الملائم، كما يمكن أن توفر الحماية في أثناء النزوح حال وقوعه. وفيما يلي القواعد ذات الصلة: (٦)
- قواعد القانون الدولي التي تحظر الهجمات المباشرة على المدنيين والأعيان المدنية ، أو الهجمات العشوائية .
- يحظر القانون الدولي الإنساني تجويع السكان المدنيين و تدمير الأعيان المدنية التي لا غنى عنها لبقاء السكان على قيد الحياة.
- الحظر المفروض على العقاب الجماعي الذي يتخذ غالباً شكل تدمير المساكن.
- القواعد التي تفرض على الأطراف السماح لشحنات الإغاثة بالوصول إلى المدنيين الذين في حاجة إليها .
- يحظر القانون الدولي الإنساني صراحة إجبار المدنيين على ترك محل إقامتهم ما لم يكن ذلك ضرورياً لسلامتهم أو لضرورات أمنية أو عسكرية قاهرة.
- يلزم القانون الدولي الإنساني جميع الدول اتخاذ التدابير الممكنة لضمان توفير ظروف مرضية للمدنيين المشردين من حيث المأوى والنظافة العامة والصحة والسلامة والتغذية ، والا يتم فصل افراد الاسرة الواحدة عن بعضهم البعض .
- والسياق الوحيد الذي يتناول فيه القانون الدولي الإنساني صراحة مسألة العودة هو سياق "النزوح الشرعي"، أي إجلاء السكان لأسباب تتعلق بالأمان أو لضرورة عسكرية ملحة. ففي هذه الحالات يجب إعادة السكان النازحين إلى ديارهم فور توقف الأعمال العدائية. ويمكن أن يصبح حق العودة "ذا أولوية" إذا كان النزوح تعسفياً.
- تهدف هذه القوانين الى توفير الحماية الاساسية التي من شأنها منع النزوح ، وحماية السكان اثناء النزوح ، ومساعدتهم في العودة الى ديارهم .
- ثانياً: التباين المكاني لظاهرة النزوح السكاني الداخلي في العراق للمدة ما بعد عام ٢٠١٤:
- يعتبر عام ٢٠١٤ الأسوأ على مستوى الوضع الإنساني في العراق بسبب موجة النزوح السكاني التي ضربت عددا من المدن في شمال ووسط وغرب

١,٥ %) ، و النجف (٢,٥ %) ، و كربلاء (٢,٢ %) ، و القادسية (٠,٨ %) ، و واسط (٠,٨ %) ، البصرة (٠,٣ %) ، و ميسان (٠,٢ %) ، و المنشي (٠,٢ %) ، و ذي قار (٠,٣ %) .

ومما تجدر الإشارة اليه ، ان مجمل السكان النازحين هم من ثمانية محافظات من مجموع محافظات العراق الثمانية عشر ، جدول (٢) ، بيد أن غالبية السكان النازحين هم في الاصل من ثلاث محافظات ، هي : نينوى والانبار وصلاح الدين، اذ استحوذت على نسب (٤٠ %) و (٣٢ %) و (١٥ %) على التوالي عام ٢٠١٦ .

ويتوقع تفاقم ازمة النازحين بشكل كبير خلال المرحلة المقبلة نظرا لتزايد اعداد النازحين الفارين من مناطق القتال ورداءة الطقس ، الى جانب صعوبة ايجاد اماكن لإيواء النازحين الجدد . اذ اعلنت الحكومة العراقية نزوح (١٨١.٠٠٠) شخص من الجانب الغربي لمدينة الموصل منذ انطلاق العمليات العسكرية في فبراير / شباط ٢٠١٧ لاستعادته من قبضة تنظيم داعش (٩).

بينما اشار تقرير الوضع الانساني الصادر عن مكتب الامم المتحدة لتنسيق الشؤون الانسانية في العراق انه للفترة ما بين ١٧ تشرين الاول / أكتوبر ٢٠١٦ ولغاية ١١ آذار / مارس ٢٠١٧ نزح ما مجموعه (٢٩٢,٨٤٨)

العراق بعد سيطرة مسلحي تنظيم " داعش " او ما يعرف (بالدولة الاسلامية في العراق والشام) عليها . ووفقا " لتقديرات مصفوفة تتبع النزوح صادرة عن المنظمة الدولية للهجرة (IOM) يبلغ عدد الافراد النازحين داخليا " في العراق (٣.٠٦٤.١٤٦) للمدة (كانون الثاني ٢٠١٤ لغاية كانون الاول ٢٠١٦) ، موزعين على (١٠٦) قضاء " و (٣.٧١١) موقعا " في العراق . وللفترة نفسها حددت المصفوفة (١.٢٧٣.٨٢٤) فردا " من السكان النازحين العائدين الى ديارهم (٧) في حين تقدر الامم المتحدة (UN) عدد النازحين داخليا " في العراق (٣.٢) مليون نازح ، وان هنالك أكثر من (٨) ملايين شخص في حاجة الى مساعدات انسانية (٨).

وعند استعراض التوزيع النسبي للسكان النازحين حسب مكان نزوحهم ، جدول (١) ، يتضح ان سبعة محافظات تستضيف (٨٣,٦ %) من مجموع السكان النازحين في العراق ، هي : بغداد (١٣,٥ %) ، ودهوك (١٢,٩ %) ، و نينوى (١٢,٢ %) ، و كركوك (١١,٨ %) ، و أربيل (١١,٦ %) ، والانبار (١١,٦ %) ، وصلاح الدين (١٠ %) .

بينما استضافت إحدى عشر محافظة اخرى (١٦,٤ %) من مجموع السكان النازحين ، هي : السليمانية (٥ %) ، و ديالى (٢,٦ %) ، و بابل (

(شخصا" من الموصل ، وقد عاد منهم (٦٨,٥٥٠) (٢٢٤,٢٩٨) نازح يعيشون في مواقع النزوح والمخيمات
شخص الى مناطقهم الاصلية . واعتبارا" من ١١ نتيجة للارزمة الانسانية في الموصل، ويشكل هذا العدد
أذار / مارس هنالك) الاكبر للنازحين منذ بدء العمليات العسكرية.(١٠)

جدول (١)

مكان النزوح (المحافظة)	عدد السكان النازحين / عائلة	عدد السكان النازحين / فرد	النسبة (%) من المجموع
بغداد	٦٨.٨٠٦	٤١٢.٨٣٦	% ١٣,٥
دهوك	٦٥.٩٠٣	٣٩٥.٤١٨	% ١٢,٩
اربيل	٥٩.٥٥٨	٣٥٧.٣٤٨	% ١١,٦
كركوك	٦٠.٤٤٧	٣٦٢.٦٨٢	% ١١,٨
نينوى	٦٢.٠٩٨	٣٧٢.٥٨٨	% ١٢,٢
الانبار	٥٩.٣٢٣	٣٥٥.٩٣٨	% ١١,٦
صلاح الدين	٥٠.٩٠٥	٣٠٥.٤٣٠	% ١٠
السليمانية	٢٥.٣٤٧	١٥٢.٠٨٢	% ٥
ديالى	١٣.٢٨٦	٧٩.٧١٦	% ٢,٦
بابل	٧.٩٠٩	٤٧.٤٥٤	% ١,٥
النجف	١٣.١٠٧	٧٨.٦٤٢	% ٢,٥
كربلاء	١١.٠٤٠	٦٦.٢٤٠	% ٢,٢
قادسية	٤.٠٠١	٢٤.٠٠٦	% ٠,٨
واسط	٤.١٨٨	٢٥.١٢٨	% ٠,٨
بصرة	١.٧٢٠	١٠.٣٢٠	% ٠,٣
ميسان	٨٩٠	٥.٣٤٠	% ٠,٢
مثنى	٧٩٧	٤.٧٨٢	% ٠,٢
ذي قار	١.٣٦٦	٨.١٩٦	% ٠,٣
المجموع	٥١٠.٦٩١	٣.٠٦٤.١٤٦	% ١٠٠

للسكان النازحين حسب مكان النزوح المدة (كانون الثاني ٢٠١٤ لغاية كانون الاول ٢٠١٦)

تعود لتأمين إغاثات غذائية وصحية وملاجئ أمنة وتعليم ومراكز خدمية لأسر وأطفال النازحين ، وكذلك اعباء اجتماعية تفرضها حالة السكان النازحين وكيفية اندماجهم وتعاطيهم مع ظروفهم الجديدة وسكان المدن والمحافظات الجديدة .

ويمكن ان نُوجز ابرز هذه الآثار والتداعيات ، بالاتي :

١- لامرات امنه للنزوح : أضحي السكان في مناطق النزاعات المسلحة وما يجاورها جزء من العمليات العسكرية ، حيث يعتمد تنظيم داعش الاحتفاظ بالسكان المحليين كدروع بشرية ، ويمنعهم من الخروج الى مناطق امنة . وبالرغم من اعلان الحكومة العراقية عن وجود ممرات امنة لخروج السكان المحليين الا ان ذلك لا يعني بالضرورة ان تلك الممرات هي بالفعل امنة وسالكة لجميع من يريد الخروج من مناطق النزاع .

فقد تنبه تنظيم داعش واغلق من جانبه الممرات التي تشكل خلاصا من سيطرته ، ولا يخرج المواطنون المدنيون الا بالكاد ، ومن خلال دفع فدية لبعض افراد التنظيم او رشا لأخرين لتحريرهم سرا " . وفي تقرير يومي عن الاحداث في العراق ، أعلنت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، احتجاز تنظيم "داعش" في ٤ آب / اغسطس ٢٠١٦ نحو (٣٠٠٠) شخص

وعليه ، فقد كانت ازمة النازحين الحدث الابرز بعد الابادة الجماعية والحجاز التي ارتكبتها تنظيم داعش بحق المواطنين العراقيين لاسيما ما تعرض له الايزيديون والمسيحيون والمسلمون الشيعة بعد سيطرة تنظيم داعش الارهابي على مدينة الموصل ، اذ بدأت موجات النزوح بشكلها الابرز ، وان لم تكن هي التجربة الاولى للتنظيمات الارهابية التي تطلق على نفسها تسمية (التنظيمات الاسلامية الجهادية) كتنظيم القاعدة في تهجير المخالفين لهم ، وقتلهم وسبي نسائهم خصوصا" من الاقليات، وتفاقت الظاهرة مع بدء العمليات العسكرية للحكومة العراقية لاستعادة اراضيها من سيطرة مقاتلي داعش ، لذا وصفت موجة النزوح بأنها اكبر عملية نزوح في تاريخ العراق الحديث ، اذ لم يشهد العراق مثيلا لها الا في عام ١٢٥٨ للميلاد عندما احتل المغول بغداد .

ثالثا: الآثار الناجمة عن ازمة النزوح الداخلي في العراق :

للنزوح الداخلي في العراق تداعيات كبيرة على مختلف مناحي الحياة للسكان النازحين وللمحافظات المستقبلية والمضيقة لهم ، فهناك اعباء واثار أمنية تتعلق بالأعداد الكبيرة التي تستقبلها هذه المحافظات ومسألة تنظيمها وادارتها والتعامل معها ، واقتصادية

الاعانات التي توزع عليهم . وقد عبرت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في ١١ آذار / مارس ٢٠١٦ عن مخاوفها ازاء التوجه المتزايد نحو نقل السكان العراقيين النازحين حديثا الى المخيمات قسرا ، حيث تفرض قيود على حرية تحركهم بطريقة لا تتناسب مع أي مخاوف مبررة ، بما في ذلك تلك المتعلقة بالأمن. (١٣)

وتبرر الحكومة العراقية إجراءاتها المتشددة تلك بدواعي أمنية خوفاً من تسلل بعض اراهابي داعش بين السكان النازحين وتنفيذهم لأعمال اراهابية لاسيما مع تبني التنظيم استراتيجية جديدة في ادارته للصراع مع الحكومة العراقية لاسيما بعد فقدان سيطرته على ما يقارب (٨٠ %) من الارض والموارد التي سيطر عليها منذ نيسان ٢٠١٤ . اطلق على هذه الاستراتيجية اصطلاحا (الذئاب المنفردة) ، حيث تستغل داعش شبكة الانترنت للتواصل مع بعض عناصرها الارهابية الذين تسللوا مع السكان النازحين او لتجنيد عناصر جديدة لغرض ضرب اهداف منقاة وفقا لتوقيت زمني مفاجئا . (١٤)

٣- تقييد دخول النازحين داخليا الى الحدود الادارية لبعض المحافظات : ورغم صحة الادعاءات بأن وصول اعداد كبيرة من النازحين داخليا يزيد من العبء على الموارد المتاحة ويمكن أن يخلق توترا مع

حاولوا الفرار من قراهم في محافظة كركوك ، وأعدموا ١٢ منهم أثناء محاولتهم الوصول إلى مدينة كركوك، بعيدا" عن مناطق الصراع الساخنة. (١١)

٢- لا تتناسب المخيمات من حيث اعدادها والخدمات المقدمة فيها مع اعداد النازحين واحتياجاتهم الانسانية : بما ان السكان النازحين فروا من مناطق سكناهم بصورة مفاجئة واضطرارية ، هربا" من سطوة مقاتلي داعش ومن العمليات العسكرية التي تشنها الحكومة العراقية لاستعادة الاراضي الخاضعة لهم ، ومن دون اية استعدادات بسيطة لرحلة النزوح ، فإنهم الآن يواجهون ظروفًا قاهرة تتمثل بعدم توفر ابسط المقومات الاساسية للحياة في المخيمات المعدة لاستقبالهم . فخلال الفترة ما بين يوليو / تموز ونوفمبر / تشرين الثاني ٢٠١٦ زارت منظمة العفو الدولية مئات الالاف من الاشخاص النازحين داخليا" حيث وصفت الاسر المعانة التي يتعرضون لها في السكن في مخيمات مؤقتة لا تتوافر بها ابسط مستلزمات الحياة سوى مساعدات انسانية غير كافية . (١٢) كذلك فإن هناك قيودا على حريتهم في الحركة لدواعي أمنية خوفا" من نزوح واختفاء إرهابي داعش بين النازحين المدنيين ، ونتيجة لذلك يظلون محاصرين في داخل المخيمات ولا يسمح لهم بمغادرتها ، وعليهم بالتالي ان يعتمدوا على

٤- اقتدار النازحين الى الاوراق الثبوتية : يفتقر العديد من النازحين الفارين من المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم داعش وما تلاها من تحرك الحكومة العراقية بعملية عسكرية واسعة لاستعادتها الى الوثائق الثبوتية كهوية الاحوال المدنية وشهادة الجنسية وبطاقة السكن وعقود الملكية للأراضي والوحدات السكنية . . . ، وتقدر بعض الاحصائيات ان (٤٤%) من العوائل النازحة في مختلف انحاء العراق تعاني من مشكلة فقدان احد افرادها او أكثر اوراقه الثبوتية ، (١٧) مما أدى الى العديد من التبعات السلبية ، اهمها عدم حصولهم على المساعدات ، او صعوبة الحصول على فرص عمل ، او الالتحاق بالمدارس والمعاهد والجامعات ، وفقدانهم حقوقهم في التصويت في الاستحقاقات الانتخابية ، هذا فضلا عن العائدين سيواجهون أيضا مشكلة فقدانهم حجج اراضيهم واثبات ملكيتها .

٤- الآثار الصحية السلبية للنزوح : يتزايد انتشار الأوبئة و الأمراض البيئية نظرا لانخفاض مستوى الخدمات الصحية المقدمة في معسكرات النازحين وامتداد تأثير ذلك على المجتمعات القريبة منها مما يشكل خطورة ويزيد من تفاقم الوضع الصحي . اذ يواجه النازحون الآن وفق تقارير منظمات الصحة العالمية الكثير من المهددات والامراض الاجتماعية ،

المجتمعات المستضيفة لهم ، بيد ان هذا الاجراء الذي اتخذته بعض السلطات المحلية في تقييد ومنع دخول النازحين الى داخل حدودها يتعارض مع المبادئ التوجيهية الخاصة بالنزوح الداخلي ، اذ ينص المبدأ (١٤) أولا : (لكل مشرد داخليا " الحق في التنقل الحر وفي اختيار محل اقامته) . (١٥) وبالتالي فان لدى السكان حق اساسي في السعي للفرار من مناطق العنف من خلال الانتقال الى مكان اخر ضمن حدود بلادهم . وينبغي ان تبحث السلطات المحلية الوسائل الضرورية لضمان عدم تعرض النازحين داخليا " لأي شيء مما يعوق مساعيهم لإيجاد الملاذ الامن والحماية ضمن حدود العراق .

ويذكر في هذا السياق ان بعض الحكومات المحلية تطبق (نظام الكفيل) كشرط اساسي لدخول النازحين الى داخل محافظاتهم ، وهو نظام يسمح بدخول النازحين بعد تكفلهم من قبل احد السكان المحليين في خطوة أمنية للحيلولة دون حدوث أي خرق أمني ينجم عن تسلل الارهابيين مع السكان النازحين ، وعلى الرغم من قرار مجلس النواب رفع نظام الكفيل لدعم الاسر النازحة وتسهيل حركة تنقلهم الا انه لازالت بعض الحكومات المحلية تطبقه مبررين تلك الخطوة بالدواعي الامنية. (١٦)

٣٠,٤%)، لتصل الفجوة التمويلية الحرجة إلى (٢١٨,٧ مليون دولار. (١٩)

ووفقاً لبيانات المنظمة العالمية للهجرة ، فإن عدد النازحين من الموصل خلال الفترة ١٧ تشرين الاول / أكتوبر ٢٠١٦ الى ١٦ آذار / مارس ٢٠١٧ بلغ (٢٥٤٨٨٠) نازحاً ، منهم (١٣٧٩٥٠) نازحاً من غرب الموصل لوحدها منذ ١٨ شباط / فبراير ٢٠١٧ ، ويبحث معظم النازحين ، حسب احدث تقرير لمنظمة الصحة العالمية ، عن المأوى في (حمام العليل) ، وتواصل المنظمة وشركاؤها تقديم الدعم لتوفير الخدمات الصحية الأولية في مخيمات النازحين من خلال انشاء عيادات الرعاية الصحية الأولية ، والمستشفيات الميدانية ، وتوفير الادوية والامدادات الطبية الاخرى . وقد حددت المنظمة الاسباب التي دعتهما للأعراب عن قلقها من الوضع الصحي للسكان النازحين ، بالنقاط التالية : (٢٠)

أ- الامكانية المحدودة لوصول السكان الى الخدمات الصحية في المناطق المحررة حديثاً وداخل مدينة الموصل بسبب التحديات الامنية المتقلبة .

ب- النطاق الضيق لتحرك شركاء منظمة الصحة العالمية باتجاه المناطق التي أصبح الوصول اليها متاحاً حديثاً بسبب التحديات الامنية التي تجعل من الصعب عليهم القيام بدراسات استقصائية في الوقت

ففي اطار زيارته لمحافظة دهوك بإقليم كردستان العراق في آذار / مارس ٢٠١٥ أكد الدكتور علاء الدين العلوان ، المدير الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية لإقليم شرق المتوسط ، إن (الوضع جد خطير، ومن الأهمية البالغة التصدي فوراً للنقص في الخدمات الصحية الأساسية التي يحتاج إليها النازحون داخلياً في المجتمع العراقي . فالملايين من الرجال والنساء والأطفال يرون حياتهم تتحطم دون داعٍ، ويواجهون مستقبلاً مجهولاً . والكثير من هؤلاء الأفراد أكثر تأثراً بالمخاطر وأشد ضعفاً من غيرهم مثل الأطفال الصغار والحوامل والأشخاص ذوو الإعاقة وكبار السن ومن يحتاجون إلى معالجات مُنقذة للحياة لأمراضٍ مثل السرطان والسكري وأمراض القلب . وما لم تتوافر الخدمات الصحية الفعالة، ستزيد خطورة إصابتهم بالأمراض بل ووفاتهم) . (١٧)

وفي تقييمها للوضع الصحي للسكان النازحين داخليا في العراق ، أشارت منظمة الصحة العالمية في احدى تقاريرها (ان الوضع يبعث على القلق ، وان أكثر من ٥ ملايين شخص في العراق يحتاجون الى الخدمات الصحية) . (١٨) وقدّرت المنظمة احتياجات القطاع الصحي العراقي لتلبية احتياجات السكان المتضررين بالصراع الدائر هناك إلى (٣١٤,٢) مليون دولار، لم يتوافر منها سوى (٩٥,٥) مليون دولار (بما يُعادل

- المناسب لحالات يشبه بأنها امراض سارية ضمن المجتمعات المتأثرة .
- ج- لايزال نقص المياه الامنة لدى السكان المحصورين داخل المناطق الواقعة غرب الموصل مصدرا " للقلق ، فهناك خطر محتمل لانتشار الامراض التي تنتقل بالمياه ، مثل الاسهال المائي الحاد .
- د- نقص الوقود وسيارات الاسعاف اللازمة لنقل المصابين والجرحى والحالات المرضية الخطرة الى خارج مدينة الموصل ، مما يحد من نطاق الاستجابة الفورية وفي الوقت المناسب لحالات الطوارئ .
- هـ- التدايعات الامنية لظاهرة النزوح الداخلي في العراق : تركت ازمة النزوح الداخلي اثارا " وتدايعات سلبية على السكان النازحين والحافظات المستقبلية لهم على حد سواء ، ويمكن ان نوجز ابرز هذه التدايعات والاثار الامنية ، بالاتي :
- أ- نتيجة الظروف المعيشية الصعبة التي يمر بها النازح من قلة الطعام واىواء عدد كبير منهم في مكان صغير لا تتوفر فيه أدنى مقومات الحياة الاعتيادية ، فان هذه الظروف تدفع بهم الى خلق مشاكل وجرائم اجتماعية واقتصادية من الاعتداء والمشاجرات والسرقات ... ، مما يتطلب بذل جهودا " إضافية من قبل الاجهزة
- الامنية من اجل السيطرة على الموقف واتخاذ الاجراءات القانونية بحق المخالفين .
- ب- ان وجود اعداد كبيرة من المواطنين (الاصليين والنازحين) في بقعة أرض محدودة في المحافظات المستقبلية والظروف الصعبة التي يمر بها النازح يدفع بعدد منهم الى ارتكاب جرائم بحق بعضهم البعض او بحق السكان الاصليين من جرائم السرقة والاحتيال والقتل مما يؤدي الى زيادة عدد الجرائم المرتكبة وان زيادة الجرائم مؤشر خطير على عدم الاستقرار والامان مما يقلق الناس ويشعرهم بالخوف على حياتهم وممتلكاتهم ،(٢١) وهذا يستدعي تكثيف الدوريات الامنية وتشديدها وخاصة عندما يكون النازحين موزعين في المدن والحافظات العراقية وليس في مخيمات محددة .
- ج- استغلال ارهابيي داعش موجة النزوح والتخفي بين النازحين؛ لاختراق المناطق والحافظات الامنية المستقبلية لهم للقيام بعمليات ارهابية الهدف منها زعزعة الاستقرار والامن في تلك المناطق والتغطية على خسائرهم في المعارك الدائرة في اخر معاقلهم في مدينة الموصل . ويذكر في هذا السياق ان مفارز المديرية العامة للاستخبارات والامن بالتنسيق مع الشرطة الاتحادية القوا القبض في ٢ كانون الثاني ٢٠١٧ على خمسة من أخطر قيادات داعش ، بينهم المسؤول

أ- تمزيق النسيج الاجتماعي بين مكونات المجتمع العراقي واطيافه المتنوعة . فمعلوم ان النازحين انما نزحوا هرباً من قتل الارهابيين لهم، ولا يخفى على احد ان النازحين انما ينتمون الى مكونات معينة يأتي المسلمين الشيعة التركمان في مقدمتهم، والشبك والايديين والمسيحيين، وعدد من المسلمين السنة الفارين من العمليات العسكرية، او اولئك الرافضين لتوجه الجماعات الارهابية والتكفيرية والطائفية ، ومعلوم ان من احتضن مقاتلي تنظيم داعش ووفر الملاذ الامن لهم هم اغلبهم من سكان المحافظات ذات الاغلبية السنية . وطبعاً هنا فان الكلام لا يشمل جميع السنة بل يشمل من ساند « داعش » من الطائفيين والبعثيين والانتهازيين . والسؤال هو كيف يمكن لهؤلاء النازحين بعد عودتهم ان يتعايشوا مع من هربوا منهم، بل شاركوا في قتلهم واستباحوا حرمانهم و اعراضهم و سلبوا ممتلكاتهم؟! الحقيقة ان هذا الامر صعب للغاية قد يحتاج الى فترة طويلة لعلاجها .

وساهم ايضا " في زيادة الفجوة بين مكونات الشعب العراقي ادعاءات بعض الساسة السنة ووسائل الاعلام من انتهاكات يقوم فيها الحشد الشعبي ضد سكان المناطق المحررة على اساس طائفي ، صاحبها ادعاءات بمنع الحكومة عودة العائلات النازحة الى ديارهم ، وقد أصبحت عودة النازحين احدى المظالم

الاعلامي لما يسمى ولاية نينوى ، خلال محاولتهم التسلل بين النازحين (٢٢) وهذا يتطلب من الجهات الامنية القيام ببعض التدابير الاضافية ، والتي قد يكون منها: اصدار بطاقة خاصة لجميع النازحين حتى الاطفال منهم تكون مرجعاً لإثبات الشخصية، ومعرفة مكان استقرارهم الجديد . و تشمل على بعض معلومات هوية الاحوال المدنية، ومعلومات بطاقة السكن الاصلية للنازحين، ومعلومات تماثلها للسكن الجديد وتحمل مع هوية الاحوال المدنية لجميع النازحين . وفتح شبكة معلومات موحدة ومتراصة في جميع العراق خاصة بهذه البطاقة، ومن خلالها يمكن معرفة التحركات المحتملة للإرهابيين المتخفين بين السكان النازحين والحد من نشاطهم الارهابي .

د- ان زيادة عدد السكان في بعض المحافظات لاسيما المستقبلية لأعداد كبيرة نسبياً" من النازحين يؤدي الى زيادة الطلب على البضائع والمواد الغذائية مما يفتح الطريق امام ضعيفي النفوس الى استغلال الوضع المتأزم بارتكاب مخالفات وجرائم اقتصادية مثل الاحتكار وتزوير الماركة والنوع وزيادة الاسعار . . . مما يؤثر سلباً على الامن الاقتصادي للبلد .

٦- الآثار الاجتماعية : افرز النزوح الداخلي في العراق العديد من الآثار الاجتماعية ، يمكن ان نوجز أبرزها بالاتي :

صحفي، إن (عمليات داعش في المحافظات هي العبء الجديد الذي يضاف على أزمة السكن، بسبب تعرض عشرات آلاف الوحدات القائمة إلى الضرر الجزئي والكلي جراء العمليات العسكرية المستمرة) .
(٢٤)

وقد اظهرت احدي الاحصائيات الخاصة بالتوزيع النسبي لنوع الوحدة السكنية التي تشغلها الاسرة النازحة ، جدول (٣) ، ان نسبة العوائل التي استأجرت مسكن بلغت (٦١,٣ %) تلتها العوائل التي تسكن مع الاقرباء بنسبة (١٣,٦ %) ، تلتها العوائل التي تمتلك مسكن بنسبة (١١,٣ %) ، واتخذت (١٠ %) من العوائل النازحة من الابنية الحكومية كالمدارس ومقرات الجيش ودوائر الدولة مكان لسكنها ، في حين بلغ السكن العشوائي في الساحات المتروكة نسبة (٢,١ %) ، اما اقل النسب فتمثلت بالاسر التي تسكن في مخيمات اقامتها الحكومة (١,٧ %) .
وقد نجم عن تفاقم أزمة السكن بروز عدة اثار ومشكلات اجتماعية واقتصادية وامنية كمشكلة السكن العشوائي والتجاوز على اراضي وعقارات الدولة وارتفاع اسعار العقارات والايحارات والضغط على الخدمات والمرافق العامة وانتشار الجريمة والادمان والانحراف

الرئيسة لدى الساسة السنة . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، اتهمت لقاء الدوري ، عضو مجلس النواب العراقي ، الاحزاب السياسية بمنع عودة العائلات النازحة الى محافظة صلاح الدين . هذا فضلا عن قيام بعض الساسة والمجاميع المسلحة ووسائل الاعلام بزور بذور الفرقة والانقسام من خلال الترويج لمصطلحات : (تهيش السنة) ، و (اجتثاث السنة) تحت مزاعم وجود صلات بتنظيم ما يسمى بالدولة الاسلامية (داعش) . (٢٣) وبذلك فقد عمدت بعض الجهات المستفيدة من حالة الا استقرار السائدة حاليا" على اثاره

الفتنة الطائفية بين ابناء المجتمع تحت مزاعم التهيش والاجتثاث والقتل على الهوية مما ادى الى تمزيق النسيج الاجتماعي وبالتالي ضعف الروابط والعلاقات الاجتماعية .

ب- تفاقم أزمة السكن : فاقمت الحرب ضد تنظيم "الدولة الاسلامية" داعش، أزمة السكن في أنحاء عدة من العراق، في ظل وجود ما يقرب من ثلاثة ملايين نازح وعشرات آلاف المنازل المدمرة، وارتفعت حاجة البلاد للوحدات السكنية، من ٣ ملايين وحدة في حزيران ٢٠١٤، إلى ٤ ملايين وحدة في عام ٢٠١٦ .
وقد أكد هذا التوجه المستشار الاقتصادي لرئيس الوزراء العراقي (مظهر محمد صالح) في تصريح

جدول (٣)

التوزيع النسبي لنوع الوحدات السكنية التي تشغلها العوائل النازحة داخليا في العراق

نوع السكن	النسبة (%)
ايجار	٦١,٣
سكن مع الاقرباء	١٣,٦
ملك	١١,٣
مباني حكومية	١٠
السكن في الساحات المتروكة (السكن العشوائي)	٢,١
المخيمات التي اقامتها الحكومة	١,٧
المجموع	١٠٠ %

المصدر : جبار عبد جبيل ، وقيس مجيد علوش ، التباين المكاني لظاهرة الهجرة القسرية الداخلية في العراق ما عدا

اقليم كردستان ، مجلة كلية التربية الاساسية ، العدد (١٥) ، جامعة بابل ، اذار ٢٠١٤ ، ص ٤٢٢ .

ج- التسرب من التعليم : ان النزاع يجد ذاته ليس
مبررا " مقتعا " لإغلاق فرص التعليم ، بل يتحتم على
الجماعات المسلحة من غير الدول واجب حماية التعليم
في المناطق التي تسيطر عليها . والقانون الإنساني
يفرض وجوب استمرار التعليم في حالات الطوارئ
فانفاقية جنيف الرابعة على سبيل المثال، تجبر
سلطات الاحتلال على تسهيل " العمل الملائم
للمؤسسات التعليمية في المناطق المحتلّة . " كما تركّز
الاتفاقية ذاتها على أنّه بالنسبة لبعض فئات الأطفال
المتأثرين بالنزاع، " يتعين على أطراف النزاع ضمان
تسهيل عملية تعليم (هؤلاء الأطفال) تحت أي ظرف
كان " . فالتعليم عامل أساسي في التمكين من أن يعيش
الأطفال حياة طبيعية من تأثروا نتيجة النزاع، ولا بد
من إكسابهم المهارات اللازمة للعيش . وفي الأحوال التي

يقود فيها النزاع مع الجماعات المسلحة من غير الدول إلى نزوح السكان، يُطلب من الجهة المسيطرة على المنطقة سواء أكانت السلطات المعنية أم الدولة أو الجماعة المسلحة من غير الدول توفير التعليم قدر الإمكان. كما نصّت المبادئ الإرشادية حول النزوح في مادتها ٢٣(١) على ضرورة تسهيل الخدمات التعليمية " التي يتعين أن تكون متوافرة للنازحين... فور إتاحة الظروف لذلك " . (٢٥)

لقد خلفت أحداث الموصل حزيران ٢٠١٤ ، وما تلاها من سيطرة تنظيم داعش على مدن ومحافظة في شمال ووسط وغرب العراق آثارا سلبية على العملية التعليمية للسكان النازحين من تلك المناطق ، ولاسيما التسرب من التعليم بمراحله المختلفة ، أذ تشير إحدى الإحصائيات الصادرة عن وزارة التخطيط العراقية / الجهاز المركزي للإحصاء ، أن نسبة السكان النازحين الذين تركوا التعليم بسبب النزوح (٨,٢ %) من إجمالي السكان النازحين ، يشكل النازحون من محافظة نينوى ممن تركوا الالتحاق بالتعليم أعلى نسبة مقارنة بالمحافظات الأخرى التي حصل فيها النزوح إذ بلغت (٣٧,٢ %) ، تليها

محافظة صلاح الدين (٢٦,٥ %) . ان أبرز سبب لترك النازحين التعليم هو السبب المادي ، اذ يشكل (٤٣,٢ %) من إجمالي النازحين التاركين للتعليم، (٢٦) ويأتي السبب الآخر في عدم وجود مدارس قريبة من النازحين ، كما ان هناك مشكلة اساسية لأغلب الطلاب النازحين من الموصل و تلغفر وهم التركمان فهم لا يجيدون اللغة العربية مما يشكل عائقا امام التحاقهم بالمؤسسات التعليمية في المحافظات المستقبلية لهم . هذا فضلا عن عدم تمكن اغلب النازحين من جلب الوثائق الرسمية المدرسية والجامعية نظرا لان عملية التهجير القسري غالبا ما تكون تحت جنح الاضطرار والقسر وعامل تهديد حياة النازح نفسه . (٢٧)

٧- الآثار النفسية للنزوح :

يتعرض الأفراد النازحين قسراً أثناء ممارسة حياتهم إلى ضغوطات نفسية شتى نتيجة الأوضاع السيئة التي مروا بها من خلال هجر منازلهم وممتلكاتهم وباب رزقهم عنوة أو من خلال تعرضهم للترهيب والقتل أو تعرض احد أفراد عائلاتهم إلى القتل أو الخطف أو نتيجة الظروف السيئة التي يعيشونها، وما زاد من تفاقم المشكلات التي تواجه النازحين صعوبات حياتهم

انتهاكات حقوق الإنسان، مثل استغلال النساء وعمالة الاطفال وعدم توفر حقوق كافية للتعليم وإصابة الكثير منهم بالأمراض الجسمية المعدية والاضطرابات النفسية ، اذ تشير تقارير منظمة الصحة العالمية ان أكثر الاضطرابات النفسية التي يعانيها النازحون هي : ارتفاع مظاهر الاكتئاب ، واضطراب ما بعد الضغوط الصدمية ، وارتفاع معدلات الانتحار في مخيمات النازحين ، وإدمان المواد ذات التأثير النفسي.(٢٩)

إن مثل هذه الضغوط قادرة على تفجر اضطراب نفسي قد يكون حاد ويدوم مدة طويلة وتختلف المواقف الضاغطة باختلاف التركيب النفسي للفرد فبعض الأفراد لديهم القدرة على التحمل لمواجهة اعنف المواقف بقدر كبير من الاتزان وبعضهم لا تتوفر فيهم هذه القدرة فسرعان ما يصابون بالانهيار الجسدي وبعض الأمراض الانفعالية. فالغالبية المطلقة من النازحين يشعرون باليأس ولا يجدون في المستقبل املا ولا في وجودهم معنى، وانهم صاروا ينظرون الى الحياة كما لو كانت اشدّ عليهم من جهنم. والخطر الذي لا يدركه كثيرون ان ابناء النازحين من الاطفال والمراهقين والشباب تشكل لديهم منظور ان العالم مكان خطر وان من حولهم قسا يريدون افناءهم. . وانه لا سبيل لهم سوى ان يكونوا أكثر عنفا وعدوانا

حيث ذكرت منظمة الهجرة الدولية في تقريرها عن النازحين في العراق ان أهم المشكلات التي تواجه النازحين هو الحاجة إلى المأوى يليها التوظيف والطعام وان أغلبية النازحين داخليا الذين شملهم تقرير منظمة الهجرة الدولية ونسبتهم (٥٩ %) يسكنون في بيوت مؤجرة إلا أن مواردهم المالية تتضاءل مع الوقت وأسعار الإيجارات ترتفع، وان هناك حوالي (١٨ %) يعيشون مع عائلات أو أصدقاء في ظروف مزدحمة وان هناك حوالي نسبة (٢٢ %) يعيشون في مستوطنات جماعية أو مباني عامة، كما أنهم معرضين للطرد من قبل السلطات المحلية أو أصحاب الأملاك، كما يعيش مئات الآلاف في مخيمات تفتقر إلى المعايير القياسية والخدمات الأساسية كالمياه النظيفة والصرف الصحي والكهرباء الامر الذي جعلها عاملاً رئيسياً في الأزمة الإنسانية التي يتعرض لها النازحون داخليا . (٢٨)

فبعد ان كان النازحون يعيشون في بيئة اجتماعية مستقرة ومنظمة قبل نزوحهم، فهم الآن يعيشون حالة من البطالة والفقر والتسول والعيش في معسكرات غير مؤهلة للسكن ، ويواجهون حالة من العنف والرفض المجتمعي من قبل ابناء المناطق الجديدة ، فضلا عن ذلك تفيد التقارير ان النازحين يتعرضون للكثير من

متخصصة تتوافر فيها الشروط، فان الوضع لايزال ينقصه الكثير من الامكانيات المادية والبشرية للنهوض بالواقع المتردي للصحة النفسية. حيث أن عدد المستشفيات العراقية المختصة بالأمراض النفسية لايزال قليل مقارنة مع حجم الحاجة، وهو عبارة عن ثلاث مستشفيات فقط؛ مستشفى الرشاد و"ابن رشد" في بغداد، و"سوز" في السليمانية في إقليم كردستان، فضلاً عن خدمة الاستشارة النفسية التي أدخلتها منظمة أطباء بلاحدود في مستشفى اليرموك في بغداد ومستشفى آخر في الفلوجة وفق البرنامج مع وزارة الصحة، إضافة إلى ذلك يوجد في بغداد مدينة الطب /عيادة استشارية للطب النفسي في مستشفى بغداد التعليمي وفي الموصل عيادة استشارية في جناح مستشفى ابن سينا العام كذلك توجد مراكز تدريبية وعيادات استشارية في محافظات الديوانية وكربلاء والبصرة. وان عدد الأطباء النفسانيين في العراق هو اقل من العدد المطلوب عالمياً في أي بلد، حيث لم يتبقى في العراق سوى 80 طبيباً نفسانياً بعد 2003 وقد تعافى العدد الآن ليصل إلى أربع أطباء

وانحرافاً، هذا يعني ان النازحين اذا تركوا من دون رعاية نفسية فان المجتمع العراقي سيكون بعد خمس سنوات من أكثر المجتمعات التي تشيع فيها الجريمة بأنواعها والمخدرات والانحرافات الجنسية والاخلاقية والتمرد على سلطة البيت والدولة .

تظهر آخر الإحصاءات الصادرة من الاتحاد العالمي للصحة النفسية أن الاضطرابات النفسية تطل (شخصاً واحداً) من بين كل عشرة أشخاص في العالم. وإذا ما تمت مقارنة هذه النسبة العالمية بالواقع في العراق نجد ان نسبة الذين يعانون من مشاكل نفسية في العراق اعلى من المستوى العام في العالم. حيث أشارت منظمة الصحة العالمية إن أكثر من (6) مليون عراقي مصابين بأمراض نفسية جراء الحروب والقتال الطائفي ومشاهد العنف. وهذا يعني ان نسبة واحد من كل ستة اشخاص يعانون من اضطرابات نفسية في العراق.

وعلى الرغم من صدور قانون الصحة النفسية العراقي رقم 1 لسنة 2005 الذي يهدف الى تأمين رعاية مناسبة للمصابين بالاضطرابات النفسية والتخفيف من معاناتهم ومعالجتهم في وحدات علاجية

لكل مليون شخص، وهو أقل بكثير مما هو مطلوب. (٣٠)

منزلية أخرى الى الاسر النازحة في داخل مراكز الايواء وخارجها بلغت قيمتها الكلية أكثر من (٥٠٠) مليار دينار. هذا فضلا عن تجهيز وتهية مراكز الايواء ومخيمات الاقامة للنازحين بما تتطلبه من جهود حثيثة وامكانيات كبيرة تمثل بإعداد وحدات الايواء وتوفير الاحتياجات الاساسية فيها واعداد الجوانب الخدمية الملحقه بها، وقد تمت تهية أكثر من (١٧٢٠٠٠)

وحدة ايواء ما بين كرفان وخيمة حتى الان وهناك استعدادات لتهية وتجهيز (٣٧٠٠٠) وحدة ايواء جديدة في حال دعت الحاجة الى ذلك. وقد انفتحت الحكومة (٣٠٠) مليار دينار لإنجاز عمليات ايواء للنازحين خلال العامين الماضيين. (٣٢)

ب- نقشي ظاهرة البطالة : تعد البطالة من ابرز الاثار الاقتصادية الناجمة عن النزوح القسري ، وتقدر نسبة البطالة في اخر مسح نفذ من قبل الجهاز المركزي للإحصاء بحوالي (١٢ %) عام ٢٠١٣،

لكن هذه النسبة ارتفعت ارتفاعا ملحوظا عام ٢٠١٥ لتبلغ (١٥ %) بسبب الظروف الامنية والاقتصادية التي تمثلت بالحرب ضد داعش ونزوح اعداد كبيرة من السكان مما ادى لتوقف بعض الاعمال والمصانع والمشاريع ، هذا فضلا عن انخفاض اسعار النفط الخام الى مستويات غير مسبوقة . فقد توصلت احدى

٨- الاثار الاقتصادية : من اللافت للانتباه ان اغلب الاثار السلبية للسكان النازحين داخلها في العراق على المجتمعات المضيفة هي اثارا اقتصادية ، يمكن ان نوجز أبرزها بالاتي :

أ- الاعباء المالية على ميزانية الدولة : ترتب على موجات النزوح التي حصلت في العراق بعد احداث الموصل ٢٠١٤ اعباء مالية على ميزانية الدولة لاسيما في ظل الانخفاض الحاد في اسعار النفط واعتماد العراق على عائدات تصديره بنسبة تجاوزت (٩٠ %) من اجمالي دخل العراق من العملة الصعبة . (٣١) فقد قدر ما تم انفاقه في ملف النازحين خلال عامي ٢٠١٥ و ٢٠١٦ أكثر من ترليون دينار وقد عملت الحكومة جاهدة على توفير هذا المبلغ برغم الازمة المالية المعروفة وصعوبة توفير الاموال اللازمة، وقد خصصت الحكومة جزء من هذه الاموال للعوائل النازحة على شكل منح مالية خلال العامين الماضيين بواقع مليون دينار لكل عائلة عام ٢٠١٥ ونصف مليون دينار لكل عائلة عام ٢٠١٦ ، وبلغ مجموع ما تم انفاقه كمنح مبلغا قدره (١٢٠٠) مليار دينار اضافة الى تقديم مواد عينية واغاثية ومساعدات غذائية ولوازم

ككل بسبب توقف الاستثمارات في البلد وانعدام الثقة بالاقتصاد من قبل المستثمر الوطني والاجنبي على حد سواء ، وعليه ومع تصاعد العمليات العسكرية ضد تنظيم داعش وما رافقها من نزوح عدد كبير من السكان وتركهم مناطقهم مما أدى الى توقف النشاطات الاقتصادية في تلك المحافظات بشكل كامل ، انعكس كل ذلك على انخفاض معدل النمو الاقتصادي من (٥,٩ %) عام ٢٠١٣ الى (٢,٧ %) عام ٢٠١٤ ، في حين شهد عام ٢٠١٥ مزيداً من الانخفاض اذ أشر معدل نمو سالب بلغ (- ١,٢ %) حسب احصائيات صندوق النقد الدولي ، (٣٧) ويعزى ذلك لسببين اساسيين : تمثل الاول بانخفاض اسعار النفط عالمياً مما ترك تداعياته على الموازنة العامة للدولة . في حين تمثل السبب الاخر في تعاظم حدة المواجهة العسكرية ضد الجماعات الارهابية (داعش) وما ترتب عليها من متطلبات اتفاق كبيرة وخاصة الجوانب الامنية والعسكرية واغاثة السكان النازحين وتوفير ملاذ امن لهم وسد احتياجاتهم الانسانية .

هـ- ارتفاع معدلات التضخم : يقصد بالتضخم الارتفاع

المستمر والمتواصل في المستوى العام للأسعار ، اذ تنجم هذه الظاهرة من عدم التوافق بين نمو او حجم السيولة النقدية التي تمتلكها الوحدات الاقتصادية وبين

الدراسات التي نفذت في عام ٢٠١٤ الى تسجيل (٨٠٠) الف عاطل عن العمل بعد احداث الموصل وتراجع اسعار النفط . (٣٣)

وتوقعت وزارة التخطيط ارتفاع معدلات البطالة في العراق الى (١٨ %) عام ٢٠١٦ معللة ذلك لوجود اعداد كبيرة من النازحين فقدوا اعمالهم واصبحوا عاطلين عن العمل وضيفوا لنسبة البطالة ، هذا فضلاً عن تراجع اسعار النفط . (٣٤)

ج- ارتفاع نسبة الفقر : يمكن تعريف الفقر بأنه عدم قدرة الافراد او الاسر لامتلاك موارد كافية لإشباع حاجاتهم الاساسية . (٣٥) وتشير الاحصائيات الصادرة عن وزارة التخطيط العراقية الى ارتفاع نسبة الفقر في البلاد من (٢٢ %) عام ٢٠١٤ الى (٣٠ %) عام ٢٠١٦ ، (٣٦) وتعزو الوزارة ذلك الى احتلال تنظيم داعش لعدد من المحافظات وما اعقبه من تداعيات امنية وعسكرية ادت الى نزوح اعداد كبيرة نسبياً من السكان ، اضافة الى انخفاض اسعار النفط بالأسواق العالمية التي فاقمت من حدة الفقر في العراق .

د- انخفاض معدل نمو الاقتصاد العراقي : يوجد ترابط وثيق بين الوضع الامني والنمو الاقتصادي ، فكلما كان الوضع الامني متدهوراً انعكس سلباً على الاقتصاد

نمو او وفرة السلع والخدمات المتاحة في السوق .
(٣٨) داعش لمناطق واسعة في وسط وشمال العراق وما اعقبه من عمليات عسكرية قامت بها الحكومة

العراقية لتحرير هذه الاراضي ، اذ نجم عن كل ذلك نزوح اعداد كبيرة من السكان من مناطق سكناهم الى مناطق أخرى امنة ، واستغلال بعض الفئات لهذه الظروف الامر الذي دفع بأسعار السلع والخدمات الاساسية الى الارتفاع بشكل مستمر وملحوظ .
تشير احصائيات الجهاز المركزي للإحصاء الى ارتفاع معدلات التضخم في العراق بشكل ملحوظ من (١,٩ %) عام ٢٠١٣ الى (٢,٢ %) عام ٢٠١٤ ثم ارتفع الى (٢,٤ %) عام ٢٠١٥ . (٣٩) ويعزى هذا الارتفاع نتيجة الوضع الامني المتردي واحتلال تنظيم

رابعاً : نحو تكوين الية الحلول المستدامة للنزوح الداخلي في العراق :

(من مستلزمات معالجة الأزمات الانسانية تعميق الرابط بين ما هو انساني وانمائي من الاجراءات ، والذهاب أبعد من المفهوم التقليدي الذي يقتصر على تلبية الحاجة) . (٤٠)

أنطونيو غوتيرس ، المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين

يقدر مركز دراسات اللاجئين في جامعة أكسفورد عدد النازحين على مستوى العالم في يناير / كانون الثاني ٢٠١٦ بنحو (٤٠,٨) مليون شخص نازح داخليا " بسبب النزاع مقابل (١٩,٢)

مليون اخرين نزحوا بسبب الكوارث . (٤١)

من خلال ثلاثة خيارات تسوية : (٤٢)

- ١- العودة : وتقصد بها إعادة الاندماج المستدامة في الوطن الاصلي .
- ٢- الادماج المحلي : وتقصد به الادماج المستدام في المناطق التي لجأ اليها النازحون .
- ٣- الاستيطان في منطقة اخرى : وتقصد به الادماج المستدام في منطقة أخرى من البلاد .
- وقد وضعت اللجنة الدائمة المشتركة بين الهيئات ثمانية معايير مترابطة كمؤشرات لتحديد الافضلية بين الحلول الثلاث المستدامة السابقة ، هي :
- السلامة والامن وحرية التنقل طويلة الامد .
 - مستوى معيشي لائق ، بما في ذلك الحد الأدنى من الحصول على الغذاء الكافي والماء والسكن والرعاية الصحية والتعليم الاساسي .
 - الحصول على فرص العمل وسبل كسب العيش .
 - الوصول الى اليات لاستعادة المساكن والاراضي والممتلكات او تقديم التعويض .
 - الوصول الى الوثائق الرسمية الشخصية وغيرها من الوثائق واستبدالها .
 - لم شمل الطوعي لأفراد الاسرة .
 - المشاركة في الشؤون العامة على جميع المستويات على قدم المساواة مع السكان المقيمين .
- امكانية الحصول على سبل الانتصاف الفعالة لانتهاكات الحقوق المتعلقة بالنزوح ، بما في ذلك الحصول على العدالة والتعويضات . . .
- تبنى الحكومة العراقية والجهات الفاعلة الاخرى تشجيع العودة للسكان النازحين على أنه الخيار المفضل ، وفي بعض الحالات على أنه الحل الوحيد ، لتقليص اعداد السكان النازحين داخليا" . بيد انها لم تأخذ في الاعتبار اذا ما كانت الظروف مؤاتية للعودة وماهي العقبات التي سيواجهونها عند العودة ، وينبغي لها ايضا" ان تحافظ على قنوات أخرى مناسبة ومفتوحة للبحث عن حلول مثل الدمج المحلي والدمج في اماكن اخرى من البلاد ، وبالاعتماد على استراتيجيات للحلول الدائمة تراعي عدة معايير سكانية و أمنية واقتصادية واجتماعية . . ، تقدم تحليل شامل للخيار المفضل والفرص والعوائق التي تواجهه .
- وقد اعلن وزير الهجرة والمهجرين جاسم محمد الجاف ان عودة العوائل النازحة الى مناطقهم الاصلية وتوفير الاستقرار لها هي الحل الامثل لمشكلة النزوح الداخلي في العراق ، مشيراً الى عودة (١,٣٠٠,٠٠٠) نازح الى مناطقهم الاصلية . (٤٣)
- ويثار هنا السؤال التالي : ما الاشكاليات التي تواجه عودة النازحين الى مناطقهم الاصلية وسبل حلها ؟

الاندماج في المحافظات التي تم النزوح اليها ، وإعادة التوطين في المحافظات التي يتم اختيارها لهم.

هنا يثار السؤال التالي : متى يجب على الحكومة البدء بوضع استراتيجية شاملة للتوصل الى الحلول الدائمة ؟ ان الحلول الدائمة يجب ان تدرج في خطط الطوارئ قبل حتى وقوع النزاع والنزوح ، وينبغي تحديثها بانتظام واستمرار تبعاً لتطورات الاحداث ، كذلك يمكن اتخاذ بعض الاجراءات - حتى في خضم الصراعات المسلحة - والتي يمكن ان تقوم بدور فعال في تيسير عملية التوصل الى حلول دائمة على المدى الطويل . ومن هذه الاجراءات والسياسات :

١- اتخاذ التدابير لحماية الاراضي والممتلكات والسجلات والوثائق الاخرى يمكن ان تساعد على التقليل من التأخير في خيار العودة للسكان النازحين وتخفيف النزاعات المتعلقة باستعادة الممتلكات في اعقاب الصراع .

٢- الخطوة الاساسية الاخرى والاهم على طريق الحل هي القضاء على سبب النزوح، ألا وهو القضاء على الارهاب، وطرد عناصر « داعش » من المدن والمناطق المحتلة، وهو ليس بالأمر العسير، في ظل وجود القدرات المالية والعسكرية الهائلة لدى الدولة، يعاضدها الدعم الدولي والتفاعل الجماهيري في الداخل. وما يضمن نجاح هذه، مشاركة الشباب

في مقدمة هذه الاشكاليات الدمار الذي سببته العمليات العسكرية للبنى التحتية للمدن كالكهرباء والماء والمستشفيات وغيرها من مستلزمات الحياة الاخرى ، هذا فضلاً عن المناطق التي كانت تحت سيطرة تنظيم داعش تنتشر فيها مخلفات الحرب كالعربات الناسفة مما يشكل خطراً على حياة المدنيين وعائقاً امام عودتهم لمناطقهم . (٤٤)

وفي تحد آخر لعودة النازحين تبرز المشاكل العشائرية والاجتماعية التي تولدت من خلال سيطرة تنظيم داعش على بعض المناطق واضطرار بعض الأفراد على التعاون معه ووقوع أعمال قتل متبادل . وكان رئيس الوقف السني عبد اللطيف الهميم دعا أثناء زيارته إلى الرمادي أبناء الأنبار إلى تجاوز الخلافات العشائرية والاجتماعية بينهم، وأن يتركوا أعمال الثأر لكي يحكم القانون فيها، داعياً الناس إلى تركيز جهودهم على تحرير أراضيهم وإعادة النازحين إلى ديارهم وإعمار المحافظة بعد الخراب الذي لحقها جراء المعارك والحروب. (٤٥)

وهنا يبرز دور الحكومات الوطنية في إيجاد حلول مستدامة للنازحين وغالباً ما يتم دعم هذه الحلول من خلال التشريعات والسياسات والخطط والبرامج التي تستجيب لواحدة من بين هذه الحالات المتمثلة بالعودة الى حالة الاصل (المحافظة التي نزحوا منها) ، وإعادة

المؤتمر سيدعم اهداف الاستراتيجية الوطنية لإعادة النازحين الى مناطقهم الحرية وعمارها وتأمين سبل العيش المستدام فيها بالتنسيق مع رئاسة الجمهورية والبرلمان. ولفتت الى ان من بين اشكال الدعم الذي سيقدم في هذا المؤتمر اعلان الحكومة الامريكية عن تقديم (٢٠٠) مليون دولار منحة لإعادة اعمار المناطق المتضررة من العمليات العسكرية، (٤٧) اذ تم تداول صرف آليات صرف مبالغ المنح المقدمة من البلدان التي ستشارك في هذا المؤتمر التي اتخذت اتجاهين الاتجاه الاول ايداعها في صندوق الامم المتحدة وتولى المنظمة الاممية الاشراف على اعادة الاعمار والاتجاه الثاني وضع جميع المنح والمساعدات في صندوق اعادة اعمار العراق وتولى الحكومة صرفها وتوزيعها .

٤- تحقيق المصالحة المجتمعية من خلال نبذ الخلافات والخصومات والاحتكام للقانون في حل المنازعات .

٥- الاستجابة الإنمائية لأثار النزوح القسري : ثمة ملامح رئيسية يمكن أن ترسم صورة أوضح لما يمكن أن تكون عليه الاستجابة الإنمائية، التي تبدو، في بعض جوانبها، مختلفة عن الاستجابات الإنسانية لكنها مكملتها . هذه الملامح تشمل: (٤٨)

أ- أخذ احتياجات اللاجئين والمجتمعات المضيفة لهم في الحسبان، مع تركيز الانتباه بشكل خاص على

والرجال الاشداء من الاخوة النازحين في تطهير مناطقهم. مما يتطلب تشكيل قوات خاصة من هؤلاء بعد تنظيمهم وتأهيلهم في مجاميع عسكرية، ثم يتم تدريبهم وتسليحهم على مستوى عالٍ. ومن جانب آخر فان هؤلاء المتطوعين سيحصلون على رواتبهم أسوة بالمنتسبين في القوات المسلحة.

٣- العمل بصندوق اعادة اعمار المناطق المتضررة ويطلق على فعاليات هذا الصندوق بعملية التنمية الطارئة في العراق التي دعت الحاجة الى تأسيسه وفقا للمادة (٢٨) من قانون الموازنة العامة الاتحادية. وقد نص قرار التأسيس على ان " يؤسس صندوق اعادة اعمار المناطق التي دمرها الارهاب ويمول من المنح والمساعدات الدولية ، ويخصص مبلغ اولي قدره (٥٠٠) مليار دينار ، من اولويات الصندوق ان تكون المنح على شكل مشاريع وتجهيزات سلعية وفقا لأسس التخطيط المكاني وبوجهات مناطقية لتحقيق الهدف وضمان سلامة آليات التدخل والاستهداف. " (٤٦)

هذا فضلا" عن عقد مؤتمر دولي للمناحين من اجل دعم عمليات اعادة الامن والاستقرار والبناء والتنمية للمناطق الحرة من تنظيم (داعش) . ويذكر في هذا السياق ان الحكومة العراقية دعت الى عقد مؤتمر دولي للنازحين في تموز ٢٠١٧ ، موضحة ان هذا

- تشجيع الاعتماد على الذات وبناء أصول إنتاجية ومهارات فنية للحد من الانتكالية .
- ب- التركيز على النتائج متوسطة وطويلة الأجل بدلا من الإطار الزمني السنوي ودورات الميزانية والتنفيذ القصيرة التي تنتهجها في الحقيقة وكالات الإغاثة الإنسانية في كثير من الأحيان .
- ج- إقامة مشاريع مستدامة من منظور فني واقتصادي ومالي واجتماعي وببني تواصل تقديم المنافع على المدى المتوسط إلى البعيد .
- د- تعزيز استدامة الاستثمارات في الأوضاع الممتدة للنازحين بتطبيقها من قبل السلطات المحلية مستخدمة الأنظمة الحكومية التي تشمل نظم التمويل والهياكل والمؤسسات الحكومية .
- هـ - إشراك المجتمعات المتضررة والمؤسسات الشعبية في التخطيط المحلي، وعملية اتخاذ القرار ومراقبة الخدمات العامة، وكذلك في تطبيق وتشغيل وصيانة البنى الأساسية؛ العمل يدا بيد مع المجتمعات المحلية يثمر نتائج أفضل للمشاريع - لاسيما عند المقارنة بأوضاع تمثل فيها المجتمعات المحلية مجرد متلق سلبي للدعم مع ضيق المجال أمام التدخل الواعي وفقا لكل حالة .
- و- ضمان تلبية التخطيط وتقديم الخدمات للاحتياجات الأساسية والأعلى مستوى في قطاعات كالتعليم (التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي وغير الرسمي) والصحة (الرعاية الأساسية التي تقدم في المستشفيات وغرف العمليات). هذا الجهد قيد التقدم والبنك الدولي لم يدخل إلا حديثا للتصدي لآثار النزوح القسري. ومع هذا، ومع مبادئه الخاصة بالإدارة الرشيدة وقيمة المال في المشاريع الإنمائية، يمكن للبنك الدولي أن يسهم في تعزيز الكفاءة والشفافية والمساءلة وقدرة الاستثمارات على الاستجابة لدعم النازحين والمجتمعات المضيفة لهم، وإدارة الموارد الطبيعية.
- ٦- تخصيص لجنة اعلامية خاصة للنازحين، وموقع الكتروني، يتولى الاهتمام بشؤون النازحين الخدمية، وتهتم بالوعي الثقافي والامني، وعلاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وتكون المرجع لهم في تلقي التبليغات والتعليمات واستقبال الشكوى، وكل ما يتعلق بشؤونهم.
- ٧- تفعيل دور وسائل الاعلام في قضية النازحين ، وذلك من خلال :
- أ- زيادة تغطية وسائل الإعلام العراقية لموضوع النازحين، وألا يقتصر ذلك على عملية النزوح، بل

عشر ، بيد أن غالبية السكان النازحين هم في الاصل من ثلاث محافظات ، هي : نينوى والانبار وصلاح الدين، اذ استحوذت هذه المحافظات الثلاثة على نسبة (٨٧ %) من اجمالي السكان النازحين عام ٢٠١٦ ، ويعزى سبب ذلك لسيطرة تنظيم داعش او ما يعرف (بالدولة الاسلامية في العراق والشام) على المحافظات الثلاث افقة الذكر وما تخللها من عمليات قتل وسبي وتهجير على اساس ديني وطائفي .

٢- يتضح من استعراض التوزيع النسبي للسكان النازحين حسب مكان نزوحهم ، ان سبعة محافظات تستضيف (٨٣,٦ %) من مجموع السكان النازحين في العراق ، هي : بغداد (١٣,٥ %) ، ودهوك (١٢,٩ %) ، و نينوى (١٢,٢ %) ، و كركوك (١١,٨ %) ، و أربيل (١١,٦ %) ، والانبار (١١,٦ %) ، وصلاح الدين (١٠ %) . ويعزى سبب ذلك لعامل القرب الجغرافي واستتباب الامن في بعضها هذا فضلا عن التجانس الطائفي .

٣- ابرزت الدراسة العديد من المشاكل التي تواجه السكان النازحين اثناء رحلة النزوح وبعدها وفي مقدمتها عدم وجود ممرات امنة للنزوح نتيجة لسيطرة داعش واغلاقه جميع المنافذ ومنعه السكان من النزوح لاحتادهم كدروع بشرية ، هذا فضلا عن عدم تناسب المخيمات من حيث اعدادها والخدمات

يعتدى ذلك لأسبابه ومستقبل عودتهم لأراضيهم والتعايش السلمي بين مكوناتها .

ب- زيادة التغطية على المواضيع الأكثر أهمية للنازح مثل الخدمات والطعام والسكن وحرية التنقل والتعليم .

ج- التركيز على نقل معاناة النازحين لخلق رأي عام ضاغط على الجهات المسؤولة لزيادة اهتمامها بموضوع النازحين وتقديم المساعدات الضرورية لهم .

د- التركيز على أوضاع المناطق المحررة وحجم الدمار الذي تعرضت له وجهود إعادة اعمارها وإيصال الخدمات إليها كمقدمة لعودة النازحين إليها .

هـ- حث المجتمع الدولي على الاهتمام أكثر بإعمار المناطق المحررة ضماناً لسرعة عودة النازحين إليها وإنهاء معاناتهم .

٨- تشكيل هيئة من النازحين تتولى مسؤولية الضغط على الحكومة والمجتمع الدولي على حد سواء ؛لوضع حد لمعاناة النازحين، ورفع شكوى قضائية في المحاكم المحلية والدولية ضد المتورطين في دعم الارهاب من الداخل والخارج ومحاسبة المقصرين .

الاستنتاجات :

توصل البحث الى جملة استنتاجات ، ابرزها :

١- اظهرت الدراسة ان مجمل السكان النازحين هم من ثمانية محافظات من مجموع محافظات العراق الثمانية

الدمار الذي سببته العمليات العسكرية للبنى التحتية للمدن كالكهرباء والماء والمستشفيات وغيرها من مستلزمات الحياة الأخرى ، هذا فضلا عن المناطق التي كانت تحت سيطرة تنظيم داعش تنتشر فيها مخلفات الحرب كالعربات الناسفة مما يشكل خطرا على حياة المدنيين وعائقا امام عودتهم لمناطقهم . كذلك تبرز المشاكل العشائرية والاجتماعية التي تولدت من خلال سيطرة تنظيم داعش على بعض المناطق واضطرار بعض الأفراد على التعاون معه ووقوع أعمال قتل متبادل .

٧- وفي الختام ، توصلت الدراسة الى ان من ابرز مستلزمات وضع استراتيجية مستدامة لحل ازمة النزوح الداخلي في العراق ، هي تعميق الربط بين ماهو انساني وانمائي من الاجراءات ، والذهاب ابعد من المفهوم التقليدي الذي يقتصر على تلبية الحاجات الانسانية الاساسية .

التوصيات والمقترحات :

يمكن الحد من الآثار والتداعيات الناجمة عن هذه الازمة ، من خلال :

١- فتح مراكز لإعادة تأهيل النازحين العائدين الى مناطقهم تتولى تقديم المساعدات والتدريب للنازحين

المقدمة فيها مع اعداد النازحين واحتياجاتهم الانسانية ، واقتار اغلبهم للأوراق الثبوتية ، وتقيد حركتهم ومنع دخولهم للحدود الادارية لبعض المحافظات الا من خلال (نظام الكفيل) .

٤- توصلت الدراسة ان مشكلة النزوح تعد من اخطر المشاكل التي تواجه المجتمع العراقي وخطورتها تكمن في استمراريتها وعدم قدرة الحكومة على مواجهة الآثار والتداعيات الناجمة عنها والتي افرزت مشاكل اجتماعية واقتصادية وامنية عديدة ، منها الضغط على الخدمات الصحية والتعليمية . . ، وتفشي ظواهر البطالة ، والتسول ، والجريمة ، والسكن العشوائي ، والتفكك الاجتماعي . . .

٥- توصلت الدراسة الى ان الحكومة العراقية تتبنى استراتيجية تشجيع العودة للسكان النازحين على أنه الخيار المفضل ، وفي بعض الحالات على أنه الحل الوحيد ، لتقليص اعداد السكان النازحين داخليا .

بيد انها لم تأخذ في الاعتبار اذا ما كانت الظروف مؤاتية للعودة وماهي العقبات التي سيواجهونها عند العودة ، وينبغي لها ايضا ان تحافظ على قنوات أخرى مناسبة ومفتوحة للبحث عن حلول مثل الدمج المحلي والدمج في اماكن أخرى من البلاد .

٦- ابرزت الدراسة عدد من الاشكاليات التي تواجه عودة النازحين الى مناطقهم الاصلية ، في مقدمتها

- ومساعدتهم في الحصول على فرص عمل بعد العودة الى مناطق سكناهم الاصلية .
- ٢- اعادة تأهيل المناطق المدمرة بفعل الارهاب ، حيث يتطلب ذلك اعادة تأهيل البنى التحتية وخاصة ما يتعلق بالكهرباء وماء الاسالة والخدمات البلدية .
- ٣- القيام بمجموعات توعوية تهدف إلى نشر ثقافة العمل المنتج والاعتماد على الذات بين السكان النازحين .
- ٤- تنفيذ برامج التشغيل السريع ذات الطبيعة المؤقتة مثل برامج النقد مقابل العمل لتحسين اوضاع النازحين المعيشية .
- ٥- قيام المنظمات والوكالات الدولية بالمساعدة على تطوير آليات لاستدامة برامج ومشاريع سبل العيش وضمان نموها للسكان النازحين .
- ٦- تقديم برامج الدعم النفسي والاجتماعي للسكان النازحين واعادة تأهيلهم نفسيا" بالتوازي مع برنامج التمكين الاقتصادي.
- ٧- اعتماد آليات لوجستية فعالة ومناسبة وذات موثوقية لإيصال الدعم المالي لمشاريع تنمية سبل العيش لمخيمات النزوح، بما يقلل من نسب الهدر والفساد؛ ويضمن تحقيق النتائج المتوخاة من هذه المشاريع .
- ٨- تسهيل عملية التواصل والتنسيق بين الجهات المانحة والجهات القائمة على مشاريع اعادة تأهيل وتنمية السكان النازحين والمناطق التي نزحوا منها وتدمرت
- بفعل الارهاب والعمليات العسكرية ، للاطلاع على مراحل تنفيذ هذه المشاريع والنتائج المحققة؛ مما يعزز من ثقة هذه الجهات ويحفزها للاستمرار في دعمها لمشاريع جديدة.
- ٩- حث الباحثين على اجراء المزيد من الابحاث والدراسات التي تتناول مشكلة النزوح ودوافعها ووسائل الحد منها .
- ١٠- توفير التدريب للجهات الحكومية والمنظمات الاحكومية العراقية لتعزيز قدراتها لمساعدة النازحين داخليا، بما فيها استعدادات الطوارئ ، وإدارة الأزمات ، ويمكن الاستعانة بخبرات منظمة الهجرة الدولية في هذا الشأن ، وتنسيق العمل بين منظمة الهجرة الدولية مع مفوضية الأمم المتحدة للاجئين، والهلال الأحمر العراقي، ووزارة الهجرة والمهجرين لضمان تطبيق أفضل الممارسات في إدارة أزمة النزوح .
- ١١- إشراك المجتمعات المتضررة والمؤسسات الشعبية في التخطيط المحلي، وعملية اتخاذ القرار ومراقبة الخدمات العامة، وكذلك في تطبيق وتشغيل وصيانة البنى الأساسية؛ العمل يدا بيد مع المجتمعات المحلية يثمر نتائج أفضل للمشاريع - لاسيما عند المقارنة بأوضاع تمثل فيها المجتمعات المحلية مجرد متلق سلبي

www.unhcr.org/protect/PROTECTION/3b66c2aa10.pdf

للدعم مع ضيق المجال أمام التدخل الواعي وفقا لكل حالة.

٤- المفوضية السامية لشؤون اللاجئين : (لاجئ أم مهاجر - أيهما الأصح ؟ وجهة نظر المفوضية) ، في ٢٧ اغسطس / اب ٢٠١٥ ، على الرابط التالي :

<http://www.unhcr.org/ar/news/latest/2016/7/55e57e0f6.html>

٥- اللجنة الدولية للصليب الاحمر ، الحماية القانونية للنازحين داخل بلدانهم ، في ٣ اب / اغسطس ٢٠٠٢ ، على الرابط التالي :

<https://www.icrc.org/ara/resource/documents/misc/5lvz4.htm>

٦- اللجنة الدولية للصليب الاحمر ، القانون الدولي الانساني : اجابات على اسئلتك ، ديسمبر / كانون الاول ٢٠١٤ ، ص ٧٠ . على الرابط التالي :

<https://www.icrc.org/ar/publication/0703-international-humanitarian-law-answers-your-questions>

٧- المنظمة الدولية للهجرة - العراق ، مصفوفة تتبع النزوح ، الجولة (٦٠) ، كانون الاول ٢٠١٦ ، ص ١ . على الرابط التالي :

http://www.uniraq.org/index.php?option=com_k2&view=item&task=download&id=2055_f7c219468ce112ea089988a2fb7a14b7&lang=ar

١٢- وضع عملية تخطيط شاملة تأخذ في الحسبان الاستثمارات القائمة والبنية الأساسية والقدرة على تنسيق الاستجابات بفعالية أكثر للالتزامات ومن ضمنها ازمة النزوح .

هوامش البحث :

١- ابراهيم دراجي ، اللجوء والنزوح والهجرة في القانون الدولي ، الموسوعة العربية ، الموسوعة القانونية المتخصصة ، بلا تاريخ ، ص ٢-٣ . على الرابط التالي :

https://www.arab-ency.com/_details.law.php?full=1&nid=164129

2- United Nations , (Report of the Representative of the Secretary-General, Mr. Francis M. Deng, submitted pursuant to Commission resolution 1997/39. Addendum: Guiding Principles on Internal Displacement) , E/CN.4/1998/53/Add , 11 February 1998. On the following link :

<http://www.un-documents.net/gpid.htm>

3- United Nations High Commissioner for Refugees , Text of the 1951 Convention Relating to the Status of Refugees , Geneva, December 2010 , On the following link :

١٢- منظمة العفو الدولية ، العراق : لا ملجأ للنازحين

، على الرابط التالي :

<https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2016/12/iraq-nowhere-to-turn/>

١٣- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين

، القيود المفروضة على النازحين العراقيين في المخيمات

تثير مخاوف المفوضية ، جنيف ، ١١ مارس / آذار

٢٠١٦ . على الرابط التالي :

<http://www.unhcr.org/ar/news/latest/2016/3/56e70ae66.html>

١٤- غسان السعد ، الذئاب المنفردة .. أشباح

العالم الافتراضي ، مركز المستقبل للدراسات

الاستراتيجية ، في ٨ / ٣ / ٢٠١٧ . على الرابط

التالي :

<http://mcsr.net/news240>

١٥- جامعة منيسوتا ، مكتبة حقوق الانسان ،

مبادئ توجيهية بشأن التشرد الداخلي ، المادة (١٤

(أولا" . على الرابط التالي :

<http://hrlibrary.umn.edu/arab/IDP-guiding.html>

٨- لبيب هيغل ، أزمة النزوح في العراق : الامن

والحماية ، مركز سيسفاير لحقوق المدنيين والمجموعة

الدولية لحقوق الاقليات ، مارس ٢٠١٦ ، ص ٥ .

على الرابط التالي :

http://minorityrights.org/wp-content/uploads/2016/04/CEASE-FIRE-report_ARABIC_April-2016_210x297mm_WEB.pdf

٩- للتفاصيل ، ينظر : (تفاقم أزمة النازحين مع

استمرار العمليات العسكرية بالموصل) ، ميدل ايست

اونلاين ، في ٢٠ / ٣ / ٢٠١٧ . على الرابط التالي :

<http://www.middle-east-online.com/?id=244606>

١٠- مكتب الامم المتحدة لتنسيق الشؤون الانسانية

في العراق ، العراق : الاستجابة الانسانية للموصل ،

تقرير الوضع الانساني رقم ٢٤ ، في ٦-١٢ آذار /

مارس ٢٠١٧ ، ص ٢ . على الرابط التالي :

<http://reliefweb.int/report/iraq/iraq-mosul-humanitarian-response-situation-report-no-24-6-march-12-march-2017-enkuar>

11- For details, See : (Islamic State captures up to 3,000 fleeing Iraqis: UNHCR) , World News , Reuters, 5 Aug 2016 . On the following link:

<http://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-iraq-capture-idUSKCN10G0PT>

١٨- المركز الاعلامي ، (المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط يستعرض الوضع الصحي في العراق ويُحذّر من مغبة تراجع الاستجابة الصحية بسبب قلة التمويل) ، منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط ، في ١٥ آذار / مارس ٢٠١٥ ، على الرابط التالي :

<http://www.emro.who.int/ar/meda/news/rd-reviews-iraq-health-situation.html>

١٩- المصدر نفسه .

٢٠- منظمة الصحة العالمية ، تقرير منظمة الصحة العالمية الخاص بوضع الازمة في الموصل - العراق ، الاصدار رقم (١٠) ، في ١٢ - ١٨ آذار / مارس ٢٠١٧ ، ص ١-٢ . على الرابط التالي :

http://www.emro.who.int/images/stories/iraq/WHO_Special_Situation_Report_on_Mosul_Crisis_12_March_to_18_March_2017_2.pdf

٢١- ينظر : (التأثيرات الامنية لظاهرة النزوح واللجوء) ، على الرابط التالي :

<http://aliraqtimes.com/ar/print/43231.html>

٢٢- ينظر : (الدفاع : اعتقال ٥ عناصر من داعش بين نازحي الموصل) ، قناة NRT ، في ٢ كانون الثاني ٢٠١٧ . على الرابط التالي :

<http://www.nrttv.com/AR/Detail.aspx?Jimare=38084>

١٦- ينظر : (نظام الكفيل بين المحافظات .. اجراء أمني ورفض جماهيري وما بينهما ردة فعل) ، الوكالة الوطنية العراقية للأنباء ، في ٢٨ / ٢ / ٢٠١٧ ، على الرابط التالي :

https://www.ninanews.com/News_Details.aspx?Vi7mye55f7szi2gb5%252fKeTw%253d%253d

١٧- خالد اسماعيل ، و علي يوسف ، وانور عادل محمد ، النزوح الكبير : ازمة النازحين في العراق بعد حرب داعش ، الطبعة الاولى ، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية ، بغداد ، ٢٠١٦ ، ص ٨٧ .

١٧- المركز الاعلامي ، (المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية يفتح مركزاً للرعاية الصحية الأولية، ويُسلّم السلطات الصحية في دهوك عيادات طبية متنقلة وسيارات إسعاف تحتاج إليها المحافظة) ، منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط ، في ١٤ آذار / مارس ٢٠١٥ ، على الرابط التالي :

<http://www.emro.who.int/ar/meda/news/rd-inaugurates-phc-centre.html>

النبأ المعلوماتية ، في ٢٥ / ٦ / ٢٠١٥ ، على الرابط التالي :

<http://annabaa.org/arabic/psychology/2623>

٢٩- ينظر : (النازحون .. مسؤوليتنا) ، صحيفة

الصباح ، ٢٧ / ٨ / ٢٠١٥ ، على الرابط التالي :

<http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=98772>

٣٠- المفوضية العليا لحقوق الانسان في العراق ، تقرير عن واقع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . .

ومدى التزام العراق بتطبيق مواد العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بغداد ،

أب ٢٠١٥ ، على الرابط التالي :

tbinternet.ohchr.org/Treaties/CESCR/.../IRQ/INT_CESCR_NHS_IRQ_21516_A.docx

٣١- ينظر : (الصناعات النفطية في العراق بين

الضغوط والتحديات) ، التقرير العراقي ، في ٢٥ يناير

٢٠١٧ ، على الرابط التالي :

<http://iraqireport.com/archives/1487>

٣٢- للتفاصيل ، ينظر : وكالة العراق المركزية للإنباء

(الحديثي يتحدث عن اوضاع النازحين) ، في ٢٦ /

٢ / ٢٠١٧ ، على الرابط التالي :

<http://www.iraqidev.org/news/index.php/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9/90363.html>

٢٣- ريناد منصور ، المأزق السني في العراق ، مركز

كارنيغي للشرق الاوسط ، في ٣ آذار / مارس ٢٠١٦

. على الرابط التالي :

<http://carnegie-mec.org/2016/03/03/ar-pub-62945>

٢٤- ينظر : (الحرب ضد داعش تفاقم أزمة السكن

بالعراق مع الحاجة لـ ملايين وحدة سكنية) ، شبكة

رووداو الإعلامية ، في ٢٣ / ٨ / ٢٠١٦ . على

الرابط التالي :

<http://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq/230820163>

٢٥- أليس فارمر ، ابقاء المدارس مفتوحة : التعليم

في اوقات النزاع ، نشرة الهجرة القسرية ، على الرابط

التالي :

<http://www.fmreview.org/ar/non-state/farmer.html>

٢٦- خالد اسماعيل ، و علي يوسف ، وانور عادل

محمد ، النزوح الكبير : أزمة النازحين في العراق بعد

حرب داعش ، مصدر سابق ، ص ٨٢ .

٢٧- تيسير عبد الجبار الالوسي ، حق التعليم

للنازحين والمهجريين العراقيين ، اللجنة العربية لحقوق

الانسان ، في ٢٢ / ٧ / ٢٠٠٨ . على الرابط التالي :

<http://www.achr.eu/art432.htm>

٢٨- حمد جاسم محمد ، الاثار النفسية للتهجير

القسري في العراق بعد أحداث الموصل ٢٠١٤ ، شبكة

<http://mcsr.net/news123>

٣٨- سيماء محسن علاوي ، دور السياسة المالية في معالجة ظاهرة التضخم في الاقتصاد العراقي للمدة ١٩٩٦ - ٢٠١١ ، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، العدد (٤٨) ، كلية بغداد للعلوم الاقتصادية ، ٢٠١٦ ، ص ٤٣٥ .

٣٩- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط - الجهاز المركزي للإحصاء ، الارقام القياسية لأسعار المستهلك لسنة ٢٠١٥ ، قسم الارقام القياسية ، ٢٠١٦ ، ص ١٥ .

٤٠- الامم المتحدة ، والمنظمة الدولية للهجرة ، تقرير الهجرة الدولية لعام ٢٠١٥ ، الهجرة والنزوح والتنمية في منطقة عربية متغيرة ، ٢٠١٥ ، ص ١١٦ . على الرابط التالي :

https://publications.iom.int/system/files/pdf/sit_rep_arb.pdf

٤١- تشالوكا بياني ، وناتاليا كرينسكي بال ، وماريتا كاترينا ، التحديات المفهومية والحلول العملية لحالات النزوح الداخلي ، نشرة الهجرة القسرية ، العدد (٥٢) ، مركز دراسات اللاجئين ، جامعة أكسفورد ، مايو / ايار ٢٠١٦ ، ص ٣٩ .

٤٢- مركز رصد النزوح الداخلي ، النزوح الداخلي : الملخص العالمي للاتجاهات والتطورات للعام ٢٠١٠ ،

٣٣- للتفاصيل ، ينظر : (التخطيط تعلن عن ان نسبة البطالة بلغت ١٥ % بسبب الوضع الامني والاقتصادي) ، على الرابط التالي :

<http://al-hodaonline.com/article/11621/>

٣٤- للتفاصيل ، ينظر : (عجز الحكومة وانخفاض اسعار النفط ترفع معدلات البطالة في العراق الى ١٨ %) ، على الرابط التالي :

<http://www.thebaghdadpost.com/ar/story/10906/>

٣٥- عمر هشام محمد ، وعبد الرحمن نجم ، ظاهرة الفقر في العراق : الواقع والمعالجات (للمدة ١٩٧٦ - ٢٠٠٦) ، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية ، السنة التاسعة ، العدد (٢٨) ، كلية الادارة والاقتصاد ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١١ ، ص ٦٠ .

٣٦- للتفاصيل ، ينظر : (التخطيط : نسبة الفقر في العراق ارتفعت الى ٣٠ % خلال ٢٠١٦) ، على الرابط التالي :

<http://www.almadapress.com/ar/news/81158/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AE%D8%B7%D9%8A%D8%B7->

٣٧- هيثم كريم صيوان ، الاقتصاد العراقي ٢٠١٦ ، تقييم الكلف الاقتصادية لتنظيم داعش ، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية ، في ١٦ / ٢ / ٢٠١٦ ، على الرابط التالي :

٤٥- للتفاصيل ، ينظر : مصطفى العبيدي ، تحديات كبيرة تعيق عودة النازحين في العراق الى المناطق المحررة من تنظيم الدولة ، صحيفة القدس العربي ، في ١٥ مارس ٢٠١٦ . على الرابط التالي :

<http://www.alquds.co.uk/?p=499551>

٤٦- عماد الامارة ، مقترحات لمعالجة أزمة النزوح اقتصاديا " ، صحيفة الصباح الاقتصادي ، العدد (٣٨٦٤) ، في ١٦ / ١ / ٢٠١٧ ، ص ١١ .

٤٧- المصدر نفسه ، ص ١١ .

٤٨- فارالاكشمي فيمورو ، النزوح القسري: ما الذي يمكن أن يسهم به مجتمع التنمية لدعم النازحين قسرا والمجتمعات المضيفة ؟ ، أصوات : وجهات نظر حول التنمية ، البنك الدولي ، في ١٨ / ٨ / ٢٠١٦ . على الرابط التالي :

<https://blogs.worldbank.org/voices/ar/dev4peace/forced-displacement-what-can-development-community-contribute-supporting-displaced-persons-and-host>

مركز اللاجئين النرويجي ، مارس / اذار ٢٠١١ ، ص ٢٩ . على الرابط التالي :

<http://www.internal-displacement.org/assets/publications/2011/2011-global-overview-2010-global-ar.pdf>

٤٣- للتفاصيل ، ينظر : (الهجرة والمهجرين : عودة النازحين هي الحل الامثل) ، وكالة أنباء عراقية (iq NEWS) ، في ١٠ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٦ . على الرابط التالي :

<http://www.iqnews.org/index.php?do=view&type=news&id=4096&lang=ar>

٤٤- للتفاصيل ، ينظر : داريل غريسغرابر ، و مايكل بويس ، (النازحون في العراق : ليس الموصل فقط) ، ٢٠١٦ ، على الرابط التالي :

https://static1.squarespace.com/static/506c8ea1e4b01d9450dd53f5/t/5834c77dd482e9575fcea665/1479853950843/201611Iraq_Arabic.pdf

العجز السكني في مدينة الموصل

" حي القدس إنموذجاً "

د. خالد أحمد عيدان الحديدي

بدر عبد الرحيم محمود اللهيبي

أستاذ مساعد

مدرس مساعد

الملخص

يمثل القطاع السكني أحد المتطلبات الأساسية للحياة، وتعد مشكلة الحصول على السكن معضلة عالمية، ففي البلدان النامية يفقر شخص من بين كل أربعة أشخاص إلى إسكانٍ لائق، يهدف البحث إلى دراسة العجز السكني في واحدة من أكبر المدن العراقية، وتحليل المشكلة من حيث حجم ونوع الأسر ومعدل إشغال الوحدة السكنية ومستوى دخلهم ونوع السكن ومساحته، والتغير الذي شهدته الوحدات السكنية في مدينة الموصل خلال السنين الماضية إلى الوقت الحاضر، إذ تعرضت للتغير سلباً وإيجاباً حسب الظروف التي مرت بها المدينة والقرارات الحكومية، مما انعكس على ضعف المعروض من الوحدات السكنية وزيادة الطلب عليها في منطقة الدراسة، وبالتالي حدوث عجز سكني حاد، ومن أجل الوقوف على الواقع الحالي لهذه المشكلة، استخدم في هذه الدراسة العمل الميداني سنة ٢٠١٨م لعينة عشوائية بسيطة شملت على ٤٥٦ أسرة بنسبة ١٢.٦%، من مجموع أسر حي القدس البالغة ٣٦١٩ أسرة، وبلغ عدد أفرادها ٢٣٨٢ نسمة تشكل ٩.٢% من مجموع سكانه البالغ ٢٥٨١١ نسمة، وذلك للحصول على بياناتٍ تفصيلية تُخدم البحث بالاعتماد على الطرق الإحصائية السكانية والإسكانية، ثم الخروج ببعض النتائج التي تُخدم البحث، بالاستناد على نتائج تحليل الدراسة الميدانية.

وقد كشفت الدراسة عن سيادة الوحدات السكنية التي تقل مساحتها عن ٢٠٠م^٢ بنسبة ٧١.٧% من مجموع الوحدات السكنية في منطقة الدراسة، ووجود ارتفاع في الأسر المتعددة الشاغلة للدار بنسبة ٦٦.٢%، مع إختلاف عائدية السكن، فضلاً عن التفاوت في معدل نصيب الفرد من دخل الأسرة الشهري، وهناك ارتفاع في متوسط عدد الأشخاص الساكنين في الدار الواحدة ٩.١ شخصاً.

مفاتيح البحث : (العجز السكني ، مدينة الموصل ، حي القدس ، الوحدة السكنية)

Housing deficit in the city of Mosul

" Al-Quds neighborhood model "

Dr.Khaled Ahmed Idan Al Hadidi

Bader Abdulraheem Mahmood Al Lihaibi

Assistant Professor

Assistant Lecturer

Abstract

The housing sector is a basic requirement for life. The problem of access to housing is a global dilemma. In developing countries, one out of every four people lacks adequate housing. The research aims at studying the housing deficit in one of the largest cities in Iraq. And the rate of occupancy of the housing unit and the level of income and type of housing and area, and the change witnessed by housing units in the city of Mosul over the past years to the present time, as it was subjected to change negatively and positively depending on the circumstances passed by the city and government decisions, which reflected the weak supply of housing units and In order to determine the current situation of this problem, the study used fieldwork in 2018 for a simple random sample that included 456 families with 12.6% of the total number of families in Al-Quds neighborhood of 3619 (2382 people), constituting 9.2% of its total population of 25,811, in order to obtain detailed data to serve the research based on statistical methods of population and housing, and then produce some results that serve the research, based on the results of the analysis of the field study.

The study revealed the sovereignty of housing units with a size of less than 200 m2 with 71.7% of the total housing units in the study area and an increase of 66.2% in the various households occupying the house. Of the monthly household income, and there is an increase in the average number of people living in the same house 9.1 people.

Search keys: (*housing deficit, Mosul city, Al-Quds neighborhood, residential unit*)

المقدمة

يمثل القطاع السكني أحد المتطلبات

الأساسية للحياة، وتعد مشكلة الحصول على السكن معضلة عالمية ففي البلدان النامية يفتقر شخص بين كل أربعة أشخاص إلى إسكانٍ لائق^(١).

تعد الوظيفة السكنية من أوائل إستعمالات الأرض في المدينة والحرك الأول لنموها، ويعد النمو السكاني عاملاً رئيسياً في نمط التركيب المكاني في المدينة، وعادةً ما تشغل الوظيفة السكنية أكبر مساحة من إستعمالات الأراضي في معظم المدن، إذ تشغل ٣٥-٤٥% من مساحة الأرض الحضرية لمعظم المدن^(٢). ويعد الاسكان أحد السلع المستهلكة من الاسر ويقع على مسافة معينة من مركز المدينة او مكان العمل، وان المقياس الاساسي للطلب على الاسكان هو الدخل والافضليات المعبر عنها من الاسر.

يتوقف مقدار العجز السكني على ما يتم تشييده من وحدات سكنية (دور سكن أو شقق) في تلك الفترة، حيث كلما زاد عدد الوحدات السكنية قل العجز السكني وبالعكس فإنه يزداد كلما انخفض عدد الوحدات السكنية المنجزة.

تعد مدينة الموصل من أكبر المدن في شمال العراق لذلك فإن عدد سكانها إزداد بصورة سريعة خلال النصف الثاني من القرن العشرين نتيجة للزيادة الطبيعية للسكان والهجرة الوافدة اليها من اقليمها والمدن المجاورة لها فضلاً عن عملية الضم الحضري (الاسر الحضري) الناتجة عن توسع المدينة بشكل كبير خلال فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي لذلك برزت مشكلة العجز السكني في مدينة الموصل شأنها شأن مدن العراق، فقامت الحكومة بوضع الحلول المناسبة لمعالجة العجز السكني من خلال عدد من المعالجات منها توزيع أراضي سكنية على شرائح مختلفة من المجتمع وتشجيع القطاع الخاص على تشييد وحداتهم السكنية من خلال توزيع القروض على الموظفين والعسكريين وتوزيع المواد الانشائية للمواطنين المسجلين بأسعار مدعومة، أو من خلال تشييد الوحدات السكنية ضمن مشاريع سكنية متكاملة وتوزيعها على الموظفين أو العسكريين أو أسر الشهداء

(١) صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، حالة سكان

العالم ٢٠٠١م: السكان والتغير البيئي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٧

(٢) نصر إبراهيم عبد الله بريه، خصائص السكان والمساكن في مدينة طولكرم، رسالة ماجستير منشورة في التخطيط الحضري والإقليمي، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص ١٢٥.

والاسرى والمفقودين وغيرهم أو المواطنين المسجلين الذين لا يملكون وحدات سكنية.

أولاً: مشكلة البحث

تحدد مشكلة البحث في دراسة العجز السكاني في مدينة الموصل متخذين حي القدس كنموذج لدراسة هذه المشكلة المزمنة، إن النمو السريع للسكان عن طريق الزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة للمدينة وضعف العملية التنموية قد فاقم من مشكلة العجز السكاني للمدينة.

ثانياً: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كون الاستعمال السكاني اهم الاستعمالات في المدينة ومن الحاجات الأساسية للإنسان وأمر مهم لا بد من توفيره، وتحليل مشكلة البحث من أجل الوقوف على الواقع الحالي لهذه الظاهرة، وذلك بتحديد العوامل المؤثرة في المشكلة، لما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة مؤثرة على بقية الأنشطة الخدمية، بغية طرح المقترحات التي تسهم في معالجة المشكلات المشخصة.

ثالثاً: منهجية البحث

ينتهج البحث الحالي المنهج التحليلي الكمي الذي يعتمد على تحليل وحساب المتغيرات المكانية للعجز السكاني، إن البحث عن مشكلة العجز السكاني

في مدينة الموصل ليس سهلاً، إذ لا توجد بيانات تفصيلية عن سكان منطقة الدراسة إذ إقتصرت على حجم السكان وعدد المباني، وعليه فقد إعتد الباحثين على الدراسة الميدانية التي تمت سنة ٢٠١٨م، لعينة عشوائية بسيطة بلغ حجمها ٤٥٦ أسرة بنسبة ١٢.٦%، من مجموع أسر حي القدس البالغة ٣٦١٩ أسرة، وبلغ عدد أفرادها ٢٣٨٢ نسمة تشكل ٩.٢% من مجموع سكانه البالغ ٢٥٨١١ نسمة حسب آخر حصر للسكان، وذلك للحصول على بيانات تفصيلية تخدم البحث ومع ذلك لا يعول عليها كثيراً بحكم الوضع الأمني غير المستقر الذي يتسبب بإثارة المخاوف عند السكان، فضلاً عن إعتداد برامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS) Arc GIS في إعداد الخرائط، ثم الخروج ببعض الإستنتاجات ذات العلاقة بالعجز السكاني في منطقة الدراسة.

الموقع الفلكي والجغرافي

أولاً: الموقع والمساحة

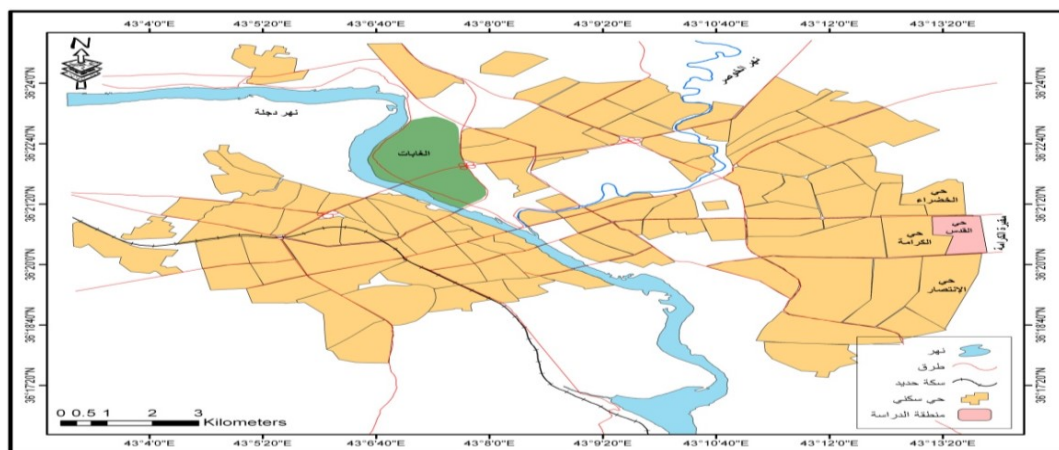
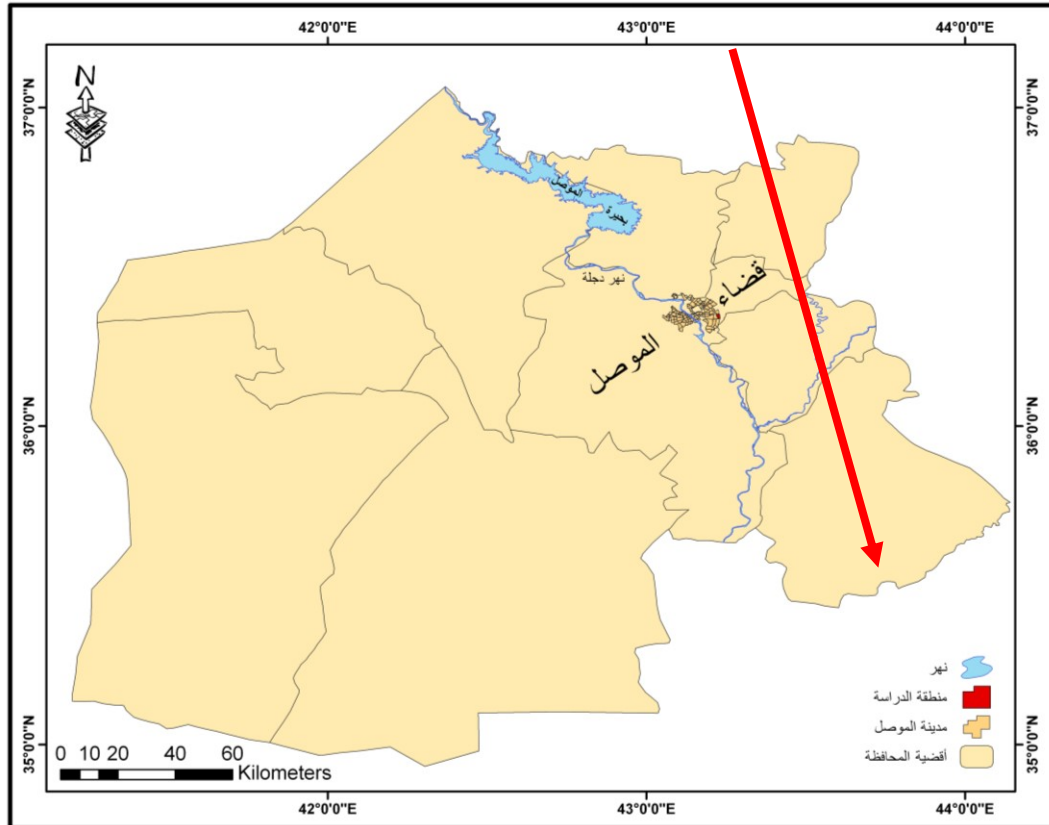
تقع مدينة الموصل في الجزء الشمالي الغربي من العراق وتقع فلكياً بين دائرتي عرض ٣٦° ١٨' و ٢٥° ٣٦' شمالاً وخطي طول ٤٣° ٢٠' و ٤٣° ١٤'

شرقاً^(٣) ينظر الحارطة (١) . تعد مدينة الموصل إحدى المدن المليونية في العراق، إذ تحتل المرتبة الثانية بعد العاصمة بغداد فقدر عدد سكانها ١٢٦٣٣٩٠ نسمة، أي بنسبة تساوي ٣٨.٦% من مجموع سكان محافظة نينوى البالغ ٣.٢٦٩.٦٨٨ نسمة سنة ٢٠١٠م. وهي تعد المدينة الرئيسة في شمال العراق وهذا الإقليم أعطاها نمو سريع للسكان نتيجة لما تتمتع من مكانة اقتصادية وخدمية وثقافية، قسمت إدارياً إلى ١٣٢ حياً سكنياً، وتشهد توسعاً مساحياً بلغ حجمه ٢١٠ كم^٢^(٤)، ويقع حي القدس شرق مدينة الموصل ضمن القطاع الخامس، ويضم ٣٦١٩ أسرة مكونه من ٢٥٨١١ نسمة، بالإضافة إلى ٣٠٧٩ مسكناً، ومساحته

^(٣) صبيح يوسف طاهر، تحليل جغرافي لملاح الاستقطاب الحضري في إقليم مدينة الموصل، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، العدد ٢٦، ١٩٩١م، ص ١٥٦.

^(٤) مديرية بلدية الموصل، شعبة التقييم والخرائط سنة ٢٠١٠ .

الخارطة (١) موقع منطقة الدراسة من محافظة نينوى ومدينة الموصل.



أربيل عن حي الخضراء، بينما يفصله شارع الإنتصار-
الميثاق عن حي الإنتصار، وكما في الخارطة (١).

١٣١ هكتار، يحيطه من الشرق مقبرة الكرامة أما من
الغرب فيجاوره حي الكرامة، في حين يفصله شارع

ثانياً: المفاهيم المستخدمة في البحث:

هناك مفاهيم متنوعة للسكن تخطيطياً ومعمارياً واجتماعياً وجغرافياً واقتصادياً يختلف فيها مفهوم السكن بحسب اختلاف وتنوع الاختصاصات، وفيما يلي المفاهيم الخاصة بمشكلة العجز السكني:-

١. المشكلة السكنية: تعني أن المساكن المقامة اقل من احتياجات المواطنين والأسر، وليس بمقدور المواطن العادي الحصول على مسكن إيجار أو تملك، بسبب ارتفاع بدلات الإيجار وتكاليف الوحدة السكنية، وبما لا يتناسب مع دخله.

٢. العجز السكني: يقصد به الفرق بين عدد الأسر وبين عدد الوحدات السكنية التي تشغلها الأسر خلال فترة زمنية محددة، وبغض النظر فيما إذا كانت هذه الأسر مالكة أو مستأجرة للوحدة السكنية^(٥)، ويمكن تقسيم العجز السكني إلى الأنواع الثلاثة التالية:

أ. العجز السكني العددي : ويقاس بالفرق بين عدد الأسر وعدد الوحدات السكنية الموجودة فعلاً في الزمان والمكان المحددين .

ب. العجز السكني النوعي: وهو عدد الوحدات السكنية غير الصالحة للسكن، والمكونة من الوحدات المبنية من الطين، الصراف، الأكواخ، الخيم، بيوت الشعر، الصفيح والكرفانات، وطبقاً للمقاييس العالمية.

ج. العجز السكني الكلي : ويستخرج من مجموع العجزين العددي والنوعي^(٦).

٣. الأسرة: تعني الأسرة فرداً أو مجموعة أفراد تشكل أسرة تسير ذاتياً، أو مجموعة أفراد عادة ما يأكلون على المنضدة نفسها وينامون تحت السقف نفسه، وتختلف الأسرة عن الوحدة السكنية بأن أسرتين أو أكثر يمكن أن يشغلا وحدة سكنية واحدة (مسكن، شقة) أو أن أسرة واحدة بإمكانها أن تشغل وحدتين سكنيتين أو أكثر أو تملكها، كذلك في الإحصاءات الرسمية فإن الأسرة والوحدة السكنية تكون متباينة أو مختلفة^(٧).

٥. اسر الدخل المحدود

مصطلح نسبي للتمييز بين ذوي الدخل العالية والمتوسطة والمنخفضة في حين يشمل الذين بأدنى دخل، والذين ليس لديهم دخل عليه فان الأسر ذات الدخل المنخفض ليس بالضرورة لهؤلاء أن يكونوا دون

(٦) نجم عبد الله أحمد، السكان وعلاقته بالسكن في محافظة صلاح الدين، إطروحة دكتوراه بالجغرافية، كلية التربية، جامعة نكربت، غير منشورة، ٢٠٠٥م، ص ٢٠-٢١ .

(٧) Arnold, Whittick. Encyclopedia of Urban Planning, U.S.A., 1974, p.497.

(٥) وزارة التخطيط، مديرية تخطيط نينوى، خطة التنمية المكانية لمحافظة نينوى ٢٠١٠-٢٠٢٠م، قطاع الإسكان في محافظة نينوى، تقرير غير منشور، ٢٠١٣م، ص ٤٦.

(للأسرة بغض النظر عن القابلية الاقتصادية ويتم احتساب الحاجة السكنية على وفق المعادلة الآتية:^(١١)

$$Nt=(Nb+Nd+Nr)^A$$

Nt =الحاجة السكنية الكلية في سنة الهدف .

Nb =الحاجة السكنية المتراكمة في سنة الأساس .

Nd =الحاجة الناتجة عن الزيادة في عدد الأسر . Demographic Need

Nr =الحاجة الناتجة عن استبدال الوحدة السكنية المؤقتة Replacement Need .

A =نسبة مئوية بوصفها وحدة احتياطية .

ثالثاً: الواقع الحالي لمشكلة العجز السكني في العراق

تعد مشكلة السكن من أكبر المشاكل التي تواجه القطر على المستوى المعاشي، حيث أن تفاقم هذه المشكلة نتيجة للزيادة المطردة بالسكان وإزدياد عوامل الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة إما بسبب العامل الأمني أو إختلال التوازن في تقديم الخدمات العامة وتوفر فرص العمل، وتدهور الدور القديمة وتباين المستوى المعاشي ومن ثم المستوى السكني وتطور الحياة الإجتماعية والإقتصادية والعمرانية.

مستوى الفقر وليس بالضرورة أن يكونوا بالحاجات نفسها أو يعبرون عن الطلب نفسه^(٨).

٦. الوحدة السكنية : كل مبنى أو جزء منه معد أصلاً أو محور للسكن، وله باب أو مدخل مستقل، يؤدي إلى الطريق دون المرور في وحدة سكنية أخرى، وقد يتكون من غرفة واحدة أو عدد من الغرف مع ملحقاتها، وقد تكون دار مستقلة، شقة، صريفة، بيت طين، خيمة أو كرفان^(٩).

إن مفهوم الوحدة السكنية يجمع بين مفهومي البيت المستقل والشقة السكنية ويسود استعماله في الدراسات الخاصة بالعرض والطلب والمخزون السكني لأنه يكشف النقص الحاصل في الوحدات السكنية سواء أكانت على النمط السكني الأفقي أم النمط السكني العمودي^(١٠).

٧. الحاجة السكنية: يقصد بها مدى عجز الرصيد السكني من الناحية الكمية أو النوعية أو كليهما معاً عن توفير سكن ملائم (بمعايير لا تقل عن الحد الأدنى

(٨) UN-Habitat, Cities in a Globalizing world, Global Report on Human Settlements 2001, Earthscan Publications Ltd, London, 2001 P125.

(٩) نجم عبد الله أحمد، مصدر سابق، ص ٢١ .

(١٠) Larry . s . Bourne, The Geography of Housing, London, Edward Arnold, 1981, p. 37.

(١١) حسون ناجي عبد الله ، تحديث مخطط الإسكان العام لمرحلة ما بعد الحرب دراسة تخطيطية لإعداد برنامج كمي لإشباع الحاجة السكنية في القطاع الحضري من القطر ، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ص ٨-٩ .

لقد تضافرت مجموعة أسباب أدت لتفاقم مشكلة العجز السكني في العراق ما بين أسباب ديموغرافية وأخرى إقتصادية وعالمية كمو السكان الطبيعي، إستحداث أسر جديدة، الهجرة من الريف إلى المدن، ظاهرة الهجرة والمهجرين، إرتفاع أسعار الأراضي المخدومة والصالحة للسكن، إنخفاض مستوى دخل الفرد، التوسع الحضري والتضخم الإقتصادي^(١٢).

يقدر العجز السكني لغاية عام ٢٠١٥م بحوالي ٢.٥ مليون وحدة سكنية، وفق دراسة قامت بها منظمة هابيتات، وفي دراسة أخرى للحاجة السكنية قدر حجم هذه الحاجة إلى أكثر من ٥ ملايين وحدة، ووفق تقارير الجهاز المركزي للإحصاء في وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي إن ٢٠ % من الأسر العراقية تفتقر إلى السكن اللائق، وأن ٧٥ % من الدور السكنية يسكنها مالكوها، و٢٥ % تعرضت للدمار بسبب الحرب والأوضاع الأمنية. وأن هناك أكثر من ٤٥٠ ألف عائلة من دون سكن في العراق، وإن نسبة السكن غير الشرعي (المتجاوزون) تشكل ٨٠ % من الدور السكنية المشيدة، فضلا عن التقادم

الإنشائي والعمراني وتأكل المواد الإنشائية مع تقدم الزمن، وغياب الإدامة والصيانة والتحديث بسبب ارتفاع أسعار المواد الإنشائية وارتفاع أجور النقل كما إن عدم توزيع الأراضي وغياب الجمعيات التعاونية وتعطل كثير من المشاريع الإسكانية بسبب التلكو في انجاز الخدمات الاجتماعية والبنى التحتية، كلها عوامل ساهمت في زيادة حجم الطلب على السكن وتطلب استثمارات هائلة لتمويلها.

وفيما يتعلق بتمويل مشاريع الإسكان، فإن وزارة الإسكان والحكومة لا يقومان بتمويلها ١٠٠ %، إذ إن توجه الدولة نحو استقطاعات الاستثمارات تجاه قطاع الإسكان، وبذلك فإن ما أنجز من مشاريع الإسكان يقدر بحوالي ٤ % من الحاجة الفعلية للبلد من المشاريع الإسكانية والبالغة ١.٥ - ٣ مليون وحدة سكنية وفق تقديرات وزارة الإسكان.

وعليه، فإن واقع قطاع السكن في العراق يشير إلى الحاجة الماسة إلى الاستثمارات سواء كانت محلية أم أجنبية وتهيئة المناخ الاستثماري الملائم لجذبها، وإتباع استراتيجيات وسياسات إسكانية من شأنها دعم هذا القطاع الحيوي^(١٣).

^(١٢) وزارة التخطيط، مديرية تخطيط نيوى، خطة التنمية المكانية لمحافظة نيوى ٢٠١٠-٢٠٢٠م، قطاع الإسكان في محافظة نيوى، تقرير غير منشور، ٢٠١٣م، ص ٣ و ١٢.

^(١٣) سهى مصطفى حامد وعقيل عبد الله عبد الجليل، الإستثمار في القطاع السكني وتمويله، مجلة المخطط والتنمية، العدد ٢٤، ٢٠١١م، ص ٤٧-٤٨.

رابعاً: الواقع الحالي لمشكلة العجز السكاني في محافظة نينوى ومدينة الموصل

لقد تطور حجم سكان محافظة نينوى من ١٣٨٦٤٦٢ نسمة في تعداد ١٩٨٧ إلى ٢٠٤٢٨٥٢ نسمة في تعداد ١٩٩٧ واستمرت الزيادة إلى أن وصل إلى ٣١٠٦٩٤٨ نسمة حسب حصر السكان لسنة ٢٠١٠م، وبلغ معدل نمو السكان للفترة ٩٧/٨٧ بلغ ٣.١% بينما بلغ هذا المعدل ٣.٥% سنوياً للفترة ٢٠١٠/١٩٩٧م^(*)، أما التقسيم البيئي للسكان لعام ٢٠١٠م فبلغ مجموع سكان الحضر ١٨٨٨٤٩٧ نسمة بنسبة ٦٠.٨% من مجموع سكان المحافظة، بينما بلغ سكان الريف ١٢١٨٤٥١ نسمة بنسبة ٣٩.٢% من

جملة السكان، وقد بلغ متوسط عدد أفراد الأسرة نحو ٧.٣ أفراد^(١٤).

ويرجع سبب هذا النمو السكاني إلى الزيادة الطبيعية الناجمة عن تفوق نسب معدلات المواليد الخام على نسب الوفيات الخام فضلاً عن صافي الهجرة الموجب للمنطقة وهو الفرق الناجم عن الوافدين إلى المنطقة والنازحين منها والذي ساهم بنسبة ٨.٥١% من الزيادة الإجمالية لسكان مدينة الموصل للفترة ١٩٥٧-١٩٩٥ وهو يفوق نظيرة بالمحافظة والبالغ ٤.٩٣%^(١٥).

(*) يُحسب معدل نمو السكان السنوي باستخدام معادلة الوسط الهندسي:

$$R = (t \sqrt{\frac{P1}{P0}} - 1) \times 100$$

إذ أن: R : نسبة التغير السنوية أو نسبة الزيادة السنوية أو معدل النمو السنوي.

P1 : عدد السكان في التعداد الثاني (اللاحق).

P0 : عدد السكان في التعداد الأول (السابق).

t : عدد السنوات بين التعدادين.

(١٤) وزارة التخطيط، مديرية إحصاء نينوى، نتائج الحصر والترقيم لسكان محافظة نينوى لسنة ٢٠١٠م، بيانات غير منشورة، ٢٠١٠م.

(١٥) ذنون يونس عبدالله العبيدي ، نمو سكان مدينة الموصل للفترة (١٩٥٧-١٩٩٥)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل، ١٩٩٨ ، ص ١٧٥.

الجدول (١): معدلات النمو السنوي (%) للسكان والأسر والوحدات السكنية في مدينة الموصل للمدة ١٩٥٧-٢٠١٠*

*٢٠١٠م

سنوات التعداد	عدد السكان	معدل النمو السنوي	عدد الاسر	معدل النمو السنوي	معدل حجم الاسرة	عدد الوحدات السكنية	معدل النمو السنوي	معدل اشغال الوحدة السكنية	العجز السكاني
١٩٥٧	١٧٨٢٢٢	—	٢١٥٩٥	—	٨.٢	١٧٩٤١	—	٩.٩	٣٦٥٤
١٩٧٧	٤١٤٦٦٠	٤,٣	٦٠٠٤٣	٥,٢	٦.٩	٤٩٩٦٥	٥,٢	٨.٣	١٠٠٧٨
١٩٨٧	٦٦٤٢٢١	٤.٨	٩٤١٧٣	٤.٦	٧.٠	٧٧٩٠٩	٤.٥	٨.٥	١٦٢٦٤
١٩٩٧	٩٣٦٧٠٧	٣.١	١٣٢١٥٤	٣.٤	٦.٨	١١٤١٣٢	٣.٩	٧.٩	١٨٠٢٢
٢٠١٠	٣١٠٦٩٤٨	٣.٥	٤٤٦٣٥٠	٣.٢	٧.٣	٤٢٥٨٦١	٣.٩	٦.٩	٢٠٤٨٩

* المصادر:

أ- نتائج التعدادات العامة للسكان للسنوات ١٩٨٧، ١٩٥٧، ١٩٧٧ و ١٩٩٧م.

ب- جميل توما بطرس، تحليل الواقع السكاني لمدينة الموصل، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص ١١٠.

ج- داود سليم داود عجاج، تطور الاستعمال السكاني في مدينة الموصل للفترة (١٩٧٧-١٩٩٧)، مصدر سابق، ص ١٠٢.

د- وزارة التخطيط، مديرية إحصاء نيوى، نتائج الحصر والترقيم لسكان محافظة نيوى لسنة ٢٠١٠م، بيانات غير منشورة، ٢٠١٠م.

وقد ترك الوافدون قسرياً الى مدينة الموصل بالإضافة
 إلى المشاكل الأخرى فقد أضافوا مشكلة السكن
 والإيجارات حيث يعد السكن ضرورة ملحة لكل فرد
 من أفراد المجتمع وذلك لأن المسكن يعد من الدوافع
 المشجعة لبناء واستقرار الأسرة.

ويتضح من الجدول (١) وجود فجوة كبيرة
 بين أعداد الأسر وأعداد الوحدات السكنية في مدينة
 الموصل إذ بلغ العجز السكاني ٣٦٥٤ وحدة سكنية
 عام ١٩٥٧ وارتفع إلى ١٠٠٧٨ وحدة سكنية عام
 ١٩٧٧ ثم إلى ١٨٠٢٢ وحدة سكنية عام ١٩٩٧ على
 الرغم من وجود حركة عمرانية توازى تقريباً مع الزيادة

الحاصلة مع عدد السكان وعدد الأسر، إلا أن هذا العجز في عدد الوحدات السكنية يعود إلى ما قبل ١٩٧٧. وان هذا العجز قد ازداد بعد التسعينيات من القرن الماضي بسبب ظروف الحصار الاقتصادي وبعد عام ٢٠٠٣ بسبب الظروف الأمنية غير المستقرة التي أعقبت الاحتلال الأمريكي للعراق.

إن محافظة نينوى شأنها شأن عدد من محافظات العراق حيث تعاني من عجز سكاني حاد بلغ حجمه ١٤٤٤٧١ وحدة سكنية، تتباين المشكلة بيئياً إذ بلغ العجز السكاني الحضري في المحافظة ٦٨٣٥١ وحدة سكنية، ولكن يزداد حجمها في الريف إلى ٧٦١٢٠ وحدة سكنية^(١٦)، ويعزى ذلك إلى جملة أسباب في مقدمتها؛ النمو الطبيعي لسكان المحافظة، وصافي الهجرة لبعض الوحدات الإدارية فيها نتيجةً لوفود أسر نازحة قسرياً من محافظات أخرى إلى نينوى نتيجة العنف والتهجير في أماكن إقامتها وبلغ حجمها ٢١٥١٠ أسرة، وأفرادها ١٢٤٤٩٠ نسمة^(١٧) ونزوح أسر أخرى من المناطق المتنازع عليها بين محافظة نينوى وحكومة إقليم كردستان العراق، فضلاً عن

تيارات من الحركة المكانية من قضائي بعاج والحضر نتيجةً لتذبذب سقوط الأمطار وزحف الكثبان الرملية لسكانهم أدى كله إلى وفود أسر بأكملها إلى مدينة الموصل والمناطق المجاورة لها، وهناك الهجرة المعاكسة للأقليات (المسيحيين والأيزيديين والشبك) من مدينة الموصل إلى مناطقها داخل المحافظة، وأضافة مشكلة إحتلال داعش ومعارك تحرير المدينة وإبالاً من المشاكل، كلها عوامل فاقمت من حجم مشكلة السكن في منطقة الدراسة.

خامساً: العجز السكاني في منطقة الدراسة عام ٢٠١٣م

سبقت الإشارة إلى أن حي القدس يقع شرق مدينة الموصل وبلغ حجم سكانه ٢٥٨١١ نسمة وعدد أسرهم ٣٦١٩ أسرة ومجموع مساكنها ٣٠٧٩ وحدة سكنية، أنشأ الحي نهاية سبعينيات القرن الماضي ووفقاً لقانون تملك العقار للعسكريين المرقم ٤٣ لسنة ١٩٧٩م وتعديلاته والقرار الحكومي المرقم ٧٥٦ في ١٨/٥/١٩٨٠م، حينما قامت الحكومة بتوزيع أراضي سكنية على منتسبي الجيش العراقي ضباطاً ومراتب أخرى بالإضافة إلى أحياء عديدة كحي دوميز، الحاربين، الشهداء، الأمن، الشرطة، تل الرمان، ١٧ تموز و٣٠ تموز، وبغض النظر عن مسقط الرأس وبما إن معظم منتسبي الجيش والشرطة هم من

^(١٦) وزارة التخطيط، مديرية تخطيط نينوى، مصدر سابق، ص ٤٨-٥١.

^(١٧) وزارة الهجرة والمهجرين، دائرة الهجرة والمهجرين/فرع نينوى، شعبة الحاسبة، بيانات غير منشورة، ٢٠١٠م.

الكثافة بأنواعها في منطقة الدراسة وفقاً لبيانات
الدراسة الميدانية:

- الكثافة الإسكانية

تعد من المواضيع الأساسية والأسس التي
يجب دراستها في موضوع الإسكان والتي لها تأثير
مباشر أو غير مباشر في مستوى السكن في منطقة
معينة من حيث عدد الوحدات السكنية الموجودة فيها
ونوعيتها والخدمات الواجب توفرها داخل الوحدة
السكنية وخارجها . وتعرف الكثافة الإسكانية أنها
نسبة المساحة الحجمية للأبنية السكنية إلى مساحة
الأراضي السكنية الصافية أو الإجمالية

أصول ريفية لذلك نلاحظ ظهور الطابع الريفي على
سكان الحي^(١٨) من حيث تمييز زيادة المواليد والزواج
في سن مبكر وظهور أسر جديدة وذلك يتطلب معه
وحدات سكنية جديدة أيضاً، لذلك ازداد الطلب
على المساكن ورفع حدة التنافس على دفع بدل
الإيجارات للسكن ونشأت معه أوضاع جديدة
كالاحتفاظ السكاني واحتلال أملاك
الغير (التجاوز)^(١٩).

وقد تطور حجم الوحدات السكنية في
منطقة الدراسة من ٢٥٥٥ وحدة سكنية سنة
١٩٩٧م، إلى ٣٠٧٩ وحدة سكنية سنة ٢٠١٠م، أي
إزداد عددها ٥٢٤ وحدة سكنية بنسبة ١٧% خلال
١٣ عاماً، إلا أن منطقة الدراسة مازالت تعاني من
عجز سكني حاد إذ كشفت الدراسة الميدانية عن أن
٤٠% من الأسر بدون وحدات سكنية مستقلة مما يعني
أنها تسكن مع أسر أخرى في مسكن واحد أو تسكن
في الطابق الثاني بشكل (مشمّل)، وفيما يلي تحليل

(١٨) خالد أحمد عبدان الحديدي، التريف الحضري في مدينة
الموصل، الأسباب والنتائج، مجلة جامعة تكريت للعلوم
الانسانية، مجلد ٢٠، العدد ٤، ٢٠١٣م، ص ٢٧٤.

(١٩) تشارلز ابرمز، المدينة ومشاكل الاسكان، ترجمة لجنة من
الاساتذة الجامعيين، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٦٤،

الأرض الخاصة بالشوارع ، ساحات وقوف السيارات العامة ، ملاعب الأطفال والأبنية غير السكنية .

٣-٢- الكثافة السكانية الإجمالية Gross Dwelling Density

يقصد بها عدد الوحدات السكنية لكل إيكار من الأرض السكنية الإجمالية (الأرض كما تم وصفها سابقاً) مضافاً إليها الشوارع المجاورة إلى مسافة محدودة وتكون عادة مركز الشارع .

٤- الكثافة السكانية :

هي عدد السكان الذين يشغلون هكتاراً واحداً من الأرض وتكون على نوعين أيضاً^(٢٣) .

وقد بلغت الكثافة الإسكانية (Housing

Density) في منطقة الدراسة م^٢ / هكتار

٣. مفهوم الكثافة السكانية وأنواعها Residential density and types

يقصد بها نسبة إشغال (وحدات سكنية، أشخاص، أسر، وغرف مأهولة . . الخ) إلى مساحة الأرض (إيكار، هكتار و كيلو متر مربع) وتعد الكثافة السكانية من أكثر المقاييس استخداماً لأنها تحظى بالقبول على نطاق واسع من مختلف الباحثين في مجال الإسكان لأنها تعكس مدى ملائمة العيش في البيئة السكنية^(٢١) .

٣- الكثافة السكانية تقسم على :^(٢٢)

٣-١- الكثافة السكانية الصافية Net Dwelling Density

يقصد بها عدد الوحدات السكنية لكل هكتار من الأرض السكنية الصافية التي هي الأرض المخصصة للأبنية السكنية والاستعمالات المكمل لها على قطع الأرض نفسها Lots ، مثل المناطق المفتوحة ، المماشي ، المناطق الخدمية ، وتستثنى

^(٢١) Ibid, p.13.

^(٢٢) Joseph De Chiara, op. cit. p. 21.

^(٢٣) غازي محي حمزة ، مصدر سابق . ص ٤٥ .

٤-١- الكثافة السكانية الصافية : وتحسب كالآتي :

$$\text{الكثافة السكانية الصافية} = \text{شخص} / \text{هكتار}$$

٤-٢- الكثافة السكانية الإجمالية : وتحسب كالآتي :

$$\text{الكثافة السكانية الإجمالية} = \frac{\text{عدد الأشخاص}}{\text{مساحة الأرض السكنية مع خدماتها} / \text{هكتار}} = \text{شخص} / \text{هكتار}$$

٥- كثافة السكن^(٢٤)

هو ما يعبر عنه بدرجة ازدحام السكن (درجة الاحتشاد) أي متوسط عدد الأفراد للغرفة الواحدة ويعد مؤشراً مهماً له فائدة في الدراسات السكانية والاجتماعية والصحية وبحسب الصيغة الآتية:

مجموع عدد الغرف في المنطقة

إجمالي السكان

^(٢٤) عبد الحسين زيني ، عبد الحليم القيسي ، الإحصاء السكاني ، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ص

وقد بينت الدراسة الميدانية لسنة ٢٠١٣م أن معدل كثافة السكن في منطقة الدراسة قد بلغت ٢.٥ شخص / غرفة، في حين بلغت كثافة الأشخاص في غرف النوم ٣.٥ شخص / غرفة نوم. ولكي يكون هذا المقياس بشكل دقيق بالنسبة للحالة الصحية والسكانية يكون من الضروري وضع مفهوم دقيق للوحدة الإحصائية وهي الغرفة السكنية الصالحة للسكن والتي تحتوي على مواصفات صحية ومساحية خاصة .

الجدول (٢) الكثافة السكانية والإجمالية والصافية في مدينة الموصل ومنطقة الدراسة لسنة

٢٠١٣م(*) .

المنطقة	الكثافة السكانية			الكثافة السكانية		
	الإجمالية	الصافية	المعدل	الإجمالية	الصافية	المعدل
مدينة الموصل						
منطقة الدراسة						
المجموع						

المصدر: الدراسة الميدانية

كثافة الحلة السكنية Neighborhood density

قبل التطرق إلى كثافة الحلة السكنية كان لابد من إعطاء تعريف أو عدة تعاريف لمفهوم الحلة السكنية منها :

- بيئة عمرانية يعيش فيها عدد معين من الناس يشكلون وحدة اجتماعية وهذه الوحدة الاجتماعية تكون - إلى حد معقول -

مكفية ذاتياً بقدر مقبول من الخدمات والمتاجر وتتركز حول المدارس^(٢٥) .

ان توضيح مفهوم الحلة السكنية يعتمد على مفهوم المجموعة السكنية التي تتكون من بعض الوحدات السكنية المتجاورة مع بعضها، بحيث لا يزيد عدد

^(٢٥) هبة سالم يحيى السلطان ، التركيب الداخلي لبعض الحلات السكنية في مدينة الموصل القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣ ، ص ٤ .

اخرى تخص مجتمع الحلة السكنية ويستثنى من
ارض الحلة السكنية الاستعمالات التي لا تنتمي
الى الحلة السكنية ولا تنسجم مع استعمالاتها
وكذلك الاراضي الشاغرة.

من الضروري مراعاة معايير الكثافة في الحلة
السكنية تلافياً لوقوع عبء او حمل مفرط على
خدمات المدارس والملاعب والخدمات الاخرى
المواجدة على مستوى الحي او القطاع او على مستوى
عموم المدينة.

١- معيار مساحة / شخص^(٢٧)

أ- العوامل المؤثرة في المعيار: تتأثر قيمة معيار
مساحة / شخص تبعاً للاختلاف في الادراك
الحسي للفضاء Space perception ومن
ثم تحديده واستعماله وذلك على وفق عوامل
منها :

١- خلفية المستعمل User الثقافية وعمره وجنسه
وحالته الزوجية ومرحلته في دورة الحياة والحياة
الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والبناء الاجتماعي
للاسرة .

سكانها عن (١٢٥٠) نسمة ، ويكون بعد مركز
الخدمة عن الوحدة السكنية في حدود (١٥٠ -
٢٠٠) متر وتحتوي على بعض الخدمات الضرورية
للسكان كالحوانيت الصغيرة للعطارية والخضراوات
واللحوم مع دار للحضانة وساحة صغيرة لممارسة
الفعاليات الرياضية . أما الحلة السكنية فتتكون من
اربع مجاميع سكنية او أكثر تتجمع حول مركز محلي
يسمى مركز الحلة، حيث تتجمع فيه نوع من الخدمات
الأساسية ذات طابع الاستهلاك اليومي للسكان ،
وتشكل المدرسة الابتدائية مركز الخدمة ما بين (٢٥٠- ٣٠٠)
متر ، ويخضع تحديد عدد سكان الحلة
السكنية الى عدة اعتبارات تخطيطية أهمها نظام
الإنشاء وطريقته وعدد الطوابق للأبنية التي ستشيد في
الموقع ونسب توزيع الأراضي للفرد الواحد والمناطق
المفتوحة والخضراء^(٢٦) .

اما كثافة الحلة السكنية فتعرف بانها:

- عدد الوحدات السكنية لكل ايكرا أو هكتار
لمجموع مساحة ارض الحلة السكنية، فضلاً عن
الشوارع والأراضي المستخدمة للأغراض
الخدمية كالمدارس، الترفيه، التسوق واغراض

^(٢٧) كاظم فارس العيسوي ، مصدر سابق ، ص ٣٨-٣٩

^(٢٦) اياد محمد صالح التكريتي ، مصدر سابق ، ص ١٠-١١

- ٢- مستوى الملاءمة الذي يمكن احرازه بالتسهيلات السكنية مثل كفاءة الصحيات والانارة والتهوية ... الخ.
- عدد الغرف في الوحدة السكنية .
- عدد الغرف على وفق حجم الأسر .
- عدد الغرف / وحدة سكنية .

ب- تأثير المعيار في مساحة الوحدة السكنية .

يتم عادة تحديد المعايير الرقمية لفضاءات الوحدة السكنية على وفق حجم الاسرة الشاغلة . وقد حدد حجم المقاييس للفضاءات متوافقاً مع حجم الاثاث واللوازم الضرورية ومقاييس بالشكل الذي يؤمن حرية الحركة وحسن الاستعمال^(٢٨)

٢- معدلات الإشغال (التزاحم)

يبين معدل الأشغال عدد الأسر أو الأفراد شاغلين للغرفة أو الوحدة السكنية الواحدة ويختلف الإشغال من منطقة لأخرى لأنه يتوقف على مدى تطور الظروف العمرانية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة .

ولتحديد كون الإشغال مناسباً أو غير مناسب تستخدم عدة معايير :

- معدل عدد الأشخاص / غرفة .

- معيار مساحة / شخص .

إذ إن نسبة الإشغال المقبولة هي (١) شخص / غرفة وتعد مزدحمة إذا تجاوزت (١.٣) شخص / غرفة، أما إذا وصلت إلى (٢) شخص / غرفة فتعد مزدحمة جداً أو مكتظة^(٢٩) .

مساحة الدار

تتراوح مساحة الدار في منطقة الدراسة بين (٩٠-٣٠٠) م^٢، لأن غالبية سكان المنطقة من ذوي الدخل المنخفض، ومن ملاحظة الجدول (٣) يتضح أن الدور التي تقل مساحتها عن ١٠٠ م^٢ بلغت دارين بنسبة ٨،٠% من مجموع دور العينة، وان ٦٨ داراً تتراوح مساحتها بين ١٠٠-١٤٩ م^٢ أي بنسبة ٢٥.٩%، بينما ١١٨ داراً أي بنسبة ٤٥.٠% من المجموع تتراوح مساحتها بين ١٥٠-١٩٩ م^٢، وهي أعلى النسب الموجودة بالجدول، في حين بلغ عدد الدور ذات المساحة ٢٠٠-٢٤٩ م^٢، بلغ ٦٦ داراً بنسبة ٢٥.٢%، كذلك فإن هناك داران بنسبة ٠.٨% مساحتها ٢٥٠-٢٩٩ م^٢، أما الدور الأخر فمساحتها تتراوح بين ٣٠٠-٣٤٩ م^٢، بلغ عددها ٦ دور بنسبة ٢.٣% من المجموع الكلي للدور . ويمكن القول أن متوسط مساحة الدار حسب الدراسة الميدانية بلغ بمحدود ٢٠٠ م^٢ تقريباً .

^(٢٨) وزارة التخطيط ، هيئة التخطيط الإقليمي، معايير

الإسكان الحضري ، العراق ، ١٩٨٦ ، ص ٦٥ .

^(٢٩) كلاله دلشاد معروف ، مصدر سابق ، ص ص ٥٠-٥١ .

الجدول (٣) توزيع الدور السكنية وفق مساحة الدار

مساحة الدار/ م ^٢	عدد الدور	%
٩٩-٥٠	2	0.8
١٤٩-١٠٠	68	25.9
١٩٩-١٥٠	118	45.0
٢٤٩-٢٠٠	66	25.2
٢٩٩-٢٥٠	2	0.8
٣٤٩-٣٠٠	6	2.3
المجموع	262	100

المصدر: الدراسة الميدانية

تشير بيانات الجدول (٤) إلى أن الغالبية العظمى من الدور السكنية لا تضم سوى أسرة واحدة، حيث بلغ عددها ١٥٤ داراً أي بنسبة ٥٨.٨% من مجموع الدور السكنية في منطقة الدراسة، أما الدور التي تضم أسرتين فتتمثل ٥٤ داراً أي بنسبة ٢٠.٦%، بينما تمثل الدور التي تضم ثلاث أسر ٣٦ داراً ونسبتها ١٣.٨% من المجموع الكلي، كما تمثل الدور التي تحتوي على أربع أسر اقل النسب الموجودة في الجدول، حيث اقتصر عددها على ٤ أسر وذات نسبة ضئيلة بلغت ١.٥%، في حين بلغ عدد الدور ذات الخمسة أسر ١٤ داراً بنسبة ٥.٤% من مجموع الدور السكنية، ويشير الجدول إلى أن عدد الأسر في

وفي دراسة ميدانية خارج العينة قام بها الباحثان في منطقة الدراسة تبين أن هنالك بعض الأسر التي تمتلك وحدات سكنية ذات مساحة ما بين ٢٠٠-٢٥٠م^٢ قد عملت على تجاوز مشكلة السكن من خلال فصلها للطابق الثاني من الدار وجعله شقة سكنية (مشملة) مستأجرة وكان عددها ٧٠ شقة، وثمة حلول أخرى وهي تقسيم الوحدة السكنية ذات الـ ٢٠٠م^٢ إلى نصفين متساويين ١٠٠م^٢ × ١٠٠م^٢ والمسماة بـ(نصف قطعة) وبلغ عددها ٤٤٨ وحدة سكنية، فضلاً عن وجود ١٢ وحدة سكنية ذات مساحة ٦٧م^٢ والتي تسمى بـ(ثلث قطعة) .

عدد الأسر في الدار الواحدة

منطقة الدراسة ٤٥٦ أسرة تقطن ٢٦٢ داراً، أي أن
معدل عدد الأسر ١.٧ أسرة في الدار الواحدة، وهذا
يعني أن هنالك ١٩٤ أسرة تشارك اسراً أخرى في
الدار السكنية الواحدة .

الجدول (٤) توزيع الدور السكنية حسب عدد الاسر .

الأسر	عدد الدور	%	عدد الأسر	%
أسرة واحدة	154	58.8	154	33.8
أسرتان	54	20.6	108	23.7
ثلاث أسر	36	13.8	108	23.7
أربع أسر	4	1.5	16	3.5
خمسة أسر	14	5.3	70	15.3
المجموع	262	100	456	100

المصدر: الدراسة الميدانية

عدد الأشخاص الساكنين في الدار الواحدة:

لقد ظهر من الدراسة الميدانية للمنطقة أن
متوسط عدد الأشخاص الساكنين في الدار الواحدة
٩.١ شخصاً، وهذه النسبة عالية نسبياً لمتوسط
مساحة الدار، وهي سمة من سمات الإكتظاظ الذي
تعاني منه منطقة الدراسة.

عدد غرف الدار

إن معدل عدد الغرف في الدار يبلغ
٣.٦ غرفة، ونجد من الجدول (٥) وجود تفاوت كبير
في عدد الغرف، إذ لا يتجاوز عدد الدور ذات الغرفة
الواحدة دارين فقط وتمثل نسبة ٠.٨% من مجموع
الدور، بينما يبلغ عدد الدور التي تحتوي على غرفتين

٢٨ غرفة وتمثل نسبة ١٠.٧% من المجموع، تليها الدور
التي تحتوي على ثلاث غرف، ويبلغ عددها ١٠٨ داراً
وتشكل نسبة ٤١.٢%، وهي أعلى نسبة موجودة في
الجدول، أما الدور التي تحتوي على أربع غرف فيبلغ
عددها ٤٤ داراً بنسبة ١٦.٨%، في حين بلغ عدد
الدور ذات الخمسة غرف ٧٦ داراً بنسبة ٢٩.٠% من
مجموع دور العينة، بينما اقتصر عدد الدور ذات
الستة غرف على ٤ دور وهي لا تتجاوز نسبة ١.٥%
من المجموع الكلي للدور في منطقة الدراسة.

أما الكثافة السكانية لجميع الأسر في المنطقة
فهي محدود ٢.٥ نسمة في الغرفة الواحدة، مما يعني أنها

مكتظة جداً وأن الأسر تعاني من عوز في عدد غرف وحداتها السكنية.

الجدول (٥) التوزيع العددي والنسبي لعدد الدور والغرف فيها .

الغرف	عدد الدور	%	عدد الغرف	%
1	2	0,8	2	0.2
2	28	10,7	56	5.8
3	108	41,2	324	33.7
4	44	16,8	176	18.3
5	76	29,0	380	39.5
6	4	1,5	24	2.5
المجموع	262	100	962	100

المصدر: الدراسة الميدانية

عدد الغرف المستعملة للنوم

يتضح من الجدول (٦) أن الدور التي فيها غرفة واحدة مخصصة للنوم فقط، قد بلغ عددها ٢٨ داراً بنسبة ١٠.٧% من مجموع الدور في منطقة الدراسة، بينما وجد أن هناك ١١٠ داراً تحتوي على غرفتين مخصصتين للنوم من مجموع الدور السكنية وتمثل الغالبية العظمى من الدور السكنية ونسبتها ٤٢.٠%، في حين بلغ عدد الدور ذات الثلاث غرف للنوم ٤٤ داراً فقط بنسبة ١٦.٨% من مجموع الدور السكنية

للحي، أما الدور التي تحتوي على أربعة غرف للنوم فعددها ٧٦ داراً ونسبتها ٢٩.٠%، وقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجود أربعة دور سكنية تحتوي على خمسة غرف، وكانت نسبتها ١.٥% فقط. ونستنتج من ذلك أن الأغلبية العظمى من الغرف الموجودة في الدار تستخدم لأغراض النوم وأغراض أخرى في آن واحد، ونستنتج أيضاً أنه كلما زاد عدد أفراد الأسرة في الدار زاد معه عدد الغرف.

الجدول (٦) توزيع الدور السكنية حسب عدد الغرف المخصصة للنوم.

عدد الغرف المخصصة للنوم	عدد الدور	%
غرفة واحدة	28	10.7
غرفتين	110	42
ثلاثة غرف	44	16.8

29	76	أربعة غرف
1.5	4	خمسة غرف
100	262	المجموع

حجم الأسرة

نسبياً. إن المغزى الأساس هو أن هناك تفاوتاً قائماً ولا يزال

تعد البيانات المتعلقة بحجم وتركيب الأسرة من بين حجم الأسرة في حي القدس وحجم الأسرة في المدينة. الأمور الضرورية في رسم سياسة الإسكان^(٣٠). لقد بلغ مجموع ويمكن أن تتبع التصنيف الآتي للأسر حسب حجمها :

١. أسرة صغيرة جداً: تتكون من شخص واحد فقط.

٢. أسرة صغيرة: التي يتراوح عدد أفرادها ما بين ٢-٤ اشخاص.

٣. أسرة متوسطة: التي يتراوح عدد أفرادها ما بين ٥-٦ اشخاص.

٤. أسرة كبيرة: التي يتراوح عدد أفرادها ما بين ٧-١٣ شخصاً.

٥. أسرة كبيرة جداً: التي تضم ١٤ فرداً فأكثر^(٣١).

وعند توزيع الأسر المدروسة بموجب هذا التصنيف نجد أن الأسر الكبيرة والكبيرة جداً تمثل أعلى النسب بين أصناف الأسر الأخرى، حيث بلغ عددها ٢٥٢ و ١١٩ أسرة بنسبة ٥٥.٣% و

أفراد سكان منطقة الدراسة من خلال الدراسة الميدانية ٢٣٨٢ نسمة موزعين على ٤٥٦ أسرة تسكن في ٢٦٢ داراً. وان متوسط عدد أفراد الأسرة الواحدة هو ٥.٢ شخص/أسرة، وان هذا العدد يدل على أن حجم الأسرة في منطقة الدراسة كبير نسبياً. ومن مقارنة حجم الأسرة في مدينة الموصل والبالغ ٧ شخص/أسرة مع حجم الأسرة في حي القدس نجد أنه في الأخير اقل من الأولى، في حين لو اعتمدنا على البيانات الحكومية من مديرية إحصاء نينوى نجد أن متوسط حجم الأسرة في حي القدس قد بلغ ٧.١ شخص/أسرة^(**) وهو أعلى بقليل من معدل مدينة الموصل وبشكل عام فهو كبير

^(٣٠) يونس حمادي علي، بعض المظاهر الاجتماعية والديموغرافية لأصحاب العمارات السكنية في بغداد، مجلة البحوث الاجتماعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، العدد الأول، السنة التاسعة-العاشرة ١٩٨٠-١٩٨١، مطبعة مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد، ص ٨٨.

^(**) وذلك من خلال تقسيم عدد سكان الحي (٢٥٨١١ نسمة) على مجموع أسر الحي (٣٦١٩ أسرة) والناتج=٧.١ شخص/أسرة.

^(٣١) عبد اللطيف عبد الحميد نايف، دراسة اجتماعية للمناطق المتخلفة في المدينة مع بحث ميداني لسكان الصراف في بغداد سابقاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م، ص ١٣٩.

٢٦.١% لكل منهما على التوالي، وكما في الجدول (٧) ولم تكشف الدراسة الميدانية عن الأسر الصغيرة جداً في حين بينت عن وجود ٢٤ أسرة صغيرة بنسبة ٥.٢% من مجموع الأسر المدروسة، كما توجد ٦١ أسرة متوسطة تتكون ما بين ٥-٦ أفراد، وتبلغ نسبتها ١٣.٤% من المجموع.

الجدول (٧) تصنيف الاسر حسب حجمها .

الاسر	عدد أفراد الأسرة	عدد الأسر	%
الصغيرة جداً	١	—	—
الصغيرة	٢-٤	٢٤	٥.٢
المتوسطة	٥-٦	٦١	١٣.٤
الكبيرة	٧-١٣	٢٥٢	٥٥.٣
الكبيرة جداً	١٤ فأكثر	١١٩	٢٦.١
المجموع		٤٥٦	١٠٠

المصدر: الدراسة الميدانية

الدخل الشهري للأسرة

الأسر مجسب دخلها إلى أربعة مستويات وهي الآتي:- انظر الجدول (٨)

المقصود بدخل الأسرة هو مجموع ما تستلمه الأسرة شهرياً من رواتب وأجور من أعمال رئيسة أو ثانوية أو أية مدخولات أخرى، ورغم صعوبة الحصول على بيانات موثوقة تماماً عن دخل الأسرة، إلا أن ما أمكن الحصول عليه يمكن أن يعطي فكرة عامة عن الوضع المعاشي للأسرة المدروسة.

ويقدر متوسط الدخل الشهري للأسرة بـ ٨٥٤٢٨ ألف دينار، وهو دخل لا يسد حاجات الأسرة المتعددة ومنها حاجة السكن، ويمكن تقسيم

الجدول (٨) العلاقة بين معدل الدخل الشهري للأسرة بالدينار مع عدد أفراد الأسرة

معدل نصيب الفرد		عدد أفراد الأسرة	%	عدد الأسر	معدل الدخل بالدينار
من دخل الأسرة الشهري	%				
٤٧٨٤٣	٢.١	٥١	٢.٢	١٠	٢٥٠ فأقل
٦١٩١١	٢٧.٧	٦٥٩	٢٥.٠	١١٤	٢٥١-٥٠٠
٨١٩٥٥	٤٣.١	١٠٢٨	٤٤.٣	٢٠٢	٥٠١ - مليون
١١٨٠١٢	٢٧.١	٦٤٤	٢٨.٥	١٣٠	أكثر من مليون
٨٥٤٢٨	١٠٠	٢٣٨٢	١٠٠	٤٥٦	المجموع

د- أما فئة الأكثر من مليون دينار شهرياً وهي ١٣٠ أسرة والتي تشكل ٢٨.٥% من مجموع العينة، وحجمها ٦٤٤ نسمة واستأثرت بنصيب فرداها من دخل الأسرة ١١٨٠١٢ دينار.

ويمكن إن نلاحظ من هذا التوزيع أن سكان منطقة الدراسة هم بأغلبهم من السكان ذوي الدخل الواطئ، وهم بذلك مرغمين على السكن في مثل هذه المناطق بسبب إيجاراتها المنخفضة نسبياً، والتي قد تكون قسماً منها غير صالحة للسكن، وربما تفتقر إلى بعض الخدمات والخصوصية.

ملكية الوحدات السكنية

تؤثر ملكية السكن على مدة استقرار الأسرة في محل إقامتها وعلى دخلها أيضاً، إذ تشير بيانات الجدول

أ- إن الأسر التي يقل دخلها عن ٢٥٠ ألف دينار شهرياً وعددها ١٠ أسر والتي شكلت ٢.٢% من إجمالي سكان العينة، بلغ عدد أفرادها ٥١ نسمة ومتوسط دخل فرداها الشهري ٤٧٨٤٣ دينار من دخل الأسرة.

ب- بينما بلغ عدد الأسر التي يتراوح دخلها ما بين ٢٥١-٥٠٠ ألف بلغ ١١٤ أسرة بنسبة ٢٥.٠% وحجم أفرادها ٦٥٩ نسمة ومعدل نصيب الفرد من دخل الأسرة الشهري ٦١٩١١ دينار.

ج- أما الأسر التي يقرب دخلها من ٥٠١-٨١٩٥٥ مليون ألف دينار شهرياً فبلغت ٢٠٢ أسرة والتي تمثل ٤٤.٣% من جملة العينة، فيصل أفرادها ١٠٢٨ نسمة ودخل فرداها ٨١٩٥٥ دينار شهرياً.

(٩) أن الغالبية العظمى من الوحدات السكنية في منطقة الدراسة هي ملك صرف ومشغولة من قبل ساكنيها وعددها ٢٠٦ وحدة سكنية بنسبة ٧٨.٦% من مجموع الوحدات السكنية الكلي، وتشكل الوحدات السكنية التي لا تعود إلى ساكنيها الحاليين، ٤٨ وحدة سكنية بنسبة ١٨.٤%، وهي مستأجرة من مصادر مختلفة، وخصوصاً أن حي القدس قد شهد حركة مكانية لسكانه وبشكل خاص من القوميات الكردية والشبكية والترکمان الشيعة وذلك بمغادرتهم للحي في حين وفد بالمقابل عدداً ليس بقليل من الأسر النازحة من مناطق التي شهدت أعمال عنف وتهجير من بغداد والبصرة ومدينة تلغفر القريبة من مدينة الموصل، مما يرفع الطلب على الدور المستأجرة وبلغ متوسط الإيجار الشهري ١٥٠ ألف دينار شهرياً وانحصرت قيمة الإيجار ما بين (١٢٥-٢٠٠) ألف دينار/بالشهر.

أما الوحدات السكنية الحكومية والتجاوز فبلغت ٤ وحدات سكنية وبنسبة ١.٥% لكل منهما، فأما الحكومية فتتمثل بالأسر التي تسكن في المدارس بصفة حراس على ممتلكاتها، وأما التجاوز فقد تضاعفت هذه الظاهرة بعد الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣م ويطلق عليها محلياً باسم "الحواسم" ويحدث ذلك بسبب ضعف قانون الملكية وغياب الرقابة لذلك فإن التجاوز على الممتلكات العامة

وخصوصاً الأراضي العامة أصبح يشكل خطراً كبيراً في الوقت الحاضر وإن هذه الأسر المتجاوزة دائماً ما تطمع في الحصول على تعويض أو تمليك على غرار ما حدث في فترات زمنية سابقة، وقد بلغ عدد حالات التجاوز في حي القدس ٣١٠ حالة^(٣٢)، وهناك بعض المتجاوزين يقوم بالسيطرة على مساحة كبيرة من الأرض مبدأً وضع اليد ثم يقوم بتقطيعها على شكل أراضي سكنية وبيعها للمواطنين وهناك من يقوم بإيجار وحدات سكنية ضمن هذه المناطق وهناك عدة أنواع من التجاوز^(٣٣).

١- معظمهم يمتلك المأوى دون الأرض والتي يفضل أما أن تكون أرضاً حكومية أو أصحابها غائبون .

(٣٢) مديرية بلدية الموصل، مفرزة تجاوزات الجانب الأيسر،

بيانات غير منشورة، ٢٠١٨م.

(٣٣) تشارلز ابرمز، مصدر سابق، ص ص ٢٣

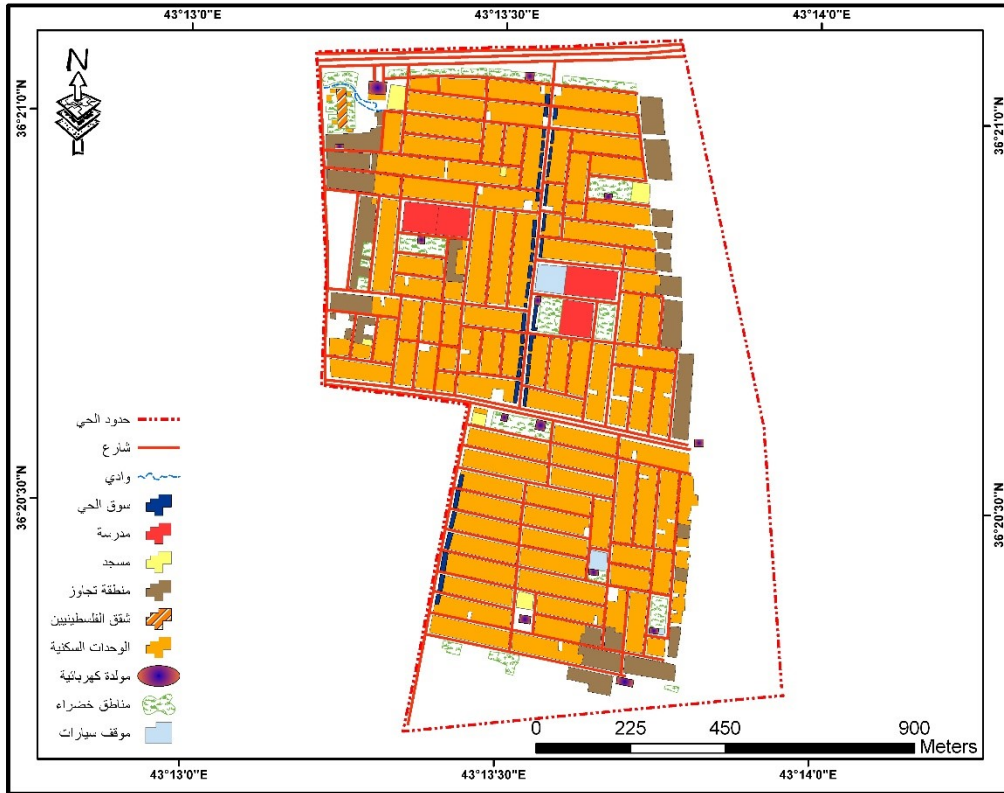
- ٢- المحتل (المتجاوز) المستأجر : الذي لا يملك البناء ولا الأرض وإنما يقوم بدفع اجر لمتجاوز آخر وهذا عادة أكثر المتجاوزين فقراً .
- يقم بها المهاجر الوارد للمدينة وإنما من سكان المدينة أو من المهاجرين القدماء، ينظر للخارطة (٢) عندما احتلوا بعض الأراضي على أمل تملكهم لها، على الرغم من أنهم يملكون سكاناً في أجزاء أخرى من المدينة.
- ومعظم أنواع التجاوزات التي ذكرت آنفاً تظهر حالياً وبشكل واضح في مدينة الموصل وفي معظم أحيائها، فضلاً عن أن هناك حالات وضع اليد لم

الجدول (٩) ملكية الوحدات السكنية في منطقة الدراسة.

الملكية	عدد الوحدات السكنية	%
ملك صرف	206	78,6
إيجار	48	18,4
حكومي	4	1,5
تجاوز	4	1,5
المجموع	262	100

المصدر: الدراسة الميدانية

الخارطة (٢) إستعمالات الأرض في منطقة الدراسة.



الاستنتاجات

٣- ٤٢% من عدد الوحدات السكنية تشغلها

اسرطان فاكثر بينما ٢٠% من عدد الوحدات

السكنية تشغلها ثلاث اسر فاكثر ٥,٣%

تشغلها خمس اسر.

٤- ٨١,٤% من حجم العينة في منطقة الدراسة

هي من الاسر الكبيرة الحجم اكثر من ٧

افراد .

٥- ٧٣% من حجم العينة معدل دخلهم الشهري

اقل من مليون دينار بينما ٣٠% من حجم

العينة اقل من ٥٠٠ الف دينار

١- يعاني قطاع السكن في العراق من عجز كبير

في عدد الوحدات السكنية ويقتصر ذوي

الدخل المحدود إلى السكن اللائق، الأمر

الذي يتطلب حلولاً سريعة لحل هذه

المشكلة.

٢- ٢٦% من حجم العينة من عدد الوحدات

السكنية في منطقة الدراسة اقل من ١٥٠

م ٢١% من حجم العينة اقل من

٢٢٠٠.

تأثير الامطار الساقطة على توزيع الغطاء النباتي في محافظة نينوى باستخدام معطيات التحسس النائي ونظم المعلومات

الجغرافية

د . بسمان يونس حميد

رائد محمود فيصل

الملخص

تضمن البحث دراسة تأثير العوامل المناخية متمثلة بكميات الامطار الساقطة على نمو وتوزيع الغطاء النباتي على منطقة تلعفر الواقعة ضمن محافظة نينوى باستخدام بيانات دليل الاختلافات الخضرية NDVI المحسوب من بيانات القمر الصناعي الامريكي Landsat وكميات الامطار الساقطة في فترة نمو الغطاء النباتي والفترة من ١٩٨٥ - ٢٠١٤ حيث تم اعداد خرائط توزيع الغطاء النباتي من قيم دليل NDVI المحسوبة وخرائط توزيع الامطار لمنطقة الدراسة باستخدام برنامج Arc Gis والفترة الزمنية المستخدمة. تم تحليل الاتجاه العام لدليل NDVI وربطه بتحليل الاتجاه العام للامطار واتضح ان توزيع الغطاء النباتي خلال سنوات الدراسة يتوافق مع كمية الامطار الساقطة وان هناك ارتباط مقداره ($R^2 = 0.76$) بين هذين المتغيرين وقد تم اعداد موديل رياضي باستخدام معادلات الانحدار المتعددة الحدود Polynomial للتنبؤ بكمية الغطاء النباتي اعتمادا على كميات الامطار السنوية الساقطة على منطقة الدراسة.

The Impact of Rainfall upon Plant Cover Distribution in Nineveh Governorate Using Remote Sensing Data and GIS

Raid Mahmood Faisal

Basman Younus Hameed

ABSTRACT

The aim of this study is investigate the effect of amount of rainfall on the growth and distribution the vegetation cover in the area of Tal Afar which located in Nineveh Governorate. Through comparing NDVI values that have been calculated depending on data of spectral reflectance of landsat satellite and amount of rainfall for the period 1985 to 2014. Distribution maps of vegetation for NDVI index calculated values and rainfall amount were mapped in ARC GIS software for specified period. The overall trend of NDVI was analyzed and examined the relationship with general rainfall trend for studied years. The results showed that distribution of vegetation cover was correlated with amount of rainfall and the correlation coefficient of this relation was 0.76 ($R^2 = 0.76$). This relation allowed to designing a mathematical model using polynomial egression equations to predict with the size of vegetation cover based on the amount of annual rain that falls on the study area.

المقدمة

لقد اصبح التغير المناخي من الموضوعات التي حازت على اولوية الدراسات حول مستقبل التنمية في العالم، فبعد ظهور المشكلات المناخية والبيئية بدأ الاتجاه نحو فهم افضل للعلاقة بين الاقتصاد البيئي وتأثيرات المناخ (السعدون عاطف لافي واخرون، ٢٠١٧)، ان مؤشرات التغيرات المناخية الحالية تدل على تسارع في وتيرتها وتغير غير مسبوق في ارتفاع درجات الحرارة وتناقص في كميات الامطار وتغير توزيعها المكاني اذ تظهر في وقت واحد مناطق تعاني من فيضانات مفاجئة وتكون مدمرة وفيها سيول جارفة في حين يضرب الجفاف والتصحر اجزاء اخرى من العالم والنتيجة العامة له ستكون سلبية فيما يتعلق بالبيئة والموارد المائية والغطاء النباتي وظهور المجاعات والابوة والهجرات السكانية (الجبوري خالد صطم، ٢٠١٧) . وتعتبر الامطار ودرجات الحرارة من اكثر العوامل المناخية تأثيرا في توزيع الغطاء النباتي ونموه وتنوعه (الحمادة فرج غنام، ٢٠٠٣) . ان خطورة التصحر تزداد بانخفاض مستويات الامطار، وزيادة تكرارية الجفاف وموجات الحر مما يؤدي إلى تدهور الغطاء النباتي، وانخفاض خصوبة التربة، وازدياد مساحة

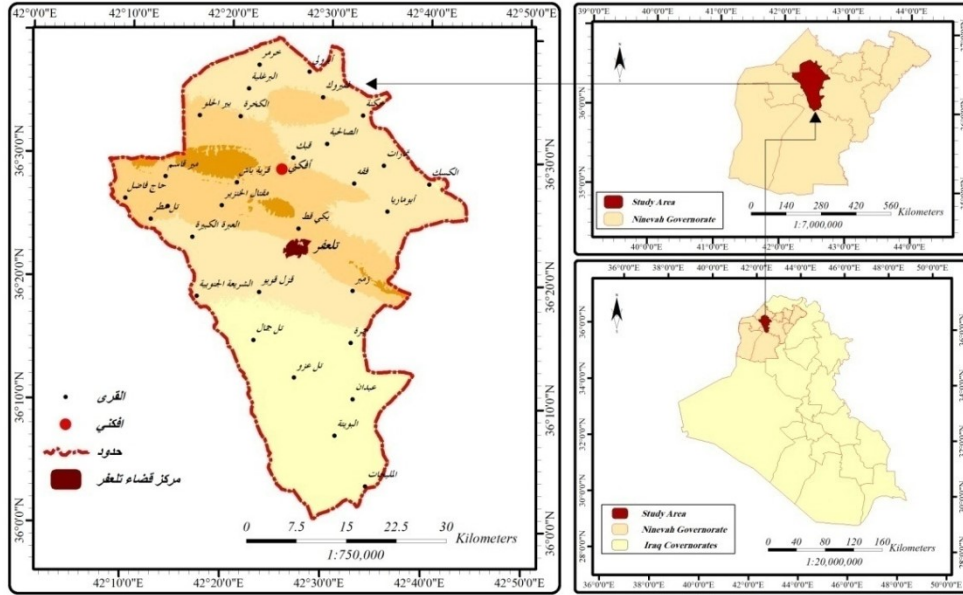
المناطق المتأثرة بالأملاح، وظهور الكثبان الرملية واتساع رقعتها التي تُعَبِّرُ الوجه المتقدم للتصحّر (UNCCD، 2014) ان تقنيات التحسس النائي ونظم المعلومات الجغرافية تعتبر من الوسائل الفعالة في دراسة ومراقبة تدهور الغطاء النباتي وعلاقته بالتغيرات المناخية لما لها من مميزات عالية في رصد مساحات واسعة جدا من الارض وبأوقات زمنية مختلفة وحسب ما اشار اليه كل من الباحثين (Shallal, 1992, Tucker et al, 2005, Travis Ritter, 2006, Li, Cui, 2008) . تعتبر الأدلة النباتية Vegetation indices بالإضافة إلى الطرق الأخرى من الطرق المعتمدة في دراسة التغيرات الحاصلة في الغطاء النباتي، وان احد هذه الأدلة المستخدمة بشكل واسع في دراسة الغطاء النباتي هو دليل الاختلافات الخضرية Normalized vegetation index NDVI ، وذلك لان النبات يمتص الأشعة الضوئية من الطيف الكهرومغناطيسي الساقط عليها للاستفادة منها في عملية التركيب الضوئي ويعكس الأشعة تحت الحمراء من الطيف الكهرومغناطيسي وهذا هو الأساس في استخدام طريقة NDVI حيث تعتمد على قاعدة أن

النبات السليم له انعكاسية واطئة في الجزء المرئي من الطيف لوجود صبغة الكلوروفيل وبقية الصبغات الأخرى التي تمتص الأشعة المرئية من الطيف الساقط عليها في حين لها انعكاسية عالية في الجزء تحت الحمراء من الطيف بواسطة الطبقة الأسفنجية الداخلية لأوراق النباتات الخضراء (Uchida,2001, Darwish et al,2004, Elhadi et al, 2009,)

يهدف البحث إلى دراسة تأثير تذبذب كمية الأمطار الساقطة على نمو الغطاء النباتي من خلال تحليل العلاقة بين كمية الأمطار الساقطة وتأثيرها على قيم دليل الاختلافات الخضرية NDVI للفترة من عام ١٩٨٥-٢٠١٠ في منطقة تلعفر الواقعة في شمال غرب العراق.

منطقة البحث

تقع منطقة الدراسة غرب مدينة الموصل ضمن الحدود الادارية لمحافظة نينوى بين خطي طول (0' 0' 42°) و (0' 0' 42°) شرقا ودائرتي عرض (0' 0' 36°) و (0' 0' 36°) شمالا وبمساحة كلية مقدارها () كم^٢، تتميز بكونها تقع ضمن المناطق الشبه جافة تختلف كمية الامطار الساقطة من سنة الى اخرى مع ارتفاع درجات الحرارة صيفا وانخفاضها شتاء. تعتبر مدينة تلعفر مركز منطقة الدراسة ، وتتميز بزراعة المحاصيل الدائمة وبشكل رئيسي محصولي الحنطة والشعير اعتمادا على مياه الامطار اضافة الى انتشار بعض المراعي فيها كما ينتشر فيها بعض التراكيب الجيولوجية مثل اشكفت وساسان وكصير، والشكل (١) يمثل موقع منطقة الدراسة بالنسبة لخارطة العراق ومحافظة نينوى.



الشكل (١) يمثل موقع منطقة الدراسة بالنسبة لخارطة العراق ومحافظه نينوى

الدراسة للفترة الزمنية البالغة ٢٤ سنة تمتد من عام

١٩٨٥ - ٢٠١٤ .

البيانات المستخدمة

١- بيانات القمر الصناعي الامريكي Landsat:

يستخدم دليل NDVI لتحديد التغير في الكتلة الحيوية، وتحديد وتقييم حالة التصحر نتيجة الجفاف والرعي الجائر عن طريق قياس الأشعة الطيفية المنعكسة الناجمة عن التفاعل بين النباتات والأشعة الساقطة عليها ضمن الأشعة تحت الحمراء القريبة، والأشعة المرئية الحمراء ففي مجال الأشعة الحمراء يكون امتصاص الأشعة من قبل النبات أعظمياً، ويرتبط هذا الامتصاص بكمية اليخضور في النباتات،

استخدمت في هذا البحث البيانات الرقمية للمتخسسات TM, ETM المحمولة على متن القمر الصناعي الأمريكي Landsat ، وتعتبر هذه البيانات ذو اهمية كبيرة في الدراسات البيئية واستعمالات الارض والغطاء النباتي لما تتميز به من تغطية كبيرة ومدى طيفي واسع ، وقد استخدم من هذه البيانات ما يصل الى ٢٤ بيان يغطي منطقة

فكلما كانت عملية التركيب الضوئي أشد كان الامتصاص أكبر والأشعة المنعكسة أقل مما يدل على كثافة الغطاء النباتي. أما في مجال الأشعة تحت الحمراء (NIR) فإن نسبة الأشعة المنعكسة تتناسب طرذاً مع كثافة النباتات، إذ يتبين أن النباتات الخضراء تعكس نسبة كبيرة من الأشعة تحت الحمراء القريبة الساقطة عليها (Xu et al., 2009). لغرض تحديد مناطق الغطاء النباتي والتغيرات الحاصلة فيه للفترة من (١٩٨٥ - ٢٠١٤) تم إعداد خرائط دليل الاختلافات الخضرية NDVI لمنطقة الدراسة للفترات المختلفة المأخوذة بها البيانات الفضائية باستخدام برنامج Arc Gis، حيث تم حساب هذا الدليل باستخدام المعادلة التالية:

$$NDVI = \frac{TMb4 - TMb3}{TMb4 + TMb3}$$

حيث b4: قيمة انعكاس الأشعة تحت الحمراء القريبة

b3: قيمة انعكاس الأشعة المرئية الحمراء

وتتراوح قيمة هذا الدليل من (-١ إلى +١). وكتيجة لحساب قيمة NDVI لكل المرئيات فإن القيم من (-١ إلى صفر) تمثل المعالم غير النباتية كالأراضي المتروكة والأراضي الحضرية والمياه، أما القيم التي هي (أكبر من صفر إلى +١) فهي تمثل الغطاء النباتي الموجود في منطقة الدراسة. وقد وجد (Nicholson et al, 1998) أنه في المناطق الجافة وشبه الجافة علاقة قوية بين قيمة NDVI وعدد من المعاملات مثل مؤشر مساحة الورقة الخضراء Greenleaf leaf area index والكتلة الحيوية biomass والغطاء النباتي vegetation cover وغيرها. كما أظهرت دراسة (Zhang, 1999) ان العلاقة قوية بين NDVI والغطاء النباتي حيث وصلت الى (R=٠.٧٣).

ولأجل حساب التغيرات الحاصلة في الغطاء النباتي للفترة من (١٩٨٥ - ٢٠١٤) فقد تم تصنيف قيم NDVI من خلال برنامج Arc Gis إلى أصناف تمثل كثافة الغطاء النباتي حيث تم تقسيم مناطق الغطاء النباتي إلى ثلاثة أصناف اعتماداً على قيم هذا

المعدلات السنوية لكمية الامطار المستخدمة في الدراسة.

طريقة البحث

استخدم دليل الاختلافات الخضرية NDVI من قبل كثير من الباحثين لدراسة التغيرات الحاصلة في الغطاء النباتي منهم (الحمد حسين و خيرو عائدة محمد ، ٢٠١٦ ، Ushida, Satochi, 2001 ،

Tucker et al 2005) حيث اوضحوا

امكانية مراقبة التصحر من خلال تحديد تدهور الاراضي وقلة الغطاء النباتي فيها بفعل التغير المناخي والنشاط البشري. تم في هذا البحث استخدام الغطاء النباتي ممثلا بقيم NDVI والمناخ ممثلا بكمية الامطار السنوية الساقطة في موسم النمو فقد تم استخدام البيانات الفضائية الملتقطة جميعها خلال شهر نيسان من كل عام وهو يمثل موسم النمو للغطاء النباتي في منطقة الدراسة وبالمقابل استخدمت معدلات الامطار السنوية الساقطة خلال فترة موسم النمو والى حد تاريخ التقاط البيانات الفضائية. تم في البداية استيراد كل البيانات الفضائية الى برنامج Arc Gis

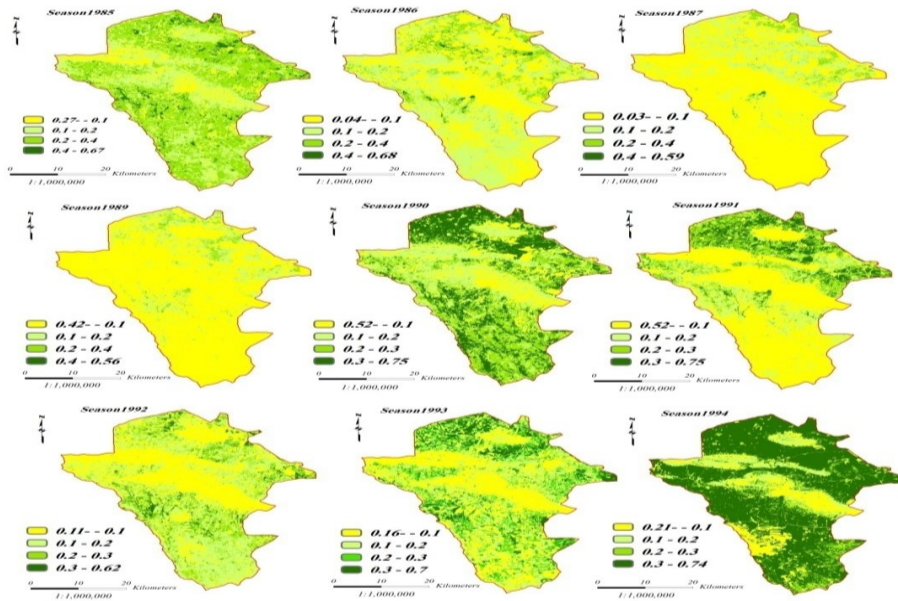
الدليل حيث اعتبرت المناطق التي لها قيمة NDVI من (٠.٠٢ إلى ٠.٢) ذات غطاء نباتي خفيف والمناطق ذات قيمة NDVI من (٠.٢١ إلى ٠.٤) ذات غطاء نباتي متوسط الكثافة والمناطق ذات قيمة NDVI أكثر من ٠.٤ ذات غطاء نباتي كثيف. والأشكال (٢، ٣، ٤) تمثل خرائط NDVI المصنفة .

٢- بيانات الامطار:

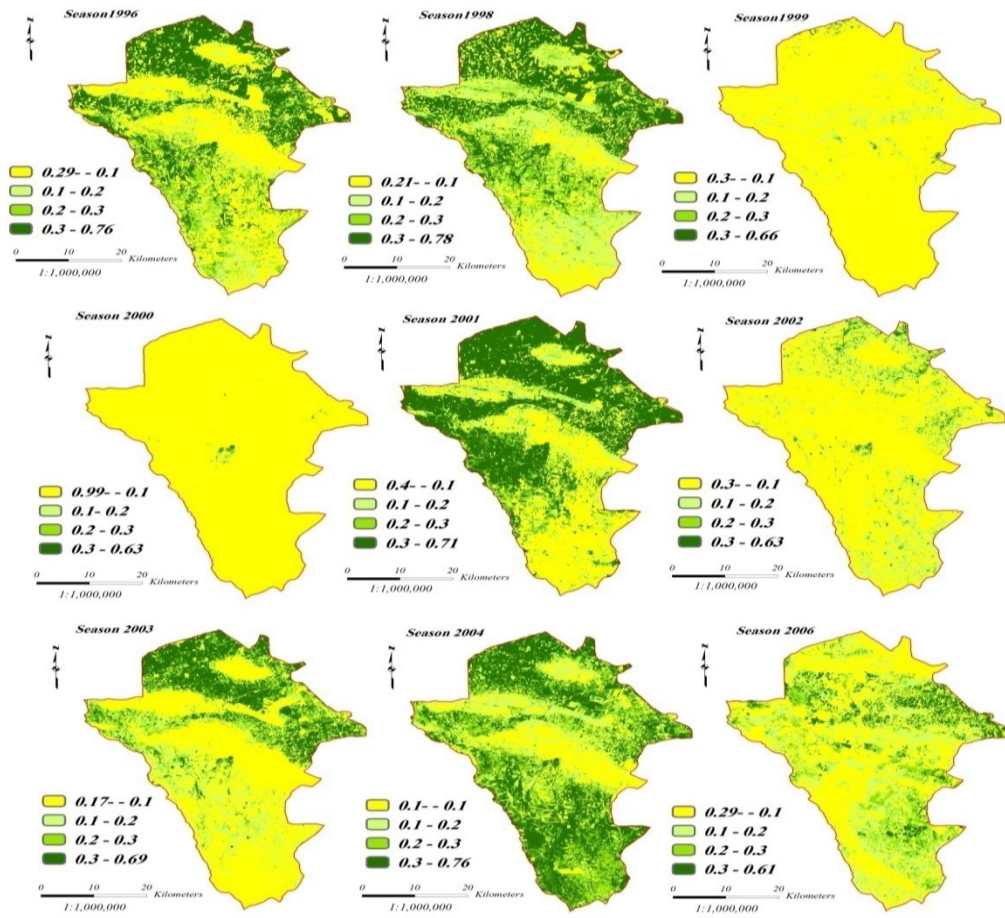
استخدمت في الدراسة بيانات الامطار الصادرة من محطة الانواء الجوية في تلعفر كونها تقع في منطقة الدراسة وللفترة الزمنية الممتدة منذ عام ١٩٨٥ وحتى عام ٢٠١٤ وهي الفترة المناظرة للفترة الزمنية المستخدمة فيها البيانات الفضائية وقد تم استخدام معدل الامطار السنوي لكل موسم والممتد من شهر ايلول وحتى يوم التقاط البيان الفضائي حتى يتم الحصول على نتائج دقيقة عند تحليل العلاقة بين كمية الامطار وقيم NDVI الناتجة لكل سنة من السنين المستخدمة في الدراسة والجدول (١) يوضح

وتم توحيد مساقط هذه البيانات الى مسقط ميركاتور المستعرض وحسب النطاق المخصص لمنطقة الدراسة وهو WGS_1984_UTM_Zone_38N (وتم استقطاع منطقة الدراسة على البيانات الفضائية بالاعتماد على ال file Shape الخاص بمنطقة الدراسة ثم تم انجاز مراحل البحث بالخطوات التالية: اولاً- حساب قيم NDVI واتاج خرائط الغطاء النباتي وتصنيفه الى ثلاث مستويات هي غطاء نباتي

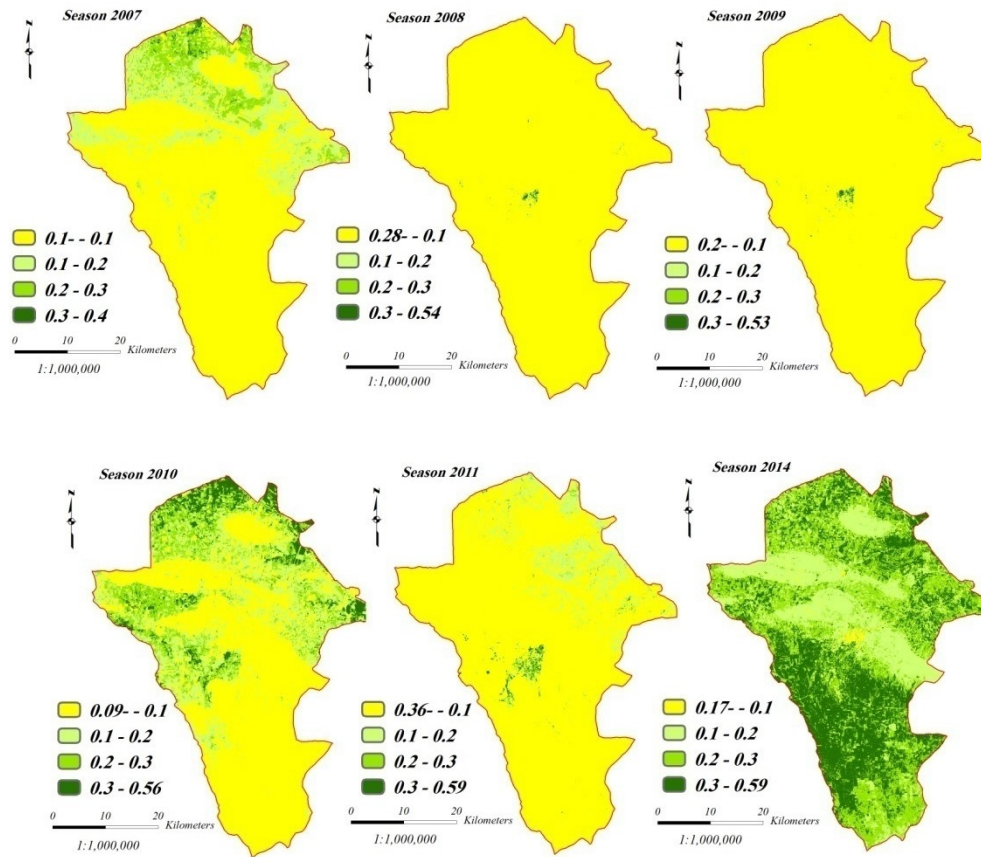
خفيف قيمة NDVI تتراوح من (0.02 – 0.2) وغطاء نباتي متوسط الكثافة قيمة NDVI تتراوح ما بين (0.2 – 0.4) وغطاء نباتي كثيف قيمة NDVI (اكثر من 0.4) والاشكال (٢، ٣، ٤) توضح ذلك، تم بعد ذلك حساب معدل قيم NDVI لكل سنة وتم تمثيل الاتجاه العام لقيم NDVI باستخدام برنامج Excel والشكل (٥) يوضح ذلك.



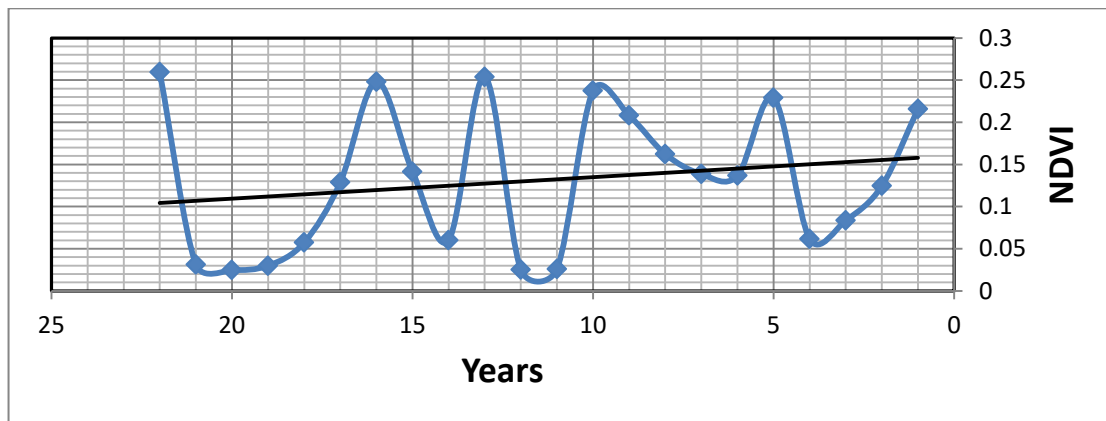
الشكل (٢) يوضح خرائط دليل الاختلافات الخضرية NDVI للسنوات من ١٩٨٥ – ١٩٩٤



الشكل (٣) يوضح خرائط دليل الاختلافات الخضرية NDVI للسنوات من ١٩٩٥ - ٢٠٠٦

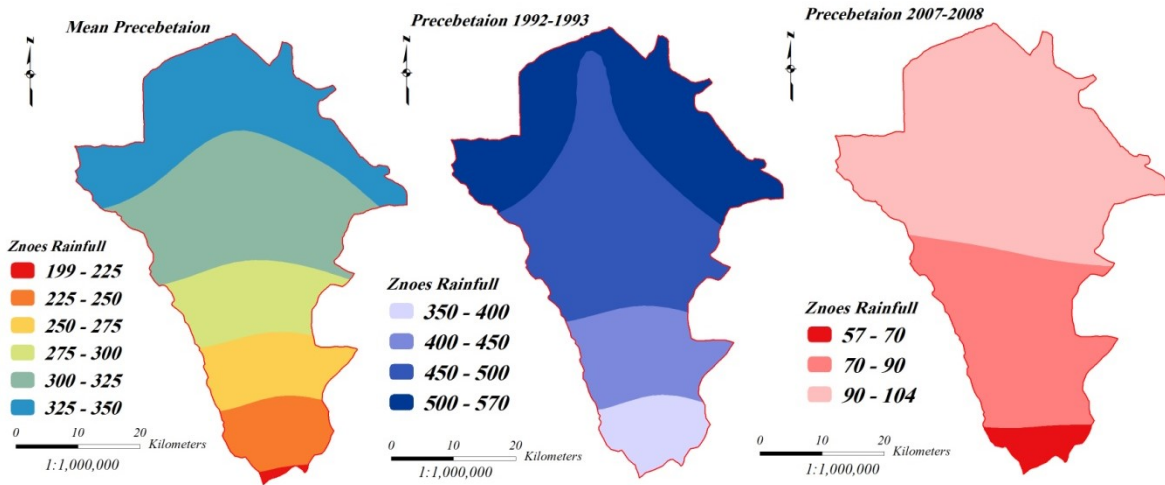


الشكل (٤) يوضح خرائط دليل الاختلافات الخضرية NDVI للسنوات من ٢٠١٤ - ٢٠٠٧

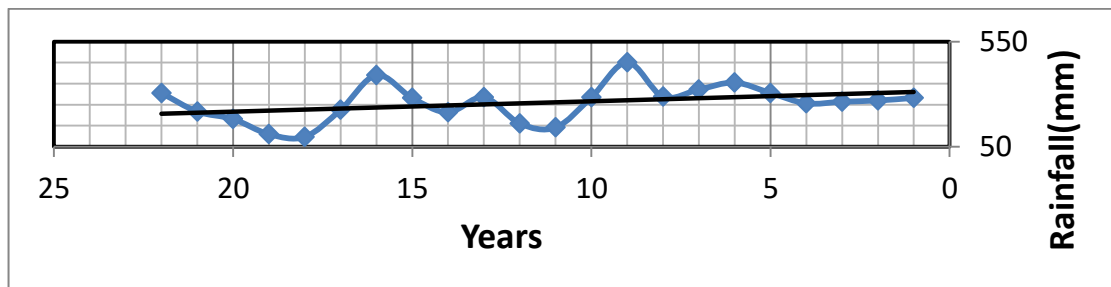


الشكل (٥) الاتجاه العام لقيم NDVI لمنطقة الدراسة للفترة من ١٩٨٥ - ٢٠١٤

ثانيا: رسم خرائط توزيع الامطار في منطقة الدراسة
 لسنين الدراسة المستخدمة ورسم خارطة المعدلات
 السنوية للامطار لسنين الدراسة والشكل (٦) يوضح
 نموذجين لسنة مطيرة (موسم ١٩٩٢-١٩٩٣) وسنة
 جافة (موسم ٢٠٠٧-٢٠٠٨) ثم تم حساب الاتجاه
 العام لمعدل الامطار السنوي خلال فترة النمو من الفترة
 الممتدة ما بين (١٩٨٥ - ٢٠١٤) والشكل (٧)
 يمثل تحليل الاتجاه العام للامطار خلال فترة الدراسة.

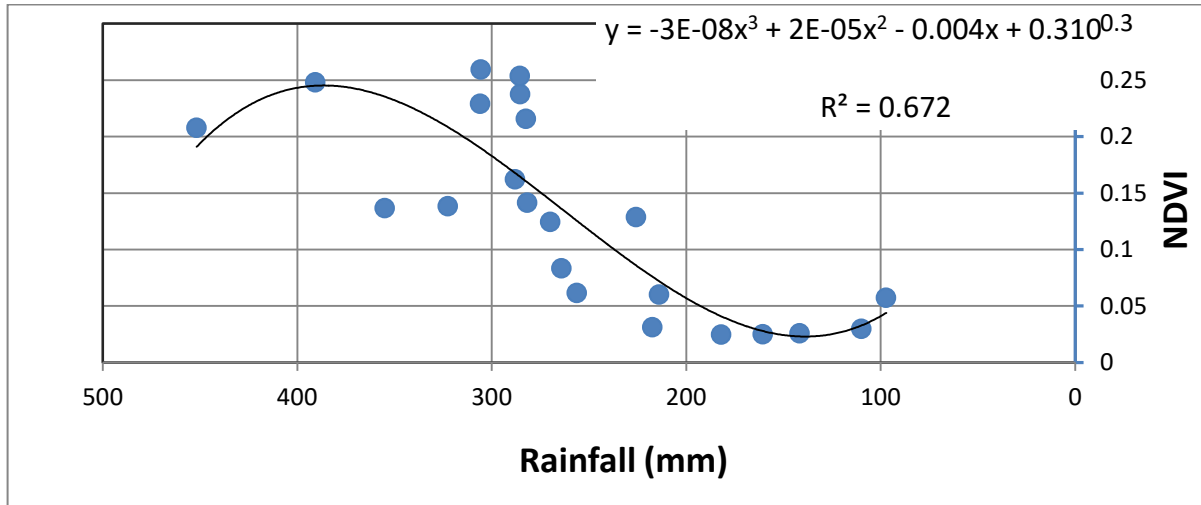


الشكل (٦) يوضح نموذجين لسنة مطيرة (١٩٩٢-١٩٩٣) وسنة جافة (٢٠٠٧-٢٠٠٨)



الشكل (٧) الاتجاه العام لقيم الساقط المطري لمنطقة الدراسة للفترة من ١٩٨٥ - ٢٠١٤

ثالثاً: تحليل العلاقة بين الغطاء النباتي وكمية الامطار السنوية الساقطة لفترة الدراسة الممتدة ما بين (١٩٨٥ - ٢٠١٠) وإيجاد معامل الارتباط بينهما واستخدام معادلات الانحدار لإيجاد الموديل الرياضي المناسب الذي يمكن استخدامه في التنبؤ بقيم NDVI بالاعتماد على قيم الساقط المطري وكما موضح في الشكل (٨) .



الشكل (٨) يبين النموذج الرياضي المقترح للعلاقة بين قيم NDVI وكمية الامطار الساقطة

النتائج والمناقشة

هناك سنوات رطبة وصلت كمية الامطار الساقطة الى

(٤٥١،٨) ملم في موسم ٢٠٠٦-٢٠٠٧ وبين الشكل

(٦) الانماط المكانية لتوزيع المعدلات السنوية للامطار

الساقطة خلال موسم النمو ابتداءً من شهر ايلول

وحتى شهر نيسان فترة التقاط البيانات الفضائية للفترة

الزمنية المذكورة في اعلاه حيث يتضح من الشكل ان

الامطار الساقطة تتركز في شمال منطقة الدراسة حيث

يتضح من الشكل (٧) الذي يمثل الاتجاه العام للساقط

المطري خلال فترة الدراسة الممتدة بين عامي (

١٩٨٥ - ٢٠١٤) تذبذب معدل الامطار السنوية

الساقطة على منطقة الدراسة فيلاحظ ان هناك

سنوات جفاف وصلت كمية الامطار فيها الى

(٩٧،١) ملم في موسم ١٩٩٥-١٩٩٦ وفي المقابل

$$Y = \text{NDVI}$$

$$X = \text{الساقط المطري السنوي}$$

والجدول رقم (١) يوضح قيم NDVI المحسوبة باستخدام النموذج الرياضي المقترح ، ويتضح من الجدول انه بالرغم من وجود بعض الفروقات بين القيم المحسوبة والقيم الحقيقية ل NDVI والتي قد تكون بتأثير عوامل اخرى مثل درجات الحرارة والتبخر وخواص التربة الا ان النتائج النهائية تدل على إمكانية استخدام النماذج الرياضية في التنبؤ بكمية الغطاء النباتي في منطقة الدراسة بالاعتماد على قيم الساقط المطري فيها .

الاستنتاجات

ان بيانات الاقمار الصناعية landsat يمكن ان تكون مفيدة في مراقبة تدهور الغطاء النباتي ومراقبة تدهور الاراضي والتصحر بسبب التأثيرات المناخية لما لها من إمكانية عالية في المراقبة لمساحات واسعة وبأوقات مختلفة من السنة وبقدرة تمييزية عالية وبأطوال موجية مختلفة . وقد اظهرت علاقة الارتباط بين دليل الاختلافات الخضرية NDVI وكمية الامطار

تكون قريبة من المناطق المضمونة الامطار ثم تتناقص تدريجيا باتجاه الجنوب حيث تكون ضمن المناطق الشبه جافة . وعند ملاحظة الشكل (٥) الخاص بالاتجاه العام لقيم NDVI مع الفترة الزمنية المستخدمة في الدراسة والاشكال (٢ و٣ و٤) الخاصة بالتوزيع المكاني للغطاء النباتي في منطقة الدراسة نجد انها تتوافق مع تذبذب كميات الامطار الساقطة في السنين المختلفة اضافة الى توزيعها المكاني فنلاحظ تركيز الغطاء النباتي في شمال المنطقة ثم يقل تدريجيا باتجاه جنوب منطقة الدراسة . وهذا دفعنا الى استنباط موديل رياضي يمثل العلاقة بين هذين المتغيرين (الامطار وقيم NDVI) وقد تبين من خلال التحليلات الاحصائية ان الموديل الرياضي المتعدد الحدود Polynomial ذات الرتبة الثالثة اكثر تمثيلا للعلاقة بين المتغيرين اذ بلغت قيمة معامل الارتباط R^2 (٠.٦٧٢) ، الشكل (٨) . وفي ادناه الموديل الرياضي المقترح لحساب قيم NDVI اعتمادا على معدلات الساقط المطري السنوي:

$$Y = -3E - 08x^3 + 2E - 05x^2 - 0.004x + 0.310$$

الساقطة في منطقة الدراسة ان التأثير المناخي متمثلاً
 الجفاف وتعميق البحث العلمي لايجاد افضل الطرق
 بالامطار له تأثير قوي على نمو الغطاء النباتي اضافة
 لمعالجة تدهور التربة وزيادة انتاجيتها والتقليل او الحد
 الى تأثيرات العوامل الاخرى وان كمية الامطار في
 من ظاهرة التصحر التي بدأت تشغل العالم في الوقت
 تناقص مستمر لذا يتوجب القيام ببرنامج متكامل
 للمحافظة على الموارد الطبيعية المتجددة والتي تشمل
 جدول (١) يوضح قيم معدلات الامطار السنوية وقيم
 التربة والنبات والمياه من خلال اقامة مشاريع حصاد
 NDVI الحقيقية والحسوبة من النموذج الرياضي
 المقترح

السنين	معدل الامطار السنوي ملم	قيم NDVI الحقيقية	قيم NDVI الحسوبة	الفرق
84-85	282.4	0.215838	0.099755233	0.116083
85-86	269.9	0.124535	0.097486057	0.027049
86-87	264.1	0.083525	0.095956378	0.01243
88-89	256.2	0.061549	0.09347175	0.03192
89-90	305.8	0.228984	0.099178667	0.129805
90-91	354.9	0.136708	0.068447856	0.06826
91-92	322.5	0.138486	0.093864531	0.044621
92-93	288	0.16216	0.10024384	0.061916
95-96	451.8	0.207949	-0.181421595	0.026527
97-98	285.3	0.237526	0.100052666	0.137473
98-99	141.6	0.025819	0.059436421	0.03362
99-2000	160.6	0.025139	0.05917961	0.03404
2000-2001	285.4	0.253718	0.100061244	0.153657
2001-2002	213.8	0.060149	0.075822038	0.01567
2002-2003	281.7	0.141452	0.099669625	0.041782
2003-2004	390.6	0.247981	0.011171158	0.23681
2005-2006	225.7	0.1287	0.081091742	0.047608
2006-2007	97.1	0.057259	0.082703242	0.02544
2007-2008	109.8	0.029816	0.072208204	0.04239
2008-2009	181.9	0.024751	0.063593112	0.03884
2010-2011	217.3	0.031358	0.077363248	0.04601
2013-2014	305.5	0.259294	0.099233259	0.160061

المصادر

١. السعدون عاطف لافي، الزبيدي حسن لطيف، نجيت حيدر نعمة ٢٠١٧. التنمية والتغير المناخي في العراق. مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة واسط، كلية الادارة والاقتصاد، العدد ٢٦.
٢. الجبوري خالد صطم، ٢٠١٧. اثر التغيرات المناخية على تنمية الغطاء النباتي الطبيعي في محافظة نينوى، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم الجغرافية، ٣٥٩ صفحة.
٣. الحمامة فرج غنام، ٢٠٠٣. اثر المناخ والسطح على النبات الطبيعي في منطقة الحليل (دراسة في دينامية البيئة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
٤. شلال جاسم خلف، الحسن عباس مهدي وجاسم عبد الكريم محمد، ٢٠٠٧. استخدام دليل الاختلافات الخضرية الطبيعي (NDVI) في تحديد وتقييم حالة التدهور للغطاء النباتي في منطقة جبل سنجار محافظة نينوى. المجلة العراقية لعلوم الارض ، المجلد ٧، العدد ٢.
5. Bader, Maaik, 2000. Productivity- Biodiversity Patterns – a Study Using Multi temporal Landsat TM NDVI Data for the Alice Springs Region. Center for Geo-information, WUR, Wageningen, Thesis Report GIRS – 2000 -28 – MB.
6. Cui, Li, 2008. Research on Monitoring the Changes of Desertification Based on Remote Sensing. The International Archives of the Photogrammetry, Remote Sensing and Spatial Information Sciences, Vol. xxxVII. Part B7, Beijing.
7. Darwish Talal, Foaour, Ghaleb, Khawlie Mohamad, 2004. Assessing Soil Degradation by Landuse-Cover Change in Coastal Lebanon. Lebanese Science Journal. Vol. 5, No. 1.
8. Elhadi, Altahir Mohd, Zamrawi, Nagi, Guangdao, Hu, 2009. Landscape Chang and Sandy Desertification Monitoring and assessment. American Journal of Environmental Sciences 5(5): 633-638.

9. Nicholson S. E; Tucker C. J and Ba M. B (1998) Desertification, drought, and surface vegetation: an example from the West African Sahel. Bulletin of the American Meteorological Society, 79: 1–15
10. Ritter Travis, 2006. Drought and its effect on vegetation, Comparison of Landsat NDVI for drought and non-drought years related to landuse landcover classification. Class website: [http:// www. Utsa.edu / LRSG/ Teaching/ teaching. Htm](http://www.Utsa.edu/LRSG/Teaching/teaching.Htm). Department of earth and environmental science, university of Texas, at Sanantonio.
11. Tucker, C. J., Anymba, A. and Gonzales, P. 2005. Monitoring of Land degradation and desertification dynamics using Coarse-Scale Satellite Data. Remote Sensing and geoinformation processing in the Assessment and monitoring of Land Degradation and Desertification, Trier, Germany.
12. UNCCD (United Nations Convention to Combat Desertification), 2014. World Day to Combat Desertification. UN Campus, Hermann-Ehlers-Stress 10, 53113 Bonn, Germany.
13. Ushida, Satochi, 2001. Discrimination of Agricultural Land use Using Multi-temporal NDVI Data. 22nd Asian Conference on Remote Sensing, 5-9 November 2001, Singapore.
14. Zhang Y (1999) A new merging method and its spectral and spatial effects. *International Journal of Remote Sensing*, 29: 2003-2014.
15. Xu D; Kang X; Qiu D; Zhuang D; and Pan J (2009). Quantitative assessment of desertification using landsat data on a regional Scale A case study in the Ordos lateaus, China. *Journal of Arid Environments*, 9: 1738-1753.

الاتجاهات المعاصرة في الجغرافيا

(نحو تفكير تطبيقي واعد)

د. د. رياض كاظم سلمان الجميلي

الملخص

تأثر علم الجغرافيا بالعديد من المتغيرات على مستوى المنهج والتفكير عبر تاريخ تطوره العلمي الموعول بالقدم ، الا ان القرن العشرين مثل انعطافه جوهري في تاريخ هذا العلم وتوجهاته البحثية والتي تمخضت عن ظهور الاتجاه التطبيقي في فلسفة الجغرافيا المعاصرة الذي اقترن بالثورة المعلوماتية الهائلة التي يشهدها عالمنا اليوم وما نتج عنها من مظاهر تكنولوجية عديدة ساهمت في بلورة الجوانب التطبيقية في الجغرافيا المعاصرة ، لقد اشتركت العديد من المؤهلات والمرتكزات الرئيسة في بروز هذا التوجه العلمي الحساس في المنهج الجغرافي المعاصر جاء في مقدمتها الأهمية العلمية للبحوث الجغرافية ومساهمتها الفاعلة في خدمة المجتمع فضلاً عن طبيعة النتائج الجغرافية – التطبيقية التي اتسمت بالدقة والموضوعية والرقمية في فهم للمتغيرات الجغرافية ، مما جعل من مستقبل هذا التوجه هو الحاكم في تطور علم الجغرافيا واساليبها البحثية

Contemporary trends in geography

(Towards a promising practical thinking)

Prof.Dr. Riya Kazem Salman Al. Jumaili

Abstract

The 20th century was a major turning point in the history of this science and its research orientations, which resulted in the emergence of the applied trend in the philosophy of contemporary geography, which was accompanied by the tremendous information revolution that is taking place in our world today and what Which resulted in the manifestations of technology contributed to many of the crystallization of the applied aspects in contemporary geography,

has participated many of the qualifications and major elements in the emergence of this scientific trend sensitive in the contemporary geographical approach, foremost scientific importance For geographical research and its active contribution to the service of society as well as the nature of geo-applied results, which were characterized by accuracy, objectivity and digital understanding of geographical variables, making the future of this trend is the ruler in the development of geography and research methods.

المقدمة

علمه وتخصصه وما ينبغي أن يكون عليه أمر شغل الكثير من المهتمين في حقل العلوم الجغرافية وإمكانية تكيفها إلى آليات الحداثة والتقانة المعاصرة ، وبالفعل بذلت جهودا كبيرة في هذا المجال ابتداء من منتصف القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر طورت الجغرافيا من خلالها أدوات عملها وتفهم الجغرافي حيزه المكاني والبحشي أكثر من ايه وقت مضى ، ولكن الأمر لا زال غير واضح المعالم في شأن الوقوف على الأسباب الحقيقة وراء تطور الفكر الجغرافي المعاصر وما هي الدوافع الذاتية والموضوعية التي دفعت بالمختصين بعلم الجغرافية للتفكير بجدية عالية في تكيف رؤى البحث الجغرافي مع طبيعة المتغيرات المكانية المحيطة ، وللإجابة على هذا التساؤل المحوري حري بنا أن نتوخى الدقة في عملية تفسير خطى البحث الجغرافي المعاصر وما يبتغيه الجغرافي من رؤية جديد يعتقد بأنها تمكنه من بلوغ مبتغاة ، وهنا يمكن البدء بالعامل

لاشك بان العلوم الجغرافية تشهد تطورا ملموسا في الوقت الحاضر على صعيد المنهج والمعلومة ولم تبقى أسباب هذا التطور خافية على احد من الجغرافيين وغيرهم وإذا لم نريد أن نعزوها لشي فحجم التطور التكنولوجي والفني الذي يعيشه عالمنا اليوم وما أنتج من صور ومتغيرات وأساليب وخبرات وتكنولوجيا قادرة على تغير صورته من حولنا من جانب سوف تلزم الكثير من الجغرافيين بالتعامل مع أساليبها وتقنياتها في رؤيتنا للظواهر الجغرافية المتنوعة وطرق تحليلها والتعامل معها علميا على الأقل من جانب آخر، وقد تبدوا الصورة بهذا المشهد للكثيرين ، ولكن الحقيقة تخفي بين طياتها مشاهد أخرى متعددة جعلت من الجغرافي مضطرا لانتهاج أساليب جغرافية أحدث والتعامل مع الجغرافيا المعاصرة بطرق اشد ربطا وأكثر جدية من ذي قبل فتغير نظرا الجغرافي المعاصر إلى

المعسكر الجغرافي الكلاسيكي الذي يرى بأن هذه المحاولات ما هي إلا تجميل لصورة البحث الجغرافي والذهاب به إلى وجهه غير معلومة تنتهي هذه المحاولات بموت الجغرافيا وتشتتها واتجاه محدث يوظف التقنية التكنولوجية محاولاً ترسيخ الجوانب التطبيقية وإبراز نتائجها على وجه الجغرافيا الناصع مما يجعل باب الجدل مفتوحاً على مصراعيه في الفلسفة التي تقوم عليها الجغرافيا المعاصرة ، لذا جاء هذا البحث كمحاولة جادة في تفهم فلسفة الجغرافيا المعاصرة التي نحتاجها اليوم وعلى أي اتجاه وفلسفة يجب ان تكون

١. مشكلة الدراسة ومسوغاتها:

تقع مشكلة الدراسة ومسوغاتها في التساؤل الذي مفاده (لما كانت الجغرافيا كعلم يتغير بتغير فكر الانسان وادواته فهل هذا التغير اتبع اتجاهات حديثة في التفكير الجغرافي) ومن هنا تنبثق الفروض العلمية للدراسة على ابراز دور الجغرافيا المعاصرة وانجازاتها العلمية في المجتمعات التي ادركت أهميتها واستطاع مختصوها بتقديمها بوصفها علم حيوي له قائم على الأسباب والنتائج بعيداً عن الوصف الجرد والتكهنات الفضفاضة .

٢. اهداف الدراسة ومبتغاها:

الذاتي (النفسي) الذي عايشه الجغرافيون حيال نظرة الغير لتخصصهم وطبيعة التهم التي حفت بالجغرافية الكلاسيكية (الوصفية) كونها غير قادرة على إعطاء نتائج دقيقة في موضوعاتها من ناحية وتارة تراها متطفلة على غير اختصاصها بل عاجزة عن خدمة مجتمعها من ناحية تقديم الحلول والمعالجات ؟ لأمر الذي دفع بالجغرافيين المعاصرين إلى درء الشبهات عن جغرافيتهم الأم بشتى الوسائل والسبل والأخذ بيد الجغرافية نحو الوجهة التطبيقية والمساهمة الفاعلة في خدمة المجتمع على مختلف الميادين وهكذا برز أكثر من ميدان للجغرافيا وعلى مختلف الأصعدة فعلى الصعيد النظري عكف فلاسفة الجغرافيا على تعديل المفاهيم العامة وبعض الجوانب الأصولية للتلائم مع تطلعاتها المستقبلية ، أما على الصعيد الميداني (التطبيقي) الفعلي فقد ساهمت الجغرافية في تقديم حلول مرضية للمجتمع من خلال دراسة ومعالجة وتشخيص المشاكل وجذب أنظار الباحثين للمشاركة في حلها ، كل هذه العوامل وغيرها أحدثت ثورة فلسفية في إطار الفكر الجغرافي العام ساقطت الجغرافيين إلى المشاركة الفاعلة والحقيقة في خدمة مجتمعاتهم على كافة ميادين عملهم وتخصصاتهم الدقيقة ، ولكون الاتجاه التطبيقي في الجغرافية منعطفاً منهجياً جديداً اخذ ينتابه الكثير من الغموض وتباين وجهات النظر من

- بيان حال الجدلية العلمية التي تعيشها النخبة من المختصون في علم الجغرافيا حيال الطبيعة العلمية التي يجب ان تكون عليها الجغرافيا المعاصرة.
- توضيح أهمية فكرة الجغرافيا المعاصرة بوصفها النموذج الذي يجب ان تكون عليه الجغرافيا في الوقت الحاضر.
- ابراز أهمية الجانب التطبيقي في الجغرافيا المعاصرة كونه ينقلها من حيز التنظير والهامشية الى حقول التطبيق والاستثمار المجتمعي.
- تسليط الضوء على التقنيات الحديثة الذي يتصف به الجانب التطبيقي في الجغرافيا.

اولا: ملامح الفكر الجغرافي خلال القرنين التاسع عشر والقرن العشرين

بدأ تاريخ الجغرافيا ببداية تاريخ الإنسان على النحو الذي لا يقبل الشك ، ورافقت المعارف الجغرافية وليدها الإنسان في جميع الظروف والمراحل التي تعاقبت عليه وهو يعيش بكنفها ويتفاعل معها سواء كان مدركا لذلك التفاعل أم لم يكن ، فقد ترجم الإنسان الجغرافيا قديما بأنها الأرض والماء والكله وكل ما يحيط به من طبيعة ، وهذا الفهم نابع من إدراك الإنسان لأهمية الإطار المكاني الذي يعيش فيه ما أن تقدم رصيد الإنسان الحضاري على صعيد الرؤية والتفاعل ضمن محيط بيئته حتى باتت رؤيته للمحيط والظواهر تتغير من حين إلى آخر بتغير هذا المحيط نفسه واختلاف صور تفاعل الإنسان معه عبر الزمن ، لذا فإن التبع التاريخي لتطور العلوم الجغرافية ضمن هذه الرؤية المنهجية يطول الكلام فيه ، ولكن المهم هنا

٣. المنهجية الدراسة المتبعة:

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي والاستقرائي في الوقوف على أصل المعلومة الجغرافية واخضاعها الى استقراء هو المنهج الأبرز الذي تعتمد عليه الدراسة في الوصول الى الحقائق من وجهه نظر الباحث على الأقل.

٤. هيكلية الدراسة:

وقعت الدراسة في ستة مباحث تناول الأول ملامح الفكر الجغرافي خلال القرن العشرين فيما بحث الثاني الإجابة على السؤال الذي مفاده لماذا الجغرافيا

منه الجغرافيا الا مزيد من العزلة والهامشية وانتفاع الغير منها دون الإشارة الى حجم ذلك الانتفاع ، ولكن ما ان بزغ فجر القرن العشرين حتى ظهرت العديد من الأفكار الجغرافيا الحديثة التي تقدم تفسيراً منطقياً للجغرافيا وتغيير النظرة العلمية لها ومحاولة فك الارتباط التطفلي بينها وبين علوم قريبة منها الى درجة كبيرة كالتربة والجيولوجيا والاقتصاد وضفاء صفة الحيز المنطقي لمتغيراتها وإبراز معالمها الفكرية وتاجاتها العملية كنتاج جغرافي بحت وظهر ذلك على يد كل من الإنكليزي جون دي (John Dee) الذي طور فكرة النظر الى الكرة الأرضية في إنجلترا سنة ١٥٤٧م واستفاد منها الجغرافيون فيما بعد ، وقد ساهمت أفكار الجغرافي الأمريكي هربرتسون ١٩٠٥م في ترسيخ مبدأ الإقليمية في الفكرة الجغرافي ، بينما تطور الألماني راتزل ضرورة تعليل كل مظهر طبيعي للأرض وكل نشاط بشري للإنسان ايدته في ذلك الفرنسي ديمولين فيما عدل على اصل هذه الفكرة العالم الفرنسي الكبير فيدال دي لا بلاش الذي ذهب الى قوة الابتكار التي يمتلكها الانسان والتي يمكن يهزم بها قوة الطبيعة كل هذه الأفكار والنظريات الحديثة ساهمت في ان يكون علم الجغرافيا علماً مبنياً على الأسباب والنتائج وتبنى كل نظرياته الحاضرة والمستقبلية في ضوء هذه الحقيقة (ستامب ، ١٩٣٩.ص٧-١٢) فقد تصدرت صورة

استعراض كيفية تطور الحقيقة الجغرافية لدى الجغرافيون انفسهم عبر تزامنهم مع حجم التطور الحضاري الذي شهده ويشهده العالم منذ القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر ، لقد سيطرت الكثير من الأفكار والنظريات القديمة على الفكر الجغرافي ردحاً من الزمن وصبغته بصبغتها وفلسفتها التي تقوم على فكرتين أساسيتين مفادها ان الجغرافية تقدم وصفاً لسطح الأرض فضلاً عن كونها حلقة تلتقي عندها علوم شتى كالجيولوجيا وعلم النبات والارصاد الجوي والاقتصاد وغيرها (ستامب ، ١٩٣٩.ص٥) وهذه الأفكار سادت لفترة طويلة لتفسير معنى (الجغرافيا) وهي اليوم محط اشكال كبير لدى الجغرافيون لأسباب كبيرة منها ان الجغرافيا لا تمثل مجرد وصفاً لمعالم سطح الأرض واليوم تقوم بهذا الدور المريتات الفضائية والصور الجوية المأخوذة من الأقمار الاصطناعية وعلى الرغم من ذلك فالحاجة قائمة الى المعرفة الجغرافية وبشدة ، وكذلك اقتصار دور الجغرافية وتحديد وظيفتها في كونها نقطة التقاء للعلوم مختلفة هو امر غير منطقي بحساباتنا اليوم كون كل العلوم وليست الجغرافيا وحدها تلتقي بدائرة واحدة ولكن نقطة الالتقاء هي بالأساس تمثل الحد الفاصل بين علم واخر ومتغيراتها وليست نقطة اندماج وانصهار يذوب فيها الحيز المعرفي لكل علم ، وظل هذا النوع من الأفكار يسود المنطق الجغرافي الذي لم تجني

العلاقات القائمة بين البيئة البشرية والبيئة الطبيعية
مشهد القرن التاسع عشر وقد كان السبب في ذلك
تأثر الفكر الجغرافي بنظرية دارون للتطور التي تحاول
إيجاد الربط بين الانسان والبيئة
(Margit ,et.al,2015.89) ولا تخفى جهود
كل من ريتز وهوبولت التي نصبت على إعطاء
شخصية معنوية للعلوم الجغرافية التي انغمست بمعارف
وعلوم شتى مما افقدها أهميتها وكيانها بل وحتى
منهجها ويعود لهما الفضل في هيكله الجغرافية الحديثة
(الحفاف ، ٢٠١٧، ص١١٤) فيما قدم هارفي عام
١٩٦٩م نموذج للفهم الجغرافي ركز فيه على مبدأ
التفسير باعتباره الهدف الأساسي للنشاط العلمي
وتمثل الوسائل الأساسية في تحقيقه العديد من القوانين
والنظريات والنماذج المفاهيمية الموجهة لذلك التفسير ،
مع ان هارفي كان متأثر بالماركسية والتوجهات
الراдикаلية في فهمه لطبيعة الجغرافية
(Zbyszko,2011,9) وقد فتحت هذه الأفكار
والتوجهات الباب امام ظهور التفاسير المختلفة اتجاه
ابعاد الجغرافيا ومناهجها الفلسفية على مصراعيه ،
وهنا يمكن القول بان هيكلية علم الجغرافيا اتضحت
بشكل جلي وبات يعرف الجغرافيون بها خلال القرن
التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من تدبر في
الواقع الإنساني للعالم المتضمن الوضع السياسي
والاقتصادي والتقني الذي شهد انعطافه كبيرة بعد
الحرب العالمية الثانية التي استيقظ منها العالم منهكاً
اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ولكنه الشيء الوحيد
الذي ايقنه هو ضرورة التمسك بالعلوم التطبيقية التي
لها القدرة على تحويل الفكر الى انتاج بعد ان دمرت
الحرب كل شيء وهنا كان للأفكار الجغرافية حيزاً
تطبيقياً واضحاً تقدم به الجغرافيون لدولهم كحلول
بديلة للمشكلات البيئية والسكانية والحضرية التي
لاقت استحسان الخطط التنموية في كافة المجالات
واولى ثمار هذه النتائج ظهرت في المانيا بعد الحرب ،
ان غاية الجغرافيا هي المساهمة في خدمة مجتمعاتها
ولكي تستطيع من إيصال صوتها وتقديم حلولها لآبد
لها ان تتجه سبيلاً علمياً واضح المعالم وقابل للتنفيذ
وطبع للاختبار فسرعان ما تغيرت رؤية الجغرافيا
لنفسها اعتماداً على مصداقية المجتمع العلمي بها فقد
تبدل وضعها تماماً عند ظهور الثورة الكمية
والمعلوماتية واخذت مناهجها تتأقلم بسرعة مع الوضع
الكمي الجديد القائم على المعلومة ودقتها وسرعة
تداولها (ينسن، ١٩٩٨، ص١٧١) وفي ضوء هذه
العقيدة الجديدة طورت الجغرافيا موضوعاتها وبدأت
بإنتاج المعلومات المكانية بصيغة تتلائم مع الثورة الكمية

ثانياً: لماذا الجغرافيا المعاصرة

الجديدة ، ويعد مفهوم التحول والتغير الإيجابي
 خصيصة مهمة من خصائص الجغرافيا المعاصرة
 (Kostas, 2011, 22) فمفهوم الجغرافيا
 المعاصرة *Contemporary Geography*
 الذي ظهر في كتابات الجغرافيون في الربع الأخير من
 القرن العشرين ما هو الا دعوة علمية لجميع ذوي
 الاختصاص بضرورة تفهم الواقع العلمي الجديد
 للجغرافيا الذي تعيشه في ضل تطور سريع لأنظمة
 الحياة التي تتج عنها كم هائل من المعلومات التي تدفق
 بسرعة الضوء والجغرافيا واحدة من ابرز تلك العلوم
 المصدرية المساهمة في انتاج هذه المعلومات وثورتها
 الكمية .

ثالثاً: تطور الاتجاه التطبيقي في الجغرافيا المعاصرة

يبدو واضحاً إنَّ الاتجاه الحديث الذي سلكته الأبحاث
 والدراسات الجغرافية ضمن مسيرة تطورها والتركيز
 بشكل ملفت للنظر على الجانب التطبيقي
 Applied هو وسيلة من وسائل المشاركة وإبراز
 القدرات الجغرافية في الميدان العملي والمنافسة العلمية
 المشروعة القائمة بين العلوم ، وقد بدا هذا الاتجاه يمثل
 منهجاً حديثاً ضمن مناهج الجغرافيا الذي يؤكد على
 تسخير الخبرات الجغرافية في خدمة المجتمع بشكل
 مباشر من خلال دراسة ظاهرة أو مجموعة من

الظواهر الجغرافية التي تشكل مجد ذاتها مشاكل تواجه
 الإنسان ، أو ثروة قومية يمكن المشاركة في تنميتها
 إقليمياً ، وإذا كان جغرافيو أواخر القرن الثامن عشر
 قد طوروا الجزء الأكبر من المفاهيم النظرية لعلم
 الجغرافيا الجديد، فان تحويل أفكارهم وأهدافهم
 ورغباتهم إلى حقائق، يعود الفضل فيه إلى حد كبير
 الى الباحث (الكسندر فون همبولدت
 Alexander Von Humboldt) و(كارل
 ريتز Carl Ritter) والذان وضعوا العديد من
 الحقائق الاستثنائية للجغرافيا المعاصرة لتخدم علم
 الجغرافيا في كل البلدان (هارتشنون ، ١٩٨٤ : ٧٠) .
 هذا الأسلوب الجديد في البحث الجغرافي أطلق عليه
 فيما بعد بالجغرافية التطبيقية Applied
 Geography) ، وخضع هذا المفهوم للعديد
 من التفسيرات نذكر منها : بأنها الوسيلة التي تهدف
 إلى إيجاد الحلول المثالية والمناسبة للمشاكل المدروسة
 بهدف معالجة أخطائها وتصحيح مسارها لتخدم
 المجتمع بشكل أفضل (رمضان ، وزميلة، ٢٠٠٨ :
 ١٠)، وعرفت أيضاً بأنها تطبيق الأساليب والطرق
 الفنية (التكنيك) على المشاكل المعاصرة للمجتمع ،
 ومعنى أدق تطبيق المسح والتحليل الجغرافي على
 الاحتياجات القومية والاجتماعية والتجارية
 والعسكرية (حسن ، ١٩٨٢ : ١٦٦) و يرى آخرون

من خلاله الأبحاث الجغرافية صلة وطيدة بالمجتمع ويستند هذا المفهوم من محورين أساسيين الأول معالجة الأبحاث الجغرافية مشاكل مركبة وكبيرة وصولاً بها إلى سبل ومعالجات حتمية ، أما المحور الثاني فيتركز على مقدار ما تقدمه الخبرات الجغرافية وتسهم به في محور من محاور التنمية ، وعلى هذا الأساس ظهرت فروع جديدة في الجغرافية تعنى بدراسة عملية التنمية من منظور متركزاتها الجغرافية تحمل مسميات عدة منها جغرافية التنمية والجغرافية الإسكان وجغرافية الصحة وغيرها التي أخذت على عاتقها تبني الدراسات التطبيقية المرتبطة بالتنمية .

٢ . تقديم نتائج دقيقة للمشكلة المبحوثة:

يشترط في البحث الجغرافي التطبيقي أن يتمخض عنه نتائج دقيقة يمكن توظيفها في وضع حلول معينة ناجحة تتلاءم مع طبيعة المشكلة على أرض الواقع، ويمكن القول بأن المناهج الجغرافية الحديثة أتاحت الفرصة كاملة أمام الجغرافيين في الوصول بأبحاثهم إلى نتائج دقيقة والاستعانة بالتقنيات الحديثة مثل الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية والعديد من الأساليب الكمية والرياضية فضلاً عن اللجوء نحو دراسات تخصصية دقيقة (john:1974:p67).

بأنه العلم الذي يؤكد على المظاهر الديناميكية للمشاكل في منطقة معينة ومحاولة عمل إسقاطات مستقبلية لكيفية حل مثل هذه المشاكل (إلهيتي، ٢٠٠٥: ١٢٣) ويعبر عنها آخر بأنها إمكانية تطوير الجغرافية لخدمة المجتمع (الخياط، ١٩٧٦: ٤٤١) ، والجغرافيا كعلم له تجاربه العميقة في دراسة سطح الأرض باستطاعته عمل نماذج مختلفة لجميع الارتباطات على مختلف الأوجه بهدف الخروج بنتائج تطبيقية مهمة أما الدراسات الجغرافية التي لا تخرج بهدف تطبيقي ما ليست ذو علاقة بعلم الجغرافيا (منشل، ١٩٧٣، ١٦٥) ، بل يضيف البعض ألا أن الجغرافيا في حال احتاجت إلى أثبات جانبها التخصصي والعودة إلى فلسفتها الحقيقية تلجأ إلى الجانب التطبيقي المباشر (صفوح، ٢٠٠٢: ٣٥) ومن ملاحظة المفاهيم المطروحة لمفهوم الجغرافية التطبيقية يتضح الكثير من الملامح التي تميز الأبحاث الجغرافية ذات الوجهة التطبيقية والتي تتمثل بما يلي :

١ . تحقيق الجانب النفعي للمجتمع:

وينطلق أصحاب هذا الاتجاه في الأبحاث الجغرافية من الحكمة القائلة (أن الأعمال تقاس بمجدواها) وعلى الرغم من قدم هذا التوجه في الجغرافية إلا أنه تبلور بشكل كبير في خمسينات القرن الماضي وقد حققت

٣. ارتباط البحث التطبيقي بمحور من محاور

التنمية المكانية:

باتت عمليات التنمية (Development Treatments) على اختلاف أنواعها ومفاهيمها الشاملة ، البشرية والاقتصادية تمثل الوسيلة الوحيدة التي تحاول جميع دول العالم بلوغها ، وتعرف التنمية : بأنها عملية النهوض بالجمع كلة أو بعضه من خلال تبني عمليات اقتصادية واجتماعية وسياسية وإدارية وبيئة تحدث في عدد كبير من المتغيرات ويترتب عليها زيادة تراكمية في مستوى ونوعية الحياة لنسبة معينة من السكان (إبراهيم ، وزميلة ، ٢٠٠٤: ١٨) ولكي تحقق مؤشرات التنمية في مجتمع ما أهدافها لابد من دراستها والوقوف عليها بشكل جدي ، وهنا يأتي دور الأبحاث التطبيقية لاسيما الجغرافيا منها التي يعد عامل اختيار المشكلة وطرق بحثها من أهم عوامل إنجاحها وسبل تنفيذها (j.chorley:1976:p14) يضاف إلى ذلك طبيعة النتائج المتحققة وطرق عرضها بالوسائل الكمية والكارتوغرافية فضلاً عن إمكانية تطبيق النتائج عملياً لخدمة مقصد معين من مقاصد التنمية المكانية .فهذه كلها عوامل أساسية تساعد في رفد البحث علمياً ، وبسبب اختلاف وجهات النظر حول إمكانية أن يكون البحث الجغرافي بحثاً تطبيقياً اشترط عدد من الباحثين أن يناقش البحث مشكلة معاصرة

ذات تماس مباشر بالجمع ، وركز آخرون على المنهجية المستخدمة في البحث ودقة نتائجه كما يرى البعض الآخر بان التنبؤ Forecasting بمستقبل المشكلة يكسب البحث بعداً تطبيقياً ، ويرى آخرون أن استخدام فن التقييم Assessment للمشكلة ميزة مهمة من مميزات الاتجاه التطبيقي في البحث الجغرافي (الفرا ، ١٩٧٨: ٥٤) . وعلى الرغم اختلاف وجهات النظر ألا أنها تكاد تجمع على هدف واحد وأصيل وهو الجمع المستهدف من الدراسة محلياً أو إقليمياً أما في ما يتعلق بالحتوى والموضوع subject- matter الجغرافي الذي تصف به الأبحاث التطبيقية ، فعلى الرغم من كون اغلب الأبحاث التطبيقية تتجه الوجهة البشرية - الطبيعية في آن واحد إلا أنها تميل بشكل مكثف على نحو دراسة الظواهر الجغرافية البشرية لان اغلب المشاكل المعاصرة التي تواجه المجتمعات الإنسانية ذات طابع بشري ويشكل الإنسان عاملاً مهماً من عوامل نشأتها وتكرارها كمشكلة الانفجار السكاني والتلوث البيئي والانحباس الحراري وزيادة النمو الحضري للمدن وارتفاع معدلات البطالة والفقر وغيرها ،وقد أسهم البعد البشري لمثل هذه المشكلات في أن تتجه الأبحاث التطبيقية في الجغرافيا الوجهة البشرية ، لضخامة

المردودات المادية التي حققها هذا الميدان لخروجه بنتائج كبيرة وتطويع مقترحاتها للواقع العملي .

٤ . الإسهام الجدي في دراسة المشاكل الملحة:

أن تطور أساليب ووسائل الإنسان وتقنياته (الفكرية والحضارية) على مختلف المجالات والصعد رافقه بروز العديد من المشاكل المتفاقمة كان أبرزها حدة على الإنسان هي المشاكل البيئية آذ يمثل التحدي البيئي من اخطر التحديات المعاصرة التي تواجه الإنسان وحضارته فاستغلال الموارد البيئية وطرق المحافظة عليها وعدم الإخلال بها بنفس الوقت عمليتان لا يمكن التوافق بينهما على الأغلب فالاستغلال الجائر للبيئة من قبل الإنسان بفعل تطور تقنيات حياته خلف العديد من الأنماط المكانية للتأثير السلبي لذلك الاستغلال أبرزها تحدي التلوث البيئي وما نتج عنه من آثار خطيرة كالاختباس الحراري والتصحر والأمراض السارية والانقراض المستمر للعديد من مظاهر الحياة النباتية والإحيائية وما رافق ذلك من أزمات إنسانية كارثية تندر بأزمات عالمية مستعصية ، كل هذه المضلات التي نسمع بعضها ونعيش آثار العديد منها تقف إمام طموحات الإنسان اللامتناهية التي تحتاج إلى تضافر الخبرات والإمكانيات العلمية لتقليص حجم عواقبها والقضاء عليها مستقبلا ، وهنا تستطيع الجغرافيا أن تلعب الدور المتميز في الكشف

والتشخيص عن البيئة المكانية لمعظم هذه الأزمات وأنماطها وعوامل تأثيرها المتوقعة وبالتالي رصد حالات تكرارها ومقدار تفاعلها البيئي وإمكانية الحد منه وماهية الخطوات الواجب إتباعها نحو أحداث حلول سريعة تنطلق من إمكانيات (المكان) وتفاعله مع المشكلة أو الأزمة ومعنى أدق للإجابة عن التساؤل التالي ما علاقة المكان بعناصر المشكلة وهل تطور المشكلة مرتبط بهذه العناصر وصولا إلى فك سلسلة التأثير المعقدة بين البيئة والمشكلة ، فتدريب البحوث الجغرافية بهذه الكيفية من الأداء يشكل أساسا مهما من أسس الجغرافيا التطبيقية .

٥ . اعتماد أسلوب تقييم النتائج:

أن تطور وسائل البحث الجغرافي وفلسفة تعامله مع الظاهرة الجغرافية أكسب البحث الجغرافي التجربة والخبرة الكافية في مجال التقييم وتطوير أساليبه ، ويراد من التقييم بأنه الأسلوب الجغرافي الكاشف والبناء في مجال البحث الجغرافي بالقدر الذي يحقق الوصول إلى النتائج الإيجابية المفيدة والذي أيضا من خلاله توضع الظاهرة في الميزان الجغرافي وتوضح قيمتها الفعلية ، ومن ثم يتم احتساب كل بعد من إبعادها موضوعيا لأدراك مدى أهميتها ومقدار تفاعل الإنسان معها (الشامي ، ١٩٧٧:ص٤٢) ويرى الكثيرون بان الاتجاه التقييمي في البحث الجغرافي المعاصر أسهم في وضع

الجغرافيا في مصاف العلوم التطبيقية لأن أسلوب التقييم الحقيقي للظاهرة يكشف متغيراتها من جانب ، ويفسح المجال الكافي لإمام الجغرافي في التعريف عن مهارته وخلفياته العلمية وقدرته على مواجهة التحديات ورسم الأهداف والسياسات .

رابعاً: مميزات الجغرافيا المعاصرة

قد تفرض الظروف العلمية ومتطلباتها المنطقية ان يكون للعلم ملامح ومميزات تتناسب والواقع الذي يتبناه ولا يعني هذا تبدل الأسس المنطقية والركائز الأصولية له وإنما تطويع مبادئها العامة الى مناخ التفكير الراهن الذي يتطلب منها الاندماج مع الحركة العلمية المعاصرة واسناد الواقع العلمي ببيانات رقمية دقيقة يمكن الاعتماد عليها في تنفيذ الخطط التنموية، لذا فقد شهدت الجغرافيا تطورات مهمة في مرحلتها المعاصرة يمكن ايجازها بما يلي:

— اصالة البحث الجغرافي وأهميته:

يستند كل حدث سواء كان (تاريخياً أم اقتصادياً أم سياسياً ... الخ) على ارضيه مكانية معلومة على سطح الأرض وهذه الأرضية يطلق عليها الجغرافيون (الاطار المكاني) الذي يتحرك بداخله ذلك الحدث باختلاف سعة ذات الاطار وأبعاده وخصائصه ، ومن هنا يمكن ان نفهم الأساس الجغرافي ودوره في مختلف

الاحداث من حيث التشكيل والتأثير والمظهر النهائي للحدث وعليه تمكن اصالة العامل الجغرافي في جوهر الاحداث ورسم معالمها ، ويزداد الشأن اهمية عندما نعلم بان التوجهات الحديثة للجغرافيا المعاصرة تقدم نتائجها بصورة أوضح من ذي قبل وان هذه النتائج مبنية على أسس معطيات كمية قابلة للتطبيق وصالحة لبناء امودج رياضي طبع من هذا المبدأ كما نعتقد تأتي اصالة البحث الجغرافي ونتائجه التي بات يعول عليها في مختلف مجالات الحياة ومن مجمل العلوم التطبيقية التي تقوم على بناء نماذج وتستند على نتائجها .

— سعة الفضاء الجغرافي:

ساد مفهوم الفضاء الجغرافي (Geographical space) في كتابات الكثير من المحدثين ويراد منه التفكير الجغرافي او الغرض الجغرافي في سياق التعبير المنطقي لسعه الفضاء الجغرافي الذي بدأ ينفذ للكثير من العلوم والمعارف بما يقدمه من مهارات ووصف دقيق للظواهر التي يشترك بها مع بقية الاختصاصات العلمية الأخرى ، فسعه مدارك الجغرافيا المعاصرة ودقه عملها جعل منها توفر أكثر استيعاباً للمظاهر الجغرافية وتقديمها في اطار حسي واضح لفهم مداركها

لغير الجغرافيين فضلا عن الجغرافيين انفسهم (الشامي ، ١٩٨٧، ص٥٩) وتعميق مبدأ حسن الاستيعاب للظواهر الجغرافية وتنقيتها من الشوائب غير الجغرافية شكل ميزه لحقبة الجغرافيا المعاصرة ، لذا وضمن هذه الرؤية المعاصرة يتسع افق البحث الجغرافي الى اوسع مما كان عليه في الماضي بصورة أكثر منطقية ومشاركة علمية واثقة تكسبها المزيد من الأهمية واحتياج الغير لنتائجها المرضية.

— التحول السريع في الواقع العلمي:

انما يمكن تصوره في طبيعة الواقع العلمي الذي نعيشه ويمكن ملاحظته بدقة هو عملية التحول السريع للعلوم ضمن اطرها الفلسفية والمنهجية وتقوم دواعي هذا التحول استجابة للقفزات العلمية الكبيرة التي حققها الفكر الإنساني خلال مطلع الالفية الثالثة على وجه التحديد بالاستكشافات في مجال أنظمة الحاسوب وعظم حجم حزم البيانات المستوعبة وقدرة التقانة التكنولوجية الجديدة على استيعاب كافة متطلبات العقل البشري وتحقيق طموحاته حتى على صعيد الخيال العلمي لرسم صورة مختلفة للمستقبل الذي بات قريباً من منظور تكنولوجي سائد ، لذا فان عملية

الاستجابة العلمية لهذا المنظور الجديد باتت ضرورة ملحة وتحدي شديد امام انظار منظري العلوم ومفكرها في اجراء واحداث تغيير وتحول سريع في نظرة العلوم على الواقع بجدية دون الوقوف على التل ، وهنا يمكن القول بان الجغرافيا من اسرع العلوم الإنسانية استجابة لمتطلبات هذا التحول السريع والاندماج في فلكة الفسيح ، يتوقف هذا التحول على قابلية تحول الرؤية الجغرافية الجديدة لقراءة متغيراتها بمنهج يتلائم وقدرة التكنولوجيا على فهمه واستخدامه كي لا تبقى النتيجة الجغرافية مهمة وقيد المصادرة من علوم أخرى ، وهنا يمكن القول بان المناهج الجغرافية قد أبدت مرونة عالية في تقبل هذا التحول العلمي وفق تطويرها لمناهج تفكير جغرافي جديدة ابرزها المنهج الكمي والرياضي والتحليلي وغيرها مما يجعلها مستعدة لخوض التحول بجدارة عالية .

— تطور انظمه المعلوماتية:

غير مفهوم المعلوماتية الذي اتصف به قرننا الحالي العديد من المفاهيم والنظم الاقتصادية والاجتماعية والتقنية التي سادت لفترات طويلة عاشت في ظلها المجتمعات البشرية متكيفة

نتائج البحث العلمي الدقة والثقة والموضوعية
الكافية .

خامساً: مرتكزات الجغرافيا المعاصرة

لأجل تحقيق وترسيخ مبدأ الاتجاه التطبيقي في الأبحاث
والدراسات الجغرافية المعاصرة يتطلب الامر الاعتماد
على جملة من المرتكزات المهمة التي باتت تشكل
العمود الفقري للجغرافيا المعاصرة ويمكن ايجازها بما
يلي:

المرتکز الأول: المسوحات الميدانية المتطورة

المسح الميداني اداه عملية تحصد نتائج وتصورات
وانطباعات يمكن التعويل عليها في سياقات البحث
العلمي كونها تخلق اندماج عال بين الباحث وطبيعة
الظاهرة المدروسة مما يسهم في ولوج الباحث بجوهر
العمل البحثي وتفاعله المستمر معه
(max,2009,174) فالبيانات الجغرافية لا يمكن
ان تتسم بالمصداقية العالية ما لم تؤخذ من مصادرها
الام لتسهل عملية تحليلها واستحصا النتائج منها،
وهنا يأتي دور المسوحات الجغرافية التخصصية في
الحصول على ادق البيانات الحقلية من مراجعها عبر
العديد من العمليات المسحية والاستقصائية التي تركز
على مبدأ التعايش مع الظواهر والتعامل معها للتعرف

بواقعها التكنولوجي الذي شهدته ، فبعد الثورة
التقنية التي احدثتها اجهزة الكمبيوترات خلال
فترة ستينيات القرن الماضي وما تلاها والتي
احدثت نقلة كبيرة في مجال التعامل مع المعطيات
بدقة وثبات وجعلت الباب مفتوحاً امام تطلعات
العقل البشري في السير نحو التطور المستمر في
مجالات الحياة شتى وحتى ظهرت شبكة
المعلومات الدولية (الانترنت) في بداية الالفية
الثالثة وما تبعها من تعاظم في شبكة الاتصالات
(ICT) التي اسهمت في زيادة مفهوم الرفاهية
والنمو الاقتصادي العالمي ساعدت هذه النظم
التكنولوجية الحديثة من رفد العلوم التطبيقية
بالكثير من الوسائل والأدوات التي اخذت بيد
حركة البحث العلمي ، فالعديد من التطبيقات
العلمية التي ظهرت مؤخراً أمثال تقنية الاستشعار
عن بعد Remote Sensing ونظم
المعلومات الجغرافية GIS ونظام تحديد المواقع
العالمية GPS وغيرها من التطبيقات الحديثة
أسهمت في تقديم خدمات جليلة للبحث العلمي
عبر خصائصها الالكترونية الدقيقة والتي اكسبت

المواقع GPS أسهمت هذه التقنيات المساعدة بالوصول بالخرائط التفصيلية إلى مفهوم الخرائط الرقمية الالكترونية التي تعتمد في بياناتها الموضوعية على تقنيات المسح الآلي التي تتصف بالدقة العالية في رصد الظاهرة وتغيراتها المكانية على مستوى المتر المربع الواحد أو اقل من ذلك القابلة للتحديث الآني من وقت إلى آخر تقدم دقة عالية تقدم توزيع دقيق للظاهرة مضافا إليها جداول بيانية الكترونية لحجم بيانات الظاهرة وتبينها المكاني .

المرتكز الثالث: التفكير النفعي والاقتصادي

تحقيق المصلحة

ان التغير الذي أحدثته التقنية الحديثة جعل من العلوم المختلفة على الحك ومنها الجغرافيا التي تحاول تفهم ابعاد هذا التغير الكوني والثورة المعلوماتية وتماشى مع عالمه فالتقنية الجديدة حملت العلوم مسؤولية مضاعفة امام مجتمعها وأصبح كل علم لا يستطيع التأقلم مع الثورة المعلوماتية ومتغيراتها مهمش ومركون في الزاوية الميتة، فقد وضعت العلوم الجغرافية على هذا الحك في مواجهه مجتمعها منذ ستينيات القرن الماضي وحتى

على اسرارها وخواصها واحوالها والتغيرات التي طرأت عليها وصولا الى تفسير اولى عن طبيعة تلك الظواهر وسلوكياتها ، وقد نال هذا الجانب الحيوي في العلوم الجغرافية اهتماماً كبيراً في شتى الدراسات لما يحققه من نتائج وبيانات موقعيه تتسم بالصدق والموضوعية لذا باتت يشكل هذا النوع من المسوحات مقدمات مهمة للمشاريع الجغرافية المتنوعة في حقول التنمية المكانية .

المرتكز الثاني: التقنيات المعلوماتية

كان تطور علم الخرائط المسبب الأبرز في تطور الأبحاث الجغرافية بشكل عام ، فإنباء الخرائط المكانية يعني ما يسبقه من عمليات المسح الميداني الشامل للظواهر وهذا بدوره ينمي إبعاد الأبحاث الجغرافية وفلسفتها(فريمان ،١٩٦٢:ص٢٥٨) فتكوين خرائط تفصيلية للتوزيعات الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية للمنطقة المدروسة تتصف بالدقة والموضوعية يجد ذاته إبراز لهوية المنطقة وأساسها النموي ، وتطور التقنيات الجغرافية الحديثة المرافقة لرسم الخرائط كنظم المعلومات الجغرافية GIS وتقنيات الاستشعار عن بعد عن طريق الأقمار الاصطناعية وظهور أنظمة المسح الضوئي ونظام تحديد

الوقت الحاضر عندما بدأ التفكير الجدي للعاملين في مجال الدراسات الجغرافية ادراك احتياجات مجتمعهم في مختلف الاتجاه والصعد الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والبيئية وغيرها اشتركت نتائج الأبحاث الجغرافية مع نتائج أبحاث العلوم الأخرى وبات ينظر للجغرافية وما توصلت اليه من نتائج ومتغيرات يمكن الاستعانة بها في مجالات علمية أخرى كالمهندسة والاقتصاد والتخطيط والاجتماع ، ولم ينتهي الموضوع عند هذا الحد بل اخذت تنهات الكثير من المجالات العلمية طلباً للخبرات الجغرافية للاستعانة بها والاعتماد عليها ، الامر الذي جعل من المعلومات الجغرافية ذو قيمة نفعية كبيرة يتعاقد عليها في المكاتب الاستشارية والاستثمارية العالمية .

المرتكز الرابع: المناهج البحثية المتطورة

يقصد بالمنهج العلمي هو المعيارية المنطقية والتطبيقية التي تحكم المعرفة وتجعل منها تتسم بالموضوعية والعقلانية في الطرح (هولت ، ١٩٩٨، ص١٦٤) فالمنهج البحثية التي لا تحقق مقبولة في الطرح والتداول من جانب او باتت تشكل

عقبة علمية امام تجسيد الجانب التطبيقي في البحث من جانب اخر ، تطلب الامر التفكير بمناهج وطرق بحثية قادرة على تحقيق هذه الأهداف والمتطلبات ، فبرز المنهج الكمي Quantitative Approach بشكل سريع في الأبحاث الجغرافية المعاصرة ليلبي الجوانب التطبيقية التي تستند الى المعلومة الرقمية دون غيرها والتي تحقق رؤية واحدة للحقيقة بعيداً عن التكن والاجتهاد والتأويل مما جعل من هذه الصفة المنهجية ميزة للبحوث الجغرافية التطبيقية في نظر الكثيرون ، واليوم ظهرت الكثير من المناهج العلمية التي طبقت في الأبحاث الجغرافية المعاصرة وقد اختلفت كثيراً عن المناهج الكلاسيكية القديمة من حيث المضمون والهدف

سادساً : مستقبل الجغرافيا

ان الحديث عن مستقبل أي ظاهرة او علم او توجه ما بات محكوماً بواقعه الذي يكون عليه فالواقع يحمل بين ثناياه بذور المستقبل وتوجهاته، ان ما يحدث في عالمنا

اليوم من تغير كبير وشامل لكل مفاصل الحياة ومعارفها يجعل صورة المستقبل جلية امام انظارنا فالتطور الهائل في الوسائل الرقمية والتقنية واستخدامها في كافة المجالات العلمية ينبأ عن حقيقة واعدة مفادها ان العصر القادم هو عصر الحياة التقنية بكافة ابعادها وصورها وانماطها بما يحمله المفهوم من معنى ودلالات ، فحاجة مجتمع المستقبل مرهون بتطور وسائل التنمية وكيفية التعامل معها وفقاً لمتطلبات العصر الجديد ، والجغرافيا تعنى أساس التنمية ومرتكزها الجوهرى ، واليوم تتصاعد صيحات مدوية للحفاظ على ما تبقى من الطبيعة والبيئة العالمية التي باتت مهددة بفعل مكتسبات الانسان في مجالات التكنولوجيا وهنا يمكن ان تلعب الجغرافيا دورها المعهود في وضع الاستراتيجيات المناسبة لعملية الحفاظ على الأنماط البيئية (Nigel:2002.p298) ، وبذلك فان أهمية الجغرافيا في تزايد مستمر ومن المؤمن ان تدخل الجغرافيا بالقضايا الحقيقية للمجتمع والتي تمس غذائه ومناخه وراحته النفسية (Nicholas J:2002,p: 436) ، فظهور مفاهيم جغرافية تطبيقية جديدة فضلا عن ظهور فكرة الإقليمية

(Regionalism) وعمليات المسح الجغرافي للإقليم وما ترتب عليها من تمكين الجغرافيين من الإسهام الجدي في عمليات التخطيط الإقليمي (صبري إلهيتي ، مرجع سابق : ص١٢٣) لقد تمكن البحث التطبيقي في الجغرافيا من أن يتوافق في أهدافه مع أهداف العصر الذي يعيش فيه بدلاً من الوقوف على وصف المشكلة وتشخيصها ، فتقدير الجغرافيين المعاصرين لإمكانيات تخصصهم أسهم في تطور ميدان التطبيق العملي في أبحاثهم (جمال الدين ألديناصورى :ص١٠) وبعد أن شاعت الفرقة بين أقسام الجغرافيا الطبيعية والبشرية وكل منهما سعى إلى تحقيق غاياته بعزل عن الآخر ، اخذ الاتجاه التطبيقي يمثل فيما بعد همزة الوصل بين الفروع الأصولية للجغرافيا وأعاد لحمة التوحيد بينهما لأنه لا يمكن التوصل إلى نتائج دقيقة دون تفهم الوضع الجغرافي العام للمكان بكل مفاصلة (علي علي ألبن ، ٢٠٠٣:ص٤٤)

على حدود البحث الجغرافي عند استخدام الوسائل وتقنيات البحث الجغرافي المعاصرة كالإحصاء والأساليب الكمية وتكنولوجيا الحاسوب ومخرجات الأقمار الاصطناعية المرئيات الفضائية والصور الجوية

التي شاع استخدامها بكثرة في الوقت الحاضر في البحوث الجغرافية والتي عند إساءة استخدامها سوف تحسب الجهود والنتائج الجغرافية إلى علوم أخرى فتصبح نتائج رياضية ؟ أو كومبيوترية ؟ أو إلى غير ذلك . وهذه هي الكارثة التي يقع فيها الكثيرون بحيث تصبح هذه النتائج تحركها التقنيات وليس المتغير الجغرافي ؟ ولكن عندما تربط هذه النتائج بإمكانيات الإقليم الجغرافي وشخصيته المكانية تكون كهيئة بان تضع مثل هذه النتائج في مقدمة النتائج التطبيقية التي تسعى الحكومات والهيئات والشركات إلى الحصول عليها بأي ثمن، فمنذ منتصف القرن التاسع عشر ربطت أوروبا جامعاتها بسوق العمل بعد أن آخذت الجامعات تعد وتدريب الخبرات والمهارات لتسد حاجة السوق ومتطلباته البشرية لاسيما بعد تطور قطاع الصناعة ، وعند تتبع البدايات الأولى للأبحاث التطبيقية نجد أنها لا تعدو كونها جغرافية بحجة فالمسوحات الجغرافية المبكرة التي قامت بها بريطانيا لمواردها الطبيعية مطلع القرن الماضي تبعها التنقيبات الحيوية والبيئية التي جرت بها وتجريها الولايات المتحدة الأمريكية للبحث عن مصادر الطاقة البديلة في البيئات

الجغرافية المتنوعة ، بل الأكثر من ذلك عزوف الأبحاث الجغرافية المعاصرة عن الأساليب الكلاسيكية الوصفية ، الموسوعية ، العمومية والاتجاه نحو الأساليب والمناهج الكمية والرياضية مما يدل بوضوح على عمق الاتجاه التطبيقي حتى وان لم يكن يقصد الجغرافي استخدامه أو يحمله أحيانا .

الاستنتاجات

خلصت هذه الدراسة الى العديد من الاستنتاجات يمكن ايجازها بالنقاط الآتية:

١. النمو السريع للاتجاه التطبيقي في الأبحاث والتوجهات الجغرافية المعاصرة بشكل كبير وملفت للنظر، والذي برز من الحرك الذي وضعت به العلوم الجغرافية امام مجتمعاتها طيلة الفترة الماضية.
٢. لقد مرت الجغرافيا بوصفها علماً تطبيقياً بالكثير من المراحل التاريخية المعقدة التي تمخض عنها قناعة تامة بان المناهج الجغرافية التقليدية لا يمكن ان تأخذ بيدها نحو العالمية التي تسعى لها بشكل جدي.
٣. ابرزت العديد من ملامح الجوانب التطبيقية في الجغرافيا خلال القرن العشرين .

٤. ساهمت الكثير من العوامل والمتغيرات في تطور الاتجاه التطبيقي للجغرافيا أبرزها تحقيق الجانب النفعي ودخولها في محاور التنمية المكانية والاسهام في حل المشكلات العالمية.
٥. تميزت الجغرافيا المعاصرة بسميزات كان أبرزها اصالة البحث والنتائج التي تحصل عليها فضلا عن سعة الفضاء الجغرافي التي تتحرك فيه الذي انعكس على التحول السريع في واقعها العلمي وارتباطها بأنظمة المعلوماتية المتطورة.
٦. للجغرافيا المعاصرة مستقبل واعد في تبنيها لوسائل تقنية عالية الدقة لاجتها الماسة مما قد جعل منها علماً مجتمعياً يتزايد في أهميته نظراً لتعلق المجتمع به لما يحققه من نتائج تطبيقية مذهلة.

المصادر

اولاً: المصادر العربية

١. إبراهيم، عيسى علي ، فتحي عبد العزيز(٢٠٠٤) جغرافية التنمية والبيئة الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت .
٢. ألبنا ،علي علي (٢٠٠٣) الجغرافيا التطبيقية - المضمون- التطور- المنهج الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
٣. الحكيم ، محمد صبحي (١٩٨٠) دراسات في الجغرافيا العامة ، الطبعة الأولى دار النهضة العربية ، بيروت .
٤. اريلد هولت ينسن (١٩٩٨) الجغرافية تاريخها ومفاهيمها ، ترجمة : عوض يوسف الحداد ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، الجماهيرية الليبية .
٥. الحياط ، حسن (١٩٧٦) نحو جغرافية عربية تطبيقية ، بحث منشور في المؤتمر الجغرافي العربي الثاني ، بغداد .

٦. الشامي، صلاح الدين (١٩٧٧) *الجغرافيا دعامة التخطيط*، منشأة المعارف ،الإسكندرية.
٧. الشامي، صلاح الدين (١٩٨٧) *الجغرافيا المعاصرة*، منشأة المعارف ،الإسكندرية.
٨. الفرا، محمد علي عمر (١٩٧٨) *مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية وكالة المطبوعات*، الكويت .
٩. المظفر، محسن عبد الصاحب (٢٠٠٥) *فلسفة علم المكان الجغرافيا*، الطبعة الأولى، دار صفا للنشر والتوزيع
، عمان .
١٠. ل. ددلي ستامب (١٩٣٩) *الآراء الحديثة في علم الجغرافيا*، ترجمة احمد محمد العدوي، سلسلة المعارف
العامة، مطبعة اللجنة التاليف والنشر، القاهرة .
١١. خصبك، شاكر (١٩٨٦) *الجغرافية عند العرب*، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
.
١٢. إلهيتي، فليح حسن (١٩٨٢) *أراء في الجغرافيا الاجتماعية التعليمية*، ضمن كتاب قراءات في الجغرافيا
الاجتماعية التطبيقية، تحرير عبد الله الصنيع، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة .
١٣. ألديناصري، جمال الدين، *الجغرافيا التطبيقية (طرق التطبيق وإنجازاته)*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٤. خير، صفوح (٢٠٠٢) *الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها*، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، دمشق
.
١٥. عبد علي الخفاف (٢٠١٧) *ملاحظات نقدية للفكر الغربي الجغرافية موضوعاً*، مجلة الجمع العلمي العراقي،
المجلد ٦٤، بغداد .
١٦. رمضان، محمد إبراهيم، (٢٠٠٨) *الاتجاهات الحديثة في الجغرافية التطبيقية*، دار المعرفة الجامعية،
الإسكندرية .
١٧. فريمان، ت.و. (١٩٦٢) *الجغرافيا في مائة عام*، ترجمة عبد العزيز طريح دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد .
١٨. هارتشون، ريتشارد، (١٩٨٤) *طبيعة الجغرافيا*، الجزء الأول، ترجمة شاكر خصبك، مديرية مطابع جامعة
الموصل .

١٩. هارتشون ، ريتشارد ، (١٩٨٥) *طبيعة الجغرافيا* ، الجزء الثاني ، ترجمة شاكر خصبك ، مديرية مطابع جامعة

الموصل .

٢٠. إلهيني ، صبري فارس (٢٠٠٥) *الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه* ، الطبعة الأولى ، دار صفا للنشر والتوزيع ،

عمان .

٢١. متشل ، روجر (١٩٧٣) *تطور الجغرافيا الحديثة* ، ترجمة محمد السيد غلاب ، دولت صادق ، الطبعة الأولى ،

القاهرة .

ثانياً: المصادر الأجنبية

23. Harvey .D. (1973) *Explanation in Geography*, Edward Arnold, London.

24 .j. Chorley and Haggett (1976) *Models in geography* Methuen GO, Ltd, London.

25. Roland L. Bolton (1961) *Sewage Treatment, Basic Principles and Trends*, London.

26. Margit, Zsolt, Tamás (2015) " Human-environment relationships in modern and postmodern geography" DOI: 10.15201/hungeobull.64.2.1 Hungarian Geographical Bulletin 64.

27. Kostis C, (2011) *CHANGING PARADIGMS OF GEOGRAPHY*, European Journal of Geography 1: 54-75, National Technical University of Athens, Geography and Regional Planning, Zographou Campus, 15780 Athens Greece.

28. Max Hope, (2009) *The Importance of Direct Experience: A Philosophical Defence of Fieldwork in Human Geography*, Department of Geography and Development Studies, University of Chester, UK , *Journal of Geography in Higher Education*, Vol. 33, No. 2, 169–182, bdf

29. Zbyszko Chojnicki ,(2011) ,*EMPIRICAL-SCIENTIFI MODELOF EOGRAPHY*, Adam Mickiewicz University, Institute of Socio-Economic Geography and Spatial Management, Poznan, *QUAESTIONES GEOGRAPHICAE*, p: 30.

30. Nigel Thrift (2002), *The future of geography*, School of Geographical Sciences, University of Bristol, Bristol BS8 1SS, UK, www.elsevier.com/locate/geoforum ,bdf, p:298.

31. Nicholas J. Clifford (2002) , *The future of Geography: when the whole is less than the sum of its parts* , School of Geography, University of Nottingham, Nottingham NG7 2RD, UK , www.elsevier.com/locate/geoforum , bdf ,p: 436.

دراسة لمنولوجية على مياه نهر الخوصر في مدينة الموصل

طه احمد الطيار د . فتحي عبد الله منديل

أستاذ مساعد أستاذ مساعد

الملخص

تلعب المياه دورا مزدوجا في حياة الإنسان بسبب نشاطاته المختلفة واستخداماته المفرطة لها وعوده المياه بعد أي استخدام محملة بالملوثات إلى نفس المورد المائي الذي أخذت منه. من خصوصيات محافظة نينوى وجود نهر الخوصر فيها والذي تغذيه حاليا مياه الفضلات للأنشطة المختلفة، ليصبح النهر مجرى دائم لها.

لغرض دراسة بيئة ونوعية مياه النهر تم تحديد خمسة مواقع ابتداء من منطقة الشلالات خارج مدينة الموصل وإلى منطقة المصب على نهر دجلة قرب الجسر الحديدي للمدينة. استمرت عملية النمذجة واخذ عينات من المياه واجراء القياسات الحقلية ودراسة النباتات المائية والنباتات النامية على ضفاف النهر من شهر شباط ولغاية شهر تموز من عام ٢٠١٨. تم قياس خمسة عشر عاملا مؤثرا على مختلف العوامل الفيزيائية والكيميائية، كما تم تشخيص النباتات المائية والجذرية المتواجدة في منطقة الدراسة.

اثبتت النتائج تلوث مياه نهر الخوصر بالنسبة الى العوامل المقاسة بدرجة كبيرة مقارنة مع مياه نهر دجلة في مدينة الموصل، سواء عناصر التلوث الفيزيائي او الكيميائي وخصوصا المغذيات والمواد العضوية. كما تم تشخيص اثنا عشر جنسا من النباتات والأعشاب المائية المنبتة او البارزة في المنطقة، مع الافتقار الى النباتات الغاطسة والطافية. قدمت الدراسة بعض المقترحات لتحسين بيئة حوض النهر والاستفادة من بعض تلك النباتات في المعالجة وتنقية مياه النهر.

الكلمات الدالة : نهر الخوصر، نوعية المياه، بيئة الموصل

Limnological Study of Al- Khosar River in Mosul city

Taha A. Al-Tayyar Dr. Fathi A. Al-Mandel

Abstract

Water plays a dual role in human life due to various activities and excessive uses. After the different uses, returned water to the same water resource became wastewater, which loaded with pollutants. The peculiarities of Nineveh government is the existence of Al-khosar River, it is feeding by sewers wastewater to become a continues stream of wastewater.

The paper is studying the environment and the quality of Al-khosar river water, five sites were diagnosed along the river from waterfalls region outside of Mosul city toward downstream near the estuary on Tigris river near the old bridge in the center of Mosul city.

Field work to explore the area, taking water samples and conducting field. Laboratory measurements and study aquatic plants on the banks of the river continued from February until July of 2018. Various physical , chemical properties and identified of aquatic plants and root located in the study area were done.

Results evidence pollution of Al-khosar river water, either in physical or chemical properties, particularly nutrients and organic material, compared with the water of Tigris river in Mosul city. It was identified twelve genera of plants and aquatic striking weeds in the catchment area. Many recommendations were put to improve the catchment area of the river, with the possibility to take advantage of some of these plants in the treatment and purify river water.

Key words; Al-Khosar river, Water quality, Mosul environment

المقدمة

القرى المشيدة الآن التي تعتمد على هذا النهر. قبل دخول النهر مدينه الموصل اقيم عليه منطقة سياحية تعرف بالشلالات.

يتعرض نهر الخوصر إلى عدة فيضانات خلال العام الواحد خصوصاً في السنوات الرطبة التي يكون فيها عمق المطر السنوي أكثر من ٤٠٠ ملم (حياوي، ١٩٨٨). بسبب ذلك ونتيجة لطرح مياه الفضلات والمخلفات المختلفة إلى النهر مباشرة فإن مياهه وضافه تعرض إلى مختلف أنواع الملوثات ويزداد التلوث كلما اقتربنا من منطقة المصب على نهر دجلة. فقد بين محمود وآخرون (٢٠٠٨) بأن مياه الصرف الصحي ومياه تصريف الأراضي الزراعية الحيطلة بحوض الخوصر تؤثر على نوعية مياه النهر، وأن نوعية المياه وخصوصا المصب تتأثر مع فصول السنة. اما الراوي (٢٠٠٥) فيؤكد ان نهر الخوصر يحمل تراكيز عالية من الملوثات المختلفة ، وهذه الملوثات تصل الى نهر دجلة بشكل مباشر وهي من الاسباب الرئيسة لتلوث مياه نهر دجلة والتي تؤدي الى تردي نوعية مياه نهر دجلة بشكل كبير. كما بين السنجري وآخرون (٢٠٠٨) ان مياه نهر الخوصر محملة بمختلف الملوثات والمغذيات والاحياء المجهرية والتي تصب في نهر دجلة من دون معالجة مسببة تلوث مياه نهر دجلة عند المصب ولمسافة ٣٠٠ متر على الاقل. اما محمد

يمثل النهر في أي مدينه أو حتى في أي قرية صغيره شريانها ونبضها الدافق الذي يهب الحياة بكل اشكالها ومكوناتها لأبنائها. وبسبب نشاطات الإنسان المختلفة واستخدامه المفرط للمياه فقد أصبحت المياه تلعب دورا مزدوجا. فهو يحتاج إلى المياه لأي نشاط أو فعالية يقوم بها، فالمياه المستخدمة ستحمل معها الملوثات المختلفة من أي نشاط والتي ستعود بالنتيجة إلى نفس المورد المائي ولكن بكميات اقل من المسحوب منه وبدرجة تلوث عالية، مما ستسبب تلوث ذلك المصدر المائي.

من خصوصيات محافظة نينوى وجود نهر الخوصر فيها. فهذا النهر القليل الماء حاليا بسبب الإهمال وعدم المتابعة له قامت على ضفتيه حضارات إنسانية مختلفة تعاقبت على جوانبه المختلفة. وهذا النهر مر بحقبات مختلفة مثلت فيه قيمته الوجودية أو المكانية. بل إن هذا النهر كان دلاله واضحة على نمو الإنسان ومروره بمختلف مراحل التطور في صراعه مع الطبيعة بعواملها المختلفة.

يغطي هذا النهر مساحة ألف كم مربع فهو يمر بغرب اتروش مروراً ببغشيقه وتلكيف وتللسقف والقوش ويصل إلى مشارف عين سفي، وعليه تقع المئات من

تمت عملية أكساء جوانب الوادي عام ١٩٨٩ ضمن حملة اعمار مدينة الموصل . يقوم هذا الوادي بجلب كميات كبيرة من الملوثات المختلفة إضافة إلى المواد العالقة وخصوصا خلال مواسم الأمطار سواء كانت على شكل حمل عالق (Suspended load) أو حمل قعر (Bead Load) تؤثر سلباً على مورفولوجية النهر من حيث تتكون الجزرات وانحراف مسار النهر . فضلا عن تلويثها لمياه نهر دجلة بمختلف الملوثات .

نهر الخوصر (الاسم القديم تبيلتو) وهو نهر قديم جدا تم حفره في عهد سنحاريب (٦٨١) ق.م. فقد كان الغرض منه هو الري والزراعة أيام كانت مدينة نينوى عاصمة الآشوريين إلى سقوطها عام ٧٠٢ ق.م. وهو نهر موسميا يعتمد على تساقط الأمطار . ينبع من قضاء الشيخان وتحديدا من باعذرة وقد حاول الاشوريين تحويل نهر الكومل إليه وهو احد فروع نهر الخازر من خلال المجسرات المائية لكي يصل ماء أكثر إلى عاصمتهم نينوى وبهذه الطريقة باتت المياه تتدفق في هذا النهر وعلى طول أيام السنة وأنشئت عليه عدد من السدود والخزانات لحزن المياه والاستفادة منها في أيام الشحه، ولا تزال آثار بعضها قائمه والى هذا اليوم . وهو نهر يمر في مدينه الموصل بالقرب من

علي (٢٠٠٩) فقد بينت ان تراكيز الملوثات مياه نهر الخوصر تزداد تراكيزها عن المحددات البيئية لنوعية مياه الانهر وخصوصا المغذيات التي تزداد (٥) مرات والملوثات العضوية ممثلة بالأوكسجين المطلوب بيولوجيا او كيميائيا والتي تزداد (١,٥) مرة.

وصف منطقة الدراسة

يعتبر وادي نهر الخوصر من أكبر الوديان التي تصب مياهه في نهر دجلة داخل مدينة الموصل . يبلغ عرض قعر الوادي داخل المدينة من ٦٠-١٠٠ متر . حيث تبلغ مساحة حوض التغذية له بمحدود ٨٣٦ كيلو متر مربع ويصل تصريفه الأقصى في السنين الرطبة (الممطرة) إلى أكثر من ١٠٠٠ م^٣/ثا (دحام واحمد، ٢٠١٣). ويؤكد مصطفى وفضل (٢٠١٨) ان طول مجرى نهر الخوصر يبلغ ٢٥٠ كم ومساحة حوض النهر بمحدود ١٠٠٠ كم^٢. يلتقي وادي الخوصر مع نهر دجلة عند الضفة اليسرى لنهر دجلة عند الجسر الحديدي لتصب مياهه الملوثة في النهر . تصب في مجرى الخوصر وتلتقي مع مياهه مياه الصرف الصحي ومياه الفضلات الصناعية والزراعية والخدمية للمناطق القريبة اضافة الى الفضلات الصلبة وشبه الصلبة(مصطفى وفضل ٢٠١٨).

عرض المجري . والشكل التالي (١) يوضح مجرى النهر ومواقع الجسور على النهر ومواقع اخذ العينات .

نهر دجلة ويصب فيه في خاصرة دجلة لهذا سمي بنهر الخوصر .

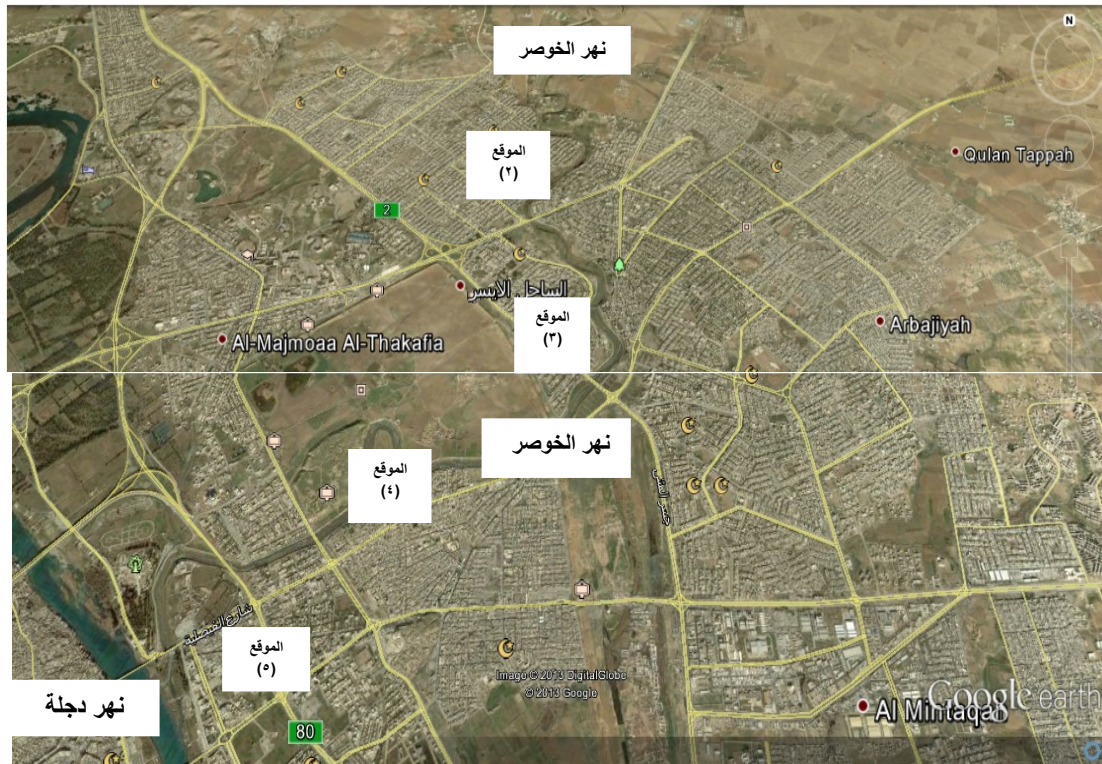
المواد وطريقة العمل

استمرت عملية النمذجة واخذ عينات من المياه واجراء القياسات الحقلية ودراسة النباتات المائية والنباتات النامية على ضفاف النهر خلال المواسم السنوية الاربعة من عام ٢٠١٨ .

لغرض دراسة بيئة وادي ونهر الخوصر لمعرفة النباتات النامية على الأكاف وجمع نماذج المياه على طول النهر تم تحديد خمسة مواقع ابتداء من منطقة الشلالات والى منطقة المصب على نهر دجلة قرب الجسر الحديدي للمدينة .

تم القيام بقياس درجة الحرارة وقيمة الدالة الحامضية والتوصيلية الكهربائية في الموقع عند اخذ النموذج مباشرة . أما بقية الفحوصات الفيزيائية والكيميائية وتشخيص النباتات النامية فقد أجريت في المختبر . تم في المختبر قياس العسرة الكلية وعسرة الكالسيوم وعسرة المغنيسيوم وتركيز ايون الكلوريدات والقاعدية الكلية وتركيز الأملاح الكلية والأملاح الذائبة والمواد العالقة . إضافة إلى الكبريتات والنترات والفوسفات . فضلا عن الأوكسجين المطلوب بيولوجيا والأوكسجين المطلوب كيميائيا . تم اجراء الفحوصات وقياس تراكيز الملوثات بالاعتماد على الطرق القياسية الموضحة في (Standard methods (2005).

تم اختيار الموقع الأولى للنمذجة عند منطقة الشلالات شمال شرق مدينة الموصل والموقع الثاني عند جسر السكر وبعد مصبين لفضلات المدينة على النهر . الموقع الثالث كان عند جسر المشي مع وجود مصب مدينة الزهور بينما الموقع الرابع كان عند جسر السويس في بداية منطقة الفيصلية . أما الموقع الخامس والأخير فكان في نهاية منطقة الفيصلية التجارية قرب اتصاله بنهر دجلة مع وجود العديد من المصببات الصغيرة على النهر . ومما يميز هذا الموقع قلة سرعة الجريان وزيادة



شكل (١) مسار وادي الخوصر داخل مدينة الموصل والجسور المقامه عليه ومواقع أخذ العينات

توضح الأشكال (٢.٣.٤.٥) مجرى نهر الخوصر في
الخامس قرب مدينة الألعباب عند المصب على نهر
مواقع اخذ النماذج ، ويلاحظ انخفاض كمية التصريف
مع انخفاض مقطع النهر في المواقع الأولى مقارنة بالموقع
دجلة.



شكل (٢): مجرى النهر عند منطقة الشلالات شكل (٣): مجرى النهر قرب جسر السكر



شكل (٤): مجرى النهر عند جسر السويس شكل (٥): مجرى النهر قرب المصب

النتائج والمناقشة

نهر الخوصر من الأنهار الحلية الصغيرة الذي لم يتجاوز تصريفه في الأوقات الاعتيادية (١١,٣٦ م^٣/ثانية) في منطقة الشلالات وبسبب مروره بمناطق زراعية ووجود عدد من مربي الماشية الذين يستخدمون مياهه بسبب عدم وجود مورد مائي بديل. وعند مروره بمدينة الموصل تصب فيه مصبات مياه مجاري العديد من المناطق السكنية والصناعية ومن دون أي معالجة، مما جعل مياهه ملوثة بدرجة عالية. والجدول رقم (١) يوضح التغيرات في مساحة مقطع النهر وسرعة الجريان مما يؤدي إلى تغير تصريف النهر بين المواقع المختلفة وخلال فصول السنة.

تعد المياه السطحية والأنهار بشكل خاص الملاذ الأخير لكثير من الملوثات والتي يقوم الإنسان بطرحها مع المياه بعد الاستخدامات المختلفة والاستفادة منها لأي نشاط خدمي أو سكني أو زراعي أو صناعي تقوم المياه الملوثة (مياه المجاري، مياه الفضلات الصناعية، مياه الري الراجعة، مياه المبالز) بتلويث المورد المائي النقي وتحويل مياهه إلى درجة من التلوث العالي بحيث تحتاج المياه بعدها إلى معالجات متقدمة ولأبسط الاستخدامات. خصوصا إذا كانت الملوثات عالية التراكيز وبكميات كبيرة يرافقها انخفاض في تصريف المورد المائي.

جدول رقم (١): تغير مساحة مقطع النهر والتصريف خلال المواقع المختلفة وفي فصول السنة

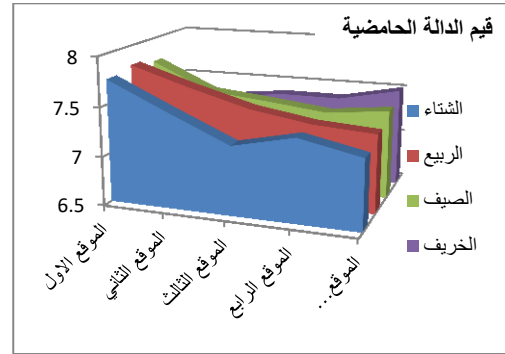
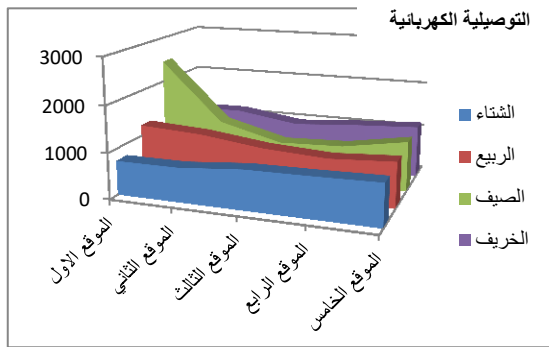
الموقع	مساحة مقطع	سرعة الجريان	التصريف (م ^٣ /ثا)	مساحة مقطع	سرعة الجريان	التصريف
ف						

الجرىان (٢م)	(م/٣)	الجرىان (٢م)	(م/٣)	الجرىان (٢م)	(م/٣)
فصل الشتاء (٢٦/شباط/٢٠١٨)			فصل الربيع (٢٦/أيار/٢٠١٨)		
الموقع الأول (الشلالات)	٦,١	١,٦٢	٩,٩٨	٧,١	١,٣١
الموقع الثاني (جسر السكر)	٧,٣٢	١,٢٦	٩,٢٢	٨,٢١	١,٠٨
الموقع الثالث (جسر المنثى)	٩,٧	٠,٩٢	٨,٩٢	١٠,٧	٠,٧٩
الموقع الرابع (جسر السويس)	٩,٩	٠,٨٤	٨,٣١	١٠,٥٤	٠,٧٧
الموقع الخامس (الجسر القديم)	١٥,١	٠,٥٨	٨,٧٦	١٤,٩٢	٠,٥٥
فصل الصيف (٣/تموز/٢٠١٨)			فصل الخريف (١٠/١٠/٢٠١٨)		
الموقع الأول (الشلالات)	٦,٨٥	١,١٥	٧,٨٧	٦,٩٦	١,١٨
الموقع الثاني (جسر السكر)	٧,٥	٠,٩٨	٧,٣٥	٩,٨٥	١,٠١
الموقع الثالث (جسر المنثى)	٩,٦٣	٠,٧٥	٧,٢٢	٩,٨٥	٠,٧٦
الموقع الرابع (جسر السويس)	١٠,٨٢	٠,٦٤	٦,٩٢	١٠,٦٨	٠,٦٩
الموقع الخامس (الجسر القديم)	١٢,٤١	٠,٥٦	٦,٩٥	١٢,٨٥	٠,٥٥

توضح الاشكال من (٦) الى (٢٠) تغير تراكيز العناصر المقاسة خلال الفصول المختلفة وفي مختلف المواقع مقاسة بالمغرام/لتر، ماعدا الدالة الحاضية (بدون وحدة) والتوصيلية الكهربائية مقاسة (Mmos/cm). يتبين من خلال الاشكال ان تراكيز الملوثات تزداد كلما اتجهت المياه جنوبا باتجاه المصب على نهر دجلة لزيادة المخلفات المطروحة على طول النهر وخصوصا ايون النترات والفوسفات والكبريتات، فضلا عن المواد العضوية ممثلة بالاكسجين المطلوب بايولوجيا او كيميائيا. مما يدل على تأثر مياه النهر بزيادة المغذيات والملوثات العضوية. اما تأثير الفصول المختلفة واختلاف تصريف النهر فقد كان واضحا من خلال زيادة التراكيز في فترات الصيف والخريف وانخفاضها في الفصول الممطرة (الشتاء

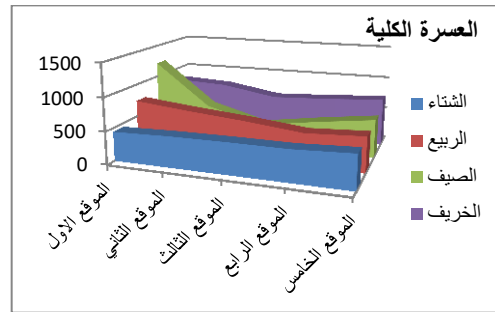
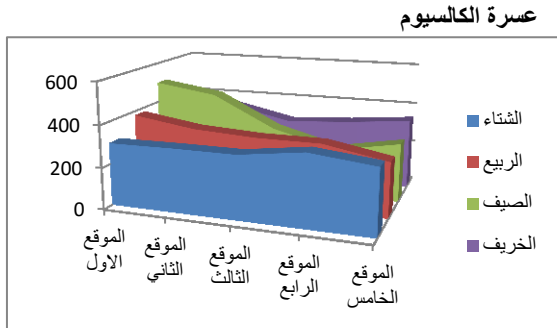
والربيع) بسبب زيادة تصريف النهر والتخفيف الذي عليها .

تحديثه مياه الامطار على نوعية المياه والعناصر المؤثرة



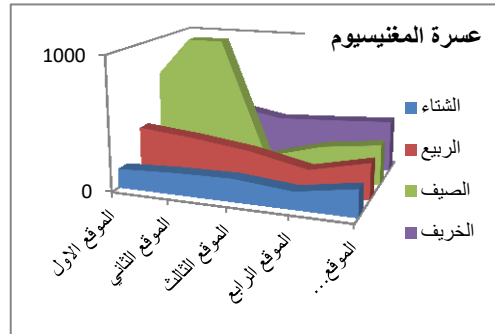
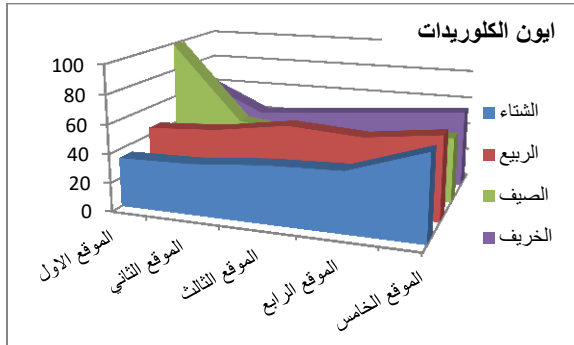
شكل (٧) تغير قيم التوصيلية الكهربائية Mmos/cm

شكل (٦) تغير قيم الدالة الحامضية



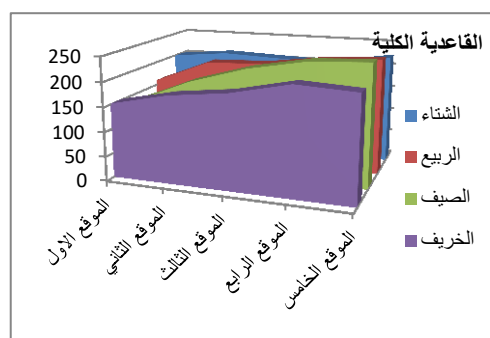
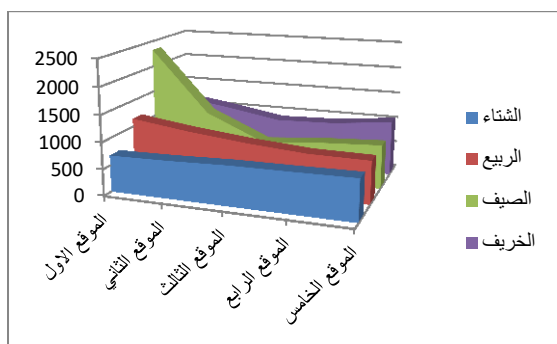
شكل (٩) قيم عسرة الكالسيوم ممثلة CaCO_3

شكل (٨) قيم العسرة الكلية ممثلة CaCO_3



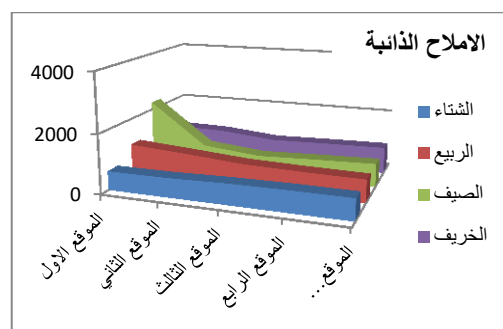
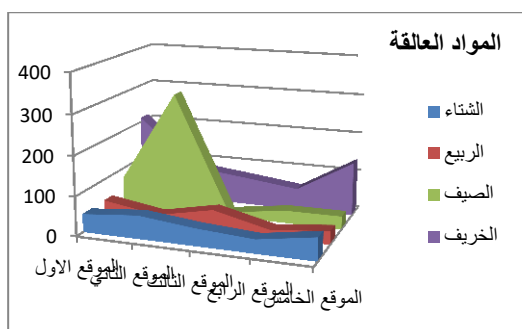
شكل (١١) تغير قيم ايون الكلوريدات

شكل (١٠) قيم عسرة المغنيسيوم ممثلة CaCO_3



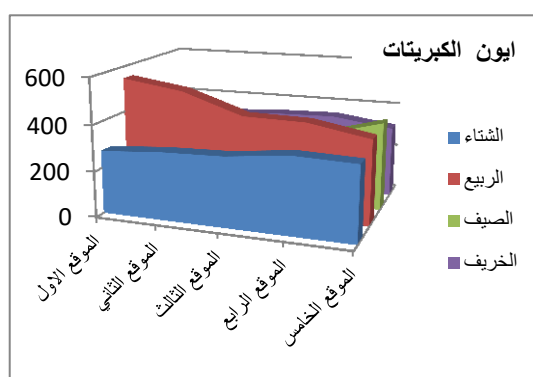
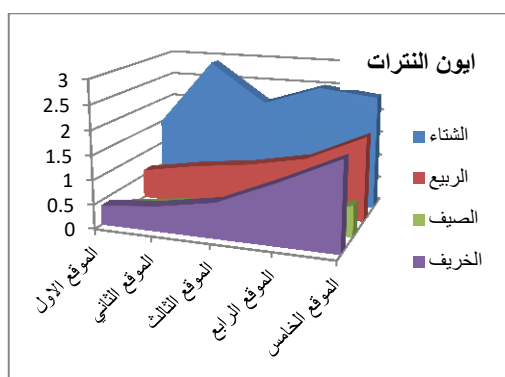
شكل (١٣) تغير تركيز الاملاح الكلية

شكل (١٢) تغير قيم القاعدية الكلية



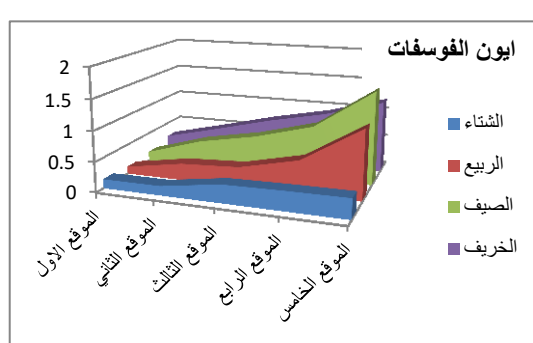
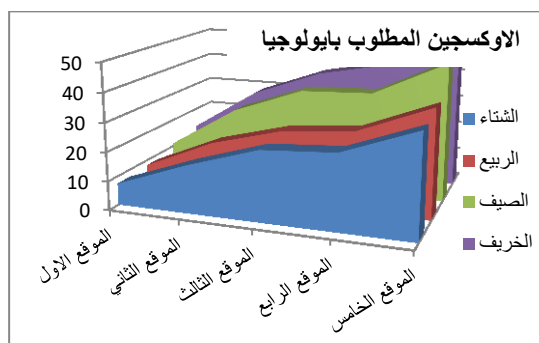
شكل (١٥) تغير تركيز المواد العالقة

شكل (١٤) تغير تركيز الاملاح الذائبة



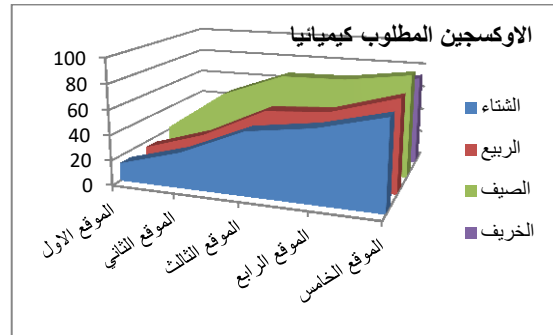
شكل (١٧) تغير تركيز ايون النترا

شكل (١٦) تغير تركيز ايون الكبريتات



شكل (١٩) تغير تركيز الاوكسجين المطلوب بايولوجيا

شكل (١٨) تغير تركيز ايون الفوسفات



شكل (٢٠) تغير تركيز الاوكسجين المطلوب كيميائيا

النباتات في نهر الخوصر

Lemna و Zannichellia التي لوحظت بوفرة في مياه نهر دجلة عند مدينة الموصل خلال الدراسات السابقة مثل دراسة المنديل ٢٠١٠ والمنديل ٢٠١٢ . قد يعود عدم ظهور هذه الأنواع إلى أسباب تتعلق بكيمياء المياه أو طبيعة التربة وعمق المياه ومدى توفر الضوء فيها ، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن النباتات المائية الغاطسة تتصف بحساسيتها العالية للظروف الفيزيائية والكيميائية للمياه مقارنة مع أشكال الحياة الأخرى من النباتات المائية (Van den Berg et al., 1999).

وتجدر الإشارة إلى أن الموقع الأول تميز بانتشار بعض الطحالب الكارية Charophytes مثل النوع *Chara vulgaris* الذي يعد من الطحالب التي

تعد العوامل البيئية مثل عمق المياه وتركيز الغازات المذابة والمغذيات النباتية في الأنظمة البيئية المائية من العوامل المؤثرة في غزارة الأنواع (Capon, 2003) ، ولوحظ أن التذبذب الكبير في مستوى المياه والإثراء الغذائي تعمل على تقليل التنوع في المجتمعات النباتية وجعلها ذات سيادة لنوع واحد (Feldman & Nages, 2007) .

في الدراسة الحالية لوحظ غياب للعديد من النباتات المائية الكبيرة Macrophytes بأشكالها الغاطسة Submergent plants والطافية Floating plants ، مثل الأنواع التي تعود للأجناس Ceratophyllum و Potamogeton و Myriophyllum

تنمو في المياه العذبة القاعدية الضحلة التي اتسمت بها
مياه الموقع الأول قيد الدراسة. (2004) وله قدرة عالية على تحمل التذبذب في
مستوى المياه.

فيما يتعلق بالنباتات المنبتة أو البارزة
Emergent plants لوحظ وجود حزام على
جانبى النهر من نباتات القصب *Phragmites*
spp. والبردي *Typha spp.* اختلف في كثافة
نباتاته في المواقع قيد الدراسة. إذ كان الحزام النباتي
اقل كثافة عند الموقع الأول بينما تميز بوفرة عالية نسبيا
عند الموقع الثاني (مستشفى السكر) وتعد هذه
النباتات من أكثر الأنواع المائية البارزة انتشارا في
الأراضي الرطبة ذات المياه العذبة في العراق والعالم ،
كذلك فهو يتواجد في المناطق الساحلية للبرك والأنهار
والمصببات، ويستطيع تحمل ظروف الأنظمة المائية
الموالية والمالحة أيضا (Soeteart et al.,

وفي نفس الوقت مصدراً لطرح مياه الفضلات
الناجمة.

٣- كان تركيز الملوثات في مياه النهر مرتفعة
وخصوصا المغذيات والملوثات العضوية، ويزداد
التركيز كلما زاد طول مسار النهر.

٤- نوعية مياه نهر الخوصر رديئة مقارنة بنوعية مياه
نهر دجلة، مما يسبب تلوث مياه نهر دجلة.

الاستنتاجات

- ١- يعتبر نهر الخوصر من خصوصية محافظة نينوى.
فهذا النهر ينبع ويصب ضمن حدود المحافظة ويمر
بعده قرى ومناطق الى ان يصب بنهر دجلة عند
الجسر الحديدي مقابل المدينة القديمة .
- ٢- يعتبر نهر الخوصر مصدراً للاستخدامات غير
المنزلية في المناطق البعيدة عن مركز المدينة،

- ٥- تؤثر الظروف الجوية وزيادة تصريف النهر على نوعية المياه، اذ يسبب زيادة التصريف في خفض تركيز الملوثات.
- خبراته الكثيرة كمورد مائي سطحي من خلال الزراعة أو من خلال إقامة المدن السياحية على أطرافه.

المصادر

- ١- حياوي، غنية عبد المجيد؛ "نموذج هيدروليكي لدراسة وتهذيب نهر دجلة بين جسر نينوى وجسر الحرية في مدينة الموصل"، كلية الهندسة، جامعة الموصل، ١٩٨٨.

- ٢- محمود، حازم جمعه؛ سعيد، محمد وليد؛ خطاب، محمد فوزي؛ "هيدروليكية ورسوبية مصب نهر الخوصر في مدينه الموصل - شمال العراق"، المؤتمر العلمي الدوري السادس لمركز بحوث السدود والموارد المائية، ٢٧-٢٨ تشرين الأول، ٢٠٠٨.

- ٣- السنجري، مازن نزار؛ خطاب، محمد فوزي؛ النعيمي، حازم جمعه؛ "التأثيرات السلبية لمياه نهر الخوصر على نهر دجلة في منطقة المصب"، المجلة العراقية لعلوم الأرض، المجلد (٨)، العدد (١)، أيار، ٢٠٠٨.

- ٤- محمد علي، ميادة حازم؛ "تأثير نوعية مياه نهر الخوصر على نهر دجلة والمعالجة الأولية لها" مجلة هندسة الرافدين، المجلد (١٧)، العدد (٣)، حزيران، ٢٠٠٩.

- ٦- تم تشخيص اثنا عشر نوعا من النباتات على ضفاف النهر معظمها من النباتات المنبتة او البارزه مع غياب للعديد من النباتات المائية الكبيرة Macrophytes بأشكالها الغاطسة والطافية.

التوصيات

- ١- إنشاء بعض الحواجز والسدود الصغيرة على مجرى النهر للسيطرة على تصريف النهر والاستفادة من البحيرة المتكونة لتحسين المياه المطلقة بعدها من الناحية الكمية والنوعية.
- ٢- تثبيت التربة في حوض التغذية لمنطقة النهر للتخفيف من الملوثات والأطيان التي يحملها النهر.
- ٣- منع مياه مجاري المصببات من الطرح إلى النهر مباشرة إلا من بعد المعالجة للتخفيف من تراكيز الملوثات الموجودة فيه.
- ٤- دراسة أنواع النباتات المائية والجذرية التي تعمل على تنقية المياه وامتزاز الملوثات والعمل على زراعتها مع السيطرة الكاملة عليها.
- ٥- على الجهات ذات العلاقة المساهمة الفاعلة في تطوير هذا النهر والعمل على الاستفادة من

- 9- AL- Rawi S. M.; "Contribution of man – made activities to the pollution of the Tigris within Mosul area/Iraq", International Jour. Environ. Research Public Health, Vol. 2, No.2, 245-250, ٢٠٠٥.
- 10- APHA, AWWA, WPCF, "Standard method for the examination of water and waste water", USA, ٢٠٠٥.
- 11- Capon S.J.; "Plant community responses to wetting and drying in a large arid floodplain", River Research and Applications, 19: 509–520, ٢٠٠٣ .
- 12- Feldmann, T.; and P. Noges; "Factors controlling macrophyte distribution in large, shallow Lake Vortsjarv" Aquat. Bot. 87: 15-21, 2007.
- 13- Soetaert, K., M. Hoffmann, P. Meire, M. Starink, D. van Oevelen, S. van Regenmortel and T. Cox.; "Modeling growth and carbon", 2004.
- 14- Van den Berg, M.S., M. Scheffer, E.H. Van Nes and H. Coops; "Dynamics and stability of *Chara* sp. and *P. pectinatus* in shallow lake changing in eutrophication level", Hydrobiology, 408/409: 335-342, 1999.

٥- دحام، اناهد وعد الله ؛ داؤد، احمد علي؛ "

فيضان وادي الخوصر وأثره على نقل الرسوبيات
إلى نهر دجلة في مدينة الموصل"، المؤتمر الأول
لحماية نهر دجلة من التلوث ، آذار، ٢٠١٣ .

٦- مصطفى، معاذ حامد؛ فضل، مازن نزار؛ "تأثير

التوسع العشوائي لمدينة الموصل على نوعية مياه
نهر دجلة" WWW, Research

Publication /Gale.net، نيسان،

٢٠١٨

٧- المنديل، فتحي عبدالله؛ " استخدام النواتج

الطبيعية والصفات البيولوجية في تصنيف بعض
أنواع الجنس *Potamogeton* النامية في نهر
دجلة ضمن مدينة الموصل"، أطروحة دكتوراه ،
قسم علوم الحياة، كلية العلوم ، جامعة الموصل :
١٧١ صفحة، ٢٠١٠ .

٨- المنديل، فتحي عبد الله؛ " دراسة مقارنة في

المظهر الخارجي والتركيب الداخلي على الأنواع
المائية *Zannichellia palustris* L. و

Myriophyllum spicatum L. النامية

في نهر دجلة عند مدينة الموصل، العراق" مجلة

الدراسات البيئية – جامعة سوهاج – جمهورية

مصر العربية الصفحات ١٧ – ٢٢، ٢٠١٢ .

الجغرافية ما بين علم التركيب وعلم التوزيع

دراسة في فلسفة الجغرافية

د. مراد اسماعيل احمد

ملخص البحث

جاء فكرة هذا البحث لكي توضح وظيفة الجغرافية هل هو علم وظيفته التوزيع اي توزيع الظواهر الجغرافية بمختلف مظاهرها ام هو علم تركيبى يقوم على اساس تركيب الظواهر الجغرافية من خلال الاستعانة بالوسائل الحديثة المعاصرة ومن جملة الاسئلة التي تتبادر الى الذهن عن ماهية الجغرافية ؟ السؤال الذي تطرق اليه البحث وقد حظي بأجوبة عدة القليل منها الذي يفي بالموضوع ام البقية الاخرى فيبدو انها تزيد الموضوع غموضا على غموض بدلا من توضيحه وازالة اللبس عنه . ولغرض الاجابة عن هذا السؤال فقد مر البحث بالخطوات التالية وهي : مراحل تطور مفهوم الجغرافية ، الجغرافية ما بين مناهج العلوم الحديثة ، خصائص مناهج البحث الجغرافي ، منطق التغير والتطور في الجغرافية ، اهمية المكان في الجغرافية والحقيقة ان مثل هذه المواضيع يتبادر دائما الى الانسان الاعتيادي كما يتوقد ذهن الجغرافي المتخصص لهذه الاسئلة ايضا وهذه بادرة جيدة لهذا فان هذه الدراسة التي اجريت بخصوص طبيعة المعرفة الجغرافية التي تتضمنها الموضوعات المختلفة طرحت افكارا جديدة ساعدت العاملين الجغرافيين خاصة المدرسين منهم على ادراك مكانه موضوعهم في مجال المعرفة .

Research Summary

The idea of this research is to clarify the function of geography. Is it the science of its distribution function, ie, the distribution of geographical phenomena in all its manifestations, or is it a synthetic science based on the structure of geographical phenomena through the use of modern modern methods and among the questions that come to mind about what geography? The question that has been addressed by the research has been answered by a few, many of which meet the subject or the rest of the other seem to increase the subject of ambiguity rather than ambiguity and clarify it and remove it. In order to answer this question, the research has gone through the following steps: stages of the development of the concept of geography, geography between modern science curricula, the characteristics of the methods of geographical research, the logic of change and evolution in geography, the importance of place in geography and the fact that such topics always come to ordinary people The geographical thinking of these questions is also a good sign. This study of the nature of the geographical knowledge contained in the various topics raised new ideas that helped the geographical workers, especially the teachers, to realize their position in the field of To find out.

المقدمة

ان الموقف من الجغرافية متباين فهناك من يجب الجغرافية ويعجب بها ، وهناك من ينفر منها ويعتقد انها علم صعب ينطوي على دراسة المعلومات العامة لكن هناك اسبابا يدعو الى النفور من الجغرافية لا تعود الى طبيعة دراستها بل الاسلوب الخاطئ في تدريسها . والواقع ان الجغرافية قد عانت كثيرا ولا تزال من طريقة تدريسها ولقد وصف احد الباحثين الانجليز في نهاية القرن التاسع عشر وهو الاستاذ جلبرت ((اذ قال : لم يكن ثمة واجب اشد جفافا ومشقة من واجب دراسة مجموعة من الكتب الجغرافية)) . وهناك سبب اخر عن عدم الاقبال على دراسة الجغرافية وهو الجهل بطبيعة الدراسات الجغرافية يقول الاستاذ برستون جيمس ((ان حقل الجغرافية معروف بدرجة ضئيلة للجمهور العام بالرغم من ان عدد الجغرافيين في تنام مستمر)) . (خصباك ، شاكر : ٢١٣) .

اولا :- مراحل تطور مفهوم الجغرافية

ان مشكلة الجغرافية ليست مع ذاتها ولا تكمن فيها كونها محددة الابعاد والمعالن لكن المشكلة

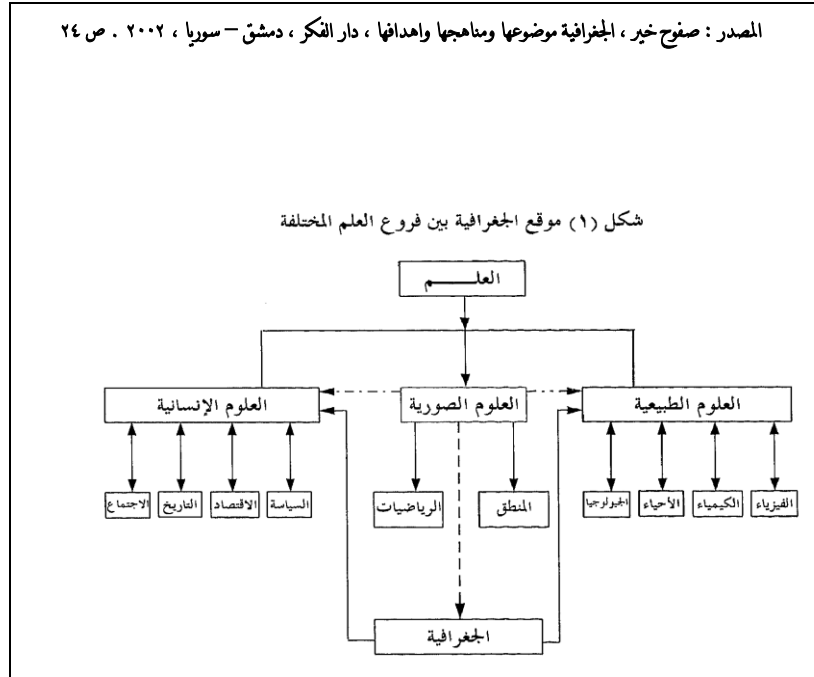
تكمن في القائمين عليها والذي لم تمكن ثقافتهم الجغرافية المحدودة من الولوج الى مكانتها واكثر ماتعاني منه الجغرافية هو تشرذمها على ايدي بعضهم من خلال عدم تمييزهم ما بين متطلبات البحث الجغرافي المختلفة التي سادتها الفوضى . وهذا ما يتجلى واضحا من الخلط بين المنهج والاتجاه والاسلوب والوسيلة والطريقة والاداة التي يستخدمها بعضهم كمرادفات وهذا ما ادى الى ظهور الجغرافيات الشاذة مثل جغرافية الجمعات وجغرافية العلاقات الدولية وجغرافية الفقر . . . الخ الذي ادى الى تشويه الجغرافية . ان المصيبة لا تكمن هنا فقط بل ان معظم الباحثين وهنا نضع تحت كلمة الباحثين مئات الخطوط ذلك لان معظمهم لم يعدوا كباحثين لهم دراية كافية بأصول البحث العلمي والا فماذا يفسر ان الغالبية العظمى من الجغرافيين لا يميزون في البحث بين المنهج والاساليب والطرائق والوسائل والادوات المستخدمة التي هي في الاساس من متطلبات المنهج المستخدم . (موسى ، علي حسن : ٢٤) . لهذا فان الجهل في مفهوم الجغرافية يؤدي الى شدة التباين وحدة الخلافات بين الجغرافيين وهكذا فان الدور الجغرافي سيستمر في التلاشي اذ اصبح بين فكي

رحى عدو متحامل وصديق جاهل ذلك لان الجغرافي الذي يجهل طبيعة مادته ولا يقف عند حدود اختصاصه يضع نفسه في مصاف المتطفلين وهذا يعرض الجغرافية الى التشكيك في اهمية موضعه وتخصصه (خير : صفوح) . وهناك نقطة اخرى يجب الوقوف عندها ان الجغرافية هي نفسها ايضا مسؤولة عن هذا الموقف لأنها عجزت حتى اليوم عن تبلور شخصيتها هل هي علم من العلوم الصرفة ام من العلوم الانسانية (خصبك ، شاكر:) . ان الجغرافية تعيش في محنة الميدان ومحنة التعريف اذ ان موقف الجغرافية بين العلوم يثير مشاكل جدلية . وهنا سؤال يطرح نفسه اين هي الجغرافية بين العلوم المختلفة سواء الانسانية منها او العلمية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال يحتاج الى معرفة وظيفة الجغرافية اولا اننا بحاجة ماسة الى المزيد من الوعي الجغرافي وكذلك اهتمامات الجغرافيين انفسهم ومدى درايتهم بعلم الجغرافية من حيث مضمونها . فالجغرافية تؤدي وظيفة اساسية كأي علم له اصوله ونظرياته فهي تبحث عن الاسباب والتعميمات لهذا فهي ليست اسلوبا نظريا من اساليب الوصول الى المعرفة بالإضافة

الى ان الجغرافية وظيفتها تختلف في وقت السلم عن وقت الحرب (الشرنوبلي ، محمد عبد الرحمن : ١٠) والمقصود في ذلك ان هذا العلم يمكن ان يتحول بأكمله الى سلاح او آلة تمثل احد اهم اركان وركائز الاهتمامات العسكرية ويصبح في اعداد العلوم الخطيرة التي يمكن ان تلحق اضرارا لا اخر لها او توجيه هذا العلم الى وجهة نفعية والحث المتواصل عليها في توجيه البحوث عن التنمية المكانية (علي ، وليد نبيل : ٢٠١١) . ان المعروف من العلوم المختلفة ان غايتها الاساسية هو دراسة المجال الكامل للمعرفة وان عدم القدرة على الاحاطة بالمجال الكامل للمعرفة قد ادى الى تقسيمها الى فروع لكن متداخل في طبيعته والعلم الوحيد الذي يربط العلوم ببعضها هو علم الجغرافية لاحظ الشكل (١) ، من خلال هذا الشكل نجد ان الجغرافية هو علم يبني يضع قدما في العلوم الطبيعية وقدا في العلوم الانسانية وتدرس العلاقة القائمة بينها وان التفاعل الناتج بين هذه العلوم هي الظواهر التي يقوم الجغرافية بدراستها وهذا يؤدي الى ان تكون الجغرافية علم في غاية التعقيد والسبب في ذلك هو ان على

الجغرافي ان يكون ملما بفروع المعرفة كافة الطبيعية والانسانية معا اذا يظهر من خلال

المصدر : صفوح خير ، الجغرافية موضوعها ومناهجها واهدافها ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٢ . ص ٢٤



أخذت توجه الى الجغرافية والجغرافيين بسبب اعتمادهم على العلوم الاخرى فاخذ البعض يتهم الجغرافية بانه علم لقيط يلتقط المعلومات من العلوم الاخرى لكن هذه اتهامات باطلة ذلك لان الجغرافية تبني مهمة فحص الاشياء ككل في المكان وان الجغرافي يضيف الى المعرفة البشرية شيئا جديدا من خلال ربط العلوم المختلفة ربطا محكما يلقي ضوءا اعمق على واقع الظاهرة البشرية والطبيعية اما ظاهرة التوالد اي الفروع العديدة لعلم الجغرافية قد تكون بالفعل ظاهرة تهدد الجغرافية بالتشتت غير ان الجغرافية له قواعده واصوله يؤدي هذه الفروع الى

هذا ان الجغرافية هو علم مركب من مجموعة من العلوم بسبب ارتباطها بكثير من العلوم وهذا ما اشار اليه البرخت بنك عندما قال : ((ان الجغرافية جسر بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية)) وكذلك أكد ايمانويل كانت ((ان الجغرافية لا تنتمي الى العلوم الطبيعية او العلوم الانسانية او العلوم الصرفة انما هي طريقة للوصول الى المعرفة لها منهجيتها وشخصيتها المتميزة اي تتجه نحو ترتيب الظواهرات في المكان)) (خير ، صفوح : ١٩-٣١) . اذا ان الجغرافية الحديثة قد قاست مفاهيمها ومناهجها من ظاهرة التوالد الخطرة وادت هذه الظاهرة الى اتهامات خطيرة قد

خروج الجغرافية بشخصية متميزة (خصباك ، شاكر : ٢٢٢) .

ثانياً:- الجغرافية ما بين مناهج العلوم الحديثة

ان الجغرافية في عقد السبعينيات والثمانينيات بدأت تنسحب نوعاً ما نحو مواضيع التحليل الكمي وظهور مناهج حديثة حملت نوعاً من ردود الفعل لكن قدر الجغرافية ان تعايش مع مفردات كل عصر تعيش فيه مستخدمة ادواتها ومفاهيمها وقواعدها وفلسفتها وافكارها ذلك لان معظم الابحاث الجغرافية لها فترة صلاحية قصيرة للغاية وتقل قيمتها تدريجياً مع مرور بضع سنوات قليلة نظراً لأسباب تتعلق بطبيعة الابحاث ذاتها واعتمادها على المراجع أكثر من الاعتماد على النزعة الابتكارية والبيانات الاحصائية وهناك ندرت جيداً ان طفرة الحداثة العلمية ادت الى احلال الكثير من الآلات والادوات محل اخرى فلماذا نستنكر ذلك على الجغرافية ربما يعود ذلك الى ندرة الاعتماد على فلسفة الجغرافية اذ يلاحظ ان معظم البحوث الجغرافية تعتمد على البيانات والاحصائيات الرسمية وتمثيلها في اشكال وجداول وخرائط لكن هل هذه هي فلسفة

الجغرافية وتطبيقاتها ؟ كلا بل هو قصور يمارسه الجغرافي والذي ساهم في زيادة الفجوة بين البحث العلمي في المكاتب وحقيقة الاوضاع على الطبيعة .

وهنا لابد من اتخاذ مسار علمي وافراز منهج نافع يسمو على القيود وعقم الفكر الجغرافي الوصفي محدود النفع والتوجه نحو تغيير البيئة الجغرافية وهنا يحتم على الجغرافية التقليل من الانتماء الى الدراسات الانسانية وتقوية الجغرافية واعطائها حرية اكبر في الحركة أكثر مما كان عليه اذا ما لذي نريده من الجغرافية ؟ لابد ان يكون للجغرافية دوراً اساسياً بحيث يكون المفكر والاداة الاولى للسيطرة على الظواهر وتطويعها خدمة للإنسان (علي ، وليد نبيل : ١٩-٢٨) . اذا اهم خطوة في تطور الجغرافية هو مرحلة الانتقال من دراسة الاشياء الى دراسة العمليات وان مجموع المعلومات المتوفرة حول موضوع ما يصبح علماً اصيلاً عندما نغنيه بالنظريات . فلقد جمع الجغرافيون خلال مراحل تطور الجغرافية كما هائلاً من المعلومات واكتشفوا قوانين عديدة (عبد الكريم ، علي : ، ١٩٧٩) . اذا هنا لابد من التركيز نحو تحديد الهدف ذلك لان معظم العلوم تشترك في مناهجها وكذلك

ادواتها ووسائلها ولكن تختلف في اهدافها واغراضها
لهذا لابد من تحديد الهدف الذي يعطي الجغرافية
ذاتيتها ويثبت استقلاليتها ويرتقي الى ان يكون علما
اصوليا وقد مرت بمراحل عديدة لكي يصل الجغرافية
الى الهدف الذي يسعى الى تحقيقها (الفرا ، محمد
علي عمر : ١٩٨٠) وكما يقول ادكار . أ . روز))
المستقبل يختلف كلياً عن الماضي والعلاجات القديمة
غير مناسبة وغير ذي علاقة ، بهذه الحالة نحن نحتاج
ان نمارس مخيلتنا لرواية ما سيحدث)) . ان غاية اي
علم هي ربط الظواهر موضع الاهتمام بقوانين تساعد
على سهولة فهم تلك الظواهر وحسن الانتفاع منها في
مجال التطبيق العملي وهذه القوانين ليست سوى
احكام عقلية يتوصل اليها العقل البشري لصياغتها
ولكن هذا لا يعني ان دراسة الجغرافية ملزمة بصورة
دائمة ان تستخلص قوانين علمية ثابتة . ويعد المنهج
من ادق واهم المؤثرات التي تحدد شخصية العلم
ووضع مجاله ومعرفة ابعاده وغاياته والمنهج ليس شيئاً
بسيطاً وانما هو مجموع التساؤلات والافتراضات
والخطوات والوسائل النظرية والعملية المتبعة في دراسة
الظواهر للحصول على النتائج . العملية تساعد

على اكتشاف القوانين او ايضاح اليتها . وبما ان مناهج
البحث متداخلة مع بعضها البعض اذا لابد من
الاهتمام بالهدف من وراء ما نقوم بدراسته والهدف
الاساس لعلم الجغرافية هو المكان فجميع العلوم تدرس
المكان كجزء اياً كان محتواها بينما الجغرافية ينظر الى
المكان كنظرة شمولية وتكاملية ما يؤكد الجغرافي
الالماني هنتر في دور الجغرافية في الكشف عن مختلف
جوانب المعرفة حين قال ((الحقيقة مجال من ثلاثة ابعاد
في نفس الوقت لابد ان نفحصها من وجهات نظر ثلاثة
ليتسنى لنا تفهماها فمن احدى وجهات النظر نرى
العلاقة القائمة بين الاشياء ومن الثانية نرى التطور في
الزمان ومن الثالثة نرى التنظيم والتوزيع المكاني)) ان
هذه العبارات توضح فلسفة الجغرافية وتحدد اهدافها
بجلاء من خلال النظر الى الاشياء مجتمعة في علاقاتها
المكانية اي الشمولية وكذلك انها همزة الوصل بين
الظواهر الطبيعية والظواهر البشرية وتعني التكاملية
. اذا الجغرافية هي العلم الذي يوحد بين الظواهر
وهكذا يبدو ان اهداف الجغرافية مغايرة تماما عن
اهداف العلوم الاخرى (الحمادي ، محمد عبد الحميد
: ١٧-٤٧) .

لهذا اتجه الجغرافية الحديثة ووضعت الخبرة الجغرافية
والبحث الجغرافي التطبيقي في خدمة تحسين احوال
الحياة ان هذا هو التحول من اهداف سعت اليها
الجغرافية الحديثة الى اهداف تحققت وتسفر عنها
الجغرافية المعاصرة في الوقت الحاضر من خلال التقييم
الجغرافي وقد فتح هذا التقييم الجغرافي المجال لقياس
الجدوى وحسابها بشأن الظاهرة الجغرافية التي يعالجها
الجغرافي ان كل هذا اطلق العنان للمجال التطبيقي
العلمي في الجغرافية المعاصرة . ان الفكر الجغرافي
وفلسفته الواقعية قد حفز التجديد والابداع من خلال
التوجه نحو التنظيم المكاني للظواهر الجغرافية (
سعيد ، ابراهيم احمد و دبس ، ممدوح شعبان :
٢٠١١) . وهنا سؤال يطرح نفسه هل علم الجغرافية
رهن بالقيود التي تفرضها مكونات مكان ما دون سواه
ومن ثم نكون امام بقع جغرافية معنونه ومعزولة الواحدة
منها عن الاخرى ؟ للإجابة على هذا السؤال لابد من
الاهتمام بدراسة المكان الاجتماعي الذي يعنى
بنشاط الانسان داخل محيطه الجغرافي ابتداء من
ابتكار النار الى ابتكار الطاقة النووية والانترنت عبر
مرحلة دامت ملايين السنوات اذ يركز الجغرافية على

اظهار اهمية العنصر المكاني في توجيه كل الظواهر
التي تشكل سلوكياتها ومن ثم تحدد علاقة بعضها
ببعض . وهي تعد التباين او الاختلاف المكاني بكل
مكوناته حجر الزاوية في علم الجغرافية من الناحية
العلمية من جهة والركيزة الاساسية في بناء العلاقات
المعقدة بين الاماكن التي تقوم الظواهر فيها بدور بارز
يحركها الانسان ، زادت من قدرته على الحركة
وتشعبت علاقاته المكانية فالدور الجغرافي الرائد هو
في تمكن الانسان متسلحا بأدبيات علمه من تحليل
وتفسير كل هذه العلاقات هي صلب المعرفة وركن
العلم الاساسي . اذا الجغرافية تركز في النماذج
والنظريات العائدة للمواقع وبهذا اصبح الجغرافية علما
مركبا من خلال التحليلات الجغرافية (الموسى ، عبد
الرسول علي : ١٠-١٢) .

ثالثا :- خصائص مناهج البحث الجغرافية

ومن خلال ما تقدم نستنتج ان مناهج البحث الجغرافي
تتصف بعدة خصائص يجب على اي جغرافي مراعاتها
وهي :

- ان المنهج لا يبقى ثابتاً بمرور الزمن فلا بد من ظهور مناهج جديدة تتصف بخصائص تتناسب مع التطورات التي تستهدفها الحياة .
- كل بحث علمي يعد مؤقتاً ولا يمكن اعتباره النتائج النهائية للعقل العلمي .
- تعديل المناهج بشكل مستمر ومرار الزمن بما تتناسب والتطورات والتغيرات التي تشهدها الحياة .
- تغيير المناهج بتغيير المحتوى العلمي وتقديمه وهذا الشيء لا يقدره الا ذوي الاختصاصات الدقيقة .
- العلم منهج عام يتخذ اشكالا مختلفة ويتفرع الى مناهج فرعية في تخصصات دقيقة اكثر تفصيلا .
- ومن هذا المنطلق نجد اننا لا بد من ان نركز على اهمية المنظور الجغرافي في البحث العلمي حيث ان المنظور الجغرافي يعني اهمية المكان والفضاء في العمليات والظواهر وقد تثار الكثير من التساؤلات حول ذلك ، لماذا توجد ظاهرة ما في مكان دون غيره ؟ (اين ولماذا وكيف) . ان اهمية المنظور الجغرافي تكمن في عدة مجالات ذات علاقة بحياة الانسان ونشاطاته المختلفة وهذه الاهمية تبلورت من خلال وجهات نظر متجددة لعدد من الجغرافيين الذين يتفاعلون مع العالم المحيط بنا وهنا يتم التركيز على المقصود بالمنظور الجغرافي سواء كان في مجال البحوث التطبيقية او التعليم والحياة العملية . اذ يسعى الجغرافيون الى فهم العلاقات المكانية واهمية الخصائص التي تحدد المكان والجغرافية العريقة تحاول فهم كيفية تفاعل العمليات والظواهر في اي مكان وكيفية حدوث تلك التفاعلات والتي تظهر الطابع الجغرافي وكيفية حدوث تلك التفاعلات والتي تظهر الطابع الجغرافية . فمنهجية التحليل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والبيئي وعمليات التفاعل في

المكان تقدم فهما متكاملًا ومتميزًا في طابعه
الجغرافي ويظهر التحليل المنهجي المتبع في
كثير من المناطق بشكل غير كامل الا اذا
اخذ بنظر الاعتبار العمليات التي تتجاوز
حدود المكان ولا بد من لربط تلك العمليات
ببعضها حيث استخدام الوسائل والاساليب
الحديثة المعاصرة في البحث الجغرافي
للمراقبة والتحليل والعرض . ان الاتجاهات
الحديثة في الجغرافية كان لها الاثر الفاعل
على التوجه العلمي للجغرافية وقد اعتمد
عملية البحث الجغرافي الجديدة على ثلاث
ابعاد اساسية توزيع الظواهر الجغرافية
وتعليل توزيع وانتشار الظواهر الجغرافية
وتقضي العلاقة والروابط بين الظاهرة
والظواهر الاخرى . (الدليمي ، خلف
حسين : ٢٠١٠) .

التجديد في العطاء يجابو حاجة العصر ويطاوعها
لتأكيد مكانة الجغرافية بين العلوم وترسيخ ادائها
الوظيفي التخصصي ان تجسيد هذه الفكرة نحو
التجديد يواجه محنة تفجر ابداع هذا التطور من خلال
الاستشعار بالحس والإدراك والوصول الى القيمة
الحقيقية للظاهر الجغرافية (الشامي ، صلاح الدين :
١٩٨١) لذا لا بد من مواكبة التطورات المتزايدة التي
دخلت على ادواتها ومصادرها ومجالاتها البحثية
بحيث اصبح لزاما على الجغرافية والجغرافيين تغيير
مسار الجغرافية وافراز منهج نافع يسمو على القيود
الجغرافية الوصفية ، هذا وظهور مصطلح جديد
للجغرافية في جميع ميادين الجغرافية الا وهي الجغرافية
الانشائية لكنها تحتاج الى دعم من قبل الدولة
والمؤسسات الجامعية والمراكز العسكرية من خلال
مشاريع الجغرافية التطبيقية في الصراعات العسكرية
والتحديات الاخرى . وهذا يقودنا الى القدرة على
التنبؤ وبهذا يكون لعلم الجغرافية دورا مزدوجا بين
العلم النظري والتكنولوجيا التطبيقية من خلال الفوائد
الاقتصادية وفقا لاحتياجات السوق ، يتطلب هذا
المفهوم ان يفرز من منطلقات داخلية وان يطرح عددا

رابعا:- منطق التغيير والتطور في الجغرافية

ان الجغرافية الحديثة قد حمل في احشائه ارادة
التغيير والتطور تطلعا الى ما هو افضل هذا يعني

من القضايا البحثية التي لم يتمكن حتى الان من التصدي لها . ان تحويل الجغرافية الى واقع له منهج ينشأ مدرسة تربوية للمفكرين الجغرافيين من خلال صياغة الافكار الاولى والقواعد الاساسية اللازمة لنهضة تطبيقات هذا العلم . بالإضافة الى انشاء بنك للأفكار والمشاريع الجغرافية العملية التي تنتظر من ينفذها من خلال تحديد الاهداف الجغرافية الصغرى والاهداف البعيدة المدى والنتائج الايجابية والاثار السلبية . وهذا ما يساعد الى تحقيق الهدف الاساسي من الجغرافية البنائية (علي ، وليد نبيل : ٢٠١٤) .

خامسا:- أهمية المكان في الجغرافية

ان الموقع هو احد اهم مكونات فلسفة الجغرافية فلا يمكن دراسة اي موضوع في الجغرافية اذا لم يقترن بالموقع من خلال التوزيع والعلاقات والوصول الى قوانين تشرح الروابط القائمة بين الظاهرات اي تفسير التوزيع المكاني لظاهرة ما و الاختلاف في انماطها من مكان لآخر وهذا ما يسمى بالتركيب المكاني المتناسك الذي يمهّد الى تكوين

فكرة عامة الى ما يكون اليه المكان اي التنبؤ بالتوقع امر مهم في تحليل المكان وهذا ما يؤدي الى الادراك المكاني الذي يميز الجغرافيون عن باقي العلوم في عملية الادراك وهذا م انجده عند جمال حمدان في كتابه شخصية مصر بقوله ((الشخصية الاقليمية شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الاقليم اي انه شيء أكبر من حجم الاقليم محاولة ان تفرد الى روح المكان اي عبقرية المكان الذاتية)) . والدليل على ذلك هو ارتباط الانسان بالمكان الذي يعيش فيه واختلاف سلوكيات الانسان ترتبط بالمكان وبما ان المكان في حركة مستمرة تعبر عن اختلافات مكانية . بالإضافة الى التنافس والتكامل المكاني الذي هو جزء من التنظيم المكاني وهي مرتبطة بالتنوع على سطح الارض (الموسى ، عبد الرسول علي : ٢٠١٢) . والمكان هو ميزة اساسية تكون نتيجة علاقته بإمكانة اخرى يمكن دراسته بالنسبة الى البيئة المحلية الاقليمية . اي ان المكان في الدراسات الجغرافية هو الاساس ولا يمكن فصل اي ركن من اركان هذا المكان سواء البنية او الوظيفة او المنظومة او النسق بل هو عبارة عن كل متكامل لا

يمكن فصل اي جزء من هذا المكان سواءً البنية او الوظيفة او المنظومة او النسق وهي العناصر الاساسية في المنهج التحليلي للجغرافية والمعادلة الرابطة بين المفاهيم الثلاثة هي:

بنية + وظيفة = منظومة او نسق

الارضي اذ يقول برونه ((ان التحليل المنظومي هو الوسيلة الوحيدة لحل مشاكل التناقض بين مفاهيم الجغرافية النظامية والجغرافية الفردية بين العام والخاص)) (منصور ، اسعد : ٢٠١١) . ان البحث في

موضوع المركبات الجغرافية اعطى الجغرافيون شعورا قويا بمجاصية ميدانهم وعلمهم النظر في الخرائط والمظاهر بعين ثاقبة اذا الجغرافية هي دراسة شخصية المكان بملاحظتها الطبيعية والبشرية دراسة توزيع وتحليل وتعليل وعند النظر الى هذه الادوات الثلاثة

نجد ان الجغرافية تتصف ب :-

- النظرة الكلية التي تدرك الواقع بجوانبه البشرية والطبيعية .

- ابراز شخصية المكان التي تعد من اهم ما يهدف اليه علم الجغرافية .

- الاهتمام بالظواهرات الجغرافية من حيث التوزيع والتحليل والتعليل وذلك لأدراك العلاقة بينها .

ان هذه المفاهيم يؤدي الى ان يكون الجغرافية علما تركيبيا وهذا ادى الى انفتاح الجغرافية امام منهجان :-

- الاكثار من الدراسات الاحادية التي تبرز مميزات المكان وهي الجغرافية الاقليمية .

- اجراء جغرافية تكوينية نظامية وهذا يستلزم اجراء شبكة دراسات على المجال الارضي .

ولكن من الصعوبة التمييز بين هذين النوعين من الدراسات سواءً الدراسات العامة او الدراسات الاقليمية . ذلك لان مثل هذا النوع من الدراسات يساعد على فهم ما يدور حولنا وتفسير الاختلاف في المجال

المصادر

١. الحمادي: محمد عبد الحميد ، خصائص المنهج الجغرافي ، العدد الاول ، الكتاب الجغرافي السنوي ، ١٩٨٥ . ص ص ١٧ - ٤٧ .

٢. خصباك : شاكرك ، تطور مفاهيم ومناهج

الجغرافية مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ،

العدد ١٠ السنة ١٩٨٩ ، ص ص ٢١٢-٢٢٣ .

٣. خير : صفوح ، الجغرافية موضوعها ومناهجها

واهدافها ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ،

٢٠٠٢ .

٤. الدليمي ، خلف حسين :الاتجاهات الحديثة في

البحث العلمي الجغرافي ، دار الصفاء للنشر

والتوزيع ، الاردن ، ٢٠١٠ .

لهذا نجد ان الجغرافي هو المتخصص الوحيد الذي

يدرس جميع عناصر البيئة التي يعيش فيها الانسان

ويحلله ويعطي تفسيراً متكاملًا ويعد الخريطة هي من

اهم ادوات الجغرافي في دراسته واجاثته وبهذا يستطيع

الجغرافية دراسة الظواهر دراسة كلية يتيح له نتائج لا

يتسنى لغيره ادراكه (محمددين ، محمد محمود والفرا ،

طه عثمان :) .

الاستنتاج

من خلال ما تقدم نستنتج ان الجغرافية علم

مركب او بعبارة اخرى صانع مركب فالظاهرة

الجغرافية تمثل مركبا مكونة من عدة اجزاء لا يمكن

فصل احدها عن الاخر ذلك لان هذه التجزئة هو

ليس من اختصاص الجغرافي بل اختصاص العلوم

الاخرى وهذا ما يميز الجغرافية عن بقية العلوم (خير

، صفوح :) .

٥. سعيد : ابراهيم احمد و ممدوح شعبان دبس ،
تطور الفكر الجغرافي ، منشورات جامعة دمشق ،
سوريا . ٢٠١١ .
٩. علي : وليد نبيل ، خطط صناعة البيئة الجغرافية
في الحرب والسلام ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر
٢٠١١ .
٦. الشامي : صلاح الدين ، التقييم الجغرافي ^{]]}
انطلاقة التجديد والتجويد في الفكر الجغرافي
المعاصر ^{[[} ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء
العدد الثالث ، ١٩٨١ . ص ص ١٠٩ - ١٤٦ .
١٠. الفرا ، محمد علي عمر ، اتجاهات الفكر
الجغرافي الحديث والمعاصر ، منشورات الجمعية
الجغرافية الكويتية ، جامعة الكويت ، ٤٩ .
١٩٨٠ .
٧. الشرنوبلي : محمد عبد الرحمن ، البحث الجغرافي
، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، غير مؤرخ .
١١. محمد بن ، محمد محمود والفرا ، طه عثمان
: علم الجغرافية والبيئة ، دار المريح ، المملكة
العربية السعودية . ٢٠٠٢ .
٨. عبد الكريم : علي ، قوانين الجغرافية الطبيعية
في التباينات الاقليمية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة
البصرة ، العدد ١٤ السنة الثانية عشرة . ١٩٧٩
١٢. منصور : اسعد ، التحليل في الجغرافية ،
دار النهضة العربية ، مصر . ٢٠١١ .
- . ص ص ٢٦١ - ٢٩٨

١٣. الموسى : عبد الرسول علي ، المكان علم ١٤. موسى ، علي حسن : البحث الجغرافي

الجغرافية وفلسفتها التحليل المكاني ، دار الفكر ،
دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سوريا ،

. ١٩٨٠

دمشق . ٢٠٠٩ .

رؤية جديدة لنماذج اندلسية في الحرب والسياسة

أ.د. فائزة حمزة عباس

الملخص

لقد ركزنا في هذا البحث على نموذجين:

النموذج الأول: الخطبة المشهورة للقائد طارق بن زياد والتي ألقاها على جنوده في بداية الفتح العربي الإسلامي للأندلس،

وعلى الرغم من إنكار بعض الباحثين لهذه الخطبة إلا أننا لا نستطيع تجاهل مثل هذه الخطبة، لاسيما من قراءة

تفاصيلها يتضح فيها المعنى الجهادي التي اقترنت بها حروب التحرير العربية الإسلامية، فهو يبحث في هذه الخطبة

على الجهاد في سبيل الله كما تستدل من هذه الخطبة أن طارق كان يتصف بصفات القائد الجيد والناجح

لاسيما في قدرته على قيادة الجيش العربي الإسلامي ومناجزة عدوه وقد أثبتت الأحداث التاريخية خلال

عمليات الفتح ذلك، كما تضمنت الخطبة معاني عديدة إلى الاستبسال والقتال حتى تحقيق النصر أو الشهادة،

كما حث فيها على الجراءة والإقدام لمقارعة العدو وهذه كلها معاني إسلامية سامية سادت الفتوحات العربية

الإسلامية بشكل عام، إضافة إلى نواحي كثيرة أكدت عليها ضمن الخطبة وهي موجودة داخل البحث.

النموذج الثاني: المنشور الذي أصدره عبدالرحمن الناصر حول اتخاذ ألقاب الخلافة، وقد تضمن مضمونه في الدعوة في

مخاطباته والمخاطبات له بأمير المؤمنين، وكان هذا المنشور على هيئة خطاب فصل فيه الدوافع وراء اتخاذ

ألقاب الخلافة على الرغم من أن الأمراء الأمويين الذين حكموا قبله ابتداء من الأمير عبدالرحمن الداخل لم يلقب

أحدهم بلقب خليفة إلا أن مستجدات القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي والتغيرات السياسية التي

حدثت في العالم الإسلامي أدت إلى إعلان الخلافة الأموية في عهده وكان الإعلان سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م وقد فصل

البحث توجهات واستدلالات هذا المنشور باعتباره خطاباً موجهاً إلى العالم الإسلامي ككل.

Abstract

We are focusing in this research on two model:

The First Model: the sermon famous commander Tariq ibnZiyad, which was delivered to the soldiers at the beginning of the Arab conquest of the Islamic Andalusia, and despite the denial of some researchers to this sermon, but we cannot ignore such engagement, especially from reading the details illustrated the meaning jihadist coupled with the wars of liberation Arab-Islamic, he urges in this sermon on jihad for the sake of God as we come to know it through this sermon that Tariq was characterized by qualities of a good leader and successful, especially in his ability to lead the Arab army and Islamic fighting enemy has proven historical events during the conquest, it also included a sermon many meanings to the tenacity and fighting until victory or martyrdom, also urged the daring and bravery to fight the enemy, and all these meanings Semitic Muslim dominated Arab-Islamic conquests in general, in addition to many aspects highlighted by engagement within which is found within the search.

The second model: publication issued by Abdulrahman Nasser about taking titles succession, which included content in the advocacy in his speeches and correspondence to him the prince of the faithful, and this was published in the form of letter of separation in which the motives behind taking titles in succession although the Umayyads princes who ruled before him from the Prince Abdulrahman inside was nicknamed them the title of successor, but the developments in the

fourth century AH / tenth century AD and the political changes that have occurred in the Muslim world led to the declaration of the Umayyads caliphate in the custody of the declaration was the year 316 AH / 928 AD the separation of search trends and inferences of this publication as a letter addressed to the Muslim world as a whole.^١

المقدمة

تعرضت الأندلس على مر العصور الى تحديات داخلية وخارجية، لهذا كان لابد من قادة وحكام يشحذون همم الناس لمواجهة هذه التحديات منذ بداية الفتح العربي الإسلامي لها وعبر مختلف عصورها، لقد برز في الأندلس من القادة والحكام الذين اتصفوا بحكمة وعقلانية في مواجهة تحديات الفتح وشؤون السياسة والحكم .

تضمن البحث ثلاثة محاور، تناول المحور الأول تمهيد يوضح نبذة مختصرة عن دور قادة وحكام الأندلس في مواجهة التحديات التي مرت بها الأندلس، بينما ركز المحور الثاني على خطبة القائد طارق بن زياد وبيان مدلولات هذه الخطبة وتأثيرها في سير عمليات الفتح في حين عني المحور الثالث بالمنشور الذي أصدره عبدالرحمن الناصر حول اتخاذ ألقاب الخلافة، ولإصدار هذا المنشور أسباب ودوافع عديدة، كما أن له تأثير على سير الأحداث التاريخية في الأندلس .

أولاً : تمهيد / نبذة مختصرة عن دور قادة

وحكام الأندلس في مواجهة التحديات

توجه قادة فتح الأندلس منذ البداية الى صرف جزء كبير من اهتمامهم إلى التعبئة والكفاح بسبب ظروف الصراع المرير بين الأندلس وأعدائها و أحاطتها بالأعداء من جميع الجهات، إذ تعد الأندلس

ثغراً من ثغور بلاد الإسلام بحكم مجاورتها للممالك الاسبانية الشمالية ودولة الإفرنج، وكانت سياسة هذه الكيانات ومن ورائها بعض الدول الأوروبية سياسة تقوم على العداء والنيل من أمن وسيادة الأندلس حيث مكنتهم الظروف، وقد كان أهل الأندلس قد عدوا أنفسهم لمواجهة هؤلاء الأعداء فجعلوا بلادهم داراً للجهاد في سبيل الله، أو كما وصفهم شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ (المتوفى سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م) أنهم كانوا "أصحاب جهاد متصل" (١).

كان قادة وحكام الأندلس ابتداء من الفتح العربي الإسلامي يصرفون جل اهتمامهم لحشد طاقات الأندلس نحو حفظ العقيدة من ناحية وتعبئة المجتمع الأندلسي للمواجهة السياسية وربما الجهادية أو العسكرية في بعض المواقع، وقد روي الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة المدينة المنورة المتوفى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م) الكثير مما قيل في أحكام الجهاد فقد ذكر أن رسول الله (ﷺ) قال "مثل المجاهد في سبيل

(١) فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان

عباس دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ج١، ص ١٤٥.

الأندلس القائمة على العدالة والتسامح لمختلف فئات المجتمع^(٦).

ولهذا فان معالجة الازمات الحادة التي مرت بها الأندلس تستحق العناية والاهتمام وكذلك الدرس والتحليل، ويلاحظ أن الكثير من الجهود صرفت في الأندلس في سبيل حفظ العقيدة الإسلامية، وإعطاء المزيد من الحماس والخطب لانطلاق المجتمع الأندلسي نحو حضارة إسلامية ووحدة إسلامية شاملة، ولهذا نجد أن إتباع الأندلس المذهب المالكي أدى إلى تمسك الأندلس بسياسة المذهب الواحد تلك السياسة التي جنبتها الفتن والخلافات المذهبية، مما أدى إلى نوع من الاستقرار والحفاظة على كيان الأندلس ووحدةها^(٧).

الله، كمثال الصائم القائم الدائم، الذي لا يفتر من صلاة ولا من صيام حتى يرجع"^(١).

كما ذكر ألا أخبركم بخير الناس فنزلاً رجل اخذ بعقاب فرسه يجاهد في سبيل الله"^(٢).
يتكون المجتمع الأندلسي أبان الحكم العربي الاسلامي من عناصر مختلفة منهم العرب، والبربر، والمولدون^(٣)، والمستعربون^(٤)، وكذلك اليهود، وقد تفاعلت هذه العناصر تفاعلاً عميقاً جعل من المجتمع الأندلسي مجتمعاً متميزاً في بنائه الحضاري والفكري^(٥). ولم يكن ليتسنى ذلك لولا سياسة حكام

(١) الموطأ، تحقيق: كلال حسن علي، ط١، مؤسسة الرسالة

ناشرون، بيروت، ٢٠١١، ص ٣٤٥.

(٢) الموطأ، المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٣) أهم أبناء الأسبان الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح وأطلق عليهم المسلمة أو الاسالمة، كما أطلق اسم المولدين أيضاً على الجيل الجديد من الأبناء الذين ولدوا من آباء مسلمين وأمّهات اسبانيات. نظر: عبدالواحد ذنون طه، دراسات أندلسية، ط١، بغداد، ١٩٨٦، ص ٨٨.

(٤) المستعربون: هم النصارى الأسبان الذين بقوا على دينهم وتعلموا اللغة العربية. ينظر: حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط١، نشر الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٤٢٨، بدر، المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٢.

(٥) ينظر في عناصر المجتمع الأندلسي، احمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، مطابع ألف باء، الأديب، دمشق، ١٩٦٩، ص ٩٩-١٠٢، دراسات أندلسية، ص ٨١-٨٩.

(٦) ل. ليفي بروفنسال، تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة: علي عبدالرؤف الببجي وآخرون، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، م ٢، ج ١، ص ١٧٣.

(٧) لقد اعتمد أصل الأندلس على مذهب الإمام مالك بن انس في عصر الأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل، واعتمده مذهباً رسمياً للبلاد بدلاً من المذهب الاوزاعي لأسباب معروفة ومذكورة في كتب المؤرخين، ينظر: محمد بن عمر بن أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨، ص ٦٥، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، نشر: لافونيتي القنطرة، مدريد، ١٨٦٧، ص ١٢٠، المقرئ، ج ٣، ص ٢٣٠، احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨، ص ١١٥-١١٦، سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في

ثانيا : خطبة القائد طارق بن زياد

جاءت الخطبة المشهورة التي ألقاها طارق بن زياد على جنوده في بداية الفتح العربي الإسلامية للأندلس عند المقرري بتفاصيلها الكاملة، إذ يشير إلى أن طارق "قام في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال: أيها الناس، أسن المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، وأعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام، في مأدبة اللأم، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وانتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم. وأن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً ذهب ربحكم، وقوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطافية، فقد اقت بها ليكم مدينة الحصينة، وأن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وأني لم أحذركم امراً أنا عنه بنجدة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس [إلا وأنا] أبداً بنفسي، وأعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالألفة الألد طويلاً،

فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حثكم فيه بأوفر من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات قصور الملوك دوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً، ورضيكم للملك هذه الجزيرة مهاراً واختاناً، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون خضه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنماً خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولي إجمادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين، وأعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاعة القوم لذرين فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلك بعدة فقد كفيتمكم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلك قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فأنهم بعده يخذلون" (١).

(١) فتح الطيب من غصن الأندلس الرطب، ج١، ص ٢٤٠ -

أسباب ومدلولات الخطبة:

التي خاضها العرب المسلمون، إذ يبحث في هذه الخطبة على الجهاد في سبيل الله "ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة" (٣).

فالغاية الأساسية للعرب المسلمين في الفتوح تمثلت بتحرير إخوانهم العرب حيثما كانوا هذا أولاً وتحرير الشعوب الأخرى من نير القوى الأجنبية، ونشر قيم ومثل الحضارة العربية الإسلامية (٤).

٢- يبدو أن طارقاً شعر بنوع من التردد لدى بعض الجند المرافقين للحملة فخشي عاقبة الأمر، وهو مقبل على حملة كبيرة مثل هذه فبدأ يناشدهم "أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر".

ويبدو أن القلق بدأ يدب في صفوف جنده لاسيما بعد أن وصلت إلى مسامعهم أخبار الاستعدادات الكبيرة للملك لذريق فقد كان جنده يفوقون عدد المسلمين فهم أضعاف عددهم، لمواجهة الجيش العربي الإسلامي فقد كان جنده يفوقون عدد المسلمين، فهم أضعاف عددهم، حتى أن الروايات

لقد أنكر بعض الباحثين هذه الخطبة بحجة أن أسلوب الخطبة وفصاحتها لا تشجعان على نسبتها إلى طارق بن زياد لأنه بربري، كما ذكروا أنه من غير المتوقع لقائد عسكري أن يعتني بهذا النوع من الصياغة (١).

ومن الاطلاع على مضامين الخطبة يمكن إيراد

الملاحظات التالية:

١- ألقى طارق هذه الخطبة (٢) على جيشه حسب ما جاء عند المقرئ وحث جنده على الجهاد ورغبهم فيه بعد أن حمد الله وأثنى عليه. وبهذا فقد امتازت هذه الخطبة بالسمة الجهادية التي اقترنت بها حروب التحرير

(١) عبدالرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح

الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٢، دار القلم، دمشق،

٢٠٠٨، ص٦٠، خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ

العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب للطباعة

والنشر، الموصل، ١٩٨٦، ص٢٦.

(٢) وردت بعض تفاصيل هذه الخطبة عند عبدالملك بن

حبیب، استفتاح الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي،

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ج٥، ١٩٥٧،

ص٢٢١، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي

بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،

تحقيق: أحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨، ج٥، ص٣٢١-

(٣) المقرئ، المصدر السابق، ج١، ص

(٤) السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص١٩.

واختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم
بمجالدة الأبطال والفرسان" يبدو من هذا النص أنه
يذكرهم باعتماد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-
٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) وثقته الكبيرة بهم في القيام بهمام
الفتح، ويبدو أن هؤلاء القادة العرب قد استجابوا
لطارق من خلال هذه الخطبة بدليل إشارة المصادرة
إلى استخدام طارق لقوة كانت عبارة عن كتيبة من
المقاتلين الأشداء بقيادة عبد الملك بن عامر المعاقري
للاستيلاء على حصن قرطاجنة^(٤)، إذ سارت
بمحاذاة الساحل شمالا وتمكنت من الاستيلاء عليه
.^(٥)

٤- نستدل من هذه الخطبة على أن طارقاً كان يتصف
بصفات القائد الجيد والناجح في قدرته على قيادة
الجيش العربي الإسلامي ومناجزة عدوه إذ أنه في هذه

العربية بالغت في تقدير أعداد جيش العدو إذ أوردت
أرقاماً تتراوح بين اربعين إلى مئة ألف رجل^(١).

٣- ونلاحظ من مجريات الأحداث بأن طارق في هذه الخطبة
كان مخاطب بعض القادة العرب الذين كانوا برفقة
جيش طارق، والذي يحتمل أنهم كانوا على خلاف مع
طارق بن زياد، وأشارت بعض المصادر إلى سور
العرب^(٢)، ومن المحتمل أن هؤلاء القادة العرب
اعتصموا في جبل طارق وبنوا سورا على أنفسهم سمي
سور العرب^(٣)، لهذا حرصاً على مجريات الفتح بدأ
طارق يناشد فيهم النخوة والاستبسال في القتال بقوله
"وقد لانتخبكم الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من
الأبطال عربانا، ورضيكم للملوك هذه الجزيرة مهارا

(١) ابن حبيب، المصدر السابق، ص ٢٢٢، مجهول، أخبار

مجموعة، ص ١٧، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم

المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر ودار

العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة مجال للطباعة والنشر

ن بيروت، ١٩٧٩، ج٤، ص ٢٥٤، المقري، المصدر

السابق، ج١، ص ٢٥٨.

(٢) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ٩، ابن خلدون،

ج٤، ص ١١٧.

(٣) أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في

اختيار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وإ.

لينفي بروفنسال، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،

٢٠٠٩، ج٢، ص ٩.

(٤) حصن قرطاجنة: يقع شمال غرب جبل طارق ويدعى الآن

ب Torre de Cartagena ينظر: أحمد بن عمر بن

عبد العزيز بن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق:

عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت،

١٩٥٨، ص ٨-٩، مؤلف مجهول، فتح الأندلس، نشر: دون

خواكين دي كوثاليت، الجزائر، ١٨٨٩، ص ٥، بان

عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ٩، عبد الواحد ذنون

طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا

والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٦٤.

(٥) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ٩.

بضرورة مجابهة ذريق الذي وصفه بالطاغية^(٢) بكل ما يملكون من شدة وعزيمة، وأوضح أن أمر هذا الفتح ليس بالهين فهم أمام عدو مقتدر من حيث عدده وعدته وتحصيناته الكبيرة "فادفعوا من أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألفت بها ليكم مدينة الحصينة". وقد تواعد طارق في هذه الخطبة بأنه قاتل لذريق فقاتله أن شاء الله تعالى "حتى يخلص المسلمون من شره، ويذكرهم أن استشهد هو قبل أن يقتله فيجب أن يسيروا على خطاه ويقتلون لذريق لأن مقتله هو أحد أسباب نجاح المسلمين في فتح الأندلس "فاكفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فأنهم بعده يخذلون".

وقد أكد طارق على قتل لذريق الذي لم يكن غافلاً عما يحاك ضد بلاده إذ توجد إشارات في المصادر التاريخية نستدل من خلالها أن لذريق كان يترصد بشكل أو بآخر ما يحدث حيث يفهم من النص الموجود عند ابن الكردبوس بأن طارقاً عندما ارس على الجبل الذي عرف باسمه وهو جبل طارق "وجد بعض الروم وقوفاً في موضع وطى كان عزم على النزول

الخطبة أعطى لجنوده جملة من النصائح والإرشادات والتي من خلالها سيتمكنون من دحر عدوهم:

١- حثهم من خلال هذه الخطبة على ضرورة الاستبسال والقتال لتحقيق النصر أو الشهادة، حتى يبدأ هو بنفسه "وأن اتهاز الفرصة منه لممكن أن سمحتم لأنفسكم بالموت، وأني لم أقدركم أمراً أنا عنه بنحوه، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس "إلا وأنا" ابدأ بنفسي".

٢- حث طارق جنده في هذه الخطبة على الجراءة والإقدام لمقارعة العدو، وإلا فإنه سيتمكن بكثرتة من دحرهم سيما وأنهم يقاتلون على أراضي غريبة عنهم وبعيدة عن مركز الدولة العربية الإسلامية وفعلاً فحتى الخليفة الوليد بن عبد الملك قبل بدء الفتح كان يركز على هذه النقطة إذ كان يحث القائد موسى بن نصير على إرسال السرايا والحملات الاستطلاعية خوفاً منه على أرواح المسلمين لأنها بلد غريبة عنهم ويجب معرفتها عن طريق هذه الحملات^(١).

٣- وكان طارق بن زياد على علم بقدرات عدوه وحذر جنده في هذه الخطبة من قوة العدو القادمة وأمرهم

(٢) وصف صاحب كتاب فتح الأندلس لذريق بأنه كان

طاغية، ينظر: مجهول، ص ١٥٤.

(١) ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٦، فتح الأندلس،

ص ٥، ابن عذارى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥.

كتب هذا المنشور يوم الخميس الموافق الثاني ذي الحجة ١٦ كانون الثاني سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م^(٥)، وأمر صاحب الصلاة الفقيه القاضي احمد بن يقين عن محمد بن يزيد^(٦) بالدعاء له في خطبة الجمعة، فاستمرت الدعوة له ولمن جاء بعده من خلفاء بني أمية^(٧).

لقد كان هذا المنشور على هيئة خطاب فصل فيه الدوافع وراء اتخاذ ألقاب الخلافة ونصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فأنا أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به، وأظهر

فيه ليلاً إلى موضع وعز"^(١). ويرى الدكتور عبد المجيد نعنعي بان هؤلاء لابد أنهم كانوا مكلفين بمهمة مراقبة الشواطئ وحراستها ورصد أية تحركات غريبة تحدث فيها^(٢).

ثالثاً : المنشور الذي أصدره عبدالرحمن الناصر حول اتخاذ ألقاب الخلافة:

١- مضمونة

وجد عبدالرحمن الناصر^(٣) أن تكون الدعوة له في مخاطباته المخاطبات له بأمير المؤمنين^(٤)، وقد

الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي برونتال، ط١، دار الكتب العلمية ن بيروت، ٢٠٠٣، ج٢، ص٣١.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق: شالمينا، ص ٢٤١-٢٤٢، هامش رقم ٤، عبدالمنعم الهاشمي، الخلافة الأندلسية، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٤٠١.

(٦) ولي احمد بن بقي الشاء سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م وكان من خيرة القضاة وصف بأنه عاقلاً وقوراً حليماً وقد توفي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، ينظر أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٧٨-٨٠.

(٧) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق: شالمينا، ص ٢٤١-٢٤٢، ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٨، ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج٢، ص ٣١.

(١) أبو مروان عبدالملك ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس "كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء"، تحقيق: احمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١، ص ٤٦.

(٢) تاريخ الدولة الأموية في الأندلس دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥٣.

(٣) تولى حكم الأندلس بعد جده الأمير عبدالله بن محمد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، وقد عمل على توطيد السلطة المركزية وتوحد الأندلس تحت لوائه، ينظر: أبو مروان حيان بن خلف ابن حيان، المقتبس، نشر: ب، شالمينا وخرون، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩، ج٥، ص ٦٩-٨١، ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٧.

(٤) ابن حيان، ص ٢٤١، بان عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٨، لسان الدين محمد ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا

اثر تناميته، ورفع سلطاننا إليه، ويسر على أيدينا إدراكه، وسهل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلو أمرنا، وأعلن رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد راينا أن يكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه ومتسم بما لا يستحقه. وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لتأمين ذلك حق أضعناه، واسم ثابت اسعطناه، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله، والله المستعان" (١).

٢- دوافع إصدار المنشور

إن الأمراء الأمويين والذين حكموا قبل عبدالرحمن الناصر ابتداء من الأمير عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) لم يفكروا في اتخاذ ألقاب الخلافة واكتفوا بلقب أمير (٢).

(١) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٨-١٩٩، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق، ص ٣٠، وينظر ابن حيان، المصدر السابق، نشر: شالمينا، ص ٢٤١-٢٤٢، هامش رقم ٤.

(٢) لقب عبدالرحمن الداخل ومن خلفوه في الحكم بلقب أمير وفي بعض الأحيان أضافت بعض المصادر إلى اسم عبدالرحمن الداخل لقب الإمام، ينظر: مجهول، فتح

واصل ذلك يرجع إلى أنهم كانوا يرون بان الخليفة الشرعي في الدولة العربية الإسلامية هو الذي عليه الحجاز والشام والعراق وبعبارة أخرى كانوا يعتبرون الخلافة لمن يملك الحرمين (٣) لكن في المنشور الذي وجهه الخليفة عبدالرحمن الناصر وهو في الحقيقة لم يكن موجها فقط إلى أبناء الأندلس وإنما إلى العالم الإسلامي ككل ومن الاطلاع على مضامين ضد الخطاب والذي كان بمثابة منشور أو إعلان نجد مايلي: أن البعد الديني واضح بشكل كبير في هذا الخطاب فهو دائم التوجه فيه إلى الله سبحانه وتعالى "وليس من كرامة الله ما البسه، للذين فضلنا الله به" كما وأنه نحمد الله بما انعم عليه "والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما انعم به" ويظهر البعد الديني في هذا الخطاب بموقف الناصر من أحييته بالخلافة فهو يعتبر نفسه أحق من دولة ضعيفة مثل الدولة العباسية التي تحكمت فيها العناصر الأجنبية (٤)، إذ أن الخلافة العباسية التي انفردت بهذا اللقب قد فقدت هيبتها بسبب تدخل عناصر أجنبية تمثلت بالقادة الأتراك في

الأندلس، ص ٥٦، ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٦-٥٨.

(٣) ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص ٧٥٠.

(٤) محمد عبدالله عثمان، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة،

١٩٦٩، ق٢، ص ٤٢٩، السامرائي وآخرون، المرجع

السابق، ص ١٥٧.

سلطة الخليفة لاسيما بعد اغتيال الخليفة المقدر على يد قائده التركي @^(١).

كما أنه يعتبر نفسه أحق في الخلافة من الدولة الفاطمية^(٢) التي قامت في المغرب وهو ما شجع الناصر على اتخاذ هذا اللقب في ظل تردي الأوضاع في العالم الإسلامي، فالخلافة أساس قوة المسلمين وأن ضياعها في المشرق سوف يؤدي إلى فقدانها في المغرب وعلى حد تعبير بعض المؤرخين فهو أحق بهذا اللقب من دولة منحلّة (العباسية) وأخرى طارئة (الفاطمية)^(٣).

يبدو من سياق هذا المنشور بأن الناصر يريد إعادة أجماد الخلافة الأموية التي ضاعت في المشرق

"وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه". ويعتبر بأن الأمراء الأمويين نجحوا في نقل سلطان الحكم من دمشق إلى قرطبة وحافظوا عليه، كما انه لا يعتبر العباسيون الورثة الشرعيين للخلافة في المشرق ولا الفاطميين في المغرب^(٤).

يوجه الناصر في خطابه هذا دعوة للأمة بأن الوقت قد حان لإعلان نفسه خليفة "ورفع سلطتنا إليه" كما يشيد في مكان آخر "وعلو أمرنا"، يظهر أن الناصر يشير إلى أنه بعد أن تمكن من توطيد الجبهة الداخلية للأندلس وذلك بقضائه على جميع المتمردين وعلى رأسهم زعيم الفتنة عمر بن @ الذي اقلق الدولة العربية في الأندلس، حتى لقد أشار لنا ابن حيان بأن نهاية هذا التمرد بالنسبة للأندلس "فاتحة الأمثال وطالعة السعد واجتثاث الفتنة"^(٥) وهذه تعطي نفس المعاني الذي أشار إليه الناصر في خطابه.

ويعتبر الناصر في هذا المنشور أن أعلاه نفسه خليفة هو حق شرعي له وأن كل مدعي بهذا اللقب لا يستحقه "إذ كل مدعو بهذا الاسم غير منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لا يستحقه". فاتخاذ لقب الخليفة يضيفي على حكمه قوة ومركزية بعد أن فقد لقب الأمير مكانته وهيئته، لاسيما بعد أن تسمى

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٣، سالم عبدالله

الزناطي، تاريخ الأندلس وحضارتها في عهد بني أمية، ط١، منشورات جامعة فارينوس، بنغازي، ٢٠٠٨، ص ٦٩.

(٢) بدأت الدعوة الفاطمية من خلال عدد من الدعاة الذين

تمكنوا من إرساء لمبادئ الدعوة ونشرها بين بعض قبائل المغرب العربي بقيادة أبو عبدالله الداوي إذ تمكن من احتلال رقادة ثم مدينة القيروان سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، ينظر: ابن

الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص ٤٠-٤٧، ابن عذاري،

المصدر السابق، ج١، ص ١٤٥-١٥١، ابن خلدون، العبر،

ج٤، ص ٣٦.

(٣) عنان، المرجع السابق، ص ٤٢٩، السامرائي وآخرون،

المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٤) الهاشمي، المرجع السابق، ص ٤٠٤.

(٥) المعتبس، نشر: شالميتا، ص ١٣٩.

بهذا اللقب معظم المتمردين والخارجين على السلطة المركزية^(١)، فأصبح لقب الأمير لا يليق بمكانته الكبيرة الذي وصل إليها، إذ يبدو أن أصل الأندلس هم الذين منحوا أميرهم هذا اللقب تقديرا لجهوده في النهوض بالأندلس وتوطيد أركانها وفي هذا القول ابن حيان "الذي هو بالحقيقة له ولغيره بالاستعارة"^(٢).

وقد بقي إعلان الخلافة في الأندلس الرضا والقبول في نفوس الأندلسيين، لاسيما وأنها جاءت من أميرهم عبدالرحمن بن محمد، فلم يستقربوا أعلى أقدامه على هذه الخطوة بسبب مستجدات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، والتغيرات السياسية التي حدثت في العالم الإسلامي ذلك أن علماء المسلمين وفقهائهم اجازوا تعدد الخلافة ما دامت هناك مصلحة تقتضي ذلك^(٣).

الخاتمة

عرض البحث رؤية جديدة لنماذج اندلسية في الحرب والسياسة بغية تشخيص مدلولاتها وأثارها

(١) ابراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، دار النهضة

العربية، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٩٦، السامرائي وآخرون،

المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢) المقتبس، نشر: شالمينا، ص ٢٤١.

(٣) ينظر: نعنعي، المرجع السابق، ص ٣٥٤، الزناتي، المرجع

السابق، ص ٧٥.

في الأندلس ويمكن أن نستنتج من تفصيلات البحث مايلي:

١- كان لقادة وحكام الاندلس دور كبير في الاحداث التاريخية التي مرت على الاندلس خلال عصورها المختلفة ، حيث وجهوا جهودهم في تعبئة طاقات الاندلس لمواجهة التحديات بسبب الصراع المبرر بينها وبين أعدائها .

٢- كانت الخطبة المشهورة التي ألهاها القائد طارق بن زياد على جنده في بداية الفتح العربي الإسلامي أهمية على الرغم من إنكار بعض الباحثين لها إذ أنها تحتوي على قيم ومدلولات سامية فقد امتازت بالسمة الجهادية وكانت بمثابة خطابا ناشد من خلالها القائد طارق جنده في سبيل الاستبسال والقتال حتى تحقيق النصر أو الشهادة وقد بينت هذه الخطبة قدرة القائد طارق وتقانيه من أجل تحقيق النصر .

٣- كما عد المنشور الذي أصدره عبدالرحمن الناصر حول اتخاذ ألقاب الخلافة مثابة خطابا موجها ليس للأندلس فقط وإنما للعالم الإسلامي ككل في تلك الفترة ومن الاطلاع على مضامينه نجد أن البعد الديني واضح بشكل كبير منه . كما أن الناصر من خلال هذا المنشور أراد أن يعيد أمجاد الخلافة الأموية التي قامت في المشرق وقد وضع البحث استدلالا هذا المنشور وأهميته بالنسبة للأندلس وللعامل الإسلامي ككل .

٥- تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام،

تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ط١ دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠٣، ج٢.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد

(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٦- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبدالواحد وافي،

ط١، نشر لجنة البيان العربي، بلا مكان، ١٩٦٠،

ج٢، ج٣.

٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر مؤسسة جمال للطباعة

والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ج٤.

ابن خلطان، احمد بن محمد بن أبي بكر،

(٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان

عباس، بيروت، ١٩٦٨، ج٥.

ابن عذاري، احمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت

بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م).

٩- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.

سركولان وإ. ليفي بروفنسال، ط١، دار الكتب

العلمية، بيروت، ٢٠٠٩، ج١، ج٢.

ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبدالعزيز

(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).

١٠- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع،

دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر العربية المحققة والمنشورة

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم

(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ، دار صادر - دار

بيروت، بيروت، ١٩٦٥، ج٤.

ابن انس، مالك (ت١٧٩هـ/٧٩٥م).

٢- الموطأ، تحقيق: كلال حسن علي، ط١،

مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠١١

ابن حبيب، عبدالملك (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م).

٣- استفتاح الأندلس، تحقيق: حمود علي مكي، صحيفة

معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ج٥.

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف

(ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م).

٤- المقتبس، نشر: ب، شالميتا وآخرون، المعهد الاسباني

العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩، ج٥.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت٧٧٦هـ /

١٣٧٤م).

- ابن الكردوبوس، أبو مروان عبد الملك ١٦- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م).
الخلافة، مطابع ألف باء - الأديب، دمشق، ١٩٦٩، ج ١.
- ١١- تاريخ الأندلس (كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١.
مجهول، مؤلف
- ١٧- تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١هـ/١٠٣١م)، ترجمة: علي عبدالرؤوف البمي وآخرون، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، م ٢، ج ١.
مجهول، مؤلف
- ١٣- فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كوثايلث، الجزائر، ١٨٨٩.
المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري الثلماني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
- ١٤- فتح الطيب من عنصر الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ج ١.
النباهي، أبو الحسن علي بن عبدالله الجذامي المالقي (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)
- ١٥- تاريخ قضاة الأندلس، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.
حسين، حازم غانم
- ٢١- الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٣.
حسين، كريم عجيل
- ١٨- الدولة العربية في اسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨.
الجويس، سلمى الخضراء
- ١٩- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ج ١.
الحجي، عبدالرحمن علي
- ٢٠- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط ٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨.
حسين، حازم غانم

ثانياً: المراجع الغربية والمعربة

- ٢٢- الحياة العلمية في مدينة بلنسية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦ .
- الزنتي، سالم عبدالله
- ٢٣- تاريخ الأندلس وحضارتها في عهد بني أمية، ط١، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ٢٠٠٨ .
- السامرائي وآخرون، خليل ابراهيم صالح
- ٢٤- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦ .
- طه، عبدالواحد ذنون
- ٢٥- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢ .
- ٢٦- دراسات أندلسية، ط١، بغداد، ١٩٨٦ .
- العبادي، احمد مختار
- ٢٧- في تاريخ المغرب الأندلس، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٧٨ .
- عنان، محمد عبدالله
- ٢٨- دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، ١٩٦٩، ق ٢ .
- الهاشمي، عبدالمنعم
- ٢٩- الخلافة الأندلسية، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٧ .
- نعني، عبدالمجيد

اعادة تقييم مرويّات المؤرخ الموصلي ابن الاثير حول بيت المقدس

في ضوء مرويّات الطبري

أ.م.د. ميسون ذنون العبايجي

الملخص

البحث محاولة لتقييم مرويّات ابن الاثير التاريخية حول بيت المقدس في الحقب الاسلامية الاولى، مقارنة بمرويّات المؤرخ محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ/٩٢٢م)، وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع وذلك لان ابن الاثير (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) كان مصدره الاساس في الحقب الاسلامية المتقدمة من تاريخه (الكامل في التاريخ) هو كتاب (تاريخ الرسل والملوك)، وتضمن البحث دراسة المنهج الذي اتبعه ابن الاثير بصورة دقيقة في تعامله مع مرويّات الطبري وذلك من خلال طرح عدة اسئلة منها:-

١. هل التزم حرفيا بالنقل عن الطبري؟

٢. ماهي الاضافات والتعديلات التي اجراها على نص الطبري؟

٣. الى أي مدى يمكن ان تعتمد مرويّات ابن الاثير حول بيت المقدس؟

٤. هل هناك رؤية خاصة لابن الاثير وحاول توظيفها عندما نقل عن الطبري؟

كل هذه الاسئلة ستشكل بجد ذاتها محاور اساسية لموضوع البحث.

Abstract

Re-evaluation texts of Mosul's historian Ibn al-Athir about Jerusalem in view of al –Tabari texts

Dr. Maysoon Thanoon al-'Abaychi

This research is an attempt to evaluate the historical texts of Ibn al-Athir about Jerusalem in the first Period , compared of the tabari (Dead 922 A.D/310 A.H) we choosed this subject because abook Tarikh al rusul wa al-mulouk was the main source in the first Islamic period in the book al – kamil fi al-tarikh by Ibn al Athir (Dead 1232 A.D/630 A.H)

The research included accurate study of the method followed by Ibn al-Athir dealing with the texts of al-tabri through several questions :-

1. Did Inb al-Athir commit literally in the transfer from al-Tabari?
2. What additions and modifications were made for al-Tabar's text ?
3. What extent can we rely on the texts of Ibn al-Athir about Jerusalem ?
4. Is there especial vision for Ibn al-Athir and he third of employ it when transferred from al-Tabari ?

البحث محاولة لتقييم مرويّات ابن الاثير التاريخية	حرفيا بمرويّات الطبري، بل حاول ان يخرجها بسياق
حول بيت المقدس في الحقب الاسلامية الاولى، مقارنة	جديد يلائم وتصوراته الجديدة في معالجة الحدث
بمرويّات المورخ محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ/٩٢٢م)،	التاريخي، لاسيما وان العصر الذي بدا بتدوين احداث
وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع وذلك لان ابن	كتابه الكامل كانت فيه الامة الاسلامية تمر بظروف
الاثير (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) كان مصدره الاساس في	صعبة جدا متمثلة بالجهاد ضد الغزو الفرنجي لبلاد
الحقب الاسلامية المتقدمة من تاريخه (الكامل في	الشام، وهذا ما عكسه من خلال اخراج مرويّاته
التاريخ) هو كتاب (تاريخ الرسل والملوك)، ومن ضمنها	التاريخية حول بيت المقدس بطابع جديد من خلال
المرويّات الخاصة ببيت المقدس، اذ وجدنا انه لم يلتزم	اعادة تسلسل الروايات من حيث التقديم والتاخير فيها

واختلفت عما ظهرت عليه لدى الطبري، وهذا ما نلاحظه في الفتح العمري لبیت المقدس، فضلا عن ذلك حاول البحث دراسة المنهج الذي اتبعه ابن الاثير بصورة دقيقة في تعامله مع مرويات الطبري وذلك من خلال طرح عدة اسئلة منها:-

١. هل التزم حرفيا بالنقل عن الطبري؟

٢. ماهي الاضافات والتعديلات التي اجراها على

نص الطبري؟

٣. الى أي مدى يمكن ان تعتمد مرويات ابن الاثير حول بيت المقدس؟

٤. هل هناك رؤية خاصة لابن الاثير وحاول توظيفها عندما نقل عن الطبري؟

كل هذه الاسئلة ستشكل مجد ذاتها محاور اساسية لموضوع البحث.

• المؤرخ ابن الاثير (نبذة موجزة):

وقبل الدخول في تفاصيل الموضوع لابد من اعطاء نبذة مختصرة عن المؤرخ ابن الاثير، وهو ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد

الواحد ، الشيباني، المعروف بابن الاثير الجزري ، والملقب بعز الدين^(٤١). ولد في جزيرة ابن عمر في (الرابع من شهر جمادى الاولى سنة ٥٥٥هـ/ الثالث عشر من حزيران سنة ١١٦٠م)^(٤٢)، في الجزيرة العمرية ، وبالتحديد في باعينا^(٤٣)، وهي قرية كبيرة كالمدينة ، فوق جزيرة ابن عمر ، لها نهر كبير يصب في دجلة ،

(٤١) ابن الدبشي ، محمد بن سعيد بن محمد : المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابي عبد الله ، تحقيق: مصطفى جواد ، (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٧) ، ج ٣ ، ص ١٣٩ ؛ المنذري ، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم : التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، (القاهرة ، مطبعة عيسى وشركاه ، ١٩٧٦) ، مج ٦ ، ص ٧٤ .

(٤٢) ابن الدبشي : المختصر المحتاج ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ؛ المنذري : التكملة ، مج ٦ ، ص ٧٤ ؛ ابو شامة : الذيل ، ص ١٦٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، مج ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٤٣) ابن الشعار الموصلي ، كمال الدين ابي البركات: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ، تحقيق : كامل سليمان الجبوري، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، مج ٩ ، ص ٦٢ .

وفيها بساتين كثيرة من انزه المواضع تشبه بدمشق^(٤٤)

نشأ ابن الاثير في اسرة اشتهرت بالعلم والثقافة ، اذ كان اخاه وهو ابو السعادات المبارك (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٨م)^(٤٥) . كان عالماً فاضلاً ، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه والفقهاء^(٤٦) . وفضلاً عن اشتغال مجد الدين بتحصيل العلم ، فانه عمل ايضا في الادارة الاتابكية في الموصل واعمالها ، وتولى الوظائف نفسها التي كان قد تولاها والده من قبل . اما الاخ الاصغر لعز الدين فهو ابو الفتح نصر الله الملقب بضياء الدين والمعروف بابن الاثير الجزري^(٤٧) ، صاحب كتاب

"المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر"^(٤٨) اشتهر بكتابة الانشاء ، واصبح وزيراً للملك الافضل بن صلاح الدين بعد وفاة الاخير (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) . وبخصوص ثقافة ابن الاثير العلمية فانها لا تقل اهمية عن ثقافة ومكانة علمية عن اخويه ، اذ تلقى تعليمه منذ صغره في الجزيرة العمرية، وسافر الى بغداد، وحلب، ودمشق، والقدس ايضا، وكان له العديد من التلاميذ من ابرزهم ابن العديم، وغيرهم . وقد ترك بعد وفاته العديد من المؤلفات منها "أسد الغابة في معرفة الصحابة" و"اللباب في تهذيب الانساب" و"التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، هو تاريخ محلي خاص بحكام الدولة الاتابكية بالموصل . واهم مؤلفاته التاريخية وأكثرها . ويمكن القول ان كتاب تاريخ الطبري يعد من المصادر الاساسية بالنسبة لابن الاثير في كتابه "الكامل" اذ ذكر في مقدمته ما نصه: "فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه، لم نخل بترجمة واحدة منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث

(٤٤) ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله : معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٥٥) ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٤٥) ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله : معجم الادباء ، (ط ٢ ، بيروت ، دار المستشرق ، ١٩٢٢) ، ج ١٧ ، ص ٧١ ؛ ابن الدبشي : المختصر المحتاج ، ج ٣ ، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٤٦) معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٧١ .

(٤٧) ابن الشعار الموصلية : قلائد الجمان ، مج ٩ ، ص ٦١ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، مج ٥ ، ص ٣٨٩ .

(٤٨) ابن الشعار الموصلية : قلائد الجمان ، مج ٩ ، ص ٧٢ .

روايات ذوات عدد، كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه، فقصدتُ أتم الروايات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعت كل شيء مكانه، فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً على ما تراه^(٤٩). من هنا نجد ان ابن الاثير يعترف انه لم يلتزم بالنقل عن الطبري، واصل او تم بعض الروايات التي كانت تفتقر لبعض التفاصيل التي لم يوردها الطبري، ويمكن ان نلاحظ هذه التغييرات من خلال اجراء مقارنة دقيقة بين الروايتين من حيث:

أولاً: البناء الخارجي للرواية:

سبق ان حدد ابن الاثير في مقدمة كتابه "الكامل" الاطار العام في ايراده الروايات ، من انه حاول جمع الروايات التي تمت احداثها لعدة سنوات في فقرة خاصة بها ، في حين أن هناك عددا من الروايات التي جمعها ابن الاثير ، ووضعها ضمن فقرة خاصة بها ، لكن الذي نجده في رواية فتح بيت المقدس، انه لم

(٥٠) الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق:

محمد ابو الفضل ابراهيم، (مصر، دار المعارف، ١٩٦٢)،

ج٣، ص٦٠٥

(٥١) لعله وردان الوارد اسمه لدى الازدي ، او فردان وهو

اسم ارمني طمس لما نقل الى السريانية . وهو من اصل

ارمني، تولى منصبا عسكريا في فلسطين

سنة (١٣هـ/٦٣٤)، واصبح القائد العسكري لحمص .

كيغي، ولتر: بيزنطة والفتوحات الاسلامية المبكرة، ترجمة:

نقولا زيادة، قدمس للطباعة والنشر، (٢٠٠٢)، ص١٤٨-

١٤٩.

(٥٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .،

(٥٣) ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٣٤٧.

(٥٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٠٧.

(٤٩) ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد

بن محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ،)

بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨)، ج١، ص٥.

المقدس مرة أخرى.

بن زنكي^(٥٥) ، واستطاع تباعا ان يبلور فكرة الجهاد

ضد الصليبيين، ويكمل ما بدأه كل من عماد الدين

ثانياً:- المضمون:

وولده نور الدين ، فعمل اولاً على انتهاء الدولة

الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) في مصر ،

التي تعد المنافس القوي للخلافة العباسية ببغداد ،

والتي كانت على صراع سياسي ومذهبي دائم معها ،

ومن ثم اعلن نفسه حاكماً على مصر وتابعا في الوقت

نفسه لنور الدين، وحكم باسم الخلافة العباسية سنة

(٥٦٧هـ/١١٧١م)^(٥٦) . وبعد وفاة نور الدين

(٥٦٩هـ/١١٧٣م)، اصبح صلاح الدين الحاكم الفعلي

على ما كان يتولاه نور الدين من مناطق مختلفة من بلاد

الشام^(٥٧) ، فقد بدأ صلاح الدين في العمل على توحيد

حرص ابن الأثير على تقديم اسلوب جديد

تعامل به مع الروايات التي نقلها عن الطبري، اذ لم يلتزم

بجرفية الرواية التي نقلها عنه، بل حاول اجراء عدة

تغييرات وتحويرات التي هي من وجهة نظره صحيحة ،

فلجأ إلى حذف بعض الجمل التي وردت في رواية

الطبري . ولعل اهم عامل اسهم في أحداث مثل هذه

التعديلات في مضمون الرواية ، هو أن الطبري عاش في

عصر وهو (القرن الثالث للهجرة/القرن التاسع للميلاد)

غير العصر الذي عاش فيه ابن الأثير وهو (القرن

السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد)، اذ يمكن القول

ان عصر ابن الاثير غلب عليه روح الجهاد ضد

الصليبيين، فخلال مدة حكم نور الدين ، ولاسيما في

النصف الاخير منها ، بدأت شخصية السلطان صلاح

الدين بن ايوب (٥٦٧-

٥٨٩هـ/١١٧١-١١٩٣م) بالظهور منذ منتصف عقد

الخمسينات ، حيث كان احد قادة نور الدين محمود

(٥٥) جب : "ظهور صلاح الدين (١١٦٩-١١٨٩)" ، صلاح

الدين ، ص ١١٧ .

(٥٦) ابن شداد ، بهاء الدين ابو الحسن يوسف بن رافع :

النوادر السلطانية والحاسن البوسفية ، تحقيق : جمال

الدين الشيال ، (ط١) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف

والترجمة ، (١٩٦٤) ، ص ٤٥ ؛ ابو شامة، شهاب الدين

ابي محمد عبد الرحمن : الروضتين في اخبار الدولتين ،

(ط١-٢) ، بيروت ، دار الجيل ، د.ت) ، ج١، ص

٢٠٠ .

(٥٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٧ .

الجبهة الاسلامية لمواجهة الغزو الصليبي ، إذ استطاع ان يضم إلى دولته كلا من دمشق^(٥٨) ، وحمص ، وحماة^(٥٩) ، وبعلبك سنة (٥٧٠هـ/١١١٤م)^(٦٠) ، وكانت نتيجة جهوده تلك استعادة بيت المقدس من سيطرة الصليبيين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)^(٦١) بعد ان بقي بأيديهم قرابة تسعون سنة، وبذلك انهارت مملكة بيت المقدس الصليبية، وضعف نفوذ الصليبيين في بلاد الشام عامة ، مما اتاح الفرصة امامه في استرجاع العديد من المدن والحصون والقلاع تباعا من سيطرة الصليبيين^(٦٢) . وقد بذل صلاح الدين جهودا كبيرة في التصدي للحملة الصليبية الثالثة (٥٨٥-٥٨٨هـ/١١٨٩-١١٩٢م) والتي جاءت نتيجة سقوط بيت المقدس^(٦٣) ، فحشدت اوربا جيوشها من فرنسا والمانيا وانكلترا ، وضربت حصارا طويلا على مدينة عكا دام قرابة السنتين^(٦٤) ، نتج عنه سقوط المدينة سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) بأيدي الصليبيين^(٦٥) ، ثم عقد الصلح بين الجانبين الاسلامي والصليبي^(٦٦) بالاضافة الى معاصرته للحملتين الصليبيتين الرابعة، والخامسة على مصر كل هذا ساهم في اعطاء وجهة نظر جديدة لابن الاثير في عرضه لرواية فتح بيت المقدس .

ويمكن ملاحظة هذه التغيرات والتي تشكل مجد ذاتها اضافات منهجية من وجهة نظر ابن الاثير ، وقد شملت هذه الاضافات :

أ. المقدمة:

(٦٣) ليونز وجاكسون : صلاح الدين ، ترجمة : علي ماضي ، تحقيق : نقولا زيادة وفهمي سعد ، (بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨) ، ص ٣٤٤ .

(٦٤) المرجع نفسه والصفحة .

(٦٥) العماد الاصفهاني : الفتح القسي ، ٥١٣ ؛ ابن شداد :

النوادر السلطانية ، ص ١٧١ .

(٦٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٥٨) ابن الاثير : الكامل ، مج ١١ ، ص ٤١٥ .

(٥٩) المصدر نفسه ، مج ١١ ، ص ٤١٧ .

(٦٠) المصدر نفسه ، مج ١١ ، ص ٤١٨ .

(٦١) لمزيد من التفاصيل حول هذه المعركة ينظر : العماد

الاصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد : الفتح القسي في

الفتح القدسي ، تحقيق : محمد محمود صبح ، (القاهرة ،

الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥) ، ص ١١٦ ؛

ابن الاثير : الكامل ، مج ١١ ، ص ٥٣٤ ؛ ابن شداد : النوادر

السلطانية ،

ص ٥٧ .

(٦٢) العماد الاصفهاني : الفتح القسي ، ص ٢٣٣-٢٥٧ .

بدا ابن الاثير روايته بمقدمة افتتاحية بين من خلالها ان بيت المقدس فتح في سنة (١٥٠هـ/٦٣٦هـ)، او سنة (١٦هـ/٦٣٧م) ^(٦٧)، مع ايراد سبب هذا الفتح وقال بعد ان انهزم الارطوبون الى ايلياء فتح عمرو بن العاص عدة مدن فلسطينية، فقال ما نصه: "فتح عمرو غزة، وقيل: كان فتحها في خلافة أبي بكر، ثم فتح سبسطية، وفيها قبر يحيى بن زكرياء، عليه السلام، وفتح نابلس بأمان على الجزية، وفتح مدينة لد، ثم فتح يبنى وعمواس وبيت جبرين، وفتح يافا، وقيل: فتحها معاوية، وفتح عمرو مرج عيون...". ^(٦٨)، ولكون ابن الاثير تفصله مدة زمنية كبيرة عن الطبري، لا بد وان فكرة التاريخ والمؤرخ قد تبلورت لديه في جعل لكل حادث سبب، ولا بد وان ابن الاثير قد استعان بمصادر تاريخية اخرى غير الطبري فعلى سبيل المثال ان هذه المقدمة يمكن ماخوذة من البلاذري اذ ذكر ما نصه: "حدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه وعن بقية ابن الوليد، عن مشايخ من أهل العلم قالوا: كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه أرض فلسطين، وعلى الناس

عمرو ابن العاصى. ثم إن عمرو بن العاصى فتح غزة في خلافة أبي بكر رضى الله عنه، ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس على أن أعطاهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وعلى أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد وأرضها، ثم فتح يبنى وعمواس وبيت جبرين، واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له، وفتح يافا، ويقال فتحها معاوية" ^(٦٩)، في حين قدم الطبري روايته بشكل اخر اذ بداها مباشرة بسند للرواية وحددها بالراوي سالم بن عبد الله (ت ١٠٦ هـ / ٧٢٥م) ^(٧٠)، ويقال أبو عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي (رضي الله عنهم أجمعين)، أحد فقهاء المدينة، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، روى عن أبيه وغيره، وروى عنه الزهري ونافع ^(٧١)، وسبب اختياره لهذا الراوي لكونه احد احفاد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله

(٦٩) فتوح البلدان، ص ١٤٤.

(٧٠) تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٦٠٧.

(٧١) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد:

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان

عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٧)، مج ٢،

٣٤٩.

(٦٧) الكامل، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٦٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٨.

عنه)، ولكن الطبري لم يزودنا بسلسلة سند طويلة
أكتفى بهذا الراوي فقط^(٧٢).

١. حذف بعض الجمل:

بعد ان ذكر ابن الاثير فتح بيت المقدس، قال ان
عمرو بن العاص ارسل الى الارطوبون بايلياء رجلا
يتكلم بالرومية، وهذا ما نصه: " فلما تم له ذلك أرسل
إلى أرطوبون رجلاً يتكلم بالرومية وقال له: اسمع ما
يقول، وكتب معه كتاباً^(٧٣)، ولو افترضنا ان ابن الاثير
قد اعتمد على الطبري في النقل فيمكن هنا القول ان
ابن الاثير قد تصرف في النص المنقول، ويبدو للقارئ
ان عمرو بن العاص هو الذي بادر بالكتابة الى
الارطوبون، بعد ان فتح هذه المدن، ولو رجعنا الى
الطبري لوجدنا ان الرواية تختلف تماماً عما اورده ابن
الاثير واتضح للقارئ تكوين صورة مغايرة عما ورد
لدى الطبري، فنجد لدى الطبري انه قبل ان يتحدث
عن الرجل الذي يتكلم بالرومية، سبقه باجراء اخر
وهو انه بعد ان انهزم الارطوبون الى ايلياء، نزل عمرو
ابن العاص اجنادين، واتاح له المسلمون للارطوبون

فرصة الدخول الى المدينة، عندها قام الارطوبون بابعاد
المسلمين الى اجنادين، فانضم الى عمرو بن العاص كل
من علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب، فبادر
الارطوبون بالكتابة الى عمرو بن العاص قائلاً له: " بأنك
صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي والله لا
نفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين فارجع ولا تغر
قتلني ما لقي الذين قبلك من الهزيمة... " ^(٧٤)

فهنا يبدو لنا ان الارطوبون يتكلم من موقع قوة،
ويحذر عمرو بن العاص من الهزيمة، مخافة ان يلقي ما
لقي قبله من الهزيمة^(٧٥)، عندها دعا عمرو بن العاص
رجلا يتكلم بالرومية وطلب منه ان يتنكر، ويسمع ما
يقوله الارطوبون^(٧٦)، بينما ابن الاثير ذكر ذلك بصورة
مختلفة تماماً حيث حذف هذه العبارة التي لدى
الطبري "وأمره أن يغرب ويتنكر"^(٧٧) واتت ضمن هذا
السياق: " فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فأرسله
إلى أرطوبون وأمره أن يغرب ويتنكر وقال استمع ما يقول

(٧٤) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٧.

(٧٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٧٦) المصدر نفسه والصفحة .

(٧٧) المصدر نفسه والصفحة .

(٧٢) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٧.

(٧٣) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

حتى تجربني به إذا رجعت إن شاء الله^(٧٨)، أما نص ابن الأثير فهو " فلما تم له ذلك أرسل إلى أربطون رجلاً يتكلم بالرومية وقال له: اسمع ما يقول... " ^(٧٩)، وهنا يمكن القول ان ابن الأثير لربما اخذ بتسلسل الاحداث من الطبري ولكنه لم يلتزم بمضمونها، ونقل من مصدر اخر، فعلى سبيل المثال أن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وهو من المؤرخين المعاصرين لابن الأثير، أيد ما جاء لدى ابن الأثير في ان الارطوبون هو الذي بادر بالكتابة الى عمرو بن العاص عندما كان في ايلياء اذ ذكر ما نصه: "واقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الارطوبون على شي، ثم اقبلوا على اجنادين فانهزم ارطوبون فاوى الى ايلياء وكتب اليه الارطوبون... " ^(٨٠).

التي لدى الطبري، فمثلا ان الجواب كان ان عمرو بن العاص لا يستطيع ان يفتح شيئاً بعد اجنادين، وانهزم كما انهزم غيره، ومع الجواب ايضا ان الذي يفتح ايلياء رجل صفته كذا وكذا^(٨١)، في حين وردت لدى الطبري رجل متكون اسمه من ثلاث حروف^(٨٢).

٢. اعادة ترتيب الرواية:

بعد ان اورد ابن الأثير مقدمات واسباب استدعاء عمر بن العاص للخليفة، يصوغ مرة اخرى رواية جديدة عن تفاصيل قدوم الخليفة الى الجابية من بلاد الشام، فيقول ان سبب قدوم الخليفة الى الجابية، ان ابا عبيدة عندما حاصر بيت المقدس طلب اهله منها ان يصلحهم على صلح مدن الشام، وان يكون المتولي للصلح الخليفة عمر لقدسية المكان^(٨٣)، فكان ترتيب الرواية لديه على النحو الاتي:

بعدها يبدأ ابن الأثير بصياغة جواب الارطوبون على كتاب عمرو بن العاص، فاختار بعض العبارات

(٧٨) المصدر نفسه والصفحة .

(٧٩) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٨٠) ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي: فضائل

القدس، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، (ط١، بيروت،

دار الافاق الجديدة، ١٩٧٩)، ص١٢٢.

(٨١) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٨٢) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٦.

(٨٣) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

مكان ورود الرواية	الطبري	ابن الاثير	مكان ورود الرواية
ضمن رواية فتح بيت المقدس	قدوم عمر الى الجابية ^(٨٤)	سبب قدوم الخليفة الى الجابية ^(٨٥)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	قال له رجل من اليهود ان لا يرجع حتى يفتح لك ايلياء ^(٨٦)	الكتابة للخليفة من اجل القدوم ^(٨٧)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	وصول وفد من اهل ايلياء الى الجابية ^(٨٨)	خروج الخليفة الى الجابية ^(٨٩)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	اعطاهم الخليفة الامان ^(٩٠)	عدد المرات التي قدم فيها الخليفة الى الجابية ^(٩١) (أخذ ابن الاثير هذه الفقرة من الفقرة الخاصة بفتح اجنادين وبيسان التي وردت لدى الطبري ^(٩٢))	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	عقد الصلح بين الطرفين ^(٩٣)	الكتابة لامرائه الذين بالشام ليوافوه الى الجابية ^(٩٤)	ضمن رواية فتح بيت المقدس

(٨٤) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(٨٥) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٨٦) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(٨٧) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٨٨) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(٨٩) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٩٠) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(٩١) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٩٢) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٧.

(٩٣) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

ضمن رواية فتح بيت المقدس	تعيين الولاة على كل من فلسطين والرملة ^(٩٥)	وصول كل من ابي عبيدة وخالد بن الوليد ^(٩٦)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	شهد ذلك اليهودي الصلح ^(٩٧)	معاقبة الخليفة لهم للزي الذي استقبلوا به الخليفة الذي كان فيه نوع من التبرج ^(٩٨)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	الذين ابرموا الصلح مع الخليفة هم من العوام لان الارطوبون انهزم ودخل مصر ^(٩٩)	ركب الخليفة مع قادته حتى دخل الجابية ^(١٠٠)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	رواية جديدة عن سبب قدوم الخليفة عمر الى الجابية وهي انابا عبيدة حصر بيت المقدس ولم يقدر عليه ^(١٠١)	اشار رجل امن اليهود على الخليفة بان يستغل هذه الفرصة حتى يفتح ايلياء ^(١٠٢)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	استخلاف علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) على المدينة ^(١٠٣)	وصول وفد من اهل ايلياء الى الجابية ^(١٠٤)	ضمن رواية فتح بيت المقدس

(٩٤) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٩٥) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(٩٦) الكامل، ج٢، ص٣٤٨.

(٩٧) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(٩٨) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٩٩) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(١٠٠) الكامل، ج٢، ص٣٤٩.

(١٠١) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(١٠٢) الكامل، ج٢، ص٣٤٩.

ضمن رواية فتح بيت المقدس	انضمام القادة الى الخيفة في الجابية وشهدوا الكتاب ^(١٠٥)	اعطى الخليفة الامان لهذا الوفد ^(١٠٦)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس	اورد نص كتاب العهدة العمرية لاهل ايلياء ^(١٠٧) لم يوردها ابن الاثير	صالحهم على الجزية وفتحوها لهم ^(١٠٨)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس		شهد ذلك اليهودي الصلح ^(١٠٩)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس		الذين ابرموا الصلح مع الخليفة هم من العوام لان الارطوبون انهزم ودخل مصر ^(١١٠)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس		ارسل الخليفة الامان الى اهل ايلياء ^(١١١)	ضمن رواية فتح بيت المقدس
ضمن رواية فتح بيت المقدس		تعيين الولاة على كل من فلسطين والرملة ^(١١٢)	ضمن رواية فتح بيت المقدس

(١٠٣) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(١٠٤) الكامل، ج٢، ص٣٤٩.

(١٠٥) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(١٠٦) الكامل، ج٢، ص٣٤٩.

(١٠٧) تاريخ الرسل، ج٣، ص٦٠٨.

(١٠٨) الكامل، ج٢، ص٣٤٩.

(١٠٩) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١١٠) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١١١) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١١٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

مدن الشام منها حلب ودمشق وبيت المقدس، وهذا ما صرّبه في مواضع عدة من كتابه "الكامل" ثم "التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية" ولا بدّ وأنه تحقق من المعلومات التي وردت لدى الطبري وبخاصة العهدة العمرية التي يشكك بها الباحثون في الوقت الحاضر، وحتى التغييرات التي أجراها على رواية الطبري لها ما يبررها حيث حذف كل عبارة لها أثر سئ على القارى المسلم، بالإضافة الى انه وكما ذكرنا سابقا انه عاش في عصر كانت روح الجهاد في اوج عظمتها ، حيث كان المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين بن ايوب يخضون معارك ضارية ضد الصليبيين في سبيل استرجاع ما اخذه الصليبيون منذ ما يقارب عن الثمان والثمانين سنة، وعلى راس هذه الاماكن استرجاع بيت المقدس

الخاتمة: من هنا يمكن القول ان قضية فتح بيت المقدس في العهد العمري تتميز باهمية تاريخية كبيرة ، حيث قدم الطبري في تاريخه عرضا واسعا ومفصلا عن فتح بيت المقدس، مصادر روايته الشفوية دون ايراد سلسلة السند الطويلة كما هو الحال بالنسبة الى الروايات الاخرى، كما انه اورد نص العهدة العمرية، وهو ما انفرد به عن باقي المؤرخين المسلمين، اما ابن الاثير فانه عى الرغم من ان الطبري كان مصدره الاساس الطبري في القرون الثلاثة الاولى الا انه لم يلتزم حرفيا بالنقل عنه بل انه حاول ان يجري عدة تغييرات وتعديلات، على رواية الطبري، اضافة الى انه حذف الجزء المتعلق بالعهدة العمرية، ولعل من وجهة نظره ان هذه العهدة لم ترد لدى المؤرخين الذين سبقوا او عاصروا الطبري، ومن هنا لا بد من القول اذا كان قد اعتمد على الطبري بصورة كاملة لذا فانه من الضروري الاخذ برواية الطبري، واعتمادها اما اذا كان هناك مصدرا اخر اعتمده ابن الاثير غير الطبري لذا يجب الكشف عنه لعله من المصادر المفقودة، او يكون احد المصادر ذات الاصول الشامية وليس العراقية، حيث لا يخفى على القارئ ان ابن الاثير قد زار عددا من

دور العامل الديني في تعيين حكام الاقاليم (اقليمي الشام والجزيرة الفراتية نموذجا) خلال العصر العباسي الاول (١٣٢-١٣٢)

٢٤٧هـ/٧٤٩-٨٦١م

أ.م.د سفيان ياسين ابراهيم

الملخص :

استندت الخلافة العباسية منذ بدايتها على عوامل عدة منها العامل الديني (الشرعي) الذي مفاده أن العباسيين هاشميون وأبناء عمومة للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم فهم ذوو قرى أحق من غيرهم بالخلافة . ومن هنا اعتمدوا في دعواهم بالخلافة على الأساس الديني (الشرعي) والعمل على نشر العدل وتطبيق الأحكام الشرعية . ويدعو أن ذلك ينسجم مع سياستها في ضرورة توافر عدد من الصفات الدينية للوالي ، كالالتزام بتطبيق أحكام الشريعة وأركان الإسلام في مختلف جوانب العملية الإدارية لولاياتهم . ولما لهذه الصفات من أهمية فقد أخذت الخلافة العباسية ذلك بنظر الاعتبار وكان هناك عدد غير قليل من الولاة ممن عينوا على أساسها ، وكان أغلبهم من الأسرة العباسية .

Abstract :

The Abbasid caliphate was based on several factors, including the religious factor (the legitimate) that the Abbasids Hashimon and the cousins of the Prophet Muhammad peace be upon him and then they are closer to the right of others succession. Hence, they adopted their call to succession on the basis of religious (legitimate) and work to spread justice and the application of the provisions of legitimacy. This seems to be consistent with its policy in the need for a number of religious attributes of the Wali, such as the commitment to the application of the provisions of the law and pillars of Islam in various aspects of the administrative process of their mandates. Because of these qualities of importance, the Abbasid Caliphate took this into consideration and there were quite a number of governors who were appointed on the basis, and most of them from the Abbasid family.

المقدمة :

على وجه الخصوص بمفاهيم ونظريات عديدة ضمن

علاقة جدلية وفقهية بين التيارات والمذاهب

والحركات الدينية من جهة والسياسة بمفهومها العام

من جهة أخرى وتبع عن ذلك ظهور مصطلح الدين

لقد اسهمت الاديان في التعرف على

مفاهيم الطبيعة والتعرض الى مجريات الحياة اليومية

للإنسان ورفدت الفكر الانساني والفكر السياسي

السياسي او السياسة المتدينة ودخل الوعظ والارشاد في مجالس الخلفاء في ادب المرايا وكتب علماء الدين مصنفاتهم في تدبير السياسة الشرعية ورسائل في ادارة سياسة البلدان ومن هنا جاء اعتماد علماء وفقهاء في مهام ادارية سياسية مع الافادة من البعد التاريخي للدين لهؤلاء العلماء .

اشتمل البحث على ثلاثة مباحث تطرق الاول الى الاهمية الدينية لإقليمي الشام والجزيرة الفراتية بينما اشار المبحث الثاني الى دور العامل الديني في انتقال العلماء الى الاقليمين والتوزيع السكاني والقبلي فيهما وجاء المبحث الثالث ليتحدث عن دور الدين والسياسة في تعيين الحكام واثار ذلك على اوضاع الخلافة العباسية واقليمي الشام والجزيرة القريين من اقليم العراق الذي ضم عاصمة الخلافة بغداد .

المبحث الاول : الأهمية الدينية لإقليمي الشام والجزيرة

بسقوط الخلافة الأموية فقدت الشام أهميتها بوصفها مركزاً لخلافة مترامية الأطراف^(١١٣). إلا إنها

(١١٣) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة ثابت الفندي وآخرون، طهران، (د.م)، (د.ت)، مادة الشام، مج ١٣، ص ٨٥؛ الخزرجي، المرجع السابق، ص ٥٤ .

بقيت محتفظة بأهميتها الجغرافية والاقتصادية والعسكرية والدينية. "الشام جليل الشأن ... به القبلة الأولى ... والمسرى والأرض المقدسة والرباطات الفاضلة والثغور الجليلة والجبال الشريفة، وبه دمشق جنة الدنيا، والرملة البهية، وإيليا (القدس) الفاضلة وحمص المعروفة بطيب الهواء، وبه معادن الرخام وعقاقير لكل دواء وتجار وفقهاء وكتاب وصنّاع وأطباء"^(١١٤).

وفي فضل الشام روي عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قوله : "الشام صفوة الله من بلاده يسوق إليها صفوة عباده من خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ومن دخل من غيرها فبرحمته". كما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " عليكم بالشام فمن أبى فليلق بيمينه وليسق من غدره فان الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله " ^(١١٥).

(١١٤) المقدسي، أحسن ...، ص ١٥١-١٥٢ .

(١١٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله حمدويه بن نعيم الحكيم المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م)، المُستدرك على الصحيحين، تحقيق عبد القادر عطا، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م، ج ٤، ص ٥٥٥؛ مهدي، المرجع السابق، ص ١٤.

ان الإسلام وغيره من الأديان السماوية يعد فلسطين أرضاً مباركة وذات أهمية دينية إذ نزل فيها عدد من الأنبياء وإيمان الإسلام بما جاء به هؤلاء الأنبياء إيماناً مطلقاً بصفتهم رسل الله وأنبيائه المبشرين بالحق. وتستخلص عقيدة الإسلام بقدسية الأرض المقدسة من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم وما روى الخلفاء والصحابة والأئمة^(١١٦).

كان مولد عيسى عليه السلام في بيت لحم في الشام^(١١٧)، ومن أرض الشام أسرى الله عز وجل برسوله إلى السماء فهي أرض الإسراء والمعراج، وأرض القدس مباركة ومبارك ما حولها قال الله سبحانه وتعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"^(١١٨).

أما دمشق فقد نزلها عدد من الصحابة وهي دار قرآن وحديث وفقه^(١١٩)، وحصن نزلها الكثير من الصحابة وانتشر بها الحديث زمن التابعين^(١٢٠)، وقنشرين مدينة كثيرة الخير^(١٢١)، وطرسوس تشتمل من الخيل والرجال والعدة والعتاد والسلاح والعمارة والخصب والغلات والأموال والسعة في جميع الأحوال على حال لم يتصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين^(١٢٢).

وهذا يدل على أهمية بلاد الشام العسكرية كإقليم ثغور برية وبحرية^(١٢٣).

أما إقليم الجزيرة فقد امتاز من الناحية الدينية فيها استقرت سفينة نوح على جبل الجودي^(١٢٤). قال تعالى: "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكُمْ وَيَا سَمَاءُ اقْلُعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ

(١١٩) السخاوي، المصدر السابق، ص ١٣٧-١٣٨؛ قساطلي،

المرجع السابق، ص ٦.

(١٢٠) السخاوي، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(١٢١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(١٢٢) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(١٢٣) المقدسي، أحسن، ص ١٥١؛ القرة غولي، المرجع

السابق، ص ٢٣٨.

(١٢٤) المقدسي، أحسن، ص ١٣٦.

(١١٦) المقدسي، أحسن، ص ١٥١-١٧٠؛ جعفر الخليلي،

موسوعة العتبات المقدسة، ط ١، بغداد، دار المعارف، ١٩٧١

م، ج ١، ص ٢٥.

(١١٧) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٥٨-١٥٩؛ المقدسي،

أحسن، ص ١٧٢.

(١١٨) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية (١).

وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(١٢٥). وبها مشاهد عدد من الأنبياء^(١٢٦)، وبها قبر النبي يونس عليه السلام في نينوى^(١٢٧). وفي الجزيرة مدنٌ جلييلة وحصون وقلاع كثيرة^(١٢٨)، ففي الموصل قبر جرجيس النبي عليه السلام^(١٢٩)، وحران مدينة ذات أهمية دينية وكذلك مدينة نصيبين^(١٣٠).

المبحث الثاني : دور العامل الديني في انتقال العلماء

وقبائلهم لإقليمي الشام والجزيرة

تشكل الشام حلقة وصل ما بين البحر الأبيض المتوسط وشبه جزيرة العرب كما انها تربط بين العراق ومصر وقد سكنتها الأقوام السامية منذ عصور قديمة وأقام بها الأمويون، والفينيقيون

والعبرانيون حضارتهم وتطلع إليها البابليون والآشوريون والمصريون والحيتيون والفرس...^(١٣١). كما سكنت الشام القبائل العربية اليمانية والقيسية في الشام خليطٌ متعدد من السكان من العرب والعجم ومن لحم وجُذام وعاملة وكدة وكثانة وقبائل أخرى متعددة^(١٣٢).

وسكنت الجزيرة قبائل من ربيعة ومضر وبكر^(١٣٣). ويرجع سكن القبائل العربية في الجزيرة إلى عصور سحيقة في القدم قبل ظهور الإسلام إذ هاجروا من موطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية واستقروا في أنحاء متفرقة منها على ان هجراتهم للجزيرة استمرت بين فترات متفاوتة حتى في العصرين الأموي والعباسي^(١٣٤) كما كان للفتوحات العربية الإسلامية

(١٢٥) القرآن الكريم، سورة هود، الآية (٤٤).

(١٢٦) المقدسي، أحسن...، ص ١٣٦.

(١٢٧) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(١٢٨) الحموي، المصدر السابق، مج ٢، ص ١٣٤.

(١٢٩) البغدادي، مراصد...، ج ٣، ص ١٣٣٣.

(١٣٠) أبو بكر أحمد بن إبراهيم الحمداني المعروف بابن الفقيه

(ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م)، مختصر كتاب البلدان، ليدن،

مطبعة بريل، ١٨٨٥ م، ص ١٣٢-١٣٣.

(١٣١) العاني، إدارة...، ص ٢٧؛ القروغوي، المرجع السابق،

ص ٥٢؛ الزرو، المرجع السابق، ص ٨؛ ينظر

(١٣٢) اليعقوبي، البلدان، ص ٩٠.

(١٣٣) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٢٠٥؛ محمد الخضري

بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية،

القاهرة، المطبعة التجارية الكبرى، ١٩٧٠ م، ص ٣٤.

(١٣٤) المشهداني، المرجع السابق، ص ١٤٧؛ الخضري بك،

المرجع السابق، ص ٣٤.

دور في ازدياد الهجرات واستقرار القبائل العربية في الشام والجزيرة .

جند الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥ هـ / ٦٤٣-٦٥٥ م) الموصل وأسسها أربعة آلاف من الازد وطى وكندة وعبد قيس^(١٣٥). ولما ولي معاوية بن أبي سفيان بلاد الشام والجزيرة في خلافة عثمان بن عفان أمره أن يُنزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ويأذن لهم استغلال الأرض التي لاحق فيها لأحد فأنزل بني تميم الرابية وأنزل مدن عديدة من الجزيرة خليطاً من قبائل قيس واسد وغيرهم وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر ورّتب ربيعة في ديارها على ذلك^(١٣٦). كما ان عياض بن غنم فتح سنجار وأسسها قوماً من العرب^(١٣٧).

سكنت قبيلة الازد الجزيرة وقبيلة الازد من القبائل القحطانية^(١٣٨)، وهم بنو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ^(١٣٩). وسكنت الموصل والمناطق المحيطة بها وسكوا إلى جانبهم عدد من من قبائل خزرج.

ومن قبائل الجزيرة النمر بن قاسط ونسبها من ربيعة بن نزار^(١٤٠) ومنهم الصحابي صهيب بن سنان^(١٤١).

(١٣٨) أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، نهاية الارب في معرفة قبائل العرب، تحقيق إبراهيم الأيساري، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠ م، ص ٩١؛ السلمان، المرجع السابق، ص ٣٩.

(١٣٩) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)، اللباب في تهذيب الأنساب، (د. ت)، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى-بغداد، ج١، ص ٤٦؛ القلقشندي، نهاية، ص ٩١.

(١٤٠) أحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٧ م، ص ٣٦١؛ أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ / ٨٣٥ م)، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد

(١٣٥) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، مج ٣، ص ٤٠١؛ عبد الماجد أحمد السلمان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، ط١، الموصل، منشورات مكتبة بسام، ١٩٨٥ م، ص ٣٩-٤١.

(١٣٦) البلاذري، فتوح....، ق١، ص ٢١١.

(١٣٧) البلاذري، المصدر نفسه والقسم، ص ٢١٠.

وبالجزيرة عدد من من بنو الشَّخِص بن وائل بن قاسط^(١٤٢).
وبالجزيرة أيضاً بني غفيلة من عمرو بن قاسط^(١٤٣).
كما سكن الجزيرة بنو عقيل وهم من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وبنو هلال وقد انتشروا على مساحة واسعة من بلاد الشام والجزيرة وكانت لهم

كثرة في مدينة حران^(١٤٤). وبنو شيبان وهم من بكر بن وائل من العدنانية^(١٤٥). وقبيلة تميم ومنهم بنو عمر بن سعد بن تميم ويقال لهم الصحصحيون^(١٤٦).
وقبائل عنزة الذين انتشروا بين الزابين^(١٤٧). وفي الجزيرة سكنت قبيلة أباد^(١٤٨).

^(١٤٤) أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة مطابع كوستاتسوماس وشركائه، ١٩٦٣ م، ج ١، ص ٣٤١-٣٤٢.

^(١٤٥) القلقشندي، نهاية ...، ص ٣٠٩.

^(١٤٦) ابن دُرَيْد، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٨.

^(١٤٧) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٥ م، مج ٧، ص ١٨١.

^(١٤٨) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧ هـ /

١٠٩٤ م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع،

تحقيق مصطفى السقا، ط ١، القاهرة، مطبعة لجنة

التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥ م، ج ١، ص ٣٤١.

هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٨ م، ج ٢، ص ٣٣٤

؛ السلطان؛ المرجع السابق، ص ٤٠.

^(١٤١) صهيب بن سنان بن عمرو صاحب رسول الله صلى الله

عليه وسلم، ومن الذين شهدوا موقعة بدر وكانت له قدم

في الإسلام، ابن الأثير، أسد، مج ٣، ص ٣٠-٣٣؛ أبو

محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م)،

المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط ٢، القاهرة، دار

المعارف، ١٩٦٩ م، ص ٢٦٤.

^(١٤٢) ابن دُرَيْد، المصدر السابق، ج ١، ص ٦.

^(١٤٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٩٤؛ السلطان، المرجع السابق،

ص ٤٠.

(١٥١) وفدك (١٥٢) والعوالي (١٥٣) ثم انتقلوا إلى بلاد الشام وكان لهم في الجزيرة صيت (١٥٤). كما توجد جماعات مضرية وعلى نحو خاص من القيسيين عند نهر الفرات على حدود بادية الشام. قال الاصطخري (١٥٥): " بالجزيرة مفاوز (١٥٦) يسكنها قبائل من ربيعة ومضر وأهل خيل وغنم والإبل عندهم أقل منها بالبادية وأكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها. فهم بادية حاضرة ".
 كما كانت مدينة كهر توثة لقبيلة جشم وكانت نصيبين دار ال حمدان بن حمدون (١٤٩). ذكر الازدي (١٥٠) أخباراً عن استمرار توافد القبائل العربية إلى الجزيرة وامتداد انتقالهم إلى الثغور، وخاصة القبائل اليمانية كالازد وكذلك بنو سلمية من ولد مالك بن فهم وكان العباسيون قد احتضنوا الازد اليمانية في الموصل لوقوفهم إلى جانبهم وتأيدهم لهم.
 ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن كانوا مستقرين في المدينة المنورة واليمامة

(١٥١) اليمامة، منطقة في نجد في وسط شبه جزيرة العرب، ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٣٨؛ الحموي، المصدر السابق، مج ٥، ص ٤٤٢.

(١٥٢) فدك، قرية قريبة من المدينة المنورة، الحموي، المصدر السابق، مج ٤، ص ٢٣٨.

(١٥٣) العوالي، جمع العالي وهي ضيعة تبعد أربعة أميال عن المدينة المنورة، الحموي، المصدر السابق، مج ٤، ص ١٦٦.
 (١٥٤) القلقشندي، صبح...، ج ١، ص ٣٤٠.

(١٥٥) الأقاليم، الورقة ٤٣؛ المشهداني، المرجع السابق، ص ١٧٠.

(١٥٦) مفاوز، المفازة النجاة وجمعها المفاوز والمقصود بها هنا المناطق الآمنة، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م)، مختار الصحاح، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٩ م، ص ٥١٤.

(١٤٩) الحسن بن أحمد بن يعقوب الحمداني (ت بعد سنة ٣٤٤ هـ / بعد سنة ٩٥٥ م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي، الرياض، دار اليمامة، ١٩٧٤ م، ص ٢٧٥؛ المشهداني، المرجع السابق، ص ١٦١.

(١٥٠) أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم الازدي (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م)، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٦٧ م، ج ٢، ص ٩٢.

وسكن الأكراد في الأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية من إقليم الجزيرة^(١٥٧). وسكن الآراميون الجزيرة وانتشروا في مناطق وادي الخابور وطور عابدين ونصيبين وجنوب غربي ماردين واعتنقوا النصرانية وعرف هؤلاء بعد تنصرهم باسم السريان^(١٥٨).

ان عدد من القبائل في بلاد الشام والجزيرة كانت تتحرك من المناطق التي كانت تتركز فيها إلى مناطق أخرى في الإقليم نفسه وبعضها كانت تنتقل إلى أقاليم مجاورة مثل الانتقال في عدد من الأحيان إلى إقليم الثغور والعوالم وذلك لأسباب عسكرية، ومنها من انتقلت لأسباب اقتصادية خاصة بإيجاد منطقة تتوفر فيها مقومات العيش الاقتصادية وهناك أسباب أخرى عديدة لبعض القبائل التي لم تستقر في أماكن تواجدتها بل انتقلت إلى أماكن أخرى.

اتجه العباسيون نحو القبائل اليمانية التي فقدت دورها السياسي في أواخر الخلافة الأموية وفقدت الكثير من عطائها إذ كان ميل الأمويين نحو قبائل الشمال ولهذا

خسروا القبائل اليمانية التي لم تكن راضية عن قبائل الشمال القيسية حتى تمنوا ان تكون الرسالة الممثلة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيهم وليست في القبائل الشمالية وعلى أساس أن الجنوبيين لهم من المستوى الحضاري أكثر من عرب الشمال، وعليه حسمو موقفهم إلى جانب العباسيين.

عندما حاصر الجيش العباسي واسط بقيادة أبي جعفر المنصور وكان في داخل واسط واليها يزيد بن هبيرة (١٢٩-١٣٢ هـ / ٧٤٦-٧٤٩ م) فقد قالت القبائل اليمانية الذين مع ابن هبيرة: " لا والله لا نقاتل على دعوة بني أمية أبداً، لسوء رأيهم فينا، وبغضهم لنا وقالت القيسية: لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية " ^(١٥٩). نجد هنا أن القبائل القيسية تحلت أيضاً عن الأمويين كما تحلى عنهم مسبقاً اليمانيون فقد راسل أبو العباس القبائل اليمانية في واسط يحرضهم على ابن هبيرة ويدعوهم إلى جانبه إذ اتفق الطرفان والتقت مصالح اليمانيين الذين فقدوا امتيازاتهم في أواخر الخلافة الأموية مع العباسيين المتجهين نحو القضاء على الخلافة الأموية وإعلان

(١٥٧) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٩٥؛ المشهاني،

المرجع السابق، ص ١٧٦.

(١٥٨) المشهاني، المرجع نفسه، ص ١٧٨-١٨٠؛ السلمان،

المرجع السابق، ص ٣٥.

(١٥٩) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م)،

الأمامة والسياسة، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي

وأولاده، ١٩٣٧ م، ج ٢، ص ١٦٢.

الخلافة العباسية مكانها^(١٦٠). كما كان الجيش الأموي في معركة الزاب سنة (١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م) ذو غالبية من القبائل القيسية وقلة يمانية، بينما نرى أن اليمانيين وقفوا إلى جانب العباسيين فقد كان النقباء الأثني عشر في الدعوة العباسية ذو غالبية يمانية^(١٦١) نجد أن قبائل بلاد الشام والجزيرة تخلت عن الأمويين ونلاحظ هذا عندما هزم الخليفة مروان بن محمد في معركة الزاب إذ هرب إلى حران ولم يجد من ينصره في الموصل من ثم اتجه إلى قنسرين فخرجت عليه قبيلة طي وتنوخ ونهبوا أمواله ولاقى المصير نفسه في بقية مناطق الشام حتى وصل إلى مصر^(١٦٢).

في أثناء حصار دمشق من قبل الجيوش العباسية سنة (١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م) ثارت القبائل اليمانية داخل المدينة المحاصرة ضد والي دمشق الوليد بن معاوية (آخر وال أموي على الشام) إذ قاتلوا القبائل القيسية الشمالية ومهدوا الطريق أمام دخول العباسيين لدمشق^(١٦٣). أما سبب ميل اليمانيين للعباسيين هو انحياز الخلافة الأموية للقبائل القيسية الشمالية وأكد ذلك الازدي^(١٦٤) إذ قال: "كان مروان (الخليفة مروان بن محمد) منحرفاً عن اليمن مكراً لقيس مائلاً إليها، فكان يعزل اليمن ويولي قيساً ويقدمهم في الأعطيات".

يظهر هذا أيضاً من خلال الحديث الذي دار بين الخليفة الأموي مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢ هـ/ ٧٤٤-٧٤٩ م) وواليه على فلسطين وكان مرافقاً لمروان إلى مصر الرماحس بن عبد العزيز إذ قال مروان لرماحس: "ويلك ما ترى هذا الحي من قيس انفرجوا عني انفراج الرأس! قال: والله إنا أقصينا من به عزنا وقدّمنا من لم يكن لذلك بأهل"^(١٦٥).

(١٦٠) ابن الأثير، الكامل، ...، مج ٥، ص ٤٤٠؛ فاروق عمر فوزي، الموصل أبان الحكم العباسي المباشر (١٣٢-٢٩٣ هـ/ ٧٤٩-٩٠٥ م)، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٢ م، مج ٢، ص ٦٧-٧٤.

(١٦١) الازدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٢.

(١٦٢) أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو سنة ٣١٤ هـ/ نحو سنة ٩٢٦ م)، كتاب الفتوح، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٧٥ م، ج ٨، ص ١٨٥.

(١٦٣) الازدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٥.

(١٦٤) الازدي، المصدر نفسه والجزء، ص ١٣٦.

(١٦٥) الازدي، المصدر نفسه والجزء، ص ١٣٧.

لم يكن الخليفة مروان بن محمد أول من سار في هذا الاتجاه بل كان امتداداً لبعض الخلفاء الأمويين الذين سبقوه ومن هنا أصبح طبيعياً أن يناصر اليمانيون الدعوة العباسية ويقفوا إلى جانب الخلافة العباسية. النزاعات القبلية بين القبائل الشمالية والجنوبية شغلت الخلافة العباسية ونالت اهتماماً بالغاً منهم ففي داخل الشام كانت النزاعات القبلية أكثر مما هي عليه في الجزيرة ومنها النزاع بين القبائل القيسية الشمالية والقبائل اليمانية سنة (١٧٤ هـ/ ٧٩٠ م) والتي سكنت وهدئت في السنة التالية^(١٦٦).

عندما اندلعت النزاعات مجدداً سنة (١٨٠ هـ/ ٧٩٨ م) في الشام قال الخليفة الرشيد لجعفر بن يحيى " إما أن تخرج أنت إليها وإما أن أخرج أنا " فتوجه إليهم جعفر وودعه الخليفة الرشيد، وعمل جعفر على القضاء على هذه النزاعات واستقامت أمور الشام أحسن استقامة وخطب جعفر بن يحيى بأهالي الشام حثهم على الألفة وترك التنازع فيما بينهم كي لا يطمع بهم عدوهم إذ إنهم أقوىاء

بوحدهم وليس بتفرقهم^(١٦٧). واستمرت النزاعات القبلية واستمر الاهتمام بإيجاد توازن مناسب بين القبائل القيسية الشمالية واليمانية الجنوبية وفي مواجهة هذه النزاعات والقضاء على الاضطرابات التي تسببها واهتم بهذا الأمر الخلفاء العباسيون وولاية بلاد الشام والجزيرة.

المبحث الثالث : دور الدين والسياسة في تعيين حكام الاقليمين

لقد اختارت الخلافة عدد من الولاة ممن تنطبق عليهم هذه الصفات ما أمكن كرواية الحديث والتفقه في الدين وربما كان اختيار عدد من الولاة لرئاسة موسم الحج له صلة بهذه الصفات ، إذ يُلاحظ أن صالح بن علي يحج وهو والٍ على الشام^(١٦٨). كما اهتم عدد من الولاة بالسياسة الدينية التي تبنتها الخلافة العباسية في تقريب الفقهاء والأخذ برأيهم ونصحهم^(١٦٩). ومن بين هؤلاء الولاة :

١. عبد الله بن محمد (أبي جعفر المنصور) ولي الجزيرة

(١٦٦) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ/ ١٨٨٥ م)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، ١٩٦٠ م، ص ٣٨٧؛

(١٦٧) الجهشباري، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(١٦٨) الطبري، المصدر السابق، ج ٧، ص ٥١١؛ الخزرجي، المرجع السابق، ص ١١.

(١٦٩) عزموط، المرجع السابق، ص ١١٧.

الازدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٩.

تربى عبد الله بن محمد إلى جانب كبار بني هاشم ، واكتسب منذ صغره عدد من عادات أهله ، وكانوا أهل دين وورع وتقوى ، فقد قال ابن سعد (١٧٠) : " لقد أفضت الخلافة إليهم [للعباسيين] وما في الأرض أحد أكثر قارئاً للقرآن ولا أفضل عبداً وناسكاً منهم بالحُميمة " . فنشأ في هذا الوسط الديني وتعلم قراءة القرآن والكتابة في بداية حياته شأنه شأن أقرانه (١٧١) كما كان حاد الذكاء سريع الفهم ، ميالاً إلى طلب العلم ، فتعلم وهو لا يزال صبياً يافعاً النحو والتاريخ وألم بسير السلف من عدد من الملوك والأمراء ، وروى الحديث وتفقه في الدين ، وحفظ القرآن والكثير من شعر العرب وخطبهم (١٧٢) ، قال ابن كثير (١٧٣) : " كان المنصور في شبابه يطلب العلم

٢. صالح بن علي ، ولي الشام

أقام الحج صالح بن علي سنة (١٤١هـ/٧٥٨ م) (١٧٥) وكان في هذه السنة والياً على بلاد الشام ما عدا جند فلسطين وجند الأردن (١٧٦) . روى الحديث عن أبيه ، وروى عنه أبناء إسماعيل وعبد الملك وغيرهما (١٧٧) .

٣. العباس بن محمد ، ولي الجزيرة

أقام موسم الحج مرات عدة في سنة (١٣٩هـ/٧٥٦ م) (١٧٨) وفي السنة التي تلتها (١٧٩) ، وفي سنة

(١٧٠) المصدر السابق ، مج ٥ ، ص ٣١٤ .

(١٧١) ابن سعد ، المصدر نفسه والمجلد والصفحة ؛ حسن

فاضل زعين الغاني ، سياسة المنصور أبي جعفر

الداخلية والخارجية ، بيروت ، مؤسسة إيف للطباعة

والتصوير ، ١٩٨١ م ، ص ٤٧ .

(١٧٢) الديار بكري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ؛ الغاني

، سياسة ... ، ص ٤٧ .

(١٧٣) المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٢٦ ؛ السيوطي ، المصدر

السابق ، ص ٢٦٨ .

(١٧٤) السيوطي ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

(١٧٥) ابن خياط ، تاريخ ... ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ .

(١٧٦) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٧ .

(١٧٧) الذهبي ، تاريخ ... ، حوادث (١٤١-١٦٠هـ/٧٥٨-٧٧٦ م) ، ص ٤٧ ؛ سيرة ... ، تحقيق علي أبو زيد ، ج ٧ ، ص ١٩

(١٧٨) الأزدي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(١٧٩) اليعقوبي ، تاريخ ... ، مج ٢ ، ص ٣٩٠ .

والياً عليها وعلى الطائفة في خلافة المنصور^(١٨٦) ،
وَعُزِّلَ عَنْهُمَا فِي سَنَةِ
(١٤٩هـ/٧٦٦م)^(١٨٧) كما عينه الخليفة المنصور والياً
على المدينة المنورة في سنة (١٥٥هـ/٧٧١م)^(١٨٨)
وعزله عنها في سنة (١٥٩هـ/٧٧٥م)^(١٨٩) . ربما
كان تعيينه على أهم الأماكن المقدسة كمكة المكرمة
والمدينة المنورة صلة بتضلعه بالجانب الديني
والشرعي .

٥. زفر بن عاصم ، ولي الجزيرة

روى الحديث عن عروة بن رُوَيْم ، وعمر بن عبد
العزيز ، وروى عنه الإمام مالك بن أنس ويحيى بن
حمزة الخضرمي^(١٩٠) .

(١٥١هـ/٧٦٨م)^(١٩٠) وفي سنة (١٥٦هـ/٧٧٢م)
(١٩١) . روى الحديث عن العباس بن محمد ابنه
صالح بن العباس ، ومبارك الطبري ، وخالد بن
إسماعيل ، وكان الخليفة الرشيد يحله ويعظمه وكان
شيخ بني العباس في عصره^(١٩٢) .

٤. عبد الصمد بن علي ، ولي الجزيرة

روى عبد الصمد بن علي الحديث عن أبيه عن جدّه
عن عبد الله بن العباس^(١٩٣) . كما انه حج بالناس
أكثر من مرة^(١٩٤) ، وفي سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) عُيِّنَ
عبد الصمد بن علي والياً على مكة^(١٩٥) واستمر

(١٩٠) الأزدي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

(١٩١) ابن خياط ، تاريخ ... ، ج ٢ ، ص ٦٦٥ .

(١٩٢) الذهبي ، تاريخ ... ، حوادث (١٨١-١٩٠هـ/٧٩٧-٨٠٥م) ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(١٩٣) أبو محمد عبد الرحمن الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس بن

المنذر الرازي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م) ، الجرح والتعديل ،

بيروت ، دار الأُمم للطباعة والنشر ، ١٩٥٢ م ، ج ٦ ،

ص ٥٠ ؛ الذهبي ، العبر ... ، ج ١ ، ص ٢٢٤ ؛ سيرة ...

، ج ٩ ، ص ١٢٩ .

(١٩٤) البلاذري ، أنساب ... ، ص ١٠٢ .

(١٩٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٦٥٦ ؛ ابن الأثير ،

الكامل ... ، مج ٨ ، ص ٥٧٦ .

(١٨٦) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٦ ؛ ابن الأثير ،

الكامل ... ، مج ٥ ، ص ٥٨٣ .

(١٨٧) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٨ ؛ ابن الأثير ،

الكامل ... ، مج ٥ ، ص ٥٩٠ .

(١٨٨) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٩ .

(١٨٩) الطبري ، المصدر نفسه والجزء ، ص ١١٦ .

(١٩٠) الرازي ، الجرح ... ، ج ٣ ، ص ٦٠٨ ؛ ابن عساكر ،

المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٨٠ ؛ ابن العديم ، بُغْيَة ...

، ج ٨ ، ص ٣٨٠٣ .

٦. هارون بن المهدي ، ولي الجزيرة

حج هارون الرشيد بالناس عدة مرات ، وكان معظماً للخير وأهله محباً لله ورسوله^(١٩١) وقد كان عالماً بالحديث والفقه ، روى الحديث عن مبارك بن فضالة وعن محمد بن علي^(١٩٢) .

٧. محمد بن هارون (المعتصم) ، ولي الشام

تولى موسم الحج في سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥ م)^(١٩٣) ، وتولاه أيضاً في السنة التي تلتها^(١٩٤) . روى محمد بن هارون الحديث عن أبيه الخليفة الرشيد عن الخليفة المهدي عن الخليفة المنصور^(١٩٥) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الصفات كانت تلقى اهتماماً وتشجيعاً من قبل الخلافة ومن الأمثلة على ذلك ما كان يقوم الخليفة الرشيد به إذ كان مقبلاً على الصلاة يصلي كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الحياة إلا إذا تعرض لعلّة ، وكان يتصدق من صُلب

ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته وكان إذا حجّ حجّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحجّ أحجّ ثلاثمائة رجل بالنفقة السابعة والكسوة الباهرة وكان يميل لأهل الأدب والفقه ويكره المراء في الدين ، وهذه الأمور كلها تُظهر لنا اهتمامات الخليفة الرشيد الدينية^(١٩٦) .

كتب الخليفة الرشيد إلى ولاة أقاليم الخلافة العباسية في تخصيص العطاء لمن التزم الأذان ولمن حفظ القرآن وأقبل على طلب العلم ولمن عمر مجالس العلم ومقاعد الأدب وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر ، فكثُر في خلافته الإقبال على حفظ القرآن والحديث النبوي والفقه وطلب العلم^(١٩٧) .

(١٩٦) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٤٧ .

(١٩٧) ابن قتيبة ، الأمانة... ، ج ٢ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المخطوطات :

- الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت

في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد) .

١. كتاب الأقاليم، مخطوطة في المكتبة المركزية - جامعة

الموصل.

(١٩١) ابن قتيبة ، الأمانة... ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ؛ ابن العماد ،

المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .

(١٩٢) السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ؛ الزركلي ،

المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٦٢ .

(١٩٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٥٤١ .

(١٩٤) الأزدي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .

(١٩٥) السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩-٣٤٠ .

- البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨ م).

٨. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٥٤ م.

- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م).

٩. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، ط١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥ م.

- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي (ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م).

١٠. الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨ م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م).

١١. جمهرة أنساب العرب، (د. م)، (د. ت).

- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م).

١٢. معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧١٠ هـ/١٣١٠ م).

١٣. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار العلم للطباعة، ١٩٧٥ م.

ثانياً: المصادر الأولية :

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م).

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٢. الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٥ م.

٣. اللباب في تهذيب الأنساب، (د. ت)، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى - بغداد.

- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم (ت ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م).

٤. تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٦٧ م.

- الاصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد).

٥. المسالك والممالك، تحقيق نولدكة، ليدن، نشر دي غويه، ١٩٢٧ م.

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م).

٦. أنساب الأشراف، تحقيق عبد العزيز الدوري، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٧٦ م.

٧. فتوح البلدان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦ م.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧ هـ/٩٧٧ م).
٢٠. سَيْر أعلام النبلاء، ط ١١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م.
١٤. صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩ م.
- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م).
٢١. العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بن بيسوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥ م.
- الرازي، أبو محمد عبد الرحمن الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر (ت ٣٢٧ هـ/٩٣٨ م).
٢٢. الجرح والتعديل، بيروت، دار الأسم للطباعة والنشر، ١٩٥٢ م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٦ م).
٢٣. الإعلان بالتوايخ لمن ذم التاريخ، دمشق، مطبعة الترقى، ١٣٤٩ هـ.
- ابن سعد، أحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٤ م).
٢٤. الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار بيروت، للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٧ م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م).
٢٥. تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٢ م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م).
- ابن دُرَيْد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ/٨٣٥ م).
١٦. الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٨ م.
- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٢ هـ/١٥٧٤ م).
١٧. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، القاهرة، المطبعة الوهبيية، ١٢٨٣ هـ.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ/١٨٨٥ م).
١٨. الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط ١، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، ١٩٦٠ م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م).
١٩. تاريخ الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، بيروت ن دار الكتاب العربي، ١٩٩٨ م.

٣٣. نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، تحقيق إبراهيم
الابيارى، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠ م.
- الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم (ت نحو سنة ٣١٤ هـ/نحو سنة ٩٢٦ م).
٣٤. كتاب الفتح، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٧٥ م.
- المقدسي، أبو بكر شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م).
٣٥. أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، ليدن،
مطبعة بريل، ١٩٠٦ م.
- النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه
بن نعيم الحكيم (ت ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م).
٣٦. المستدرك على الصحيحين، تحقيق عبد القادر
عطا، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد سنة ٣٤٤ هـ/
بعد سنة ٩٥٥ م).
٣٧. صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ
الحوالي، الرياض، دار اليمامة، ١٩٧٤ م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح (٢٨٤ هـ/
٨٩٧ م).
٣٨. البلدان، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩١٨ م.
٣٩. تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر ودار بيروت
للطباعة والنشر، ١٩٦٠ م.
٢٦. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨ م.
- ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله
الشافعي (ت ٥٧١ هـ/١١٧٥ م).
٢٧. تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تهذيب وترتيب عبد
القادر بدران، ط٢، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩ م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨ م).
٢٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت،
المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني (ت ٣٦٥ هـ/
٩٧٥ م).
٢٩. مختصر كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٥ م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م).
٣٠. الإمامة والسياسة، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي
وأولاده، ١٩٣٧ م.
٣١. المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة، دار
المعارف، ١٩٦٩ م.
- الفلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله
(ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م).
٣٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المؤسسة
المصرية العامة لمطابع كوستاتسوماس وشركائه، ١٩٦٣ م.
- ثالثاً: المراجع العربية والمعرفة
- الحضري بك، محمد.

- ۱۷۵

الخاتمة :

٣- تمتع الاقليمين بخصوصية اوضاعهما القبلية وعملت الخلافة على استيعاب حركة الهجرات وانتقال العلماء من اقاليم الخلافة المختلفة الى اقليمي الشام والجزيرة وإيجاد قدر مناسب من التوازن بين القبائل والافادة من علماء الدين في توظيف اصولهم القبلية وتواجدهم الدينية الشرعية في قيادة ولاية الاقليمين ومحاولة تهدئة الاوضاع العامة في كلا الاقليمين .

توصلنا من خلال دراسة موضوعة البحث الى العديد من النتائج ولعل من ابرزها :

١- تمتع اقليمي الشام والجزيرة في اهمية دينية عديدة اهلتهما في تقبل السياسة الدينية المتزنة للخلافة العباسية وبالتالي تطلبت اوضاع الاقليمين في العديد من الاحيان لعل علماء الدين وحضورهم السياسي في الكثير من الاحداث التي مرت بالاقليمين .

٤- اسهم الدين واقتراجه من السياسة المتبعة في الاقليمين في تهدئة الاوضاع السياسية في الاقليمين وبشكل نسبي واستعانت الخلافة العباسية بعلماء الاسرة العباسية في ذلك الخصوص وذلك الامر لم يمنع حدوث العديد من المشكلات التي لها صلة بتلك السياسة التي تستند لمسببات دينية تخص الاقليمي

٢- على الرغم من النصوص الشرعية التي استندت عليها الخلافة العباسية في أحقيتها ، لكن مسيرتها لم تسلم من المعارضة الدينية والسياسية والتمرد ، ليس من قبل العرب والموالي المقربين منها ، بل حتى من الأسرة العباسية أحياناً . وعليه فان سياسة تعيين غالبية الولاة من الأسرة العباسية ، قد تكون سياسة مبررة .

٢. الموصل ابان الحكم العباسي المباشر (١٣٢-٢٩٣هـ/٧٤٩-٩٠٥م)، موسوعة الموصل الحضارية،

الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، مج ٢، ١٩٩٢ م.

عنصر جغرافية المكان وأثره في احداث التاريخ الاسلامي دراسة فلسفية

أ . م . د . زينب خليل محمد

الملخص

قال الاستاذ (محمد أو جامع) لقد دخل منطق التاريخ الجالي (الجغرافية التاريخية) ضمن وسائل وادوات التحليل لأن مناقشة افكار المؤرخين ومنهجيتهم تساعد القارئ على فهم أفضل لأهمية عنصر جغرافية المكان وأثره في احداث التاريخ الاسلامي فقد كان لهذا النوع مصدر قوة عبر التاريخ للإمبراطوريات والدول العظمى، فمنذ نهاية القرن الماضي فرضت الجغرافية التاريخية نفسها ك تخصص قائم بذاته ك هيل بفتح افاق جديدة اما الباحث، وتفرض العلاقة الحاصلة بين الجغرافية والتاريخ حصول تأثير وتأثر بين العلمين فظهور الجغرافية التاريخية واكبه ظهور للتاريخ الجغرافي أو تزامن معه فمع تطور العلوم وانفتاحها أصبح من اللازم توافق التخصصات وهذا ما حصل بين التاريخ والجغرافية وعليه فأن دراسة كل التخصصات التي تفيد في كتاب الاحداث المكانية في التاريخ الاسلامي تساعد على اكتساب منهجية البحث الرصانة والقوة، وقد اضاف الباحثين الى القول بأن الجغرافية التاريخية أضافت التاريخي ذلك لان المجال هو الشاهد الاول على وجود الانسان وان وجود هذا الاخير أثر في المجال وبدا في صنع التاريخ ومنه فان الجميع يتفق على ان الجغرافية التاريخية جزء من الجغرافية البشرية وتدرس علاقة الانسان بالمجال وتفتح عن موضوع الزمن الماضي والتغيرات الحاصلة على المجال زمنيا ولهذا فيسلط البحث الضوء على تبيان المكان واثره في احداث وتغير مجريات احداث التاريخ الاسلامي من خلال عنصر الجغرافية المكانية وسنأخذ احداث تاريخية مهمة لنوضح دور المكان فيها ويعتبر البحث من الأوراق والثمار الذي يحمل عدة معارف ، بسبب الشمولية التي يتميز بها عن باقي العلوم من حيث دراسته للحقائق والعلاقات مجتمعة في إطار المكان سواء كانت تلك الحقائق طبيعية أم بشرية ، فضلا عن كونه تكاملي أي دراسته للمكان دراسة تكاملية طبيعية وما يحتويه ذلك الحيز المكاني من بيئة طبيعية أو بشرية فضلا عن العلاقات التي تربط تلك المكونات مع بعضها وبالتالي يمثل سلسلة من حلقات متصلة معا ، أما فلسفة المكان فهي إحدى فروع الجغرافية البشرية ذلك الغصن المتميز من غصون الجغرافية الذي يتميز بالتطورات والتحولات السريعة لان كل المشكلات

القائمة في الخريطة السياسية ضمن المستويات المختلفة المحلية والإقليمية والعالمية وطبيعة السلوك للإنسان تقع ضمن إطار مكاني سواء كان ذلك على مستوى دولة أو اتحاد أو منظمة أو قارة بقوانين خاصة تفرضها طبيعة المكان نفسه.

abstract

The study of the ideas of historians and their methodology helps the reader to better understand the importance of the geographic component of the place and its impact on the events of Islamic history. This diversity has had a strong source throughout history of empires and superpowers. , Since the end of the last century imposed historical geography itself as a specialty in itself to open new horizons, the researcher, and impose the relationship between geography and history impact and impact between the two scientists the emergence of historical geography and the emergence of geographical history or coincided with The development of science and its openness has become necessary for the compatibility of disciplines and this is what happened between history and geography. Therefore, the study of all the disciplines that are useful in the book of spatial events in Islamic history helps to acquire the methodology of research and the strength and strength. The researchers added that the historical geography added historical, The first witness on the existence of man and the existence of the latter impact in the field and appeared in the making of history and from it all agree that the historical geography is part of human geography and study the relationship of man in the field and open on the subject of past time and changes in the domain Zam Therefore, the research sheds light on the location and its impact in the events and changes in the course of the events of Islamic history through the element of geographical geography and we will take important historical events to clarify the role of the place. The research of papers and fruits that carries several knowledge, because of the totality that is distinguished from the rest of science in terms of study Of the facts and relations combined in the context of the place, whether those facts natural or human, as well as being complementary to any study of the place of natural integration and the nature of the spatial space of a natural environment or human as well as the relationships that connect these components with each other and thus represents a series The philosophy of the place is one of the branches of human geography, which is distinguished branch of Ghosoun geographical characterized by rapid developments and transformations because all the problems existing in the political map within the different local, regional and global levels and the nature of human behavior falls within the spatial framework, whether

at the level of state Union, organization or continent by special laws imposed by the nature of the place itself.

وظيفة المكان: ١٩٨

تدرس الوظيفة في الجغرافية من جانبين، الجانب الأول الوظيفة العامة للمكان وتمثل بدراسة الوظائف العامة (التجارية، الدينية وغيرها) للمكان، والجانب الثاني الوظيفة الخاصة للمكان وتهتم بدراسة استخدامات الأرض في المكان، والذي يهتم البحث دراسة الجانب الأول، إذ ينشأ المكان ليؤدي وظيفة أو وظائف عديدة ضمن حيزه المكاني علما أن الوظيفة عموما قابلة للتغير من مرحلة زمنية إلى أخرى ، ومما لا شك فيه أن طبيعة المكان هي التي تحدد شكل وظائفه أي أن المكان على جانب كبير من الأهمية من خلال ما يمتلكه من مقومات موقعيه وموضعية، فقد ينشأ المكان ضمن حيز جغرافي معين ليؤدي وظيفة رئيسة لكن الذي يحدد نوع الوظيفة التي ينشأ بسببها المكان هي مقومات المكان ، لذا فإن المكان الذي يمتلك مقومات عديدة سوف يتكون لديه وظائف عديدة تساهم في تعزيز أهمية المكان، فعلى سبيل المثال تمتلك مدينة البصرة مواضع عديدة تعاقبت عليها

المدينة تاريخيا ابتداء من مدينة الأبله (العشار حاليا) قبل الفتح الإسلامي انتقلا إلى مدينة البصرة العمرية (الزبير حاليا) التي تأسست في سنة ١٤هـ ومن ثم تأسيس مدينة الموقية (البصرة الحالية) في العصر العباسي.

للحيز المكاني أهمية معنوية كبيرة أيضا إذ أن الكثير من الأماكن شهدت تطورا وازدهارا كبيرين رغم أنها نشأت ضمن حيز مكاني محدود المقومات ألا انه استطاع أن يؤدي وظيفته بشكل حيوي وفعال مثل مدينة مكة التي استطاعت من تأدية وظيفتها الدينية على الرغم من وقوعها ضمن واد فقير بالمقومات الموقية. وأحيانا يضعف المكان من جراء تدهور الوظيفة التي يؤديها ، فمثلا مدينة الإسكندرية إحدى أهم المدن في اوائل العصر الإسلامي وذات دور إيجابي فعال ومن ثم أخذت وظيفتها تضعف تدريجيا في العهد العثماني حتى أصبحت قرية صيد بسيطة ألا أنها استعادت دورها بعد فتح قناة السويس حيث أصبحت الميناء الأول والعاصمة الثانية للدولة، لما تمتلكه من مقومات مكانية فذة.

ووظائف قليلة ولكن سرعان ما يزدهر لسبب ما فينتعش عمرانها وتكثر وظائفه وهذا ما حدث لمدينة عمان إذ كانت في الماضي مدينة مهجورة وسرعان ما اكتسبت أهمية بعد قيامها كعاصمة للمملكة الاردنية الهاشمية^(٢٠٠)، مما لا شك فيه أن بعض الوظائف لعبت دورا فعالا ومؤثرا في المدينة ولكن مدن اليوم (الدول) تغير مفهوم الوظيفة لديها، إذ أن بعض تلك الوظائف لم يعد لها دور يذكر كالوظيفة العسكرية والسبب في ذلك تطور الفنون القتالية فأصبح من غير الضروري وجود الحاميات أو القلاع وكما أن النظرة إلى حجم الحيز المكاني قد تغير، فقد أصبحت الدولة اليوم تمثل الحيز المكاني وكذلك تمثل الشيء الجسدي وليس المدينة، لذا أصبح الاستقرار اليوم في الحيز المكاني سمة العصر بينما اختلف الفعل الذي تلعبه الدولة على الصعيد السياسي والاقتصادي.

أنواع الأماكن والعلاقات المكانية :

ولبغية التعرف على أهمية الحيز المكاني يجب ان تكون هنالك دراية بالوقت الذي نشأ فيه المكان فعلى سبيل المثال ان المدن نشأت في اماكن لا يمكن ان

يتميز كل حيز مكاني بأداء وظيفة خاصة به تميزه عن غيره من الأماكن ، ألا أنه لا يحافظ على تلك الوظيفة الأساسية طيلة تاريخه ،فعلى سبيل المثال تنشأ مدينة ما لتقوم بأداء الوظيفة التجارية تحت ظروف خاصة ،فاذا تغيرت الأحوال أضحت تلك المدن مثل مدينة صحار في عمان بينما يتحول المكان من أداء وظيفة معينة إلى أخرى كأن تتحول المدينة من الوظيفة العسكرية بعد أن يستقر الوضع السياسي لها إلى الوظيفة التجارية كمدينة البصرة وكذلك الحال مع مدن التعدين فاذا لم تتطور أو تتغير وظيفتها قبل أن ينضب المعدن فأنها تتحول إلى مدينة أشباح " Ghost Town" ولكن إذا تحولت إلى وظيفة أخرى، فأنها تستمر في الوجود وهذا ما حدث في الولايات المتحدة الأميركية، فبعض تلك المدن تحولت إلى أطلال وبعضها الآخر تحول إلى المدن الترفيهية والصناعية، فبقيت تلك المدن قائمة بعد إن تغيرت وظيفتها^(١٩٩).

تغير قيمة المكان على مر العصور وهذا ناجم عن تغير وظائفها التي تنعكس على المظهر الخارجي للمدينة ، إذ ربما يكون مكان ما ذا أهمية محدودة

(٢٠٠) محمد ، محمد سطحية، الجغرافيا الاقليمية ، دراسة

لمناطق العالم الكبرى، دار الفكر العربي للطبع والنشر،

(القاهرة- بلا) ، ص ٣٠.

(١٩٩) أحمد ،علي اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن،

ط٢، (القاهرة- ١٩٨١)، ص ١٦٠-١٦٦.

نختارها اليوم لأنشاء مدن عليها، فقيمة المكان تتغير سلباً وإيجاباً تبعاً لطبيعة المكان والمرحلة التاريخية التي يمر بها .

وقد اشير إلى المكان من حيث المحتوى المكاني والذي تمثل بدراسة خصائص المكان والعامل البشري الذي تمثل بانواع متعددة لانواع الاماكن منها :

النوع الاول / الفعل المكاني :

ويشمل ما يلي:

١- المكان المركزي " Central place

" : هو احد أهم المفاهيم في دراسة المكان من حيث معرفة الدور الذي لعبه في تاريخه حتى اصبح يمثل مركز استقطاب لاماكن اخرى مجاورة له حتى البعيدة عنه ، مثل الشمعة تضيء ما حولها لتجذب كافة الأنظار لها ، فتزدهر من جراء ذلك في كافة المجالات السياسية والاقتصادية ومثال على ذلك مدينة البصرة وبغداد وغيرها من المدن .

فعندما يمر المكان بمرحلة من الاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي سينتفش المكان وعندما يحدث العكس فان المكان سرعان ما يبدأ بالانكماش والاختفاء ، لذا فان للمكان اعتبارات ورؤى عديدة تختلف باختلاف المرحلة التاريخية التي يتم فيها تشخص فعالية المكان إذ أثبت بأنه قادر على ممارسة دوره على مر التاريخ إلا ان هذه الممارسة تكاد تختلف في مفهومها من مكان إلى اخر ، فمثلاً حافظت مدينة البصرة والاسكندرية وغيرها على وجودها منذ زمن بعيد بينما لم تحافظ مدن اخرى على بقائها مدة طويلة مثلاً مدينة دارين وصّحار وغيرها لأسباب طبيعية او بشرية فانكمش بعضها بينما اختفى بعضها الاخر (٢٠١) .

٢- المكان الهامشي " non – central place

" : فهو احد المفاهيم التي ترمز إلى حالة الضعف او التدهور الذي يصيب المكان في مرحلة تاريخية ما وعلى مستوى المجالات كافة، السياسية والاقتصادية ...الخ، ومما لاشك فيه ان العوامل الطبيعية

(٢٠١) فؤاد* جميل ٤ العراق في القرن الرابع الميلاد حسب وصف المؤرخ الروماني أميا لوس موشيليوس،

مجلة المورد، المجلد ١٧، الجزء (١-٢)، ١٩٦١، ص ١٤٥-١٧٣ .

١- المكان المتعاقب (البديل) " Successive

place " : ويقصد بهذا المفهوم عملية التغير للمواضع داخل اطار الموضع وفق المراحل التاريخية ونتيجة تأثير العوامل الطبيعية والبشرية بالمكان، وخير مثال على ذلك مدينة الابلّة التي كانت من اهم الموانئ اثناء فتح المسلمين للعراق بينما نهضت في الوقت الحاضر منطقة العشار كبديل لمدينة الابلّة^(٢٠٢).

لكل ما تقدم ذكره من المفاهيم السابقة فإن الكائن الحي يعيش تحت ظل ظروف إيجابية ليلعب دوراً مهماً ضمن محيطه العائلي او المهني إذا ما مر بظروف قاسية حدث له العكس، وكذلك يرث الموضع موضعاً اخر داخل الحيز المكاني الاوسع، مثل الاب الذي يورث أبنائه كل ما يمتلكه من اشياء معنوية ومادية، كما ان الموضع يمكن ان يكون بديلاً لآخر، مثل لاعب كرة القدم الذي يؤدي دوره في الملعب يكمل بدله البديل.

ان للعلاقات المكانية اهمية كبيرة في الجغرافية، فقد نشأت من جراء الاختلافات المكانية علاقات صميمية تباينت فوقها من مكان إلى اخر ومن وقت إلى اخر، وبلغت تلك العلاقات من الأهمية بحيث عرف علم الجغرافية بعلم العلاقات المكانية وان أي مكان سيكون

او البشرية لها الدور المؤثر في ذلك التدهور وقد يختفي المكان إذ ان هناك الكثير من الأماكن لم يعد لها وجود، والملاحظ انه عندما يمر مكان ما بهذا الفعل فلا بد ان يلعب مكان اخر دوراً بارزاً أي يتجه الفعل الى المكان الاخر بغض النظر عن طبيعة المسافة بينهما فعلى سبيل المثال عندما تعرضت مدينة البصرة العمرية إلى الحركات الداخلية (الزنج والقرامطة) برزت مدينة دارين على ساحل الغربي للخليج العربي وبشكل فعال وبارز في تلك الحقبة من التاريخ.

٣- المكان الحركي (الوريث) " moving

place " : فهو احد المفاهيم التي تعبر عن عملية التحرك للمواضيع من مكان إلى آخر سواء كان ذلك التحرك داخل الحيز المكاني او خارج حدوده ، اذ ان الكثير من الاماكن لا تستطيع ان تلبي مطالب العصر في مرحلة ما إلا انها لم تهجر من قبل أنواع الأماكن.

النوع الثاني / التحرك المكاني :

ويشمل ما يلي:

^(٢٠٢) هارتشون، طبيعة الجغرافية، ترجمة شاكر خصبك، الجزء

له علاقات ولكن ليست علاقات متساوية دون ادنى شك .
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى^(٢٠٤) واما
القرية " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها"^(٢٠٥) .

فلسفة عنصر المكان: أهمية المكان وأثره في جوانب التاريخ الاسلامي

أن الدراسات المختصة في فلسفة المكان تتجت من جراء الجدال الطويل المستمر عن ماهية المكان من جهة والدور الذي يلعبه جغرافيا وتاريخيا من جهة اخرى، فهناك انواع من الاماكن التي تختلف في فعلها وتحركاتها ، الواقع أن مسألة تحديد المكان امر مهم لكي نفهم أي مكان فهما جيدا ونميزه عن غيره من الاماكن وكذلك لنعرف الاطار المكاني الاساسي الذي يعيش فيه الانسان والذي ساعد على خلقه^(٢٠٦) .

١. الجانب الديني :

إن دراسة المكان وأهميته من الناحية الدينية تُعد من أهم الجوانب التي عنيت بأخبار من سبق من الأمم السالفة إذ ذكر لنا القرآن الكريم تفاصيل دقيقة عن المكان فمن جملة ما ذكر الأرض بوصفها موطن الإنسان الذي فيها سيحيى ويميت وانه خليفة الله^(٢٠٧) ، وفي سياق هذه الآية إشارة إلى إحداث تاريخية عامة ؛ فهذا يدل على أهمية المكان بشكل عام وهو

وهناك مصطلحات عديدة لتحديد صفة المكان ذكرت من قبل الجغرافيين منها المدينة والقرية والريف والبادية والبلد والبلدة، كما تتجسد تلك المصطلحات بشكل واضح بأكثر من آية في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية فقد ورد ذكر المدينة في القرآن "

^(٢٠٤) عبد الفتاح، محمد وهيب، جغرافية العمران، دار النهضة

العربية، (بيروت - ١٩٨٠)، ص ٥٢٥ .

^(٢٠٥) صفوح، خير ، الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها ،

دار الفكر للطباعة والنشر، (سوريا - ٢٠٠٠)، ص ٥١ .

^(٢٠٦) سورة البقرة : الآية : ٣٠ .

^(٢٠٧) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، مطبعة

دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٧١)، ج ١٧، ص ٢٧٥ .

مهمة فيها ، وأشار إلى مواضع بعض الغزوات والسرايا، وذكر أيضا تفاصيل بعض الشعائر الدينية ، والمواضع التي كان لها أثر تاريخي مرتبط بالرسول محمد ﷺ والمسلمين^(٢٠٩).

أما الروايات والأخبار عند رواة الحديث والمؤرخين التي تناولت حياة الرسول محمد ﷺ فهي كثيرة ومتنوعة ، فقد ذكرت بعض الأماكن التي جرت فيها أحداث تاريخية وأحكام تشريعية كالصلاة والحج وآماكن أصبحت مقدسة وغيرها من الأحكام والآماكن^(٢١٠).

٢. الجانب الجغرافي :

سبق وأن ذكرنا الألفاظ الدالة على المكان وهي بالحقيقة تدل على مسميات لتقسيمات جغرافية للمكان ، فالجغرافية ترتبط بالتاريخ من خلال المكان الذي وقع واثر فيه الحدث التاريخي المتمثل بأفعال

الأرض ، والأحداث التي ستحصل فيها المتمثلة بفعل الإنسان .

وذكر القرآن الكريم تفاصيل دقيقة عن أهمية مكة والمتمثلة في قصة إبراهيم عليه السلام وكيف وصل إليها ، وقصة إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام التي كانت المنطلق الأول للروايات والأخبار التي تحدثت عن مكة وأهميتها الدينية في السور (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)^(٢٠٧) وهي أماكن ومواضع للعبادة وإقامة شعائر الدين الإسلامي الحنيف ، وكيف تحققت في هذا الوادي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام فكانت هذه البقعة المباركة مهدا للدعوة الإسلامية التي هي ملة إبراهيم عليه السلام ، وأن تكون بعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ ومولده فيها^(٢٠٨).

وذكر القرآن الكريم أسماء بعض الأماكن خلال هجرة الرسول محمد ﷺ إلى يثرب وتفاصيل عن أماكن

^(٢٠٩) للمزيد عن الأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، ينظر: فلاح ، محمد عبد الرحمن محمد ، ((الأمكنة في القرآن الكريم - دراسة وتحليل)) رسالة ماجستير في أصول الدين / التفسير (غير منشورة) جامعة بغداد ، ٢٠١١م.

^(٢١٠) البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر ، ط ١ ، دار طوق النجاة ، (بلا. ب - ٢٠٠١م) ١٠/ج/ ص ٧٨

^(٢٠٧) سورة البقرة : الآية : ١٢٥ .

^(٢٠٨) البوطي ، محمد سعيد رمضان ، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ط ٣ ، دار الفكر ، (دمشق - ٢٠٠٩م) ، ص ٣٣ .

وسلوك الإنسان ، لذا فالتاريخ والجغرافية ، لا يمثلان شيئين مختلفين ومتقابلين وإنما يمثلان دراسة الإنسان والأرض إذ إن التاريخ يبدأ من حيث تنتهي الجغرافية وإذا كانت الجغرافية تهتم بدراسة الأرض ، وما عليها وما يحيط بها فهي تتضمن أيضا دراسة الإنسان ، فهو عامل مهم في تطورها وأعمارها أو تدميرها ولما كان كل حدث تاريخي يقع في مكان وزمان معينين ، فان التاريخ لا يمكن أن ينفصل عن المكان ، كما إن الجغرافية بدون تاريخ تبدو كهيكل بدون حراك ... ليس هذا فحسب بل إن الجغرافي إنما يدرس المسرح الطبيعي الذي تجري فيه أحداث التاريخ فتصبح الجغرافية وكأنها وثيقة تاريخية ووعاء للتاريخ^(٢١١).

ففي سياق الكلام عن المكان هو الكلام عن الجغرافية والتاريخ معا أو بتعبير أدق أن الجغرافية مسكونة بالتاريخ^(٢١٢)، وبذلك تدرك العلاقة بين التاريخ والمكان من خلال صلتهما بالجغرافية^(٢١٣).

^(٢١١) العبادي ، احمد عويدي ، الارتباط بين الدراسات التاريخية والجغرافيا في تراث المسعودي (القرن الرابع الهجري عام ٣٤٦هـ) ، ط١ ، دار جرير ، (عمان- ٢٠١٠م) ، ص ٢٣ .

^(٢١٢) بغدادي ، شوقي ، جماليات المكان الدمشقي ، مجلة عمان ، ٣٣ع ، ١٩٩٨م ، ص ٥ .

^(٢١٣) شلاش ، المكان والمصطلحات ، ص ٢٤٥ .

إن أهمية الجغرافية التي تتمثل بالمكان من حيث التضاريس والمناخ لها ارتباط وتأثير وثيق في مجريات أحداث السيرة النبوية فمعرفة جغرافية مكة المكرمة وغزوات الرسول محمد ﷺ وسراياه مثلا تضفي للحوادث التاريخية أهمية في اكتمال الصورة التي نفهم من خلالها الحدث التاريخي ، على سبيل المثال ترك المسلمين للجبل في معركة أحد (٦٢٤م) الذي أمرهم النبي محمد ﷺ بعدم تركه حتى وإن رأوا المسلمين يظفرون إلا أن عدم التزامهم بالأمر قلب موازين المعركة لصالح المشركين^(٢١٤)؛ وهذا يدل على أن الجغرافية المتمثلة بالمكان وطبيعته لها الأثر الواضح في تغير وتحديد مجريات الأحداث التاريخية ؛ لذلك كان للجغرافية الأثر الواضح في الأوضاع العسكرية من خلال غزوات وسرايا الرسول محمد ﷺ .

لكننا هنا نخرج على مسألة مهمة كما في المثال السابق عن معركة أحد أو المعارك والأحداث التاريخية الأخرى وهي هل إن المكان المتمثل

^(٢١٤) الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) ، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس ، ط٣ ، دار الأعلمي (بيروت- ١٩٨٩م)، ج١/ص ١٩٩ ؛ ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، (ت ٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا ، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (مصر - ١٩٥٥م) ، ج٢/٦٠ص .

إن الجانب الاقتصادي لأي منطقة يكون متأثراً بالمكان وكذلك بالحدث التاريخي فكل جزء من أجزاء شبه الجزيرة العربية يتأثر اقتصاده بحسب طبيعته الجغرافية، فهذه مكة المكرمة وصفها القرآن الكريم بأنها وادٍ غير ذي زرع^(٢١٥) والآية تدل على أن مكة وادٍ غير ذي زرع وليس فيها ثمرات^(٢١٦) .

وهذا من لطفه الله ﷻ وكرمه ورحمته وبركته ، إذ جعل الثمرات تُجْبَى إليها من البلاد التي حولها ، وذلك استجابة لدعوة خليله إبراهيم عليه السلام^(٢١٧) .

إن جلب الثمرات إلى مكة يكون عن طريق التجارة والمتمثل برحلي الشتاء والصيف التي أصبحت الشريان الرئيسي لاقتصاد مكة والذي عزز ذلك هو وجود البيت الحرام الذي يجج إليه العرب في الجاهلية ؛ ولذلك هناك أثر تاريخي لهذا الجانب على حياة الرسول محمد ﷺ إذ إنه كان يذهب إلى الشام بتجارة الخديجة (رضي الله عنها)^(٢١٨) .

بالجغرافية هو الذي أثر أو يؤثر على الحدث التاريخي أو العكس وهنا يكمن أهم محور في موضوع بحثنا هذا ألا وهو إيجاد الأثر المتبادل ، أي بمعنى آخر هل اثر المكان من ناحية جغرافيته وخصائصه على الأحداث التاريخية أم أن الأحداث التاريخية أضفت سمات مميزة على المكان وجغرافيته فجعلت منه أهمية تاريخية أثرت في حينها على المكان وجغرافيته وما تلاه من أحداث عبر التاريخ ؛ والأجوبة عن هذه القضايا يكون صعباً الجزم به ، وذلك لتعاضد المكان مع الحدث التاريخي ، فعندما نقول رأينا أن ترك المسلمين للجبل في معركة أحد هو سبب خسارتهم للمعركة يأتي رأي خلافه في وجهة النظر هو أن انتصارهم في بادئ الأمر جعلهم ينزلون من الجبل لجمع الغنائم ؛ وهذا سيجعل سبب خسارة المسلمين للمعركة جدل بين الرأيين، وهذا الجدل طبيعي جداً ، فأسباب هزيمة أحد لها تفسيرات عدة ، منها الجانب الإيماني وهو مخالفة الرامة لأمر النبي ﷺ والانشغال بالغنيمة ، والجانب المكاني لتلقتي في نهاية المطاف الأسباب الشرعية والمادية والمكانية (الجغرافية) في تحديد أسباب الخسارة .

٣. الجانب الاقتصادي

^(٢١٥) سورة إبراهيم : الآية : ٣٧ .

^(٢١٦) سورة القصص : الآية : ٥٧ .

^(٢١٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) ،

تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ،

ط٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع (بلا . ب - ١٩٩٩م) ، ج

٤/ص ٥١٤ .

^(٢١٨) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/ ١٨٧ .

إن من أسباب غزوة بدر (٦٢٣/٥٢م) سبب اقتصادي ، ألا وهو ضرب اقتصاد قريش من خلال العرض لقوافلهم التجارية ، إذ كانت العير محملة بثروة طائلة لأهل مكة وإنها فرصة ذهبية لعسكر المدينة، وضربة عسكرية وسياسية واقتصادية قاصمة ضد المشركين لو أنهم فقدوا هذه الثروة الطائلة ، لذلك أعلن رسول الله ﷺ للمسلمين قائلاً ((هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها))^(٢١٩) .

ومن ذلك الحصار الذي فرضه صاحب اليمامة ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ^(٢٢٠) ، بعد أن اسلم وذهب إلى مكة

^(٢١٩) ينظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٠٧/١ ؛ أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط١ ، دار الحديث ، (القاهرة - ١٩٩٥م) ، ج ٦٧/٢٥ ص ؛ المباركفوري ، صفى الرحمن (ت ١٤٢٧هـ) ، الرحيق المختوم ، ط١ ، دار العصماء (دمشق - ١٤٢٧هـ) ، ص ١٤٤ .

^(٢٢٠) ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة سيد أهل اليمامة ؛ ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٩٠م) ، ج ٦/ص ٧٥ ؛ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق: لجنة من العلماء

معتمرا فأسرته قريش فأخبرهم بأنه لاتصل إليهم حبة حنطة من اليمامة حتى يأذن رسول الله ﷺ بذلك فشكى أهل قريش الجوع للرسول محمد ﷺ فإذن الرسول محمد ﷺ بذلك فكتب إلى ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ أَنْ يطلق لهم الميرة^(٢٢١) ؛ لذلك استطاعت قريش أن تعوض قلة إنتاجها الزراعي والصناعي في التجارة الحلية والعربية^(٢٢٢) .

ويتبين مما تقدم إن وضع مكة من ناحية المكان وطبيعته كان له التأثير المباشر على اقتصاد قريش الذي أصبح مهددا من قبل المسلمين بعد ما أصبحت طرق التجارة تمر عبر أراضيهم ولو كانت قريش مكفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية لما تخرجت من قطع الميرة عنها ، ولعل سبب تأثر مكة بذلك ؛ لأنها وادٍ غير ذي زرع فطبيعة مكانها الجغرافي أثر على اقتصادها .

٤. الجانب السياسي :

، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٨٣م) ، ج ١ ص/ ٣١٢ .

^(٢٢١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٣٩/٢ .

^(٢٢٢) الدوري ، صالح عبد العزيز ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، مكتبة الانجلو المصرية (بلا. ب - د . ت) ، ص ١٧٩ .

لم يستطع المسلمون أن يكونوا لهم نظاماً سياسياً في مكة ؛ وذلك بفعل النظام القبلي الذي كان سائداً في مكة الذي أوجده قصي بن كلاب جد الرسول محمد ﷺ إذ عمد إلى جمع رئاسة الحكم في مكة وبين شعائر الحرم فولي أمر السقاية والحجاجة والرفادة واللواء وحافظ على التقاليد القبلية ونظام الحكم في مكة وأقام داراً للحكومة والمشورة عرفت بدار الندوة التي كانت تعقد فيها الأمور السياسية والحربية والدينية والاجتماعية والاقتصادية^(٢٢٣).

ففي العهد المكي كانت هناك إيجابيات وسلبيات على المسلمين نتيجة النظام القبلي المتبع في مكة فمن الإيجابيات الحماية القبلية وكذلك الجوار الذي آمن لبعض المسلمين البقاء في مكة بما فيهم رسول الله محمد ﷺ أما السلبيات فقد تعرض بعض المسلمين إلى الأذى بفعل سياسة مشركي قريش تجاههم فأذاقوهم شتى أنواع العذاب الأمر الذي إذن فيه الرسول محمد ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة لأكثر من مرة لتكون ملاذاً آمن للمسلمين^(٢٢٤) ، وانتهى الحال بالرسول محمد

ﷺ والمسلمين أن إذن الله سبحانه وتعالى بالهجرة إلى يثرب التي نورت بهجرة الرسول محمد ﷺ فأصبحت بذلك المدينة المنورة الملاذ الأمن للمسلمين التي انطلق منها الدين الإسلامي ليصل إلى مشارق الأرض ومغاربها^(٢٢٥).

٥. الجانب الاجتماعي:

إن النظام الاجتماعي الذي كان يسود في مكة المكرمة يقوم على نظم وأعراف قبلية ساهمت في حفظ الدعوة الإسلامية بفعل الحماية القبلية إذ كان لأبو طالب عم الرسول محمد ﷺ دور بارز في حماية الرسول محمد ﷺ من بطش ومكر قريش^(٢٢٦) على الرغم من أن أبا طالب كان على دين الشرك إلا أن واجبه تجاه ابن أخيه محمد ﷺ لزمه بالدفاع عنه بفعل الحماية القبلية التي كانت مقدسة لدى مشركي قريش ؛ وكان لنظام القبيلة الدور في حماية الرسول محمد ﷺ وذلك عندما دخل في جوار المطعم بن عدي بعد عودته من الطائف^(٢٢٧).

٦. الجانب النفسي:

^(٢٢٣) الدوري ، تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص ١٧٩ .

^(٢٢٤) ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلب (ت

١٥١هـ) ، السيرة (كتاب السير والمغازي) ، تحقيق:

سهيل زكار ، ط١ ، دار الفكر (بيروت - ١٩٧٨م) ،

ج ١/١٧٤ ص: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١ / ٢٣١ .

^(٢٢٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١ / ٤٩١ وما بعدها .

^(٢٢٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١ / ٤٨٤-٤٨٥ .

^(٢٢٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١ / ٣٨١ .

الخلاصة :

جسد البحث جملة من المفاهيم التي بلورت شخصية المكان إذ ان شخصيته تشبه في معطياتها وإلى حد كبير شخصية الكائن الحي، فعلى الرغم من اختلاف الاماكن من حيث مقوماتها إلا انها تمتلك القدرة على ممارسة فعلها بما ينسجم مع طبيعة بعض تلك المفاهيم وفقاً لمتطلبات الدور التاريخي الذي يقع ضمنه المكان.

ان للمكان حركة واضحة ضمن حدود الحيز المكاني او خارجه بالشكل الذي يتفق مع معطياته المكانية كي يحافظ على بقاءه واستمراره، إذ يمتلك كل حيز مكاني سمة خاصة الا ان بقاء تلك السمة ليست واحدة في كل مكان مثلما هو الحال بالنسبة للكائن الحي الذي يمتلك صفة ما الا انه يغيرها بما ينسجم مع معطياته الزمانية والمكانية، لذا فقيمة المكان تتغير تبعاً لتغير وظائفها وخصائصها المكانية التي تتأثر بطبيعة المرحلة التاريخية التي تقع عليها، فيزدهر المكان في وقت ما ليمارس دوره بشكل فعال ومؤثر في محيطه الجغرافي الواسع ، وقد يصاب المكان بالضعف في وقت ما حتى يمتسي تأثيره لا يتعدى حدود حيزه الجغرافي الضيق .

يبدو أثر المكان في الجانب النفسي واضحاً في شخصية النبي ﷺ فمن الأخبار التي تؤكد التأثير على الجانب النفسي وقوف النبي ﷺ على التثنية^(٢٢٨) وحول وجهه إلى مكة، وقال: ((إني لأعلم أنك أحب البقاع إلى الله عز وجلّ ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت))^(٢٢٩).

^(٢٢٨) تَبَيَّنَ طريق في الجبل مخلوق ، فإذا عولج وسهل فهو ثقب ؛ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، ط ٣ ، عالم الكتب ، (بيروت-١٩٨٢م) ، ج ٤/١٣٧٣ ص . وقيل: التثنية في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر، (بيروت -١٩٩٥م) ، ج ٢/٨٥ ص ؛ ابن عبد الحق ، عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت ٧٣٩هـ) ، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط ١ ، دار الجيل (بيروت -١٩٩١م) ، ج ١/٣٠٠ ص ؛ وقيل: جمع ثنانيا وهي المسلك بين جبلين ؛ البلادي ، عاتق بن غيث (ت ١٤٣١هـ) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط ١ ، دار مكة ، (مكة المكرمة - ١٩٨٢م) ، ص ٧٢ ؛ شُرَاب ، محمد بن محمد حسن ، المعالم الأثرية في السنة والسيرة ، ط ١ ، دار القلم ، (بيروت -١٩٩٠م) ، ص ٧٨ .

^(٢٢٩) النيسابوري ، أبو سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٠٧هـ) ، شرف المصطفى ، ط ١ ، دار البشائر الإسلامية ، (مكة -٢٠٠٣م) ، ج ٤/٣٢٤ .

الدور السياسي والحضاري لمدينة عنابة

في المغرب العربي في ظل الحكم الاسلامي

الدكتورة احلام صالح وهب يوسف

ملخص البحث

تناول البحث دراسية سياسية وحضارية لمدينة عنابة وموقعها الجغرافي. وأهميتها الاقتصادية الأمر الذي جعلها محط اطماع الدول الأوروبية المجاورة لها في العصور الوسطى، كما تعرض البحث إلى الناحية العمرانية والثقافية في المدينة من حيث بناء المساجد والحصون وتوسيع المدينة وتغيير اسمائها بتغير الأزمنة والحوادث التاريخية وقدم عدد من العلماء خاصة من الأندلس ممن أثروا الحياة العلمية، والذين كان لهم الفضل في استغلال الأراضي وتوسيع رقعتها الزراعية خاصة الزيتون، والمتاجرة في المنتجات الزراعية مما أكسبهم ثروة طائلة استخدموها في اقتداء الأسرى من المسلمين، ممن يقعون في يد الأعداء.

Abstract

The city of Innabah: It's political and cultural rule, from the era of the Hafss era.

This study described the stratigie position of the city of Innabah; its agricultural and mineral weath, which heads it an attractive spoil for its neighbors.

The study also discussed the cultural and artihitieturel developments in the city.

Many learned men "ulama" migrated to the city from all over the Muslim world, especially from al-Analus, few of them like, contributed to the development of agricultural and especially in planting olive trees which resulted in agricultural land, produce and enabled the farmers to trad their products these economic developments enriched the city and the rulers, who used pard of their weath to ransom Muslim prisoners.

المقدمة

اهتم الكثير من الباحثين بالدراسات التي تناولت المدن العربية الاسلامية في بلاد المغرب العربي لاسيما العواصم كالقيروان، تلمسان، مراكش، فاس) نظراً لما قدمت هذه المدن من دور مميز في الحياة السياسية والحضارية وبقيت مدن كثيرة بحاجة إلى دراسة معمقة منها مدينة عنابة التي لم تكن عاصمة سياسية للدول التي تعاقبت على حكم المغرب العربي وإنما كان لها تاريخ مميز بفضل موقعها الاستراتيجي الذي جعلها محط اطماع الدول الاوروبية المجاورة لها في العصور الوسطى، فقد ظلت هذه المدينة وعبر امتداد تاريخها الاسلامي معبراً للجهاد فضلاً عن موقعها التجاري الذي ساعد على نقل الحضارة العربية الاسلامية الى الاندلس واوربا وعملت على دمج الحضارات المغربية والمشرقية وتقديم العلوم المعرفية فيها، وبهدف اعطاء الصورة التاريخية للمدينة، فقد اشتمل البحث على:

- تسمية المدينة وموقعها الجغرافي
- تاريخها السياسي بوصفه الصورة المثلى لبنائها السياسي
- فضلاً عن نشاطها الاقتصادي الذي يعد عماداً أساسياً في ديمومتها
- اضافة إلى دورها الحضاري والثقافي الذي شكل بعداً حيوياً لاسهاماتها الفكرية.

أولاً: تسمية المدينة التاريخية

ارتبطت تسمية مدينة عنابة عبر تاريخها الطويل بأسماء متعددة تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية التي امتازت بها في كل فترة من الفترات فقد ارتبط اسمها باسم مواضع واقعة في المشرق على الطريق المؤدي إلى قلة مثل عناب^(٢٣٠)، وكذلك ارتبط اسمها باسم عشر معروف وهو العناب وواحدته (عنابة) وقد يسمه ثمر الارك عناباً ويقال عنها ايضاً (السنبجلان)^(٢٣١) ويسمى باللغة الفرنسية (Jujube)^(٢٣٢) واشجار العناب حي اشجار شوكية متعددة الانواع بعضها للزينة وبعضها اشجار مثمرة تصلح لتداوي ومعالجة الامراض مثل السعال وغيرها^(٢٣٣).

ويبدو من كتب الجغرافية العربية والوحدات في القرن التاسع / هـ الخامس عشر / م لم تورد اسم (عنابة) الجوائر ضمن الاماكن المذكورة في الشرق بل ذكرت اسم (بونة)، وقد وصفها البكري أكثر من غيره ضمن الاسماء التي تعاقبت على المدينة اثناء تطورها التاريخي كمدينة زاوي (بونة الحديثة)^(٢٣٤) وهو اسم جديد لم يكن معروفاً في تلك الفترة بينما يشير ابن

وعندما فتحها العرب المسلمون بقيادة
 حسان بن النعمان الغساني سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م^(٢٤٢) في
 عهد الخليفة عبدالملك بن مروان سنة
 ٨٥ هـ / ٨٦ هـ / ٧٨٤ م، وقد قيل انها فتحت على يد
 عقبة بن نافع الفهري والارجح لدى المؤرخين ان
 حسان بن النعمان هو الذي فتحها واستقر فيها
 المسلمون بعد فتحها بالقرب من وادي (سيبوس)^(٢٤٣)
 ويرى بعض المؤرخين ان هذه المدينة بنيت في عهد
 الفينيقيين^(٢٤٤) مستندين بذلك الى الجذور العربية لمدينة
 (هيبيون) وهو اسم يعب عباباً ومعناه المياه
 المتدفقة^(٢٤٥).

ثانياً: الموقع الجغرافي

تتمتع مدينة عنابة بموقع ممتاز بين تخوم مملكتين
 عظيمتين هما مملكة القيروان شرقاً وبجاية غرباً^(٢٤٦).
 وقد أشار الى هذا ابو الفداء بقوله: "ان بونة على اخر
 سلطنة بجاية تاوول سلطنة افريقيا"^(٢٤٧) وكان النزاع
 قائماً بينها الامر الذي سهل امر السيطرة عليها في
 وقت كان النزاع ما يبدو على الاقطاع وهذا، اشار

خلدون في كتابة المقدمة اسم المدينة بتعبير (بلد
 العناب) الذي ورد اثناء حديثه عن بطون الهلاليين
 وهجرتهم واستقرارهم فيشير الى ان اعز بطونهم
 واعلامهم كانت مواطنهم بين بلد العناب
 وقسنطينة^(٢٤٨) وقد تكون هذه التسمية المدينة قد
 اطلقها كثرة العرب الوافدين الى هذه المنطقة لما وجدوا
 فيها كثرة شجيرات العناب فيها^(٢٤٩) وقيل ان بونة هي
 اسم ناحية قرب الكوفة يقال لها تل (بوتل)^(٢٥٠) او انها
 اسم حصن بالاندلس^(٢٥١).

كما عرفت بونة في العصور القديمة تحت
 اسم (هيبيو، هيبيون)^(٢٥٢) الواقعة على وادي سيبوس
 عند السفوح الشرقية لمرتفعات ابدوغ تنبسط حولها
 سهول خصبة على امتداد ٤٠ ميل طولاً و ٢٦ ميل
 عرضاً الى ما يساوي ٢٦ كم طولاً ٤ كلم عرضاً
 وعلى هامش هذه السهول تبدأ المرتفعات في الظهور
 حيث الغابات الكثيفة والاشجار المثمرة^(٢٥٣).

ويبدو انه قد اقيمت فيها كنيسة القديس
 اغسطين العالم النصراني وهو الذي دعا البكري ان
 يسميها باسمه مدينة (اغسطين)^(٢٥٤).

اليه البكري بقوله: "اليوم ... يعني في وقت متأخر" (٢٤٨).

وعندما قدم العرب اليها كان سكانها من قبائل اوربة ومصمودة ونقرة وولهاصة البربرية، وقيل انها تقع على نحر البحر (٢٤٩).

وكان مينائها يعد ثغراً هاماً في الشرق الجزائري الذي امتاز بنشاطه التجاري حيث عن هذا الطريق يتم تصدير الخشب المصنع وغير المصنع والنارج والأرز والحريز والمواشي الى جانب السمك والاسفنج والمرجان (٢٥٠)، وكان يستورد من الشرق الزيج الذي يستخدم في بناء الجوامع والقصور والكاغد الذي سهل مهمة التأليف وساعد على نشر التعليم بشكل واسع فيها (٢٥١).

بالاضافة إلى ذلك فان مدينة بونة تلتصق بارصفة المرجان وان صلتها التجارية البحرية مرتبطة بصقلية وسردينيا حتى البليار فاسبانيا واقصى المغرب (٢٥٢)، وكانت عنابة الى الحطة الامنة التي لا بديل عنها فقد كانت تستقبل السفن التجارية من بلدان مختلفة قبل توجيهها الى المشرق. وعندما استولى النورمان على

صقلية سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م (٢٥٣) قاموا بعدها بغزو عنابة في الفترة التي انتقلت من مملكة بجاية الحمادية وبعد خروجهم منها قام اهلها ببناء ما تهدم (٢٥٤) وتسويرها مما دعا البعض الى القول بانها بنيت في اواسط القرن الرابع / هـ وانها سورت بعد سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م (٢٥٥) كما تميزت عنابة بكثرة الخيرات فقد اشار الى ذلك ابو الفداء بقوله: "تشتمل مدينة عنابة على ٣٠٠٠ اسرة وسكانها طيبون ... وفي الجانب الشرقي قصبة محصنة تحصيناً بناها ملوك تونس ويسكنها الولاة وتمتد الاراضي المزروعة خارج المدينة الى مسافة ٤٠ ميلاً وهذه الاراضي صالحة لزراعة الحبوب ... (٢٥٦). ونستنتج من هذا كله عند الحديث عن موقعها بانها كانت ترحز بامكانيات اقتصادية خيرة جعلها محط انظار واطماع الدول المجاورة خصوصاً وقوعها بين محوري المشرق والمغرب وبالعكس ومحور الشمال والجنوب (٢٥٧)، وكان التباين الحضاري والبشري والمطامع الاقتصادية بين الاطراف هي التي جعلتها محط الاطماع والسعي للسيطرة على هذه المدينة التي كانت تسيطر على صادرات المنطقة

من الحديد والنحاس والمنتجات الى الشمال ليصل الى اسواق سردينيا التي هي تصدره الى افريقية^(٢٥٨).

الشواتي غازية إلى بلاد الروم، وجزيرة سردينيا وما والاها...^(٢٦١).

التاريخ السياسي لمدينة عنابة في ظل الحكم الاسلامي

بعد ان استقر الاسلام في المغرب العربي واحتلال التوازن فقد ظهر الى الوجود ما يسمى بمحور الجنوب وخاصة وان المسلمون كانوا القوة العظمى عسكرياً واقتصادياً، فقد كان هذا المحور من الساحل الشمال الافريقي الى الشمال الاوربي^(٢٥٩)، وكانت مدينة عنابة تمثل اول نقاط الرباط والحصون التي اتخذها الاغلبة على ساحل المغرب كقاعدة لمواجهة الهجوم البيزنطي وكان يتمركز فيها عدد من المقاتلين ومجهزة بالاسلحة والسفن الحربية استعداداً للغزو البيزنطي، وقد تعاقب على حكم هذه المدينة الاغلبة والفاطميين ومن جاء بعدهم وكانوا يحرصون على تحصينها لاهميتها الحربية في البحر المتوسط بديل ما قاله ابن حوقل عنها: "... فيها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطه..."^(٢٦٠)، بالإضافة الى ما ذكره البكري الذي يؤكد على مناعة الاسوار بقوله: "منه كانت تخرج

اما فيما يتعلق بدور عنابة الجهادي مع الدول المسيحية الواقعة على البحر المتوسط فقد كانت عنابة محطة تجارية هامة على خط مبادلات السلع المشرقية والمغربية وكانت احدى محطات العمل التجاري للاندلسيين فكثر تجارها كانوا يأتون اليها منذ زمن بعيد خاصة اثناء فترات الحج وكانوا يكتفون فيها عند العودة او الذهاب للحج او لطلب العلم او للعمل فيها لصيد الاسماك والمرجان، وكان من ابرز علمائها ابو عبد الملك مروان ولد في قرطبة^(٢٦٢)، ولذلك كان لموقعها الاثر الكبير في جعلها محط انظار ومركز صراع بين الدول قد تعرضت مدينة عنابة للهجوم من قبل الخليفة الناصر سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م اثناء خلافه مع الفاطميين وفي سنة ٤٢٦هـ تعرضت مدينة عنابة لهجوم بحري ثم قبل القوات البحرية في البيرة وجنوه انتقاماً منها لانها محور نشاط تجاري وارد ايضاً ابعاد المسلمين عن الجناح الغربي للبحر المتوسط، بالإضافة الى منافستها الاقتصادية لهم ولغيرها من المدن الايطالية سنة ١٠١٧م^(٢٦٣)، ومن هنا ظهر على مسرح السياسة كل من النور ما ندين الذين استطاعوا

ورغم كل التحصينات كانت مدينة عنابة مطمع النورماندين الذين راو فيها منفذ إلى جنوب صقلية وتونس لهذا ارسل فيليب المهداوي لاحتلالها (عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م) فهو مسلم من المهدية ولكنه تنصر وقد ساعدته القبائل الهلالية فاسر سكانها عدا علمائها وسمح لهم باللجوء إلى المدن المجاورة واناب روجر عنه في حكمها الامير حارث الحمادي لكن الامر لم يطل قد جاء الموحدون وسيطروا عليها سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م ورغم ذلك فان عنابة بقيت مهددة من قبل الاوربيين وامرائهم على اخراج المسلمين منها فنهجوا اسلوباً حربياً جديداً تمثل في القرصنة التي اصبحت تشن الهجمات على الموانئ الاسلامية فتنهب وتسلب وتدمر وخطف الناس وبيعهم عبيداً^(٢٧٠).

ويبدو ان المشرق الاسلامي لم يكن غافلاً عما يجري في المغرب على الرغم مما يعانيه من محن وقد اشار ابن جبير الى مأساة وتعاطف الشرق معهم على المستوى الشعبي^(٢٧١)، وبسقوط الدولة الموحدية في المغرب انقسم المغرب على نفسه وشكلت فيه ثلاث دويلات هي الدولة المرينية بفاس، ودولة الزناتيين بلمسان، والدولة الحفصية الذين هم فرع من الموحدين بتونس،

السيطرة على جزيرة صقلية من المسلمين منذ عام (٤٥٢-٤٨٥هـ ١٠٦١-١٠٩٢م) وكذلك مالطة وبذلك بدأت الحروب الصليبية عبر البحر المتوسط، التي بدأها الاسبان في الاندلس بدعم من نصارى اوروبا كلها في حوض البحر المتوسط واحتلال موانئ الاقطار المغربية ضد المسلمين واستغلال خيراتها^(٢٦٤)، ولم تمض سنوات على سقوط غرناطة حتى انطلق هؤلاء لتنفيذ خططهم بكل قوة فاحتلوا عنابة (سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م) ولكنهم لم يستقروا بها طويلاً لمقاومة اهلهما للاحتلال بدليل ان الحسن الوزاني عندما زارها (سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٩م) فلم يذكر شيئاً عن وجودهم فيها^(٢٦٥).

كما سعى النور ما نديون من اجل السيطرة على المغرب العربي مستغلين بذلك الصراعات الداخلية والهجرة الهلالية التي كانت بقيادة زعيمهم مسعود^(٢٦٦) وقد اشار الادريسي الى ذلك بقوله: "... ولها اقليم وارض واسعة تغلبت العرب عليها..."^(٢٦٧)،

وكان من ابرز القبائل التي سيطرت عليها قبيلة مرداس^(٢٦٨) ولكن الامير الحمادي خلصها منهم والذي دعا الى تشييدها وعمل الحصون الدفاعية..."^(٢٦٩).

المهدية وعنابة واسروا منها ومن ضواحيها عدداً لا يستهان به^(٢٧٣).

وفي الوقت نفسه زارها الرحالة المغربي العبدري في طريقه لتادية فريضة الحج فرأى ما فيها من ضعف وما هو عليه الاسطول الغربي من قوة وازدهار فوصف حالها في رحلته حيث قال: "وجدها بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط ولكنها بزحف النوايب مطوية مجنونة، تلاحظ من كتب مخصوصاً ممتدة وتراعى من البحر جزر ومد، وتغازلها العيون، من وجود النوايب وتأسى لها النفوس من الاسهم الصوائب..."^(٢٧٤).

كما اشار الى القرصنة من قبل الفرنجة في البحر وكيف ان عنابة اثناء مروره منها قد مر: "بها زورق للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصاً وقد حاصروا البلد حتى قطفوا عليها الدخول والخروج واسروا عدد من الاشخاص من البر فامسكهم للفداء بمرسى البلد". واعبر العبدري ذلك من اغرب المسموعات وهذا يدل على انحطاط امرها وذبول حيويتها من كثرة الغارات عليها، والواقع رغم ما تعرضت له مدينة (عنابة) من محن جرها عليها موقعها وجعلها محط امال الدويلات الاوربية كلها لتتخذها

واصبحت مدينة عنابة موضع نزاع بين الامراء الحفصيين المؤيدين لتونس او المواليين للدولة المرينية بفاس وظلت لعامين (٧٦٠-٧٦٢هـ / ١٣٥٨-١٣٦٠م) مركز حكم الامير الحفصي الفضل الذي يعد من مؤسسي الدولة وهذا الامر اصابها من قبل في اواخر الدولة الموحدية حينما اتزعها منهم يحيى بن غانية الملقب بالصحراوي والذي حكمها لمدة عامين^(٢٧٣).

وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، اختل ميزان القوى البحرية فاخذت قوات الفرنجة البحرية تصعد على الساحة بينما القوى الاسلامية وخاصة الحفصية بدات بالهبوط من حيث الصنع والعتاد فقامت اساطيل جنوة وبيرة وارغون بتطوير صناعة سفنها استعداداً لغزو المغرب الاسلامي المنقسم على نفسه، ورات في هذا الانقسام فرصة للغزو خاصة الارغويين الذين راو في المغرب عامة وتونس خاصة مأوى للاندلسيين وامتداداً لهم، فقام نائب ملك برشلونة بشن غاراته على المغرب الكبير وبطبيعة الحال فان مدينة عنابة (بوتة) لم تسلم من هذا الغزو فدخلوها وثلوا اسوارها واخذوا عدداً كبيراً من اهلها اسرى وفي عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م هاجموا

على حين غفلة فيختطفون فيها ما قدروا عليه،
ويصارعون ما يلتقون حد اساطيل لكثرة فيظفرون بها
غالباً، ويعود من بغائم والسبى ولاسرى، حتى امتلات
سواحل الثغور الغربية من بجاية باسرههم تصبح طرق
البلاد بضجة السلاسل والاغلال عندما ينتشرون في
حاجاتهم ويغالون في خدائهم بما يتعذر، منه او
يكاد...^(٢٧٧).

وكان لابد من مباركة ما قامت به هذه المدينة فقامت
الدولة الحفصية بمباركة هذا التنظيم الذي شمل معظم
السواحل المغربية^(٢٧٨).

فوجد ضغط الدول الاسلامية على سواحل الفرنجة
منذ ايام البيزنطيين والنورمان كان متواصلًا فالمسلمون
الاولون ثم الدولة الاموية والعباسية وما ينوب عنها في
الجناح الغربي (الاغلبة) وتراهما في هذا الجناح
الفاطيون والزيريون والموحدون مما ادى الى تغطية
الامم الافريقية ممثلة بحكامها التي اخذت تترقب
الفرص، لاخذ ثأرها من المسلمين وظهر هذا واضحاً
في هجومهم عام (٧٩٢هـ / ١٣٥٩م) ولكن محاولاتهم
فشلت^(٢٧٩).

ونخلص من مدين الى ان مدينة عنابة كانت دائمة
النشاط البحري الاسلامي بشكل عام والمغربي بشكل

نقطة الانطلاق لتوسيع تجارتها مع المغرب الكبير، بعد
ان وقعت اتفاقية تجارية مع الدولة الموحدية ابان
حكمها لها وكانت جنوة من اوائل المدن التي وقعت مع
الموحدين اتفاقية سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ضمنت
لرعاياها حرية التجارة مع المغرب الاسلامي^(٢٧٥).
وبذلك اخذت الدول الاربعة توسع نطاق اتفاقها
فدخلت البندقية الميدان ووقعت اتفاق عام ٦٢٩هـ/
١٢٣١م وكذلك البيرة وسعت اتفاقها مع الحفصيين^(٢٧٦)
وحصلت على ضمانات أكثر عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م،
ثم جنوة سنة (٦٢٤هـ / ١٢٣٦م) وتقدمت الارغون
الى الاسلام ووقعت اتفاقية ٣٢٠هـ / ١٢٧٠م التي
تضمنت هذه الاتفاقيات ضمان حرية التجارة. ثم بدأ
الميزان ينقلب لصالح المسلمين فقد شرع اهل بجاية في
القيام بالجهاد البحري فقد تميزت به مدينة بجاية أكثر
من غيرها من مدن الساحل وان كان لمدينة عناية
جزء كبير من المشاركة في هذا الميدان، ويصف ابن
خلدون جهادهم البحري الذي شاركهم فيه
الاندلسيون انتقاماً من الهزيمة بشكل عام ومن
الاسبانيين بشكل خاص فيقول: "تمت عزائم كثيرة من
المسلمين بسواحل افريقية لغزو الاسطول، ويتخذون له
ابطال الرجال ثم يركبون الى سواحل الفرنجة وجزائريهم

خاص في صراعه مع القوى البحرية الافرنجية الاوربية، التي تري السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ولذلك عندما وجدت نفسها تخون اهلها وتخرج عن تقاليدها لخيانة الخصام الخصيين لها ثار اهلها عليهم وانضموا الى خير الدين وأخيه عروج او اروج بن يعقوب المولى التركي فانطلقا منها بمجمل حربية نحو تونس عام ٩٤٢هـ/١٥٣٥م^(٢٨٠) وبقيت فيه لها حتى عند انهزامها امام تسارلمان، فقد ثارت على سلطان حين الحفصي لموقعه المتخاذل والمنحاز للاسبان الذي ارجوه اليها وتعهدوا له بحماية سلطانه مقابل عمالته ويشير ابن السراج بقوله: "ومنها ركب البحر في عشرون غرباً"^(٢٨١) وقصد ميورقة ومنها عاد الى الجزائر وبقوا فيها خمس سنين ليعود اليها الاتراك ومعهم يربروس

ويمكن القول ان عنابة وغيرها من المشرق الجزائري تقلبت في موجات الحكم منذ العهد الزييري الى العهد الحفصي الى التبعية لبجاية الى العهد العثماني، وهذا يعود إلى اهمية موقعها وميناءها المتميز بحركته التجارية الى جانب خصوبة تربتها ووفرة معادنها^(٢٨٢).

ويمكن القول ان عنابة في محوري علاقتها كانت مركز تفاعل مع الشمال الاوربي ومع المغرب والمشرق

الاسلاميين فكانت تستقبل القوافل البشرية التي تحمل معها عقائد دينية ومضامين فكرية وثروات اقتصادية، فقد اكسبها هذا نضجاً وقوة، وفي نفس الوقت حملها هذا تبعاً بسبب ما كانت تقوم به من دور جهادي في الدفاع،

وهذا الاختلاف (الفكري والعقائدي) الوارد اليها مع الوافدين عليها مثل صراعاً حصارياً طويلاً بين الشرق والغرب، ولكن عناية حزمت هذا كله بصحة حيده، تتحلى بمنجاتها بمنجاتها واعمالها،

ومن لاتها زمن بني زييري المنصور به كناس الذي ثار عليه (البار) والي قسطنطينة فخلفه وعين بدلاً منه ابا يكني بن محمد بن القائد حماد ثم ثار ابو يكن على المنصور سنة ٤٨٧هـ وكان ذلك باتفاق مع تميم بن المعز الذي امده بالعيش من عنده بقيادة ابو الفتح وكان ابا المكن متواطئاً مع المرابطين^(٢٨٣)، ولكن في هذه الفترة جاء الموحدون وخلصوها مما حثت به من صراع ولاية الزييرين مع بعضهم بعضاً.

وحظت المدينة بموت السلطان ابي زكريا الحفصي فيها سنة ٦٤٧هـ ودفن بجامعها ثم نقلت رفاته الى قسطنطينة لكن قبل موته استقبل بيعة يغمراسن عن طريق والدته التي اتت بنفسها وقدمت البيعة له سنة

٦٤٠هـ^(٢٨٤) وعين بعد بيعته حاكماً لتونس ابا علي عمر بن ابي موسى والياً على عنابة ثم نقله في نفس السنة والياً على المهدية و اضافها مع جملة ما اضيف اليه من الجزائر وبجاية والزاب.

ولما جاء السلطان ابو يحيى ابو بكر (٧١٠-٧٤٧هـ / ١٣١٠-١٣٤٦م) عين اولاده على المدن الرئيسية لدولته فبعين الفضل - ابنه - على عنابة ولكنه التحق بعدها بتونس سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م وبفضل تعاون قبيلة الكعوب معه خلصها من طاعتها للسلطان ابي الحسن المريني واعلنت ولائها له.

النشاط الاقتصادي لمدينة عنابة

تميزت المدينة بنشاط اقتصادي كبير وملحوظ والذي يعود الى خصوبة تربتها ووفرة محاصيلها وتوفر الثروة الحيوانية فيها وما نجم عنها من مصنوعات جلدية والبسة صوفية، وسمن ولبن الى جانب العسل والى الثروة السمكية والاسفنج والثروة المعدنية من نحاس وحديد ورخام ومرجان، ويحدثنا ياقوت الحموي في معجمه عن لحديشة حيدة فيقول: "لا يتخذ لاستخراجه صليبا من خشب طول قدر الذراع ثم يشد طول ذلك الصليب حجر، ويشد فيه حبل ويركب صاحبه في قارب ويبعد عن الساحل قدر

نصف فرسخ وفي مقر تلك المسافة ينبت المرجان فيرسل ذلك الصليب في الحال الى ان ينتهي الى القرار ثم يمر القارب يمينا وشمالاً فيخرج وقد علق به ذيل الصليب جسم حجمه الى التقعر وما هو الميز العشر فاذا حل عنه قره خرج احمر اللون فتفضله الصناع...^(٢٨٥).

ويصفها البكري الذي زارها في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فيقول: "مدينة بونة اولية وهي مدينة افشتين العالم بدين النصرانية وهي على ساحل البحر في نشر من الارض منيع وكل على مدينة سوى وتسمى اليوم مدينة الزاوي وبينها وبين المدينة الحديثة ثلاثة أميال ولها مساجد واسواق وحمام وهي ذات ثمر وزرع وقد سورت بونة الحديثة بعد ٤٥٠ هـ وفي بونة الحديثة بئر على ضفة البحر متقورة في حجر صلد يسمى بئر النثرة، منها يشرب أكثر اللهايم ويطل على بونة جبل زعزوغ وهو كثير البرد/ ومن العجائب ان فيه مسجداً لا ينزل عليه من ذلك الثلج،... ومدينة بونة برية وبحرية كثيرة اللحم واللين والموز والعسل وأكثر تجارها اندلسيون ومستخلص بونة جباية بيت المال عشرون الفا دينار^(٢٨٦).

ويصفها ابو الفداء في القرن الثامن الهجري نقلاً عن ابن سعيد المغربي الذي يقول: "بها من أنواع الفاكهة ما يعم اهلها او اثر فواكهها مد بادية لها، والغم والشغب في اوقات الاصابات، ... كثير جداً ويزرع بارضها الكنان والعسل بها موجود ممكن وكذلك السمن وأكثر سوائهم البقر ولها اقاليم وارض واسعة..."^(٢٨٧).

ويصفها الحسن بن الوزان في وقت متأخر عند مروره منها فيقول: "تشمّل مدينة عنابة على ٣٠٠٠ منزل وسكانها طيبون... وفي الجانب الشرقي من مصبها غليضة ومحصنة تحصيناً بناها ملوك تونس ويسكنها الولاة وتمتد الاراضي المزروعة خارج المدينة الى مسافة ٤٠ ميل طولاً و٢٥ ميلاً عرضاً وهذه الارض صالحة للحبوب...، وتلك كثيراً من البقر والضأن، وتنتج هذه المواشي من السمن كما رتها بحيرة بيعها اصحابها في سوق عنابة بثمان قليل لوفرته وكذلك الامر بالنسبة للقمح وتاتي السفن عديدة كل عام الى تونس وجربة وسائر موانئ وكذلك من جنوة تشتري القمح والسمن من عنابة، حيث تستقبل استقبالا مسبقاً..."^(٢٨٨).

نستنتج من وصفها من قبل عدد من المؤرخين في مختلف الازمنة ما كانت ترمز به من امكانيات

اقتصادية وفيرة جعلها محط انظار وجعل العام الاقتصادي تأثيراً كبيراً على حياتها مما انعكس على علاقاتها مع جيرانها في المجالين السياسي والعسكري وارتبطت بعدة اتفاقيات معاهدات سبق الاشارة اليها فبالاضافة الى ملائمة مينائها للملاحة وخصب لزيته ووفرة انتاجها من المحاصيل والثروة الحيوانية والسمكية^(٢٨٩) وهذا ما اشار اليه صاحب الاستبصار بقوله: "وهي انزه البلاد وأكثرها لحماً وعسلاً وقوتاً" على ان وفرة الانتاج لم تكن موجودة دائماً بسبب ما تعرضت له المدينة من كوارث طبيعية عند انحباس المطر او انتشار الاوبئة التي كانت تعرض لها بسبب انفتاحها على الخارج، والقُدوم اليها العديد من الاجناس من مناطق مختلفة الى جانب رطوبة الجو وكثرة البرك فيها، مما دعا البكري الى ان يقول عنها لا يصح فيها البيضان ويصبح بها السوادن^(٢٩٠).

الى جانب الهجمات الخارجية المستمرة وما نجم عنها من حروب وتدمير وقتل وسبي وخطف كل ذلك اتى على السكان وعلى الانتاج الى جانب الغزوة الهيلالية وطبيعتهم البدوية الرعوية فقد اثروا سلباً على الحياة الزراعية، وخاصة في سها عنابة، وانعكس هذا على العمران، وهذا ما اشار اليه الادريسي بقوله: "ولها

اقاليم وارض واسعة تغلب العرب عليها...^(٢٩١) لانهم كانوا اصحاب نجم أكثر من أي شيء اخر.

كما ظهرت فيها عدد من الاسواق مثل سوق الحوكة وسوق الحمامين ويسمى الجمالين وسوق الدرازين وسوق النجارين وسوق الفخارين وسوق الخرازين وسوق صناعة البلغة المسماة بتونس الفاجية^(٢٩٢)، وغيرها من الاسواق الاخرى وسوق الحبوب وسوق المواشي^(٢٩٣) الى جانب المساجد والحمامات.

كما تميزت عناية بكثرة الغابات منها غابات جبل ايدوغ وبني صالح والقاله وسيبوز وقد امتازت بجودتها واستخدمت اخشابها في الصناعات اليدوية وفي بناء السفن في ساعة على نمو الاسطول المغصي قطعة وانواعه واختلاف احجامه واحتوت جبالها على معادن كان من ابرزها النحاس والحديد والنحاس كان يستخرج من عين باربار لسفوح جبل ايدوغ الشمالية، اما الحديد فتقع مناجمه في اماكن متفرقة مثل قطع الحديد الذي يعرف الا ان ابو حمزة ومناجم مجاز الرسول وعين ام الرخاء ومريزاز ومعجوبة^(٢٩٤).

وقد امتدت اسواق عناية بهذين المعدنين لان الصناع كانوا يتعرضون باستخراجها من المناجم وتصنيعها ومن

فيما يعد انصرفوا عنها لتوفر هذه بكثرة في اسواقها وفي الاسواق المحلية في المدن الاخرى عن طريق القرصنة.

كما انعكست الحروب على البنية السكانية سلباً وإيجاباً فقد هاجر اليها عدد من الاندلسين وسكنوا المدينة ومارسوا الصناعة والمهن اليدوية المختلفة الى جانب التجارة وركوب البحر الذين برعوا فيه منذ وقت مبكر^(٢٩٥) وكان لنشاطهم مزاي متعددة انعكست على حياة المدينة بجميع جوانبها ما حدث لها اثناء الهجرة الهلالية وما اتسمت به القبائل من الشدة وممارسة الاعمال الاقل نشاطاً وتأثيراً في الميزان التجاري، لكنهم فيما بعد اخذوا يبحثون عن فرص تتناسب معهم فوجدوا بمهنة القرصنة وما نجم عنها من بيع وشراء خير وسيلة لهم.

الدور الحضاري والثقافي للمدينة

المتمثل في المساجد والتي ورد ذكرها عند البكري دون ذكر اسمائها وتواريخ بنائها لكنه ذكر هو وصاحي الاستبصار اسم مسجد يقع على جبل ايدوغ المطل على المدينة والذان وصفا موقعه بشدة البرد وتساقط الثلوج على الجبل دون السقوط عليه^(٢٩٦) اشادة ويبدو

انه اسس في زمن الدولة الصفهاجية المتمثلة في
حكومتي القيروان والقلمة والذي اشرف على بنائه
وتاسيسه رجل على مصروح وجهاد وهو ابو الليث
البونوي مدعائه معروفة في الوسط الاجتماعي (البونوي)
وقد اختلف في تاريخ بنائه فالجيلالي يرى حسب ما
ورد في تقييد احد كتب الشي احمد بن قاسم البونوي
انه بني سنة ٤٢٥هـ ويشاركة في ذلك ابو عبدلي الذي
يعتمد هو الاخر على نفس المصدر، ويرى الجيلاني ان
هندسة المعمارية شبيهة بالهندسة المعمارية التي
وجدت زمن الاغالبة والفاكميين والزيرين واواخر القرن
الرابع والخامس الهجريين، بينما يرى بوروين العالم
الاثري ان تاريخ بنائه يرجع الى القرن الثالث هـ التاسع
الميلادي.

دفن بجرة بجانب المذنة وقبره كان موجوداً أيام
الاحتلال الفرنسي للجزائر^(٢٩٧).

مكونات الجامع

يبلغ طول المسجد ٣٦,٥٠م طوله وعرضه
١٩,٥٠م على بيت الصلاة طوله ١٩,٦٠م فبنى على
سواري من الرخام مجلوبة من اعبائي القديمة تعلوها
تيجان قديمة واسلامية، وكانت ذات صف او صفين
من اوراق الاكتس منها تحتوي على صفين من ثني
اوراق ومنها ما كان صفها او علوي مكونا من اربع
اوراق وصفها السفلي مكونا من ثنائي اوراق وما
يلاحظ في صلاة جامع سيدي ابو مروان هو ان
الاقواس كلها على شكل حدوة الفري وترتكز على
التيجان بواسطة ثلاثة عناصر معمارية الكف والركيزة
والطنف ووجود هذه العناصر الثلاثة بين الاقواس
والتيجان يرجع الى ان السواري المستعملة جلية من
جبان قديمة ولم يكن ارتكاز كافياً بالنسبة الى الجامع.

والحرب - بيت الصلاة - مشكاة نصف
دائرية القعر تعلوها قبة نصفية فقدت زخرفتها كلها
وعلى يمين ويسار المحراب نجد ساريتين موضوعتين
على مقعد احدهما مزينة بتاج اسلامي الشكل وكان
لجامع سيدي ابو مروان وقت الاحتلال قبتان
موضوعتان في طرفي الاسكوب الاوسط العمودي

ومهما يكن من امر فانه يمثل في تصميمه مسجداً
ورباطاً والرباط ملحق المسجد من جهته البحرية
واستمر قائماً حتى حدث انفجار في احدى للسفن
بميناء عنابة سنة ١٩٦٥م ادى الى حدوث اضرار
فيه.

ويعرف هذا المسجد في الوسط العنابي بجامع ابو
مروان الذي وصل الى بونة سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م
قادماً من تونس والذي اخذ يدرس فيه وعندما توفي

لجدار الحراب فهدمت هاتان القبستان في عهد الاحلال .

اما القبة من داخلها فترتكز على الجدار الذي يفصل بين الصلاة عن الصحن من جهة الجنوب ومن جهة الشمال على مجموعتين من السواري كل مجموعة تحتوي على تررت سواري، وفوق القاعدة المرجعة تجد اربعة عقود زوايا موضوعة كما يدل عليها اسمها في الزوايا الاربع للقاعدة تسمح بالمرور من القاعدة المربعة اما القبة في ذاتها فكانت على ما يبدو ومزينة باخايد ولجامع سيدي ابي مروان مئذنة معينة في الزاوية الشمالية الشرقية للصحن بجانب ضريح ابي مروان . وفي ايامنا هذه تشتمل هذه المئذنة على خمسة بروج موضوعة بعضها فوق بعض .

الناحية الثقافية

فقد تمت في بونة - عناية - بذور ثقافية ترجع جذورها الى القرن الرابع قبل الميلاد، حيث كانت المركز الديني الثاني بعد قرطاجة، وكان ابرز مفكرها القديس اوغسطين ونظراً لاهميته سميت المدينة باسمه ومارست المدينة على مدى التاريخ دوراً هاماً من التواصل الثقافي .

وكان من ابرز من قدم اليها بعد قيام ثورة البروجن يحيى بن كثير المكنى بابي عيسى، اصله من

البربر من بني الليث ولذلك سمي بـ (الليثي) وهو من قرطبة روى الحديث عن زياد بن عبد الرحمن وزياد روى عن مالك بن انس تفرغ للتدريس في خارج قرطبة وله عدة اقوال وممارسات تتم عن اساليب تربوية جديدة .

- اما ابو عيد الملك مروان بن محمد ويسميه المؤرخون احيانا ابو مروان عبد الملك بن علي الاسدي والقطان القرطبي المعروف بالبوني نسبة الى مدينة بونة عناية، سكن قرطبة وفيها روى عن ابي محمد الاصلي والقاضي ابي المطرف عبد السهن ابي الحسن القابسي لازم ابا جعفر احمد بن نعد الداودي خمس سنين، واخذ عنه معظم مؤلفاته وقد كرس نفسه لخدمة العلم فمارس التأليف والتدريس انف مختصاً لكتاب موطا مالك، واعتمد عليه الناس على الموطا ذاته .

وشهد له الكثير من العلماء بغزارة علمه خاصة في الفقه والحديث حيث قام بتدريسها في المسجد الذي تسمى باسمه وتوفي سنة ٤٣٩هـ ودفن بحجرة قرب مئذنة الجامع .

من مؤلفاته اسرار المرف، رسائل الشهود في الحقائق على طريقته، علم الحرجون، شرف الشكليات واسرار الحروف والورديات خصائص السر الكريم في فضائل .

احمد بن محمد بن علي العنابي المكنى بابي العباس نحوي قوى رحل الى المشرف واستقر في القاهرة مدة لازم ابا حيان النحوي ومرا عليه النحو واتفقه وخاصة الثمان وقام على خدمته الى ان توفي وبعد وفاته غادر القاهرة متوجها الى دمشق نزل بالخانفاه الاندلسية وولى مشيخة النحو بالمدرسة القاهرية وتصدر للتدريس بالجامع الاموي بدمشق قال عنه ابن الجزري "واتق به الناس وقرا عليه القراءات عمران بن ادريس الجليوي واحمد ابن نياسي وشعبان الحنفي توفي سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م.

وهناك العديد من العلماء من استوطنوا المدينة واعنوا اتاجها الثقافي ابتداءً بابي عبد الملك مروان من اصحاب القرن الخامس الهجري وواصلت المدينة رحلتها الثقافية حتى العصر الحديث الذي كان من ابرز علمائه احمد ساسي ١٠٦٣-١١٣٩هـ/ ١٦٥٢- ١٧٢٦م والف ارجوزة من ثلاثة الاف بيت ثم افتقرها الى الف وسمها بالالفية.

- علي بن عبدالله الانصاري البوني المكنى بابي الحسن وهو من فقهاء المالكية عهد من بالدراسة والعلم والامانة والخط والصيانة مارس القضاء في بجاية لم تعثر على تاريخ ومكان وفاته لكنه من اهل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

- البوني، الوليد بن ابا بونة البوني الاصبهاني ابو العباس مفسر محدث حافظ ارتحل عدة رحلات وحدث عن احمد بن الفرات الرازي وطبقته وعنه اخذ الطبراني وغيره ممن هم من اصل اصبهاني توفي باصفهان سنة ٣١هـ / ٩٩٢م. من مؤلفاته، تفسير القرآن، المسند الممل في الحديث^(٢٩٨).

الهوامش

- (١) الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ٤ / ١٥٩، ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ١٩٥٧م، ج ٥ / ٦٣١، مادة (عناّب).
- (١) الحموي، المصدر السابق ج ٤ / ١٥٩.
- (١) الدمشقي، ابو البقاء عبدالله، نزهة الانام في محاسن الشام، القاهرة، ١٣٤١هـ، ص ٢٧٠.
- (١) البكري، ابو عبدالله، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، بغداد (د.ت)، ص ٥٤-٥٥.
- (١) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ بن خلدون، المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، بيروت (د.ت)، ج ٢ / ٢٣.
- (١) عبدالحق صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع (تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت ١٩٥٤، ج ١ / ٢٣١-٢٣٢.
- (١) البكري، المغرب، ص ٥٤.
- (١) ابن خلدون، العبر، ج ٤ / ١٨٧.
- (١) الكعاك، عثمان عنابة قبل الاسلام، الجزائر ١٩٧٦، ص ٤٦.
- (١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢ / ٢٢٥ مادة (عناّب).
- (١) البكري، المغرب، ص ٥٥.
- (١) ابن خلدون، العبر، ج ٢ / ١٨٠، ١٧٩.
- (١) ابو الفداء، اسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠م، ص ١٤١.
- (١) البكري، المغرب، ص ٥٥.
- (١) ابن حوقل، صورة الارض، دار الحياة، بيروت ١٩٧٩، ص ٧٧.
- (١) مؤلف مجهول، الاستبصار، تح: سعد زغلول، دار النشر المغربية، تونس ١٩٨٥، ص ١٢٢.
- (١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٧٧.
- (١) البكري، المغرب، ص ٥٥.
- (١) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٤١.
- (١) الوزان، احمد بن محمد المرياني، وصف افريقية، الرياض ١٣٩٩م، ص ٤٣٣.
- (١) المقدسي، احسن التقاسيم، ليدن ١٩٠٦، ص ٢١٦-٢٢٦.
- (١) البكري، المغرب، ص ٥٤، ٥٥.
- (١) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٧.
- (١) البكري، المغرب، ص ٥٥.
- (١) عادل نويض، اعلام الجزائر، بيروت ١٩٧١م، ص ٣٠، ٢٨.

- ٢٠٦

- (١) البكري، المغرب، ص ٥٥ .
 (١) الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج ١ / ٤١٤ .
 (١) وصف افريقية، ص ٤٣٣ .
 (١) البكري، المغرب، ص ٥٤ .
 (١) البكري، المصدر السابق، ص ٥٤ .
 (١) الجليلي، تاريخ، ص ٦٨ .
 (١) الخشني، اخبار الفقهاء والمحدثين، مدريد ١٩٩٢،
 ترجمة رقم ٤٩٣، ص ٣٤٨ .
 (١) البكري، المغرب، ص ٥٥ .
 (١) الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج ١ / ٤١٤ .
 (١) البكري، المصدر السابق، ص ٥٤ .
 (١) الجليلي، تاريخ، ص ٦٨ .
 (١) الخشني، اخبار الفقهاء والمحدثين، مدريد ١٩٩٢،
 ترجمة رقم ٤٩٣، ص ٣٤٨ .
 (١) البكري، المغرب، ص ٥٤ .
 (١) الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج ١ / ٤١٤ .
 (١) البكري، المصدر السابق، ص ٥٤ .
 (١) الجليلي، تاريخ، ص ٦٨ .
 (١) الخشني، اخبار الفقهاء والمحدثين، مدريد ١٩٩٢،
 ترجمة رقم ٤٩٣، ص ٣٤٨ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ١- البكري، ابو عبدالله، المغرب في ذكر بلاد افريقية
 والمغرب، بغداد (د.ت).
 ٢- الدمشقي، ابو البقاء عبدالله، نزهة الانام في
 محاسن الشام، القاهرة، ١٣٤١هـ.
 ٣- الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار
 احياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج
 ٤ / ١٥٩، ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ١٩٥٧ .
 ٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ بن
 خلدون، المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، بيروت
 (د.ت).
 ٥- ابن السراج، الحلال السندسية في الاخبار التونسية،
 تونس ١٩٧٠ .
 ٦- ابن حوقل، صورة الارض، دار الحياة، بيروت
 ١٩٧٩ .
 ٧- عبدالحق صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع
 (تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت
 ١٩٥٤ .
 ٨- ابو الفداء، اسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، دار
 الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠ .
 ٩- ابن قنفذ، مبادئ الدولة الحفصية، تونس ١٩٦٨ .
 ١٠- ابن منظور، لسان العرب، ج ٢ / ٢٢٥ مادة
 (عنا ب).
 ١١- الوزان، احمد بن محمد المرياني، وصف افريقية،
 الرياض ١٣٩٩ .
 ١٢- المقدسي، احسن التقاسيم، ليدن ١٩٠٦ .
 ١٣- مؤلف مجهول، الاستبصار، تح: سعد زغلول،
 دار النشر المغربية، تونس ١٩٨٥ .

ثانياً: المراجع

- ١٤- الكعك، عثمان عنابة قبل الاسلام، الجزائر
١٩٧٦ .
- ١٨- الغبريني، عنوان الدراية، الجزائر ١٩٨١ .
- ١٩- الميللي، محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم
والحديث، الجزائر، (د.ت) .
- ١٥- عادل نويهيض، اعلام الجزائر، بيروت ١٩٧١ .
- ١٦- العبدري، رحلة العبدري، الرباط، (د.ت) .
- ٢٠- المدني، احمد توفيق، حرب الثلاثمائة الجزائر
واسبانية، الجزائر ١٩٨٤ .
- ١٧- ابن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت ١٩٧٠ .

المظاهر العمرانية الدينية في مدينة طليطلة الاندلسية

د . غادة قحطان حسن

الملخص :

تعد ظاهرة العمارة من أبرز الظواهر في الحضارة الإسلامية وقد اثبتت الآثار التي خلفتها لنا الحضارة في طليطلة مدى التقدم الذي احرزه الطليطليون في هذا المجال، ولاسيما خلال حكم اسرة بني ذي النون، الذي تميز بنشاط عمراني واسع، نتيجة لاستقرار السلطة النسبي او وفرة الاموال في خزائن الدولة ؛ اذ ان التأثير العربي لطليطلة لا يمكن ان يمحي وان كان العرب لم يبقوا فيها الا ثلاثمائة وست وثمانين سنة (٩٢هـ-٧١١م/٤٧٨هـ-١٠٨٥م)، حين استولى عليها الفونسو السادس ؛ اذ كانت احد معاقل العرب امام النصارى في شمال اسبانيا، وكانوا يطلقون عليها درع الاندلس.

وفقدت مدينة طليطلة مكائنها السياسية الكسبية ازاء السيادة التي فرضتها عليها قرطبة عاصمة الاندلس ولكنها كانت مع ذلك خير مدينة احتفظت خلال الكوارث والتمردات بطابعها العمراني بفضل طبيعتها الطبوغرافية ؛ اذ تقع على مرتفع صخري يشقه نهر تاجة من جهاتها الثلاث فهي قوية منيعة ذات اسوار عالية تصلح للمقاومة والدفاع وجاء وصف اليعقوبي لطليطلة معبرا عن اتساع عمرانها ؛ اذ يقول عنها: ((مدينة منيعة جليلة ليس في الجزيرة مدينة اوسع منها)).

Abstract:

The phenomenon of architecture is one of the most prominent phenomena in the Islamic civilization. The traces of civilization in Toledo have proved the progress made by the AL-Telteleons in this field. Especially during the rule of the Bani Nun family, which was characterized by extensive urban activity, due to the stability of the ruling government of the city or the abundance of funds in the state coffers. Since the Arab influence of Toledo can not erase the fact that the Arabs had not stayed there for only three hundred and sixty-eight years (92 AH-711M / 478H-1085M), When seized by Alfonso VI; it was one of the strongholds of the Arabs in front of the Christians in northern Spain, and they were called the shield of Andalusia.

The city of Toledo lost its political position because of the sovereignty imposed by Cordoba, the capital of Andalusia, but it was nevertheless the

best city that maintained during the disasters and rebellions of its urban nature thanks to its topographic nature. As it lies on a high rocky, which is bordered by the River Thaj from its three sides, it is strong and shielded with high walls suitable for resistance and defense. The Yacoubi described The breadth of architecture of Toledo, As he says about her: ((a strong, blessed, and great city, there is no city in the island larger than Toledo).

المقدمة :

١. المسجد الجامع:

اقترن عصر الفتوحات الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها بإنشاء المسجد الجامع امتثالاً لقوله تعالى: ((انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين))^(١) ؛ اذ إن المسجد الجامع كان على رأس المؤسسات الدينية التعليمية التي اعتمدها المسلمون في صقل وبناء الشخصية الاسلامية، ولا خلاف في ان المسجد الجامع شكل منذ البداية مدرسة الحياة لدى المسلمين، ففيه تقام الصلوات الخمس وتعرف اصول الشريعة، وفيه كانت تعالج امور شتى من امور المسلمين في دينهم ودنياهم، وفيه يتقاضى الناس ويلتقي قادة الامة للتشاور في جلائل الامور، بل كانت الامة تتجه اليه في كل شؤونها، وهو قلب المدينة المسلمة لا في موقعه بل في مهمته. فالمسجد الجامع في طليطلة هو المرحلة النهائية في تلقي العلوم وهو على هذا الاساس يعد جامعة يخرج منها طلاب العلم، وفيها يتلقى المسلمون من العلوم ما ينسجم ومكانتهم الدينية⁽²⁾

ان دراسة تاريخ طليطلة الذي استغرق ثلاثمائة وست وثمانين سنة بأيدي المسلمين تقتضي التمعن والتقصي الدقيقين بين مصادر التاريخ لإظهار معالم هذه المدينة وانشطتها الحضارية التي أسهمت بصورة لا لبس فيها في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس. لا سيما وان مدينة طليطلة تحظى بأهمية تاريخية وقد تميزت بأثارها العمرانية الدينية ، ومهما يكن من أمر فإن دراستنا لتاريخ طليطلة التي اصبحت احدي القواعد الاسلامية المهمة بعد الفتح الاسلامي لشبة الجزيرة الايبيرية، وبلغت أوج ازدهارها أيام حكمها ولا سيما في اثناء حكم ملوك الطوائف الذي قام على انقاض الدولة الأموية في الأندلس اذ احتضنت طليطلة اسرة قوية هي أسرة بني ذي النون آنذاك.

وطليطلة متحف غني زاهر بالآثار العمرانية الرائعة لما بلغته من روعة في البناء والعمران وامثلة رائعة في الهندسة العربية الأندلسية المتمثلة بروائع الفن والآثار التاريخية فضلا عن موقعها الجغرافي الممتاز فقد ضم مركزها داخل سور المدينة خططا كثيرة منها :

كان المسجد يتوسط المدينة كما هي الحال في سائر المدن الاسلامية بناه القائد موسى بن نصير عند دخوله طليطلة (٩٣هـ/٧١٢م) مكان الكاتدرائية العظمى التي كانت تقع في قلب المدينة وكان طولها آنذاك (٤٠٠ قدم) وعرضها (٢٣٠ قدم) وعلو سورها (١٥ قدم) ولها من الابواب خمسة وقد عد المسجد أية في البناء وفنا متميزا في العمارة⁽³⁾.

ومن بديع هذا المسجد ((منارته التي لا تشبهها منارة مبنية بالحجارة التي بنى فيها المسجد الجامع ويصعد اليها بمائتي درجة الى موضع الاذان)) وتتألف من طابقين الاسفل ينتهي من اعلاه بشرفة والاعلى اصغر حجما واقل ارتفاعا من الاول ويتوجه كذلك سور محيط بالمنارة مزخرف اعلاه بكرات معدنية مختلفة ((وفي اعلى المنارة تسعة فواقس اوسطها في غاية العظم دائرته نحو ثلاثة وثلاثين شبرا)) ويستقل المسجد عن المنارة دائما ويفصل الحصن بينهما وكان المؤذنون ينادون للصلاة خمس مرات يوميا من اعلى المآذن، وكان والي المدينة غالبا ما يؤدي صلاة الجمعة في المسجد الجامع⁽⁴⁾.

وقد أجريت تغييرات وتوسعات في المسجد الجامع عبر العصور التاريخية التي مرت بها المدينة، ففي سنة (٨٧٠هـ/٢٥٧م) قام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط بتوسيع المسجد الجامع في طليطلة بعد ان

ضم الكنيسة الملاصقة له واعاد ترميم المنارة التي تهدمت بفعل عوامل الزمن، وتم توسيع هذا المسجد مرة اخرى والعناية به في عهد امراء بني ذي النون، اذ قاموا بإنشاء الاحواض المرمية الجميلة في داخل المسجد جزءاً من عملية الترميم، وزودوا هذا المسجد بمختلف انواع النقوش الجميلة وذلك سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) على عهد الملك اسماعيل الظافر بن ذي النون⁽⁵⁾.

ومسجد طليطلة حاله حال مساجد المدن الاسلامية الاخرى لم تقتصر مهمته على الوظيفة الدينية، بل كان حافلا بالنشاط العلمي، وكثيرا ما كانت تجري فيه حلقات الدرس والمناقشة بين العلماء في مختلف فنون العلم، فمن العلماء الذين درسوا في المسجد الجامع بطليطلة احمد بن يحيى بن حارث الاموي، فذكره ابن بشكوال بقوله: ((له مجلس يدرس علوم الحديث وينشر العلم ويعظ الناس فيه حتى وفاته))⁽⁶⁾، ومحمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلي (ت ٣٤١هـ/٩٥٢م) الذي كان يقوم بتدريس الفقه، ومحمد بن رباح بن صاعد الاموي (ت ٣٥٨هـ/٩٦٨م) الذي التزم تدريس الفقه في المسجد الجامع⁽⁷⁾.

وكان المسجد الجامع موضع رعاية كبيرة واهتمام من جميع الذين تولوا حكم المدينة منذ تأسيسه وحتى تهدمه وتحويله الى كاتدرائية سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)

بيد القشتاليين التي عدت من اغنى الكاتدرائيات في اسبانيا ؛ اذ كان من عهود التسليم التي قطعها ملك قشتالة على نفسه ان يبقى للمسلمين جامعهم الى الابد ليؤدوا فيه شعائرهم احرارا بيد انه لم يمض على ذلك سوى شهرين حتى قام اسقف طليطلة بتحويله الى كاتدرائية احتوت على اضرحة فخمة واوعية للطقوس من الذهب والفضة تعود للنصارى الاسبان⁽⁸⁾.

وقد خلق تحويل المسجد الى كاتدرائية ردة فعل من قبل فقهاء طليطلة تمثلت بقيادتهم لحركة احتجاج لمسلمي طليطلة، واعتصام الشيخ محمد بن عيسى بن فرج عبد الله المغامي (ت ٤٨٥هـ/١٠٩١م) داخل المسجد في اثناء عملية هدمه؛ اذ اشير الى ذلك بالقول: ((وبين يديه احد التلامذة يقرأ. فكلموا قالوا له عجل، اشار هو الى تلميذه بان اكمل ثم قام ما طاش ولا تهيب فسجد به واقترب وبكى عليه مليا وانتصب النصارى يحطمونه))⁽⁹⁾

واقام النصارى الاسبان بهذه المناسبة حفلا ملوكيا ضخما حضره كبار رجال الدولة عندهم، واخذوا يصلون فيها صلاتهم.

٢. قصر الامارة:

وهو الذي كان يقيم فيه العامل او الوالي او الامير في طليطلة الذي يعين من قبل الامير او الخليفة في قرطبة ،

واغلب الظن انه كان حصنا كبيرا ايام الرومان ومقرا لحكامهم ثم جدده ملوك القوط الغربيين واتخذوه قصرا لهم ، واعد بناءه حكام المسلمين الذي اصبح فيما بعد قصرا لهم يقوم على صخرة عالية تطل على نهر تاجة مقابل القنطرة ؛ اذ الف نظاما معماريا فرضته طبيعة الارض المتكونة من الصلصال والحجر الجيد .

وقد شرع المسلمون في بناء قصورهم في عصر بني امية وهو العصر الذي ازدهرت فيه الفنون الاسلامية الاندلسية فقامت حركة معمارية قوية بالبلاد ونشطت هذه الحركة في عهد الامير الحكم بن هشام ؛ اذ امر واليه على طليطلة عمرو بن عمر ببناء قصر جديد فيها ليكون قلعة منيعة لضبط مدينة طليطلة وقمع ثوراتها وليطمئن الى ان اهلها لن يعودوا الى الثورة عليه ، وللقصر ابراج اربعة كبيرة يقوم كل منها على ركن من أركانه الاربعة⁽¹⁰⁾. وكانت قصور امراء الطوائف مركزاً غنياً لعلماء وادباء قرطبة الذين غادروها ايام الفتنة عام (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) ومن هذه القصور قصر الظافر اسماعيل القائم في طليطلة المطل على نهر تاجة مقابل القنطرة حيث زينت جدران مجلسه بقصائد من الشعر الجيد اختيرت في مدحه فقال الشاعر ابن السيد البطلبوسي في وصفه:

وَجَلَسَ جَمَّ المَلاهي أَزْهرا
الَّذِي فِي الْأَجْفَانِ فِي طَعْمِ الْكَرَى

لَمْ تَرَّ عَيْنِي مِثْلَهُ وَلَا تَرَى
أَنْفُسُ فِي نَفْسٍ وَأَبْهَى مَنَظَرًا⁽¹¹⁾

بأنجازها وتنميتها⁽¹³⁾ ، وكان للمأمون في هذا القصر مجلسه الشهير المسمى (المكرم) آية في الروعة والجمال، ويقول ابن بسام نقلا عن ابن حيان في وصف هذا المجلس ((وكنت ممن اذهلته فنتته ذلك المجلس واغرب ما قيد لحظي من بهيتي زخرفه الذي كاد يحبس عيني عن الترفي عنه الى ما فوقه ازاره الرائع الدائر بأسه حيث دار وهو متخذ من رفيع المرمر الابيض المسنون الزارية صفحاته بالعاج في صدق الملاسة ونصاعة التلوين قد خرمت في جثمانه صور البهائم واطيار واشجار ذات ثمار وقد تعلق كثير من تلك التماثيل المصورة بما فيها من افنان اشجار واشكال الثمر وكل صورة منها منفردة عن صاحبها متميزة من شكلها قد فصل هذا الازار عما فوقه كتاب نقش عريض التقدير مخرم محفور مرقوم كله بأشعار حسان قد تخيرت في أماديج مخترعة المأمون))⁽¹⁴⁾.

ولهذا المجلس ((بجيران قد نصت على اركانها صور اسود مصنوعة من الذهب الابريز احكم صياغة... وقد وضع في قعر كل بحيرة منها حوض رخام يسمى المذبح محفور من رفيع المرمر بديع النقش قد ابرزت وفي جنباته صور حيوانات واطيار واشجار))⁽¹⁵⁾.

واسهب شعراء طليطلة في وصف قصر المأمون بقصائد عديدة منها قصيدة الشاعر الحكيم عبد الله بن خليفة القرطبي وكان من شعراء الامير المأمون

ومن المفاخر العمرانية الاخرى التي شيدها المسلمون في طليطلة قصر الملك المأمون بن ذي النون الذي لم يكف بتقوية مملكته وزيادة ثرواتها وانما اراد ان يترك لأهلها ما هو اجل وابقى، ولم تبلغ طليطلة من الازدهار في نظر العالم الاسلامي قدر ما بلغته ابان حكم المأمون ؛ اذ لم تمنعه حروبه المتصلة مع جيرانه من ملوك الطوائف واعمال التمرد من ان يكفل لعاصمته ازدهارا فهو لم يبخل بجهد او مال في تشييد العمران وابتنى بطليطلة قصورا فاخرة اشتهرت بروعتها وفخامتها⁽¹²⁾، منها قصره الذي ابداع الشعراء في وصفه وكان قد شيد في المكان المقابل لمدينة طليطلة على ربوة مرتفعة قرب باب المخاضة و المسمى بالمنية المنصورة، ولقد جاءت هذه المنية بفضل جهود المهندسين آية في الجمال ليزيدوا القصر روعة وجمالا، وانشأوا ناعورة ترفع ماء نهر تاجة الى اعلى نقطة في المنية فكان مجلس الناعورة، وكانت هذه المنية غير بعيدة من جسر القنطرة ممتدة على نهر تاجة وكلف الملك الطليطلي المأمون بن ذي النون عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن محمد اللخمي المشهور بأبي المطرف (٣٨٩-٤٧٦هـ/١٠٤٣-١٠٧٥م)

سكن طليطلة بعد رحيله عن مصر، ومن شعره في وصف قصر المأمون بن ذي النون:

قَصْرٌ يَقْصِرُ عَنْ مَدَاهِ الْفَرْقَدِ
عَذِبَتْ مَصَادِرُهُ وَطَابَ الْمَوْرِدُ
نَشَرَ الصَّبَاحُ عَلَيْهِ ثَوْبَ مَكَارِمِ
فَعَلِيهِ الْوَيْةُ السَّعَادَةُ تُعَقِّدُ
وَكُنَّا الْمَأْمُونُ فِي رَجَائِهِ
بَدْرُ تَمَامٍ قَابِلُهُ أَسْعَدُ
وَكُنَّا الْأَقْدَاحُ فِي رَاحَتِهِ
دُرُ جُمَانٍ ذَابَ فِيهِ الْعَسِجْدُ⁽¹⁶⁾

وقال الفتح بن خاقان في كتابه: ((واخبرني ابو السيد البطلبيوسي انه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها المنى ومراها هو المقترح والمتمنى ... والمأمون قد احتبى وافاض الحبا والمجلس يروق كأن الشمس في افقه والبدر كالتاج في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومفتبق والدولاب ين كناية اثر الحوار او كئلكى من حر الاوار والجو قد عنبرته انواؤه والروض قد رسته امطاره...))⁽¹⁸⁾ وكلف المأمون بن ذي النون ابا المطرف يحيى بن وافد وعبد الله بن ابراهيم ابن بصال للأشراف على بستان الناعورة، وقد وصف الشاعر الحكيم عبد الله بن خليفة القرطبي بركة القصر والقبعة عليها بقوله:

سمشية الأنساب بدريّة
يُحَارُفِي تَشْبِيهَهَا الْخَاطِرُ
كُنَّا الْمَأْمُونُ بَدْرُ الدُّجَى
وَهِيَ عَلَيْهِ الْفُلُكُ الدَّائِرُ⁽¹⁹⁾

وقد اندثر هذا القصر بصورته التي وصفناها ولم يبق منه سوى اطلال بفحص طليطلة على نهر تاجة شمال شرق المدينة ويطلق الاسبان على هذه الاطلال قصر

وكان في المدينة المباني الذنوبية الجليلة منها قبة النعيم التي صنعت للمأمون بن ذي النون تنسدل فيها خيمة من ماء يشرب في جوفها مع من احب من خواصه في ايام الصيف وهي ما تعرف بجنة المأمون او بستان الناعورة، وصنع في وسطها بحيرة ((وفي وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب ويجلب الماء على رأس القبة محيطاً بها ويتصل بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من الماء والمأمون قاعد فيها لا يمسسه من الماء شيء وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب)). وسبب تسميته القصر بالناعورة هو ان

الممرات⁽²¹⁾، وكانت هذه الاسواق تتألف من طابق واحد او أكثر معدة كهندق او خان لإقامة المسافرين والتجار الاجانب، ويتألف الخان من صحن مستطيل تحف به اربعة اروقة تشتمل على حجرات الطابق الارضي يخصص للمتاجر والاصطبلات والقسم العلوي يشتمل على حجرات للضيوف ومخازن تجارية تجر للجار والعابرين بالمدينة⁽²²⁾ وهناك الميدان الكبير الذي يقع وسط المدينة الى الغرب منها واسمه سوق الدواب او ساحة ثوكودوير (Zocodover) وكان يعد السوق الرئيس في طليطلة اذ كانت الحيوانات تباع فيه وخاصة حيوانات الركوب وتوجد أسواق أخرى في طليطلة منها سوق العطارين وسوق الحصارين والجامين والكمادين⁽²³⁾.

وكانت هنالك مراقبة شديدة على الأسواق من قبل الوالي أو الأمير فقد يجعل الأمانة عليها ويسند وظيفة صاحب السوق إلى من يثق بهم لينظر فيما يصلح من المعاش وما ينشئ من السلع ومراقبة الموازين والمكاييل وأن تكون لها مقادير معروفة متساوية والقضاء على الغش وتعقب المزيفين ومعاقتهم بكل قسوة وطردهم من الأسواق؛ اذا اقتضى الأمر⁽²⁴⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه راج في طليطلة لا سيما أيام ثاني ملوكها المأمون بن ذي النون المنتديات العلمية

جليانا (Juliana) وقد نسجوا حوله قصصاً من الفروسية والاساطير وتروى هذه القصص ان اميرة مسلمة كانت تعيش فيه وقد بقي من هذا القصر جزءاً مستطيل اقيم في طرفيه طابقان يؤلفان برجين كبيرين ويتكون الطابق الادنى منهما من قاعة متوسطة تتخلل جدرانها. والبناء يتبع الاسلوب الطليطلي في العمارة؛ اذ تتناوب فيه صفوف الحجر الجرانتي وصفوف الحجر اما القنات فمتعارضة وقد بقيت بعض عقود نصف دائرية واخرى مفصصة في داخل الغرف. وعند سقوط المدينة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) حول قصر الامارة الى قلعة للملوك الاسبان لحصانه موقعه ثم الى قصر لهم للإقامة فيه⁽²⁰⁾.

٣. الاسواق:

اشتهرت طليطلة في العصر الاسلامي بكثرة اسواقها، وكانت هذه الاسواق تشيد على مساحة مستطيلة يتوسطها طريق تمتد تقع الحوانيت على جانبيه بالقرب من المسجد الجامع، وكان يطلق على هذه الاسواق اسم قيسارية وكلمة (قيسارية) تعريب للكلمة اليونانية اللاتينية (Kaisareie) وتعني السوق القيصري التابع للدولة، وكانت القيسارية تتألف احياناً من شبكة من الطرقات الضيقة المسقوفة (زنقات) او من ممرات تدور حول بهو فسيح وتفتح الحوانيت على هذه

والأدبية يتداولون فيها الآداب والعلوم المختلفة وكانت طليطلة تتميز عن باقي مدن الأندلس بالبذخ البالغ على العلماء فأنفق الكثيرون القسم الأعظم من ثرواتهم في شراء الكتب فأصبح لها سوق للعلم ؛ اذ كان التجار يحملون مع بضائعهم كتباً⁽²⁵⁾

لاحترافه بقبابه التسع قائمة على الضلوع المقاطعة ويعرف هذا الجامع باسم باب مردوم نسبة إلى باب مجاور له ما زال قائماً، وهو من الآثار الإسلامية في طليطلة ؛ ذ أنه يحتفظ ببعض المميزات المعمارية الأندلسية التي كانت دائماً مصدر إلهام العاملين في مجال الفنون المعمارية⁽²⁶⁾.

٤. المساجد:

احتوت طليطلة إلى جانب المسجد الجامع عدداً من المساجد التي بنيت على وفق تواريخ مختلفة ضمن مدة البحث وهي:
أ- مسجد باب مردوم:

وكان بيت الصلاة فيه مربع الشكل: طول كل جانب منه ثمانية أمتار ويتألف من ثلاثة أروقة طويلة تقطعها ثلاثة أروقة عرضية تفصل بينها أربعة أعمدة تيجانها قوطية قديمة يتفرع منها إثنا عشر قوساً على شكل حدوة الفرس⁽²⁷⁾.

وهو مسجد بني بطليطلة في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) وقام ببنائه موسى بن علي الطليطلي سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) بعد أن تبرع ببنائه الفقيه أحمد بن الحديدي، فقد بناه على أنقاض كنيسة فيزقوطية ؛ اذ استخدمت في بنائه بعض أجزاء هذه الكنيسة شيد من الحجر الجرانيني والآجر يبدو في هيئته الأولى مربعا تقوم كل واجهاته على ثلاثة عقود ضخمة عالية من الحجر بداخل كل منها باب على هيئة عقد مستدير وهذه العقود تحمل فوقها صفاً من النوافذ على هيئة بوابات زخرفية لا شك أنها كانت مغطاة بالزجاج، وعلى الرغم من صغر هذا المسجد فإنه يعد أهم مسجد في الأندلس بعد جامع قرطبة

أما واجهة المسجد الرئيسة وهي الواجهة الجنوبية الغربية فتطل على الطريق المؤدي إلى الباب المردوم بثلاثة أقواس في أعلاها نقش كوفي يتألف من قطع من الآجر بارزة على سطح البناء داخل إفريز بين صفيين من الأسنة البارزة ويسجل على هذا النقش تاريخ البناء والقوس الأيمن من هذه الأقواس متجاوز على شكل حدوة الفرس على نمط أقواس المسجد الجامع بقرطبة والقوس الأيسر مفصص، أما الأوسط فمجدد ويعلو هذه الأقواس الثلاثة التي تعد أبواباً لبيت الصلاة بانكة صماء من أقواس متجاورة متقاطعة ويتوج هذه البانكة الزخرفية إفريز بداخله شبكة مخزومة من المعينات، أما الواجهة التي تطل على بهو المسجد

فتكون من ثلاثة أقواس متجاوزة بمناوبة أبواب تعلوها ستة أقواس متجاوزة صماء يتناوب فيها اللون الأبيض والأحمر نتيجة لتعاقب قوالب الحجر والآجر على نظام أقواس جامع قرطبة⁽²⁸⁾.

ونظام التقيب يقوم على تقاطع العقود البارزة أو الضلوع في صور مختلفة منها ما يمثل شكلاً رباعياً منحرفاً ذا أقطار متقاطعة تكسبه شكل قبتين من الطراز القوطي واحدة بداخل الأخرى ومنها قبة ضلوعها المتقاطعة تتخذ التشكيل الزخرفي نفسه الناشئ من تقاطع القبة المخرمة الكبرى بجامع قرطبة، كذلك يمثل الاتجاه الزخرفي في تقاطع الضلوع بالقبة التي تعلو الإسطوان الأوسط ((ونظام هذه القبوة قوامه أربعة عقود نصف دائرية متقاطعة فيما بينها : إثنان رأسياً وإثنان أفقياً ويشغل كل مربع من المربعات التسعة الناشئة من هذا التقاطع قبيبات صغيرة يتقاطع فيها

قوسان صغيران في شكل هلال وهو تطور غريب لقبوات مسجد الباب المردوم فبدلاً من وجود تسع قبوات يعلو كل منها إسطواناً اجتمعت القبوات التسع في قبة واحدة تغطي الإسطوان الأوسط من المسجد في حين غطت الأساطين الأخرى بقبوات نصف إسطوانية ذات أربعة مقاطع رأسية وتمثل هذه القبوة مرحلة جديدة من مراحل تطور القبة ذات الضلوع المتقاطعة⁽²⁹⁾، وعند سقوط المدينة (٤٧٨ هـ /

١٠٨٥ م) أضيفت قبة ضخمة إلى خطة المسجد ذات المناظر التسعة فتحول بذلك إلى كنيسة دائرية تضم في داخلها محراباً ؛ اذ شيد البناء كله من الطوب (الآجر) المرصوص بدقة وبأسلوب متقن⁽³⁰⁾.

ب-مسجد ابن ذني القاضي
كان موجوداً في منطقة الحزام وهو أحد أحياء مدينة طليطلة

ج-مسجد الجبل البارد ومسجد الدباغين
يقعان الى الجنوب من طليطلة يشرفان على نهر تاجة⁽³¹⁾ أقامهما الفقيه فتح بن إبراهيم الأموي المعروف بابن القشاري (ت: ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) وهو من أهل طليطلة يكنى أبا نصر ((كان شيخاً صالحاً فاضلاً مجتهداً في طلب العلم محافظاً عليه كثير الصلاة والصيام والجهاد والصدقة⁽³²⁾)).

أما بقية المساجد الأخرى فإنها أزيلت ولم يبق ما يدل عليها إلا قطع من نوافذ أو قباب أو عقود نجدها في كنائس بنيت على أنقاضها وهي كنائس بناها مهندسون من النصارى وفقاً للأسلوب السائد في الأندلس من أشهرها كنيسة سلفادور الذي كان مسجداً قد شيد في طليطلة سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤١م)، وكنيسة سانتا ماريا لابلانكا التي كانت كذلك

مسجدا فخما وكنيسة سانتا ماريا تريزوتو⁽³³⁾،
وديرساتافي وكنيسة سان سبا ستيان وكنيسة سانتا
ايولاليا وكنيسة سان رومان وجميع هذه الكنائس من
بقايا الآثار العربية وقد ظل ملوك أسبانيا أمدا طويلا
يننون الكنائس على الطراز العربي⁽³⁴⁾

وهكذا كان لمساجد مدينة طليطلة دور رئيس متميز
دون غيرها من المؤسسات الأخرى في احتضان طلبة
العلم من الطليطليين خاصة والأندلسيين عامة ومن
وفد إليها من البلدان الإسلامية الأخرى، فعدت بحق
اعظم المراكز لنقل المعرفة العربية اما دورها الثقافي فقد
استمر في العطاء فأصبحت وسيطا من اهم وسائط
نقل الثقافة العربية الإسلامية الى جميع ارجاء القارة
الأوربية وسرعان ما تحولت الى دور ترجمة كبيرة
للتقافة العربية الإسلامية الى اللاتينية⁽³⁵⁾.

الخاتمة:

تعد طليطلة من المدن الأندلسية القديمة التي تحتل
موقعا جغرافيا مهما باعتبارها قلب شبه الجزيرة
الإيبيرية، حظيت وما تزال تحظى بمكانة لدى الإسبان
بصفقتها عاصمة دينية، لها خصوصيتها بعد أن كانت
عاصمة لإمبراطوريتها وقاعدة للملوك القوطيين قبل
الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وهي من المدن التي
فتحها طارق بن زياد ضمن ما فتح من البلاد
الأندلسية، وظلت طليطلة بعد الفتح الإسلامي تتمتع

بتفوقها السياسي على سائر بلاد الأندلس، ولكنها ما
لبثت ان فقدت هذا التفوق ازاء السيادة التي فرضتها
عليها قرطبة عاصمة الأندلس في عهد بني أمية اذ ان
موقع طليطلة الاستراتيجي على نهر تاجة وطبوغرافية
المدينة وطبيعة سكانها التي تضم أكبر طائفة من
المستعربين والمولدين واليهود جعلتهم يخرجون عن
سلطان الامارة بقرطبة فضلا عن ميل سكانها الى
التمرد وجنوحهم الى الانفصال عن الحكومة المركزية مما
كلف امراء قرطبة اثنا باهضة.

ان الحضارة العربية الإسلامية الأندلسية ولا سيما في
مدينة طليطلة وجدت لها منفذا كبيرا نفذت منه الى
الممالك النصرانية في اسبانيا بعد استيلاء الممالك
النصرانية على طليطلة اذ في مثل هذه الحال لا بد من
امتزاج حضارة الغالب بحضارة المغلوب ومن ثم اخذت
طليطلة تخطو سريعا وان تضع يدها على كل مقدرات
الحضارة وتمثل دور الريادة بعلومها وفنونها وآدابها ،
واكتسبت مكانة رفيعة في فن العمارة ومن روعة في
البناء والعمران حتى وصل الى درجة عالية من
الازدهار والرقى ، وظلت مدينة طليطلة محتفظة
بالحضارة العربية الإسلامية حتى بعد زوال الحكم
العربي الإسلامي فغدت الشريان الذي نقل الى اوربا
ثمار هذه الحضارة الإسلامية وهيا لسكان غرب اوربا

السبيل للخروج من جهالة العصور الوسطى الى نور الاسلام وضوء الحضارة الاسلامية الساطع .

الهوامش :

(١) سورة التوبة ، آية ١٨

(٢) ليوبولدو توريس بلباس ، الابنية الاسبانية

الاسلامية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية

، العدد الاول ، (مدير ، ١٩٥٣) ، ص ٩٩ _ ١٠٠

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٤ _ ١٠٥

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٠٤ _ ١٠٥

(٥) احمد بن عبد الرحمن السماوي ، رحلة مصورة الى

الاندلس (دمشق ، دون مكان ، ١٩٨٣) ، ص ٢٨

(٦) ابو القاسم خلف بن عبد الملك ، الصلة ، (

القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦)

٤١/١ :

(٧) ابو الفضل بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي

السبتي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام

مذهب مالك ، تحقيق : احمد بكير محمود ، (بيروت ،

دار مكتبة الحياة ١٩٦٨) : ٣/١٣٢ _ ٤/٤٥٨

(٨) ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي

بن الابار ، الحلة السيرة ، تحقيق : حسين مؤنس (

القاهرة ، الشركة العربية للطباعة ، ١٩٦٣)

(٩) ابو الحسن علي الشنتريني بن بسام ، الذخيرة في

محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق : احسان عباس (بيروت

، دار الثقافة ، ١٩٨٧) : ق ٤ ، مج ١/١٦٨

(١٠) محمد عبدالله عنان ، الاثار الاندلسية الباقية في

اسبانيا و البرتغال ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التألف

والترجمة والنشر ، ١٩٦١) ، ص ٩٠

(١١) شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ ، ازهار

الرياض في اخبار القاضي عياض ، تحقيق : مصطفى

السقا (الرباط ، اللجنة المشتركة لنشر التراث

، ١٩٧٨) : ٣/١٢٧ _ ١٢٨

(١٢) ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس

، تحقيق : محمد عبد العزيز سالم (القاهرة ، دار نهضة

مصر للطباعة ، ١٩٥٦) ، ص ١٢٩

(١٣) التهامي الراحي الهاشمي ، الابواب بالاندلس (

الرباط ، معهد الدراسات والبحوث للتعريب ،

١٩٧٩) ، ص ٢١

(١٤) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ق:مج

١/١٣٢ _ ١٣٣

(١٥) المصدر نفسه : ق ٤ مج ١/١٣٣ _ ١٣٤

(١٦) المصدر نفسه : ق ٤ مج ١/١٣٤

(١٧) المصدر نفسه : ق ٤ مج ١/١٣٤

- (١٨) قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، قدم له ووضع
فهارسه محمد العنابي (تونس ، دار الكتب الوطنية ،
١٩٦٦) ، ص ٢٢٢
- (٢٩) عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في
الاندلس ، (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة
١٩٧٢) : ٢ / ٤٢
- (١٩) ابن بسام ، المصدر السابق : ق ٤ مج ١ / ٣٥٥
- (٢٠) عنان ، المرجع السابق ، ص ٩٠
- (٢١) عبد العزيز سالم ، مادة العمارة في الاندلس ،
دائرة معارف الشعب ، (القاهرة ، مطابع الشعب ،
١٩٥٥) العدد ٦١ _ ٦٤ ، ص ١٤٥
- (٢٢) بلباس ، المرجع السابق ، ص ١١٨
- (٢٣) مانويل جوميث مورينو ، الفن الاسلامي في
اسبانيا ، ترجمة : لطفي عبد البديع (الاسكندرية ،
مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٥٥) ، ص ٢٥٤
- (٢٤) يحيى بن عمر الاندلسي ، كتاب احكام السوق ،
تحقيق محمود علي مكي (القاهرة ، مطبعة المعهد
العلمي الفرنسي ، ١٩٥٥) ، ص ٤٢
- (٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٠ _ ٤٢
- (٢٦) عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين في الاندلس ،
الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٦١) ، ص
٤٠٣
- (٢٧) سالم ، مادة العمارة في الاندلس : ٦١ _ ٤٦
- (٢٨) المرجع نفسه ، ص ١١٢
- (٣٠) المرجع نفسه : ص ١١١
- (٣١) مورينو ، المرجع نفسه ، ص ٢٣٣
- (٣٢) ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي بن
الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة في الاندلس ، عني
بنشره : عزت العطار الحسيني ، (القاهرة ، مطبعة
المدني ، ١٩٨٨) : ١ / ٣٩٥
- (٣٣) حسين مؤنس ، رحلة الاندلس حديث الفردوس
الموعود ، (القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر
١٩٦٣) ، ص ١٧٨ _ ١٧٩ _ ٣٢٦
- (٣٤) مورينو ، المرجع السابق ، ص ٢٥٠
- (٣٥) عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الاندلسي من
الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، (بيروت ،
دار القلم ، ١٩٧٦) ، ص ١٤٢
- قائمة المصادر والمراجع :**
- ١. المصادر الاولى :**
١. ابن الآبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي
بكر القضاعي (ت: ٦٥٨ هـ / ١٢٥٨)
- الحلة السيرة ، تحقيق: حسين مؤنس (القاهرة ،
الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م)

٢. ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتري (ت: ٥٤٣ هـ / ١١٤٧)
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٧)
٣. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨ هـ / ١١٨٢)
- كتاب الصلة، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)
٤. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي (ت: ٥٢٩ / ١١٣٤ م)
- قلائد العقيان في محاسن الاعيان، قدم له ووضع فهارسه محمد العنابي (تونس، دار الكتب الوطنية، ١٩٦٦)
٥. ابن عمر، يحيى الاندلسي، (ت: ٢٨٩ / ٩٠١ م)
- كتاب احكام السوق، تحقيق محمود علي مكّي (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥)
٦. عياض، أبو الفضل بن محمد بن موسى اليحصبي السبتي، (ت: ٥٤٤ / ١١٤٩ م)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق: احمد بكير محمود، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٨)
٧. ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي، (ت: ٤٠٣ / ١٠١٣ م)
تاريخ العلماء والرواة في الاندلس، عني بنشره: عزت العطار الحسيني، (القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٨٨)
٨. المقرئ، شهاب الدين احمد بن محمد، (ت: ١٠٤١ / ١٦٣٢ م)
ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا (الرباط، اللجنة المشتركة لنشر التراث، ١٩٧٨)
٢. المراجع الثانوية
- ١- بروفنسال، ليفي
- الاسلام في المغرب والاندلس، تحقيق: محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٥٦م)
- ٢- بلباس، ليوبولدو توريس
الابنية الاسبانية الاسلامية، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، العدد الاول، (مدريد، ١٩٥٣)
- ٣- الحجري، عبد الرحمن علي
التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، (بيروت، دار القلم، ١٩٧٦)
- ٤- سالم، عبد العزيز

- مادة العمارة في الاندلس ، دائرة معارف الشعب ،
(القاهرة ، مطابع الشعب ، ١٩٥٥)
- الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال ،
القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
(١٩٦١)
- تاريخ المسلمين في الاندلس ، (الاسكندرية ، مؤسسة
شباب الجامعة ، ١٩٦١)
- ٧- مورينو ، مانويل جوميث
الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة : لطفي عبد البديع
(الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٥٥)
- ٥- السماوي ، احمد بن عبد الرحمن
قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، (بيروت ، دار
النهضة العربية للطباعة ، ١٩٧٢)
- ٨- مؤنس ، حسين
رحلة الاندلس حديث الفردوس الموعود ، (القاهرة
، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣)
- ٦- عنان ، محمد عبدالله
٩- الهاشمي ، التهامي الراجي
الابواب بالاندلس (الرباط ، معهد الدراسات
والبحوث للتعريب ، ١٩٧٩)

النظم التعبوية للجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢٤٧هـ / ٧٤٩ - ٨٦١ م

د . شيماء يونس اسماعيل

الملخص

أولت الدولة العباسية اهتماماً كبيراً بقوتها العسكرية ، لما لها من دور في تحقيق اهداف الدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، واستناداً لذلك فقد حرصت الدولة على تعزيز قوتها ودعمها ، اذ ان ممارساتها القتالية في هذه المدة ومواجهتها لجيوش مختلفة في نظمها واساليبها التعبوية ، استلزم الكثير من الجهد لتطوير نفسها ، اذ استخدم الجيش العباسي نظم التعبئة التي عرفها العرب في العصور التي سبقت هذه المدة ولكن النظام الغالب على الحملات العسكرية في العصر العباسي هو نظام الخميس الذي يمكن تقسيم الجيش بموجبه اما على شكل كراديس ، واما على شكل صفوف بأنواعها الثلاثة (المستوي ، والهلالي ، والمعطوف) ، وتماشياً مع تطور الذي طرأ على العمليات العسكرية خلال هذه المدة من ناحية ، وزيادة اعداد الجند من ناحية اخرى دفعت العباسيين الى استخدام أكثر من نظام تعبئة في المعركة الواحدة .

**The tactical systems of the army in the first Abbasid period
132 - 247 AH / 749-861 AD**

**Dr.. Shaima Younis Ismail
Abstract**

The Abbasid State paid great attention to its military strength because of its role in achieving the State's goals both internally and externally. Accordingly, the State was keen to strengthen its strength and support. Its fighting practices in this period and confronting different armies in its systems and tactics required much effort. To develop itself. The Abbasid army used the mobilization systems that the Arabs knew in the times that preceded this period, but the dominant system of military campaigns in the Abbasid era is the system of Thursday, in which the army can be divided either in the form of Karadis or in the form of three types (Al-Mustawi, Al-Hilali and Al-Maatuf). In line with the development of the military operations during this period on the one hand, and the increase in the number of soldiers on the other hand, the Abbasids used more than one mobilization system in one battle.

المقدمة

وقد شهدت القوة العسكرية تطورات مهمة في العصر العباسي الأول، ولعل أبرزها هو اعتماد العباسيين القوة العسكرية المنظمة، أي الجيش النظامي، ولم تعد الأمة المقاتلة التي سادت في عصر الرسول (ﷺ) وخلفائه الراشدين والأمويين، سياسة عسكرية معتمدة في هذا العصر، بل أصبح الأفراد الملتحقين بالجيش جنداً متفرغين مستعدين ومتأهبين لواجباتهم، دون أن ينشغلوا بأمور أخرى، ويستلمون أرزاقهم بشكل منتظم من الدولة، وبهذا الغى العباسيون النظام القبلي في التجنيد وفي التسجيل في الديوان، مستفيدون من أخطاء هذا النظام في العصر الأموي، وبدأ التسجيل في الديوان على أساس المدن والقرى، وكان ذلك نواة للجيش النظامي، مع استمرار النظام القديم ولكن بشكل ضيق حتى ألغي نهائياً في عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م).

فضلاً عن ذلك فقد رافق هذا التطور تنويع القاعدة القومية للجيش وتوسيع قاعدته، من خلال تجنيد عناصر مختلفة، إذ ضم الجيش فضلاً عن العرب، وهم العنصر الأساس، أقواماً من الفرس والترك والروم والأرمن، وعناصر أخرى، هذا التنوع في التركيبة استلزم إحداث تطور في تنظيمات الجيش

وقيادته وصنوفه وأسلحته وتعبئته، فضلاً عن أساليب القتال، لذلك اهتم العباسيون في هذه المدة، باختيار عناصر الجيش وزيادة اعداده، واختيار قادته، وسير حملاته وتحركاته، وتسليحه بأنواع الأسلحة، فضلاً عن تهيئته وتطويره من خلال العروض التي حرص الخلفاء على إقامتها.

تناول البحث النظم التعبوية قبل واثاء القتال بدءاً من مرحلة جمع القوات حتى الشروع بالقتال متضمناً التدريب والعرض، واختيار القادة، وتقسيم الجيش وأساليب القتال، والخطط العسكرية لقد اعتمدت البحث على جملة من المصادر والمراجع منها التاريخية وكتب التراجم، وكتب الفقه، والنظم، والادب، والجغرافية، فضلاً عن الكتب العسكرية ذات العلاقة الماسة بالموضوع.

المبحث الاول : النظم التعبوية قبل القتال

اولاً : جمع القوات

يعد جمع القوات الخطوة الأولى من نظم التعبئة^(٢٩٩) وتعني حشد المقاتلة من أهل الديوان، وكذلك

(٢٩٩) التعبئة : عبأت الجيش وعبأتهم تعبئة أي رتبهم في

مواضعهم وهيأتهم للحرب . محمد بن مكرم ابن منظور:

المتطوعة لغرض القتال في معسكرات خاصة بهم ،
تضرب لهم في مكان مختار بهدف تنظيمهم واكمال
استعداداتهم وتجهيزهم تمهيداً لارسالهم إلى جبهات
القتال^(٣٠٠) والاصح ان تضرب هذه المعسكرات خارج
المدن لتجنب اختلاط الجند بالرعية أو مزاحمتهم اياهم
في معيشتهم^(٣٠١) واختيار الأرض المناسبة لتلك
المعسكرات فيجب ان تكون ((أوطأ الارض مكاناً
واكثر مرعى وماء))^(٣٠٢) وذلك لسد حاجة المقاتلين
اذا ما اضطروا الى البقاء فيها مدة طويلة ، فان عدم

اختيار الموقع المناسب لتلك المعسكرات قد يسبب
ضجر المقاتلين وتراجع معنوياتهم القتالية^(٣٠٣) وقد
اهتم قادة الجيش من الخلفاء والامراء على اختيار
المواقع المناسبة لتجميع قواتهم لغرض التهيؤ للقتال^(٣٠٤)
وفي سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) وفي أثناء محاربة محمد ذي
النفس الزكية عسكر عيسى بن موسى بقواته في
منطقة فيد^(٣٠٥) فكّتب إلى بعض وجوه اهل المدينة
فخرجوا اليه في جماعة آخرين والتحقوا بصفوفه^(٣٠٦)

(٣٠٣) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي : فتوح الشام، تحقيق

محمد بن عمر (القاهرة، ١٨٦٢) ، ١/٣-٤ .

(٣٠٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك،
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥)
، ٦/٥٣٠ .

(٣٠٥) فيد : بلدة في نصف طريق مكة من الكوفة . شهاب
الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان (بيروت

، دار احياء التراث العربي ، د.ت) ، ٤/٢٨٢ .

(٣٠٦) الطبري ، تاريخ ، ٧/٥٧٩ ؛ عز الدين أبو الحسن علي بن
أبي المكرم ابن الاثير : الكامل في التاريخ (بيروت، دار صادر
ودار بيروت، ١٩٦٥) . ، ٥/٥٤٤ ؛ حسن فاضل زعين :
سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية (بغداد ، دار
الرشيد ، ١٩٨١) ، ص ٢٨٩ .

لسان العرب ، إعداد يوسف الخياط (بيروت ، دار لسان

العرب ، ١٩٥٥) ، ١/١١٣ .

(٣٠٧) عطا سلمان جاسم : الاستنفار للجهاد والاستجابة له في
الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري،
اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد، كلية الاداب،
١٩٩٠) ، ص ٢٠٥

(٣٠٨) الحسن ابن عبد الله : آثار الأول في ترتيب الدول (القاهرة،

مطبعة بولاق ، ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) ، ص ٤٠ .

(٣٠٩) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : الاحكام السلطانية
والولايات الدينية (بيروت ، دار الكتب ، د.ت) ،
ص ٥٢ .

وتعد كل مدن الثغور معسكرات لتجميع القوات وانطلاقها لصد هجمات الدولة البيزنطية وخطارها وفي أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون اتخذ كل من علي بن عيسى بن ماهان قائد جيش الأمين ، وطاهر بن الحسين قائد جيش المأمون معسكرات لتجميع جيوشهم قبل القتال ، فقد ضرب علي بن عيسى معسكره على نهر بين على حدود بغداد الشرقية لتجميع الجند والعدد اللازم للقتال (٣٠٧) اما طاهر بن الحسين فقد عسكر عند القلوصة (٣٠٨) فكان المدد

يأتيه كل يوم من خراسان وكورها (٣٠٩) وفي أثناء محاربة محمد بن القاسم العلوي (٣١٠) سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) وعندما شعر القائد نوح بن حيان بن جبلة (٣١١) بقوة الشائر التجأ إلى إحدى المناطق القريبة من خراسان وعسكر فيها ليجمع القوات اللازمة لمواجهة الشائر فبدأت توافد اليه قوات من خراسان وغيرها حتى اجتمع لديه جيش ضخم يتناسب مع حجم الحركة (٣١٢) كذلك ضرب الخليفة المعتصم بالله

(٣١٠) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٩٧ .

(٣١١) محمد بن القاسم العلوي : هو محمد بن القاسم بن عمر بن

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب اعلن حركته في

خراسان سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) يدعو إلى الرضا من آل

محمد (ﷺ) . الاصفهاني: مقاتل الطالبين ، تحقيق احمد

صقر ، (بيروت ، دار المعرفة ، د.ت) ، ص ٥٧٧-

٥٨٠ .

(٣١١) نوح بن حيان بن جبلة: لم نعر على ترجمته .

(٣١٢) أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني : الاغانى ، شرحه

وكتب هوامشه سمير جابر (بيروت، دار الكتب،

١٩٨٦) . ، ص ٥٧٧-٥٨٠ .

(٣١٧) الطبري ، تاريخ ، ٨/٣٩١ .

(٣١٨) اختلفت المصادر بذكر هذه القرية فيشير البعض

الى انها القلوصة . ينظر ، أبو حنيفة احمد بن داود

الدينوري : الاخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر

(القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠) ، ص ٣ ،

علماً اني لم اجد لها اثر في الكتب الجغرافية ولعل قرية

قلوس التي تبعد عشرة فراسخ عن الري . ياقوت الحموي

، معجم البلدان ، ٤/٣٩٤-٣٩٥ ، هي نفسها اذا

اخذنا بنظر الاعتبار ان طاهر عسكر قريباً من الري ،

بينما يذكرها الطبري لكواص وهي قرية تبعد خمسة

فراسخ عن الري . تاريخ ، ٨/٤٠٩ .

سنة (٢٢٣هـ/٨٣٧م) معسكره في موضع العيون غربي دجلة لاستقبال المتطوعين الذين ارسلوا إلى زبطرة لحاربة الروم^(٣١٣) ومن الجدير بالذكر ان المقاتلين كانت تنصب لهم خيام يلقعونها عند الرحيل ، واحياناً تقام لهم اسواق كاملة ليتبضعوا منها حاجاتهم^(٣١٤) .

ثانيا : التدريب

يقصد به التدريب العسكري على مختلف صنوف الأسلحة^(٣١٥) وعلى الفروسية في جميع انواعها انواعها ، منها المسابقة بين الخيول ، والترامي بالسهم

^(٣١٢) الطبري ، تاريخ ، ٥٦/٩ ؛ أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها

ووضعها وضبطها يوسف اسعد داغر (بيروت ، دار

الاندلس ، ١٩٨١) ، ٤٧٢/٣ .

^(٣١٤) أبو سعيد الشعران الهرثي : مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبد الرؤوف عون (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ،

١٩٦٤) ، ص ٣٠

^(٣١٥) أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيدة : المخصص

(بيروت ، دار الفكر ، د.ت) ، ١٦/٦-١٩ .

لما في ذلك من التدريب على الحرب^(٣١٦) وتعد الممارسات اليومية التي يقوم بها العرب المسلمون جزءاً من التدريب العسكري ، ومن تلك الممارسات المشي والسعي على الاقدام والمصارعة وحمل الاثقال وكذلك السباحة التي تعطي للمقاتل قوة ومرونة تساعد على القتال^(٣١٧) اما الصيد فيبدو انه أكثر من مجرد هواية يمارسها الكثير ففيه ((تمرين العساكر على الركض والكر والعطف وتعويدهم الفروسية وادمانهم للرمي بالنشاب، والضرب بالسيف والدبوس، واعتياد القتل والسفك وتقليل المبالاة بإرابة الدماء وغضب النفوس، ومنها اختيار الخيول، ومعرفة سبقتها، وصبرها على دوام الركض))^(٣١٨) اما التدريب المعنوي فهو التدريب على الصبر والثبات أي تحمل المشاق الذي يدل في

^(٣١٦) محمد بن أبي بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية : الفروسية

(بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٧) ،

ص ١٤ .

^(٣١٧) المصدر نفسه، ص ١٤ .

^(٣١٨) احمد امين : فيض الخاطر وهو مجموعة مقالات ادبية

واجتماعية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦)،

١٥٠/٨ .

الوقت ذاته على الشجاعة والقدرة على مجابهة الاحداث مهما تفاقت^(٣١٩).

لقد اهتم العرب قبل الإسلام بالتدريب على السلاح والفروسية، فكان اللعب بالسهم والرمح جزءاً من حياتهم اليومية، كي يكونوا على استعداد دائم للدفاع عن انفسهم وقبائلهم^(٣٢٠) وبعد ظهور الجيش النظامي في العصر العباسي الاول كان التدريب العسكري يجري على اعلى المستويات في ساحات وميادين خاصة، مفعمة بالحركة والحيوية بعروضها العسكرية تجذب المتطلع اليها بمنظر شيق، وممتع في تدريب الفرسان، واللعب على ظهور الخيل وكانت تجري مسابقات بين الخيول حتى كانت الدولة تتكلف بانفاق مبالغ من بيت المال لتغطية نفقات هذا السباق^(٣٢١) هذا في اوقات السلم اما في اوقات التهيؤ للمعارك فان الوحدات العسكرية تقوم بتدريباتها يومياً

في معسكراتها خارج بغداد^(٣٢٢) وخاصة في الرقة والشماسية^(٣٢٣) وكان التدريب في العصر العباسي الأول يشمل ترتيب فردي ويتضمن التدريب على انواع الأسلحة، فكان لكل سلاح طريقة خاصة للتدريب وكذلك التدريب على كل انواع الفروسية مثل الرمي وركوب الخيل ((اذ كان الامراء والجند، يأخذون بكمال الاستعداد لمباشرة الجهاد ، وباتخاذ السلاح الجيد، والخيل الجياد، والتدريب على رياضة الخيل والابدان))^(٣٢٤) كما يشمل تدريب الفرسان على ركوب الخيل، والكر والفر بها، والرمي بالقوس، والمطاعنة بالرمح، والمداورة بالسيوف، فضلاً عن

(٣٢٢) ندى موسى عباس : جيش العراق في اواخر العصر العباسي (٥١٢-٦٥٦هـ/١١١٨-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل، كلية الاداب، ١٩٩١)، ص ١٢

(٣٢٣) خالد جاسم الجنابي : الجيش والشرطة، موسوعة حضارة العراق (بغداد، دار الحرية، ١٩٨٤)، ٦/٢٤٥ .

(٣٢٤) بدر الدين محمد بن ابي اسحق ابراهيم بن جماعة الحموي: مستند الاجناد في آلات الجهاد ومختصر في فضل الجهاد، تحقيق وشرح اسامة ناصر النقشبندى، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)، ص ١١٥.

(٣٢١) حازم عبد القهار الراوي : الصبر والاقدام عند العرب،

(بغداد، مطبعة الراية، ١٩٨٧)، ص ٣٩.

(٣٢٠) جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١٨٠.

(٣٢١) تقي الدين أبو العباس احمد ابن تيمية : السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، نشرها قصي محمد الدين الخطيب (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٧هـ) ، ص ١١٥.

للخروج للقتال^(٣٢٨) والغرض من هذا العرض هو فحص كفاية المقاتلين، واخراج ما لا يصلح منهم^(٣٢٩) ويشمل ابعاد الضعفاء بديناً وصغار السن مما لا يطيقون القتال^(٣٣٠) والتعرف على احوال الجند وميزات كل واحد منهم، ليتمكن وضع كل واحد منهم في المكان المناسب^(٣٣١) كذلك تفقد حلة المقاتلين وهندامهم وتجهيزاتهم العسكرية منها الأسلحة واخراج ما لا يصلح منها أو اصلاح المعيب منها^(٣٣٢) فضلاً عن تفقد الدواب والخيول فيخرج الضعيف منها أو كبير السن ومن الجدير بالذكر ان الجندي كان يتعرض إلى التوبيخ

العاب الكرة والصولجان^(٣٣٥) ومن الجدير بالذكر ان الفرسان كانوا يتدربون على الرمي من فوق ظهور الخيل وذلك من خلال الوقوف على فرس يصنع من طين أو دابة ساكنة ويرمي من فوقها^(٣٣٦) اما التدريب الجماعي كان يجري بين المقاتلين فكانوا يدربون على التقدم والانسحاب، الحراسة، والكر والفر، والقتال^(٣٣٧)

ثالثاً : عرض القوات

وهو عرض الجند بملابسهم وعدتهم العسكرية الكاملة، والتهيؤ للحرب، والاستعداد

^(٣٣٥) محمد ابن المنكلي : الادلة الرسمية في التعابي الحربية ،، تحقيق محمود شيت خطاب (بغداد ، مطبعة الجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨) ص ٢٢.

^(٣٣٦) علي بن قاسم السعدي الحلبي : الايفادة لأهل السعادة في علم رمي النشاب، جامعة جستريني (٢/٣١٥٨) مصورة مكروفيلم في المكتبة المركزية، جامعة الموصل، تحت رقم (١٥٤)، ص ٨.

^(٣٣٧) نعمان ثابت : الجندية في الدولة العباسية ، اشرفت على الطبعة تناصر نعمان ثابت (بغداد ، مطبعة حسن باشا ، ١٩٥٦) ، ص ٨١.

^(٣٣٨) ابن منظور، لسان العرب، ١٦٧/٧.

^(٣٣٩) ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص ١٦٤.

^(٣٣٠) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: المغازي (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٦٢) ، ٢١٦/١ ،

^(٣٣١) الهرثي، مختصر سياسة الحروب، ص ٢٩-٣٠: ابن

منكلي، الادلة الرسمية، ص ١٦٤.

^(٣٣٢) المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.

أو العقوبة في حال ظهور نقص في تجهيزاته العسكرية أو عدم صلاحيتها للاستعمال^(٣٣٣).

فقد كان اول عرض للجند في العصر العباسي الاول عند اعلان الثورة العباسية، اذ امر ابو مسلم الخراساني بعرض الجند باسمائهم ، وان يثبت ذلك في دفتر خاص، ومن ثم منحهم ارزاقهم كما امر قحطبة بن شبيب بعرض الجند واحصاء اعدادهم على وفق نواحيهم التي اتوا منها^(٣٣٤) واستمر هذا العرض بعد قيام الخلافة العباسية ، فقد امر الخليفة ابو العباس، ابا مسلم بعرض الجند واسقاط من لم يكن من اهل خراسان منهم^(٣٣٥) كما شهد هذا العصر عروضاً عسكرية منظمة وكان يحضرها الخلفاء وقوادهم، الغرض منها الاطلاع عن قرب عما وصله الجيش من مستوى في التدريب، فقد استعرض

(٣٣٣) المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣٣٤) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري : الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (القاهرة ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٣٨) ، ص ٩٤.

(٣٣٥) رشاد، نوري: " ادارة المؤسسة العسكرية العباسية

(١٣٢-٣٢٤هـ/٧٤٩-٩٣٥م) ، مجلة الجمع العلمي، مجلد

(٤٧)، (بغداد، ٢٠٠٠)، ١٤٦/٢.

المنصور جيشه سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م)^(٣٣٦) ومن اجل مواكب العرض العسكري تلك التي اشتهر فيها الخليفة هارون الرشيد، إذ لبس الخليفة لامة حربه وخرج كأنه سائر نحو الجهاد ومعه عظماء دولته، وكلهم على شاكلته في ثيابهم الحربية واسلحتهم المحلاة بالذهب والجواهر^(٣٣٧) ولهـذا الغرض انشأ المأمون للعراض ديواناً خاصاً بهم سمي ديـوان العرض كما بنى المأمون منظرة الحلبة^(٣٣٨) وقد جعلت

(٣٣٦) الطبري، تاريخ، ٣٠١/٦.

(٣٣٧) عبد الجبار الجومرد : هارون الرشيد حقائق في عهده

وخلافته (بيروت ، شركة المطبوعات ، ١٩٩٩) ،

ص ٢٥٧.

(٣٣٨) منظرة الحلبة: موضع مشرف ينظر منه وهي منظرة

محكمة البنيان في وسط السوق في آخر محلة المأمونية

ببغداد وقرب الحلبة، كان اول من بناها المأمون في ايامه

تشرف على البرية، ثم جعلت فيما بعد مكان يجلس فيها

الخليفة يستعرض الجيوش في ايام الاعياد . ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ٢١٢/٥.

ليجلس فيها الخلفاء ليستعرضوا الجيش في الاعياد^(٣٣٩)
وكان العباسيون يستعرضون فرقهم العسكرية حينما
يخرجون إلى القتال أو يعودون منه، اذ اتخذوا باب
الشماسية ميداناً لعرض جندهم، اذ أصبحت
معسكراً ومكاناً لتجميع الجند يخرجون منه إلى
حروبهم ويعودون منها اليه، ثم يدخلون بغداد^(٣٤٠).

رابعا : اختيار القادة

لقد اهتمت الدولة العربية الإسلامية منذ
نشأتها باختيار القادة الذين يناط بهم مسؤولية ادارة
العمليات العسكرية سواء لحماية امن وحدود الدولة
وتوسيع رقعتها الخارجية عن طريق نشر مباديء
الإسلام، أو القضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية^(٣٤١).

(٣٣٩) المصدر نفسه والصفحة.

(٣٤٠) المسعودي، مروج الذهب، ١٦٦/٤؛ ابن الجوزي: المنتظم
في تاريخ الملوك والامم، (حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة
العثمانية، ١٣٥٧هـ)، ١٣٦/٥.

(٣٤١) عبد الواحد ذنون طه: " القادة العرب المسلمون، قادة

العصر الأموي " ، موسوعة الجيش والسلاح، (بغداد، دار

الحرية، ١٩٨٨)، ٣١١/٤.

ففي العصر العباسي الاول، فلم تختلف
اسس اختيار القادة في العصر العباسي الاول عن
العصور التي سبقتها، اذ اشار الهرثي^(٣٤٢) من خلال
حديثه عن صفات القائد بقوله : ((أفضل الرؤساء في
الحرب ايمنهم تقيبة، وأكملهم عقلاً، وأطولهم تجربة،
وأبعدهم صوتاً، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواقعها،
ومواقع الفرص والحيل والمكايدة، وأحسنهم تعبئة
لأصحابه في أحوال التعبئة وتسييرهم اوان المسير،
وانزلهم اوان النزول ، وادخال الامن عليهم والخوف
على عدوهم... وان يكون حسن السيرة عفيفاً
صارماً حذراً متيقظاً شجاعاً سخياً)). فضلاً عما
سبق فعلى ما يبدو ان اختيار القادة كان يعتمد على
اسس أخرى يفرضها واقع الحال، فقد حرص الخليفة
ابو جعفر المنصور على اختيار الرجل المناسب لمحاربة
عبد الله بن علي، وبعد دراسته للموقف من جميع
جوانبه وقع اختياره على ابي مسلم الخراساني، وعلى
الرغم من ان المنصور اراد ان يبعده عن مركز نفوذه في
خراسان، ولكن اذا رجعنا إلى السبب العسكري في

(٣٤٢) مختصر سياسة الحروب، ص ١٥؛ محمود شيت خطاب:

الفاروق القائد (قادة الفتح الإسلامي)، (د. م. دار الفكر،

١٩٧١)، ص ٧٠.

وما جاورها ^(٣٤٦) كذلك حرص على تعيين قواد لهم خبرة وممارسة في الحروب والقتال ، فان اختيار الافشين للقضاء على الحركة الخرمية ، ليس لمكاته عند الخليفة كونه من المقربين اليه ، بل لخبرته العسكرية فقد ابلى بلاء حسناً في القضاء على حركات الثوار في افريقيا ومصر زمن الخليفة المأمون ^(٣٤٧) .

ولم يكنف العرب المسلمون بالتحري والتحقيق في اختيار القادة ، بل كانوا يلاحقونهم بتعليماتهم ونصائحهم ووصاياهم التي تدل على تأصل قيم العروبة والعقيدة الإسلامية في نفوسهم ^(٣٤٨) تختلف صيغة التوجيه في الوصية على وفق ما يقتضيه الموقف الحربي باشكاله التعبوية كافة من حيث نوعية التعامل مع المقاتلين ، واطعامهم ، وعدة الحرب وطبيعة الارض

هذا الاختيار يعود إلى وجود عدد كبير من الخراسانيين في جيش عبد الله فارسال أبي مسلم سيضمن على الاقل عدم اخلاص هؤلاء لابن علي، ان لم ينحز اغلبهم إلى الجيش العباسي وهذا ما حدث بالفعل ^(٣٤٣) وعلى ما يبدو ان ترشيح علي بن عيسى بن ماهان لقيادة جيوش الأمين المتوجهة لقتال الطاهر ، لم يكن اختياراً موفقاً ، فان اختيار الخليفة الأمين له كان معتمداً على شجاعته وخبرته في الحرب متناسياً سوء سيرته في خراسان واجماع اهلها على كرهه ومحاربه ^(٣٤٤) كما عين الخليفة المعتصم بالله ، عبد الله بن السيد بن انس الازدي قائداً لمحاربة الخارجي جعفر بن مرخوش الكردي ^(٣٤٥) الذي اعلن حركته بالموصل ، والغرض من هذا التعيين الاستفادة من الامكانيات الذاتية له بصفته رئيساً للآزد في الموصل

^(٣٤٦) أبو زكريا يزيد بن ياس بن قاسم الازدي : تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيب (القاهرة، دار احياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧)، ص ٤٣٠-٤٣١.

^(٣٤٧) الطبري ، تاريخ ، ٦٢٥/٨ ؛ الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢١٦ .

^(٣٤٨) عبد الواحد ذنون طه : القادة العرب المسلمين (قادة العصر الاموي) ، موسوعة الجيش والسلاح (بغداد، دار الحرية، ١٩٨٨)، ٣١٤/٤ .

^(٣٤٣) احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي: تاريخ

(بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٠) ،

١٠٥/٢ .

^(٣٤٤) الطبري ، تاريخ ، ٣٩٨/٨-٣٩٩ .

^(٣٤٥) جعفر بن مرخوش الكردي : لم نعر على ترجمته .

وصيغة التعامل مع العدو ومن ثم الحالة التي ينبغي ان يكون عليها القائد (٣٤٩)

على جريح ولا تذبجوا فيها طائراً ، وان طلب محمد الامان فاعطوه اياه)) (٣٥١) .

كانت وصايا الخلفاء العباسيين لقوادهم تدل دلالة واضحة على اخلاق عالية للقادة العسكريين العرب (٣٥٠) فقد أوصى الخليفة أبو جعفر المنصور قائده عيسى بن موسى الذي وجه إلى المدينة للقاء محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية ((يا أبا موسى أنك تسير إلى حرم الله ، واهله ثلاث طبقات: طبقة قریش وهم قرابة رسول الله ﷺ) وقومه ببضتي التي تغلقت عني ، وطبقة المهاجرين والانصار ، وطبقة تجار جاوروا قبر النبي ﷺ) ، وأقاموا في حرمه فاذا قتل محمد فارفع السيف ولا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا

وقدم الأمين وصيته إلى علي بن عيسى عندما وجه إلى محاربة المأمون جاء فيها ((امنح جندك من العبث بالرعية والغارة على اهل القوى وقطع الشجر وانتهاك النساء ... ومن خرج اليك من جند اهل خراسان ووجوهها فاطهر إكرامه واحسن جائزته ، ولا تعاقب اخا بأخيه ... ولا تؤمن احدا رماك بسهم ، أو طعن في اصحابك برمح)) (٣٥٢) كما ان أم الأمين (زبيدة) اوصته بحسن معاملة المأمون وعدم الاساءة اليه بأي شكل ودفعت اليه قيداً من فضة لتقيده به اذا ما وقع في اسره (٣٥٣) .

تشير هذه الوصايا بالطبع إلى الخلق العربي الاصيل الذي تخلق به الأمين واهله في التعامل مع خصومهم وعندما وجه الأمين الحملة الثالثة بقيادة القائد احمد بن مزيد اوصاه الخليفة وصايا تدل على

(٣٤٩) جمانة محمد نايف الدليمي : وصايا الحرب في الادب

الإسلامي حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (دراسة

تحليلية) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة

الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٢) ، ص ٦٨ .

(٣٥٠) احمد امين : فيض الخاطر وهو مجموعة مقالات ادبية

واجتماعية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦) ،

١٤٥/١٠ .

(٣٥١) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري : فتوح البلدان، تحقيق

رضوان محمد رضوان (بيروت، دار الكتب العلمية ،

١٩٧٨) ، ٣/٣٢٦-٣٢٧ .

(٣٥٢) الطبري ، تاريخ ، ٤٠٦/٨-٤٠٧ .

(٣٥٣) المصدر نفسه ، ٤٠٥/٨-٤٠٦ .

شهامته وحسن خلقه ، منها ((اياك والبغي ... ولا تشهر سيفاً الا بعد اعدار ... واحسن صحابه من معك من الجند ... ولا تخاطر بنفسك)) (٣٥٤) .

المبحث الثاني : النظم التعبوية اثناء القتال

اولا : تقسيم الجيش

يقصد بتقسيم الجيش أي تعبئته على وفق نظم التعبئة المعروفة عند العرب حسب ما تقتضيه ظروف الزمان والمكان وعدد افراد الجيش ، اذ لا يمكن مسير الجيش أو نزوله الا على تعبئة وذلك لتأمين راحة الجند وحمايتهم من الاخطار المتوقعة ، ومن مباغته العدو (٣٥٥) كما يتمكن القائد من تحقيق مبدأ السيطرة على المقاتلين وسهولة الاتصال بهم ومراقبتهم وتوجيههم ومن الجدير بالذكر ان تقسيم الجيش على أي نظام تعبئة قبل مسيره قد يستمر على النظام نفسه في اثناء القتال ، أو يتغير حسب ظروف المعركة .

(٣٥٤) المصدر نفسه ، ٨/٤٢١-٤٢٢ .

(٣٥٥) عمر بن ابراهيم الاوسي الانصاري : تفريج الكروب في

تدبير الحروب، تحقيق جورج سكانيوب (القاهرة ،

منشورات الجامعة الامريكية، ١٩٦١)، ص ٦٤ .

ففي العصر العباسي الأول فان النظام الأكثر شيوعاً خلال تلك المدة سواء في اثناء العرض أو المسير أو القتال هو نظام الخميس (٣٥٦) إذ بموجبه ينقسم الجيش خمسة اقسام القلب، يضم القسم الأكبر من القطعات ومكانه في الوسط وفيه مقر (القائد العام للجيش)، والميمنة موقعها إلى اليمين من القلب، وواجبها حماية الجناح الايمن، والميسرة إلى اليسار من القلب، وهي تحمي الجناح الايسر من القطعات، أما المقدمة فتكون امام القلب من الجيش وتكلف بصد هجمات العدو من الامام وكذلك استطلاع الارض بواسطة قوة الطلائع التي تتقدم الجيش وتعرف الطريق وترتاد المواضع وتحدد اماكن القوات المعادية في حال

(٣٥٦) استخدم نظام الخميس منذ عام (١٤هـ/٦٣٤م) ، أي منذ

انطلاق الجيوش العربية إلى معارك التحرير . الطبري،

تاريخ، ٣/٤٩٠ .

وجودها^(٣٥٧) كذلك الساقة موقعها خلف الجيش تضم
قوات الحماية مع وحدات الشؤون الإدارية^(٣٥٨) .
المصادر^(٣٦١) التي يمكن اجمالها بما يأتي :

ان اختيار هذا النظام والتركيز عليه دون
النظم الأخرى يعود إلى المميزات التي يتمتع بها، إذ
يضمن هذا النظام حماية وامن القوات من جميع الجهات
كما انه أكثر حماية للجيش في أثناء المسير^(٣٥٩) وهو
النظام الاصلح لاجراء المناورة واكمل للثبات^(٣٦٠) كما
يوفر عامل السيطرة على القوات ، إذ كان على كل
قسم من الاقسام المذكورة سابقاً شخص يتولى قيادته
حسب رتبته العسكرية فقد كان التسلسل القيادي

^(٣٥٧) الأنصاري، تفريج الكروب، ص ٥٦-٥٧؛ الدينبوري،

الاخبار الطوال، ص ١٦٦؛ خالد جاسم الجنابي :

تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي

(بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٦) ص ١٧٦ .

^(٣٥٨) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ٣٠ .

^(٣٦١) الطبري، تاريخ، ٤٨٩/٣؛ الجنابي، تنظيمات الجيش

^(٣٥٩) الأنصاري، تفريج الكروب، ص ٦٤ .

العربي الإسلامي، ص ٢٢٢ .

^(٣٦٠) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ٣٥-٣٦ .

الرتبة	عدد الجند
أمير الجيش	عشرة آلاف جندي فأكثر
أمير التعبئة	خمسة آلاف جندي (اليمينه والميسرة)
أمير الكردوس	ألف جندي
الخليفة	مئة جندي
القائد (وهو للسرية)	خمسون جندي
العرف	عشرة جنود

للعيارين أيام الخليفة الأمين الذي نستطيع ان نفترض انه

هو نفسه التنظيم في القوى العسكرية العباسية الذي

سكت المصادر عنه، ويمكن إجماله بما يأتي:

وعلى ما يبدو ان هذا التسلسل القيادي كان ساري

العمل به خلال العصرين الراشدي والأموي ، اما في

العصر العباسي الاول، فيشير المسعودي^(٣٦٢) إلى

الرتب العسكرية عند حديثه عن التنظيم العسكري

(^{٣٦٢}) مروج الذهب، ٤٠٣/٣؛ ابراهيم الساكت: " الجيش في

التراث العربي الإسلامي"، مجلة المؤرخ العربي،

العدد(٢٣)، (بغداد، ١٩٨٣)، ص١٨٧.

الرتبة	عدد الجند
الأمير	تحت قيادته عشرة قادة وعدد جنده عشرة آلاف جندي
القائد	تحت قيادته عشرة نقباء وعدد جنده ألف جندي
النقيب	تحت قيادته عشرة عرفاء وعدد جنده مئة جندي
العريف	تحت قيادته عشرة جنود

برمك، وعلى ميسرته اسيد بن عبد الله الخزاعي^(٣٦٤) والحسن بن قحطبة، والمسبب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن وصار هو في القلب^(٣٦٥) كما قسم طاهر بن الحسين جيشه على نظام الخميس في أثناء المسير لمحاربة جيش الأمين كذلك الحال بالنسبة للخليفة المعتصم بالله فعندما سار إلى عمورية، جعل على مقدمته قائده اشناس ویتلو محمد بن ابراهيم، وعلى ميمنة الجيش ايتاخ، وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط، وفي القلب جعل عليه عجيف بن عنبة^(٣٦٦) ويتكون نظام الخميس على هيئة صفوف

وعلى الرغم من ان العيارين لم يكونوا ضمن الجيش النظامي، ولكن لا بد انهم تأثروا بالتنظيمات العسكرية خلال تلك المدة، لذا يمكن القول ان هذا التسلسل القيادي الذي ظهر عند العيارين لا بد ان يشبه على الاقل الرتب العسكرية في الجيش النظامي. واستناداً لما سبق فان اغلب العمليات العسكرية للجيش العباسي كانت تعتمد على نظام الخميس سواء في أثناء المسير أو القتال، فعندما تقدم جيش الثورة العباسية بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي نحو العراق كان جيشه يسير على تعبئة فعلى الميمنة مقاتل بن حكيم العكي^(٣٦٣) وأبو عون بن عبد الملك، وخالد بن

^(٣٦٤) اسيد بن عبد الله الخزاعي: لم نعر على ترجمته.

^(٣٦٥) الطبري، تاريخ، ٤١٢/٧.

^(٣٦٦) الازدي، تاريخ الموصل، ص ٤٢٦-٤٢٧.

^(٣٦٣) مقاتل بن حكيم العكي: لم نعر على ترجمته.

الخليفة المعتصم بالله جيشه الموجه نحو عمورية إلى ثلاث فرق، وجعل بين كل فرقة وأخرى فرسخين فكان اشناس في المقدمة والخليفة في القلب والافشين في المؤخرة وامر لكل فرقة ان يكون لها ميمنة وميسرة^(٣٦٩).

ثانيا : تقدم الجيش

يشمل تقدم الجيش مجموعة من الخطوات يمكن اجمالها بما يأتي :

أ- على القائد عند تهيئة الحملات العسكرية التمسك بالحذر وكتمان امر هذه الحملات لتفوت على العدو فرصة التهيؤ^(٣٧٠).

ب- يفضل في وقت تقدم الجيش الليل على النهار استناداً إلى قول الرسول (ﷺ) : ((عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل)) وذلك لان في

منها الصف المستوي وهو ان يكون القلب والميمنة والميسرة على استقامة واحدة، اما الصف الهلالي فيكون القلب متأخراً قليلاً والجناحان متقدمان عنه وفي هذه الحال يجعل مع كل من الميمنة والميسرة كردوساً من الخيل المقوية، اما الصف المعطوف، وهو داخل الجناحين خارج الصدر، ولا يكون ذلك الا عند الضرورة ، وفي هذه الحال يتم تقوية القلب بكردوسين من الخيل عن يمين القلب ويساره^(٣٦٧) كما يمكن تعبئة الجيش في نظام الخميس على هيئة كراديس، وقد استخدم العباسيون نظام التعبئة الذي يناسب المعركة وظروفها، وربما استخدموا في المعركة الواحدة أكثر من تعبئة، فقد قسم ابو مسلم الخراساني جيشه الموجه لمحاربة عبد الله بن علي سنة (١٣٧هـ/ ٧٥٤ م) على هيئة كراديس^(٣٦٨) وعلى الرغم اعتماد العباسيين على نظام الخميس في اغلب معاركهم لكن هذا لا ينفي استخدام نظم التعبوية الأخرى التي عرفها العرب المسلمون، فقد استخدم ابراهيم بن عبد الله نظام الصفوف في أثناء مواجهة الجيش العباسي في الكوفة وفي الحرب بين الأمين والمأمون استخدم الأمين نظام التعبئة بالصفوف وتماشياً مع ظروف المعركة قسم

^(٣٦٧) الهرثي، مختصر سياسة الحروب، ص ٣٤-٣٥

^(٣٦٩) المصدر نفسه، ٦٣/٩

^(٣٦٨) الطبري، تاريخ، ٧/٤٧٧-٤٧٨.

^(٣٧٠) الانصاري، تفريج الكروب، ص ٩.

د- ومن الأساليب التعبوية في أثناء مسير الجيوش للقتال انهم كانوا يغيرون مواضع اقسام الجيش تبعاً لمصدر الخطر المتوقع في أثناء المسير فاذا كان مصدر الخطر من الأمام يضعون نصف الميسرة، امام الصفوف ونصف الميمنة بالاثر، ثم القلب ثم نصف الميسرة بالاثر ثم الميمنة بعدها، واذا كان الخوف في المسير، مما يلي الميمنة فلتسر الميمنة امام الصفوف ثم القلب ثم الميسرة واذا كان الخوف في المسير مما يلي الميسرة فلتسر الميسرة امام الصفوف ثم القلب ثم الميمنة^(٣٧٤).

هـ- وتوفير الحماية الضرورية للقطعات في أثناء سيرها كان القواد يحرضون على ارسال مجموعة من المقدمة تسمى الطليعة لكي تستكشف الطريق والتحقق من عدم وجود كمائن أو ارساد للعدو والاستعانة ببعض الرجال من الفعلة لاصلاح الطرق وقطع الاشجار واقامة الجسور والمعابر وتسهيل الطريق لسير القطعات^(٣٧٥) وعلى القائد ان يتخذ الاجراءات نفسها اذا اضطر الوقوف للراحة اذا كانت

الليل يخفى الجيش عن جواسيس العدو، كذلك يقي المقاتلين في أثناء المسير من وهج الحر^(٣٧١).
ج- مراعاة طاقة الضعفاء في في أثناء المسير، ولما كان الجند يختلفون من حيث القابلية على السير والتحمل كان القواد ينظرون إلى اضعف الجند سيراً فيسيرون بسيره لتأمين راحتهم وليكون في مقدورهم الاستعداد للقتال عند الضرورة^(٣٧٢) وكانوا يؤكدون على عدم حمل الاثقال في أثناء المسير حتى لا يعيق حركة الجيش لذلك كانوا يفضلون السير في الصيف دون الشتاء، حتى لا يضطروا إلى حمل الفرش التي تسبب عبئاً على الجند^(٣٧٣).

^(٣٧١) ابن عبد الحكم: فتوح افريقيا والاندلس، تحقيق عبد الله انيس الصباغ، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤)، ص ٨١.

^(٣٧٢) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ٤٣؛ ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص ١٦٤.

^(٣٧٣) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ٢٩؛ الانصاري، تفريج الكروب، ص ٥٦.

^(٣٧٤) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ٣٠.

^(٣٧٥) الانصاري، تفريج الكروب، ص ٥٦.

المسافة بعيدة^(٣٧٦) أو للحصول على الامدادات العسكرية^(٣٧٧) فيجب ان يكون العسكر في موضع فيه مزايا وصفات لا بد منها، كتوفير الناحية الامنية، وذلك بوجود مناطق مرتفعة، أو انهار كي تسند ظهر العسكر فيأمن بها كمائن العدو أو هجومه المباغت، فاذا ما اتوها إلى الموضع فيقف الفرسان على ظهور خيولهم خارج المعسكر حتى توضع الاثقال ثم يقسمون المعسكر إلى مواقع لكل صنف موقعه الذي لا يتجاوز له ليكون من السهل التعرف عليه والاهتداء اليه ويوزعون الرجالة اصحاب الرماح الطويلة على حدود المعسكر على هيئة ابراج كل برج يحوي سبعة رجال ويحفرون الخنادق حول المعسكر في المواضع الخطرة ثم يشنون الطلائع نهارة في الطرق والمواضع المهمة وقيمون الربايا على مشارف المعسكر^(٣٧٨) اذ كان سبب فشل

علي بن عيسى في حربه ضد طاهر بن الحسين انه رفض ان يث العيون والجواسيس والطلائع، ويتخذ له معسكراً يقيم فيه ويخندق على جيشه معتقداً ان طاهراً ليس هو الذي يستعد له بهذه الطريقة^(٣٧٩). اما في الليل فتتخذ تعبئة خاصة واحتياطات لا بد منها خوفاً من الهجوم الليلي (البيات)، فيوضع الحراس حول المعسكر، وتوضع الجند في أربع مجموعات، مجموعة مع الرجالة في المعسكر على الطريق ومجموعة من النشابة في اعلى ابواب المعسكر خلف الحسك، ويخرج القلب والميمنة والميسرة من المعسكر، فيكونون بمكان خفي، وتوقد النيران في جميع انحاء المعسكر وعندما يشعر الكمين بالبيات يتصدون لهم ثم يتهياً لهم من بالمعسكر وينجدهم الفرسان^(٣٨٠) ففي عهد الخليفة المعتصم بالله جعل القائد الافشين الجيش نواب، البعض معسكرون والبعض على ظهور الخيل ليكونوا على استعداد تام

(٣٧٦) الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي، ص ١٧٩.

(٣٧٧) الطبري، تاريخ، ٥٧٩/٧، ٣٩٢/٨.

(٣٧٨) الهرثي، مختصر سياسة الحروب، ص ٣١-٣٢؛ الجنابي،

تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني، (بغداد، دار

الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩) ص ٧٣.

(٣٧٩) الطبري، تاريخ، ٤٠٨/٨؛ المسعودي، مروج، ٣٩٠/٣.

(٣٨٠) الهرثي، مختصر سياسة الحروب، ص ٥٢.

مخافة البيات^(٣٨١) كما ان الانسحاب من المعسكر يجب ان يكون بطريقة نظامية فكانوا يسارعون إلى تهيئة قوة كافية على جانبي المعسكر لرد أي هجوم مفاجيء من قبل العدو الذي يحاول استغلال انشغال الجند بتقويض المعسكر^(٣٨٢).

و- الخطوة التالية الوصول إلى ساحة المعركة، إذ تتم التعبئة للقتال، إذ يتم صفهم وترتيبهم وتعبئتهم للقتال، بعد جمع المعلومات الدقيقة عن العدو واستعداداته ودراسة ارض المعركة، واختيار الموقع المناسب للقتال، إذ يكون ظهر الجيش في مأمن من العدو والكمائن، وتأخذ الصفوف اماكنها من ارض المعركة على شكل جبهة عريضة مكونة من القلب والاجنحة، بمواجهة قلب واجنحة العدو وبشكل صفوف متراسة تتخللها فرجات لمرور الفرسان، واهل المبارزة في الميمنة والقلب، وفرجة مؤخرة القلب فيها

مواضع الصلاة^(٣٨٣) كما ينبغي على قائد الجند ان يسير العمليات العسكرية ويشرف عليها من خلال تركزه في قلب العسكر على مكان مرتفع ذي أرضية صلبة غير ذات غبار تمنع الرؤيا^(٣٨٤) فقد عمل ابو مسلم الخراساني عريشاً اشبه (بغرفة القيادة العامة) ، في أثناء حربه مع عبد الله بن علي ، فكان من خلال عريشه هذا ينظر إلى سير الحرب ويصدر توجيهاته وأوامره العسكرية لقادته ((فان رأى خلافاً في الميمنة أو في الميسرة ارسل إلى صاحبها : ان في ناحيتك انتشاراً فاتق الا تؤتي من قبلك ، فافعل كذا ، قدم خيلك كذا ، أو تأخر كذا إلى موضع كذا ، فانما رسله تختلف اليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض))^(٣٨٥).

^(٣٨٣) الهرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ص٤٤ ؛ الجنابي ،

تنظيمات الجيش العربي الإسلامي ، ص١٨٤ .

^(٣٨٤) الهرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ص٣٣ ؛ الانصاري ،

نفريج الكروب ، ص٦٩ .

^(٣٨٥) الطبري ، تاريخ ، ٤٧٨/٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ،

٤٦٧/٥ .

^(٣٨١) الطبري ، تاريخ ، ٦٤/٩ ؛ مجموعة مؤلفين: الموسوعة

العسكرية، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

١٩٧٧)، ١٧٤/١

^(٣٨٢) الجنابي ، الجيش والشرطة، ٢٧٥/٦ .

المبارز فمنتاه على ثلثي ما بين اصحابه وعدوه
(٣٨٦) .

ثالثاً : الخطط العسكرية

هي مرحلة الشروع بالقتال ووضع الخطط العسكرية لمواجهة الاعداء ، وتعد الخطة العسكرية جزءاً من الحيل الحربية ، فمنها ما يحسم الموقف بلا قتال ومنها ما يلجأ إليها القادة في أثناء المعركة وحسب ما يتطلبه الموقف .

استخدم العرب المسلمون كثيراً من الحيل الحربية، كان لها اثر واضح في انتهاء المعركة أو حسمها لاحد الطرفين ، سواء كان ذلك في عصر صدر الإسلام^(٣٨٧) أم العصر الأموي^(٣٨٨) وكذلك الحال في العصر العباسي الأول ففي أثناء حرب أبو مسلم الخراساني لعبد الله بن علي استخدم احدى الحيل الحربية متظاهراً بأنه مرتحل إلى الشام وكتب إلى عبد الله

((اني لم أوامر بقتالك ولم أوجه له ، ولكن أمير المؤمنين

(٣٨٦) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(٣٨٧) الواقدي : المغازي (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٦٢) ،

٢/٤٨٦-٤٨٧ .

(٣٨٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

ي-يفضل تأخير اللقاء إلى آخر النهار وأول من يتقدم اهل التجارب والمراس ((فانهم يلقون بجذ وصبر ومعرفة ، وهم قبل اللقاء أشد هيبه)) ثم يتقدم الشابون يرشقون النبل في وجوه الاعداء وتبدأ المناورة من قبل الخيل من الميمنة والميسرة اما التحرك للهجوم فيبدأ من الميمنة اذ تحمل الخيل على ميسرة العدو ، وتحرك اطراف القلب ، فيما يبقى القلب إلى ان يتأخر العدو فتتبعه أو تدفعه اذا اقبل وتبقى الميسرة تحارب في مكانها ، اما المبارزة فتكون من أصحاب الميمنة أو القلب اما اذا تراجع الجيش فيكون انحرافاً وانحيازاً وازوراراً أي وجوههم قد تحرف ولكن صدورهم تبقى إلى الامام ، واذا تحرك القلب واراد الرجوع إلى موقعه ((فليعطف متياسراً إلى الميسرة أو إلى ما بين جناح القلب والميسرة)) ، ((ومن حمل من الميمنة فاتهر من عدوه، فليعطف متياسراً قبل القلب ، أو إلى ما بين جناح القلب والميمنة)) ، ((ومن حمل من الميسرة فاتتهز ، فانما عطفه متياسراً إلى الفضاء)) واذا حمل الفارس فمنتاه على ثلث المسافة فيما بين أصحابه وعدوه ، لئلا يجهد فرسه ، أما اذا حمل

ولاني الشام وانما أريدها ((^(٣٨٩) هدف ابو مسلم بذلك
تذويب الحماس في صفوف جيش عبد الله ، وإيهام
جند الشام ، بانه توجه لبلادهم وسيعرض املكهم
للسلب وعوائلهم للقتل والاسر ، وفعلاً أتت خطة ابي
مسلم تأثيرها في نفوسهم فانسحب الشاميون من
جيش عبد الله راجعين إلى بلادهم وفي سنة
(١٤١هـ/٦١٦م) اقترح مرزوق ابو الخطيب ^(٣٩٠) من
القادة العسكريين ان يضربوه ويحلقوا رأسه ولحيته
والحق بالاصبيذ أمير طبرستان وتظاهر له انه هرب
من قومه لانهم فعلوا به هكذا ، فوثق به وقربه وجعله
احد المسؤولين في فتح باب المدينة واغلاقه، وقد
استغل ذلك وراسل القادة العباسيين وحدد معهم
موعداً تم فيه فتح باب المدينة امامهم فدخل العرب
المسلمون المدينة وسيطروا عليها ^(٣٩١) واخذ المنصور
حين كان يتوقع انضمام اهل الكوفة لحركة ابراهيم بن
عبد الله بن الحسن (١٤٥هـ/٧٢٢م) باخراج الكائب
من الكوفة ليلاً ويدخلها مع الفجر كي يظن اهل الكوفة
ان امدادات جديدة تصل المنصور تباعاً وفي سنة

(١٩٠هـ/٨٠٦م) امر الرشيد في أثناء محاصرة مدينة
هرقلة محاولة منه لاجبار العدو على الاستسلام ،
بقطع الخشب وجمع الاحجار لبناء مدينة قرب هرقلة
مما ادى إلى ضعف الروح المعنوية عند المحاصرين في
داخل الحصن فاخذوا يتسللون ويهربون من المدينة مما
ساعد على فتحها ^(٣٩٢) كما استطاع طاهر بن الحسين
نقبت الحملة العسكرية الثالثة التي ارسلها الأمين
لمحاربته بجدة عسكرية ذكية إذ بث الجواسيس
والعيون بين العسكريين لنشر الشائعات والاراجيف
عما يجري في بغداد وان الأمين زاد العطاء لاصحابه،
ثم عمل على زرع الفرقة والاختلاف بينهما حتى
اوصل الامر حد الاقتتال بينهما ، ورجع الجيش دون
قتال مع طاهر ^(٣٩٣) وفي أثناء محاربة الثائر محمد بن
القاسم العلوي سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) ، لجأ القائد
العباسي نوح بن حيان إلى وضع كمناء في مواقع عديدة
، وعندما اشتبكت الحرب بين الطرفين مدة من الزمن
، تظاهر القائد بالهزيمة ، فتفرق الثوار خلف القوات
العباسية المنهزمة للقضاء عليهم قضاءً تاماً ، فانطلت

^(٣٨٩) الطبري ، تاريخ ، ٤٧٦/٧ .^(٣٩٠) مرزوق ابو الخطيب : لم نغش على ترجمته .^(٣٩١) الطبري ، تاريخ ، ٥١٢-٥١٣ .^(٣٩٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٦٧/٣ .^(٣٩٣) الطبري ، تاريخ ، ٤٢٣/٨ ؛ مجهول ، العيون والحدائق ،

هذه الحيلة على اتباع محمد بن القاسم ، إذ خرج
الكنناء من مكانهم واستطاعوا الحاق الهزيمة بالثوار
(٣٩٤)

الخاتمة

لقد أوضحت الدراسة في هذا الموضوع ان
النظم العسكرية في هذا العصر كانت امتداد لما
سبقتها من عصور ، لكن هذا لا يمنع من حدوث
تطور في بعض الجوانب التنظيمية العسكرية تماشى مع
تغيرات العصر خلال تلك المدة وفي نظام التعبئة
استخدم الجيش العباسي نظم التعبئة التي عرفها العرب
في العصور التي سبقت هذه المدة ، ولكن النظام
الغالب على الحملات العسكرية خلال هذه المدة هو
نظام الخميس الذي يمكن تقسيم الجيش بموجبه اما
على شكل كراديس وإما على شكل صنف بأنواعها
الثلاثة (المستوي ، والهلالي ، والمعطوف)، وتماشياً مع
التطور الذي طرأ على العمليات العسكرية خلال هذه
المدة من ناحية ، وزيادة أعداد الجند من ناحية أخرى
دفع العباسيين إلى استخدام أكثر من نظام تعبئة في
المعركة الواحدة.

(٣٩٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٥٨٠-٥٨١ .

الأمير فيصل بن الحسين في بلاد الشام بين الأطماع الاستعمارية وضغط القوميين العرب

١٩٢٠-١٩١٦

أ.م.د. عطية مساهر حمد أ.م.د. سلوان رشيد رمضان

الملخص

تضمن البحث مقدمة وخمسة محاور وخاتمة .

جاء المحور الأول عن حياة الأمير فيصل وتضمن ولادة الأمير فيصل ودراسته وثانياً ونشاطه السياسي، واحتوى كذلك على اتفاقية سايكس بيكو لأهميتها وتأثيرها المباشر على العرب، وركز المحور الثاني على الثورة العربية وانطلاقها وكيفية تقسيم الجيش العربي وهزيمة العثمانيين وطردهم من بلاد الشام، وسلط المحور الثالث الضوء على مفاوضات الأمير فيصل لتشكيل الحكومة المؤقتة، وتضمن المحور الرابع المصالح الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا صاحبتى السيادة في المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى وموقف الأمير فيصل من الضغط الفرنسي المتواصل وبين حلفائه القوميين العرب، وتطرق إلى لجنة كنج- كران لدراسة أوضاع المنطقة وتوجهاتها، وتناول المحور الخامس اتفاقية فيصل كليمنصو، ومباحثات المؤتمر السوري العام بدورتيه، ومؤتمر سان ريمو الذي وضع الأمير فيصل أمام خيارات صعبة كانت نتائجها لصالح الدول الاستعمارية وخسارة الأمير والقوميين العرب دمشق نهائياً بعد معركة ميسلون. أما الخاتمة فهي حصيلة استنتاجية لأهم مجريات البحث ونتائجه.

Summary

The research included an introduction, five themes and a conclusion.

The first axis focused on the life of Prince Faisal and included the birth and study of Prince Faisal, and secondly, his political activity, and also contained the Sykes-Picot Agreement for its importance and direct impact on the Arabs, and the second axis focused on the Arab revolution and its starting and how to divide the Arab army and defeat the Ottomans and expel them from the Levant, and the third axis highlighted On the negotiations of Prince Faisal to form an interim government, the axis included the colonial interests of Britain and France, sovereigns in the region after the First World War and Prince Faisal's position on the continued French pressure and among his Arab nationalist allies. Committee Keng- Crane to study the situation of the region and orientations, addressed the fifth axis Faisal Clemenceau agreement and talks General Syrian Congress Bdortih and the Conference of San Remo, which put Prince Faisal difficult choices results were in favor of the

colonial powers and the loss of Prince Arab nationalists and Damascus after a final battle Maysaloon. The conclusion is a deductive outcome of the most important research findings and results.

المقدمة

قوبلت بالرفض، فكان لفرنسا دور مهم في التحرك

لاحتلال الأراضي العربية في بيروت ودمشق، مع معارضة ورفض القوميين العرب وضغطهم المستمر على الأمير فيصل للشباب على موقفه، إلا أنه إنصاع إلى تلك التهديدات والمخططات الاستعمارية، وسلم دمشق صاغراً للجنرال غورو، وعلى أثر ذلك حدثت معركة ميسلون بقيادة يوسف العظمة الذي رفض الإنذار الفرنسي، وقاوم الاحتلال وضحي بروحه من أجل بلده. أن أحداث العهد الفيصلي وحدة متسلسلة مرتبطة ببعضها يصعب فهمها متجزئة، لذلك بدأنا في تسلسل الأحداث حتى موقعة ميسلون واحتلال الفرنسيين لسورية وباتهاء الحرب تخلص العرب من حكم العثمانيين الذي استمر ٤٠٠ عاماً ليجدوا أنفسهم أمام استعمار أخطر منه.

جاء اختيار عنوان البحث الأمير فيصل بن الحسين في بلاد الشام بين الأطماع الاستعمارية وضغط القوميين العرب ١٩١٦-١٩٢٠ ليسلط الضوء على حقيقة دور الأمير فيصل في بلاد الشام والضغط التي مورست بحقه من الدول الاستعمارية والقوميين .

اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وانحازت الدولة العثمانية تجاه المانيا، فكان لبريطانيا دور في تفعيل مسألة الثورة العربية عن طريق التحرك الذي جرى من السير مكماهون على الشريف حسين، واتفقا على دعم الثورة بالسلاح والذخائر وغيرهما، فكانت الثورة في ١٠ حزيران ١٩١٦، وبرز فيها عدد من الضباط العرب ولاسيما العراقيين، بقيادة الأمير فيصل بن الحسين الذي تابع تحرير الأراضي العربية بملاحقة العثمانيين حتى حدود بلادهم.

إلا أنَّ العرب وهم في حالة استنفار كانت مخططات الدول الكبرى تجري على تقسيم المنطقة العربية بين فرنسا وبريطانيا عن طريق اتفاقية سايكس-بيكو التي فضحت بعد قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧، مع إنكار شديد من الدول الاستعمارية، وجاءت الطعنة الأولى عن طريق وعد بلفور المشؤوم الذي منح بموجبه وطن قومي لليهود في فلسطين، وضغط اليهود على الأمير فيصل للموافقة على الرغبات اليهودية، وبعد دخول الأمير فيصل سورية وتشكيل حكومتها، ظهرت النيات الاستعمارية عن طريق المؤتمرات التي حددت الواقع المريب لنواياهم التي

أولاً: حياة الأمير فيصل ونشاطه السياسي حتى انطلاق الثورة

١- ولادته ودراسته:

ولد الأمير فيصل بن الحسين في مدينة الطائف يوم الأحد ٢٠ ايار ١٨٨٣م، وبعد سبعة أيام من ولادته أرسله والده إلى قرية رحاب، إذ كانت إحدى عادات الطائف فترعرع بين أحضان البادية وخشوتها الأمر الذي أرادته له حتى يتصلب عوده، فعاش بين عشائر العبادلة وعتيبة سبعة أعوام^(٣٩٥).

انتقل الأمير فيصل مع والده وبقية أفراد أسرته في الثامنة من عمره إلى إسطنبول بسبب خلاف وقع بين والده الشريف حسين وعمه الشريف عون، وكان لذلك الخلاف الأثر الكبير في حياة الأمير فيصل منذ وقت مبكر^(٣٩٦).

درس الأمير فيصل على يد عدد من الملالي ثم انتقل إلى أسلوب الدراسة الحديثة، إذ درس في إسطنبول التاريخ الإسلامي والعثماني وقواعد اللغتين

^(٣٩٥) عبد المجيد كامل عبد اللطيف، سيرة الملك فيصل الأول منذ نشأته حتى وضعه اللجنة الأولى للدولة العراقية الحديثة من ١٨٨٣-١٩٢٤، جامعة بغداد، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد (٢٥) آذار ٢٠١٤، ص ٥٦٢-٥٦٣.

^(٣٩٦) المصدر نفسه، ص ٥٦٢.

العربية والتركية وآدابها، فضلاً عن دراسة الفنون العسكرية والعلوم الصرفة، وتعلم جزءاً من اللغتين الفرنسية والإنكليزية^(٣٩٧).

كانت علاقاته محدودة ومقتصرة داخل نطاق الأسرة الهاشمية والمقربين منها من المشاهير ورجال الأدب الذين كانوا يجتمعون مع والده وبقي على ذلك الأمر حتى زواجه عام ١٩٠٥م من ابنة عمه^(٣٩٨).

٢- النشاط السياسي للأمير فيصل

كانت لثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨م بداية جديدة في حياة الأمير فيصل، فضلاً عن اختيار والده لمنصب

^(٣٩٧) أسامة يوسف شهاب، الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، مركز اللغات، عمان، ١٩٩٥م، ص ٤٤-٤٦.

^(٣٩٨) تزوج الأمير فيصل من حزيمة، وهي إحدى بنات الشريف ناصر أخو الشريف حسين، ولدت عام ١٨٨٥م، في مكة وكانت هي الأخت التوأم لشقيقها صباح زوجة الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، عاشت في إسطنبول وانتقلت إلى الحجاز وبعدها إلى العراق، أنجبت ثلاث بنات هم: الأميرة عزة والأميرة راجحة والأميرة رفيعة، وولد واحد هو الأمير غازي، وتم هذا الزواج على وفق تقاليد العائلة المالكة، وقفت إلى جانب الأمير فيصل في السنوات الحرجة ١٩١٦-١٩٢٤م، وانشغال الأسرة الهاشمية بالثورة ضد العثمانيين، وبقيت تسانده حتى عند توليه عرش العراق. توفيت في آذار ١٩٣٥م، أثر سكتة قلبية. عبد المجيد كامل، المصدر السابق، ص ٥٦٣.

شريف مكة وعودته وأفراد أسرته إلى الحجاز في كانون الثاني ١٩٠٩م، واختاره والده ليكون ممثلاً عنه في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) عن مدينة جدة في دورته الثانية عام ١٩١٢، وذلك ما زاده خبرةً سياسيةً ومعرفةً شاملةً بالسياسة التركية وقيادته حملات مع والده ضد الإديسي^(٣٩٩) في جنوب الجزيرة في عسير، وكلفه والده باستكمال قيادة حملته ضد الإديسي عام ١٩١٣م، وأثبت الأمير فيصل في تلك الحملات كفاءة ومقدرة فائقة وشجاعة حتى أحبه القبائل العربية وأيدته^(٤٠٠).

انضم العثمانيون إلى دول الوسط في الحرب العالمية الأولى في تشرين الثاني ١٩١٤، وإعلان السلطان محمد رشاد (١٩٠٩-١٩١٨م) الجهاد ضد دول الوفاق تغير الوضع كلياً^(٤٠١).

أثار الشريف حسين غضب الدولة العثمانية لورود معلومات بوجود اتصال بينه وبين البريطانيين، الأمر الذي دفعها بالإيعاز إلى الأئمة في المساجد أن ياركوا قرار السلطان، وأخذت الصحف المؤيدة لهم تبث أخبار عن تطوع أبناء الحسين وأبناء القبائل الحجازية للقتال في صفوف المجاهدين^(٤٠٢).

بلغ الخلاف ذروته بين الشريف حسين والاتحاديين، حينما عين الاتحاديون وهيب باشا والياً وقائداً عسكرياً على الحجاز في آن واحد في تموز ١٩١٤، وحتى ذلك التاريخ كانت بريطانيا تتحاشى أن تجاهر بدعمها للعرب ضد الدولة العثمانية، ولكن حينما

وبعد الاستعداد بدأت قوات الجيش الرابع في سورية بقيادة جمال باشا والكولونيل الألماني (فون فالكنهاين) Von Falkenheim (١٨٦١-١٩٢٢) بالتقدم عبر سيناء باتجاه قناة السويس عام ١٩١٥، إذ كانت المعركة بمثابة مغامرة كبيرة أدت بأرواح الكثيرين، وهي أول معركة يقودها جمال باشا ضد الحلفاء لكنه عاد إلى سورية مضطرباً،

(٣٩٩) الإديسي: هو محمد بن علي الإديسي الذي استغل انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها واضطراباتنا واعلن تمرده على الباب العالي، قاد الأمير فيصل ووالده الشريف حسين عدة حملات ضده. قدرتي قلعي، الثورة العربية الكبرى، المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٢، لبنان، د.ت، ص١٤٠-١٤١.

(٤٠١) أنطوان الحكيم، تاريخ لبنان في القرن العشرين في إطاره الإقليمي والدولي من متصرفية الجبل إلى دولة لبنان الكبير ١٩١٤-١٩٢٠، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، لبنان، ٢٠١٨، ص٩٦.

(٤٠٢) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، دار العلم للملايين، ١٩٨٢، ص٢٢٦-٢٢٩.

(٤٠٠) ليز ستيوارت أرسكين، فيصل ملك العراق، تحقيق: عمر أبو النصر، مطبوعات المطبعة الأهلية، عمان، د.ت، ص٣٤.

ولكن الأمر الذي أوقفه في حينها هو عدم توفر المال وال سلاح لديه من جهة، ووجود الأمير فيصل في الشام^(٤٠٥) من جهة أخرى قام بمكاتبة البريطانيين سراً وعرض عليهم الحلف على أن يدوه بالمال والسلاح، وتعود جذور العلاقة بين الشريف حسين والبريطانيين إلى قبل الحرب العالمية الأولى، حينما كان اللورد (كشنر) Kitchener معتمداً لبريطانيا في مصر^(٤٠٦) الذي أصبح بعد اندلاع الحرب وزيراً للحربية في بلاده، فشجع ذلك على تكثيف العلاقات مع

فاتبع سياسة القمع والإرهاب ضد زعماء سوريا والأحرار الذين ساندوه في رغبته وتكثروا لمناصرة الدولة العثمانية، لكنهم لم يوفوا بالتزاماتهم، فقام جمال باشا بإلقاء القبض عليهم وأرسلهم إلى الديوان العربي^(٤٠٣)، فحكم على عددٍ منهم بالإعدام وزج أعداداً أخرى في السجن ونفى آخرين، وكان من بين الذين نُفذَ حكم الإعدام بحقهم (عبد الحميد الزهرواي، شفيق المؤيد، شكري العسلي وغيرهم)^(٤٠٤).

أثارت تلك المذابح العرب وحفزتهم على القيام بثورة ضد التعسف العثماني، وحين وصول الأخبار المساوية إلى الشريف حسين صمم على القيام بالثورة،

^(٤٠٧) وصل الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق يوم ٢٦ آذار ١٩١٥م، وكان في طريقه إلى اسطنبول ومكث في دمشق أربعة أسابيع، وقد استقبله جمال باشا. عصام خليفة، الحرب العالمية الأولى والاتفاقات السرية حول المشرق العربي عام ١٩١٤-١٩٦٨، مجلة أوراق جامعية، العدد ٢، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٩٣، ص١٧٧؛ عماد نعمة العبادي، سورية والحركة الكمالية عام ١٩١٩-١٩٢٣م، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٥م، ص١٨.

^(٤٠٨) للتفاصيل عن تلك العلاقة ينظر: أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، المجلد الأول النضال بين العرب والترك، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص١٢٦-١٢؛ عادل إسماعيل، السياسة الدولية في الشرق العربي، من سنة ١٧٨٩-١٩٥٨، دار الكتاب، بيروت، ١٩٦٤، ج٤، ص٦٤؛ ريتشارد الدنجون، لورانس في البلاد العربية، ترجمة: محمود عزت موسى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، لندن، ١٩٥٥، ص١٤٠-١٤٩.

^(٤٠٩) الديوان العربي، هو الديوان الذي أنشأه جمال باشا في عالية لبنان على أثر وصوله إلى سوريا في كانون الأول عام ١٩١٤م لمحاكمة المتهمين بالقضايا السياسية وقسمه إلى هيئتين الأولى يرأسها ضابط كبير يدعى صلاح الدين والثانية يرأسها عقيد يدعى شكري بك ولا توجد فيه جلسات علنية ولا مرافعات بل الديوان يتقنن في التعذيب والضرب، يوسف الحكيم، بيروت، لبنان، في عهد آل عثمان، دار النهار، ط٢، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٥٤-١٥٦.

^(٤١٠) توفيق برو، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩، ص٨١-٨٥؛ جلال يحيى، العالم العربي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨، ج١، ص٥١٩-٥٢٠.

منه خمسة أجوبة عليها، نشرت تلك الرسائل مرات عدة، بأصلها العربي والانكليزي، وإما بترجمات عربية للرسائل مكماهون وانكليزية لرسائل الشريف حسين، وبذلك تمكن الشريف حسين من الحصول على الالتزامات المطلوبة التي تمكنه من القيام بالثورة^(٤٠٩).

٣- اتفاقية سايكس - بيكو وأثرها على العرب:

دارت مفاوضات سرية في ايار ١٩١٦ بين ممثل الحكومة الفرنسية السير (مارك سايكس) Mark Sykes وممثل الحكومة البريطانية المسيو (جورج بيكو) Georges - Picot من أجل تقسيم مناطق النفوذ بين الدولتين في الوقت الذي كان الثوار العرب يستعدون لخوض معركة من أجل الحرية والاستقلال للتخلص من الدولة العثمانية، وجرى التوقيع على بنود تلك الاتفاقية التي سميت فيما بعد اتفاقية سايكس- بيكو^(٤١٠).

^(٤٠٩) للمزيد من التفاصيل عن تلك المراسلات ينظر: أمين سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٣١-١٤٤؛ جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص٥٤٥-٥٧٧.

^(٤١٠) مذكرات سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، تحقيق: باسل سليمان فيضي، مطبعة الأديب البغدادية، ط٤، بغداد، د.ت، ص ٢٤٣؛ سعد سعدي، المصدر السابق، ص٢٠٩-٢١٠.

الشريف حسين، وقد خلفه في مصر المندوب السامي البريطاني (السير هنري مكماهون) Sir Henuy McMahon^(٤٠٧)، وقد أدى السكرتير الشريف للمعمدية البريطانية (رونالد ستوريس) Ronald Storis دوراً في العلاقات مع الشريف حسين وأولاده^(٤٠٨).

بعث الشريف حسين بخمس رسائل إلى السير مكماهون بين ١٤ تموز ١٩١٥ و ١٠ آب ١٩١٦، وتلقى

^(٤٠٧) السير مكماهون: هو المندوب السامي البريطاني في مصر بين ١٩١٥-١٩١٧، أبرم اتفاقية مع الشريف حسين من أجل مساعدته بالمال والسلاح لإعلان الثورة على الدولة العثمانية، وتضمنت أمور عدة أهمها أن تعهد بريطانيا بتشكيل حكومة عربية مستقلة استقلال تام، وتعهد بحمايتها من أي تدخل أو اعتداء خارجي وتزويد الحكومة العربية الجديدة بالأسلحة والأموال. عبد الوهاب الكيالي، موجز تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧١، ص٧٢-٧٣؛ سعد سعدي، معجم الشرق الأوسط (العراق، سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن)، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٨، ص١٩٢.

^(٤٠٨) عادل إسماعيل، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٠؛ صالح مسعود بويصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص٥٥؛ جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص٢٠٩؛ عبد العزيز الحياط، يوم القدس، الندوة الثالثة ١٠-١٣ تشرين الأول في عمان، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٥.

وكيليكيا وولاية الموصل، وفي مكان ما بين هاتين المنطقتين، تنشأ دولة عربية أو اتحاد عربي في الداخل السوري، يخضع للنفوذ البريطاني الفرنسي، وتوضع فلسطين تحت الإدارة الدولية، لم يحمل ذلك التقسيم للمنطقة أي شبهة مع الدولة العربية الموعود بها الشريف حسين، وحلم بإقامتها القومين العرب^(٤١٢)، بعد التخلص من حكم جبهة الاتحاد والترقي^(٤١٣).

ثانياً: الثورة العربية ١٩١٦

أطلق الشريف حسين الرصاصة الأولى إيذاناً منه ببدء الثورة ضد الجيش العثماني في ١٠ حزيران ١٩١٦م، إذ كانت خطته تبدأ بمعارك الثورة في الحجاز

^(٤١٢) كانت الدولة العربية المرسومة بحسب الرسالة التي أرسلها الشريف حسين في ١٤ تموز ١٩١٥ إلى مكماهون تمتد من مرسين وأضنة... حتى الحدود الفارسية شمالاً، ومن بلاد فارس حتى البصرة شرقاً، من المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ويستثنى عن ذلك عدن التي تبقى كما هي، ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غرباً، ليطالب بريطانيا الموافقة على إعلان خليفة عربي على المسلمين، وردّ مكماهون في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ بأن بريطانيا العظمى مستعدة للاعتراف باستقلال العرب ودعمه في كل المناطق ضمن الحدود التي طلبها الشريف مكة. باتريك سيل، رياض الصلح والنضال من أجل الاستقلال العربي، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠، ص ١١٣.

^(٤١٣) المصدر نفسه، ص ١١٦.

أكدت تلك الاتفاقية غدر فرنسا وبريطانيا وتخطيطها لتقسيم الولايات العربية فيما بينها، وأرسل في حينها العثمانيون نص معاهدة سايكس- بيكو إلى الأمير فيصل، على أمل أن يدفعه ذلك للانفصال عن الحلفاء بعقد سلام منفصل، لكن الأمير فيصل لم يتمكن من التراجع لأنه كان غارقاً في المخطط البريطاني^(٤١١).

أرادت بريطانيا الحصول على ولايتي البصرة وبغداد، في حين أرادت فرنسا الشاطئ السوري،

^(٤١١) نشر البلاشفة الاتفاقية بعدما اكتشفوها في أرشيف القياصرة في أعقاب قيام الثورة الروسية وقرار البلاشفة الانسحاب من الحرب وتوقيع هدنة مع الدولة العثمانية في كانون الأول ١٩١٧، وقد أكدت خضوع العهد البريطاني المقرر منح الدول العربية المساحة التي حددها الشريف حسين لعدد من التعديلات التي أوضحها مكماهون على شكل نقاط ثلاثة: الأولى: إن ولايتي مرسين والإسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولاية دمشق وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محض، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة. ثانياً: أما بخصوص ولايتي بغداد والبصرة، فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموحدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية هذا الإقليم من الاعتداء الأجنبي. ثالثاً: أشترط مكماهون أن الوعد بالاستقلال لا يمكن تقديمه إلا بخصوص الأقاليم التي تضمها تلك الحدود. جورج أنطونينوس، المصدر السابق، ص ٥٤٥-٥٥٨.

J. C. Hurewitz, Diplomacy, in the Near and Middle East 2 VOL, Princeton, 1956, II. PP -14-15.

وبلاد الشام معاً لأن سوريا ومنطقة شرق الأردن تعدّ مسرحاً لعمليات الثورة العربية^(٤١٤).

قسم الجيش العربي على ثلاثة أقسام (الشمالي والجنوبي والشرقي)، إذ كانت مهمة الجيش الجنوبي والشرقي محاصرة القوات العثمانية في المدينة المنورة، أما الجيش الشمالي فكان تحت قيادة الأمير فيصل بن الحسين الذي أوكلت له مهمة تحرير بلاد الشام، بمساندة القبائل العربية لجيش الأمير فيصل، وتطوع معه الكثير وأعلن مشايخ الشمال الأردني تأييدهم للثورة العربية^(٤١٥).

حينما انتشر خبر الثورة سعى أغلب العرب إلى مساندة الشريف حسين وابنه الأمير فيصل وكان مولود مخلص^(٤١٦)، وجماعته الأسرى لدى البريطانيين في

^(٤١٤) أمين سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٩.

^(٤١٥) حكمت ناصر حسين المياحي، العلاقات السياسية السورية الأردنية ١٩١٨-١٩٢٥م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ٢٠٠٦م، ص ٣٠.

^(٤١٦) مولود مخلص: ولد مولود في مدينة الموصل عام ١٨٨٥م، وهو أحد أحفاد الإمام موسى الكاظم يرجع نسبه إلى عشيرة الجواعنة ومسقط رأس والده أحمد بن رجب في تكريت وبعدها انتقل إلى الموصل، كان لمولود دوراً كبيراً في الثورة العربية إلى جانب جيش الأمير فيصل بن الحسين، وأصبح مرافقه الخاص. سليم طه التكريتي، مولود مخلص بطل معركة وادي

البصرة من أبرز المتطوعين للالتحاق بالثورة العربية^(٤١٧)، فاستقبلها نوري سعيد^(٤١٨) أحد الضباط العراقيين^(٤١٩).

استسلمت الطائف إلى الأمير عبد الله بن الحسين بعد حصار دام أربعة أشهر، إذ كان الجيش يتألف من النظاميين والمتطوعين من القبائل العربية، وهنا اجتمع

موسى في الثورة العربية الكبرى، شركة الأجيال للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٢٩.

^(٤١٧) بعد سقوط مدينة الناصرية بأيدي البريطانيين، وقع مولود مخلص وعلي جودت الأيوبي وعدد آخر من الضباط والجنود العرب أسيرة بيد البريطانيين، إذ جرى نقلهم على عجل إلى البصرة تمهيداً لإرسالهم إلى معسكرات الأسر في الهند. سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ١٧؛ محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٧٠-٧١.

^(٤١٨) نوري سعيد: ولد في بغداد عام ١٨٨٩م، كردي الأصل وتركبي الثقافة وعراقي المهنة كان يمتلك قوة بدنية ومعنوية أكمل تعليمه حتى تخرج ضابط عام ١٩٠٦م، شارك في الثورة العربية الكبرى إلى جانب الأمير فيصل بن الحسين واثبت شجاعة وسمعة طيبة حتى أصبح رئيس أركان الأمير فيصل وأصبح ينتقل بين لندن وباريس. ولد مارغلن، عراق نوري سعيد، دار الطباعي، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٢٧-٣٢.

^(٤١٩) سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ١٧-١٨.

مولود مخلص باشا شكا مجده ومرارة من سوء تسليح العرب وهذا سبب الضعف الذي هم فيه" (٤٢١) .

قرّر لورنس بتوجيه من حكومته مساعدة الثوار بالأسلحة والمال (٤٢٢)، وطلب من الأمير فيصل أن يعسكر عند موارد المياه حتى يعيق حركة الجيش العثماني وفعلاً عسكرت قوات الأمير فيصل في وادي ينبع (٤٢٣)، واستعدت لإيقاف هجوم العثمانيين الذين زاد حماسهم بعد انتصارهم في معركة الثار وتقدموا بقيادة قائدهم فخري باشا (٤٢٤) الذي كان مجهزاً بالعدد والعدة وشنّ هجوماً واسعاً على قوات فيصل، وكان

(لورنس) Lewrnes (٤٢٠)، بالأمير فيصل لأول مرة، وكان مولود مخلص برفقته، ووجد لورنس بشخصية الأمير فيصل القيادة التي كان يبحث عنها، تكلم لورنس معه بشأن وضع الثورة ونجاحها وإخفاها وشرح له الأمير فيصل إخفاق الهجوم الأول على المدينة المنورة، بسبب عدم امتلاك العرب الأسلحة الحديثة مقارنةً مع الأسلحة التي يستعملها العثمانيون، ذكر لورنس: "لأن

(٤٢١) نقلاً عن: مذكرات سليمان فيضي، المصدر السابق، ص ٢٤٦-٢٤٧؛ سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ١٨. (٤٢٢) للمزيد من التفاصيل عن المساعدات التي قدمها الجنرال اللنبي للأمير فيصل ينظر:

Sulelmen Mousa, Lawronce in Arab Viow Ozford University Press, London. 1966, P.260.

(٤٢٣) وادي ينبع: هو وادي يقع غرب المدينة المنورة يحجري بين جبلين الأشعر جنوباً والأجرد شمالاً، وكان أهم معسكرات الأمير فيصل أثناء الثورة العربية. محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص ٧٧ .

(٤٢٤) فخري باشا: هو قائد عسكري عثماني، ولد عام ١٨٦٩م، عين وكيلاً لقائد الجيش الرابع المربط في سوريا ثم سافر إلى المدينة فقاد الحملة للقضاء على ثورة الشريف حسين وأدار العمليات العسكرية حتى سقوط الدولة العثمانية بيد الحلفاء. المصدر نفسه، ص ٧١ .

(٤٢٠) لورنس: ولد توماس إدوارد لورنس في إنكلترا عام ١٨٨٨م، أمه من إسكتلندا ووالده من إنكلترا كان له أربعة أخوة، انتقلت عائلته بعد وفاة والده عدة دول، جند في الجيش البريطاني عام ١٩١٤ ثم الحق بأركان حرب قوة حملة الحجاز تحت أمرة الجنرال وينجيت، وفي عام ١٩١٨ أصبح تحت أمرة اللنبي، حضر مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ عضواً في الوفد البريطاني، وفي عامي ١٩٢١-١٩٢٢، أصبح مستشاراً في الشؤون العربية بوزارة المستعمرات البريطانية، وفي عام ١٩٢٧ تقعد من اسم لورنس العرب فغير كنيته إلى شو ثم انضم إلى سلاح الجو طياراً وقتل عام ١٩٣٥ في حادثة درجة نارية، له مؤلفات عدة. توماس إدوارد لورنس، أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة: محمد النجار، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨، ص ٥؛ جميل ثابت الحوري، لورنس وعلاقته بالعرب، رسالة دبلوم (غير منشورة)، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٤، ص ١٦-٢٠.

الأموي الكبير باسم الشريف حسين الذي اعتمد لقب ملك العرب وباسم ابنه ونائبه في سوريا الأمير فيصل، وعزل الأمير محمد سعيد الجزائري^(٤٢٨) عن الحكم وإعلان قيام حكومة عسكرية برئاسة شكري

مولود مخلص باشا في مقدمة القوات العربية الذي طلب من الأمير فيصل التراجع إلى ينبع وترك مفرزته تقاوم الهجوم في أعلى قمة مرتفعة وأثناء تراجع القوات إلى ينبع وجدوا عزيز علي المصري^(٤٢٥)، قد هاجم القوات العثمانية وأجبرها على التراجع إلى بئر الماشي، ولذلك قرر الأمير فيصل مواصلة الهجوم ليلاً على القوات العثمانية، وهكذا تمكن العرب من هزيمة الجيش العثماني وطردتهم من بلاد الشام^(٤٢٦).

ثالثاً: مفاوضات الأمير فيصل لتشكيل الحكومة المؤقتة

وصل الأمير فيصل إلى دمشق في ٣ تشرين الأول ١٩١٨، واستقبله سكانها استقبالا حاشداً وقاد الأمير موكباً من ١٥٠٠ فارس، يحيط به ضباط الثورة العربية العراقيون والسوريون والحجازيون، ويرافقه لورنس، والتحق بالموكب القائد العام للقوات البريطانية (النبلي)^(٤٢٧) Allenby، وتوجه الموكب إلى المسجد

^(٤٢٥) عزيز علي المصري: هو عسكري وسياسي مصري، ولد عام ١٨٨٠م، وكان أحد رواد الحركة الوطنية التحريرية شارك بالثورة العربية الكبرى وهو مؤسس جمعية العهد التي كان هدفها الاستقلال. مذكرات سليمان فيضي، المصدر السابق، ص ١٥٦.

^(٤٢٦) سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ١٨-١٩.

^(٤٢٧) النبلي: ولد عام ١٨٦١م في لندن اشترك في حرب الزولو في جنوب أفريقيا عام ١٨٨٨، ثم في حرب البوير عام ١٨٩٩-١٩٠٢ اشترك في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، تولى قيادة

الجيش البريطاني في مصر عام ١٩١٧، قاد عمليات البريطانيين ضد العثمانيين في بلاد الشام ١٩١٧-١٩١٩، عين مفوضاً سامياً في مصر ١٩١٩-١٩٢٥ آلف عدد من الكتب بعد تسريحه من الجيش، توفي عام ١٩٣٦. بسام العسلي، المارشال اللبني ١٨٦١-١٩٣٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

^(٤٢٨) محمد سعيد الجزائري: محمد بن سعيد بن علي بن عبد القادر بن محي الدين الحسيني، ولد في دمشق عام ١٨٨١، تلقى تعليمه في دمشق واسطنبول، استقرت أسرة الأمير عبد القادر في دمشق، وقد تبوأ عدد من أبنائه مناصب في الدولة العثمانية، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى تعرض عدد منهم للاضطهاد وفي قسم منهم إلى بروسة، وفقد حكم الإعدام بالأمير عمر بن الأمير عبد القادر الكبير بتهمة التقرب من الفرنسيين، أما محمد سعيد فعاد من المنفى وأتصل بزعماء الحركة العربية وبالأمر فيصل، لكن لورنس أبدى تحفظاً تجاهه بعد أن اتهمه بالعمالة للعثمانيين، توفي عام ١٩٧٠م. للتفاصيل ينظر: أنور الرفاعي، جهاد نصف قرن لسمو الأمير سعيد آل عبد القادر الجزائري، المطبعة العمومية، دمشق، د.ت، ص ٦-١٠؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢، ج ٤، ص ١٤٥.

الأيوبي^(٤٢٩) نيابةً عن علي رضا الركابي^(٤٣٠) الذي لم يكن قد عاد إلى دمشق بعد^(٤٣١).

أبلغ اللنبي الأمير فيصل يوم ٣ تشرين الأول ١٩١٨ أن حدود سلطته العربية حكم سوريا الداخلية، لكن عليه أن يأخذ بمشورة فرنسا ودعمها المالي، لأنها ستصبح القوة الحامية لسوريا فيما ستكون فلسطين وجبل لبنان والساحل السوري مناطق خارج سلطته، ذلك الأمر أغضب الأمير فيصل واحتج بأن لورنس وعده بأن تخضع لحكمه سوريا بأكملها، باستثناء فلسطين، ورفض بشدة مساعدة المستشارين وضباط الارتباط الفرنسيين، لكنه أظهر استعداداً لقبول المساعدة البريطانية عند الضرورة المطلقة^(٤٣٢).

^(٤٢٩) شكري الأيوبي: ولد عام ١٨٥١ في دمشق، تخرج في الكلية الحربية في اسطنبول، وكان واحد من أبرز الضباط العرب السوريين في الجيش العثماني، وهو من عائلة سورية عريقة عينه الأمير فيصل حاكماً عسكرياً في بيروت أثناء تشكيل الحكومة العربية. عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص ٣٦٨؛ خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧١-١٧٢.

أعلنت جريدة لسان العرب الموالية للأمير فيصل في ٤ تشرين الأول ١٩١٨ في دمشق عن تشكيل حكومة دستورية لسوريا بأكملها، فأسرعت حشود من الفرسان عبر الجبال لمساعدة مؤيدي الأمير فيصل في بيروت، إذ رُفِعَ العلم الجديد للثورة على المباني

^(٤٣٠) علي رضا الركابي: ولد عام ١٨٦٨ في دمشق، درس في اسطنبول، وتخرج في المدرسة الحربية، تولى وظائف عسكرية في الدولة العثمانية، انتسب إلى جمعية العربية الفتاة ورئيساً لبلدية دمشق، وكان من المدافعين عن العرب، وكان ينتمي إلى تيار وطني قومي، انضم إلى ثورة الشريف حسين، عين حاكماً عسكرياً ثم رئيساً للوزراء، استقال قبل ثورة ميسلون، تولى رئاسة الوزراء مرتين حينما إنشأت إمارة شرق الأردن، ثم عاد إلى دمشق. توفي عام ١٩٤٢. ناجي عبد النبي بزي، سوريا صراع الاستقطاب، دراسة وتحليل لأحداث الشرق الأوسط والتدخلات الدولية في الأحداث السورية ١٩١٨-١٩٧٣، دار ابن العربي، دمشق، ١٩٩٢، ص ٥٠٨؛ حكمت ناصر حسين المياحي، المصدر السابق، ص ١٣٥.

تحقيق وتعليق: حسن حلاق، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٨-٤٩؛

E. Rabbath, La Formation Historique du Liban Politique et Constitutionnel, Beyruth, 1973, P268-269.

^(٤٣٢) وجدت القوات العربية حينما دخلت دمشق الأعلام العربية ترفرف على مؤسساتها الرسمية. أحمد قدوري، مذكراتي عن الثورة العربية، منشورات وزارة الثقافة، ط ٢، دمشق، ١٩٩٣، ص ٧٣-٧٤.

^(٤٣١) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، ١٩٥١، ص ٢٢٩؛ زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٠٤؛ مذكرات سليم علي سلام،

العامة، وسلمت المدينة إلى رئيس البلدية عمر الداعوق، ولكن حينما نزلت القوات الفرنسية يوم ٧ تشرين الأول ١٩١٨ على الساحل اللبناني لتغير خطط وطموح العرب^(٤٣٣)، فنجد الجنرال اللبي يضع تقسيمات لتكون الخريطة المقررة التي يجب الالتزام بها، فقرر تقسيم المشرق على ثلاثة مناطق عسكرية: فلسطين بإدارة ضابط بريطاني، ولبنان والساحل المتوسط من عكا إلى الاسكندرونة بإدارة ضابط فرنسي، والمنطقة الداخلية السورية وشرق الأردن بإدارة الأمير فيصل مع وجود قوات احتلال بريطانية^(٤٣٤).

عمل البريطانيون على توطيد سلطتهم وكسب عطف العرب، وذلك حينما زار اللبي وضباط أركانه مقر الحكومة العربية في دمشق يوم ١٥ تشرين الأول ١٩١٨، إذ رحب بهم علي رضا باشا الركابي،

^(٤٣٣) أمر قائد الجيوش الحليفة المنتصرة في الشرق يوم ٥ تشرين الأول، بأن تتوجه المجموعة البحرية الفرنسية في بور سعيد إلى بيروت، فدخلت المرفأ يوم ٧ تشرين الأول. نقلًا عن: أنطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ١٤٠-١٤١.

^(٤٣٤) نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) ١٩١٧-١٩١٨، دار الساقى، بيروت-لندن، ١٩٩٨، الوثيقة رقم ١٩٣ و١٩٥، ج ٣، ص ٥٥٣-٥٥٦؛ حكمت فريجات، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى، دار المستقبل، ط ٢، عمان، ١٩٨٧، ص ٢١٧.

الضابط السابق في الجيش العثماني الذي عينه الأمير فيصل بموافقة اللبي حاكمًا عسكريًا للمنطقة الداخلية السورية، والمسؤول الإداري الأول عنها، وحضر في حينها كبار الضباط والمسؤولون، فضلاً عن علماء الدين المسلمين ورجال دين من الطوائف النصرانية ووجهاء الدروز وحاخامات الطائفة اليهودية، ولم يُدعَ ممثلون عن فرنسا الأمر الذي زاد من التنافر بين الفرنسيين والعرب^(٤٣٥).

أصبح العرب أكثر عداء للفرنسين منذ وصولهم إلى دمشق، وبسذاجة استنبح العرب أن بريطانيا داعمة لهم في قضيتهم القومية، ورفعوا علم جديد فوق بلدية دمشق، كانت ألوانه الأبيض والأسود والأخضر والأحمر^(٤٣٦)، وأخذت الحركة القومية تستعيد نشاطها،

^(٤٣٥) دعم اللبي حكم الركابي، وحاول من دون قصد إبعاد الأمير فيصل عن الإدارة المحلية ليتفرغ لقيادة القوات العربية، لذلك ثبت الركابي في حكم سوريا الداخلي، وسرعان ما أدرك اللبي أنه أخطأ في قراره هذا لأن الركابي لم يكن مديناً لبريطانيا، ولم يكن ملزماً بمراعاة الاتفاقات المعقودة بينهم وبين حلفيتهم فرنسا. أنطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ١٣٧؛ باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٢٣.

^(٤٣٦) مثل العلم العربي أربعة ألوان يرمز كل لون إلى رمز، الأبيض يرمز للأمويين، والأسود للدولة العباسية، والأخضر للدولة الفاطمية، والأحمر للهاشميين، قادة الثورة العربية الكبرى. ناجي عبد النبي بزي، المصدر السابق، ص ٣١.

أنفسهم، وقد شكلت سوريا محور السياسة الشرقية لفرنسا^(٤٣٩).

لذا نجد فرنسا حينما علمت بالعهود التي قطعتها بريطانيا للشريف حسين في مراسلات حسين-مكماهون تحركت لإضعاف أثر الثورة العربية وتأمين سيطرتها على سوريا، ولم يكن بوسع البريطانيين معارضة ذلك بصورة جدية، فهم يقولون أن للفرنسيين مصلحة في سورية، بل منذ الحروب الصليبية، ولذا نجد القوتين تريدان تقسيم المنطقة بينهما^(٤٤٠).

أما المصالح البريطانية فكان هدفها الأساس السيطرة على المواصلات البرية والبحرية والجوية بين حوض المتوسط والمحيط الهندي، فالهند البريطانية التي تحتل تجارتها واحتياطها لها مكانة رفيعة من القوة العسكرية البشرية لم تغادر في التفكير الاستراتيجي البريطاني، فضلاً عن طموحها في السيطرة على إنتاج النفط الإيراني والعراقي والتصرف فيه، وكذلك السيطرة على فلسطين كمنطقة فاصلة للدفاع عن قناة السويس ومصر، لأن وزير الخارجية البريطاني آنذاك آرثر بلفور (Arthur Balfour)، قد وعد بأن

وبرزت قوة جمعيتي العربية الفتاة، والعهد^(٤٣٧) التي تربطهم علاقة سابقة مع الأمير فيصل، فشغل أعضائها مناصب رئيسة في إدارة الحكومة، وتمتعت القوة الجديدة بنفوذ كبير في علاقاتها مع الأمير فيصل، إذ أصبح من الصعب في بعض الأحيان معرفة أي منهما الحاكم^(٤٣٨).

رابعاً: المصالح الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا

ربما لم يدرك الأمير فيصل ورجال القومية العربية في ذلك الوقت أنهم في مواجهة مع أكبر قوتين استعماريين في العالم، وقد خاضت حرباً شاملة وانتصروا فيها مقابل تضحيات كبيرة بالمال والرجال، لذا كانت الآمال السياسية العربية في أدنى لائحة أولوياتهما، وكان اهتمام بريطانيا وفرنسا منصباً على حماية مصالحهما أكثر من أي شيء آخر، وحين التفاوض في استقلال العرب فإنما كانتا تعنيان (تحريرهم) من السيطرة العثمانية، لا حريتهم في حكم

^(٤٣٧) الفتاة والعهد: هي من الجمعيات المهمة التي تأسست لفصل الولايات العربية عن التبعية العثمانية أسست الفتاة في باريس عام ١٩١١م، ومؤسسها رستم حيدر وآخرون أما العهد فقد أسست عام ١٩١٣م مؤسسها عزيز علي المصري، وكان من أهم أهدافها (الحرية والاستقلال). صبحي العمري، ميسلون نهاية عهد، دار الرياض، لندن، ١٩٩١، ص ٦٣-٦٤.

^(٤٣٨) باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٢٦.

^(٤٣٩) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ١٣٥.

^(٤٤٠) أنيس الصانع، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٣٨.

تقدم بريطانيا الدعم من أجل إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين^(٤٤١).

١- الأمير فيصل بين الضغط الفرنسي وحلفائه القوميين

واجه الأمير فيصل مشكلة حقيقية وقوعه بين مطرقة الفرنسيين المصممين على السيطرة على سوريا وضغط حلفائه القوميين ولاسيما أعضاء جمعيتي الفتاة والعهد المصممين على تأكيد الاستقلال العربي المطلق، ولم تسفر محاولات الأمير فيصل لإيجاد تسوية بين هذين الموقفين عن إرضاء أي من الطرفين، إذ دعت الدول الأوروبية لعقد مؤتمر فرساي عام ١٩١٨ الذي سمي (مؤتمر الصلح) للنظر في تسويات ما بعد الحرب، وقد وجهت دعوة إلى الملك حسين ملك الحجاز للمشاركة فيه، لأنه أحد المساهمين في الحرب على الحلفاء، ولتقوية موقفها أمام فرنسا من جهة وتخفيف شعور العرب بمسؤوليتها عن عدم وفائها بما اتفقت عليه معهم، فكلف ابنه فيصل بتمثيل العرب في المؤتمر،

فتوجه فيصل إلى فرنسا يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨م، رافقه نوري السعيد ورستم حيدر، وأحمد قدوري وكتبه الخاص فايز الغصين، وكانت فرنسا حينها رافضة الاعتراف بمثل العرب ومصممة على تطبيق اتفاقية سايكس بيكو للحصول على سوريا، وأخذت تقيم العقوبات أمامه، فقرّر التوجه إلى لندن^(٤٤٢).

كان الأمير فيصل قلقاً من مقترح التقسيم للدولة العربية الموحدة التي كان يعتقد أن والده وعد بها، فغادر إلى لندن للمرة الأولى في ١٠ كانون الأول ١٩١٨، سعياً لتوضيح النيات البريطانية، وكان في حينها يبلغ من العمر الحادي والثلاثون وتنقصه الخبرة ولا يجيد الإنكليزية، ونتيجة لذلك، صحب معه لورنس بصفته مترجماً ومستشاراً، وقد تم ترتيب رحلته عن طريق لورنس من دون استشارة الفرنسيين، الأمر الذي أغضبهم، وحينما وصل الأمير فيصل إلى لندن يوم ١١ كانون الأول ١٩١٨، علم أن رئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو George

(٤٤١) فكرة الوطن القومي بالمعنى المقصود في تصريح آرثر بلفور ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ليس له سند قانوني أو عرف دولي، ولم تذكر الحكومة البريطانية أية وثيقة رسمية إذ كان المقصود بالوطن القومي مجرد إيجاد وسيلة للتدرج نحو الدولة اليهودية أو أنه غاية في حد ذاته. خيرية قاسمية، مواضيع في التاريخ العربي الحديث منذ نهاية الحكم العثماني وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين. شبكة المعرفة الريفية، د. ت، ص ٢٠.

(٤٤٢) صبحي العمري، المصدر السابق، ص ٢٦؛ سليمان موسى، الحركة العربية مسيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة (١٩٠٨-١٩٢٤)، دار النهار، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٦٢؛ عبد العزيز نوار، وثائق في تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠، منشورات جامعة بيروت، العربية، بيروت، د. ت، ص ٥٢٢-٥٤٧.

Clemencau كان قد زار لندن قبل عشرة أيام وعقد اجتماعاً مع رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج Lloyd George^(٤٤٣).

لم تكن هناك وثيقة مكتوبة عن ذلك الاجتماع، لكن سرد ذلك الحوار في مذكرات عدد من الساسة البريطانيين، فقد ذكر سكرتير وزارة الحرب البريطانية (موريس هانكي) Maurice Hankey، أن لويد جورج أطلعته على ما جرى في ذلك اللقاء من المعلومات التي كانت متطابقة تقريباً مع ما ورد في مذكرة بلفور بشأن اتفاقية سايكس-بيكو الذي سرد الحوار الذي دار في السفارة الفرنسية، أوضح فيه تنازل كليمنصو عن الموصل والقدس حينما طلبها لويد جورج، وقد عقب كليمنصو على تنازل الموصل بأن وزير خارجية فرنسا (استيفان بيشون) سيثير مشاكل بشأن ذلك^(٤٤٤).

حاول بلفور وزير الخارجية البريطانية في ذلك الوقت أن يطمأن الأمير فيصل بشأن النيات الفرنسية، وفي تلك اللحظة أكد لورنس مستشار الأمير فيصل وبصراحة أن البريطانيين لن يشنوا حرباً على فرنسا لمصلحته، وإذا ما أصرت فرنسا على مطالبتها، فإن البريطانيين سيدعون، وأشار لورنس على الأمير

فيصل بأن يسعى للحصول على الدعم الأمريكي، ولتحقيق ذلك فإن عليه أن يكسب مودة الصهاينة، ولا شك أن تلك المشورة هي التي أقنعت الأمير فيصل في اليوم نفسه، بالاجتماع مع الزعيم الصهيوني (حاييم وايزمن) Chaim Weizmann المقيم في مانشستر بريطانيا، وهو المهندس الأول لوعده بلفور، وفي ذلك الاجتماع طلب الأمير فيصل من وايزمن توضيح أهداف الصهيونية، فأخبره: "لأن اليهود يريدون من فيصل ومؤتمر السلام الاعتراف بالحقوق القومية التاريخية لليهود في فلسطين... وأن بريطانيا ستكون الراعية، وسيأخذ الإصلاح الزراعي الأرض من الأفندية وسيسمح التطور الاقتصادي السريع باستيطان أربع إلى خمس مليون يهودي، ويمكن بحث حدود فلسطين ومستقبل الأوقاف الدينية في وقت لاحق بعد التسوية السلمية، وتعهد بأن يحترم اليهود الأماكن الإسلامية المقدسة"^(٤٤٥)، أقر الأمير فيصل بأن هناك متسعاً من الأرض في فلسطين للشعبين، ووافق على

(٤٤٥) زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط

وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت، دار النهار، ١٩٧٧،

ص ٩٩؛ جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص ٥٩٣-٥٩٥.

(٤٤٣) باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤٤٤) المصدر نفسه، ص ١٣٩-١٤٠.

دعم المطالب اليهودية، لكنه أثر ألا يعلم والده أو أخاه زيد بهذه الحادثة^(٤٤٦).

غادر الأمير فيصل لندن متجهاً إلى باريس يوم ٩ كانون الثاني ١٩١٩م، وقد حضر افتتاح مؤتمر السلام رسمياً في ١٨ كانون الثاني، ونجحت بريطانيا في إكساب العرب مقعداً فيه، وفي يوم ٦ شباط العام نفسه بدأ النظر في القضية العربية رسمياً، وهنا تمكن الأمير فيصل من رفع مطالب البلاد في المؤتمر، المتمثلة برغبة الشعوب الناطقة بالعربية بالاستقلال والوحدة^(٤٤٧).

عمل الراغبون في إضعاف التماس الأمير فيصل للحصول على الاستقلال على تقديم شكري غانم وهو رجل نصراني يدعي الحديث نيابة عن النصاري بأن تمنح فرنسا انتداباً على سوريا المتحدة^(٤٤٨)، وكذلك

وصل وفد آخر إلى باريس يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩١٩م، ترأسه داود عمون وعدد من مختلف الطوائف، وقد أعدّ الوفد في ١٣ شباط العام نفسه مذكرة حدّد فيها مطالب اللبنانيين، وقد مثل داود عمون أمام المجلس وطالب بأن تسترجع لبنان حدوده التاريخية والطبيعية التي خسرها بسبب تعديات الأتراك، وأضاف أن الدولة التي يمكن أن توفر الحماية للبنان لا يمكن أن تكون إلا فرنسا^(٤٤٩).

أمام تلك التنافرات وجد الأمير فيصل نفسه محرجاً وتفاؤله في غير محله ورأى (ودرو ويلسون) Woodrow Wilson أن سوريا ستقسم بين فرنسا وبريطانيا، من دون موافقة أهلها، وقد تدخل الرئيس الأمريكي ولسون، وأكد أن المبدأ الذي تلتزم به حكومته هو موافقة الشعوب الحكومة على سيطرة حكم الدولة التي تستند عليها، وأصر على تشكيل

^(٤٤٦) نقلاً عن: باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٤٢؛ سعد سعي، المصدر السابق، ص ٤١٦.

^(٤٤٧) خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص ٩٣-٩٥؛ عبد العزيز قانصو، الحركة الفيصلية في لبنان وتطور الفكر السياسي خلال فترة ما بين الحربين ١٩٣٨-١٩٣٩، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، بيروت، ١٩٨٨، ص ٨٨.

^(٤٤٨) James Shot well, At the Paris Peace Conference, New York, 1937, P178;

وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٠٤.

^(٤٤٩) أنطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ١٦٣-١٦٤؛ حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢، ص ٦٥-٦٨؛ محمد علي القوزي، لبنان في ظل الانتداب الفرنسي ١٩١٨-١٩٤٣، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة القاهرة، ١٩٨٢، ص ٦٠.

الوفد الأمريكي برئاسة الدكتور (هنري كينغ) Henry King والسيد (تشارلز كرين) Charles Crane إلى السفر إلى سوريا لإعداد الدراسة المطلوبة^(٤٥١).

ولتدارك موقف الولايات المتحدة الأمريكية، اقترح رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو بأن الأمير فيصل هو الزعيم العربي الوحيد الذي باستطاعته أن يفتح السوريين بالقبول بالانتداب الفرنسي، وعلى ضوء ذلك عقد اجتماعاً مع الأمير يوم ١٣ نيسان ١٩١٩م أعرب فيه عن استعداده للاعتراف باستقلال سورية، لكنه أصرَّ على ضرورة انسحاب الجيش البريطاني منها لتحل محله القوات الفرنسية، وهو ما جعل الأمير فيصل يشك في نيات الفرنسيين ويتردد، إذ طلب رئيس الوزراء من الأمين العام للمفوضية الفرنسية العليا في بيروت (روبير دو كاي) Robert du Cay متابعة المفاوضات مع الأمير فيصل لإيجاد صيغة تفاهم معه^(٤٥٢).

عقد دو كاي اجتماعين متتاليين يومي ١٥-١٦ نيسان مع الأمير فيصل خرج في النهاية برسالة موقعة

لجنة للنظر في رغائب سكان المنطقة، وفي محاولة يائسة لتجنب التقسيم، دعا الأمير فيصل إلى إرسال لجنة تحقيق دولية للنظر في رغبات السكان، ولم يخرج الأمير فيصل بأي مكسب سوى الموافقة على تشكيل اللجنة^(٤٥٠).

٢- لجنة كينغ- كرين

في محاولة لإقناع العالم أن مؤتمر السلام بذل ما بوسعه لإيجاد أفضل أساس علمي للوصول إلى تسوية، لبى الاقتراح الذي تقدم به الرئيس ويلسون في ٢٠ آذار ١٩١٩ أن تزور لجنة مشتركة من الحلفاء سوريا، للاطلاع على الرأي العام والتعرف على المنطقة التي ستحاول العمل عليها أية قوة منتدبة، ورأى الرئيس الأمريكي أن مثل تلك اللجنة المؤلفة من أعضاء ليس لهم صلة سابقة بسوريا ستقنع العالم بعدالتها، وافق المجلس الأعلى على اقتراح الرئيس الأمريكي يوم ٢٥ آذار ١٩١٩، لكن فرنسا رفضت تعيين ممثلين لها في اللجنة وانسحبت منها بريطانيا أيضاً رغبةً منها في أن تؤمن لنفسها حرية الحركة في فلسطين، لذلك عمد

(٤٥٠) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣-١٩٥٢، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٥-٦٨؛ وفاء الطفيلي، موقف اللبنانيين من الكيان اللبناني ١٩٢٠-١٩٤٣، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بيروت العربية، كلية الآداب، ٢٠٠٩، ص ٢٢-٢٣.

(٤٥١) غالب العياشي، الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سوريا، مطبعة اشقر إخوان، بيروت، ١٩٥٥، ص ٢٥.

(٤٥٢) عبد العزيز قانصو، المصدر السابق، ص ٨٩.

من رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو موجهة إلى الأمير فيصل تعترف بحق سورية بالاستقلال على شكل " اتحاد فدرالي من دول تتمتع محلياً بالاستقلال الذاتي" بحسب رغبة السكان، وأنها مستعدة لتقديم المساعدة المادية والمعنوية لها، مقابل ذلك اعترف الأمير فيصل بأن فرنسا هي الدولة المؤهلة لكي تقدم لسورية المساعدة في مختلف الميادين بواسطة مستشاريها^(٤٥٣).

تردد الأمير فيصل في قبول ما ورد في الرسالة، وعدها غامضة، وبسبب ذلك التردد طلب منه دوکاي أن يقدم بنفسه اقتراحاته، فوجه الأمير رسالة يوم ١٩ نيسان إلى رئيس الوزراء الفرنسي ترجمها إلى اللغة الفرنسية سكرتير الأمير فيصل السيد عبد الهادي عوني، جاء فيها: "إنَّ الأمة السورية تطلب من الحكومة الفرنسية ومن الحكومات الأوربية كافة ومن الولايات المتحدة الأمريكية الاعتراف باستقلالها التام على شكل ديمقراطي فدرالي طبقاً لرغبات السكان وتنتظر الأمة السورية من الإدارة الفرنسية الدعم للحصول على استقلالها، وهو ما سيزيد من نفوذ فرنسا المعنوي في سورية وينمي مصلحتها"^(٤٥٤).

عاد الأمير فيصل إلى سوريا في نهاية نيسان ١٩١٩، وكان الرأي العام المحلي أكثر صلابة ضد الخطط الصهيونية تجاه فلسطين والاحتلال الفرنسي لسوريا، وبدأ عدد من السكان يتأسفون على رحيل النظام العثماني المسلم، واتهموا الأمير فيصل ببيع فلسطين لليهود، وفي حينها وجد الأمير فيصل نفسه محرجاً غاضباً، فوجه خطاباً إلى الشعب طلب من الأمة العربية أن تثق به وتقف إلى جانبه لتجاوز التحديات، وكان لذلك الخطاب التأثير في كسب تأييد العديد من الوجهاء وأبناء الشعب^(٤٥٥).

تلقي العرب نبأ قرار مؤتمر السلام في باريس بوضع الولايات العربية العثمانية السابقة تحت الانتداب الفرنسي بغضب وخوف، وفي ٢٨ نيسان ١٩١٩ وافق المؤتمر على ميثاق عصبة الأمم الذي تنص الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) فيه على الاعتراف باستقلال عدد من البلاد اعترافاً مؤقتاً^(٤٥٦).

(٤٥٥) للتفاصيل عن خطاب الأمير فيصل ينظر: حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي والفيصلي والانتداب الفرنسي ١٩١٥-١٩٤٦، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤٨-٥٨.

(٤٥٦) ليز ستيوارت أرسكين، المصدر السابق، ص ١٢؛ أمين سعيد، المصدر السابق، ص ٢٩٤-٢٩٥ خالد العظم، مذكرات خالد العظم، بيروت، ١٩٧٣، ج ١، ص ١٠٦.

(٤٥٣) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٨١؛ حكمت البير حداد، لبنان الكبير، بيروت، ١٩٨٧، ص ٩١.

(٤٥٤) أنطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ١٥٩.

قُبِلَ نظام الانتداب إجراءً وسطاً بين الاستقلال القومي، والاستعمار الأوروبي، ووصلت لجنة كنيغ-كرين إلى يافا يوم ١٠ حزيران ١٩١٩، وأجرت استفتاءات في فلسطين وسوريا وزارت عدداً من البلدات واجتمعت بسكان القرى، وبعد عشرة أيام من وصولها، أرسلت مذكرة إلى الرئيس الأمريكي ويلسون تقول أن فلسطين على وشك الانفجار، وأنه سيكون هناك حاجة إلى جيش قوامه ٥٠ ألف جندي لفرض الخطط الصهيونية بالقوة ضد إرادة السكان المحليين، وبسذاجة تصور العرب أن بوسعهم الاعتماد على الدعم الأمريكي^(٤٥٧).

وصلت اللجنة إلى دمشق يوم ٢٤ حزيران العام نفسه، وبعد أربعة أيام من وصولها، أبحر ويلسون عائداً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد رفض مجلس الشيوخ الأمريكي معاهدة فرساي وانسحبت الولايات المتحدة الأمريكية من مؤتمر السلام، وبذلك أصبح موقف الأمير فيصل ضعيفاً أكثر من قبل لاعتماده على الولايات المتحدة الأمريكية لوضع حل للمشكلة التي يعاني منها في عدم مصداقية حلفائه البريطانيين والفرنسيين، وأمام شعبه ولاسيما القوميين منهم^(٤٥٨).

أوجدت أنشطة لجنة كنيغ-كرين موجة من التصلب في الآراء في دمشق، وحرص ناشطو جمعي الفتاة والعهد على الدعوة إلى عقد المؤتمر السوري العام في تموز ١٩١٩ بغية صياغة مطالبهم وتقديمها إلى اللجنة، وأنضم نشطاء من لبنان وفلسطين إلى رفاقهم في سوريا، وشارك حزب الاستقلال العربي في الإعداد للمؤتمر، وعقد المؤتمر يوم ٢ تموز، وطالب المشاركون باستقلال سوريا السياسي التام، ورفضوا الاعتراف بأي حق تطالب به الحكومة الفرنسية وأي جزء من البلاد السورية، ورفضوا قبول مساعدة فرنسا تحت أي ظرف من الظروف وفي أي مكان، وعارضوا مزاعم الصهيونية في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود^(٤٥٩).

رأت اللجنة أن تنفيذ الخطة الصهيونية المتطرفة ستزيد من العداء الفلسطيني لليهود، ولاحظت أن العرب في الشرق لا يرغبون بالوجود الفرنسي بأي شكل، وهناك سبب كبير للاعتقاد أن محاولة فرض انتداب فرنسي سيؤدي إلى قيام حرب بين العرب والفرنسيين، وإذا كان لابد من القبول بالانتداب،

(٤٥٩) حسان حلاق، مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، الدار

الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٣٦، ص ١٠٠.

(٤٥٧) صبحي العمري، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٤٥٨) المصدر نفسه، ص ٩١.

فالسوريون يطالبون بالانتداب الأمريكي، وإذا تعذر ذلك فبالانتداب البريطاني^(٤٦٠).

قدمت اللجنة تقريرها إلى الوفد الأمريكي في باريس في ٢٨ آب ١٩١٩م، تضمن نقاطاً عدة أبرزها، وحدة سورية الكبرى وحكم ذاتي واسع للبنان، وإيصال الانتداب السوري للولايات المتحدة الأمريكية، أو لبريطانيا، والإيصال إلى فرنسا بالانتداب على لبنان، إذ طالب بها أغلب السكان وتحديد مدة الانتداب ليتسنى للسكان الحصول على الاستقلال^(٤٦١).

قرّر الأمير فيصل الذهاب إلى لندن في محاولة للتأثير على الوضع واستعادة سلطته، إذ وصل إلى مرسيليا يوم ١٨ أيلول ١٩١٩م، ومن ثم سافر إلى باريس ومنها إلى لندن التي وصلها في اليوم التالي وقابل رئيس الوزراء لويد جورج ومعه (اللورد كيرزن) Lord Curzun، والمارشال اللوبي في مقر رئيس الوزراء، لكن المفاجأة التي تلقاها الأمير فيصل، أن بريطانيا اتخذت قراراً بسحب قواتها من سوريا وكيليكيا ابتداءً من ١ تشرين الثاني ١٩١٩، تحت ضغط تزايد الأعباء في إيرلندا، والهند ومصر،

واضطارارها للتعامل مع أعمال التمرد في الجيش على أثر تسريح القوات ما بعد الحرب، وكان المنتظر أو المقترح أن تحل محلها القوات الفرنسية في المنطقة الغربية، والقوات العربية في المنطقة الداخلية السورية^(٤٦٢).

وفي أثناء وجوده في لندن يوم ١٩ أيلول ١٩١٩، اتصل به حاييم وايزمن، وعرض عليه تقديم أموال وخبراء للحكومة العربية وإقناع الفرنسيين بالتخلي عن إدعائهم في سوريا مقابل تحقيق حلم اليهود في السيطرة على فلسطين، لكن الأمير فيصل رفض العرض، وأكد على ضمان حقوق وحرية اليهود في دينهم وثقافتهم مع الهجرة المنظمة على ألا يكونوا إلا فئة موجودة في أرض الدولة العربية^(٤٦٣).

تأخر وصول تقرير اللجنة إلى البيت الأبيض حتى يوم ٢٧ أيلول، وبعد ذلك أصيب الرئيس ويلسون بسكتة أصابته بالشلل، فوضع التقرير على الرف، ولم تعره الولايات المتحدة الأمريكية أو القوة الأوروبية أي اهتمام، عندها أصيب الأمير فيصل بخيبة أمل، فقد

^(٤٦٢) صبحي العمري، المصدر السابق، ص ٩٩.

^(٤٦٣) رستم حيدر، مذكرات رستم حيدر، ترجمة وتحقيق: نجدة فتحي صفوة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٧؛ علي سلطان، تاريخ سورية، حكم فيصل بن الحسين، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧، ص ٢٠١.

^(٤٦٠) مختارات من رسائل لورانس، ترجمة: عبد المنعم الناصر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٩٥.

^(٤٦١) أنطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ١٧٠-١٧١؛ أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

كان يأمل باتداب أمريكي، أو بمساعدة أمريكية على الأقل في صد الفرنسيين والصهاينة، وشعر البريطانيون بخيبة أمل أيضاً لأنهم كانوا يأملون في أن تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من كبح الأطماع الفرنسية في سوريا^(٤٦٤).

على أثر وصول الأخبار إلى دمشق عن قرار الانسحاب البريطاني من سوريا، تصاعدت الأصوات المطالبة بمقاومة الفرنسيين، فشكّلت لجنة للدفاع الوطني تزعمها كامل القصاب وعبدالرحمن الشهبندر، لتجنيد المتطوعين وجمع الأغذية والمال والسلاح لعمليات المقاومة غير النظامية، وحرص ياسين الهاشمي رئيس أركان الجيش القوات العربية على تجنيد قوة من ١٢ ألف مقاتل، الأمر الذي دفع الجنرال اللنبي إلى اعتقاله، وعزلت المساعدات البريطانية المقدمة إلى حكومة الأمير فيصل^(٤٦٥).

كان القوميون في سوريا يتابعون الأخبار في الدولة العثمانية وما تحقّقه الثورة القومية التركية من نجاحات، بقيادة مصطفى كمال، فتعالت الأصوات للانضمام إلى الكماليين بدلاً من الإذعان للمحتل الأوربي المخادع،

^(٤٦٤) ستيفن همسلي لونغرين، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة: بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، د.ت، ص ١١٩-١٢٠.

^(٤٦٥) صبحي العمري، المصدر السابق، ص ١٠٢.

وسرت إشاعات بأن مصطفى كمال اتصل بحكومة دمشق، وأن الأمير زيد أرسل دعماً مالياً للمهاجرة الفرنسيين في كيكيليا^(٤٦٦).

في ظل تلك الظروف وجد الأمير فيصل نفسه ملزماً باتخاذ أحد الخيارين الأول التفاوض مع الفرنسيين والثاني وهو ما يدفعه إليه القوميون قيادة ثورة مسلحة ضدهم، لكن الأمير فيصل كان يدرك أن الخيار الثاني هو خيار متهور وقد تكون نتائجه سلبية ولا يحمّد عقباها على الشعب العربي في سوريا، لأن وضعه العام كان بائساً فالخزينة خاوية، والجيش لم يكن بالحجم الذي يمكن عن طريقه مقاومة القوات الفرنسية فمقاتليه لا يتجاوز عددهم عن (٧٠٠٠) مقاتلاً، وبضعة آلاف من الجياد وعدة مئات من مركبات التنقل، فوجد الخيار الأول هو الأنسب للتفاوض مع الفرنسيين^(٤٦٧).

خامساً: اتفاقية فيصل-كليمنصو

توجه الأمير فيصل إلى باريس يوم ٢٩ تشرين الأول ١٩١٩ واجتمع بجورج كليمنصو، وكان رأي رئيس الوزراء الفرنسي الشخصي هو معارضة التوسع الفرنسي في الشرق، ولم يكن من المشجعين لسياسة الأقليات القائمة على استعمال العملاء والإقليميين في

^(٤٦٦) باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٤٩.

^(٤٦٧) صبحي العمري، المصدر السابق، ص ١٠٤.

الخارج، ولديه قناعة بأن على فرنسا أن ترسم سياسة عربية قابلة للبقاء، وكان يميل إلى التفكير بأن على فرنسا تأييد الحركة القومية العربية، بعد أن ساعدتهم في التحرر من العثمانيين، ويجد أن تلك هي الطريقة الأمثل لحماية المصالح الفرنسية في المشرق^(٤٦٨).

واجهت تلك الآراء معارضة من أعضاء في البرلمان الفرنسي، ولتدرك مشكلة التصادم عمل على إرسال الجنرال (غورو)^(٤٦٩) Gouraud رجل فرنسا العسكري يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩١٩ ليحل محل فرنسوا جورج بيكو مفوضاً سامياً في بيروت، ومنح غورو لقي القائد العام للجيش الفرنسي في الشرق والمندوب السامي في سوريا ولبنان وكيليكيا، وفي يوم ٢١ تشرين الثاني وصل غورو إلى لبنان فلقى ترحيباً كبيراً من النصاري، أما في دمشق فقد خرجت تظاهرات حاشدة ضد وصوله، وواجه في حينها

(٤٦٨) أطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٤٦٩) هنري جوزيف اوجين غورو: ولد في باريس عام ١٨٧١، التحق بالجيش الفرنسي عام ١٨٩٠، عمل في شمال أفريقيا، اشترك في الحرب العالمية الأولى، تولى قيادة الجيش الرابع من الجبهة الفرنسية عام ١٩١٥، عين مفوضاً وقائداً للجيش في المشرق في سوريا عام ١٩١٩م. ينظر: سليم حسين ياسين، فرنسا ونشاطات الحركة العربية ١٩١٣-١٩٢٠، مجلة ميسان، جامعة ميسان، كلية التربية، مج ٧، العدد ١٣، ٢٠٠٨، ص ٣٧.

الأمير زيد، ونوري السعيد صعوبة في الحفاظ على النظام في المدينة^(٤٧٠).

أتهم الأمير فيصل فور وصوله إلى دمشق يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٢٠ بالخيانة لاسيما من قبل القوميين الذين عرفوا بشروط العرض الذي تلخص باعتراف فرنسا بحق الشعوب الناطقة باللغة العربية من الطوائف التي تعيش في الأراضي السورية كلها بالاتحاد معاً لحكم نفسها مستقلة، وفي حينها الزم الأمير فيصل بالاعتراف بأن للسكان السوريين مصلحة في طلب مساعدة المستشارين الفرنسيين لتحقيق وحدتهم، ومن حقهم اختيار الشركات العاملة في سورية، وكان الرأي العام رافضاً لأية تسوية مع فرنسا، حتى أن الأمير فيصل لم يجرؤ على الاعتراف بأنه وقع اتفاقية مؤقتة مع كليمنصو، ولم تعد مسألة عودته إلى باريس مسألة واردة في حينها، ولم يكن لديه استعداد في دمشق لقبول تقسيم سوريا، أو استقلال لبنان، أو وطن قومي لليهود في فلسطين أو فرض أي شكل من أشكال الرعاية الأجنبية^(٤٧١).

حاول الأمير فيصل الصمود في وجه مناوئيه ألقى خطاباً في النادي العربي بدمشق يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠، دافع فيه عن سياسته، ولم يحقق خطاب

(٤٧٠) ستيفن همسلي لونغريج، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٤٧١) باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٥١.

على الأقليات التابعة، الموالية في جبل لبنان، والعلميين والدروز^(٤٧٣).

١- المؤتمر السوري العام

جاء قرار حكومة الأمير فيصل في عدم السماح للفرنسيين باستعمال سكة حديد رياق_ حلب في شباط ١٩٢٠، لمنع إرسال التعزيزات والمؤن إلى القوات الفرنسية التي تحارب القومين الأتراك بقيادة مصطفى كمال في كيليكيا، إذ حوصرت المعازل الفرنسية وهزمت، الأمر الذي لا يسامح فيه غورو الذي أجبر على إرسال المؤن والتعزيزات عن طريق البحر، وهو ما كلف الفرنسيين وأبطأ وصعبَ عملية الإمداد للقوات الفرنسية^(٤٧٤).

أمام تلك التحديات طالب عدد من القوميين الأمير فيصل بإعلان الحرب على فرنسا، وفي محاولة من الأمير فيصل تهدئة الرأي العام، استبدل رئيس الوزراء علي رضا الركابي وعيّن بدلاً عنه هاشم الأتاسي الأكثر شعبية الذي آلف حكومته في ٣ أيار ١٩٢٠ ودخل فيها خصوم فرنسا المتشددين، فعين يوسف

الأمير فيصل مبتغاه، فسرعان ما ازداد الضغط عليه، فاستسلم للتيار القومي الذي كان على استعداد لمواجهة الفرنسيين بقوة السلاح، إذ استعمل أعضاء جمعيتي الفتاة والعهد الذين يسيطرون على إدارة حكومة الأمير فيصل السبل المتاحة كلها لمنع مثل تلك النتيجة، وقد رأى الأمير فيصل أنهم مخطئون، لكن لم يكن لديه أي خيار سوى الموافقة على رغباتهم، الأمر الذي زاد من صرامة موقفه ورود الأخبار من باريس بأن كلمنصو أُحيل على التقاعد وانسحب من الحياة السياسية^(٤٧٥)، وحل محله (الكسندر ميلران) Alexander Millerand، القريب من روبير دو كاي، وكانت سياسته تهدف إلى إضعاف الحكومة الوطنية في دمشق، عن طريق تقسيم سوريا إلى مناطق عدة تتمتع بالحكم الذاتي، على أن يعتمد نفوذ فرنسا

^(٤٧٦) كان سن كلمنصو يقترب من الثمانين، وقد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية الفرنسية، لكن هزم أمام بول دوشانيل (Poul Degchanel)، فاستقال من منصبه رئيساً للوزراء وحل محله الكسندر ميلران وهو سياسي قريب من الحزب الاستعماري المتحدث باسمه الأمين العام للمفوضية الفرنسية العليا في بيروت روبير دو كاي داعياً سيء السمعة وخبيراً في شؤون شمال أفريقيا. للتفاصيل ينظر: باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٥٢.

^(٤٧٣) ستيفن همسلي لونغريغ، المصدر السابق، ص ١٠٨-١٠٩.

^(٤٧٤) تمارا الشلي، شعبة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانية

١٩١٨-١٩٤٣، تقديم: منذر محمود جابر، دار النهار، بيروت،

٢٠١٠، ص ١٦٠-١٦٢؛ علي سلطان، المصدر السابق،

ص ٣٣-٣٤.

العظمة وزيراً للحربية، وعبدالرحمن الشهبندر وزيراً للخارجية، فأعلنت الحكومة الجديدة خدمة العلم، وهاجمت مجموعات غير نظامية القوات الفرنسية في شمال المنطقة الساحلية وأوقفوا في صفوفهم عدد من القتلى، وهاجمت قرى النصارى التي تعد معقل عسكرية فرنسية في جبل لبنان^(٤٧٥).

عقد القوميون العرب المؤتمر العربي برئاسة هاشم الأتاسي، يوم ٦ آذار ١٩٢٠، وفي اليوم التالي عقد جلسته الثانية التي اتخذ المؤتمر فيها قرار استقلال سوريا بمحدودها الطبيعية، وتشمل المنطقة الداخلية والساحلية وفلسطين والأرض الواقعة شرقي الأردن ولبنان، ورفض المؤتمر مشروع الوطن القومي لليهود في فلسطين ونادى بالأمير فيصل ملكاً على سوريا، هنا أدرك الأمير فيصل أن ذلك القرار سيدفع الفرنسيين إلى استعمال القوة، فحاول إقناع القوميين، ولكنه أخفق في ثنيهم عن قرارهم، لتساعد التيار المعادي للتواجد الفرنسي، وأظهر اختيار فيصل ملكاً مقدار ضعفه بدلاً من تدعيم سلطته^(٤٧٦).

^(٤٧٥) جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص ٤١٩-٤٢٠.

^(٤٧٦) للمزيد من التفاصيل بشأن قرارات المؤتمر ينظر: صبحي العمري، المصدر السابق، ص ١١٢-١١١؛ غالب العياشي، المصدر السابق، ص ٥٥؛ حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٨٨.

وعلى أثر تلك التطورات جاء الرد الفرنسي سريعاً، فأرسلت التعزيزات العسكرية، وأمر رئيس الوزراء الكسندر ميلران، والجنرال غورو إبلاغ فيصل أن الحكومة الفرنسية لن تعترف بحق المؤتمر السوري في دمشق في تقرير مصير الأرض العربية وأنه والحكومة البريطانية مضطران لإعلان قرارات المؤتمر باطلة لاغية، وعلى أثر ذلك قرّر المجلس الأعلى للحلفاء ويتكون من لويد جورج وميلران وزملائهما، عقد اجتماع في سان ريمو على الريفيرا الإيطالية ٢٤-٢٥ نيسان ١٩٢٠ ودعوا الأمير فيصل للحضور^(٤٧٧).

٢- مؤتمر سان ريمو San Remo

قرّر المجلس الأعلى للحلفاء يوم ٢٦ نيسان ١٩٢٠ في سان ريمو مصير الأراضي العربية في غياب أي ممثل عربي، وفي تجاهل تام لرغبات السكان المحليين، بوضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني، وينبغي على الدولة المنتدبة على فلسطين أن تنفذ وعد بلفور الذي يهدف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وفي المناسبة نفسها، وقع ممثلو بريطانيا وفرنسا على اتفاق عام بشأن النفط تعهدت فيه بريطانيا بإعطاء

^(٤٧٧) أنطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ٢٠٦؛ سمير قصير،

تاريخ بيروت، ترجمة: ماري طوق غوش، دار النهار، بيروت،

فرنسا (٢٥%) من نفط العراق مقابل تخلي باريس عن منطقة الموصل النفطية^(٤٧٨).

واجه الأمير فيصل حملة من الانتقادات وعدوه أضعف من أن يتصدى للآزمة المتصاعدة مع فرنسا، وطلب بعضهم أن يتخلى عن لقبه ملكاً ويتصرف كقائد ثورة حقيقي، وفي ٢٢ حزيران ١٩٢٠ التقت مجموعة من الشباب الثائرين في بيت البكري في دمشق القديمة، وهناك قرّروا الاستعداد للقتال ضد الفرنسيين، وطلب رياض العلي أحد الشباب المشاركين من والده رضى الفتح وزير الداخلية تقديم الاستقالة، فقدم استقالة، وبدت الحكومة بأنها بقيادة القومية، إذ انتقلت السلطة في دمشق إلى القوميين الأكثر تشدداً، بسبب السياسة التي أتبعها الحلفاء في سان ريمو، وفي المقابل تشددت السلطات الفرنسية في باريس وبيروت، وأصبحت عازمة على إنهاء نظام حكم الأمير فيصل العربي بالقوة العسكرية، وهكذا وصل الأمر إلى الصدام الحتمي^(٤٧٩).

جاءت الفرصة مؤاتية للقوات الفرنسية حينما تمكن روبر دو كاي من التوصل إلى هدنة مع مصطفى

كمال، فتوجه لفرض سيطرته على المنطقة، وفرض نظام الانتداب في سوريا، وفي محاولة بائسة، أعلن الأمير فيصل في ٩ تموز ١٩٢٠ بأنه ينوي السفر إلى أوروبا لعرض قضيته أمام مؤتمر السلام، لكن حينما ذهب نوري السعيد إلى بيروت للإعداد لرحلته، أخبره غورو بشروط الإنذار الذي أبلغ رسمياً إلى الحكومة السورية في ١٤ تموز ١٩٢٠ الذي تضمن خمسة شروط ينبغي الموافقة عليها خلال أربعة أيام، وهي: (الموافقة على الانتداب الفرنسي، وإلغاء التجنيد وخفض عدد الجيش السوري إلى المستوى الذي كان عليه عام ١٩١٩، وحق القوات العسكرية الفرنسية المطلق باستعمال سكة حديد رفاق_ حلب واحتلال مدينة حلب، وإدخال عملة ورقية سورية مرتبطة بالفرنك الفرنسي، يصدرها بنك سوريا ولبنان الذي يسيطر عليه الفرنسيون، ومعاقبة كل المجرمين بارتكاب أعمال عدائية ضد فرنسا^(٤٨٠)).

على أثر تلك الشروط عمت التظاهرات شوارع دمشق، إلا أن غورو نشر نحو (٨٠) ألف جندي في سهل البقاع وحده، تدعمهم الدبابات والمدفعية والطائرات، وأمام التشدد الفرنسي، نصح أعضاء الحكومة السورية الأمير فيصل بقبول الإنذار باستثناء

^(٤٧٨) أنطوان الحكيم، المصدر السابق، ص ٢٠٧-٢٠٨؛

مختارات من رسائل لورنس، المصدر السابق، ص ١١٣.

^(٤٧٩) نقلاً عن: باتريك سيل، ص ١٥٦؛ أنطوان الحكيم، المصدر

السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

^(٤٨٠) ينظر: صبحي العمري، المصدر السابق، ص ١٢١-

١٢٢.

يوسف العظمة الذي أصر على المقاومة المسلحة، وقدم النبي نصيحته إلى الأمير فيصل لقبول الإنذار الفرنسي، وفي ٢٠ تموز قبل الأمير فيصل شروط غورو وشرع في تنفيذها، فسرّح عدد من وحدات الجيش، وصرف المؤتمر السوري العام، وحينما واجه كامل القصاب ومجموعة من أعضاء لجنة الدفاع الوطني الأمير فيصل بغضب، أمر بحبسهم في سجن القلعة، وخرجت الجماهير الغاضبة تطالب بقتل الأمير فيصل، ودخلت إلى القلعة ونهبت المخازن والأسلحة وأطلقت سراح كامل القصاب وزملائه، وتمكن الأمير زيد بمساعدة ياسين الهاشمي وعدد من القوات الموالية من إخماد التمرد، لكن عدد القتلى والجرحى كان كبيراً^(٤٨١).

اللبنانية، أسفرت عن إرجاء إضافي مقابل مطالب فرنسية جديدة، أبرزها إقامة بعثة فرنسية في دمشق للأشراف على تنفيذ الإنذار وتهديد الطرق لإقامة نظام الانتداب^(٤٨٣). عاد ساطع الحصري إلى دمشق وهو على قناعة تامة بأن الفرنسيين مصممون على احتلال البلاد بصرف النظر عما يقوله الأمير فيصل، وفي حينها أدرك الأمير أن تقدم أي تنازلات أخرى من جانبه سيؤدي إلى إثارة حرب أهلية وأزاحته فوراً عن السلطة، وفي الوقت نفسه وصلت القوات الفرنسية إلى ميسلون على بعد ٤٠ كم من دمشق، إذ يعسكر جيش سوري صغير قوامه (٦٠٠) جندي نظامي و(٢٤٠٠) متطوع، ووقع الصدام غير المتكافئ من حيث التسليح والعدة والعدد بين الطرفين، في صبيحة يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠، وفي غضون ساعات حسمت المعركة لصالح القوات الفرنسية، وسقط وزير الحربية يوسف العظمة شهيداً وخسرت القوات سورية خسائر جسيمة في الأرواح، ولتجنب استمرار المذبحة، أعلن الأمير فيصل مدينة

لم تصل برقية إنذار إلى غورو في الوقت المناسب، وادعى الفرنسيون إن التأخير نتج عن تدخل القوميين في دمشق، فاستأنفت القوات الفرنسية تقدمها، وفي محاولات يائسة أجريت مجموعة من المفاوضات بين ساطع الحصري^(٤٨٢) والضباط الفرنسيين في بلدة عالية

(٤٨١) باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٤٨٢) ساطع الحصري: ولد عام ١٨٧٩ في صنعاء باليمن، عين وزيراً للمعارف في حكم الأمير فيصل بدمشق، فاوض الجنرال غورو قبل معركة الميسلون، خرج من سوريا مع الأمير فيصل إلى العراق، تولى شؤون المعارف والثقافة في حكم الملك فيصل

الأول. توفي عام ١٩٦٨. ينظر: أبو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، بيروت، ٢٠٠١، ص ٨١.

(٤٨٣) ساطع الحصري، يوم ميسلون، دار الاتحاد، بيروت، ١٩٤٥، ص ١٢١-١٣١.

دمشق مدينة مفتوحة، مما سمح للقوات الفرنسية دخولها في ٢٥ تموز من دون مقاومة، وفي غضون أيام سقطت سوريا تحت الاحتلال العسكري الفرنسي^(٤٨٤).

انسحب الأمير فيصل إلى الكسوة على مشارف دمشق، وفي محاولة أخيرة حاول التوصل إلى تفاهم مع الفرنسيين، وقبل مغادرته دمشق، شكّل حكومة برئاسة علاء الدين الدرزي، وهو شخص مسلم، اعتقاداً منه أن الفرنسيين قد يقبلون به، لكن وفي يوم ٢٧ تموز ١٩٢٠ أبلغ الأمير بأن الفرنسيين يصرون على مغادرته للبلاد فغادر المدينة مع أتباعه ووصل إلى درعا في ٢٨ تموز ١٩٢٠، ومن ثم إلى حيفا ومن هناك إلى أوروبا^(٤٨٥).

وتبعه القوميون الذين لا يرغبون في البقاء في دمشق تحت الاحتلال الفرنسي فغادروا على متن

^(٤٨٤) منير المالكى، من ميسلون إلى الجلاء، سيرة سياسية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١، ص ٩٣؛ صبحي العمري، المصدر السابق، ص ١٦٥-١٦٦؛ علي سلطان، المصدر السابق، ص ٣٨١.

^(٤٨٥) حكمت فريجات، المصدر السابق، ص ٢٥٠؛ عبد العزيز إبراهيم، نجديون وراء الحدود (العقيلات)، ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق، وبلاد الشام، ومصر (١٩٥٠-١٩٥٠)، دار الساقى، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٣٤.

القطار إلى درعا ثم إلى حيفا، وفي ٢٩ آب ١٩٢٠، أصدرت محكمة عسكرية فرنسية في دمشق حكماً بالإعدام غيابياً على نحو عشرين منهم بتهمة دعمهم لنظام الأمير فيصل، وتفرقوا وعدد منهم سافروا إلى القاهرة وآخرون إلى شرق الأردن^(٤٨٦).

الخاتمة

بعد إنجاز البحث تم تحديد عدد من الاستنتاجات المهمة ضمن سياق الأحداث، وهي:-

١. كان الأمير فيصل بن الحسين هو الشخص المناسب من وجهة نظر الدول الأوربية، ولاسيما بريطانيا ليكون نداً في مواجهة الجيش العثماني، لما يتحلى به من نسب هاشمي عريق ومكانة أهله لذلك، ليتسنى زمام قيادة الثورة ومطاردة الجنود العثمانيين.

٢. عدّ موقف الأمير فيصل خيانة من وجهة نظر الدولة العثمانية، وذلك لوقوفه إلى جانب بريطانيا.

٣. عدّ موقف الأمير فيصل خدمة للقضية العربية من وجهة نظر المناهضين للدولة العثمانية.

٤. كان هدف الأمير فيصل والقوميين العرب تشكيل حكومة عربية وطنية تخرج من رحم العرب بعيداً عن كل تدخل يريد المساس بوحدتها.

^(٤٨٦) باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٦٢-١٦٣.

٥. يعدّ لقاء الأمير فيصل مع اليهود في مؤتمر السلام بمشورة لورنس لتسهيل التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تعد آنذاك راعيةً لحريات الشعوب واستقلالها .
٦. وافق الأمير فيصل على إيجاد وطن لليهود في فلسطين وفق شروط معينة، إلا أن عدم التزامهم أدى إلى تحوله إلى موقف المعارض، وهو موقف يثير الشكوك والتساؤلات .
٧. تخلى البريطانيون عن التزاماتهم التي قطعوها للأمير فيصل، وغلبوا مصالحهم الاستعمارية بالاتفاق مع فرنسا، وذلك ما أكدّه لورنس للأمير فيصل بأن لا يتبادر إلى ذهنه ولو للحظة أن بريطانيا سوف تدخل أو تخوض حرباً من أجل القضية العربية .
٨. بدت الضغوط الاستعمارية كبيرة على الأمير فيصل الذي كان رجلاً قومياً أراد حل القضية العربية، لكن الظروف السياسية المحيطة به أجبرته على التفاوض والتنازل عن عددٍ من الحقوق العربية .
٩. ساعد القوميون العرب الأمير فيصل في تشكيل الحكومة وتهبئة الأجواء لتنفيذ الخطط لإقامة دولتهم التي حلموا بأن ينعموا فيها بالحرية، ولذلك لم يساموا على الحقوق التي أراد الاستعمار سلبها منهم .
١٠. وضع الأمير فيصل بين موقفين، إمّا الاستجابة للضغوط الاستعمارية ومعناها التخلي عن بلاد الشام، والنتيجة سوف يتم اتهامه بالخيانة الكبرى للقضية العربية، أو الوقوف بجانب القومين لاتزاع الحقوق التي أرادت فرنسا بمساعدة بريطانيا انتزاعها من العرب، وذلك الأمر يتطلب التضحيات الكثيرة، بسبب عد تكافؤ الطرفين، وكان يدرك حجم الخسائر التي سوف تكون في الجيش حين المواجهة، لكن كانت تبيجتها معركة ميسلون .

دول المواجهة العربية ومواقفها من سياسة مصر عام ١٩٧٧

أ.م.د. بدياء سالم صالح

الملخص

بدأت الأمور في مصر تأخذ منحى آخر، لا سيما بعدما شهد الاقتصاد المصري تدهوراً ملحوظاً، وأخذت ميزانية الحكومة المصرية تعاني من تآكل شرعيتها تدريجياً نتيجة ارتفاع الأسعار، عندها شعر الرئيس السادات أن مصر أصبحت في وضع لا يحسد عليه، ولا بد من إيجاد حل للخروج من الأزمة، ولكي يسترجع الرئيس السادات ثقته بالشعب المصري، ويصرف النظر عن مشكلات بلاده الداخلية كان لا بد من التوجه نحو السلام مع (إسرائيل)، لأن السلام كما قال الرئيس السادات هو المفتاح إلى مستقبل أفضل لمصر، وأن السلام سيكون بداية حقبة للنهوض الاقتصادي لمصر، أدرك الرئيس المصري أن قدرة الإدارة الأمريكية بالضغط على (إسرائيل) محدودة جداً، لأن (إسرائيل) تحظى بتأييد الكونغرس قلباً وقالباً، والكونغرس هو القاعدة الأساسية في صنع القرار الأمريكي، والواقع أن الرئيس السادات توصل إلى قناعة تامة أنه لا مفر له ولبلاده من اتخاذ أحد الأمرين، فكان أمامه إما القبول بالوضع الراهن والتعايش معه، وأما الاتصال المباشر مع (إسرائيل) لبحث القضية من جديد وقد فضل الذهاب إلى (إسرائيل) والتفاوض المباشر معها، أثارت زيارة الرئيس السادات إلى القدس أصداً متعددة الأبعاد في العالم العربي، تراوحت بين اتهامه بالخيانة العظمى أو التهور الأحمق، وبين التحفظ والصمت المشوب بالذهول، وعلى الساحة العربية عموماً غطى الحزن والألم العميق والإحساس أن (إسرائيل) تمكنت من تحقيق ما رفضه الوطن العربي بكل نظمته وحكوماتها طوال الثلاثين عاماً.

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على زيارة الرئيس السادات إلى القدس ومواقف دول المواجهة العربية منها

Abstract.

The situation in Egypt started to take a different turn, especially after the Egyptian economy witnessed a noticeable deterioration. The Egyptian government's budget gradually eroded as a result of rising prices. Sadat felt that Egypt was in an enviable situation. The crisis, in order to restore President Sadat's confidence in the Egyptian people and distract from his

country's internal problems, it was necessary to move towards peace with Israel because peace, as President Sadat said, is the key to a better future for Egypt. The Egyptian president realized that the capacity of the administration is not (Israel) is very limited, because (Israel) has the support of the Congress heart and mold, and Congress is the basis of US decision-making, and in fact President Sadat reached the conviction that it is inevitable for his country to take one of the two things, The direct contact with (Israel) to discuss the issue again and preferred to go to (Israel) and direct negotiations with them, the visit of President Sadat to Jerusalem echoes of multidimensional in the Arab world, ranging from the accusation of treachery or reckless foolish, and between Reservation and silence mingled with And on the Arab arena in general covered the deep sadness and pain and the feeling that (Israel) was able to achieve what the Arab world has rejected in all its systems and governments for 30 years.

This study came to highlight the visit of President Sadat to Jerusalem and the positions of the Arab confrontation states.

المقدمة

المواجهة العربية ،بعد اتجاه السياسة المصرية نحو

أسلوب التسوية السياسية لحل الصراع مع (إسرائيل) .

سلطت الزيارة الضوء على سياسة مصر

بعدما توصل الرئيس السادات إلى قناعة تامة أنه لا

مفر له ولبلاذه من اتخاذ أحد الأمرين، فكان أمامه إما

القبول بالوضع الراهن والتعايش معه، وأما الاتصال

المباشر مع (إسرائيل) لبحث القضية من جديد وقد

فضل الذهاب إلى (إسرائيل) والتفاوض المباشر معها،

استطاعت مصر أن تمارس دوراً قيادياً في

شؤون المنطقة العربية، إذ سعت بكل قواها إلى محاولة

تصفية مراكز النفوذ الاستعماري في المنطقة والتصدي

لآية محاولة من جانب الدول العظمى لجذب دول

المواجهة العربية إلى دوائر نفوذها ، ولقد أدى الصراع

العربي - (الإسرائيلي) دوراً في تشتيت سياسة دول

أشارت زيارة الرئيس السادات إلى القدس أصداءً متعددة الأبعاد في العالم العربي، تراوحت بين اتهامه بالخيانة العظمى أو التهور الأحمق، وبين التحفظ والصمت المشوب بالذهول .

اهتمت الدراسة بتناول حيثيات زيارة الرئيس محمد انور السادات الى القدس ،مركزة على مواقف دول المواجهة العربية من تلك الزيارة ، معتمدة بذلك على المصادر المعاصرة، فضلاً عن الوثائق، متمنية ان تكون هذه الدراسة اسهاما متواضعا في بيان مواقف دول المواجهة العربية من سياسة مصر، والله الموفق انه نعم المولى ونعم النصير .

– الإعداد للمؤتمر جنيف

أشارت زيارة الرئيس السادات إلى القدس أصداءً متعددة الأبعاد في العالم العربي، تراوحت بين اتهامه بالخيانة العظمى أو التهور الأحمق، وبين التحفظ والصمت المشوب بالذهول .

اهتمت الدراسة بتناول حيثيات زيارة الرئيس محمد انور السادات الى القدس ،مركزة على مواقف دول المواجهة العربية من تلك الزيارة ، معتمدة بذلك على المصادر المعاصرة، فضلاً عن الوثائق، متمنية ان تكون هذه الدراسة اسهاما متواضعا في بيان مواقف دول المواجهة العربية من سياسة مصر، والله الموفق انه نعم المولى ونعم النصير .

بدأت الأحداث في مصر تأخذ شكل مظاهرات محدودة نظمها العمال في حلوان والطلاب في القاهرة صباح ١٨ كانون الثاني/يناير، وسرعان ما انضم إليها الفقراء في الأحياء الشعبية لتمتد إلى أنحاء مصر كافة، وقد ردد عدد من المتظاهرين هتافات ضد سياسة الحكومة وإجراءات رفع الأسعار^(٤٨٨) .

وفي اليوم الثاني تصاعدت حدة الأحداث واتهم

انتهى عام ١٩٧٥ بنفض الاشتباك بين القوات المصرية والاسرائيلية)، واصبح الموقف معلقا دون تسوية لان الاتفاقيات اشبه بهدنة مؤقتة يمكن الغائها في اي وقت وتعود الامور إلى ما كانت عليه . وفي مطلع عام ١٩٧٧ شهدت مصر تطورات سياسية داخلية تمثلت بتفاقم الأزمة الاقتصادية التي اتخذت أبعاداً خطيرة هددت بتنجير التناقضات الاجتماعية والسياسية فيها، ففي ١٨ و١٩ كانون الثاني/يناير، عمت المدن المصرية مظاهرات شعبية بسبب قرار الحكومة الخاص بإلغاء الدعم عن عدد من السلع

^(٤٨٧) حسن نافعة، مصر والصراع العربي -الاسرائيلي من الصراع المحتم الى التسوية المستحيلة ، مركز دراسات الوحدة العربية ،(بيروت ،١٩٨٦)، ص٥٦؛ صحيفة الشرق الاوسط (مصر)، العدد ٥٦ في ٢-١١-١٩٨٠ .

^(٤٨٨) يوسف محمد عيدان الجبوري، التطورات السياسية الداخلية في مصر ١٩٧٠-١٩٨١ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص ٧٤-٧٨؛ للمزيد من التفاصيل عن أحداث ١٨ و١٩ كانون الثاني/يناير ينظر، أحمد بهاء الدين شعبان، ٤٨ ساعة هزت مصر رؤية شاهد عيان لوقائع وأحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، (القاهرة، هفن للترجمة والنشر والبرمجيات، ٢٠٠٩) .

المصرية و(الإسرائيلية) لتحرض فئة معينة من الشعب للقيام بانتفاضة ضد نظامه ^(٤٩١).

ولكي يسترجع الرئيس السادات ثقته بالشعب المصري، ويصرف النظر عن مشكلات بلاده الداخلية كان لا بد من التوجه نحو السلام مع (إسرائيل)، لأن السلام كما قال الرئيس السادات هو المفتاح إلى مستقبل أفضل لمصر، وأن السلام سيكون بداية حقبة للنهوض الاقتصادي لمصر، لأن البلاد ستكون قادرة على تكريس مواردها كلها لتنمية اقتصادها ^(٤٩٢).

مع تولي الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ^(٤٩٣) Jimmy Carter، رئاسة الحكم في الولايات

^(٤٩١) جميل مطر وعلي الدين هلال، النظام الإقليمي العربي دراسة في العلاقات السياسية العربية، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٧/، ٢٠٠١)، ص ١٣٥-١٣٦.

^(٤٩٢) محمد سعد أبو عامود، صنع القرار السياسي في الحقبة الساداتية، مجلة المستقبل العربي، العدد (١١٢)، السنة (١١) في حزيران ١٩٨٨، ص ١٢٢-١٢٤؛ مجد رضا محرم، استعادة مصر العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣٣)، السنة (١١) في ١٩٨١، ص ٩٦-٩٨.

^(٤٩٣) الرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، ولد عام ١٩٢٤ في ولاية جورجيا، تخرج من الأكاديمية البحرية الأمريكية، وخدم في القوات البحرية، مارس مهنة الزراعة، وفي

المتظاهرون الحكومة بالخيانة مطالبين بإلغاء اتفاقية فصل القوات مع (إسرائيل) ومقاومة السياسة الأمريكية، قصدت قوات الأمن للمتظاهرين بالضرب وإطلاق الرصاص عليهم راح ضحيتها عدد من القتلى والجرحى، وإزاء ذلك أمر الرئيس السادات بالتراجع عن القرار القاضي برفع الدعم عن السلع (الاستهلاكية)، وتم إنزال الجيش في الشوارع وهكذا انتهت المظاهرات ^(٤٩٤) لكنها مثلت ضربة موجعة للنظام، وكانت إشارة مؤثرة على تضائل سريع في شرعية الرئيس السادات والتي اكتسبها بعد حرب ١٩٧٣ ^(٤٩٥).

أدت التطورات الداخلية في مصر دوراً بارزاً في عملية صنع قرار الزيارة التي قام بها الرئيس السادات إلى (إسرائيل)، وتصور الرئيس المصري أن القوى السياسية في مصر قد انتهزت المسحة الديمقراطية وسوء الأوضاع الاقتصادية وعودة المشكلة

^(٤٩٤) عصمت سيف الدولة، الدفاع عن الشعب، (بيروت، دار الكلمة، ١٩٨٠)، ص ٢٠-٢٧؛ نافعة، لمصدر السابق، ص ٦٢.

^(٤٩٥) ماسية الجمل، النخبة السياسية في مصر دراسة حالة النخبة الوزارية، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣)، ص ١٠٣.

المتحدة الأمريكية في ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٧٧،
بدأت إدارته الجديدة سياستها في منطقة (الشرق
الاطوسط) بالدعوة إلى صيغة الحل الشامل على منهج
مؤتمر جنيف بوصفها أفضل وسيلة لإقرار السلام،
وكانت الإدارة الجديدة تسترشد في سياستها بدراسة
أعدتها مؤسسة (بروكنز) التي خرجت بتصور عن
مشروع سلام شامل في (الشرق الاوسط) ^(٤٩٤).

أدرك الرئيس كارتر أن دبلوماسية الخطوة -
خطوة قد استنفذت أغراضها، ومن أجل ذلك سعى
إلى التوصل لحل شامل لأطراف الصراع كله ضمن
نطاق مؤتمر جنيف ^(٤٩٥)، فبعث وزير خارجيته

عام ١٩٦٢ انتخب شيخا في مجلس شيوخ الولاية، عين عام
١٩٧٠ حاكما لولاية جورجيا، عضوا في الحزب الديمقراطي،
وفي عام ١٩٧٧-١٩٨٠ انتخب رئيسا للولايات المتحدة
الأمريكية، اسهم في عقد اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام
المصرية - (الإسرائيلية)، للمزيد من التفاصيل ينظر، عبد
الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٥، (بيروت، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر، ط/٤، ١٩٩٩)، ص ص ٢٢-٢٣.

^(٤٩٤) كميل منصور، السياسة الأمريكية والشرق الاوسط من
كارتر إلى ريغان، في غسان سلامة وآخرون، السياسة
الأمريكية والعرب، (بيروت، مركز دراسات الوحدة
العربية، ط/٢، ١٩٩١)، ص ص ٧٨-٨٠.

^(٤٩٥) وليد محمد سعيد حميدي الأعظمي، مخطط التفتت
للوطن العربي في ضوء نظرية كيسنجر - برجنسكي، في

سايروس فانس ^(٤٩٦) Cyruc Vance في منتصف
شهر شباط/فبراير عام ١٩٧٧ إلى كل من مصر
والأردن والمملكة العربية السعودية وسورية و(إسرائيل)
لإعداد مبادرة أمريكية شاملة لقضية (الشرق

مخططات تفتت الوطن العربي وسبل مواجهتها، بحث
الندوة الفكرية الثالثة التي عقدتها مجلة آفاق عربية للفترة
من ٧-٩ آذار ١٩٨٧، (بغداد، مركز الدراسات
والبحوث آفاق عربية، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة،
١٩٨٧)، ص ص ٧٧-٧٨؛ إدوارد تيفن، اللوبي اليهودي
وسياسة أمريكا الخارجية، ترجمة كريمة محمود زايد،
(بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط/٢،
١٩٨٩)، ص ص ١٢٠-١٢٢.

^(٤٩٦) سياسي أمريكي، ولد عام ١٩١٧، درس القانون والتحقيق
بالبحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، مارس مهنة
الحمامة، عين مستشارا قانونيا في الكونغرس، أصبح في عهد
كيندي وزيرا للدفاع، وفي عام (١٩٦٤-١٩٦٧) أصبح نائبا
لوزير الدفاع، عينه جونسون مبعوثا خاصا لدراسة المشكلة
القبرصية والمشكلة الكورية، اسهم في المفاوضات بين أمريكا
وفيتنام، أصبح مديرا لشركة بان اميركان الجوية ورئيس
لمؤسسة روكفلر، عينه كارتر وزيرا للخارجية، وكان عضوا في
مباحثات كامب ديفيد، عبد الوهاب الكيالي، موسوعة
السياسة، ج ٤، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،
ط/٣، ١٩٩٥)، ص ٤٦٢.

الأوسط)، وخلال زيارته تعرف على الخطوط الأساسية لتسوية الصراع^(٤٩٧).

في تلك الأثناء ظهرت خلافات بين دول المواجهة العربية حول طبيعة المشاركة العربية وآلياتها في مؤتمر جنيف^(٤٩٨)، فقد دعت الحكومة الأردنية وتدعمها في ذلك الحكومة السورية إلى تأليف وفد عربي موحد في مؤتمر جنيف، بينما كان الرئيس السادات يرغب في أن يكون هناك وفود عربية كل حسب قضيته وأن يتم مناقشة القضايا على أساس جغرافي وليس على أساس المواضيع، الأمر الذي أثار اعتراض كل من الملك الأردني والرئيس السوري، اللذين عدّا قضية فلسطين قضية واحدة غير قابلة للتجزئة، لكن الرئيس السادات كان كارهاً في انضمام دول المواجهة العربية الأخرى لبحث مسائل مصرية بحجة^(٤٩٩).

^(٤٩٧) سايروس فانس، خيارات صعبة مذكرات سايروس

فانس، (بيروت، المركز العربي للمعلومات، ط/٢،

١٩٨٤)، ص ١٤-٢٤.

^(٤٩٨) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

^(٤٩٩) جاسم، فوز موفق ذنون، قضية فلسطين في العلاقات

الأردنية- الأمريكية ١٩٦٧-١٩٩٩ دراسة تاريخية،

في ١٧ أيار/ مايو جرت الانتخابات (الإسرائيلية) التي أدت إلى فوز حزب الليكود وتشكيل حكومة من قبل مناحيم بيغن^(٥٠٠) Menachem Begin التي بددت الآمال في عقد المؤتمر، وبعد تولي بيغن مهامه عرض في أول خطاب له أمام الكنيست تصورات لمعالجة أزمة (الشرق الأوسط)، جاء فيه رفض الانسحاب من الضفة الغربية تحت أي ظرف من الظروف وعدم العودة إلى حدود ١٩٦٧، وتأييد حركة الاستيطان اليهودي في

أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت إلى كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠١١، ص ١٣٦.

^(٥٠٠) ولد في ١٦ آب/ أغسطس عام ١٩١٣ في بريست

ليتوفسك بولندا، حصل على شهادة الحقوق من جامعة

وارشو، سافر عام ١٩٤٣ إلى فلسطين، أسس عام

١٩٤٨ حزب حيروت، وأصبح بيغن عضواً في الكنيست

الأول عام ١٩٤٩، وأسس كتلة الليكود عام ١٩٧٣، وفي

٢١ حزيران/ يونيو ١٩٧٧ أصبح رئيساً للوزراء لغاية

١٩٨٣، توفي في آذار/ مارس ١٩٩٢، أريك سيلفر، بيغن

سيرة حياته، (مصر، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات،

د. ت) ص ٦ و ٩٨، كولن شندلر، اسراييل الليكود

والحلم الصهيوني السلطة السياسية والايديولوجيا من بيغن

إلى تنياهو، ترجمة محمد نجار، (عمان، الاهلية للنشر

والتوزيع، ١٩٩٧)، ص ١٧ وما بعدها.

وفي أوائل آب/ أغسطس عام ١٩٧٧، بدأ فانس زيارته الثانية إلى منطقة (الشرق الأوسط)، ناشد فيها أطراف الصراع كافة الإسراع في تقديم مقترحاتهم لحل الأزمة، وأخذ ينتقل بين كل من مصر والأردن وسورية ولبنان والمملكة العربية السعودية و (إسرائيل) (٥٠٣).

وضمن مساعي الإدارة الأمريكية لانعقاد مؤتمر جنيف، عقدت محادثات ثنائية مع الاتحاد السوفيتي، وأدت المشاورات المكثفة التي جرت بين الجانبين إلى صدور بيان أمريكي - سوفيتي مشترك في ١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٧ لتحديد أسس التسوية في منطقة (الشرق الأوسط)، وقد نص البيان على

الأراضي المحتلة كافة من دون قيود، وأن الإدارة الأمريكية لا يحق لها أن تقحم نفسها في تسوية الأزمة أكثر من السعي إلى جمع الأطراف المعنية معاً (٥٠١).

وفي ١٤ تموز/ يوليو ١٩٧٧ قام بيغن بزيارة إلى واشنطن لعقد مباحثات مع الرئيس كارتر حول مسألة (الشرق الأوسط) وخلال مباحثات الجانبين قدم بيغن مقترحاته بشأن السلام، التي تضمنت استعداد (إسرائيل) لإجراء مفاوضات مباشرة مع دول المواجهة العربية من دون شروط مسبقة، والمشاركة في مؤتمر جنيف على أساس القرار (٢٤٢)، ورفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، حتى بوصفها عضواً ضمن الوفد الأردني وعلى أن يكون موعد انعقاد المؤتمر في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٧ (٥٠٢).

(٥٠١) هيكمل، عواصف الحرب وعواصف السلام، ج٢،

ص٣٦٦؛ مصطفى علوي، التجربة المصرية في التسوية

السلمية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٢)، السنة

(٣٤) في أبريل ١٩٩٨، ص١٦.

(٥٠٢) كانت الحكومة المصرية قد أجرت مفاوضات رسمية سرية

مباشرة مع الحكومة (الإسرائيلية) بعد توسط العاهل

المغربي الملك الحسن الثاني بين الجانبين، إذ عقد اجتماع

سري في العاصمة المغربية الرباط بين نائب رئيس الوزراء

المصري حسن التهامي، ووزير الدفاع (الإسرائيلي)

موشي دايان في ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٧٧، بحضور ملك

المغرب، تم مناقشة قضية السلام في (الشرق الأوسط)،

للمزيد من التفاصيل عن المفاوضات السرية بين مصر

و(إسرائيل) ينظر، موشي دايان، أنا وكامب ديفيد، ترجمة

غازي السعدي، (عمان، دار الجليل للنشر، ١٩٨٧)، ص

ص٤٩-٦٤؛ هيكمل، المصدر السابق، ج٢، ص ص٣٤٤-

٣٤٨؛ الياس شوفاني، طريق بيغن إلى القاهرة، (بيروت،

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩)، ص٢٨.

(٥٠٣) عبد الفتاح حجازي، جولة سايروس فانس الثانية تقرير

إخباري، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٢٥) في

تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٧٧، ص٧٠.

عقد مؤتمر جنيف بمشاركة ممثلين عن الأطراف كافة بما فيهم الفلسطينيين^(٥٠٤).

رحبت منظمة التحرير الفلسطينية بالبيان، ووصفه رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية فاروق القدومي أنه مؤشر إيجابي على طريق إيجاد حل عادل لقضية (الشرق الاوسط)، لأن البيان يؤكد على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ومشاركة ممثلي فلسطين في مباحثات السلام، وعد هذا البيان إسهاماً في الجهود الدولية الرامية إلى إصدار مجلس الأمن

لقرار جديد يضع أساساً صالحاً لضمان إقرار الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني^(٥٠٥)، بينما أداته (إسرائيل) إذ اجتمع وزير الدفاع (الإسرائيلي) موشي دايان^(٥٠٦) Moshe Dayan في ١٥ من تشرين

الاول/ أكتوبر بالرئيس كارتر، وصدر عن الاجتماع ورقة العمل الأمريكية (الإسرائيلية) التي أكدت على أن البيان الأمريكي - السوفيتي ليس ملزماً ولن يستعمل بوصفه أساساً للمفاوضات في مؤتمر جنيف^(٥٠٧).

توقف كل جهد باتجاه مؤتمر جنيف، فتلقى الرئيس السادات رسالة من الرئيس كارتر طالبه فيها بالمساعدة لإيجاد حل للأزمة، جاء فيها: " أن الأمور وصلت إلى نقطة تتطلب من الأطراف المتصارعة مساعدته بإجراء مبادرات من أجل إعطاء دفعة

كان قائدا للعمليات العسكرية للجيش (الإسرائيلي) في حرب فلسطين ١٩٤٨، كان عضواً في مفاوضات ردوس ١٩٤٩، أصبح رئيس لركان الجيش (الإسرائيلي) ما بين (١٩٥٣-١٩٥٨)، أصبح وزيراً للزراعة ثم انضم إلى حزب (رافي)، وفي عام ١٩٦٧ عين وزيراً للدفاع، شارك في حرب ١٩٧٣ ثم قدم استقالته نتيجة التقصير في حرب ١٩٧٣، أصبح عام ١٩٧٧ وزيراً للخارجية، توفي عام ١٩٨١ اثر إصابته بمرض سرطان القولون، موشي دايان، قصة حياتي، (سوريا، إدارة المخابرات العامة قسم الدراسات)، ص ١٢ وما بعدها.

^(٥٠٧) " ورقة العمل الأمريكية - الإسرائيلية"، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد (٢٦) في كانون الثاني - شباط ١٩٧٨، ص ١٤٠؛ صادق جلال العظم، زيارة السادات وبؤس السلام العادل، (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨)، ص ١٦٣.

^(٥٠٤) " وثائق الصراع العربي - الإسرائيلي القسم الخامس"،

مجلة شؤون فلسطينية، العدد (٤٢) في حزيران ١٩٨٥، ص ٢٤٨؛ " البيان السوفيتي - الأمريكي وورقة العمل الأمريكية - الإسرائيلية"، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (٧٣) في كانون الأول ١٩٧٧، ص ١٧٣-١٧٧.

^(٥٠٥) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الوثائق الفلسطينية

العربية لعام ١٩٧٧، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٢٣٥.

^(٥٠٦) سياسي عسكري (إسرائيلي)، ولد في ٤ نيسان/ ابريل

١٩١٥ في فلسطين، التحق بمنظمة الهاغانا،

التي حصلت في النظام العربي سلكت طريقاً في السياسة العربية يوفر لها حصة من المال والأمن مع كل من سورية والعراق^(٥١٠).

كما إن عدم وجود سياسة عربية موحدة لمواجهة (إسرائيل) فضلاً عن أن المساعدات المالية لمصر لم تنقذها من أزمتها الاقتصادية - كما كانت مصر تأمل - قد أثار تزايد نفوذ الدول العربية الغنية (النفطية) قلق الرئيس السادات من أن تفقد مصر دورها الإقليمي المركزي في المنطقة، ولا سيما وأن مصر كانت تعتمد على المساعدات من هذه الدول، لذلك نقلت مجهودها من قيادة المنطقة نحو الحرب إلى قيادتها نحو السعي وراء السلام^(٥١١).

أدرك الرئيس السادات أن قدرة الإدارة الأمريكية بالضغط على (إسرائيل) محدودة جداً، لأن (إسرائيل) تحظى بتأييد الكونغرس قلباً وقالباً، والكونغرس هو القاعدة الأساسية في صنع القرار الأمريكي، والواقع أن الرئيس المصري توصل إلى قناعة تامة أنه لا مفر له ولبلاده من اتخاذ أحد الأمرين، فكان

جديدة لإعادة الحيوية إلى عملية السلام^(٥١٢)، مذكراً له بتعهداته التي قطعها له أثناء زيارته الأخيرة إلى واشنطن في نيسان/ أبريل ١٩٧٧^(٥١٣)، يبدو أن الإدارة الأمريكية قد حرصت على التهرب من عقد المؤتمر والاستمرار في التنسيق مع (إسرائيل) لمعالجة القضية جزئياً بعيداً عن أية تسوية شاملة.

أدرك الرئيس السادات أن الحكومة السورية أصبحت بعد أحداث لبنان لها القدرة على الاعتراض في السياسة العربية، وإن دورها العربي سوف يسبب أرباكاً لأي محاولة لتوحيد الصف العربي خلف سياسة مصرية - أمريكية في المنطقة، وشعر أن منظمة التحرير الفلسطينية لأسباب تتعلق بتغير نوعية علاقاتها وحجمها مع الحكومة السورية، وبوضعها العسكري والسياسي في لبنان، واختلافها مع منهج مصر تجاه الولايات المتحدة الأمريكية وتجاه الصراع العربي - (الإسرائيلي) لن تقف إلى جانب مصر، وأيقن الرئيس السادات أن الحكومة الأردنية نتيجة للتغيرات الجذرية

(٥١٢) محمد حسنين هيكل، حديث المبادرة، (بيروت، شركة

المطبوعات للتوزيع والنشر، ط/٢، ١٩٨٢)، ص ٤١،

السيد، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٥١٣) جمال علي زهران، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠ -

١٩٨١، تقديم علي الدين هلال، (القاهرة، مكتبة مدبولي،

١٩٨٧)، ص ٣١٦.

(٥١٠) مطر وهلال، المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٥.

(٥١١) ميادة علي حيدر رشيد الخالدي، مصر والتسوية العربية

- (الإسرائيلية)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت

إلى كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ٢٠٠٣،

ص ١٦٤.

ياسر عرفات، إذ كان حضوره بناء على طلب من الرئيس السادات، وقد فزع من هول ما سمعه وغادر القاهرة في الليلة نفسها^(٥١٤).

السادات عن إتمام الزيارة محذراً إياه من العواقب الخطيرة التي سينجم عنها حدوث خلل في توازن القوة الإستراتيجية بجروح مصر من حلبة الصراع مما ينطوي عليه تهديد (إسرائيل) لدول المواجهة العربية الواحدة تلو الأخرى، وكان رد فعل الرئيس السادات أنه لن يتراجع عن ذلك وأكد تصميمه على الذهاب إلى القدس، وانتهى الاجتماع باختلاف وجهات النظر بينهما^(٥١٥)، وفي اليوم نفسه عقدت القيادة السورية اجتماعاً طارئاً لمناقشة الإجراءات اللازمة لمنع الرئيس السادات من تنفيذ مبادرته، وقررت اعتقاله بقصر

أمامه إما القبول بالوضع الراهن والتعايش معه، وإما الاتصال المباشر مع (إسرائيل) لبحث القضية من جديد وقد فضل الذهاب إلى (إسرائيل) والتفاوض المباشر معها^(٥١٦).

– زيارة السادات للقدس

بعد أن رأى الرئيس السادات تأزم الموقف في مصر قرر أن يتوجه إلى (إسرائيل) ومحاطبة الشعب (الإسرائيلي) من فوق منبر الكنيست، ففي ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٧ وعند افتتاح الدورة الثانية لمجلس الشعب المصري، أعلن الرئيس السادات صراحة في خطابه عن استعداده للذهاب إلى القدس لإجراء اتصالات مباشرة مع المسؤولين (الإسرائيليين) إذ قال إنه: "... مستعد للذهاب إلى آخر هذا العالم بحثاً عن السلام، وستدهش (إسرائيل) عندما تسمعي أقول الآن أمامكم أنني مستعد للذهاب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم"^(٥١٧)، كان من بين الحضور في مجلس الشعب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

^(٥١٤) قناة الجزيرة الفضائية، برنامج شاهد على العصر مع أحمد منصور حلقة "كامب ديفيد والأمم المتحدة برؤية بطرس غالي"، ح ١، التي عرضت مساء يوم الاثنين الموافق ١١-١٢-٢٠٠٦، الموقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت): www.aljazeera.net؛ هيكل،

عواصف الحرب وعواصف السلام، ج ٢، ص ٣٦.

^(٥١٥) أنور السادات، البحث عن الذات قصة حياتي، (القاهرة،

المكتب المصري الحديث، ط ٣، ١٩٧٩)، ص ٣٢٢-٣٢٣؛

أحمد بهاء الدين، محاوراتي مع السادات، (القاهرة، دار الهلال،

ط ٢، ١٩٨٧)، ص ١٥٥.

^(٥١٦) سليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٥٨-

١٩٩٥، ج ٢، (عمان، منشورات مكتبة الحاسب،

١٩٩٦)، ص ٤٥٢.

^(٥١٧) "ملف وثائقي مبادرة السلام للرئيس السادات"، مجلة

السياسة الدولية، العدد (٥١)، السنة (١٤) في يناير

١٩٧٨، ص ٢٥٠-٢٥١.

الإقدام عليها، تتطلب من جماهير أمتنا وقفة مراجعة ومحاسبة ذلك أن العرب مقدمون على مرحلة بالغة الخطورة، مرحلة تتطلب التسليح بالإيمان والوعي، كما تقتضي إرادة صلبة في التضحية والعطاء لمواجهة عدو لا يخفي تصميمه على استمرار احتلاله للأراضي العربية . . . " (٥١٧) .

بعد مغادرة الرئيس السادات سوريا، عقد الرئيس الأسد مؤتمراً صحفياً في مطار دمشق الدولي، أعلن فيه معارضته لزيارة الرئيس المصري للقدس، قائلاً: " يؤمني إلى أقصى حد أنني لم أستطع إقناعه بخطورة هذه الزيارة وبانعكاساتها البعيدة . . . إن العمل من أجل السلام لا يقتضي زيارة إسرائيل" (٥١٨)، فيما أعلن مندوب سورية في هيئة الأمم المتحدة أمام السفير المصري في نيويورك عن احتجاج حكومته لإجراءات السادات ووصفها (بالمتهورة) (٥١٩) .

(٥١٧) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٧، ص ٤٣٣ -

٤٣٤ .

(٥١٨) عبد الكريم أبو النصر، تفاصيل حوار السادات والأسد قبل زيارة ٤٤ ساعة، مجلة النهار العربي والدولي، العدد ٣٠ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٧؛ ص ١٥ .

(٥١٩) محمد الجواد، مذكرات رجال الدبلوماسية المصرية من

أجل السلام معارك التفاوض، (القاهرة، دار الخيال،

٢٠٠٠)، ص ٥٧ .

الرئاسة في دمشق، إلا أن القرار لم ينفذ نتيجة اعتراض الرئيس الأسد في اللحظة الأخيرة^(٥١٦)، وفي ختام الاجتماع أصدرت القيادة بياناً جاء فيه: " فوجئت الأمة العربية، كما فوجئ العالم بإعلان رئيس جمهورية مصر العربية . . . عزمه على زيارة إسرائيل واللقاء مع الإرهابي الصهيوني مناحيم بيغن وأعضاء الكنيست . . . من أجل التوصل إلى حل للسلام في المنطقة . . . وأكدت سورية أن هذه الزيارة تسيء إلى فضالنا القومي، وللتضحيات الجسام التي قدمها شعبنا العربي . . . وبينت الجمهورية العربية السورية للرئيس السادات مخاطر زيارته . . . بالنسبة للقضية الفلسطينية جوهر الصراع العربي - الصهيوني، والتأثيرات الضارة والمسيسة لهذه الزيارة بالنسبة لمصر نفسها . . . وانعكاس كل ذلك على ميزان القوى في صراع العرب مع إسرائيل . . . " وأضاف البيان أن: " الجمهورية العربية السورية تعتقد أنه ليس من حق أي فرد في الوطن العربي، مهما كانت صفته، أن يتخذ أي قرار في القضايا القومية المصرية من شأنه أن يسيء إلى مجمل القضية، ويعطي العدو المكاسب التي يطمح في تحقيقها . . . إن الخطوة التي قرر الرئيس السادات

(٥١٦) موسى صبري، السادات الحقيقة والأسطورة، (القاهرة،

مطابع الأهرام التجارية، ١٩٨٥)، ص ٥٢٧؛ صحيفة

البيان (لبنان)، العدد ١٢١٧ في ٢٥-٩-١٩٨٣ .

بعد عودة الرئيس السادات إلى القاهرة، قدم وزير خارجيته إسماعيل فهمي استقالته احتجاجاً على تلك المبادرة، على الرغم من أنه كان من أشد المدافعين عن التسوية السلمية، لكنه اعترض على الأسلوب الذي اتبعه الرئيس السادات في التوصل إلى تلك التسوية^(٥٢٠)، وأنه كان يرى أن الزيارة ستؤدي إلى إلغاء مؤتمر جنيف بعد أن وافقت كل من سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن على الحضور بوفد عربي موحد، ومن ثم تشتت التضامن العربي^(٥٢١)، وفي الوقت الذي كان فيه فهمي في تونس ينفي خبر زيارة الرئيس السادات أمام وزراء الخارجية العرب، إذ يفاجئ بنبأ الزيارة. وقدم وزير الدولة للشؤون الخارجية محمد رياض اعتذاراً على مرافقة الرئيس السادات إلى القدس، فلم تكن لديه أية فكرة

مسبقة عن المبادرة وقدم استقالته^(٥٢٢)، مما دفع الرئيس المصري إلى إصدار قرار بتعيين بطرس بطرس غالي-الذي كان يشغل منصب وزير الدولة في آخر تشكيل وزاري- وزيراً للدولة للشؤون الخارجية في ١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ووزيراً للخارجية بالنيابة^(٥٢٣)، في وقت جهز سفير مصر في يوغوسلافيا مراد غالب استقالته، لكنه لم يقدمها وانتظر يومين قبل إرسالها إلى القاهرة، اعتقاداً منه أن الرئيس السادات عند إقدامه على هذه الخطوة سيصيب العالم كله بهزة قوية، وسوف يعرض نظامه إلى الخطر، ولكي يقدم الرئيس السادات على ذلك فلا بد من أنه كان قد توصل مسبقاً إلى اتفاق مع (إسرائيل) لإزالة آثار عدوان ١٩٦٧، وأن زيارته إلى القدس هو لوضع اللمسات

(٥٢٠) إسماعيل فهمي، التفاوض من أجل السلام في الشرق

الأوسط، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٥)، ص ٤١٠؛ محمود

رياض، مذكرات محمود رياض ١٩٤٨-١٩٧٨، البحث عن

السلام والصراع في الشرق الأوسط، (القاهرة، دار المستقبل

العربي، ط/٣، ١٩٩٢)، ص ٥٦٠.

(٥٢١) العظم، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧؛ شوفاني،

المصدر السابق، ص ص ٤٥-٤٧.

(٥٢٢) رياض، المصدر السابق، ص ٥٦٠.

(٥٢٣) قناة الجزيرة الفضائية، برنامج شاهد على العصر مع أحمد

منصور حلقة "كامب ديفيد والأمم المتحدة برؤية بطرس

غالي"، ح ٢، التي عرضت مساء يوم الاثنين الموافق ١١-

١٢-٢٠٠٦، الموقع على المعلومات الدولية

(الإنترنت): www.aljazeera.net؛ زهران،

المصدر السابق، ص ٢١١.

الأخيرة على الاتفاق، إلا أنه كان مجرد وهم لا أساس له^(٥٢٤).

رفض الرئيس السادات أي تدخل أو مشورة عربية بالعدول عن سياسته، فقام في ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٧ بزيارة القدس التي تابعها محطات الإذاعة المرئية في العالم كافة، وفي مساء اليوم نفسه عقد الرئيس السادات اجتماعاً مع بيغن في فندق الملك داوود، وتم الاتفاق فيه على أنه لا حرب جديدة بين الجانبين، وإعادة السيادة المصرية في شبه جزيرة سيناء، ونزع السلاح عن الجزء الأكبر من سيناء، وتواجد محدود للقوات المصرية في المنطقة المتصلة بقناة السويس بما في ذلك ممري (متلا والجدي)^(٥٢٥)، وفي اليوم التالي ألقى الرئيس السادات خطاباً في الكنيست (الإسرائيلي) طرح فيه مبادئ مصر للسلام وهي، إنهاء حالة الحرب وإنهاء الاحتلال (الإسرائيلي) للأراضي العربية المحتلة، وإقامة دولة

فلسطينية، والاعتراف بحق كل دولة في المنطقة بالعيش بسلام ضمن حدود متفق عليها، وأن تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها طبقاً لأهداف ومبادئ ميثاق هيئة الأمم المتحدة دون اللجوء إلى القوة وحل الخلافات فيها بالطرائق السلمية^(٥٢٦).

تمخضت عن رحلة الرئيس السادات إلى القدس نتائج عدة أبرزها، الاعتراف الصريح بـ(إسرائيل) ووجودها الذي يشمل الدولة والحكومة، وتأكيد رغبة النظام المصري في إرساء قواعد السلام الدائم معها، وإلغاء مبررات عقد مؤتمر جنيف، وأن الزيارة فتحت الطريق أمام الدول العربية الأخرى لإجراء مفاوضات مباشرة مع (إسرائيل) في الوقت الذي لم تجن مصر سوى الانقسام والتفكك مع العالم العربي ولا سيما دول المواجهة العربية^(٥٢٧).

(٥٢٦) عبد العظيم رمضان، العلاقات المصرية-الإسرائيلية

١٩٤٨-١٩٧٩، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

١٩٩٢)، ص ١١٧-١١٨؛ للاطلاع على نص خطاب

الرئيس السادات في الكنيست، ينظر، مؤسسة الدراسات

الفلسطينية، المصدر السابق، ص ١٨-٣٣.

(٥٢٧) محمد المجذوب، الاعتراف بإسرائيل من خلال التسوية،

(بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٨)، ص ١٠٨؛ محمود

سويد، الصراع على أرض التسوية الإسرائيلية، (بيروت،

دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨)، ص ١٤٣.

(٥٢٤) مراد غالب، مذكرات مراد غالب مع عبد الناصر

والسادات سنوات الانتصار وإيام الحزن، (القاهرة، مركز

الاهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠١)، ص ٢٢٠.

(٥٢٥) جعفر الحسني، السادات في الكيان الصهيوني تقرير

إخباري، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد (٢٦)

في كانون الثاني- شباط ١٩٧٨، ص ٨٤؛ دايان، أنا

وكامب ديفيد، ص ١٠١.

فقد عمت دول المواجهة العربية مظاهرات ومسيرات احتجاجاً على الزيارة، وأقدم المتظاهرون على اقتحام مقرات السفارات المصرية والسيطرة عليها، وإحراق عدد منها في أنحاء دول العالم^(٥٣٠)، وعلى الساحة العربية عموماً غطى الحزن والألم العميق والإحساس أن (إسرائيل) تمكنت من تحقيق ما رفضه الوطن العربي بكل نظمته وحكوماتها طوال الثلاثين عاماً^(٥٣١).

ففي سورية، أعلنت الحكومة السورية في بيان لها، اعتبار يوم مغادرة الرئيس السادات إلى القدس يوم حداد وطني ونكست الأعلام في العاصمة دمشق^(٥٣٢)، وفي ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧ وبعد انتهاء صلاة العيد خرجت مظاهرات باتجاه مقر السفارة المصرية في دمشق تردد شعارات معادية

(٥٣٠) جعفر الحسني، السادات في الكيان الصهيوني تقرير

إخباري، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (بغداد)،

العدد (٢٦) في كانون الثاني - شباط ١٩٧٨. ص

ص ٨٧-٨٨.

(٥٣١) محمود رياض، مذكرات محمود رياض، أمريكا والعرب،

ج٣، (القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)

، ص ٢٤٠.

(٥٣٢) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العددان (٢١) -

(٢٢)، السنة (٧) في كانون الأول ١٩٧٧، ص ٧٥٩.

ان من تتبع السياسة التي اتبناها الرئيس السادات منذ توليه الحكم يلحظ ان خطبه السياسية لا تخلو من القول بالذهاب إلى آخر العالم من اجل البحث عن السلام^(٥٣٨)، وهي عبارة كررها كثيرا ويعني انه يريد الحصول على السلام بأي ثمن حتى لو كان على حساب القضية الفلسطينية.

- مواقف دول المواجهة العربية من زيارة السادات

أثارت زيارة الرئيس السادات إلى القدس أصداءً متعددة الأبعاد في العالم العربي، تراوحت بين اتهامه بالخيانة العظمى أو التهور الأحق، وبين التحفظ والصمت المشوب بالذهول^(٥٣٩).

(٥٣٨) في الوقت الذي سبق للرئيس السادات ان اعلن عبارة مشابهة في بداية حكمه عندما قال في خطاب له امام مجلس الشعب في كانون الثاني/يناير ١٩٧١: "اننا نريد السلام، وقد قلناها مرارا انني على استعداد لكي اذهب إلى آخر الدنيا..."، محمود احمد خضر المعاري، العراق والمعاهدة المصرية-الاسرائيلية ١٩٧٧-١٩٨٦، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت إلى معهد البحوث والدراسات العربية قسم البحوث والدراسات التاريخية جامعة الدول العربية، ٢٠١١، ص ١٤.

(٥٣٩) علي الدين هلال، المواجهة من أين إلى أين، مجلة السياسة الدولية، العدد (٥١)، السنة (١٤) في يناير ١٩٧٨، ص ٣٦٦.

The Middle East and North Africa
1970-80, (British, Twenty-sixth
Edition, N.D), p51.

الكلامي يبقى رفضاً على الورق، ما لم تتوفر فيه شروط الصمود والمجابهة الشعبية^(٥٣٥).

وفي العراق، شهدت المدن العراقية مظاهرات شعبية واسعة شجبت وأدانت بشدة زيارة الرئيس السادات، وعقدت القيادتان القومية والقطرية العراقية سلسلة من الاجتماعات لبحث التطورات الراهنة على الساحة العربية والنتائج التي ترتبت على المبادرة^(٥٣٦).

وفي ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر أذاع راديو بغداد بياناً أصدرته القيادة القومية العراقية، معلنة فيه إدانتها الكاملة لتصرف الرئيس المصري ودعت إلى مواجهة هذه الخطوة بالقول: "على الأمة العربية في حالة تنفيذ هذه الخطوة واجب التصدي لها ونقض أي اتفاق أو تنازل يترتب عليها . . ."، كما انتقد البيان سياسة التنازلات التي انتهجتها الحكومة المصرية مع (إسرائيل)، محذراً من مخاطر الاستمرار فيها، ودعا البيان الدول العربية التمسك بالحقوق العربية المشروعة.

وأدانت الجبهة الوطنية والقومية التقدمية العراقية في بيان لها بشدة الزيارة ووصفتها بأنها تحدٍ

لرئيس السادات تهمه بخيانة القضية الفلسطينية والعمالة للولايات المتحدة الأمريكية، في الوقت الذي أعلنت فيه الحكومة السورية تجسيد علاقاتها مع النظام المصري، فردت مصر بقطع العلاقات معها^(٥٣٣)، رأت القيادة السورية أن الزيارة خرقاً واضحاً للقرارات والالتزامات كافة التي ارتبطت بها مصر، وأنها الحققت أفرح الأضرار بالقضية العربية، وأنها خطوة منفردة من جانب نظام الرئيس السادات للتفاوض مع (إسرائيل)^(٥٣٤).

في الوقت نفسه كانت ردود الفعل الشعبية في سورية كبيرة على الزيارة، إذ أصدرت الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية السورية بياناً مشتركاً أدان فيه مبادرة الرئيس السادات وعددها خيانة قومية للشعب العربي، ودعا البيان إلى حشد القدرات العربية لمواجهة المخطط الصهيوني.

أما إذاعة صوت سورية العربية، فقد نشرت تعليقاً سياسياً ورد فيه: "إن مستلزمات الصمود وتعزيز المواجهة لن يكون بالمعارضة لمبادرة السادات، إنما بالخروج من دائرة التسوية الاستسلامية، فالرفض

(٥٣٣) رشاد كامل، المبادرة والمنصة، (القاهرة، مطابع روز

اليوسف الجديدة، ١٩٩٤)، ص ص ١٣٣-١٣٤.

(٥٣٤) رياض، البحث عن السلام . . .، ص ٥٦٠.

(٥٣٥) الحسني، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٥٣٦) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٧، ص ٤٤٥.

خطير لإرادة الشعب المصري والعربي وأشار البيان: "ان الزيارة تأتي من سياق نهج التسوية ونهج الاستسلام والمساومة على مصائر حركة التحرير الوطنية العربية"، ودعا البيان "الحكومات والاحزاب العربية ان ترتفع إلى مستوى مسؤوليتها القومية...".^(٥٣٧) وفي ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر استدعت وزارة الخارجية العراقية رؤساء البعثات العربية في العراق وإحاطتهم علماً بصورة رسمية بالموقف العراقي من الزيارة، ومنعت الحكومة العراقية مراسيم الاحتفال الرسمي بعيد الأضحى احتجاجاً على مبادرة السادات^(٥٣٨).

كما عقدت القيادة العراقية اجتماعات متتالية لبحث موضوع الزيارة، ودعت الدول العربية إلى عقد مؤتمر للقمّة العربية في بغداد للرد على خيانة السادات واتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك، وحددت يوم ٥ كانون الأول/ديسمبر موعداً لانعقاد المؤتمر^(٥٣٩).

وفي الأراضي المحتلة تابنت ردود الأفعال إزاء الزيارة، فقد أمل الفلسطينيون المعتدلون من أن الزيارة سوف تؤدي إلى كسر الجليد في المنطقة، وأعلن أحد وجهاء نابلس أن مبادرة الرئيس السادات خطوة كبيرة لإنهاء حالة الحرب في المنطقة وسوف تحل مرحلة جديدة تكون بمثابة الإطار التي تجد فيه القضية الفلسطينية حلاً لها^(٥٤٠)، بينما احتج معظم الفلسطينيين على زيارة الرئيس السادات، ففي اليوم الثاني لذهاب الرئيس السادات إلى القدس وبعد خروجه من المسجد الأقصى جوبه بمعارضة قوية من سكان القدس هاتفين (أيها الخائن لا يحق لك أن تبيعنا، فلسطين عربية)^(٥٤١)، وفي مدينة نابلس نظم مجموعة من الشباب مظاهرة في ميدان الساعة حملوا فيها شعارات أدانت نظام السادات، ورشق المتظاهرون المركبات (الإسرائيلية) بالحجارة، وأوقف مشفى المقاصد في القدس الشرقية العمل لمدة ساعة

^(٥٤٠) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المصدر السابق،

ص ١٣٣.

^(٥٤١) جمال سعد نوفان، مصر من اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨

حتى اغتيال السادات عام ١٩٨١ دراسة تاريخية، رسالة

ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى معهد التاريخ العربي

والتراث العلمي للدراسات العليا بغداد، ٢٠٠٨، ص ٢٥.

^(٥٣٧) "الموقف العربي من زيارة السادات للقدس"، مجلة شؤون

فلسطينية، العددان (٧٤-٧٥) في كانون الثاني-شباط

١٩٧٨، ص ٢١٦؛ المعاري، المصدر السابق، ص ١٨.

^(٥٣٨) الحسني، المصدر السابق، ص ٨٨.

^(٥٣٩) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٧، ص ٤٤٨-

بالخائن، وعلنت ان الرئيس السادات: "سيظل زعيما لنا، وسنسير وراءه"^(٥٤٥).

ودعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كل من سورية وليبيا والعراق والجزائر واليمن الديمقراطية إلى لقاء سريع من اجل بحث التطورات السياسية على الساحة العربية^(٥٤٦). وفي ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧ توجه إلى دمشق وفد فلسطيني برئاسة ياسر عرفات مع عدد من المسؤولين الفلسطينيين، وكان في استقبالهم الرئيس الاسد، وقد عقد الوفد سلسلة من الاجتماعات المشتركة مع الجانب السوري تدارس فيها الاوضاع الراهنة والنتائج التي ترتبت على زيارة السادات. وفي ختام المباحثات صدر بيان مشترك أكد فيه الجانبان على اهمية التضامن الوجداني لمواجهة خطوة السادات والصهيونية الهادفة إلى تصفية القضية الفلسطينية، واتفقا على ابقاء جلسات الوفدين في حال انعقاد دائم^(٥٤٧).

فيما أعربت الحكومة الأردنية عن دهشتها لمبادرة الرئيس السادات، وأدانت قيامه بخطوة منفردة

احتجاجاً على تلك الزيارة^(٥٤٢)، وصرح مسؤول الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ان زيارة الرئيس السادات اساءة بالغة للمساعي الدولية من اجل احلال السلام في المنطقة^(٥٤٣).

امتدت مظاهر الصراع إلى وسائل الاعلام، التي بدأت بشن حملات اعلامية على نظام السادات، إذ قالت صحيفة الشعب الفلسطينية والمعروفة بتأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية ان الزيارة احدثت شرخا في العالم العربي، ودعت في عناوينها إلى مقاومتها ومهاجمة المؤسسات المصرية المنتشرة في الدول كافة^(٥٤٤). بينما وقفت صحيفة القدس الفلسطينية إلى جانب النظام المصري فأشادت بخطوة الرئيس السادات، وناشدت الفلسطينيين في المناطق المحتلة بالوقوف إلى جانب الرئيس السادات وتأييد سياسته ودعمها، واعربت عن استيائها لمن نعتته

^(٥٤٢) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، زيارة السادات

لإسرائيل، العددان (٢١-٢٢)، السنة (٧) في كانون الأول

١٩٧٧، ص ٧٨٩-٧٩٠.

^(٥٤٣) العظيم، المصدر السابق، ص ٩٩.

^(٥٤٤) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المصدر السابق، ص

^(٥٤٥) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، زيارة السادات

...، ص ٧٨٥.

^(٥٤٦) الحسيني، المصدر السابق، ص ٩١.

^(٥٤٧) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٧، ص ٤٦٨-

وصرح الملك حسين في خطاب ألقاه عبر التلفزيون والإذاعة الأردنية في ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر: "أن الأزمة التي تمر بها الأمة العربية لم تبدأ من المبادرة، بل إن خطوة السادات المنفردة كانت انعكاساً لواقع عربي مؤلم تعيشه الأمة ونتيجة لأوضاع عربية خطيرة، وإن اتسم موقفنا من المبادرة بالتحفظ في الجوهر والشكل، وإننا نتفهم الأسباب التي دفعت السادات لاتخاذ مثل هذا القرار" (٥٥١).

كذلك اتسم موقف الحكومة اللبنانية بالتحفظ (٥٥٢)، إذ أشار رئيس الوزراء اللبناني إلى التطورات السياسية الخطيرة التي يشهدها الوطن العربي نتيجة مبادرة الرئيس السادات قائلاً: "كما نتمنى ألا يحصل ما يشق الصف العربي أو يعكر صفو العلاقات بين الدول العربية الشقيقة خصوصاً في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها القضية الفلسطينية" (٥٥٣).

ورداً على زيارة الرئيس السادات لـ(إسرائيل) وبناءً على الدعوة التي وجهها الرئيس الليبي معمر القذافي إلى الدول العربية في ٢٠ تشرين

على هذا المستوى ووصفها بالخطرة، وناشدت الدول العربية إلى معالجة الأمر بالروية وعدم توسيع فجوة الخلاف (٥٤٨).

وقد اتسم الموقف الأردني بالتحفظ، إما حرصاً على اعتبارات التضامن العربي، وإما انطلاقاً من حساسية بعض علاقاته العربية لا سيما سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية (٥٤٩)، لكنه كان ميالاً ومتفائلاً لتلك الزيارة وهذا ما تبين من تصريح وزير الإعلام الأردني عدنان أبو عودة في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر، قائلاً: "إن الزيارة حققت نجاحاً لأنها إذابة الجليد، وإزالة الحاجز النفسي، وطرحت آفاقاً جديدة لبدء مؤتمر السلام في جنيف"، وفي الوقت ذاته زار رئيس الوزراء الأردني مضر بدران دمشق بغية إقناع الرئيس الأسد بعدم معاداة مصر والعمل على تضيق شق الخلاف القائم بين الجانبين (٥٥٠).

(٥٤٨) موسى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٥٤٩) أمل الشاذلي، المبادرة من زيارة القدس إلى مهمة أثرتون، مجلة السياسة الدولية، العدد (٥٢)، السنة (١٤) في أبريل

١٩٧٨، ص ٨٣؛ المجذوب، حرب أكتوبر طريق السلام،

ص ١٠٩؛ عبد الستار الطويلة، السادات في إسرائيل

حرب ام سلام، (د. م)، مؤسسة دار التعاون للنشر

والطبع، (١٩٧٨)، ص ٥٢.

(٥٥٠) حمدي، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٥٥١) الحسني، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٥٥٢) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٥٥٣) سعد الدين إبراهيم، المبادرة بين التصلب الاسرائيلي

ومجموعة الرفض، مجلة السياسة الدولية، العدد (٥٢)،

السنة (١٤) في أبريل ١٩٧٨، ص ٢٤.

الثاني/ نوفمبر لعقد مؤتمر قمة عربية مصغر في طرابلس
 لبحث الوضع الراهن ولمواجهة النتائج المترتبة على
 الزيارة^(٥٥٤)، عقد في طرابلس مؤتمر قمة للفترة من ٢-
 ٥ كانون الأول/ نوفمبر ١٩٧٧ بحضور كل من الجزائر
 وسورية والعراق واليمن الديمقراطية الشعبية ومنظمة
 التحرير الفلسطينية، ودعا المتجمعون إلى إدانة زيارة
 السادات إلى فلسطين المحتلة والعمل على إسقاط
 نتائجها، وتجميد العلاقات السياسية والدبلوماسية مع
 النظام المصري ومقاطعته وإيقاف التعامل معه،
 والامتناع عن اشتراك مصر في جلسات جامعة الدول
 العربية والمنظمات التابعة لها، ودعا المؤتمر إلى تقديم
 الدعم المالي والسياسي والعسكري إلى الحكومة
 السورية بوصفها دولة المواجهة الرئيسة لـ(إسرائيل)
 .^(٥٥٥)

كما تمخض المؤتمر عن ولادة جبهة الصمود
 والتصدي التي ضمت كل من ليبيا وسورية والجزائر
 واليمن الديمقراطية الشعبية ومنظمة التحرير
 الفلسطينية^(٥٥٦)، باستثناء العراق الذي أعلن
 انسحابه من المؤتمر، وأصدر بياناً أوضح فيه الأسباب
 التي دفعت الوفد العراقي إلى الانسحاب، وهي عدم
 استعداده للمشاركة في جبهة تقوم على أسس سياسة
 التسوية، وبناء على ذلك دعا العراق إلى عقد مؤتمر
 في بغداد لبحث الوضع العربي بعد زيارة السادات،
 وقد عزز دعوته تلك بتشكيل جبهة الصمود والتحدي
 تضم الدول العربية التي اجتمعت في قمة طرابلس
 وتعمل وفق ميثاق تضمن برنامجاً كفاحي طويلاً الأمد،
 ورفض الحلول الاستسلامية ولا سيما قرار مجلس
 الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ومؤتمر جنيف^(٥٥٧)، وأكد العراق أنه

^(٥٥٤) عبد العظيم رمضان، مصر في عصر السادات، ج٢،

(القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩)، ص١٣٤؛ الحسني،

المصدر السابق، ص٨٨.

^(٥٥٥) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٧، ص٥٢٥-

٥٢٦؛ أحمد سعيد نوفل، مصر والحل السياسي وآثاره،

في نخبة من الباحثين، القضية الفلسطينية والصراع العربي

الصهيوني، ج٢، ٢م، (عمان، مؤسسة عبد الحميد

شومان، ١٩٨٩)، ص٦٥٩؛ للاطلاع على بيان مؤتمر

طرابلس ينظر، "نص البيان الصادر عن مؤتمر القمة العربي

للدول العربية التقدمية"، مجلة مركز الدراسات

الفلسطينية، العدد (٢٦) في كانون الثاني- شباط

١٩٧٨، ص١٤١-١٤٤.

^(٥٥٦) بيتر مانسفيلد، تاريخ مصر الحديثة والشرق الاوسط،

(القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦)، ص٥٢٧؛ مجلة ألف

باء، العدد (٤٨٢)، السنة (١٠) في ١٤ كانون الأول

١٩٧٧، ص٦.

^(٥٥٧) الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، لماذا انسحب العراق

من مؤتمر طرابلس، (بغداد، دائرة العلاقات العامة، دار

الحرية للطباعة، ١٩٧٨)، ص٤٩-٥٤؛ عصام

يجب أن لا تؤدي الإجراءات بشكل من الأشكال إلى الإضرار بالشعب المصري، أي يجب أن نفرق بين موقف السادات، وموقف الشعب المصري بتقديم المساعدة للشعب المصري من أجل إنقاذه من المؤامرة الخطيرة، إلا أن عدم وضوح مواقف بعض الدول العربية ومعارضة الأخرى حالت دون انعقاد المؤتمر^(٥٥٨).

وأمام تلك التطورات أعلنت كل من سورية وليبيا عن عزل الرئيس السادات من رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية ونقل مقرها إلى مدينة طرابلس^(٥٥٩).

جاء رد الرئيس السادات على منتقدي مبادرته وقرارات مؤتمر طرابلس بقطع علاقات مصر مع الدول العربية التي أسهمت في إنشاء جبهة الصمود والتصدي، وأصدر أمر للعاملين في سفاراتها بمغادرة مصر، وإغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة^(٥٦٠)، وأشار الرئيس السادات بالقول: "أن

شريف، محاور السياسة العربية في الثمانينات، (بغداد،

دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)، ص ١٢-١٣.

^(٥٥٨) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٧، ص ٥٢٥-

٥٢٧؛ الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، لماذا انسحب

العراق من مؤتمر طرابلس، ص ٦٧.

^(٥٥٩) الجميلي، المصدر السابق، ص ٨٩.

^(٥٦٠) مانسفيلد، المصدر السابق، ص ٥٢٧.

الحكومة المصرية حرة في رسم وإدارة سياستها على الوجه الذي يحقق ما ترسمه من أهداف قومية، إن مصر لم تحرم أحداً من أن يختلف معها أو تكون له رؤية خاصة، وأنها لم تعترض على أي طرف عربي آخر في طريقه لإدارة سياسته، فمن باب أولى أن تمسك بحقوقها في ممارسة سياستها في إطار الالتزام القومي العام من دون ضغط أو وصاية من أي نوع ولا سيما حينما يكون هذا الضغط وهذه الوصاية ممن لم يبلغوا من النضج الفكري والقومي المدى المناسب، وأن الحكومة المصرية تصر دائماً على أن يكون فكرها وقرارها من ذاتها وضمير شعبها"^(٥٦١).

في سياق ما تقدم يتضح أن جبهة الرفض كانت تقتصر على إستراتيجية موحدة تجمع الدول العربية المعارضة لسياسة النظام المصري، فقد استمرت الحساسيات والتناقضات فيما بينها ولعل خروج العراق من مؤتمر طرابلس خير دليل على ذلك، إذ عجزت تلك الجبهة عن طرح بديل إستراتيجي عسكري لمبادرة الرئيس السادات وإن عدم اتفاقها على مواجهة

^(٥٦١) المجلس القومي للشباب والرياضة جهاز الشباب، مسيرة

مصر مع بطل السلام وقائد النصر الرئيس محمد أنور

السادات، (القاهرة، مطابع دار الشعب، د.ت)، ص ٦٠.

سياسة التسوية يلقي ظللاً كثيفة على جديتها في معالجة الصراع^(٥٦٢).

وتلي رحلة الرئيس السادات إلى القدس، إقدامه على توجيه دعوة أثناء الخطاب الذي ألقاه أمام مجلس الشعب المصري في ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر إلى كل من سورية والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية و(إسرائيل) والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وهيئة الأمم المتحدة لحضور مؤتمر تحضيرى يعقد في القاهرة يوم ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٧^(٥٦٣).

في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر وصل وفد (إسرائيلي) برئاسة مناحيم بيغن إلى مدينة الاسماعيلية لإجراء مباحثات مع الرئيس السادات ومستشاريه^(٥٦٤).

^(٥٦٤) تجدر الإشارة هنا إلى أنه عندما بدأ المؤتمر جلساته كان علم فلسطين مرفوعاً ضمن أعلام الدول المدعوة للمؤتمر، وهنا أصر الوفد (الإسرائيلي) على أحد الأمرين إما أنزال العلم أو مقاطعة جلسات المؤتمر الأمر الذي رضخت له مصر وتم أنزال العلم الفلسطيني، رياض، البحث عن السلام...، ص ٥٦١؛ عصمت عبد المجيد، زمن الانكسار والانتصار، مذكرات دبلوماسي عن أحداث مصرية وعربية ودولية، (القاهرة، دار الشروق، ط/٣، ١٩٩٣)، ص ٥٧ وما بعدها.

^(٥٦٥) صحيفة البعث، العدد ٣٥٤٣ في ١١-١٢-١٩٧٧.

^(٥٦٦) عبد المجيد، المصدر السابق، ص ١٦٠؛ رمضان، المصدر السابق، ص ١١٩.

^(٥٦٧) جورج و. بول ودوغلاس ب. بول، أمريكا وإسرائيل

علاقة حميمة التورط الأمريكي مع إسرائيل منذ العام ١٩٤٧ وحتى الآن، نقله إلى العربية محمد زكريا إسماعيل،

انعقد هذا المؤتمر في فندق مينا هاوس في القاهرة حضرته مصر و(إسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية، ووفد بصفة مراقب عن هيئة الأمم المتحدة، وامتنعت الأطراف الأخرى عن الحضور، وقد حددت المفاوضات المصري أسس السلام التي تريدها مصر وهو ما جاء في خطاب الرئيس السادات في

^(٥٦٢) طه المجذوب، حرب أكتوبر طريق السلام، (القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٩٣)، ص ١١٤-١١٥.

^(٥٦٣) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٧، ص ٤٧٨-

٤٩٢؛ رياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤١-٢٤٢؛

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، زيارة السادات

ل(إسرائيل)، ص ١٣٥-١٣٦.

على أية حال، فقد أحدثت زيارة الرئيس السادات إلى (إسرائيل) آثاراً سلبية عميقة، إذ اتجهت العلاقات المصرية مع الدول العربية ولا سيما مع دول المواجهة العربية نحو التدهور فكانت أول وأخطر نتائجها انقسام الوطن العربي وإضعاف كيانه، وانعزال مصر عن النظام العربي وانحسار دورها نتيجة إتباع مصر سياسة التسوية مع (إسرائيل) بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية.

وعقد الجانبان اجتماعات عدة، طرح خلالها بيجن مشروعه الخاص بالانسحاب من سيناء وإقرار الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة^(٥٦٨)، كما اجتمع الرئيس السادات مع بيجن على انفراد وانتهت المباحثات بالاتفاق على تشكيل لجنتين سياسية على مستوى وزراء الخارجية على أن تبدأ اجتماعاتها في القدس، وعسكرية على مستوى وزراء الدفاع تعقد اجتماعاتها في القاهرة^(٥٦٩).

الخاتمة

(بيروت، مكتبة بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)،

ص ١٠٩.

^(٥٦٨) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مشاريع التسوية

الاسرائيلية ١٩٦٧-١٩٧٨ دراسة توثيقية نقدية، (بيروت،

١٩٧٨)، ص ٣.

^(٥٦٩) جورج و. ودوغلاس ب. بول، أمريكا وإسرائيل علاقة

حميمة التورط الأمريكي مع إسرائيل منذ العام ١٩٤٧

وحتى الآن، نقله إلى العربية محمد زكريا إسماعيل،

(بيروت، مكتبة بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)،

ص ١٠٩؛ فانس، المصدر السابق، ص ٧١.

وإعادة السيادة المصرية في شبه جزيرة سيناء، ونزع السلاح عن الجزء الأكبر من سيناء، وتواجد محدود للقوات المصرية في المنطقة المتصلة بقناة السويس .

اثارت هذه الزيارة موجات من الغضب والاستنكار العربي، اذ عمت دول المواجهة العربية مظاهرات ومسيرات احتجاجاً على الزيارة، وأقدم المتظاهرون على اقتحام مقرات السفارات المصرية والسيطرة عليها، وإحراق عدد منها في أنحاء دول العالم، وعلى الساحة العربية عموماً غطى الحزن والألم العميق والإحساس أن (إسرائيل) تمكنت من تحقيق ما رفضه الوطن العربي بكل نظمته وحكوماتها طوال الثلاثين عاماً .

مما تقدم نصل إلى ان رحلة الرئيس محمد انور السادات الى القدس تمخضت عن نتائج عدة أبرزها، الاعتراف الصريح بـ(إسرائيل) ووجودها الذي يشمل الدولة والحكومة، وتأكيدها رغبة النظام المصري في إرساء قواعد السلام الدائم معها، وإلغاء مبررات عقد مؤتمر جنيف، وأن الزيارة فتحت الطريق أمام الدول العربية الأخرى لإجراء مفاوضات مباشرة مع (إسرائيل) في الوقت الذي لم تكن مصر سوى الانقسام والتفكك مع العالم العربي ولا سيما دول المواجهة العربية .

كان القرار من أكثر القرارات إثارة في تاريخ الصراع العربي - (الإسرائيلي)، ووصفت (إسرائيل) والأوساط الغربية بأنه عمل إيجابي وخطوة كبيرة نحو السلام النهائي في المنطقة، لم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية يمكن أن يعرض قراره بالاستعداد للذهاب إلى أرض الخصم (إسرائيل) علنيةً والدول العربية كافة لا تزال في حالة حرب معها . رفض الرئيس السادات أي تدخل أو مشورة عربية بالعدول عن سياسته، فقام في ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٧ بزيارة القدس التي تابعتها محطات الإذاعة المرئية في العالم كافة، وفي مساء اليوم نفسه عقد الرئيس السادات اجتماعاً مع بيغن في فندق الملك داوود، وتم الاتفاق فيه على أنه لا حرب جديدة بين الجانبين،

محاولة انقلاب ١٥ تموز ٢٠١٦ الفاشلة في تركيا

ونائجها داخليا وخارجيا

د . افراح ناثر جاسم حمدون

ملخص البحث

يتناول البحث انقلاب ١٥ تموز ٢٠١٦ في تركيا ، وهو الانقلاب الخامس في تاريخ الجمهورية التركية ، والاسباب التي ادت الى الانقلاب ومنها التعديلات الدستورية لحكومة حزب العدالة والتنمية والتي طالت الكثير من صلاحيات وامتيازات المؤسسة العسكرية، كما تطرق البحث الى احداث الانقلاب من بدايته حتى انتهائه بالفشل والجهات التي ساهمت فيه والتي كانت تقف وراءه سعيا منها للاستيلاء على السلطة وفي مقدمتها بعض قيادات الجيش وجماعة فتح الله غولن او ما تسمى بجماعة الخدمة او الكيان الموازي، كما تطرق البحث الى النتائج التي افرزها الانقلاب على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد الخارجي من خلال المواقف الدولية من الانقلاب وانعكاسها على العلاقات الخارجية لتركيا

Abstract

The research tackles the abortive coup of July 15,2016 in Turkey which was the fifth during the history of the Turkish republic. Among the reasons that led to the coup were the constitutional amendments by the government of the AKP that came over alot of the authorities and prerogatives of the military. Also, the research treated the coup events from the beginning to the failing end and the participating parts that stopped behind it and wanted to sieze power at the head were army commanders and the group of Fathullah Gulin and what is called the group of service or the equal entity. In addition, the research went into the internal and external results of the coup through the international attitudes towards it and their reflections on the Turkish foreign relations.

المقدمة:

حظيت محاولة الانقلاب الفاشلة التي شهدت تركيا ليلة ١٥ تموز ٢٠١٦ اهتماما واسعا على الصعيد الدولي سياسيا وأمنيا، فعلى الرغم من فشل محاولة الانقلاب التي لم تستمر سوء بضع ساعات إلا إنها تركت أثارا ونتائج كبيرة بعضها على المدى القريب وبعضها الآخر على المدى البعيد، ولم يقتصر تأثيرها على تركيا فحسب بل أثر على علاقات تركيا الإقليمية والدولية خاصة مع الدول التي تربطها بتركيا علاقات استراتيجية.

وتتميز تركيا بنظامها العلماني الخاص الذي منح المؤسسة العسكرية التركية صلاحيات واسعة على حساب مؤسسات الدولة المدنية، فالمؤسسة العسكرية في تركيا تمارس دور الوصايا على المؤسسة السياسية لذا كان الجيش منفذا لأربعة انقلابات في تاريخ تركيا، كان كل انقلاب منها يعزز من مكانة العسكر وقوتهم، إلا إن الأمر اختلف مع محاولة الانقلاب الأخيرة إذ لم تعد الانقلابات مقبولة بعد القفزة التي شهدتها تركيا في مجال الإصلاحات الدستورية وفي أكثر من مجال والتقدم الاقتصادي الذي بدأت تركيا تحني ثماره

وانعكس على المواطن التركي رفاهية واستقرارا، كما إن الشعب التركي لم ينس ما كان يتركه كل انقلاب من أثار على الحياة العامة في تركيا.

هذا البحث محاولة لدراسة انقلاب ١٥ تموز ٢٠١٦ الفاشل في تركيا من حيث الأسباب التي قادت العسكر لهذا الانقلاب وهل إن الانقلابيين على ارتباط أو مدعومين من جهة ما. وهو محاولة لفهم ما يدور في تركيا بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة السياسية، وتأثير هذا الانقلاب الفاشل على تركيا نفسها كذلك معرفة انعكاسات الانقلاب على علاقات تركيا وسياستها الخارجية خاصة مع أبرز الدول الفاعلة على الساحة السياسية إقليميا وعالميا.

ولغرض الإحاطة بكل جوانب الموضوع وفهمها، تم تقسيم البحث إلى ثلاث مباحث، تناول المبحث الأول العلاقة بين المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية وهما طرفي الانقلاب (الجهة المنفذة والجهة المقصودة) والتي تقسم إلى مرحلتين، مرحلة امتدت من عام ١٩٢٤ تاريخ تأسيس الجمهورية التركية حتى عام ٢٠٠٠ وهي المرحلة التي تميزت بالسيطرة

العلاقة بين المؤسسة السياسية والمؤسسة

العسكرية في تركيا

لا يخف على المهتمين بالشأن التركي الأهمية التي يحظى بها الجيش على امتداد تاريخ تركيا الحديث، إذ يعتبر أساس ودعامة مهمة للجمهورية التركية منذ تأسيسها لابل قبل اعلان الجمهورية من خلال دوره في حروب التحرير وصولاً الى اعلان الجمهورية مستمداً تلك الأهمية من الشخصيات التي قادة هذا الجيش وأسست الجمهورية التركية وأرست قواعد ومبادئ هذه الجمهورية وعلى رأسهم مصطفى كمال أتاتورك ومن عاصره من قادة الجيش.

مرت العلاقة بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة السياسية في تركيا بمرحلتين: -

مرحلة الاولى تمتد من عام ١٩٢٤ وحتى عام ٢٠٠٠ وهي فترة طويلة سيطر خلالها الجيش على المؤسسة السياسية والحياة السياسية عموماً. أما المرحلة الثانية تبدأ من عام ٢٠٠٠ وحتى الوقت الحاضر وتسم بتراجع دور الجيش في الحياة السياسية لصالح قوة المؤسسة السياسية.

التامة للعسكر والمرحلة الثانية تمتد من عام ٢٠٠٠ حتى الوقت الحاضر وفيها تراجع دور العسكر لصالح المؤسسة السياسية المتمثلة بالحكومة ومؤسساتها المدنية تحت عنوان الإصلاحات الدستورية التي طالب بها الاتحاد الأوروبي لضم تركيا إلى الاتحاد والتي كان قسم كبير منها يخص المؤسسة العسكرية وصلاحياتها.

أما المبحث الثاني فقد تناول واقعة الانقلاب الفاشلة وما جرى خلالها من أحداث لكن بشكل مقتضب فما يهمنا من هذه الدراسة الأسباب التي دفعت العسكر إلى الإقدام على هذه الخطوة والنتائج المترتبة على محاولة الانقلاب داخليا وخارجيا والجهات التي دعمت الانقلاب.

وتطرق المبحث الثالث إلى نتائج الانقلاب الفاشل، إذ كان للانقلاب نتائج مهمة وخطيرة على تركيا نفسها سياسيا وأمنيا وحتى اقتصاديا وهو ما تناوله القسم الأول من هذا المبحث أما القسم الثاني فقد تناول نتائج وانعكاسات الانقلاب على سياسة تركيا الخارجية وعلاقاتها الدولية.

المبحث الاول

المرحلة الاولى: - اتسمت هذه المرحلة

بإصدار تشريعات ترسخ دور الجيش والمؤسسة العسكرية فقد جاء دستور عام ١٩٢٤ ليجعل ارتباط الجيش المباشر برئيس الجمهورية وفق المادة (٤٠) من هذا الدستور والتي تنص على ان ((القيادة العامة لكافة القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية في عهدة رئيس الجمهورية)) [وهي بهذا تجعل الجيش خارج نطاق المؤسسات السياسية المتمثلة بالوزارات]، وفي ١٨ حزيران ١٩٣٥ تم اقرار القانون رقم (٢٧٧١) الذي حدد مهمات الجيش الداخلية واحكم سيطرته على الحياة السياسية اذ حددت المادة (٣٤) من هذا القانون وظيفة الجيش ومهمته الاساسية بـ ((ان وظيفة الجيش هي حماية الجمهورية وصون الوطن التركي))^(٥٧٠).

وفق ما تقدم أصبح الجيش في تركيا حارساً للجمهورية ومراقباً للمؤسسة السياسية وحكوماتها، ومن هذا المنطلق شهدت تركيا

منذ مطلع ستينات القرن الماضي وحتى نهايته اربعة انقلابات عسكرية كانت الثلاث الاولى منها انقلابات مباشرة تدخل فيها الجيش وتسهم مقاليد السلطة لحين انتخاب حكومة جديدة، فيما عرف الانقلاب الرابع بأنه انقلاب غير مباشر او ما يسمى بانقلاب ما بعد الحداثة اذ ارغم الجيش الحكومة على تنفيذ طلباته دون المساس ببقية مؤسسات الدولة، وفي اعقاب كل انقلاب عسكري كان هناك دستور جديد يعزز من هيمنة واستقلالية المؤسسة العسكرية، وكان العامل المشترك حسب البيانات التي كان الجيش يعلنها بعد الانقلاب هو حماية الدستور ومبادئ الجمهورية التركية ووضع حد لحالة الفوضى والتناحر بين ابناء الشعب والحفاظ على أمن وسلامة الدولة ونظامها العلماني الديمقراطي بعد ان فشلت الاحزاب السياسية الحاكمة عن وضع حد للأزمات السياسية والاقتصادية التي يمر بها البلد، وهذا ما كان يجعل الشعب التركي صامتاً وراضياً نسبياً عن تلك الانقلابات^(٥٧١).

^{٥٧٠} - طارق عبد الجليل ، العسكر والدستور في تركيا من القبضة الحديدية الى دستور بلا عسكر ، ط٢ (القاهرة : ٢٠١٣) ، ص.ب ٥١-٥٧ .

^{٥٧١} - للمزيد من التفاصيل حول الانقلابات العسكرية في تركيا ينظر: د.أ. دان يولوف، الجيش في تركيا سياسة وانقلابات

ففي عام ١٩٦٠ قام الجيش بأول انقلاب عسكري في تاريخ تركيا الحديث وسيطر على المؤسسات الحكومية ومقر الرئاسة ووسائل الإعلام وتم القضاء القبض على رموز الحكومة آنذاك وأعلنت الاحكام العرفية وتم وضع دستور جديد للبلاد كرس هيمنة العسكر على مفاصل الدولة السياسية والمدنية^(٥٧٢).

كان اهم ما تمخض عنه دستور ١٩٦٠ فيما يخص الجيش انه حصن دوره السياسي دستورياً من خلال استحداث مؤسسة عسكرية جديدة نص عليها الدستور وهي (مجلس الأمن القومي) الذي يضم قادة القوات المسلحة والوزراء الأساسيين في الحكومة ويناقش هذا المجلس كل القضايا المتصلة بالأمن القومي للبلاد داخلياً وخارجياً^(٥٧٣)، وفي عام

(١٩٦٠، ١٩٧٠، ١٩٨٠)، ترجمة: يوسف إبراهيم الجهماني، (دمشق: ٢٠٠٠).

١٩٧١ حصل الانقلاب الثاني في تركيا بسبب الاضطرابات التي ضجت بها تركيا والصراعات الدامية بين تيارات اليمين واليسار والتدهور الاقتصادي واتساع العنف والاعتقالات، فقام الجيش بإعلان مذكره انقلابية تهديدية اذ لم يشأ الجيش هذه المرة الاستيلاء التام على السلطة واكتفى بأجراء تعديلات دستورية للحد من الحريات التي ادت الى الفوضى والعنف، وقد منحت هذه التعديلات صلاحيات واسعة للجيش لفرض سيطرة أكبر على الحياة السياسية من خلال منح الجيش صلاحية فرض الاحكام العرفية وتعزيز وضعه الجيش في الجهاز القضائي^(٥٧٤).

أما الانقلاب الثالث فحدث في ١٢ ايلول ١٩٨٠ بعد ان فشلت الحكومة آنذاك في تجاوز مشكلات تركيا التي كانت تتمحور حول الازمة الاقتصادية والعنف السياسي والمد الاسلامي

^{٥٧٢} - إبراهيم خليل أحمد وآخرون، تركيا المعاصرة،

(الموصل: ١٩٨٩)، ص. ٥٠ _ ٥١؛ Ahmed Ali Aybar, Tip: Turkey isc: parties: Trihi 1, (Istanbul:1988), s:71.

^{٥٧٣} - محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة، مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية، (بيروت: ١٩٩٨)، ص ٨٥

^{٥٧٤} - طارق عبد الجليل، "الجيش والحياة السياسية... تفكيك القبضة الحديدية"، في علي حسين باكير وآخرون، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، (الدوحة: ٢٠١٠)، ص ٧١.

المسلحة بغية زيادة الثقل العسكري داخل المجلس^(٥٧٦).

كان أبرز انجاز للعسكر في دستور ١٩٨٢ فهو قرار تشكيل الامانة العامة لمجلس الأمن القومي على أن يتولى أمانتها فريق أول ترشحه رئاسة الأركان العامة وتشمل مهام هذه الأمانة كل شؤون تركيا عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً فضلاً عن حماية المبادئ الاتاتورية ومراقبة الجهاز التنفيذي^(٥٧٧).

أما الانقلاب الرابع او انقلاب ما بعد الحداثة الذي استهدف الحركة الإسلامية في تركيا متمثلة بحزب الرفاه الذي تسنم زعيمه نجم الدين اربكان رئاسة الحكومة التركية بائتلاف حكومي مع حزب الطريق الصحيح والذي عده العسكر تهديداً للمبادئ العلمانية

الذي راء فيه الجيش الخطر الأكبر على علمانية تركيا^(٥٧٥) تمخض الانقلاب عن وضع دستور جديد للبلاد يوصف بأنه الأكثر تأثيراً في اعطاء صلاحيات واسعة للمؤسسة العسكرية التركية في التدخل في الحياة السياسية وفي أمور الدولة داخلياً لذا يوصف هذا الدستور بأنه عسكرة للدولة والمجتمع ومن هذه الصلاحيات تعيين جنرالات داخل عدد كبير من مؤسسات الدولة مثل المجلس الأعلى للتعليم واتحاد الإذاعة والتلفزيون ليكونوا مراقبين على هذه المؤسسات وتوسيع مجالات اعلان حالة الطوارئ والاحكام العرفية والأهم تعديل سلطات مجلس الأمن القومي حيث نصت المادة (١١٨) على زيادة عدد الاعضاء العسكريين في المجلس بإضافة قادة القوات

^{٥٧٦} - عبد الجليل، "الجيش والحياة السياسية"، ص ٧٢، دستور الجمهور التركية لسنة ١٩٨٢، ترجمة صلاح سليم، مركز الدراسات الإقليمية /جامعة الموصل، المادة ١١٨.

^{٥٧٧} - عبد الجليل، "الجيش والحياة السياسية"، ص ٧٣.

^{٥٧٥} - للمزيد حول أوضاع تركيا الداخلية في فترة السبعينات وصولاً الى انقلاب ١٩٨٠ ينظر: نوال عبد الجبار ظاهر الطائي، "التطورات السياسية في تركيا ١٩٦٠ - ١٩٨٠ دراسة تاريخية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل / كلية التربية: ٢٠٠٢).

ضوء مقررات القمة الأوروبية وثيقة الانضمام التركية، والتي وضعت آلية يتعين على تركيا اتباعها لتنفيذ أولويات معينة وفق معايير كوبنهاغن للانضمام للاتحاد الأوروبي وهو ما ورد في تقرير مفوضية الاتحاد الأوروبي الصادر في تشرين الاول ٢٠٠٠ في الحالة التركية. وفي ١٩ آذار ٢٠٠١ أقرت الحكومة التركية البرنامج الوطني لتطبيق المعايير الأوروبية ومضت نحو تغيير بعض تشريعاتها الدستورية لتتفق مع متطلبات الانضمام للاتحاد الأوروبي وذلك بتمرير حزم من الاصلاحات القانونية في شتى المجالات (٥٨٠).

كانت تقارير الأداء التي أعدها الاتحاد الأوروبي لتقييم أداء تركيا حتى عام ٢٠٠١ قد ركزت على توجيه النقد للدور البالغ الذي يؤديه الجيش في الحياة السياسية من خلال مجلس الامن القومي، وطالبت بوجوب إعادة تنظيم المجلس دستوريا وتحويله الى مؤسسة استشارية في خدمة الحكومة. وعليه فقد جرت أولى التعديلات الدستورية في ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠١ وشملت (٣٧) مادة دستورية

في تركيا^(٥٧٨) وكانت التوجهات الاسلامية لحزب الرفاه قد أثارت حفيظه العسكر مما دفع مجلس الأمن القومي التركي إلى عقد اجتماع في ٢٨ شباط ١٩٩٧ حاملاً ملفات وأدلة على "مخالفات حكومة الرفاه" وانتهى الاجتماع بتقديم بيان أو إنذار مكون من (١٨) توصية حددها الجيش واجبر الحكومة على توقيع يلزمها بتنفيذ بنوده، شن بعدها الجيش حملة اعلامية ضد الرفاه ومصادر تمويله والضغط على أعضاء حزب الطريق الصحيح لتقديم استقالاتهم ومن ثم خفض مقاعد الحكومة في البرلمان مما اضطر الحكومة الى تقديم استقالاتها في ١٨ حزيران ١٩٩٧^(٥٧٩).

المرحلة الثانية: -

وتبدأ هذه المرحلة من علاقة المؤسسة السياسية بالمؤسسة العسكرية مع حلول عام ٢٠٠١ عندما أقر المجلس الأوروبي رسمياً وفي

^{٥٧٨} - محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول قلق الهوية وصراع الخيارات، (بيروت: ١٩٩٧) ص ٥٧.

^{٥٧٩} - ياسر أحمد حسن، تركيا البحث عن مستقبل، (القاهرة:

(٢٠٠٦)، ص. ص ١٤٩ - ١٥٠.

^{٥٨٠} - المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

كانت من ضمنها المادة (١١٨) الخاصة بمجلس الأمن القومي، اذ وسعت التعديلات من عدد الأعضاء المدنيين في المجلس بأدراج وزير العدل ورئيس الوزراء ونائبه وهو ما من شأنه ان يرجح كفة المقاعد المدنية، كما شملت التعديلات طبيعة قرارات المجلس فأصبحت قراراته تقيم من قبل مجلس الوزراء بعد ان كانت شبه ملزمة^(٥٨١).

تزمناً مع سعي تركيا الحثيث للانضمام للاتحاد الأوروبي وصل حزب العدالة والتنمية ذات الجذور الإسلامية الى الحكم في تركيا بفوز انتخابي ساحق^(٥٨٢). على عكس سلفه حزب الرفاه الذي ركز على علاقات تركيا مع دول الشرق الأوسط وخاصة الإسلامية، كان حزب العدالة يهدف منذ وصوله الى الحكم الى حصول تركيا على العضوية الكاملة في الاتحاد

^{٥٨١} - عبد الجليل، العسكر والدستور ، ص ١٥٥.

^{٥٨٢} - للمزيد من التفاصيل حول تأسيس حزب العدالة والتنمية وفوزه بالانتخابات ينظر: خالد حسنين وآخرون، الجراحة التجميلية للعمل الإسلامي، قراءة في تجربة حزب العدالة والتنمية التركي، (عمان: ٢٠٠٤).

الأوروبي ولم يكن ذلك مطلباً حكومياً فحسب بل كان مطلباً قومياً ومطلب النخب العلمانية بمختلف اطيافها وهو ايضاً مطلباً شعبياً من أجل حياة اقتصادية أكثر رفاهية، أما المؤسسة العسكرية فكانت تدرك ان انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي يعد سحباً لكافة سلطاتها السياسية والاقتصادية وإعادة هيكلة مؤسساتها بما يتفق ومعايير الاتحاد، إلا إنها رغم ذلك لم تكن قادرة على الوقوف بوجه هذا المطلب^(٥٨٣).

وتحت ذريعة إكمال متطلبات الانضمام للاتحاد الأوروبي أتخذ حزب العدالة والتنمية جملة من التعديلات الدستورية كان الهدف منها الحد من وصاية المؤسسة العسكرية وهيمنتها على الوضع السياسي وإيجاد نوع من التوازن بين السلطات المدنية السياسية والعسكرية، ففي بداية عام ٢٠٠٣ اصدرت الحكومة حزم قانونية جديدة بهدف إعادة هيكلة المؤسسات وكانت الحزمة السابعة التي صادق عليها البرلمان التركي في ٣٠ تموز ٢٠٠٣ نقطة التحول الأكبر في العلاقة بين المؤسسة السياسية

^{٥٨٣} - عبد الجليل، الجيش والحياة السياسية ، ص ٧٧.

والمؤسسة العسكرية، فقد تناول التعديل المادة (١٥) من قانون مجلس الأمن القومي قتم الغاء البند الخاص بوجوب تعيين الأمين العام للمجلس من بين اعضاء القوات المسلحة برتبة فريق أول لتنص على امكانية تولى شخصية مدنية لهذا المنصب وتم تعديل المادة الخامسة ايضا فأصبح اجتماع المجلس كل شهرين بدلاً من مرة كل شهر (٥٨٤)، كما جرى تعديل المادة الرابعة من قانون المجلس والتي تكلف المجلس بمهام المتابعة والتقييم لعناصر القوى الوطنية ومتابعة أوضاع الدولة في كافة المجالات لتقتصر مهامه وفق التعديل الجديد على رسم سياسة الأمن الوطني وتطبيقها وإخبار مجلس الوزراء بآرائه ثم ينتظر ما يسند اليه من مهام لتنفيذها ومتابعتها وبهذا يكون مجلس الأمن القومي قد تحول إلى هيئة أو جهاز استشاري، وتم إلغاء المواد (٩، ١٤، ١٩) والتي فقد المجلس بإلغائها الحق في الحصول على المعلومات والوثائق السرية بكل درجاتها عند طلبها من الوزارات والمؤسسات، كما تم

اجراء تعديل على المادة (٣٠) من قانون الجهاز الحاسبي التي كانت تعفي الكوادر العسكرية من الخضوع للرقابة المالية لتصبح المؤسسة العسكرية وكوادرها خاضعة للأشراف ومراقبة الجهاز المركزي للمحاسبة (٥٨٥).

التعديل الثاني على الدستور في عهد حزب العدالة والتنمية كان في آب ٢٠٠٤ وكان من بين المواد التي تناولها التعديل فيما يخص المؤسسة العسكرية هو تعديل المادة (١٣١) الخاصة بإلغاء عضوية جنرال عسكري في مجلس التعليم الأعلى وبتعديل آخر ثم إلغاء عضوية الجنرال العسكري في اتحاد الإذاعة والتلفزيون ولأول مرة أصبح المجلس الأعلى للتعليم واتحاد الإذاعة والتلفزيون مؤسستين مدنيتين غير خاضعتين لمراقبة العسكر وشملت التعديلات الدستورية أيضاً السماح برفع الدعاوي القضائية لاستجواب ومقاضاة الجنرالات القدامى بشأن قضايا الفساد

^{٥٨٥} - محمد محمود مهدي، "إلى أين تتجه تركيا: الترسخ

الديمقراطي أم الدكتاتورية؟"، مجلة سياسات عربية، العدد ١٦ أيلول ٢٠١٥، الدوحة، ص ٧٩، عبد الجليل، السياسة والعسكر...، ص ٥

^{٥٨٤} موعة أفتور، "العلاقات المدنية العسكرية في عهد حزب العدالة والتنمية: التطورات والتحديات الرئيسية"، مجلة رؤيا تركية، السنة ٣، صف ٢٠١٤، العدد ٦، ص ٩٥.

والسماح للعسكريين بالأدلاء بتصريجات اعلامية في مجالات عسكرية فقط وتحت اشراف السلطة المدنية كما تم الغاء محاكمة المدنيين امام المحاكم العسكرية^(٥٨٦).

شهد عام ٢٠٠٧ أهم مواجهة بين حزب العدالة والتنمية الحاكم والمؤسسة العسكرية على خلفية انتهاء ولاية الرئيس التركي أحمد نجت سيزر إذ رشح الحزب وزير الخارجية والشخصية الثانية في الحزب عبدالله كول(٢٠٠٧-٢٠١٤) لمنصب رئيس الجمهورية وهوما أثار حفيظة المؤسسة العسكرية نظراً للسلطات الواسعة التي يمنحها الدستور لرئيس الجمهورية ورغبة الجيش في تولي شخصية علمانية لهذا المنصب فلجأ الجيش الى إصدار مذكرة نشرت على موقع الجيش الرسمي في ٢٧ نيسان ٢٠٠٧ تتحدث عن المخاوف من تولي كول منصب رئيس الجمهورية وعن مخاوف الجيش من العمل ضد العلمانية، فما كان من

حكومة العدالة والتنمية إلا أن ترد على تصريجات الجيش بأن مكتب رئيس هيئة الأركان تابع دستورياً لرئيس الوزراء، ودعا الجيش إلى الالتزام بمهامه العسكرية وعدم التعرض للشأن السياسي مطلقاً، فما كان من هيئة الأركان إلا أن تسحب تصريجاتها في اليوم التالي، ثم أصدرت الحكومة قراراً يمنع العسكريين من الإدلاء بتصريحات شفهية او مكتوبة تتعلق بالشأن السياسي، ثم جاء فوز الحزب في الانتخابات المبكرة في حزيران ٢٠٠٧، وتولى كول رئاسة الجمهورية^(٥٨٧)،

^{٥٨٧} - وهاب جوشكون، التعديلات الدستورية في ظل حكم حزب العدالة والتنمية، مجلة رؤية تركية، السنة ٣، العدد ٤، شتاء ٢٠١٤، ص ٦٥؛ Muniton Ataman, July 15 coup Attempt in Turkey (context, causes and consequences) (Ankara: 2017) p,26 ، السعدي، مصدر سابق، ص. ص ١١٤-١١٥

(*) الارجنكون : إحدى المنظمات السرية التي أسسها حلف الناتو بعد الحرب العالمية الثانية لتمارس إرهاب الدولة تحت غطاء محاربة الشيوعية وكانت في بدايتها تحت اشراف المخابرات الامريكية، أما تسمية الارجنكون فترتبط بأسطورة تركية قديمة تقول إن الأتراك عندما كانوا يعيشون في أواسط آسيا هاجمهم الصينيون وهزموهم وقتلوا ونهبوا واستولوا على ممتلكاتهم، ولم ينجوا منهم غير عدد قليل هربوا عبر الجبال إلى

^{٥٨٦} - رواء جاسم لطيف السعدي، "الإسلام السياسي: حزب العدالة والتنمية في تركيا ودوره في التغيير السياسي"، رسالة ماجستير (كلية الآداب والعلوم / جامعة الشرق الاوسط)، (عمان: ٢٠١٠)، ص ٩٤؛ مهدي، مصدر سابق، ص ٧٩

تشكل صفقة للمؤسسة العسكرية التي لم تعد
هذا الخطاب من المؤسسة السياسية .

ساهم حادث آخر في عام ٢٠٠٧ في
تقويض قبضة المؤسسة العسكرية وهو قضية
الارجنكون(*) والمطربة، ففي حزيران
٢٠٠٧ اكتشفت المخابرات التركية (٢٧) قبلة
يدوية في منزل قديم في اسطنبول لأحد ضباط

أن وصلوا إلى وادي خصب استقروا فيه وأطلقوا عليه "اركة
ناقون" وظلوا فيه لسنوات إلى أن تكاثروا وضاق بهم المكان ولم
يعرفوا كيفية الخروج منه إلى أن ظهر لهم ذئب أغبر دهم على
طريق الخروج ومن ثم تمكنوا من أن يفتحوا على العالم ويقومون
دولتهم لذلك أصبح الذئب الأغبر رمزاً للقوميين الأتراك وغدت
كلمة ارجنكون رمزاً للحفاظ على الجنس التركي وحملت
المنظمة هذا الاسم إيماناً بأن رسالتها هي حماية الأتراك والدفاع
عنهم، وقد ارتبطت المنظمة بهيئة الأركان العامة التركية وهناك
سرية كبيرة على أعمالها واختيار الضباط العسكريين العاملين
فيها، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي بقيت المنظمة إلا إن
أعمالها وجهت إلى التيار الإسلامي داخل تركيا الذي اعتبرته
الخط الأحمر الذي يهدد علمانية الدولة، وهي المسؤولة عن كثير
من التفجيرات والاعتداءات في تركيا . ينظر : كامل فتحي كامل
"الدولة العميقة في الخبرة التركية" بحث على شبكة المعلومات
موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية
والسياسية والاقتصادية ،على الرابط
www.democraticac.de

المتقاعدين وذلك اثناء التحقيق في قضية
اغتيال أحد المدعين العامين وتم القاء القبض
على ٢٠٠ شخص من الصحفيين والقادة
العسكريين ورجال الاعمال وتم العثور بعدها
على مذكرة لقائد القوات البحرية السابق
اوزدان اوريك يعود تاريخها إلى ٢٠٠٤ كشفت
عن مخططات للانقلاب تحت مسميات مشفرة
مثل (الفتاة السمراء ، ضوء القمر ، القفزات)
والتي خطط لها قادة القوات الجوية والبرية
وقوات الدرك وكانت أهم تلك العمليات هي
عملية المطربة والتي شملت التخطيط لتفجير
مساجد اثناء إداء صلاة الجمعة والقيام بأعمال
تخريبية واغتيال شخصيات سياسية
والتخطيط لحرب نفسية لأضعاف الإسلاميين
وإيصال شخصيات علمانية متشددة لمنصب
رئيس الأركان العامة، وقد طالت المحاكمات
على خلفية هذه القضايا العشرات من قادة
الجيش (٥٨٨) ، مما أدى إلى زعزعت موقف

^{٥٨٨} - فهمي هويدي "اخيراً ارجنكون في القفص"، جريدة
الاهرام، السنة ١٣٣، العدد ٤٤٥٢١، ٢٨ تشرين الأول ٢٠٠٨
مباح على شبكة المعلومات الدولية على الرابط
www.ahram.org.net ؛ كامل، مصدر سابق، ص

المؤسسة العسكرية أمام السلطة السياسية وأمام الشعب .

الصدام الثاني المباشر بين المؤسستين كان في عام ٢٠١١ عندما قدم رئيس الأركان العامة اشيك كوشنار في تموز ٢٠١١، استقالته على أثر خلافه مع رئيس الوزراء رجب طيب اردوغان (٢٠٠٣-٢٠١٤) حول ترقية عدد من قادة الجيش المتورطين في قضية ارجنكون والمطربة ، أعقبها جملة من الاستقالات قدمها قادة أفرع القوات المسلحة التركية البرية والبحرية والجوية، بهدف إحراج الحكومة ، إلا إن الحكومة صرحت بأن التعيينات والترقيات في الجيش سيتم اتخاذها وفقاً للقوانين ووافقت على طلبات الاستقالة وبسرعة تم تعيين القائد العام للدرك الجنرال نجديت أوزال قائد القوات البرية ورئيساً لهيئة الأركان العامة ، وتجدر الإشارة إلى إن التعديلات الدستورية التي اتخذت في عام ٢٠١٠ ساهمت في أضعاف المؤسسة العسكرية أيضاً، إذ ألغيت المادة (١٥) المؤقتة من الدستور والتي تمنح قادة الانقلابات حصانة شاملة من الملاحقة

القضائية، فجرى على أثرها تقديم العديد من أعضاء البرلمان والأحزاب السياسية والمنظمات اقتراحات لبدء التحقيق مع قادة الانقلابات السابقة وتم تشكيل لجنة تحقيق للنظر في جميع جوانب وتداعيات الانقلابات السابقة وجرت محاكمة من سمح سنه القانوني بالحكمة من منفي انقلاب ١٩٨٠ (٥٨٩)

واستمرت التعديلات الدستورية فشهد عام ٢٠١٤ موافقة البرلمان لإجراء تعديلات دستورية على قانون الجيش وصادق عليها رئيس الجمهورية، وتقضي هذه التعديلات إلى تطبيق الحكومة المدنية لأي انقلاب عسكري قد يحدث وذلك من خلال السماح بمقاضاة رئيس هيئة الأركان العامة وقادة القوات المسلحة وقوات الدرك أمام محاكم الدولة العليا بدل المحاكم الجنائية في حال استغلال مناصبهم لارتكاب الجرائم (٥٩٠).

^{٥٨٩} - طارق عبد الجليل ، "الاستقالات في القيادة العسكرية التركية : الدلالات والتداعيات"، تقارير شبكة الجزيرة ، اب ٢٠٠٧ ، متاح على شبكة المعلومات الدولية على الرابط www.Aljazeera.net

^{٥٩٠} - ساشا العلوي ، " تركيا : الانعطاف الخاطفة والتحول الكبير " مركز عمران للدراسات الاستراتيجية ، متاح على شبكة

المبحث الثاني

انقلاب ١٥ تموز الفاشل في تركيا

"اسبابه، وعوامل فشله"

شهدت تركيا في ١٥ تموز ٢٠١٦ حدثاً بارزاً في تاريخها الحديث تمثل بقيام بعض وحدات الجيش التركي بمحاولة انقلاب كانت في حالة نجاحها ستكون الانقلاب الخامس في تاريخ تركيا، إلا إن هذه المحاولة فشلت، لكنها رغم فشلها شكلت محطة فاصلة في التاريخ التركي ومسيرة حزب العدالة والتنمية بعد ما قطعت تركيا اشواطاً في مسيرة الاصلاحات الديمقراطية والاقتصادية، كما إنها محطة فاصلة في تاريخ العلاقة بين المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية، لما سيكون لها من تبعات على كل مفاصل الدولة التركية وفي مقدمتها الجيش.

أ- الانقلاب:

تفاجئ الشعب التركي في الساعة التاسعة ليلة ١٥ تموز ٢٠١٦ بوحدات من الجيش التركي تملأ الشوارع في أنقرة واسطنبول مع طيران كثيف ومنخفض، واغلاق المرور على جسري البسفور ومحمد الفاتح اللذان يربطان

وفي نظرة الى التعديلات الدستورية التي اتخذتها حكومة حزب العدالة والتنمية والتي كانت تحت مسمى التعديلات الدستورية والديمقراطية لمؤسسات الدولة لتطبيق ما جاء في مذكرة الاتحاد الأوروبي حول انضمام تركيا، يتضح سعي حكومة العدالة والتنمية لاستثمار الفرصة لإيجاد نوع من الموازنة بين السلطة العسكرية والسلطة السياسية، والتخلص تدريجياً من وصاية العسكر تحت غطاء قانوني ودولي لا تستطيع المؤسسة العسكرية الوقوف بوجهها وهو ما عكر بطريقة او بأخرى الأجواء بين الحكومة والعسكر الذين تعودوا الوصاية على كافة مفاصل الدولة التركية فلم يكن من السهل سحب هذه الصلاحيات من يد المؤسسة العسكرية. وهذا يتضح من خلال التخطيط لعمليات انقلابية أو مصادمات مع الحكومة وأن لم تكن على مستوى المؤسسة العسكرية كاملة إلا إنها كشفت عن امتعاض بعض قيادات الجيش من هذه التعديلات

المعلومات الدولية على الرابط

www.omrandirasat.org

الطرفين الاوربي والاسيوي من مدينة اسطنبول، تصاعدت الأحداث بعد ذلك لتكشف عن قيام الجيش التركي بانقلاب على الحكومة المنتخبة، وقد شارك في الانقلاب قطاعات من ألوية الجيش من بينها ألوية من المغاوير والمحاربين والعديد من القواعد الجوية وكامل القوات البحرية باستثناء الغواصات. (٥٩١)

عزل الانقلابيون أول الأمر رئيس هيئة الأركان العامة خلوصي أكار وقائد القوات البرية ونائب رئيس هيئة الأركان الذين كانوا مجتمعين في مقر رئاسة الأركان بعد ورود أنباء عن تحركات مريبة في صفوف الجيش وقد طلب الانقلابيين من أكار قيادة الانقلاب وإعلان البيان الأول للانقلاب إلا إن أكار رفض الأمر فأعتقله الانقلابيون مع القادة المرافقين له، وفي هذه الاثناء بدأت عملية الانقلاب بعد أن هبطت مجموعة عسكرية تابعة لقوات الجيش الخاصة في ديار بكر في قاعدة أتي مسعود

الجوية العسكرية في أنقرة وقسمت القوات الى ثلاث مجموعات، كان هدف المجموعة الأولى السيطرة على المقر الرئيسي للقوات الخاصة، ومهمة المجموعة الثانية السيطرة على المقر الرئيسي للأركان العامة اما المجموعة الثالثة كانت مهمتها السيطرة على القاعدة الجوية في أكجيجي او الحفاظ عليها لأنها كانت مقر اجتماعات الانقلابيين، وبعد الاستيلاء على قاعدة أكجيجي سيطر الانقلابيون على سرب من طائرات F16 عزز بسرب آخر من طائرات F16 من القاعدة الجوية الثامنة في ديار بكر، وحلقت سبع طائرات على علو منخفض فوق أنقرة لتخويف الناس وأمرت الطائرات بضرب قاعدة العمليات الخاصة للشرطة في غولباشي بعد ان فشلت المجموعة الاولى في السيطرة عليه وارسلت طائرتان إلى اسطنبول لقمع الشعب التركي الذي بدأ يتجمع في الشوارع، في نفس الوقت أمر قائد قاعدة انجوليك في ديار بكر طائرتين من طراز

^{٥٩١} - ويسل كورت، " محاولة انقلاب ١٥ تموز في سياق علاقة

(السياسة _ الجيش)" مجلة رؤية تركية، السنة ٥، العدد ٣،

KCI35 بالإفلاح لتزويد الطائرات المقاتلة

بالوقود جواً. (٥٩٢)

قدر بيان على الصفحة الرئيسية للقوات المسلحة التركية على شبكة المعلومات الدولية عدد المشاركين في الانقلاب ب (٨٦٥١) عنصر منهم (١٦٧٦) ضابط صف أول وجنود و(١٢١٤) من طلاب الكلية العسكرية أما الآليات فيقدر البيان عددها على النحو التالي (٢٤) طائرة حربية و(٣٧) طائرة هليكوبتر و(٨) طائرات اعتراض إضافة الى (٢٤٦) مدرعة منها (٧٤) دبابة و(٣) سفن و(٣٩٩١) سلاحا خفيفا. (٥٩٣)

كانت الخطة الأولى للانقلاب الفاشل هي السيطرة على رئاسة الأركان العامة وعلى

مبنى البرلمان ومقر جهاز المخابرات العامة ومقر القوات الخاصة للشرطة ومحاصرة المطارات والسيطرة عليها وعلى رأسها مطار اتاتورك ومطار صبيحة ومبنى الإذاعة والتلفزيون الرسمي التركي TRT وقبل كل ذلك أعتقال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان (٢٠١٤-) الذي كان يقضي إجازة نهاية الأسبوع في فندق في مرمريس او قتله إذا تعذر اعتقاله وقصف مبنى البرلمان ورئاسة الأركان ومقر المخابرات لإحداث فوضى وارباك الحكومة أما الخطة الثانية فكانت احكام السيطرة على عموم تركيا وإعلان حالة الطوارئ وتشكيل حكومة من قادة الانقلاب، أما قادة الانقلاب فكان على رأسهم المستشار القانوني لهيئة الأركان العامة محرم كوسا وقائد القوات الجوية السابق آكان اوزتورك وقائد قاعدة انجريك الجوية بكير ارجان فان وقائد الجيش الثاني الجنرال آدم حدودي وقائد الجيش الثالث الفريق أردال اوزتورك وقائد اللواء الخامس المدرع مراد سوسيال وعدد اخر من القادة (٥٩٤) .

^{٥٩٢} - مراد يشيل تاش ونجندت اوزتشيك، " محاولة الانقلاب العسكري التي اجهضت في تركيا: العملية والردود والافاق " ، مجلة رؤية تركية، السنة ٥، العدد ٣، صيف ٢٠١٦، ص ١٨٩

^{٥٩٣} - كورت، المصدر السابق، ص ٣٧
shahid Javed Burki, "Attempted Military Coup in Turkey : Some Lessons For South Asia and the Muslim world", ISAS working paper , institute of South Asian studies , No 235, 26 July 2016, www.isas.nus.edu.sg

^{٥٩٤} - كورت، المصدر السابق، ص ٣٧ ؛ "السلطات التركية تلقي القبض على ٣٨ جنرال من قادة الجيش " ، مقال متاح

وتجدر الإشارة إلى إن المخطط كان يقضي بأن تكون ساعة الصفر لبدء الانقلاب هي الثالثة من فجر يوم ١٦ تموز إلا إن تسريبات أخبار الانقلاب التي وصلت إلى أجهزة الاستخبارات التركية والتي بدورها أبلغت الرئاسة وحرصت على نقل الرئيس أردوغان من مقر أقامته في مرمريس قبل وصول القوة المكلفة باعتقاله ب(٤٠) دقيقة فقط على الرغم من اختراق الانقلابيين لفوج الحماية الخاصة بالرئاسة وسيطرتهم عليه، مما جعل الانقلابيين يقدمون موعد ساعة الصفر إلى الساعة التاسعة من مساء يوم ١٥ تموز حتى لا يفقدوا عنصر المباغة^(٥٩٥)، ما كاد الانقلاب

ينطلق حتى فشل بعد ستة ساعات فقط مع ظهور رموز الحكومة على شاشات التلفزيون رغم سيطرة الانقلابيين على مبنى الإذاعة والتلفزيون، ومن خلال اتصال عبر إحدى وسائل التواصل الاجتماعي ظهر الرئيس التركي

(*) داعية تركي ولد عام ١٩٣٨ في قرية صغيرة في محافظة أرضروم في بيت عرف بالعلم والدين وتلقى مختلف العلوم على يد العلماء والمشايخ وقتها وأثناء دراسته تعرف على جماعة النور التابعة للشيخ سعيد النورسي، وفي بداية الستينات من القرن الماضي عمل شارحا ومفسرا لرسائل النور التي ألفها النورسي وفي عام ١٩٧٠ افترق عن جماعة النور، وبين عامي ١٩٧٤-١٩٧٦ قام بالقاء المحاضرات على امتداد البلاد، تأثر بقيام الثورة الإسلامية في إيران، وبدأ من عام ١٩٨٠ ما اسماء حركة الخروج في أزمير دعا خلالها إلى تعميم طبع الكتب وتوزيعها على الطلاب بهدف الترويج لأفكاره، بعد انقلاب ١٩٨٠ أصبح مطلوباً لقيادة مجر إيجة بسبب امتداد دعوته إلى صفوف الجيش إلا إنه عاود نشاطه في ظل إطلاق الحريات بعد تولى توركوت أوزال الحكم في تركيا، غادر تركيا عام ١٩٩٩ بعد تضيق الجيش على الحركات الإسلامية عقب حظر حزب الرفاه . للمزيد من التفاصيل عن فتح الله كولن وتنظيمه ينظر: طلال يونس الجليلي، قراءة في أفكار النخب السياسية الإسلامية في تركيا، (الموصل: ٢٠٠٧)، ص ١٠٨؛ محمد نور الدين، حجاب وحراب الكمالية وأزمات الهوية في تركيا، ط ١، (بيروت: ٢٠١٧)، ص ٩٥-١٥٠.

على شبكة المعلومات الدولية موقع اخبار العالم على الرابط www.akhbaralalam.net

^{٥٩٥} - إبراهيم قالن، "استمرار قصة نجاح تركيا بعد محاولة الانقلاب"، مجلة رؤية تركية، السنة ٥، العدد ٣، صيف ٢٠١٦، ص ١٠، وللتفاصيل عن مجريات ليلة الانقلاب ينظر: محمد زاهد جول، الانقلاب العسكري في تركيا بين الفشل الداخلي والتدخل الخارجي (صراع حضارات ام حروب صليبية)، (بيروت: ٢٠١٧)، ص ٩٥-١٥٠.

رجب طيب أردوغان على قناة CNN التركية متهما من قام بالانقلاب بأنهم جنود موالين لحركة فتح الله كولين*، وانهم تصرفوا دون الرجوع الى القيادة العليا، وحث الرئيس الناس على الدفاع عن حقوقهم الديمقراطية، كما أدلى رئيس الوزراء بن علي يلدرم ووزراء الحكومة وزعماء المعارضة والقيادات العسكرية ببيانات مماثلة، فخرج الشعب التركي بكل فئاته مدافعا عن المكاسب الديمقراطية ومسطراً صورة بطولية للدفاع عن حقوقه الديمقراطية رافضاً العودة الى حقبة الانقلابات السياسية التي تهدد أمن البلاد واستقرارها (٥٩٦).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل ان الانقلاب كان مفاجئ فعلاً للسلطات التركية ولم تكن أجهزة الاستخبارات على علم بتحركات الانقلابيين؟

تشير الدلائل والوثائق واعترافات الضباط المشاركين في الانقلاب إلى إن الانقلاب

جرى التخطيط له قبل ذلك بشهور وإن هناك حديث مبطن عن الانقلاب كان يدور بين منفذيه من يوم ٨ تموز كذلك فقد شهدت قاعدة ألكجي في اسطنبول والتي توصف بأنها قاعدة ومركز الانقلابيين اجتماعات ليلية منذ ليلة ١١ تموز ٢٠١٦، حادث آخر لا يمكن أن يغيب عن المخابرات التركية وهو إغلاق مقر البعثة الدبلوماسية الفرنسية في تركيا يوم ١٣ تموز لأسباب أمنية مما يعني إشارة ضمنية للمخابرات التركية حول الوضع في تركيا كما تلفت الانتباه إلى أنه ربما يكون لحلف الناتو علم مسبق بالانقلاب، من جانبها فإن المخابرات التركية تذكر أنها علمت بالانقلاب عصر يوم ١٥ تموز وتحديدًا الساعة الثالثة عصراً ونقل الخبر إلى رئيس هيئة الأركان خلوصي أكار الذي اتصل بقائد الجيش الأول وهذا الأخير اتصل بدوره بالرئيس أردوغان وطلب منه المغادرة إلى اسطنبول وترك مقره. (٥٩٧) ومهما يكن فإن عدم علم المخابرات التركية بالانقلاب

^{٥٩٧} - انصت الى قناة الجزيرة، برنامج وثائقي، "من الجهة الخفية التي ساهمت في اسقاط الانقلاب في تركيا"، متاح على شبكة المعلومات الدولية على الرابط www.Aljazeera.net

^{٥٩٦} - نبي ميش، "التصور الجمعي لمحاولة انقلاب ١٥ تموز في تركيا" مجلة رؤية تركية، السنة ٥، العدد ٣، صيف ٢٠١٦، ص ٦٢.

إلا في الساعات القليلة التي سبقته يشكل ثغرة في عمل أجهزة المخابرات التركية.

ب- الجهات المتهمه بالانقلاب:

فضلا عن الجيش الذي يعد أداة تنفيذ الانقلاب تشير تقارير الحكومة التركية إلى ضلوع تنظيم فتح الله كولن الداعية التركي الذي يقيم منذ عام ١٩٩٩ في بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية وتعرف جماعته او تنظيمه بجماعة الخدمة او كما تطلق عليها الحكومة التركية بالكيان الموازي (موازي للدولة في التنظيم والمؤسسات) وهو تنظيم إسلامي قائم على خدمة المجتمع ويمتلك تنظيم كولن امبراطورية ضخمة من المدارس تقدر ب(١٥٠٠) مدرسة و(١٥) جامعة موزعة على أكثر من(١٤٠) دولة وعدد من البنوك والمستشفيات وعدد كبير من الشركات كما يتبعها اتحاد رجال الأعمال (توسكون) فضلا عن امتلاكها عدد من وسائل الاعلام على رأسها صحيفة زمان ووكالة انباء جيهان ومجموعة سمانويل الإعلامية. (٥٩٨)

وكانت تربط بين حزب العدالة والتنمية وتنظيم كولن علاقة طيبة منذ تأسيس الحزب وإعلانه عن برنامجه الانتخابي إذ مثلت هذه المرحلة مرحلة التقاء المصالح بين الطرفين، إذ دعم تنظيم كولن حزب العدالة والتنمية في انتخابات ٢٠٠٢ و٢٠٠٦ وفي مقابل أن يلي الحزب مطالب التنظيم في تعيين عناصره بمختلف الوظائف الحكومية وتقديم الدعم اللازم للتنظيم، لكن دون أن تكون العلاقة قائمة على أسس ايولوجية وإنما بصفة مدنية كون إن تنظيم كولن يعد حركة اجتماعية لها مؤسسات تابعة للقطاع الخاص، لكن سرعان ما بدأت بوادر الخلاف تظهر بين الطرفين على خلفية اعتراض كولن لترشيح عبد الله كول لرئاسة الجمهورية. (٥٩٩)

ساعات العلاقة بين حزب العدالة والتنمية الحاكم وتنظيم كولن أكثر بعد محاولة بعض المنتمين للتنظيم في سلك القضاء والأجهزة الأمنية القاء القبض على رئيس جهاز المخابرات التركية هاكان فيدان بتاريخ ١ شباط ٢٠١٢، في وقت تزامن مع إجراء رئيس

^{٥٩٨} - المصدر نفسه.

^{٥٩٩} - جول، المصدر السابق، ص ٦٧٠.

الوزراء آنذاك رجب طيب أردوغان لعملية جراحية، إلا أن رئيس الوزراء الغى العملية الجراحية وأمر فيدان بعدم تسليم نفسه لحين إجراء التحقيقات المطلوبة والتي كشفت تورط عناصر تابعة للتنظيم في سلك القضاء بمخطط الإطاحة برئيس جهاز المخابرات المقرب من أردوغان، الحادث الآخر الذي ساهم في تأزم الموقف بين الطرفين كان على خلفية ما عرف بأحداث تقسيم أو حديقة غازي بعد أن اتخذت بلدية إسطنبول قرار بتوسيع الحديقة بقطع بعض الأشجار فوجدت معارضة من جمعيات حماية البيئة استغل تنظيم كولن هذه المظاهرات واستنفر قدراته الإعلامية وعناصره في الشرطة والقضاء للمساهمة في تأجيج الاحتجاجات، إلا أن أمر رئيس حزب العدالة والتنمية لأتباعه بعدم التعرض للمتظاهرين وعدم استخدام الشرطة للعنف في مواجهة التظاهرات فشل مخطط التنظيم،^(٦٠٠) أما الحادث الثالث فتتمثل بإثارة قضايا فساد بتاريخ ١٧ كانون الأول ٢٠١٣ ضد أبناء أربع وزراء ونجل أردوغان والتي تولها قضاة

ومدعين عامين تابعين لتنظيم كولن طالبوا بإلقاء القبض على أبناء الوزراء وتقديم الوزراء لاستقالتهم، إلا أن الحكومة حققت بالحادث وكشفت للرأي العام إنها مؤامرة لإسقاط حكومة العدالة والتنمية كما كشفت التحقيقات تورط تنظيم كولن بعمليات تجسس غير قانونية على كبار المسؤولين المدنيين من بينهم رئيس الوزراء ووزراء الخارجية والاقتصاد وكان أخطر تلك العمليات التجسس على اجتماع مجلس الأمن القومي التركي عندما كان يناقش احتمالية تدخل الجيش التركي في سوريا وتسريب محاضر هذا الاجتماع، وكانت عمليات التجسس الضربة القاضية لنفوذ التنظيم في مؤسسات الدولة التركية إذ نبهت الحكومة التركية إلى الخطر الذي يشكله التنظيم ومدى تغلغله في مفاصل الدولة المختلفة فأعلنت الحكومة أن تنظيم كولن يشكل "كيان موازي للدولة" مخالفاً للقانون واتهمت الحكومة التنظيم بالإرهاب وبدأت حملة لملاحقة اتباع التنظيم في مؤسسات الدولة.^(٦٠١)

^{٦٠١} - " ما الذي حدث في ١٧ ديسمبر ٢٠١٣ في تركيا"، مقال

متاح على شبكة المعلومات الدولية موقع نون بوست على الرابط

www.NoonPost؛ جول، المصدر السابق، ص ٧٤.

^{٦٠٠} - المصدر نفسه، ص ٧١-٧٣.

أسباب الانقلاب:

مما تقدم يبدو ان السيناريو الأكثر قبولاً
للالنقلاب انه هناك ثمة أسباب دفعت الجيش
وتنظيم كونه الى التعاون للقيام بانقلاب خاصة
اذ ما علمنا ان المجلس العسكري الأعلى
التركي الذي يعتقد في آب من كل عام ليصدر
قائمة الترفيعات والتنقلات في الجيش كان ينوي
القيام بحملة تطهير جديدة في صفوف الضباط
المشكوك في ولائهم، فكان الانقلاب بمثابة
خطوة استباقية، فضلاً عن نقمة قادة المؤسسة
العسكرية من الاجراءات الحكومية والتعديلات
الدستورية التي افضت الى تزايد قوة الحكومة
المدنية وسيطرتها على الجيش وتحديد دوره
بالدفاع عن حدود البلاد، فضلاً عن اختلاف
وجهات النظر بين الجيش والحكومة حول
مسائل السياسة الخارجية واتهام الجيش
للحكومة بالتسبب في عزل تركيا بعد خلافاتها
مع روسيا واسرائيل واختلافها مع الولايات
المتحدة بشأن الوضع في سوريا . (٦٠٢) هذا

داخليا اما خارجيا فليس من المعقول ان يقوم
قادة الانقلاب في بلد مثل تركيا يمتلك ارث من
الانقلابات و عضو في حلف الناتو ان يقوموا
باي تحرك دون الحصول على الغطاء الخارجي
،وتشير العديد من الدلائل الى ان الانقلابيين
حصلوا على هذا الدعم من الناتو والولايات
المتحدة تحديدا من خلال جملة من الدلائل :

(٦٠٣)

- ١- تورط قائد قاعدة انجريك الجنرال
بكير ارجان فان في الانقلاب ثم طلبه اللجوء
الى أمريكا
- ٢- اقلاع طائرتان لتزويد الوقود
لطائرات F16 من قاعدة انجريك للمشاركة
في الانقلاب وهو امر من غير المعقول ان لا تعلم
به القيادة الامريكية اذ ان أي تحرك من القاعدة
لابد ان يكون بموافقة القيادة الامريكية.
- ٣- وصف السفارة الامريكية في انقرة
للالنقلاب بانه "انتفاضة تركية" وهو وصف
يحمل معنى القبول لما يجري

^{٦٠٢} - " لماذا كان انقلاب تركيا الأشد دموية أكثر الانقلابات
فشلاً " سلسلة تقدير موقف يصدرها المركز العربي للأبحاث
ودراسة السياسات (الدوحة: يوليو ٢٠١٦)، ص ٢.

^{٦٠٣} - جول، المصدر السابق، ص. ٢١٦ _ ٢١٨.

٤- اعترافات بعض قادة الانقلاب بأنهم كانوا يجتمعون سراً مع قادة عسكريين من وزارة الدفاع الأمريكية في قاعدة انجريك وقد بلغ عدد هذه الاجتماعات (١٢) اجتماع قبل الانقلاب وبحضور ضباط أمريكيين .

العوامل الكامنة وراء فشل الانقلاب:

يمكن إيجاز اهم العوامل التي أدت الى فشل الانقلاب بما يلي^(٦٠٤):

١- ظهور الرئيس التركي رجب طيب أردوغان من خلال وسائل الاعلام خلال الساعات الأولى للانقلاب وعبر اتصال هاتفي بث على شاشة قناة CNN التركية معلناً سلامته ووقوفه ضد الانقلاب داعياً الشعب للدفاع عن الديمقراطية مما كان له اثر في اخفاق الانقلاب من ناحيتين، من ناحية كان الخطاب حافزاً للشعب للوقوف بوجه الانقلاب بعد أن تأكد له ان الأمور لم تخرج عن سيطرة الحكومة

،(فضلاً عن ان الشعب التركي لم يكن يرغب في العودة الى حديث الانقلابات وما يتبعها من عدم استقرار قد ضاق بها الشعب ذرعا خاصاً بعد سنوات من الاستقرار الاقتصادي والرفاهية التي تحققت في عهد حزب العدالة والتنمية) من ناحية أخرى فقد كان للمجازفة التي قام بها رئيس الجمهورية بالحضور الى مطار إسطنبول دافعا اخر لمعارضتي الانقلاب وصفعة للانقلابيين اربكت صفوفهم .

٢- ظهور قادة حزب العدالة والتنمية البارزين موحدين، رغم الحديث عن اختلافات داخل الحزب ومطالبتهم للشعب بالوقوف ضد الانقلاب، فقد ظهر على وسائل الاتصالات أيضاً كل من رئيس الجمهورية السابق عبد الله كول واطهر موقفاً جاداً ضد الانقلاب بخلاف ما يعرف عنه من هدوء، كما حفزت عبارات رئيس الوزراء السابق أحمد داوود اوغلو المواطنين الى الإصرار على افشال الانقلاب مؤكدين لأنصارهم ان حماية الوطن والديمقراطية تفوق على كل خلاف .

٣- موقف المعارضة فقد كان لموقف الأحزاب العلمانية والقومية المعارضة لحزب العدالة تأثيراً جوهرياً في اجهاض الانقلاب، فقد

^{٦٠٤} - عماد يوسف قدورة، "الانعكاسات الأولية لمحاولة الانقلاب في تركيا"، سلسلة تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (الدوحة: يوليو ٢٠١٦)، ص. ٣ - ٤، ميش، المصدر السابق، ص ٦٢؛ كورت، المصدر السابق، ص. ٣٩ - ٤٠ .

صرح كل من رئيس حزب الحركة القومية دولت بهجلي ورئيس حزب الشعب الجمهوري كمال كالشيدار اوغلو بأنهم ضد الانقلاب، مشيرين إلى ان أي خلاف مع الحزب الحاكم يمكن حله عبر الانتخابات وان هذه الأحزاب العلمانية لن تتسامح مع أي تدخل عسكري بحجة حماية العلمانية وهي رسالة الى الانقلابيين بعدم التعويل على مساندة هذه الأحزاب وانها لن توفر غطاء شرعي للانقلاب كما رفضت الأحزاب الكردية الانقلاب ايضاً.

٤- دور وسائل الاعلام التي رفضت على اختلاف توجهاتها الوقوف الى جانب الانقلاب وبث أي اخبار وبيانات للانقلابيين لابل ان خطاب الرئيس التركي أردوغان تم بثه عبر قناة معارضة للحزب والحكومة. كما تجاهلت هذه القنوات البيان الذي اذاعه الانقلابيين حصراً عبر القناة الرسمية التركية TRT فضلاً عن نقل المقاومة الشعبية على شاشاتها مباشرة.

٥- مبادرات وحدات الامن والاستخبارات العسكرية وقوات الامن العام وفي مقدمتها غرفة العمليات الخاصة التي استنفرت بالإمكانات المتوفرة لديها وشكلت

قوات خاصة لمجابهة الانقلاب مع العلم بأن من قام بالانقلاب يملكون الأسلحة الثقيلة فضلاً عن المقاومة التي ابدتها وحدات عديدة داخل الجيش وفي مقدمتها القوات الخاصة فضلاً عن تصريحات قادة عسكريين بمواقع ورتب عليا في الجيش عبر وسائل الاتصال بالوقوف ضد الانقلاب.

٦- سوء التخطيط للانقلاب وتجاوز القيادات العليا للجيش التي كانت ضد الانقلاب والتركيز على السيطرة على قنوات التلفاز والمطارات والشوارع الرئيسية متجاهلين أهمية التقنيات الحديثة في الاعلام وفي المقابل فان قادة الانقلاب فاتهم مدى خطورة التواصل عبر قنوات التواصل الاجتماعي لبحث وتداول أسماء المشاركين وخطط الانقلاب اثناء الانقلاب وبعده وهو ما سهل على الحكومة تتبع هذه الخطط والمشاركين في الانقلاب.

ساهمت كل هذه العوامل في افشال الانقلاب خلال ساعات قليلة من قيامه واطهر التحملاً نادراً بين الحكومة التركية والشعب بكافة اطيافه، وأكدت بما لا يقبل الشك ان عهد الانقلابات قد ولى دون رجعة، وان الشعب التركي أصبح بمستوى الادراك لأى محاولة

لتخريب امنه السياسي والاجتماعي والاقتصادي، واثبت ان المؤسسة العسكرية لم تعد ذلك المارد الذي يصعب كبح جماحه.

المبحث الثالث

تأجج الانقلاب (داخلياً وخارجياً)

رغم فشل محاولة الانقلاب التي جرت في تركيا ليلة ١٥ تموز ٢٠١٦، الا انها ستبقى محطة استثنائية في تاريخ تركيا عموماً وفي تاريخ حزب العدالة والتنمية خصوصاً، وكانت له تبعات على المستوى الداخلي سواءً من ناحية محاسبة القائمين به او من ناحية اتخاذ خطوات جديدة في سبيل تعزيز دور المؤسسة السياسية على حساب تراجع دور المؤسسة العسكرية او خارجياً بناءً على المواقف الدولية تجاه الانقلاب.

أ- نتائج الانقلاب داخلياً:

أسفر الانقلاب عن سقوط عدد كبير من الضحايا في صفوف المدنيين اللذين تصدوا للانقلاب وصل عددهم حسب بعض المصادر الى (٩٠) قتيل و(١١٥٤) جريح وقتل قرابة (١٠٠) من الانقلابيين ممن كانوا في مقر قيادة

الأركان، وجرى اعتقال ما يقارب (١٥٠٠) شخص صبيحة يوم ١٦ تموز ٢٠١٦.^(٦٠) وبحسب تصريح متلفز للرئيس التركي رجب طيب أردوغان في ٢٣ تموز ٢٠١٦ فان حملة الاعتقالات طالت (١٣١٦٥) من بينهم (٨٨٣٨) عسكرياً و(٢١٠١) من العاملين في سلك القضاء و(١٤٨٥) من الشرطة و(٥٢) من رؤساء البلديات و(١١٢٥) مدنياً، وتم اغلاق(٩٤٣) مدرسة و(١٥) جامعة الى جانب (١٠٤) منظمة و(١١٢٥) جمعية وتمت مصادرة كل ممتلكاتهم من قبل الدولة، كما بلغ عدد من تم تسريحهم من وظائفهم (٤٥) الف موظف من مختلف المؤسسات التركية بتهمة الانتماء الى تنظيم فتح الله كولن واشارت بعض المصادر الى ان عدد المعتقلين تجاوز (١٨) الف شخص أكثر من نصفهم من المؤسسة العسكرية في مقدمتهم (١٥١) لواء ولواء بحري وعلى رأسهم قادة ثلاث جيوش تركية من اصل اربع قيادات رئيسية في سلاح الطيران والبحرية

^{٦٠} - جول، المصدر السابق، ص ١٦٥.

والاستخبارات العسكرية و(١٦٥٦) ضابطاً ونحو(٧٠٠) من المدعين العامين^(٦٠٦).

رأت حكومة حزب العدالة والتنمية في الانقلاب فرصة مؤاتيه لإعلان حالة الطوارئ في البلاد التي كانت مرفوضة شعبياً وسياسياً من قبل كل الأحزاب العاملة على الساحة التركية لما تفرضه من قيود على الحريات والحياة العامة، لكن محاولة الانقلاب التي رفضوها حتى معارضي الحزب الحاكم جعلت منها امر مفروغ منه، وبناءً عليه فقد اعلن الرئيس التركي أردوغان حالة الطوارئ في البلاد بعد توصية هيئة الأمن القومي بذلك وقبول الحكومة بهذه التوصية وبهذا يعد قراراً أمنياً صادراً من أعلى جهة أمنية في تركيا وفق المواد (٢١،٢٠،١٩) من الدستور وتعطي حالة الطوارئ السلطة التنفيذية صلاحيات واسعة في اصدار مراسيم تقوم مقام القوانين ودون موافقة القضاء وتحديد بعض الحريات كإعلان

حظر التجول وتمديد مدة التوقيف القانونية ب(٣٠) يوماً وقد ساعد اعلان حالة الطوارئ الحكومة في تسريع عمليات التحقيق من خلال توسيع دائرة الموقوفين وتكثيف وسائل مواجهة ومكافحة تنظيم كوكل في عموم مؤسسات الدولة، ويشمل المرسوم الثاني الحاق قوات الدرك وخفر السواحل بوزارة الداخلية وتنحية ما يقارب (١٧٠٠) من قادة المؤسسة العسكرية من مختلف الرتب والصنوف وأغلاق ثلاث وكالات أنباء (١٦) محطة تلفزيونية (٢٣) إذاعة و(٤٥) من الصحف (١٥) مجلة متهمه بالارتباط بتنظيم كوكل.^(٦٠٧)

ومهما يكن فلا يخفى ان حزب العدالة والتنمية قد وجد الانقلاب فرصة مؤاتيه لضرب معارضيه واحكام سيطرته على مؤسسات الدولة وخاصة العسكرية، وبالرغم من إن اعلان حالة الطوارئ مثلت سياقاً قانونياً لحملة الاعتقالات والتسريحات من

^{٦٠٦} - العلو، المصدر السابق، ص ١١؛ سعيد الحاج، "انقلاب ١٥ تموز ومستقبل تركيا"، مجلة سياسات عربية، العدد ٢١، تموز ٢٠١٦، ص ٩٥؛ سلسلة تقدير موقف، "لماذا كان الانقلاب . . . ، ص ٤.

^{٦٠٧} - دستور الجمهورية التركية لسنة ١٩٨٢، المصدر السابق، ص- ص ٤٩ _ ٥٠؛ الحاج، المصدر السابق، ص ٩٥ .

^{٦٠٧} - الحاج، المصدر السابق، ص ٩٨ .

الوظائف وهذا ما اعتاده الشعب التركي بعد كل انقلاب وأن لم يكن بهذا الحجم، لكن بعد القفزة التنموية التي تحققت للشعب التركي منذ أكثر من عقد ونصف ربما ستؤدي هذه الإجراءات على المدى الطويل الى احداث مشاكل اجتماعية واقتصادية لشريحة غير قليلة من الموظفين وربما تؤدي الى مشاكل أمنية نتيجة شعور من تم تسريحهم بالغبن والنقمة على الحكومة التي تسببت في فقدان وظائفهم أو يسهم في انتمائهم الى تنظيمات معادية للحكومة.

كانت الحكومة التركية من خلال توجيهها الاتهام منذ انطلاق الانقلاب الى تنظيم كولن ترى انها فرصة لضرب التنظيم واجتثاثه من جميع مفاصل الدولة وخاصة في الجيش من خلال اتهامها لقادة الجيش بالانتماء للتنظيم فهي ارادت كسر شوكة العسكر دون المساس بهيبة الجيش التركي وقوته وتماسكه. إلا إن هذا لا يعني إن المؤسسة العسكرية سلمت من نتائج الانقلاب فعلاوة على الاعتقالات التي طالت قادة الجيش فقد جرى تقديم موعد "اجتماعات مجلس الشورى العسكري الأعلى" اسبوعاً وعقد للمرة الأولى في القصر الحكومي

بدلاً من عقده في مقر رئاسة الأركان وهي إشارة الى سيطرة المؤسسة السياسية، كما أعلن رئيس الوزراء التركي (بن علي يلدريم) عن نية الحكومة بنقل القواعد العسكرية الى خارج المدن في حين أعلن رئيس الجمهورية عن رغبته في إلحاق رئاسة الأركان ورئاسة جهاز المخابرات العامة برئاسة الجمهورية على ان تتبع قيادات القوات المسلحة المختلفة وزارة الدفاع وهو اجراء يهدف ايضاً الى وضع الجيش تحت امرة المؤسسة السياسية وهذا ما لم تعده المؤسسة العسكرية التركية . (٦٠٨)

وهو امر ربما يزيد الهوة بين المؤسستين السياسية والعسكرية نتيجة تملل العسكر وقياداته البارزة في امعان الحكومة في تقليص نفوذه الذي اعتاده منذ عشرات السنين . من جهة أخرى فقد كشف الانقلاب عن وجود اختراقاً أمنياً واستخبارياً في تركيا بعد الفشل في كشف محاولة الانقلاب في وقت مبكر رغم انه مخطط كبير اشترك فيه مجموعات وافراد وقادة من داخل الجيش وخارجه، على الرغم من اكتشاف محاولة الانقلاب بساعات لكن

٦٠٨- الحاج، المصدر السابق، ص ٩٩.

- ١- تأمين السيولة للبنوك بشكل غير محدود .
- ٢- خفض او الغاء عمولة البنك المركزي التركي من هذه السيولة اليومية للبنوك .
- ٣- يسمح البنك المركزي التركي للبنوك الأخرى بجلب كمية غير محدودة من ضمانات الودائع من العملة الصعبة عند الحاجة بهدف تأمين السيولة من الليرة التركية .
- ٤- تبقى جميع الأسواق والأنظمة الالكترونية الخاصة بالتحويل المالي وتحويل الاوراق المالية لدى البنك المركزي مفتوحة حتى الانتهاء من الإجراءات المتخذة من قبل البنك المركزي التركي لمواجهة الأزمة .
- ٥- متابعة الأسواق والأسعار عن كثب
- ٦- اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة في سبيل حماية الاستقرار المالي .
- في ظل هذه الإجراءات وبفضل قوة الاقتصاد التركي تمكنت الدولة من تخطي الآثار السلبية للانقلاب على الاقتصاد وعادت الثقة للاقتصاد من جديد وعاودت الليرة التركية ارتفاعها وارتفعت أيضا قيمة الأسهم التركية في الأسواق وتاجر المواطنين بأكثر من عشرة مليارات دولار للاستثمار، كما اخذت الاستثمارات الأجنبية في الارتفاع نتيجة الإدارة الناجحة للبيروقراطية
- هذا ليس كافياً فلو علمت الحكومة بالانقلاب قبل ذلك بفترة كافية لاستطاعت تجنب حدوثه .
- ولم يكن الاقتصاد التركي بمنأى عن تأثيرات الانقلاب السلبية قصيرة المدى ،ففي أول أيام العمل التالية للانقلاب (١٨/تموز) شهدت بورصة إسطنبول (BIST 100) فقداناً جزئياً من قيمتها نتيجة انخفاض قيمة الليرة التركية مقابل ارتفاع قيمة اليورو والدولار الأمريكي وهذا طبيعي نتيجة الصدمة التي شكلها الانقلاب في الأسبوع الأول بعد فشله وحالة القلق المتعلقة بإعلان حالة الطوارئ إضافة الى الآثار السلبية لقرار بعض وكالات التصنيفات الائتمانية الدولية بخفض تصنيف تركيا إلا إن البنية الاقتصادية التركية المتמاسكة والقرارات التي أصدرها البنك المركزي التركي كان لها الأثر البارز في عودة الاقتصاد التركي الى فعالياته اذ شكل البنك المركزي التركي إدارة ازمة واتخذت جملة من التدابير: (٦٠٩) .

^{٦٠٩} - صادق اوناى وشريف ديلاك، "الاقتصاد السياسي لمحاولة انقلاب ١٥ تموز الفاشلة"، مجلة رؤية تركية، السنة ٥، العدد ٣، صيف ٢٠١٦، ص ١٦٥ .

١- العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية:

جاء رد الفعل الأمريكي على محاولة الانقلاب غير متوقعا للجانب التركي ليزيد الفجوة في العلاقة بين الدولتين، وقد أثار تأخر التصريحات الأمريكية بشأن محاولة الانقلاب تساؤلات عن احتمال دعم الولايات المتحدة الأمريكية للانقلاب أو علمها به على أقل تقدير، فقد جاء التصريح الأول لمسؤول أمريكي على لسان وزير الخارجية جون كيري في يوم ١٦ تموز بعد تأكيد فشل الانقلاب خاليا من أي إدانة للانقلاب أو تأييد للحكومة الشرعية بل اقتصر على نفي أي تورط أمريكي في الانقلاب وفي تصريح آخر حذر كيري الأتراك بقوله "ان العلاقة الأمريكية التركية سوف تتأثر سلباً في حالة توجيه الاتراك تهماً لواشنطن بتدبير الانقلاب" أما الرئيس الأمريكي باراك أوباما فقد صرح قرابة الساعة الواحد والنصف بعد منتصف ليلة الانقلاب ليعلم "الإدانة الشديدة لمحاولة الانقلاب على الحكومة التركية المنتخبة

الاقتصادية والبنك المركزي وعالم الأعمال التركي الذين وجهوا نداءً الى الأسواق المحلية والدولية بأن النظام القانوني في تركيا لازال فعالاً وان حالة الطوارئ لن تؤثر على شروط السوق الحرة والدولة حريصة على ضمان الاستقرار الاقتصادي. (٦١٠)

ب- نتائج الانقلاب خارجياً

كان للانقلاب الفاشل في ١٥ تموز، انعكاساته ونتائج أيضاً على السياسة الخارجية التركية وعلى علاقتها الدولية تبعاً للمواقف الدولية من هذا الانقلاب، خاصة وان السياسة الخارجية التركية قبيل محاولة الانقلاب كانت تمر بعملية إعادة تأهيل او مراجعة من خلال جملة من التغييرات تمثلت بالعمل الحثيث لأشهر من أجل تطبيع العلاقات مع روسيا وإسرائيل رغبة منها بالخروج من العزلة التي أحاطتها بعد توتر العلاقات التركية - الأمريكية بسبب الاختلاف وعدم التفاهم حول المسألة السورية، لذلك شكل الانقلاب نقطة بارزة في السياسة الخارجية التركية .

^{٦١٠} - قالن، المصدر السابق، ص ١٣؛ اوناي، المصدر السابق،

ديمقراطياً" وعرض عليها "المساعدة المناسبة" (٦١١).

من جانبها ترى تركيا ان الولايات المتحدة ضالعة بصورة او بأخرى في محاولة الانقلاب الفاشلة خاصة وإنها تأوي فتح الله كولن، وهذا واضح من خلال تصريحات كبار المسؤولين الاتراك، ففي تصريح له ركر رئيس الوزراء بن علي يلدريم وفي أول ظهور له في اقترع بعد محاولة الانقلاب وفيما يخص الولايات المتحدة بقوله "الدولة التي تدعم فتح الله كولن لن تكون صديقة ولا حليفاً" أما رئيس الجمهورية أردوغان فقد لمح إلى ربط التحالف الاستراتيجي بين الدولتين بتسليم فتح الله كولن عندما خاطب الولايات المتحدة الامريكية قائلاً "هذه الشخصية الموجودة عندهم يجب عليكم ان تسلموها لنا وكما اعلمتكم سابقا بانهم ينوون هذه المؤامرة ويخططون لهذا الانقلاب، مرة أخرى أقول لكم يجب ان تسلموا هذه الشخصية التي تقيم في ولاية بنسلفانيا الى

^{٦١١} - محمد زاهد جول، "مواقف غريبة مريبة من الانقلاب التركي"، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية موقع الخليج اونلاين على الرابط www.alkhakeejonline.net

الجمهورية التركية إذا كنا حلفاء استراتيجيين مع بعضنا البعض" (٦١٢). ويفهم من حديث أردوغان إن تركيا قد طالبت في وقت مسبق بتسليم فتح الله كولن .

فضلاً عن إيواء فتح الله كولن تستند تركيا في شكوكها بالولايات المتحدة على جملة من الدلائل منها كما ذكرنا سابقا اشتراك قائد قاعدة انجريك في الانقلاب واشترك طائرتين للتغذية الجوية من قاعدة انجريك في الانقلاب واستحالة ان تكون الولايات المتحدة لم تكن تعلم بتحرك هذه الطائرات فضلاً عن اعترافات عدد من قادة الانقلاب باجتماعهم مع ضباط امريكان عدة مرات اثناء التخطيط للانقلاب، وعلى الرغم من نفي الإدارة الامريكية لهذه الاعترافات إلا إن تصريحات امريكية أخرى تناقض هذا النفي خاصة تصريحات الجنرالات الأمريكيين فقد صرح الجنرال جوزيف فوتيل قائد القيادة المركزية الامريكية بتاريخ ٢٨ تموز ٢٠١٦ قائلاً: "ان عدد من اوثق حلفاء امريكا العسكريين في الجيش التركي اودعوا السجن عقب محاولة الانقلاب" وفي تصريح آخر لفوتيل

^{٦١٢} - قدورة، المصدر السابق، ص ١١.

من الجيش الأمريكي والتركي بأشخاصهم واسمائهم فقط.^(٦١٥)

ويستهدف التصعيد التركي إزاء الموقف الأمريكي من الانقلاب أمرين أولهما : الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لتسليم فتح الله كولن الذي اعتبرته تركيا خطراً أمنياً يهدد استقرارها ومن ثم القضاء على هذا الخطر، وثانيهما، إن هذا الموقف الأمريكي شكل خذلاً لتركيا يضاف الى جملة من المواقف الأمريكية التي تناقض المواقف التركية مثل التهاون الأمريكي مع النظام السوري ودعمها الكبير لقوات الحماية الشعبية السورية التي تعتبرها تركيا الجناح السوري لحزب العمال الكردستاني التركي PKK، وكذلك دعمها لقوات سوريا الديمقراطية ذات الأغلبية الكردية ما تعتبره تركيا تهديداً أمنياً على حدودها، ولذلك فتركيا تهدف من وراء التصعيد الى الضغط على الولايات المتحدة لإعادة النظر في مجمل سياساتها في المنطقة وخاصة التي تمس التحالف الاستراتيجي بين الدولتين، وفي الوقت الذي فشلت فيه تركيا في تحقيق الهدف الأول

في منتدى اسبن الأمني في ولاية كولورادو قال "أن ثمة هاجسا دائما ينتاب واشنطن من ان الانقلاب الفاشل في تركيا ورد فعل حكومة انقرة عليه، من شأنه اضعاف العمليات التي تضطلع بها وزارة الدفاع الأمريكية في المنطقة"، وفي تصريح لمدير المخابرات الأمريكية جيمس كلابر في نفس المنتدى يكرر أفكار فوتيل "ان كثير من كذا تتعامل معهم استبعدوا او اعتقلوا وما من شك ان ذلك سيحدث انتكاسة ويجعل التعاون أكثر صعوبة مع الاتراك".^(٦١٦) وما ان لاشك فيه ان هذه العلاقات مع قيادات الجيش التركي خارج ترتيبات الحكومة هو امر غير مقبول ويبعث على الشك فليس من واجب قيادات الجيش الاتصال بجهات اجنبية حتى لو كان ذلك لتنفيذ خطط امنية استراتيجية ثنائية فهو من اختصاص وزارتي الدفاع في البلدين وفق ترتيبات وقنوات معينة يتفق عليها البلدين وليس من جنرالات

^{٦١٥} - محمد زاهد جول، "لماذا يتجاوز الجنرالات الأمريكيون صلاحياتهم مع تركيا"، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية موقع الخليج اونلاين على الرابط www.alkhakeejonline.net

^{٦١٥} - جول، "مواقف غريبة"

في تسليم كولن للسلطات التركية اذ ترفض الولايات المتحدة الامريكية الطلبات المتكررة لتركيا والملحة لتسليم كولن، فقد سعى رئيس الجمهورية التركية رجب طيب أردوغان بعد فشل الانقلاب بأيام الى إعادة تأكيد الحاجة الى تعاون الولايات المتحدة وتركيا عندما قال: "ان العلاقة مع الولايات المتحدة هي علاقة تحالف استراتيجية، والتضامن بيننا مستمر وليس انياً لذلك ننتظر ان تتخذ الولايات المتحدة خطوات بشأن مطالبنا".^(٦١٦)

٢- العلاقة مع الاتحاد الأوروبي:

كان للانقلاب تأثيراً سلبياً على العلاقة مع الاتحاد الأوروبي الذي كان يراقب عن كثب الأوضاع في تركيا خاصة بعد حملة الاعتقالات وعلان حالة الطوارئ التي اعتبرها الاتحاد الأوروبي مخالفة لمبادئ الانضمام الى الاتحاد وسيزيد من تعقيد الأمور مع الاتحاد وهذا ما بدء واضحاً من سلسلة الانتقادات الحادة على لسان وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي فريدريكا موغريني للإجراءات التركية عقب فشل محاولة الانقلاب والتهديد بجرمان تركيا نهائياً من

الانضمام الى الاتحاد اذا تمت إعادة العمل بعقوبة الإعدام . بينما ركزت بيانات وتصريحات قادة دول الاتحاد التي جاءت متأخرة على ضرورة احترام النظام ودعم الحكومة المنتخبة ديمقراطياً، والى قلقها من اعلان حالة الطوارئ.^(٦١٧)

٣- العلاقة مع حلف شمال الأطلسي (الناطو):

لقى الانقلاب الفاشل بضالاه على العلاقات التركية مع حلف شمال الأطلسي (الناطو) اذ شابها بعض التوتر ايضاً، ولا يمكن عزل موقف الناطو عن الموقف الأمريكي كونها الدول الأكثر نفوذا وسيطرة داخل الحلف، ويراد تركيا ايضاً الشك في علم الناطو بالانقلاب على خلفية الازمة التي سبقت الانقلاب والتي كانت تتعلق بنائب الاميرال مصطفى زكي اوغورولو الذي ارسلته الحكومة التركية في مهمة الى مقر حلف الناطو في نورفك في فيرجينيا، ثم صدر بحقه امر اعتقال بتهمة اتمائه الى تنظيم كولن وفي ١٢

^{٦١٧} - "مواقف الدول منذ بدء انقلاب تركيا حتى نهايته"، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية موقع الجزيرة على

تموز أي قبل الانقلاب بثلاثة أياما أصدرت الحكومة التركية مذكرة اعتقال أخرى بحق اوغورلو وطلبت من حلف الناتو انهاء مهمته واعادته الى تركيا، إلا إن الناتو تجاهل طلب تركيا، بل حصل اوغورلو على تقرير طبي من مستشفى نوفلك من انه يعاني من دوار وانه سيتعرض للخطر في حالة سفره وبعد الانقلاب أصدرت تركيا مذكرة اعتقال أخرى بحق اوغورلو بتهمة التورط في الانقلاب تبع ذلك امر فصله رسمياً من القوات المسلحة التركية، المثير للدهشة انه في نفس اليوم ٢٨ تموز ظهر اوغورلو وهو يمثل تركيا في ندوة صناعية للناتو، وقد تقدم اوغورلو بطلب لجوء الى الولايات المتحدة الامريكية ثم اختفى عن الأنظار، وتعتقد الحكومة التركية ان لدى اوغورلو معلومات بالغة الأهمية عن تنظيم كولن في تركيا، كما اثبتت التحقيقات ان معظم ضباط الأركان في مجموعة الانقلاب كانوا قد خدموا لفترة طويلة في داخل الحلف . (٦١٨)

وهذا يعيد الى الازهان علاقة حلف الناتو بمنظمة الارجنكون وإمكانية ان تكون للارجنكون يد أيضاً في الانقلاب الفاشل او تحالفها مع تنظيم كولن للإطاحة بحكومة العدالة والتنمية خاصة بعد المحاكمات التي طالت الارجنكون.

ثمة امر اخر زاد من تعقيد الأمور مع حلف الناتو وهو اعلان الأمين العام للحلف نيس ستولتنبرغ من ان عدد من ضباط الجيش التركي يشغلون مناصب رفيعة في أجهزة الحلف طلبوا اللجوء بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا، مما دعا الرئيس التركي للرد على تصريح الأمين العام للحلف متسائلاً: "كيف يمكن ان يبقى اراهابيون او عسكريون ضالعون في محاولة الانقلاب في خدمة الناتو؟ لا يمكن للحلف ان يسمح بتقديم هكذا طلب لجوء، ان هؤلاء اللذين يدور الحديث عنهم متهمون بالإرهاب" وأضاف الرئيس التركي ان حكومة بلاده طالبت بتسليم العسكريين المذكورين الى انقرة. (٦١٩)

^{٦١٨} - متين غور جان، "هل تتخلى تركيا عن الناتو ام يحدث

العكس"، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية موقع ترك

برس على الرابط www.Turkpress.net

^{٦١٩} - أردوغان يحذر الناتو من حماية من يشبه بتورطهم

بمحاولة الانقلاب في تركيا"، مقال متاح على شبكة المعلومات

الدولية RT على الرابط www.arabic.rt.com

٤-العلاقة مع روسيا :

٢٠١٦، ثم جاءت تصريحات الجانب التركي المبررة لإسقاط الطائرة الروسية بأنها كانت من فعل طيارين تابعين لتنظيم كونه بهدف خلق ازمة خارجية مع روسيا .^(٦٢٠) ويبدو ان الحكومة التركية بعد تأزم علاقتها مع الولايات المتحدة وحلف الناتو والاتحاد الأوروبي كانت بحاجة الى إعادة رسم علاقتها الخارجية من جديد لتوسيع دائرة المناورة السياسية التي تتيح لها تقوية موقفها الإقليمي والدولي وإعادة صياغة علاقتها مع الفاعلين الإقليميين والدوليين على أسس جديدة وفي دائرة توازنات جديدة.^(٦٢١)

٥-العلاقة مع إسرائيل:

تجدر الإشارة الى ان تركيا دخلت في مفاوضات لتطبيع العلاقات مع إسرائيل بعد ان شابها بعض التوتر يعد حادثة سفينة مرمرة

كان الامر بالنسبة لروسيا مختلف بعض الشيء اذ ساهم الانقلاب بتعزيز خطوات التقارب التي بدائها البلدان قبيل الانقلاب بالرغم من ان الموقف الروسي في بداية الانقلاب كان سلبياً خاصة عندما عبر وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف عن عدم إمكانية تحديد موقف بقوله: "من الصعب تحديد مواقف رسمية علينا التريث" إلا ان السياسة الروسية استطاعت التكيف مع فشل الانقلاب بسرعة فاتخذت في اليوم التالي ١٧ تموز خطوة جريئة ليس في ادانة الانقلاب فحسب وانما في قرار إعادة العلاقات الاستراتيجية مع تركيا بعد ازمة اسقاط الطائرة الروسية في ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٥، وبدأت خطوات التقارب باتصال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بنظيره التركي مؤكداً رفضه رسمياً للإجراءات الغير دستورية والعنف في الدولة التركية، وقد استقبلت تركيا هذه المبادرة بإيجابية وبدأت تتحدث عن اجتماع مرتقب بين الرئيس التركي والروسي مطلع اب

^{٦٢٠} - قدورة، المصدر السابق، ص ١٣ .

^{٦٢١} - علي حسين باكير، " السياسة الخارجية في اعقاب الانقلاب الفاشل: التوجهات الإقليمية"، مجلة رؤية تركية، السنة ٥، العدد ٣، صيف ٢٠١٦، ص ٨٣ .

وقد توصلت تركيا قبل الانقلاب بشهر الى اتفاق مع إسرائيل كان من بنوده دفع الجانب الإسرائيلي تعويضات الى أهالي الضحايا والسماح بإيصال المساعدات الإنسانية الى قطاع غزة، فضلاً عن أمور أخرى، وكان هذا الاتفاق عاملاً إيجابياً لتركيا وقت الانقلاب، اذا كان على إسرائيل ان تحسب موقفها جيداً قبل ان تتخذ أي خطوة أو موقفاً مؤيداً للانقلاب يمكن ان يسبب ضياع سنوات من الجهود الدبلوماسية وربما يؤدي الى تدهور العلاقة من جديد مع تركيا لذا كانت إسرائيل رافضة للانقلاب . (٦٢٢)

وتدرك تركيا انها بحاجة الى هذا التطبيع بعد التفاهات الإسرائيلية _ الروسية والأمريكية _ الروسية حول القضية السورية، فضلاً عن الضرورة الأمنية والاقتصادية التي تفرض التطبيع للخروج من حالة العزلة الإقليمي التي أحاطت بتركيا مؤخراً نتيجة التفاهات الدولية في أكثر من قضية لم تكن تركيا طرفاً فيها . (٦٢٣)

٦-العلاقة مع إيران:

كان للموقف الإيراني المبكر الراض للانقلاب والداعم للحكومة التركية الشرعية أثره في تعميق التعاون بين البلدين على أكثر من مستوى، وتشير التقارير إلى إن وزير الخارجية الإيراني ظريف كان قد تواصل مع نظيره التركي عدة مرات في ليلة الانقلاب الفاشل وهو الأمر الذي لاقى استحساناً من الجانب التركي، وقد تكرر هذا الموقف خلال الزيارة التي قام بها ظريف الى انقرة والتقى خلالها الرئيس التركي ورئيس الوزراء ووزير الخارجية. (٦٢٤)

ويذكر ان المسألة المهمة التي كانت تجمع الطرفين في مرحلة ما بعد الانقلاب الفاشل هو خطر تسليح "المليشيات الكردية" خاصة في سوريا والتي لم تكن إيران بعيدة عن دعمها وتسليحها، الا ان ازدياد قوة هذه "المليشيات" بعد الدعم الأمريكي والروسي لها أثار قلق إيران من إمكانية أن يتم التعامل مع أكراد إيران بنفس الأسلوب لا سيما بعد تصاعد

^{٦٢٢} - المصدر نفسه، ص. ٨٣ _ ٨٤.

^{٦٢٤} - باكير، المصدر السابق، ص. ٨٤ _ ٨٥.

^{٦٢٣} - العلو، المصدر السابق، ص. ١٤.

الاشتباكات في المناطق الكردية شمال غرب إيران بين الحرس الثوري الإيراني ومقاتلين أكراد تابعين للحزب الديمقراطي الكردي الإيراني، في الوقت الذي تخوض فيه تركيا صراع مسلح مع حزب العمال الكردستاني Pkk، وقد ساهم ذلك في تلاقي مواقف الطرفين حول هذه النقطة تحديداً. (٦٢٥)

٧-العلاقة مع الدول العربية:

تشابه ردود الأفعال العربية الرسمية من الانقلاب بالرفض والإدانة للانقلاب ودعم الحكومة المنتخبة ديمقراطياً. ولم تشذ عنها سوى مصر التي تصنف علاقتها مع تركيا بالفتور، لذا فقد وقف الاعلام الرسمي المصري بشكل واضح مع الانقلاب ونشرت الصحف التابعة له عناوين يوم ١٦ تموز تشير إلى إن الجيش قد أطاح بالحكومة التركية، وفي ١٦ تموز أيضاً عرقل ممثل مصر في مجلس الامن الدولي اصدار بيان باسم المجلس يدعو فيه كل الأطراف في تركيا إلى ضرورة احترام الحكومة

المنتخبة، ولم يكن ذلك الموقف مفاجئاً لتركيا. (٦٢٦)

وبعد شهر من الانقلاب تغير الخطاب المصري ليدين التفجيرات الإرهابية التي ضربت تركيا بين ١٨ - ٢٧ آب ٢٠١٦ وتأكيد وقوف مصر الى جانب الشعب التركي، ولا يبدو الامر غريباً اذ ما علمنا ان هذا الموقف قد تزامن مع ورود تقارير صحفية تشير الى إمكانية استضافة مصر لفتح الله كولن، فضلاً عن ان التقارب الروسي - التركي والإسرائيلي - التركي واعلان الحكومة التركية انها على استعداد للانفتاح بشكل أوسع على محيطها الإقليمي كان له اثر في تغيير الخطاب المصري مع ملاحظة ان النظام المصري الحالي يمتلك علاقات جيدة مع روسيا وإسرائيل وان تقارب الدولتين مع تركيا ربما يقلص دور مصر الإقليمي نظراً لكون تركيا طرفاً مهماً في العديد من الملفات الإقليمية، وربما فكرت مصر في محاولة إعادة التهيئة لعودة العلاقات مع تركيا، من

^{٦٢٦} - احمد يوسف، "المواقف العربية تجاه محاولة الانقلاب

الفاشلة في تركيا بين المعارضة والترحيب"، مجلة رؤية تركيا،

السنة ٥، العدد ٣، صيف ٢٠١٦، ص ١٧٩.

^{٦٢٥} - المصدر نفسه، ص ٨٥.

جانبها أبدت تركيا استعدادها لفتح مفاوضات جديدة مع مصر كانت أولى بوادرها إعادة العلاقات الاقتصادية بين البلدين.^(٦٢٧)

على عكس مصر كان الموقف القطري من أوائل المواقف العربية الداعمة للحكومة التركية نظراً للعلاقات القوية التي تربط البلدين وكان هذا الموقف واضحاً من خلال موقف أمير قطر وطبيعة تغطية قناة الجزيرة الفضائية القطرية لأحداث الانقلاب.^(٦٢٨)

اما بقيت الدول العربية فلم يترتب على مواقفها أي انعكاسات على العلاقة مع تركيا فبالنسبة للمملكة العربية السعودية ودولة الكويت فقد رحبت باستعادة الحكومة التركية حكم البلاد، وفي المغرب ذكرت وزارة الشؤون الخارجية ان "المملكة المغربية تدين محاولة الانقلاب في تركيا، وتدعو الى الحفاظ على النظام الدستوري" وفي السودان ادان الرئيس محمد مهدي البشير الانقلاب واعرب عن دعم بلاده للرئيس التركي أردوغان، أما في العراق

فقد دعا وزير الخارجية العراقي إبراهيم الجعفري الى "الحاجة الى حماية مؤسسات الدولة" وادان رئيس مجلس النواب العراقي سليم الجبوري "الهجوم على مجلس الشعب التركي" وفي لبنان ندد رئيس مجلس الوزراء تمام سلام بالحاولة الانقلابية وعبر عن موقف حكومته المنطلق من رفضها للاستيلاء على الحكم في أي بلد بالقوة العسكرية والحرص على احترام التقاليد الديمقراطية في العمل السياسي.^(٦٢٩)

وتجدر الإشارة الى ان اغلب الدول العربية ترتبط مع تركيا بعلاقات حسنة فلم تتأثر بالانقلاب

الاستنتاجات:

توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات يمكن أجمالها بما يأتي:

- ١- أثبتت محاولة الانقلاب الفاشلة بما لا يقبل الشك دعم الشعب التركي للحكومة وهذا واضح من خلال تصدي جموع الشعب للآلة العسكرية للانقلابيين بشكل بطولي ليس دفاعاً عن الحكومة فحسب بل دفاعاً عن الحقوق

^{٦٢٧} - باكير، المصدر السابق، ص ٨٦ .

^{٦٢٨} - يوسف، مصدر سابق، ص ١٧٧ .

^{٦٢٩} - المصدر نفسه، ص، ص ١٧٧ _ ١٧٨

٤- كان لمواقف القيادات العسكرية العليا في تركيا الراضية للانقلاب والداعمة للديمقراطية دور بارز في أفشال الانقلاب والتأثير سلباً على معنويات صغار الضباط والجنود المشاركين في الانقلاب فمن المؤكد إن وجود هذه القيادات على رأس الانقلاب كان سيعطي زخماً للمشاركين فيه.

٥- اثبتت محاولة الانقلاب الفاشلة وجود قصور في أجهزة الاستخبارات التركية التي لم تتوصل إلى اكتشاف خطط الانقلابيين إلا قبل ساعات قليلة من حدوثه.

٦- إن الانقلاب كان مخططاً من جهات متغلغلة داخل الجيش التركي وعلى رأسها تنظيم فتح الله كولن ومنظمة الارجنكون خاصة بعد الضربات التي تلقاها التنظيمين للفترة من ٢٠٠٧-٢٠١٣ بعد اكتشاف الحكومة لمحاولات قبل الحكم من كلا التنظيمين، لكن الحكومة التركية وقعت في خطأ عدم متابعة المنتمين للتنظيمين في سلكي الجيش والقضاء.

٧- رغم إن الاجراءات والتحقيقات التي أعقبت محاولة الانقلاب الفاشلة أمر طبيعي بعد أي انقلاب، إلا إن حكومة حزب العدالة والتنمية أستغلت الفرصة لضرب معارضيها بتهمة

الديمقراطية للشعب التركي والاستقرار الذي بدأ الشعب يعرفه وانعكس على الاقتصاد الذي انتعش وحقق رفاهية لم يشهدها المواطن التركي من قبل، كما إنها المرة الأولى التي يقف فيها الشعب بوجه العسكر رافضاً العودة إلى حديث الانقلابات وما يترتب عليها من تبعات.

٢- كشف الانقلاب عن تلاحم سياسي داخل حزب العدالة والتنمية الحاكم رغم الحديث عن خلافات بين قياداته إلا إن هذه الخلافات سرعان ما تلاشت أمام الخطر الذي يهدد الدولة أولاً وحزب العدالة والتنمية ثانياً الذي لو قدر النجاح لهذا الانقلاب لكان في قائمة الأحزاب المحظورة، كما سجل الانقلاب وقفة وطنية لأحزاب المعارضة سواء العلمانية أو القومية أو الكردية التي أكدت تمسكها بالديمقراطية ورفضها لأي تحول سياسي يتم عن طريق الجيش أو القوة رافضة أن تشكل علمانية الدولة غطاءً للانقلاب.

٣- أمتاع بعض قادة المؤسسة العسكرية من الاصلاحات الدستورية التي جردتهم الكثير من الصلاحيات والامتيازات.

الانضمام لتنظيم كولين المهتم الرئيس في محاولة
الانقلاب.

٨- من المؤكد إن الاجراءات القانونية والتسريح
من الوظائف التي طالت فئات واسعة من
الشعب التركي بتهمة الانتماء لتنظيم كولين
ستحدث شرخا في العلاقة بين هذه الفئات
والحكومة في المستقبل.

٩- وجود دلائل وقرائن تؤكد علم الولايات
المتحدة الأمريكية وحلف الناتو بالانقلاب على
أقل تقدير إن لم تكن مشاركة في التخطيط له،
وربما أراد الطرفين تنبيه تركيا إلى قدرتهما على
تغيير الأمور في تركيا خاصة بعد الفتر الذي
اتاب علاقتهما مع تركيا.^{٦٣٠}

انفصال جنوب السودان عام ٢٠١١ ومطالبته بالانضمام إلى

جامعة الدول العربية

م.د. خالدة إبراهيم خليل الحبيطي

ملخص:

لقد كان لانفصال جنوب السودان عام ٢٠١١ بعد فترة طويلة من الصراع والحرب الاهلية بين الشمال والجنوب، تأثيرات سياسية واجتماعية واقتصادية على السودان وحتى على جنوب السودان بعد انفصاله، فضلا عن ان هذا الانفصال كان له انعكاسات اقليمية ودولية من خلال التدخلات الخارجية ومحاولة كل طرف العمل وفق مصالحه من خلال مساندة وتقوية طرف سوداني على طرف سوداني اخر.

كما كان لهذا الانفصال تبعات من خلال رفض جامعة الدول العربية لطلب جنوب السودان بالانضمام اليها، وكان سبب الرفض هو ان جنوب السودان يفقد الى الشروط التي وضعتها الجامعة لقبول اي عضو جديد واهم هذه الشروط هي اللغة العربية التي يجب ان تكون هي اللغة الرسمية للبلد الذي يطلب الانضمام الى جامعة الدول العربية.

Abstract:

The secession of southern Sudan in 2011 after a long period of conflict and civil war between the north and the south has had political, social and economic effects on Sudan and even on South Sudan after its secession. Moreover, this separation has had regional and international repercussions through external interventions. Its interests by supporting and strengthening a Sudanese party to another Sudanese party.

The reason for this rejection was that South Sudan lacked the conditions set by the university to accept any new member. The most important of these conditions is the Arabic language, which must be the official language of the country that requests it. System to the League of Arab States.

المقدمة

تعتبر مشكلة جنوب السودان والحرب الاهلية التي امتدت لفترة طويلة بين الجنوب والشمال السوداني من اهم المشاكل التي عانى منها السودان على لمدة اعوام طويلة، حيث كانت بدايات هذه الازمة مع بداية الاحتلال البريطاني للسودان عام ١٨٩٩، حيث اتبعت بريطانيا سياسة تقوم على زرع بذور التفرقة بين ابناء الشمال والجنوب السوداني من خلال اتباع سياسة تصنيف السكان الى اعراق مختلفة ، وكانت لهذه السياسة الاثر الكبير في انفصال جنوب السودان فيما بعد .

وتأتي اهمية الموضوع من حيث انه يمكن اعتباره اول انفصال داخل دولة عربية واول حالة انقسام للدولة الواحدة في الوطن العربي خلافا للشعارات والمطالبات في الفترات السابقة التي كانت تدعو الى الوحدة العربية ، كما كان هذا الانفصال سبب ارباك وانشاقات لجامعة الدول العربية التي كانت حالة جنوب السودان الذي طالب بالانضمام اليها بعد استقلاله عام ٢٠١١، حالة جديدة من حيث ان جنوب السودان يفتقر الى الشروط الاساسية التي وصفها جامعة الدول العربية للانضمام اليها وهي ان تكون اللغة العربية اللغة

الرسمية للبلاد، خاصة ان جنوب السودان اعتبرت اللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية له .

وقد قسم البحث الى مقدمة ومبحثان واستنتاجات ، حاولنا في المبحث الاول تسليط الضوء على جذور الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب ، والاسباب التي ادت الى تاجيج الصراع ، وبدايات التنظيمات السياسية في جنوب السودان ، واتفاقيات السلام بين الجنوب والشمال السوداني .

اما المبحث الثاني فقد تضمن الاستفتاء على انفصال جنوب السودان، وعلان جنوب السودان دولة مستقلة ، ودور الدول الخارجية في اعلان الاستقلال ومطالبة جنوب السودان بالانضمام الى الجامعة الدول العربية ورفض طلبها واسباب هذا الرفض .

المبحث الأول

أولاً: جذور الحرب الاهلية في السودان

تعد مشكلة جنوب السودان من المشاكل الخطرة التي واجهت الحكومات السودانية المتعاقبة حيث كان لها تأثير كبير على الاوضاع الداخلية في السودان من خلال .

تبلغ مساحة اقليم جنوب السودان ربع مساحة السودان الكلية حيث يغطي مساحة

قدرها ٢٥٠ ألف ميل مربع، وسكانها يكونون من عدد من القبائل وتعد قبائل الباري واعاز تداري واعور^(٦٣١).

خضع السودان للحكم البريطاني المصري ما بين عامي ١٨٩٩ وفي استقلال جمهورية السودان عام ١٩٥٦، فبعد قيام القوات البريطانية والمصرية بالقضاء على الثورة المهدية بالسودان مارس البريطانيون بعد سيطرتهم على السودان عام ١٨٩٩ سياسة تقوم على تنصير الجنوب من خلال الارسلات التبشيرية ((المسيحية))، لتولي مهمة التعليم ونشر المسيحية بين الجنوبيين، والعمل بحرية، واتباع سياسة تقوم على اعتبار المسيحية بمنزلة الدين الرسمي لسكان الجنوب، واتباع سياسة تصنيف السكان إلى اعراق مختلفة عربية وغير عربية، وتصوير سكان الشمال السوداني على انهم يستعدون سكان الجنوب السوداني فكانت عام ١٩١٧ الفرقة الاستوائية، بعد اجلاء جميع

الشماليين من الجنوب، وجعل يوم الاحد عطلة رسمية في الجنوب^(٦٣٢).

وفي عام ١٩١٨ اصبحت اللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية في الجنوب وعملوا على ان يكون الجنوب مختلف عن الشمال في كل شيء، وعملت الادارة البريطانية على ابعاد السكان الشماليين عن سلك التعليم وضاعفت الادارة البريطانية في ميزانية التعليم في الجنوب بهدف ترسيخ التعليم المسيحي في الجنوب وتشكيل هوية في الجنوب مخالفة تماماً عن هوية الشمال السوداني. كما قام البريطانيون بإصدار قانون المناطق المختلفة في عام ١٩٢١، والذي قضي بعزل ابناء الشمال عن ابناء الجنوب وان اي سوداني شمالي لابد أن يحصل على موافقة لكي يدخل إلى مناطق الجنوب من قبل المفتش البريطاني^(٦٣٣).

(٦٣٢) مدثر عبد الرحيم، مشكلة جنوب السودان، مجلة

الخرطوم، الخرطوم، العدد(٥)، ٣ شباط، ط١،

١٩٦٨، ص: ١٠.

(٦٣٣) ايتسام محمد جواد، مشكلة جنوب السودان

وتداعياتها الاقتصادية والاستراتيجية، مجلة كلية

التربية الأساسية، بغداد، العدد(٧٢)، ٢٠١١،

ص: ٤٥٩.

(٦٣١) عبداللطيف كريم الزبيدي، مشكلة جنوب السودان،

رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية،(بغداد،

١٩٨٥). ص: ٣٤.

وفي عام ١٩٢٣ تم تأسيس جمعية "اللواء الأبيض" وتضمن الدستور هذه الجمعية على الوحدة مع مصر، وفي عام ١٩٢٤ بلغ النشاط السياسي في السودان ذروته عندما ارسل اربعة وعشرون من القادة السودانيين المتعاونين مع بريطانيا عريضة للحاكم العام طالبوا فيها بإنهاء الحكم الثنائي عن السودان على ان تكون بريطانيا هي الوصية على نظام الحكم في السودان، إلى أن يتمكن السودانيين من ادارة بلدهم بأنفسهم^(٦٣٦).

وقد اندلعت مظاهرات في العديد من المدن السودانية مما أدى إلى انزعاج الحكومة السودانية فسجنت رئيس الجمعية مما أدى إلى اثاره حفيظة اعضائها فنظمت نشاطاً سياسياً معادياً، حيث تمخض عن قيام الجمعية التشريعية في السودان ١٩٤٨-١٩٥٢ والتي شارك فيها حوالي (٢٥) من الجنوب السوداني تم انتخابهم من قبل مجلس المديرية، واستمر السودان بنشاطهم السياسي حتى عام ١٩٣٦، وقاموا بتأسيس مؤتمر الخريجين السودانيين وفي عام ١٩٤٢-١٩٤٥، انقسم هذا المؤتمر إلى حزبين هما "حزب الأمة" الذين هم

وكان هدف السياسة البريطانية تصنيف السكان إلى أعراق مختلفة عربية وغير عربية وهذا أدى إلى تفكك المجتمع واثارة النعرة الطبقية والنعرة القبلية.

كما اثر قانون المناطق المغلقة تأثيراً سلبياً بين ابناء الجنوب والشمال نتيجة لفرض العزلة عن الجنوب وبذر روح الكراهية^(٦٣٤).

ثانياً: بداية التنظيمات السياسية في السودان

بدء التنظيم السياسي في السودان بعد الحرب العالمية الاولى حيث ظهرت عام ١٩١٨ مع ثورة قبائل الديلكان والزندي ووصلت سنة ١٩١٩ إلى منطقة التوبة ومثيلة التوير واثناء ثورة ١٩١٩-١٩٢١ ضد الاحتلال البريطاني لمصر وقف السودانيون إلى جانب مصر، ونشأت أول المنظمات السياسية وهي "جمعية الاتحاد" التي طالبت برحيل البريطانيين وفي عام ١٩٢٢ اعلنت هذه الجمعية عن مطالب السودان من بينها حرية اختيار نظام حكمه وتقرير المصير^(٦٣٥).

(٦٣٤) احمد محمد حسين، الهوية السودانية بين الجذب

العربي والافريقي، (الخرطوم، ١٩٨٩)، ص: ١٥.

(٦٣٥) جراهام توماس، السودان الصراع من اجل البقاء

١٩٨٤-١٩٩٣، ترجمة: الزبير الطيب، مؤسسة

الاهرام للنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٩٨)، ص:

(٦٣٦) عبدالرحمن، المصدر السابق، ص: ٣٦.

كبار الموظفين والشيخ ومنهم الصادق المهدي وحزب الاشقاء الذي ضم البرجوازيين والمتقنين وتجار وحرفيين على رأسهم اسماعيل الازهري كان هدفهم طرد البريطانيين والوحدة مع مصر^(٦٣٧).

في عام ١٩٤٧ عقد مؤتمر جوبا وهو أول اجتماع رسمي بين الشمال والجنوب لتبادل وجهات النظر ووضع ركائز علاقاتهم المستقبلية، وكان المؤتمر معنياً ببحث ما إذا كان جنوب السودان سوف يرسل ممثله للاشتراك في جهاز تشريعي جديد في الخرطوم، يجتمع فيه الشمال والجنوب لتداول وسن القوانين لشعب لدولة واحدة موحدة، وحضره زعماء القبائل الجنوبية وبالرغم من أن الادارة البريطانية كانت تسعى للخروج بتوصية لفصل الجنوب السوداني عن شماله، لكن المؤتمر لم يصل إلى اتفاق هذه النتيجة بل اتفق الجميع على العمل على أساس تأهيل سكان الجنوب ليكونوا اخوة للشمالين في ميادين الثقافة والاقتصاد والاجتماع وفشلت محاولات بريطانيا لفصل الجنوب

وضمه إلى كينيا واوغندا بعد اعتراض اغلبية من زعماء الجنوب^(٦٣٨).

وعند قيام الثورة في مصر عام ١٩٥٢، أولت اهتمام بقضية السودان، وفي عام ١٩٥٣ نجحت في عقد اتفاق بين الاحزاب السودانية وسجلت الاتفاق في وثقة اصبحت أساساً لمفاوضاتها مع بريطانيا وقد نصت بشكل اساسي عن مستقبل السودان وفي عام ١٩٥٣ عقدت اتفاق بين الاحزاب السودانية وسجلت الاتفاق في وثيقة اصبحت أساساً في مستقبل السودان^(٦٣٩).

وفي عام ١٩٥٣ عقدت اتفاقية بين مصر للنظر في حق السودانين في تقرير المصير وفي نفس العام جرت انتخابات بين الشماليين والجنوبيين وكانت نتائجها انتخاب مجلس النواب عدد اعضائه ٩٠، وبعد الانتخابات في عام ١٩٥٥ حدث تمرد لمدة ١٤ يوماً تعطلت الخدمات وقطعت طرق المواصلات واغلقت مكاتب الحكومة واعلنت حالة الطوارئ في المديرية الجنوبية الثلاثة وحدثت حالات نهب وسلب واعلنت حالة الطوارئ^(٦٤٠).

^(٦٣٨) جواد، المصدر السابق، ص: ٤٦٥.

^(٦٣٩) البشير محمد عمر، تاريخ الحركة الوطنية في السودان

١٩٠٠-١٩٦٩، (الخرطوم، ١٩٨٠)، ص: ٤٣.

^(٦٤٠) الجواد، المصدر السابق، ص: ٦٥.

^(٦٣٧) عطية جواد، مشكلة جنوب السودان، مجلة السياسة

الدولية، العدد (١)، القاهرة، مركز الاهرام للدراسات

الاستراتيجية، ١٩٨٠، ص: ٤٥.

وبعد احداث المديريات الجنوبية قرر البرلمان السوداني اعلان استقلال جمهورية السودان وتم ذلك رسمياً في عام ١٩٥٦، واعترف بها أكثر من ٣٠ دولة وانسحبت القوات العسكرية البريطانية من السودان لكن دورها بقي له تأثير على الساحة السودانية .

وفي عام ١٩٥٨ تم تسليم السلطة "للفريق عبود" في انقلاب ابيض وقام بحظر الاحزاب السياسية بالبلاد ودعم المنهاج اسلامية داخل الجنوب السوداني وتعريب المناهج وجعل اللغة العربية لغة التخاطب الرسمي في الجنوب السوداني مما أدى إلى ازدياد اعمال العنف في الجنوب السوداني وتم انشاء عدد من المعاهد الدينية في جنوب السودان^(٦٤١) .

وتيجة لهذه السياسة التي اتهجها "الفريق عبود" برزت العديد من التنظيمات المعارضة لسياسة "الفريق عبود" وكانت من اهم مطالب هذه القوى المعارضة فصل الجنوب عن الشمال، وتكوين حكومة مستقلة في جنوب السودان، وفي تشرين الأول من عام ١٩٦٤ اندلعت الثورة الشعبية والتي اجبرت العسكريين المتمثلين

بحكومة "الفريق عبود" على التخلي عن الحكم والعودة إلى ثكناتهم العسكرية لتحل حكومة مدنية انتقالية محلها بقيادة "سر الحتم خليفة"^(٦٤٢) .

وفي عام ١٩٦٩ استطاع جعفر النميري الاستيلاء على السلطة في السودان، والذي كان حليفاً مخلصاً لمصر خاصة الرئيس "انور السادات" واعلن ان أول اهدافه هو تغيير مشروع الدستور الاسلامي، وقرر انتهاء الحرب في الجنوب وعقد مؤتمر في عام ١٩٧٢ عرف باتفاقية "اديس ابابا" من جانب ممثلين عن الحكومة السودانية وممثلين عن حركة تحرير جنوب السودان وممثلين عن اثيوبيا وممثلين عن كل من مجلس الكنائس العالمي ومجلس كنائس افريقيا .

وبموجب هذه الاتفاقية منح الحكم الذاتي للجنوب والمديريات الاستوائية واعالي النيل في اطار الدولة السودانية، إلا ان هذه الاتفاقية لم تستمر فترة طويلة وذلك لانهايار هذه الاتفاقية وذلك بسبب تدخل الحكومة المركزية في التنظيم الوظيفي لإقليم الجنوب السوداني، اضافة إلى عدم الاتفاق على ارض الواقع بين الفرقاء السودانيين في الجنوب والشمال السوداني، على رغم من توقيع

(٦٤١) الزبيدي، المصدر السابق، ص: ٥٢.

(٦٤٢) عمر، المصدر السابق، ص: ٥٢.

اتفاقية اديس ابابا، اضافة إلى اقضاء الاطراف الذين لم يشاركوهم الرأي^(٦٤٣).

وكان لزيادة حركات التمرد اثر في ازدياد حالة التفكك بين الشمال والجنوب السوداني والتي كانت تدعو إلى انفصال الجنوب عن الشمال وتكوين دولة مستقلة بذاتها عن قرارات الحكومة، رغم تنوع منظمات واحزاب الانفصال ذات التكوين العرقي^(٦٤٤).

ثالثاً: مبادرات السلام وتطورات الازمة في جنوب السودان

تجددت حركات التمرد في الجنوب السوداني، ففي عام ١٩٨٣ أعلن الرئيس السوداني جعفر النميري انعقاد اتفاقية اديس ابابا، فتمردت الكتيبة العسكرية المسلحة جنوب السودان، فأوفد النميري العقيد "جون كرنك" الضابط في الجيش السوداني آنذاك للتفاوض مع الكتيبة المتمردة، لكن بدلاً من اخماد التمرد تحالف مع المتمردين وانشاء الحركة الشعبية لتحرير السودان والجيش الشعبي ذراعها المسلح، حيث اختارت هذه الحركة النضال

العسكري لمواجهة المشاكل التي يعاني منها جنوب السودان لأنها كانت ترى أن نظام النميري لا يختلف عن نظام الفريق عبود^(٦٤٥).

وكان من أهم مطالب جون كرنك انه يطالب ليس فقط بحل مشاكل جنوب السودان وانما المطالبة بالسلام الدائم، وبدأت الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة جون كرنك بالهجوم على الاجانب وافراد هيئات المعونات في جنوب السودان، وكما قاموا بالهجوم على حقول النفط في عام ١٩٨٣-١٩٨٤، وقد استطاعت هذه القوات في قطع الملاحة النهرية بين الشمال والجنوب وذلك من خلال اغراق باخرتين نهريتين قرب ملكال.

وفي عام ١٩٨٥ ازدادت المعونات الامريكية إلى السودان لكي تضمن ولاء سكانها لجنوب السودان كما قررت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا والمملكة العربية السعودية قطع كل معوناتها عن حكومة جعفر النميري، واصرت على عدم مساعدته في حال عدم ادخال اصلاحات جذرية، طبقاً لتعليمات صندوق النقد الدولي فوافق النميري في عام

^(٦٤٥) محمد سعيد القتال، الإسلام والسياسة في السودان،

١٩٥١-١٩٨٥، دار الجليل، (بيروت، ١٩٩٢)،

ص: ٦٣.

^(٦٤٣) مدثر عبدالرحيم، مشكلة جنوب السودان، الدار

السودانية للكتاب، (الخرطوم، ١٩٧٠). ص: ٧٧.

^(٦٤٤) عمر، المصدر السابق، ص: ٥٤.

١٩٨٥ وقام بجولة إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتقى الرئيس الأمريكي "رونالد ريغان" والتي استطاع من خلال هذه الزيارة الحصول على معونات أمريكية، لكن هذه المعونات جاءت متأخرة خاصة مع ارتفاع سعر رغيف الخبز، مما أدى إلى أن تعم الفوضى في البلاد وعلنت قيادة الجيش انه قد تمت الاطاحة بنظام حكم جعفر النميري وهو كان لا يزال خارج البلاد^(٦٤٦).

وتولى الحكم الفريق عبد الرحمن سوار الذهب في عام ١٩٨٦، وعندما استلم سوار الذهب مقاليد الحكم في السودان اعلن عن ايجاد حل سلمي لمشكلة جنوب السودان، وقد لاقت دعوته قبولاً من جانب جون كرنك، وعقد اتفاق مع الحركة في اثيوبيا عرف باتفاق "كوكاماد" في آذار عام ١٩٨٦ وقد تضمن هذا الاتفاق وقف اطلاق النار فوراً، وانعقاد مؤتمر دستوري وتقض كل الاتفاقيات العسكرية والاجنبية مع الدول الاخرى والعودة إلى دستور عام ١٩٦٥ ذو الطابع العسكري^(٦٤٧).

وبعد هذه الاتفاقية جرت انتخابات برلمانية اصبح بموجبها الصادق المهدي رئيساً

للوزراء، وما ان وصل الصادق المهدي إلى الحكم تم الغاء مقررات "كوكاماد"، حيث قامت قوات كرنك بإسقاط طائرة سودانية جنوب السودان بعد الاشتباه بأنها تنقل معدات عسكرية حيث اعلن الصادق المهدي وقف اي اتفاقات مع حركة جون كرنك واعتبارها منظمة ارهابية، في هذه الاثناء اجريت محاولات للتفاوض بين الحكومة السودانية والحركة/الجيش الشعبي للتحرير SPLM/S السوداني في لندن لكن ذلك لم يؤدي إلى نتائج وبقي جيش كرنك في تزايد مستمر وبلغ عدد مقاتليه حوالي ٣٠٠٠٠ ألف مقاتل وتغلغل الجيش إلى حوالي ٣٠٠ كيلومتر من الخرطوم وهدد بقطع الكهرباء عن العاصمة^(٦٤٨).

وفي عام ١٩٨٨ تم توقيع اتفاقية "مبادرة السلام السودانية" بين الحكومة السودانية وجون كرنك، وقد تضمنت تجديد تطبيق قانون ايلول/سبتمبر ١٩٨٣ ورفع حالة الطوارئ ووقف اطلاق النار، إلا أن هذه الاتفاقية لم تدخل حيز

^(٦٤٦) توماس، المصدر السابق، ص: ٦٩.

^(٦٤٧) جواد، المصدر السابق، ص: ٤٦١.

^(٦٤٨) المصدر نفسه، ص: ٤٦٢.

التنفيذ وذلك بسبب الصراعات الطائفية والحزبية داخل السودان^(٦٤٩).

وتيجة لهذه الظروف والاضطرابات التي عاشتها السودان حصل انقلاب في السودان في ٣٠ تموز ١٩٨٩، والذي كانت نتيجة لهذا الانقلاب تولى عمر البشير الحكم والذي تبنى شعار "الجهاد الاسلامي" ضد اقوى الجنوبية.

وفي عام ١٩٩٠ تم اعدام ٢٨ من ضباط الجيش وكان اغلبهم من المعارضين للمنهج الاسلامي، اضافة إلى الازمة الاقتصادية وتدهور المستوى المعاشي. وقد شهدت فترة التسعينات العديد من الانقلابات والانشقاقات ضد جنون كرنك، وفي عام ٢٠٠٤ قبل الانتهاء من اتفاق ترتيبات السلام الشامل بين الحركات والحكومة المركزية في الخرطوم وشهدت خلافات حادة في اوساط الحركة الشعبية لتحرير السودان، بين زعيم الحركة الشعبية جون كرنك ونائبه "سلفاكير"^(٦٥٠).

(٦٤٩) محمد عمر البشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان

١٩١٠-١٩٦٩، الدار السودانية للكتب، (الخرطوم،

د.ت)، ص: ٧٧.

(٦٥٠) عبد السلام إبراهيم بغداددي، الوحدة الوطنية

ومشكلة الأقليات في افريقيا، مركز دراسات الوحدة

العربية، (بيروت، ٢٠٠٠)، ص: ٧٧.

في التاسع من كانون الثاني عام ٢٠٠٥، وقع جنوب السودان اتفاق سلام مع الخرطوم اعفي بموجبه الجنوب من الشريعة الاسلامية. واعطت له فترة ست سنوات من الحكم الذاتي تمهيداً لاستفتاء يصوت فيه الجنوبيين على حق تقرير المصير بين البقاء ضمن السودان الموحد أو الانفصال عن الخرطوم^(٦٥١).

وقد شكل الجيش الشعبي لتحرير السودان مع حكومة الخرطوم حكومة وحدة وطنية عام ٢٠٠٥ لإدارة البلاد وفق دستور جديد.

وفي تموز عام ٢٠٠٥ توفي العقدي جون كرنك في حادثة مروحية لدى عودته من اوغندا فخلفه نائبه سلفاكير، وفي عام ٢٠١٠ جرت انتخابات في جنوب السودان حددت التفويض الممنوح لسلفاكير الذي خلف جون كرنك تم انشاء البرلمان منفصل برئاسة كير، لقد كان الاستفتاء عن حق تقرير المصير الذي تم اقراره في عام ٢٠٠٩ الذي نص على وجوب الوصول إلى اتفاق في حالة اختيار الجنوبيين الانفصال في عدة محاور أهمها الحيشية، والعملية والاصول والديون وحقوق النفط

(٦٥١) منى حسين عبيد، الخريطة السياسية لاحزاب جنوب

السودان، مجلة السياسة الدولية، بغداد، ٢٠١٢،

ص: ١٢٥.

بالعادات القبلية. وعدم القدرة على إيجاد هوية موحدة، إضافة إلى تدخل الجيش في الحياة المدنية على الرغم من انتهاء الضرورة لتواجد المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية بعد انتهاء الحرب والحصول على الانفصال، حيث بقي المجتمع منقسم إلى ولايات قبلية للقادة العسكريين، إضافة إلى مشكلة المناطق الحدودية وتحديدها بين الشمال والجنوب حيث ظلت هذه المناطق مواقع نزاع بين الطرفين، إضافة إلى رفض سكان هذه المناطق لثقافة الانفصال لتناقضها عن الانفتاح فيما بينها خاصة في مجال التجارة ونقل المواد الاستهلاكية بين الشمال والجنوب واعتمادهم على مفهوم الحدود الناعمة، التي تسمح بانتقال انتقال الافراد والسلع من دون أي معوقات^(٦٥٤).

لقد كان لتدهور الوضع الأمني في جنوب السودان بعد استقلاله الأثر الكبير في عدم تحقيق الاستقرار الداخلي في الجنوب السوداني خاصة مع انتشار السلاح وازدياد أعداد الفصائل المسلحة التي تشكلت على أساس عرقي واثني، مما أثر على عملية التحول الديمقراطي، فبدلاً من أنصهار جميع الاعراق داخل المجتمع في الجنوب السوداني ونتيجة

والمياه وغيرها، وكان من المفترض حسم تلك النقاط قبل الاعلان الرسمي لانفصال الجنوب، ولكن لم يتمكن الطرفان من الوصول إلى تفاهات أو اتفاقات بشأنها^(٦٥٢).

المبحث الثاني

أولاً: استفتاء عام ٢٠١١ وعلان دولة جنوب السودان دولة مستقلة واهم المشاكل التي واجهتها.

جرى استفتاء جنوب السودان في ٩-١٥ كانون الثاني ٢٠١١، والذي تضمن تصويت سكان جنوب السودان حول رغبتهم بالبقاء ضمن دولة السودان أو الانفصال عنها. وكانت نتائج الاستفتاء تصويت سكان جنوب السودان بنسبة ٩٨% لصالح الانفصال عن السودان وتشكيل دولة مستقلة^(٦٥٣).

وبعد الانفصال واجه أبناء الجنوب تحديات كبيرة اقتصادية وسياسية واجتماعية حيث لم يستغل القائمين على حكومة جنوب السودان منذ عام ٢٠٠٥ مواجهة هذه التحديات، وكان أهم هذه التحديات هو غياب العناصر الأساسية لتكوين الدولة خاصة مع التمسك

^(٦٥٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٠.

^(٦٥٣) المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، الصراع

في جنوب السودان، خلفياته وتداعياته، كانون الثاني

٢٠١٤، ص: ٢.

^(٦٥٤) المصدر نفسه، ص: ٤.

تهديش العديد من المجموعات في اتفاق السلام، وهيمنة حزب معين على مقاليد الحياة السياسية في جنوب السودان، لذلك فقد ازداد الخلاف بين الحركة الشعبية والاحزاب المنشقة والمهمشة، واصبحت الحاجة ملحة إلى جانب المطالبة بحقه في تقرير المصير واستقلال الجنوب السوداني الذي تم الحصول عليه، ويجب العمل على الحفاظ على هذا الانجاز من خلال معالجة اسباب الصراعات التي استمرت حتى بعد الاستقلال، والعمل على تحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي إلى جانب الاستقرار السياسي، من خلال التركيز على اسباب هذه الانشقاقات والنزاعات عن طريق إيجاد الحلول لهذه الازمات^(٦٥٥).

كما لا يمكن اغفال تأثير دول الجوار الاقليمي على الاستقرار في الجنوب السوداني المستقل والذي سينعكس بالضرورة على دول الجوار الجغرافي لجنوب السودان حيث تكونت خريطة جديدة. في المنطقة مما أدى إلى تخوف الدول المجاورة لجنوب السودان خاصة تلك الدول التي تشابه اوضاعها في بعض حالاتها مع قضية

جنوب السودان، خاصة التي يوجد فيها اقلية لديها اهداف انفصالية عن دولهم، اضافة إلى تخوف دول الجوار من انتشار العنف ودخوله إلى اراضيهم، خصوصاً بعد التقرير الذي قدمته لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الامريكي في عام ٢٠١٠، الذي أكد على ان تنامي النزاعات المسلحة وانتشار الفساد في جنوب السودان قد ينعكس على الدول المجاورة لجنوب السودان والتي ستأثر بشكل كبير، وعليه فإنه يجب العمل على إيجاد الحلول للمشاكل التي تعاني منها دولة جنوب السودان من خلال العمل على إيجاد الاستقلال الاجتماعي والاقتصادي إلى جانب الاستقلال السياسي من خلال رفع مستوى المعيشي للشعب وتطور مؤسسات للدولة ومحاولة تقليل تأثير الانقسامات داخل الجنوب السوداني على علاقة جنوب السودان بمحيطه الامني^(٦٥٦).

ثانياً: النزاع داخل الجنوب السوداني عام ٢٠١٣ والتدخلات الإقليمية والدولية

(٦٥٦) صوفيا مسعودي، انفصال جنوب السودان بين

التحديات الداخلية والتداعيات الإقليمية، (الجزائر

٢٠١٧)، ص: ١٧.

(٦٥٥) سميحة ناصر خليف، دولة جنوب السودان،

القاهرة، ٢٠١٦)، ص: ١٥.

في ١٥ كانون الاول عام ٢٠١٣ اعلن الرئيس سلفاكير رئيس جمهورية جنوب السودان من كشفه عن محاولة انقلاب قام بها نائبه رياك مشار من انصاره، وكان هذه الانقلاب رد فعل من قبل نائب الرئيس بعد اعفائه وجميع اعضاء الحكومة من مناصبهم في تموز ٢٠١٣^(٦٥٧). جاءت هذه التغيرات نتيجة صراع ظل يتصاعد بين قيادات الحركة الشعبية لتحرير السودان منذ وفاة زعيمهم جون كوناك عام ٢٠٠٥ في حادث مروحية لا تزال اسبابه مجهولة من الآن.

وكان لإعلان رياك مشار عقب اعفائه من منصبه نيته بالترشيح لمنصب رئيس الجمهورية في جنوب السودان في الاحتجاجات المقرر اجراؤها في عام ٢٠١٥، وقد اضم إلى مشار عدد من المسؤولين الذين تم اعفائهم من مناصبهم، خاصة بعد تسرب معلومات عن اجتماعات للقادة في جنوب السودان سيعقد للعمل على منافسة بعض الامور الدستورية والتشريعية من اجل تركيز السلطة بيد سلفاكير باستحداث دستوري جديد يعطيه بموجبه صلاحيات مطلقة في الحكم، وخاصة بعد عدم تطبيق القوانين الذي تضمنها

دستور جنوب السودان والتي تنص على انتخاب رئيس كل خمس اعوام وكان من المفترض ان تجري الانتخابات في نيسان من عام ٢٠١٠ غير ان هذه الانتخابات لم تجري، مما ادى إلى قيام العديد من الحركات المستقلة داخل الحزب الحاكم ارادت من خلاله تغيير قيادة الحزب والحكومة وخاصة سلفاكير والذي تركزت على إدارة الدولة بعقلية أمنية اضافة إلى تقييد حرية الرأي^(٦٥٨).

هذه الأمور أدت إلى نشوب نزاع مسلح في عاصمة جنوب السودان جوبا وامتد بعد ذلك إلى العديد من المدن التي تحتوي على حقول النفط، لتدخل بذلك دولة جنوب السودان الحديثة العهد في أتون حرب داخلية للصراع على السلطة الثروات والنفوذ^(٦٥٩).

وقد عملت دول الجوار الامني لجنوب السودان وهي كل من اوغندا وكينيا على التحرك بسرعة لاحتواء الازمة المتصاعدة في جنوب السودان، حتى لا تكون نتائج هذا الصراع سلبياً على هذه الدول خاصة ان بعض هذه الدول كجمهورية الكونغو وجمهورية افريقيا الوسطى تشهد

^(٦٥٨) المركز العربي للأبحاث، المصدر السابق، ص: ٥.

^(٦٥٩) مسعودي، المصدر السابق، ص: ١٨.

^(٦٥٧) المصدر نفسه، ص: ٢٠.

ان اضطرابات داخلية، اضافة إلى أن النزاع داخل جنوب السودان ستكون له اثار سلبية على كل من اوغندا واثيوبيا وكينيا والتي لها حدود مشتركة مع جنوب السودان واصبح لها علاقات اقتصادية بعد الانفصال. وستكون حريصة على استمرار ضخ النفط من جنوب السودان عبر اراضي الشمال السوداني لأنه بدون تسويق النفط سوف يصبح جنوب السودان عالة على المجتمع الدولي^(٦٦٠).

وبعد عامين من الصراع الداخلي في جنوب السودان توصل طرفا النزاع إلى اتفاق عام ٢٠١٥ بعد تهديدات اممية بفرض عقوبات على الاطراف المتنازعة في حال عدم وقف اطلاق النار، واتفق الطرفان على تقاسم المناصب الوزارية وهو ما يعني عودة تشكيلات الحكومة إلى ما كانت عليه قبل اندلاع الصراع بين الطرفين، وكان من المفترض ان يتوقف القتال فوراً، إلا أن الخروقات المتكررة لإيقاف وقف اطلاق النار، أدى إلى انهيار الاتفاق في تموز عام ١٩١٦ بعد ما اتهم شار خصمه سلفاكير بالخطيئ لمحاولة اعتقاله داخل

القصر الرئاسي في عاصمة جنوب السودان جوبا^(٦٦١).

وقد وقعت الاطراف المتنازعة بدولة جنوب السودان في القصر الجمهوري بالعاصمة السودانية الخرطوم في ٥/آب/٢٠١٨، على الاتفاق النهائي لوقف النزاع المستمر منذ خمس سنوات في جنوب السودان بحضور الرئيس السوداني عمر البشير وعدد من قادة الدول الافريقية، وقد تضمن الاتفاق تقاسم السلطة بين الحكومة بقيادة سلفاكير والمعارضة بزعامة ريك مشار^(٦٦٢).

وبموجب اتفاق السلطات يتولى مشار منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية خلال الفترة الانتقالية التي تستمر ٣ سنوات، تجري بعدها انتخابات عامة.

وقد رحبت الولايات المتحدة الامريكية باتفاق السلام حيث أكد دونالد ياموهوتو مساعد وزير الخارجية الامريكي للشؤون الافريقية ترحيب

(٦٦١) خليف، المصدر السابق، ص: ٢٥.

(٦٦٢) سعيد إسماعيل، الصراع في جنوب السودان، (قطر،

٢٠١٧)، ص: ٢٢.

(٦٦٣) المصدر نفسه، ص: ٢٠.

الولايات المتحدة الأمريكية لجولة مفاوضات السلام بدولة جنوب السودان، وأكد على دعم الولايات المتحدة الأمريكية للجهود التي تبذلها السودان في سبيل تعزيز الأمن والسلام الإقليمي ومعالجة قضايا المنطقة بموضوعية خصوصاً أن الحرب الأهلية في جنوب السودان قد خلفت عشرات الآلاف من القتلى ونحو أربعة ملايين نازح إضافة إلى انهيار اقتصاد جنوب السودان^(٦٦٣).

ثالثاً: مطالبة السودان بالانضمام إلى جامعة الدول العربية

بعد اعلان انفصال جنوب السودان في تموز من عام ٢٠١١، أعلنت جامعة الدول العربية أن ميثاق جامعة الدول العربية ينص على ضرورة اقرار دساتير الدولة المنظمة إليها بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد لكي تنضم إلى جامعة الدول العربية، وهو ما لم ينطبق على دولة جنوب السودان^(٦٦٤).

حيث رفضت السلطات الحكومية في جنوب السودان ادراج اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية في دستورها، مبررة ذلك بأنها لا تربطها علاقة مباشرة مع العالم العربي لأنه لا يقع في محيطها.

تراجعت دولة جنوب السودان عن هذه التصريحات وقدمت طلباً بالانضمام إلى جامعة الدول العربية في ٣/شباط/٢٠١٦، مما أثار جدلاً واسعاً أكثر مما اثاره انضمام الصومال وجيبوتي على اعتبار ان لغتهما الرسمية ليست عربية^(٦٦٥). ولكن مجلس جامعة الدول العربية أكد ان اصل الشعبين عربي فقبل عضويتهم، أما الوضع بالنسبة لجنوب السودان فيختلف، حيث لم يتمكن مجلس الجامعة من اثبات عروبة لسان أو نسب أصل شعب الجنوب الزنجي أو أنه أمتداد للأصل العربي، وبالنظر لضرورة اقرار دساتير دول جامعة الدول العربية - اللغة العربية - لغة رسمية، وهذا لا ينطبق على جنوب السودان فاللغة الرسمية من عام ١٩٨٢ هي اللغة الانكليزية واعترفت بها لغة اساسية اواخر التسعينات، وهي لغة التعليم والحكومة، أما

(٦٦٣) أسامة حمد احمد، الدور الأمريكي في تسوية مشكلة

جنوب السودان، القاهرة ٢٠١٥، ص: ٧٧.

(٦٦٤) إسماعيل، المصدر السابق، ص: ٢٦.

(٦٦٥) نيفين مسعد، جنوب السودان والجامعة العربية،

القاهرة، ٢٠١٧، ص: ١٧.

اللغة العربية فتستخدم باسم عربي جوبا وقد تكونت في القرن التاسع عشر بين احفاد العساكر السودانيين، وهي منحدره من لغة قبلة باري التي تستخدم على نطاق واسع^(٦٦٦).

إن الهدف الذي اعلنته حكومة جنوب السودان من اجل الانضمام إلى جامعة الدول العربية هو من اجل المشاركة بمداومات جامعة الدول العربية بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك، وحتى يتسنى لها مراقبة الاوضاع في المنطقة العربية والمساهمة في مناقشة القضايا الحيوية التي تهم مستقبل البلاد مع العالم العربي^(٦٦٧).

إلا أن الدوافع الخفية لطلب جنوب السودان الانضمام إلى جامعة الدول العربية يمكن تحديدها في اطارين اولهما اقتصادي وهو يبرز خطوة حكومة جنوب السودان التي تبحث عن ما يقلل اضرار العجز الاقتصادي للإيفاء بمتطلبات مواطنيها واقصر طريق إلى ذلك هو من خلال الاستجابة لأجندة بعض الدول الأجنبية والحصول على قروض ومساعدات مالية من الصندوق

العربي للتمويل إلى جانب جذب المستثمرين العرب ولعل حصار السودان والاستعانة بالدول العربية لفك الحصار والعقوبات الاقتصادية التي كانت مفروضة عليه من الغرب، واقعاً ومحفزاً لدولة جنوب السودان لطلب الانضمام إلى جامعة الدول العربية^(٦٦٨)، أما الدافع الثاني لطلب الانضمام إلى جامعة الدول هو الدافع السياسي حيث سيحتوي الموقف السياسي للرئيس سلفاكير في الحرب بينه وبين المنشقين من الحركة الشعبية لتحرير السودان، ولذلك فإن حكومة جنوب السودان كانت تتوقع أن تقف مجموعة الدول العربية ومجلس الامن إلى جانبها وتصوت لصالحها فيما يتعلق بتطبيق قرارات ملف السلام الخاص بجنوب السودان أو العمل على عرقلة اصدار قرارات تقضي بفرض عقوبات على جنوب السودان بسبب استمرار النزاع بين الفصائل في جنوب السودان وفشلها في الوصول إلى سلام مع المتمردين^(٦٦٩).

^(٦٦٦) المصدر نفسه، ص: ١٩.

^(٦٦٧) اتييم سايمون، انضمام جنوب السودان للجامعة العربية،

القاهرة، ٢٠١٧، ص: ١٣.

^(٦٦٨) المصدر نفسه، ص: ١٩.

^(٦٦٩) مسعد، المصدر السابق، ص: ٢١.

رابعاً: الانقسامات داخل جامعة الدول العربية

حول طلب جنوب السودان بالانضمام إلى جامعة

الدول العربية

إن معظم الدول العربية كانت غير مهتمة بضم جنوب السودان للعضوية في جامعة الدول العربية أو للحصول على صفة مراقب بالجامعة وفق ما صرح به وزير خارجية جنوب السودان، وادى هذا إلى حصول انشقاق بين الدول العربية حيث أن بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر دعت إلى قبول طلب جنوب السودان بالانضمام إلى جامعة الدول العربية للعمل على إبعاد جنوب السودان عن النفوذ الاسرائيلي وتقربه من الموقف العربي في العديد من القضايا المصيرية مثل القضية الفلسطينية وقضايا مياه النيل بالإضافة إلى أن انضمام جنوب السودان إلى جامعة الدول العربية سيحقق عمقاً إفريقياً للدور العربي في وقد تتسع الهوة بين توجهات شمال وجنوب الصحراء^(٦٧٠). وهذا ما تعاني منه مصر والسودان مع جنوب النيل، وهو طرح جوبها بأسئلة من وزراء الخارجية العرب حول امكانية ان يضيف انضمام جنوب السودان أي شيء مهم إلى

منظومة العمل العربي المشترك التي هي في الأساس منظومة ذات تأثير ضعيف^(٦٧١).

أما الدول العربية المعارضة لانضمام جنوب السودان أو منحه صفة مراقب تستند إلى أن عضوية جنوب السودان في جامعة الدول العربية ستؤدي إلى تعقيد العلاقات العربية-العربية وبالذات العلاقات السودانية-العربية وذلك بسبب الخلافات بين السودان وجنوب السودان، وأنه إذا ما فرض أن الإطار العربي سيكون بديلاً مقبولاً لجنوب السودان عن علاقة بإسرائيل فإن انضمام جنوب السودان لجامعة الدول العربية من شأنه أن يدخل السودان إلى توثيق علاقاتها بأثيوبيا وزيادة افتتاحها على تركيا، لذلك فقد رفض طلب جنوب السودان في الانضمام إلى جامعة الدول العربية عام ٢٠١٦^(٦٧٢).

وقد عادت جنوب السودان عام ٢٠١٨ بطلب الانضمام إلى جامعة الدول العربية، إلا أن طلبها رفض بعد مناقشته من قبل وزراء الخارجية العرب. والذي تركت نقاشاته حول موقف جنوب

(٦٧١) ياسر محجوب الحسيني، طلب جوبا العضوية في

جامعة الدول العربية، (الدوحة ٢٠١٨)،

ص: ٣٠.

(٦٧٢) سايمن، المصدر السابق، ص: ٦٠.

(٦٧٠) سايمن، المصدر السابق، ص: ٥٩.

السودان من القضية الفلسطينية خصوصاً أن موقفها كان مفاجئاً للجانب العربي بعد امتناعها عن التصويت خلال جلسة التي عقدت لمناقشة قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل في الأمم المتحدة، ولابد من التذكير بالعلاقات الجيدة التي ترتبط بها جنوب السودان مع إسرائيل التي امتدت جنوب السودان بالأسلحة والمساعدات في فترة حربها مع السودان^(٦٧٣).

مما تقدم يتضح ان جنوب السودان لابد ان يضم إلى جامعة الدول العربية مستقبلاً فهو جزء منفصل من عضواصيل في جامعة الدول العربية، وله امتداد للثقافة العربية الإسلامية والحركة الشعبية لن تحكم جنوب السودان إلى الأبد، الذي جاء بظروف استثنائية وعاش شعب جنوب السودان في ظل حكما في ظل حروب ونزاعات للحصول على مكاسب شخصية لزعماء هذه الحركة. وظل جنوب السودان يعاني من التخلف والحياة البدائية، كانت تدني هذه السياسية التي اتبعتها الحركة الشعبية الاثر الكبير في هجرة العديد

(٦٧٣) محجوب، المصدر السابق، ص: ٣٢.

من ابناء جنوب السودان إلى شمال السودان، وهذا إن دل على شيء يدل على أن شعب جنوب السودان يعتبر نفسه جزء من شماله عن خلاف القادات السياسية الحاكمة في جنوب السودان التي ازدادت الخلافات والانشقاقات بين احزابها أو قد ينتهي الأمر إلى انهيار دولة جنوب السودان في ظل تهديدات دولية بفرض الوصايا الدولية عليها. حيث سعدت الدول الغربية بضغطها على جنوب السودان بحظر صادرات الاسلحة إليها كما اعلنت الولايات المتحدة الأمريكية حظر صادرات الاسلحة وتقديم مساعدات لحكومة جوبا وفرضت حظراً على سفر كبار المسؤولين فيها كما اعلنت مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة ان جنوب السودان شريك غير مؤهل، وعلى قادته ابداء الالتزام الحقيقي لإنهاء الصراع مرة واحدة وللأبد.

كما ان استمرار الحرب الأهلية في جنوب السودان يمثل تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية التي دعت إلى قيام دولة جنوب السودان في منطقة من أهم مناطق تواجدها في حوض النيل ، لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستسعى للعمل بشتى الطرق والوسائل من أجل الحفاظ على استقلال جنوب السودان عن طريق الضغط على الأحزاب الحاكمة فيه لإنهاء الصراعات فيما بينها

الشريعة الاسلامية على اهل الجنوب الذين يعتنقون معظمهم الديانة المسيحية .

رابعا: كان للتدخلات الاقليمية والدولية اثر كبير في استمرار الصراع في السودان من حيث قيام كل دولة بمساندة وتمويل طرف على حساب طرف اخر بما يخدم مصالحها ، خاصة ان الدول المجاورة للسودان تخشى من تأثير الصراع السوداني على حالات مشابهة في بلدانهم.

خامسا: ان مطالبة جنوب السودان بالانضمام الى جامعة الدول العربية كان تشوبها عدم الثقة بين الطرفين خصوصا مع رفض جنوب السودان اعتبار اللغة العربية لغة رسمية واعتبار اللغة الانكليزية اللغة الرسمية لجنوب السودان.

سادسا: الانشقاقات التي حدثت داخل جامعة الدول العربية من خلال انقسام اعضائها بين مؤيد ومعارض لانضمام جنوب السودان اليها، وقد ازداد الرفض داخل جامعة الدول العربية بعد تصويت دولة جنوب السودان على قرار الولايات المتحدة الامريكية بنقل السفارة الامريكية الى القدس عام ٢٠١٨ مما ادى ترجيح كفة الفريق المعارض لانضمام جنوب السودان الى جامعة الدول العربية.

:

حتى لو تطلب الأمر تلويح الولايات المتحدة الأمريكية بين الحين والآخر بقطع المعونات الاقتصادية عن الجنوب السوداني أو فرض العقوبات الاقتصادية في حال عدم استجابة الاطراف المتصارعة في جنوب السودان من أجل العمل على استقرار الأوضاع وانهاء الصراع فيما بينها .

الاستنتاجات

اولا: كان للتنوع العرقي والقبلي في جنوب السودان له الاثر في تصاعد الصراع في السودان وقد استغلت بريطانيا التي وقع السودان تحت سيطرتها من خلال تاجيج الصراع عن طريق زيادة الاجراءات الامنية بين الشمال والجنوب وتقل الموظفين ومنع دخول الشماليين الى الجنوب الا بموافقة عليا ، كل هذا كان تمهيدا للعمل على اعلان انفصال جنوب السودان عن شماله مستقبلا.

ثانيا: كان للحرب الاهلية في السودان اثارا سلبية على الحياه السياسية والاقتصادية والاجتماعية في السودان ولا تزال هذه الاثار واضحة لحد الان سواء على السودان او دولة جنوب السودان.

ثالثا: كان للسياسات التي تبعتها الحكومات المتعاقبة في السودان اثر في حدوث شرخ واسع بين الشمال والجنوب من خلال اتباع سياسة تقوم على فرض

((المباني الاثرية الشاخصة في مدينة الموصل منذ الفتح الاسلامي الى نهاية العصر العثماني))

١. د. أكرم محمد يحيى الحياي

د. محمد مؤيد مال الله الحياي

ملخص البحث:

نتيجة للاحداث الاخيرة التي مرت بها مدينة الموصل وما صاحبها من احوال الدهور ومصائب العصور، وماتج عنها من دمار فاني وخراب دامي، للحرث والنسل ومادب على الارض، في المدينة القديمة وعلى طرفي دجلة وما حواها، لذا استوجب على الباحثين والمختصين لزاما النبش على مابقى من معمر ساكنيها ومن عليها، ومن هنا جاءت هذه الدراسة والموسومة " بالمباني الاثرية الشاخصة في مدينة الموصل منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني " ليتسنى لنا معرفة ماتبقى من اثارها وعلى مدى خمسة عشر قرنا مضت من عمر هذه المدينة العتيدة الزاهية بمختلف أوجه العمارة العربية والإسلامية وبكافة عناصرها العمرية والفنية ونقوشها الخطية والكتابية وزخارفها الهندسية والنباتية ورسومها الادمية والحيوانية وريازتها العربية والإسلامية التي لا تزال اثارها شاخصة وإلى يومنا هذا رغم ما اصاب المدينة وسكانها من احوال الحروب والاقتتال وما نتج عنهما من خراب ودمار شاملين لم تسلم منه البشر والحجر، وما مرت به هذه الديار وساكنيها،

:Research Summary

This study is concerned with the division of elements of research identified ((in the archaeological buildings in the city of Mosul since the Islamic conquest until the end of the Ottoman era), which still retains all its elements of architecture and inscriptions written and written and its decorations and Andalusia and plant and Arab and Islamic Rizatha until the beginning of 2019, The first section deals with the study of the most prominent shops of Mosul and its old neighborhoods, which included the different buildings. The other mabahiths were distributed separately. The first section included religious buildings such as mosques, mosques, churches and monasteries. The fourth topic is the administrative buildings and the defense, such as the government, the municipality, the post office, the endowments, the property, the Sharia court, the knowledge and the customs. And Al-Reiji and useful works and the Department of Mosul Museum and Guest House, and the fifth section of the defensive buildings represented by the Mosul Wall and Castles Bashtabia and Aig Castle and Tobkana and The positions of the Ottoman army and foreign garrisons

and its consulates, as well as the location of the police stations (Alqlg) and its departments

الاموي والعباسي حتى نهاية العصر العثماني، ظلت قائمة إلى يومنا هذا ، حيث تم تحديد الموقع الجغرافي لكل منها ، وبرزت خلفاتها مع تحديد الحقبة الزمنية وتاريخ إنشائها وأدوارها العمرانية التي مرت بها والتجديدات الحاصلة فيها مع معرفة ماهيتها ووظيفتها وعائديتها والغرض من انشائها، حيث بدأ الاهتمام بعمران المدينة وتخطيطها منذ الفتح الاسلامي الحنيف ووضع خططها ونضوجها وتطور معمرها والاهتمام بجوانبها الإدارية والسياسية والدفاعية التي يحيطها سور الموصل من جهاته كافة، أصبحت تفتح عليه (١٣) باباً .

تقسيم البحث والدراسة:

اهتمت هذه الدراسة بتقسيم عناصر البحث الموسوم ((بالمباني الاثرية الشاخسة في مدينة الموصل منذ الفتح الاسلامي الحنيف حتى نهاية العصر العثماني))والتي لاتزال محتفظة بكافة عناصرها العمرانية ونقوشها الخطية والكتابية وزخارفها الهندسية والنباتية وريازتها العربية والاسلامية حتى مطلع عام ٢٠١٩ ، حيث تم تقسيمها الى عدة مباحث ،اختص المبحث الاول فيها بدراسة ابرز محلات الموصل واحياؤها القديمة التي ضمت مختلف العماثر الشاخسة فيها، فيما

فكرة البحث: وتكمن فكرة البحث المحددة بدراسة مجمل المباني الاثرية والمعمارية التي لاتزال اثارها شاخسة حتى الان، وما خلقته لنا من تراث معماري وفني وما أوجدته لنا من تغيرات وتحولات في رسم خارطتها ووضع خططها وما نتج عنها من اتساع لمساحتها وزيادة عدد سكانها ونمو محلاتها وأحيائها وامتداد عمرانها إلى ما وراء أسوارها خارج حدودها القديمة مع تعاظم دورها السياسي والإداري نتيجة لاستقرار وضعها الذي انعكس ايجابيا على وضعها الاقتصادي والمعاشي وما صاحبه من تطور صريح وواضح في مناطق تجارتها ونمو سكانها مع زيادة عدد محلاتها وأحيائها التي تجاوزت الخمسين محلة ، ضمت بين جنباتها المساجد والجوامع والكنائس ودور العلم والحديث والقران والمدارس والمراقد والمشاهد والاضرحة والاسواق والخانات والحمامات ودور السكن فضلا عما حوته من مبان إدارية وخدمية على امتداد تلك الدروب والأزقة ،ومن هنا كان لزاما علينا الاعتماد في بحثنا على الدراسة الميدانية والمسح العام لكافة أحياء المدينة وأزقتها وما حوته من مخلفات معمارية وتراثية تعود معظمها إلى بدايات الفتح الاسلامي والمحددة بالعصرين

توزعت المباحث الأخرى كلا على حدى ، حيث تضمن المبحث الاول على المباني الدينية كالمساجد والمساجد الجامعة والكنائس والأديرة ، والمبحث الثاني المباني العلمية وملحقاتها كالكتابيب والمدارس الدينية والرسمية والأهلية وملحقاتها من المكاتب والمطابع ، والمبحث الثالث المباني الخدمية كالاسواق وقسريات وخانات وحمامات ومستشفيات ومصانع ومعاصر ومدافع ومقابر ومشاريع النقل وجسور ، والمبحث الرابع المباني الإدارية والدفاعية كدور الدولة ابتداء بسراي الحكومة والبلدية والبريد والأوقاف والأموال والمحاكمة الشرعية والمعارف والكمارك (الريجي) والأشغال النافعة ودائرة متحف الموصل ودار الضيافة ، والمبحث الخامس المباني الدفاعية المتمثلة بسور الموصل وقلاعها باشطابيا وايح قلعة والطوبخانة ومواقع الجيش العثماني والحاميات الأجنبية والقنصليات التابعة لها فضلا عن تحديد مواقع مخافر الشرطة (القلع) ودوائرها .

((موقع وتاريخ مدينة الموصل منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العثماني))

التمهيد:

تعود مدينة الموصل ومنطقتها بتاريخها الطويل الى عصور موغلة في القدم حيث كان لها دور بارز ومهم في حياة الإنسان العراقي الأول، وحضارته العريقة منذ عصور ما قبل التاريخ^(٦٧٤) استمدت باصولها من حضارة محلية نشأت منذ الالف الخامس قبل الميلاد واصبحت بمثابة مستوطنة صغيرة^(٦٧٥). قبالة نينوى القديمة الواقعة على الجانب الشرقي لنهر دجلة ، وقد تعاظم دورها وأصبحت بمثابة قلعة وحصن عسكري أقامه الآشوريون عند الجانب الغربي لنهر دجلة بعد

(٦٧٤) - الجنابي ، صلاح : جغرافية الموصل ، موسوعة الموصل الحضارية ، مجلد ١ ط ١ ، الموصل ، ١٩٩١ ، ص ٣ ، الحيايلى ، اكرم محمد : الزخرفة الهندسية على المباني الاثرية القائمة في الموصل خلال العصور الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص ٤٣ .

(٦٧٥) - العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحداثى ، حققه ونشره سعيد الديوه جي ، مطبعة الهدف ، ١٩٥٥ ، ص ٣٧ ، كركجه ، فواز عائد جاسم : التدهور والتنهؤ الحضري الشكلي لمدينة الموصل القديمة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، قسم الجغرافية

فيه الى مركز^(٦٧٩) سياسي وعسكري تبارت فيها القوى السياسية الكبرى بين الفرس والرومان ، فسعى الرومان الى الاهتمام بتحصينها تشييد قلاعها كما خططوا والمسالك فيها ومناطق السكن^(٦٨٠) ومع الفتح العربي الاسلامي لمدينة الموصل حيث اعتمد القائد عبد الله بن المعتم وعتبة بن فرقد السلمي وهرثة بن عرفة استمالة قبائل الموصل العربية في تحريرها ثم تمصيرها ووضع خططها وإنشاء المسجد الجامع ودار الأمانة^(٦٨١) . كما خططت مواضع السكن فيها داخل المدينة القديمة بنمط قطاعي لا مركزي يلتقي في نواة

اتخاذهم مدينة نينوى عاصمة لحكمهم^(٦٧٦) سنة (١٠٨٠ ق.م) على عهد الملك تجلات بلالز الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م)^(٦٧٧) زيادة في استحكاماتها الدفاعية وتحصيناتها العسكرية ومنذ ذلك الحين أصبح الحصن الغربي يمثل النواة الأولى لمدينة الموصل التي أخذت أهميتها السياسية والعسكرية والإدارية بعد سقوط نينوى وتخريب معمرها^(٦٧٨) . فهجرت وانتقل سكانها على اختلاف طوائفهم وأديانهم وقومياتهم نحو الحصن الغربي عند مدينة الموصل التي أصبحت مركز استقطاب سكاني وحضري في الوقت الذي تحولت

(٦٧٩) - الديوه جي ، سعيد : تاريخ الموصل ، ج ١ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٢ ، ص ١١ ، كركجه ، المصدر السابق : ص ١١ .

(٦٨٠) - كركجه : المصدر السابق ، ص ١٢ ، المقدسي ، شمس الدين ابي عبد الله : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة ليدن ، مصر ، ١٩٠٩ ، ص ١٤٦ ، بهنسي ، غفيف : تاريخ فن العمارة ، المطبعة الجديدة ، ١٩٧١ ، ص ٢٣٣ .

(٦٨١) - الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، تحقيق ابي الفضل ابراهيم ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٧ ، البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ق ٢ ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٦٧٦) - الصائغ ، سليمان : تاريخ الموصل ، ج ١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٢٣ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

الديوه جي ، سعيد : الموصل في العهد الاتابكي ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٤

(٦٧٧) - الديوه جي : سعيد ، تاريخ الموصل ، ج ٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص ٤٥ مخطوطة سليمان ، عامر : نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى ، مجلة اداب الرافدين ، ١٤ ، ١٩٧١ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٦٧٨) - سليمان ، عامر وآخرون : محافظة نينوى بين الماضي والحاضر ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٥ ، ص ٣٣ .

وبحكم موقعها الجغرافي وإمكانياتها الاقتصادية فضلا عن تكوينها التاريخي المتميز الذي اتصف بالاصالة والتطور والرقى . غدت مركزا مهما من مراكز التسوق والنشاط الحرفي والتجاري في المنطقة ^(٦٨٦) . فضلا عن كونها من المدن العراقية القديمة والتي تعود بتاريخها الى تلك العصور القديمة حيث كان لها دور بارز مهم في حياة الإنسان وحضارته ^(٦٨٧) . فقد رفدت الحضارات الإنسانية بالعديد من معطياتها على مر العصور التاريخية وتضاعف ذلك العطاء بعد دخولها حضيرة الدولة العربية الإسلامية وتمصيرها على يد المسلمين سنة (١٦٦هـ/٦٣٧م) على عهد الخليفة الفاروق عمر بن

مركزية ^(٦٨٢) . يمثلها المسجد الجامع ودار الإمارة ^(٦٨٣) . ثم تجاورها الأسواق وتليها والأحياء السكنية ^(٦٨٤) وقد اعتمد ذلك في اعمار مدينة الموصل ووضع خططها وتحصينها على وفق الخطة التي كان يتبعها المسلمون في كافة الأمصار التي يفتحونها مع اختلاف اهدافها كمدن البصرة والكوفة والفسطاط ^(٦٨٥)

محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٨ ، ص ٥١-٦٣ .

^(٦٨٦) - الراوي ، ثابت اسماعيل : العراق في العصر الأموي ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٢١ ، عثمان : الحياة الاجتماعية في الموصل ١٨٣٤-١٩١٨ ، ص ١٠ ، ياسين ، ندير طه : الاصناف والتطبيقات المهنية في الموصل منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٨ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢ ، ص ٧٧ .

^(٦٨٧) - الجنابي : صلاح حميد ، جغرافية الموصل ، موسوعة الموصل الحضارية ، ج ١ ، الموصل ، ط ١٩٩١ ، ص ٣ .

^(٦٨٢) - الجمعة : المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل ، مجلة اداب الرافدين ن كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ع ١٦٦ ، مجلد ٢١ ، ١٩٨٦ ، ص ٣١٧ ، السماك ، أزهر : استخدامات الأرض بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية عن مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠ ، جامعة الموصل ، ١٩٨٥ ، ص ١٨ .

^(٦٨٣) - الجمعة ، احمد قاسم : المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل ١ ، ص ٣٢١ .

^(٦٨٤) - الأزدي ، يزيد بن محمد بن اياس ابو زكريا : تاريخ الموصل ، ج ٢ ، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ، دار التحرير للطباعة ذوالنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .

^(٦٨٥) - الراوي ، ثابت اسماعيل : العراق في العصر الأموي ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ١١٥-١٢٢ ، العلي ، صالح احمد : خطط البصرة ومنطقتها ، مطابع الجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٦ ، ص ٥-٤٩ . عثمان ،

الخطاب(ﷺ)^(٦٨٨). ولقد أثرت عوامل عديدة في رسم الخارطة العمرانية والتراثية لمدينة الموصل خلال العصور الإسلامية كان من أبرزها البيئة والظروف المناخية والخبرات المحلية والعادات والتقاليد الاجتماعية والدينية المتوارثة والأحداث السياسية ونشاطها الاقتصادي وموقعها الجغرافي الذي جعل من مدينة الموصل نواة لنضوج وتطور مدينة كبيرة غدت مثالا جيدا للمدينة الإسلامية^(٦٨٩) اشتملت المنطقة المعروفة (بقليعات) والتي كانت تمثل النواة الأولى لمدينة الموصل القديمة ، حيث نمت واتسعت على نشر من الأرض المتموجة والمتدرجة في الارتفاع والمساحة والمؤلفة من مجموعة من التلال المتجاورة والمنحدرة نحو السهول الخصبة وعند حافات النهر في اقسامها

الشمالية والجنوبية والتي اقيم عليها اقدم عمران حضري وسكني في المدينة^(٦٩٠). ضمن رقعة جغرافية تربط بين اقليم الجبال ذي المسالك الوعرة والاقليم الصحراوي ذي السهول المنبسطة الخصبة مما جعلها مركز استيطاني ملائم لنمو حضارة عريقة ذات أصول محلية^(٦٩١). فضلا عن كونها مركزا تجاريا مهما يوصل بين المدن والأقاليم المجاورة الواقعة في الاجزاء الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية بوجه عام^(٦٩٢) فهي وريثة مواضع ومواقع جغرافية وحضرية مختلفة ضمن اطار موقعها ، كما

(٦٨٨)-الديوه جي ، سعيد : اعلام الصناعات الموصلية ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ، ١٩٧٠، ص٢٠، الصانع ، سليمان : تاريخ الموصل ، ج١، ص٣٩-٤٠، يحسى ، مال الله : الاثار المسيحية في مدينة الموصل خلال العصر العثماني، ص١١٧-١١٨، الحيايلى: الزخرفة الهندسية على المباني الاثرية القائمة في الموصل، ص٤٤٥.

(٦٨٩)- الجنابي ، هاشم خضير : التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة(دراسة في جغرافية المدن) ، ط١ ، ١٩٨٢، ص٨-١٣، شذى العبيدي: الادارة العثمانية

في الموصل في عهد الاتحاديين ، ص٨

(٦٩٠)- الجميل ، سيار : المدينة العربية في العهد العثماني ، نموذج الموصل ، المجلة التاريخية المغربية، ٩٤-١٠، زغوان ، تونس ، ١٩٩٤، ص١٠٥، العبيدي: المصدر السابق ، ص٥، السابق ، ص٨ ، عثمان : المصدر السابق ، ص٥، الصوفي : خطط الموصل ، ص٤-٢٠.

(٦٨٨)- الجمعة ، احمد قاسم : المعالجات الانشائية لمباني الموصل وموقعها خلال العصور العربية الاسلامية ، مجلة آداب الزافدين ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٣٩٤، ٢٠٠٤، ص١١.

(٦٨٩)- عجاج ، داود سليم : النقل في مدينة الموصل ، دراسة في جغرافية المدن ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، موصل ، قسم الجغرافية ، ١٩٧٧، ص٩-١٣، الجنابي ، صلاح حميد : جغرافية الحضر ، اسس وتطبيقات ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٧، ص٦٤-٦٥.

ان وقوعها على نهر دجلة كان عاملا طبيعيا اثر في تحديد نوعية موقع المدينة اذ تعد من مناطق التحام اقاليم طبيعية واقتصادية متنوعة فضلا عن كونها من المواقع المركزية حيث تلقت عندها شبكة من الطرق والمسالك التي تربطها بظهيرها الإقليمي ومختلف المراكز الحضرية المحيطة بها^(٦٩٣)

ان الموقع الطبيعي لمدينة الموصل ومناخها الاقليمي السائد اثر بشكل كبير في تحديد نشاطها السكاني والحضري وفي رسم الخريطة الحضرية والعمرانية ووضع خططها^(٦٩٤).

وقد ادت الخصائص المذكورة للموقع القديم لمدينة الموصل الى احتضان النسيج التراثي خلال العصور المتأخرة وبالتحديد خلال العصر العثماني على الاحياء السكنية ومحلاتها وما اشتملته من مبان اثرية تنوعت في اغراضها ووظائفها من مبان دينية كالمساجد والجوامع والكنائس ومدينة كالقصور وبيوت السكن وخدمية كالاسواق والقيسريات والحمامات والخانات وعلمية كالمدارس والمعاهد

^(٦٩٣) - كركجة : المصدر السابق ، ص ٧، عجاج : المصدر السابق ، ص ٩-١٣، الجنابي: جغرافية الحضر اسس وتطبيقات ، ص ٦٤، ٦٥ .

^(٦٩٤) - كركجة : المصدر السابق ، ص ٩، الجمعة : اصالة النظام الاقتصادي في تخطيط مدينة الموصل ومبانيها خلال العصور العربية الإسلامية ، ص ١، ٢ .

والمطابع والمكتبات ودفاعية كالأسوار والقلاع وما الى ذلك^(٦٩٥).

((برز النماذج الشاخصة للمباني الاثرية في مدينة الموصل نهاية العصر العثماني))

يجد الباحثون ان ولاية الموصل تعد بحق من اسرع الولايات العربية والاسلامية في تطورها العمراني والحرفي والسكاني، فقد كثر الاقبال عليها من قبل العلماء وطلاب العلم والحرفيين والتجار واصحاب الاموال والملاكين واصبحت سوقا للمنتجات الزراعية والحيوانية^(٦٩٦). كما تدفقت رووس الاموال الاجنبية الى البلاد نتيجة لنمو تجارتها من عملية التصدير وقد ساهمت البنوك في تسهيل عملية التعامل المصري^(٦٩٧) وقد اوردت لنا سالنامه ولاية الموصل لسنة (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) وسالنامه

^(٦٩٥) - السماك وآخرون : استخدام الأرض بين النظرية والتطبيق ، ص ٢١-٣٠، الجمعة : المعالجات الانشائية لمباني الموصل وموقعها خلال العصور العربية الاسلامية، ص ١٢ .

^(٦٩٦) - علاوي : المصدر السابق، ص ١٨٣، احمد : اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين ، ص ٢٤٨ .

^(٦٩٧) - احمد : المصدر السابق ، ص ٢٥١، العبيدي : الموصل ايام زمان ، ص ٢٦٣ .

ودار ضيافة وقشلتان عسكرية ومدنية وطوبخانة
وبارودخانة^(٦٩٨).

كما ضمت العديد من الخانات والفنادق ذات
العلاقة الماسة والمرتبطة مع الاسواق لاستكمال
عمليات البيع والشراء والنقل والخزن وحفظ
البضائع والسلع على اختلاف انواعها وعمارتها
فهي تمثل منازل المسافرين والغرباء واماكن اقامتهم
عند نزولهم الى مدينة الموصل للمبادلات التجارية
فضلا عن كونها المكان الامثل للبيع والشراء عن
طريق المزايدات والمضاربات والاتفاقيات التي
تحصل بين التجار حيث ادت هذه الخانات ادوارا
فاعلة ومهمة في تنشيط حركتها التجارية والعمرانية
وتنشيط اقتصادها خلال العصر العثماني
وبالتحديد منذ منتصف القرن السابع عشر^(٦٩٩).

حتى تطورها نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن
العشرين فاصبحت تتجاوز اعدادها على ما يقرب
من (٣٤) خان بعد ان كان لا يتجاوز بداية العهد
العثماني نحو (١٢) خان فقط حسب احصائية

ولاية الموصل لسنة (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) معلومات
واضحة عن الحالة العمرانية لمدينة الموصل
وممتلكاتها التراثية المدنية والتعليمية والخدمية
والتجارية حيث اوردت ان عدد الدكاكين والمحلات
التجارية في المدينة بلغت نحو (٣٦٢) دكان و(٤٠)
خان مما يؤكد نمو النشاط التجاري والاقتصادي
للمدينة فضلا عما ذكرته لنا من نمو عمراني واسع
في المدينة حيث اوردت مئة وثلاثين جامعاً
ومسجداً صغيراً وتكية واحدة و(٢٠) كنيسة
و(٨) أديرة ومعبد يهودي واحد و(١٧) مدرسة
دينية و(٢٥) مكتبا اهلياً ومدارس ابتدائية
ورشدية وكتابيب ومدرسة اعدادية واحدة
ومستشفى و(٣) مطابع و(١٧) حمام و(٦٥) مقهى
و(٦) صيدليات (١٨) دولا ب ماء و(١)
صابونخانة و(٢٨) بوية خانة و(٣٢٧) مدار لطحن
الحبوب وواحد لطحن السمسم وخمسة افران
ودائرة تلغراف ودائرة شرطة وحبس خانة (السجن
الكبير) ودائرة بلدية ودائرة اوقاف ومحكمة
الشرعية وتسعة قره غول خانة (سجن مركزي)
داخل مراكز ومحافر الشرطة ومدبغة وخسنة خانة
وعشرة سبيلخانة وعشرين بستان كبيرة واثنى
عشر بستان صغير وتسعة عشر قنطرة على الازقة

(٦٩٨) - العبيدي: المصدر السابق، ص ٢٢.

(٦٩٩) - مراد، خليل علي: سجلات المحكمة الشرعية

بالموصل مصدر لدراسة اسواقها في العهد العثماني،

جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص ١-٥، عثمان:

المصدر السابق، ص ٢٧٢.

حوت أسواقها الكبيرة عشرات الأسواق الصغيرة والقيصريات والوكالات التي ضمت بداخلها عشرات الدكاكين والمحلات التجارية والتي امتازت بوفرة بضائعها وتنوع سلعها الامر الذي اقتضى بوجود أماكن خاصة ومناسبة لخزنها وضمان حمايتها فأصبحت تلك الخانات المكان المناسب لراحة التجار والغرباء وتوفير المكان الملائم لحفظ بضائعها وخزنها وحمايتها مع توفير مرابط للإيواء حيواناتهم وخيولهم وماشيهم وما الى ذلك^(٧٠٣). فضلا عن الاهتمام بإنشاء المطاعم (اللوطنات)^(٧٠٤). والمقاهي^(٧٠٥).

سالنامه ولاية الموصل لسنة (١٣١٠هـ/١٨٩٢م) وسالنامه ولاية الموصل لسنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)^(٧٠٠). على خلفية اعلان الحكم المركزي الرسمي في مدينة الموصل منتصف القرن التاسع عشر للميلاد^(٧٠١). فاصبحت مدينة الموصل ملتقى التجار وارباب العمل من الحرفيين والمهرة وبمختلف الصنوف فضلا عن أصحاب رؤوس الاموال والملاكين الذين أصبحوا يستثمرون أموالهم في تنشيط الحركة التجارية والاقتصادية للمدينة واصبحت لهم هيئة ادارية خاصة تقوم بتنظيم امورهم التجارية والاقتصادية والزراعية^(٧٠٢). فاستعت أسواقها وتعددت خاناتها وقيصرياتها حتى أصبحت من الكثرة والزيادة ان

(٧٠٣) - الزبيدي، كاظم محمد كاطع : العمارة الخدمية في

الموصل خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٧٦، ٧٨، روفوف : المصدر السابق، ص ٤٥٥ - ٤٥٦، الطائي، ذنون يونس : الاتجاهات الاصلاحية في ولاية الموصل اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ٣، عثمان : المصدر السابق، ص ٢٩، شيلدن : المصدر السابق، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٧٠٤) - مفرداها لوقطة وتعني المطعم واصل الكلمة مأخوذ من لوكدا التي تعني فندق واوتيل الحل الذي ينزل فيه الغرباء/ البكري، حازم : دراسات في الالفاظ العامة

(٧٠٠) - سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م، ص ١٣٩-١٤٠، مراد : تجارة الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد ٢، ١٩٩٢، الموصل، ص ٢٧٢.

(٧٠١) - علاوي : المصدر السابق، ص ٢٥، عثمان : المصدر السابق، ص ٢٠، الديوه جي : بحث في تراث الموصل، ص ١٢١، ١٣٧.

(٧٠٢) - سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م، ص ٨١، الديوه جي : اعلام الصنائع المواصله، ص ٣١، مراد : اقتصاديات الموصل في العهد العثماني، ص ٢٠١.

وقد شهدت مدينة الموصل بعد اعلان الحكم المركزي العثماني الرسمي في المدينة وانتهائه باعلان جمعية الاتحاد والترقي وتوليها السلطة الفعلية سنة (١٩٠٨م) شهدت المدينة تحولات ايجابية وتطورات ملحوظة في شتى جوانبها الإدارية والاجتماعية والخدمية والصحية خاصة بعد إنشاء اول بلدية في مدينة الموصل سنة (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)^(٧٠٦).

وتعد مكملة للحملات التنظيمية التي قام بها والي الموصل محمد اينجية بقرق دار لتحسين اوضاع المدينة اداريا وسياسيا^(٧٠٧) حيث تبلورت باقامة دائرة خاصة لبلدية الموصل عند رأس الجسر القديم قرب قلعة الموصل الداخلية ايج قلعة في الجزء الجنوبي من مدينة الموصل

القديمة^(٧٠٨). وكذلك العمل على إنشاء دائرة صحة مدينة الموصل^(٧٠٩). ودائرة النافعة والأشغال العامة سنة (١٣١٠هـ/١٨٩٢م) ودائرة البريد والتلغراف سنة (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)^(٧١٠). ودائرة طبابة البلدية (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)^(٧١١). ودار الضيافة المسافر خانة (حكومة قوناغلي) عند شارع القشلة^(٧١٢). وبجوارها تم اعادة انشاء المحكمة الشرعية (العدلية والبداءة) بعد نقلها من مقرها

(٧٠٨) - الطائي : الاتجاهات الإصلاحية في ولاية الموصل،

ص ٧٣، الصوفي : خطط الموصل ، ص ٣٠ - ٣١،

The Encyclopaedia of Islamic New Edition, London, Vol1. Art "Baladiyya" p.972.

(٧٠٩) - الصوفي : تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ص ٢٩ -

٣١.

(٧١٠) - عبد الكريم : المصدر السابق ، ص ١٣٩، ١٨٦،

العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٧،

ص ١٣٢، عثمان : المصدر السابق ، ٢٦٠، كيمب ،

پرسبي : الموصل والمؤرخون الموصلين في العهد

الجليلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤ ، ترجمة محب احمد الجليلي

وغانم العكيدي ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٧ ، ص ١٦ -

٢١.

(٧١١) - عثمان : المصدر السابق ، ص ٢٣٣.

(٧١٢) - الصوفي : تاريخ بلدية الموصل ، ص ٢٩ ، لمى :

مصدر سابق ، ص ١٥٨.

في الاقاليم العربية ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ٤٤٨ ،

شيلدرز : المصدر السابق ، ص ٩٣.

(٧٠٥) - سالنامه ولاية الموصل لسنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٧) ، ص

١١٠ - ١١٧ ، العبيدي : المصدر السابق ،

ص ١٣٣ ، عثمان : المصدر السابق ، ص ٢٣٣.

(٧٠٦) - ياسين : المصدر السابق ، ص ٨٢.

(٧٠٧) - عبد الكريم : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ، الصوفي :

تاريخ المحاكم والنظم والإدارية في الموصل ، الموصل ،

١٩٤٩ ، ص ١٨.

فضلا عن انتشار وفتح العديد من شوارع مدينة الموصل وأزقتها العريضة الواسعة التي سهلت عملية النقل الداخلي وإمكانية الوصول الى مختلف اجزائها بسرعة وسهولة الأمر الذي أدى الى اتساع مساحتها وتطور عمرانها واقتصاده وازدهار تجارتها بعد افتتاح العديد من شوارعها الرئيسية والفرعية^(٧١٩) كما تم انشاء مشروع النقل بالعربات الربل التي تجرها الخيول في منطقة باب الطوب عند سوق الخيل^(٧٢٠). والسعي لهدم جسر الموصل القديم الخشبية وتجديده^(٧٢١).

كما تم الاهتمام بالجوانب الثقافية والتعليمية نهاية العهد العثماني حيث تم انشاء مجلس معارف ولاية الموصل (١٣١٠هـ / ١٨٩٢م) وكذلك انشاء دار

القديم عند رأس الجسر الى باب لكش^(٧٢٢). ثم استقرارها ضمن بناية عمارة الاحمدية في الجهة الجنوبية لمدينة الموصل القديمة عند شارع القشلة جوار الاعدادية الشرقية ، كما تم انشاء دائرة الأوقاف بعد نقلها من مقرها القديم عند ارس الجسر الى عمارة الاحمدية عند شارع العدالة^(٧٢٤). والأملاك السنينة^(٧٢٥). ودائرة النفوس والاحوال المدنية^(٧٢٦) كما تم انشاء دائرة الشرطة عند مدخل شارع النجفي^(٧٢٧). وهيئة التجارة والزراعة وغرفة تجارة الموصل سنة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م)^(٧٢٨).

^(٧٢٣) - العبيدي: الادارة العثمانية في الموصل في عهد الاتحادين ، ص ٤٨، الصوفي : تاريخ بلدية الموصل ، ص ٣٣، شيلدر : المصدر السابق، ص ١٣٦.

^(٧٢٤) - العلي بك : المصدر السابق ، ص ١٥.

^(٧٢٥) - علاوي : المصدر السابق ، ص ١٨٨.

^(٧٢٦) - مراد : تقديرات سكان الموصل في العهد العثماني ، ص ٧٣ ، ٨١

^(٧٢٧) - عبد الكريم : المصدر السابق، ص ١٥٣، الصوفي : تاريخ بلدية الموصل ، ص ٣٣.

^(٧٢٨) - الحديثي، عبد الرحمن ذنون: غرفة تجارة بغداد، اطروحة دكتوراه، كلية اداب جامعة الموصل ، ١٩٩٧، ص ٢١.

^(٧٢٩) - الديوه جي : تاريخ الموصل ، ج ٢، ص ١٨٦، الربيعي : المصدر السابق ، ص ٧٥ ، عبد الكريم : المصدر السابق ، ص ١٤٧.

^(٧٣٠) - عثمان : المصدر السابق ، ص ٢٢٩، عبد الكريم: المصدر السابق، ص ٢٥٧، علاوي : المصدر السابق ، ص ١٨٧.

^(٧٣١) - احمد ، ابراهيم خليل : تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢ ، البصرة ، ١٩٨٢، ص ٤١، عبد الكريم : المصدر السابق ، ص ٩٣.

الحيوانات واللحوم الى خارج المدينة عند طرف نهر
دجلة بجزئها الجنوبي^(٧٢٧). وكذلك الاهتمام بمشروع
نقل المياه العذبة الصالحة للشرب الى المحلات
السكنية وبيوتها والسعي لإنشاء السبيل خانة (ماء
السبيل) في الأسواق وعند بوابات المساجد
والجوامع والمدارس الدينية^(٧٢٨) وإنشاء الميآتم^(٧٢٩)
الخاصة برعاية ابناء المدينة ممن فقدوا آبائهم^(٧٣٠)

(٧٢٧) - دليل العراق العام لسنة ١٩٣٦ ، ص ٧٠٢ ، الصوفي

: تاريخ مدينة الموصل ، ص ٣١ - ٣٣ ، عبد الكريم

: مصدر السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، عثمان :

المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٧٢٨) - الديوه جي : السقاء في الموصل ، مجلة التراث

الشعبي ، مجلة ١ ، ٣٤ ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠ - ٣٤ ، سيوفي

: المصدر السابق ، ص ١٥ - ٢٩ .

(٧٢٩) الميآتم : مكاتب مخصصة لرعاية الايتام وتعليمهم

وايواءهم ظهرت منذ بداية العصور الاسلامية الاولى

، عثمان: المدينة الاسلامية ، ص ٨٤ ، كما عرفت

بالتحديد خلال العصر العثماني اطلق عليها السبيل

والمكتب والميتم تخصص برعاية ابناء المسلمين من

الايتام ووقف من اجلهم اوقافا وكلف القائمون عليها

باطعامهم وايوائهم وكسوتهم وتعليمهم ، غالب :

موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٤٠٤ ، رزق :

معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، ص

. ٢٤٠

(٧٣٠) المعلومات مستقاة من خلال المقابلة الخاصة التي تمت

المعلمين (١٩٠٧م)^(٧٢٢). فضلا عن انشاء العديد من

المدارس الرسمية التعليمية والمهنية والتي كان من

أبرزها إنشاء الإعدادية الشرقية على عهد والي

الموصل نوري باشا (١٩٠٢ - ١٩٠٦)^(٧٢٣) .

وإعدادية الصنائع المهنية عند تل كناسة قرب باب

سنجار على عهد والي الموصل سليمان نظيف

سنة (١٩١٢م)^(٧٢٤) . وإنشاء مدرسة الاتحاد

والترقي في محلة الإمام عون الدين ابن الحسن سنة

(١٩٠٨)^(٧٢٥) . ومدرسة العرفان^(٧٢٦) . فضلا عن

الاهتمام بالجوانب الصحية لمدينة الموصل وسكانها

حيث تم إنشاء مستشفى الغرباء عند باب سنجار

سنة (١٣٣٠هـ / ١٩١٢م) وفتح محلات إيواء

المرضى والفقراء ونقل معامل الدباغة ومجازر

(٧٢٢) - احمد : تطور التعليم الوطني في العراق ، ص ٤١ ،

٥٦ ، عبد الكريم : المصدر السابق ، ص ٨٤ ، ٩٣ .

(٧٢٣) - مزعل : جمال اسد ، التربية والتعليم ، موسوعة

الموصل الحضارية ، ج ٥ ، الموصل ، ١٩٩٢ ،

ص ٤٩١ ، علاوي : المصدر السابق ، ص ٨٤ ، الصوفي

: تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ص ٣٢ .

(٧٢٤) - عيساوي : المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، العبيدي

: الادارة العثمانية في الموصل في عهد الاتحاديين ، ص ٣٧ .

(٧٢٥) - احمد : ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية

١٩٠٨ - ١٩٢٢ ، ص ٣٩ .

(٧٢٦) - عبد الكريم : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

والإشراف عرفت بدائرة (احتساب (اغاسي) لمراقبة النشاطات المهنية والحرفية في الأسواق^(٧٣٥). فضلا عن انشاء المستشفى العسكري (١٨٤٤م)^(٧٣٦). ومستشفى ليجون تكريما للجنرال الفرنسي الذي توفي في الموصل على اثر إصابته بمرض مزمن فترعت والدته ببناء هذه المستشفى ودعيت بأسمه (١٨٧٦م)^(٧٣٧). كذلك إنشاء مستشفى الآباء الدومنيكان في منطقة الساعة بالموصل سنة (١٨٨٧م) في كنيسة الآباء الدومنيكان^(٧٣٨). يضاف الى ذلك افتتاح العديد من الصيدليات البالغ عددها نحو (٦) صيدليات توزعت في احياء شهر سوق وسوق الشعارين

فضلا عن انشاء العديد من الجمعيات والنوادي الادارية والسياسية ومنها إنشاء جمعية الاتحاد والترقي في محلة الامام عون الدين والجمعيات المسيحية مثل الجمعية الخيرية في كنيسة مار توما (١٩٠٣) والجمعية المحمدية في مدينة الموصل قرب جامع جميشيد وجمعية العلم في محلة الخرج والنادي الادبي فرع الجمعية الاصلاحية في شارع نينوى^(٧٣٩). وجمعية العهد^(٧٤٠). فضلا عن فتح العديد من المدارس التربوية التعليمية كمدرسة دار العرفان ومدرسة النجاح^(٧٤١). وإنشاء النادي العلمي قرب جامع المجاهدي على شاطئ نهر دجلة^(٧٤٢). وإنشاء دائرة خاصة للمحاسبة

مع امام وخطيب الشيخ صالح محمد الفرحة بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٢٤ والحاج محمد حسين محمد الحياي بتاريخ ٢٠٠٩/١١/٤ .

(٧٤١) - احمد ، ابراهيم خليل: الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية ، حضارة العراق ، ج٣، بغداد ، ١٩٨٥، ص١٤٩، عثمان : المصدر السابق ، ص١٦٧.

(٧٤٢) - احمد ، ابراهيم خليل: جمعية العهد فرع الموصل نشاطاتها قبيل الحرب العالمية الاولى ، مجلة الجامعة ، ع١٤، الموصل ، ١٩٨٠، ص ٥٥ .

(٧٤٣) - عثمان : المصدر السابق، ص ١٦٩ .

(٧٤٤) - جاسم ، مجول محمد محمود: علماء الدين الاسلامي في الموصل وموقفهم تجاه ابرز القضايا الوطنية، رسالة

ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١، ص٣٣، عثمان : المصدر السابق ، ص١٧٢.

(٧٤٥) - ياسين : الاصناف والتنظيمات المهنية في الموصل منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٨ ، ص٨٢، عثمان : المصدر السابق ، ص١٧٩ .

(٧٤٦) - العبيدي: المصدر السابق، ص١٣٤ .

(٧٤٧) - عثمان : المصدر السابق، ص ٢٣٦ .

(٧٤٨) - الطائي : الاتجاهات الإصلاحية في ولاية الموصل

اواخر العهد العثماني، ص١١٥، فبيه ، الاب جان

موريس: الآباء الدومنيكان وخدماتهم الطبية في

الموصل ، ترجمة نجيب قاقو ، ص ٣ .

المسيحية منها كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك في محلة حوش الخان وكنيسة مريم العذراء في محلة الشفاء قرب قلعة الموصل القديمة (باشطابيا) ، كما صدرت الاوامر العثمانية بتكليف والي الموصل محمد اسعد باشا بتجديد عمارة كنيسة الطاهرة القديمة المعروفة بكنيسة القلعة في محلة حوش الخان سنة (١٢٦٣هـ/١٨٤٦م) وانشاء كنيسة الارمن سنة (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) بجوار كنيسة القلعة^(٧٤٣). وانشاء كنيسة خاصة للكاثوليك في محلة خزرج سنة (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) والعمل على اعادة ترميم جميع كنائس مدينة الموصل التي سبق تشييدها ابتداء بكنيسة مار اشعيا في محلة المياسة سنة (١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) وكنيسة مسكنة في محلة المنصورية سنة (١٢٧٥هـ/١٨٥٨م) وكنيسة الروم الارثوذكس المعروفة (بمارحوديمي) في محلة القنطرة وكنيسة الطاهرة الفوقانية عند محلة الامام محسن سنة (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)^(٧٤٤).

^(٧٤٣) - عثمان : المصدر السابق ، ص ١١٧، ٤٧- ١١٨ ، جرجيس : دليل الموصل العام منذ تاسيسها ، ص ٩٣- ٩٦ ، حي : كنائس الموصل ، ص ٤- ١٨ ، قاشا : كنائس باخديدا واديرتها ، ص ١٤ ، ٤١ ، ١١٤ .

^(٧٤٤) - فييه : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٦ - ٢٤٨ ، الصوفي : خطط الموصل ، ص ٥٢ .

والجولاق ومنطقة السجن القديم^(٧٣٩) . يضاف الى ذلك الاهتمام بانشاء العديد من المدارس الخاصة باليهود ومناه المدرسة الموسوية (الليانس) والمدرسة الخالدية ومدرسة ريمة خضوري^(٧٤٠) بالاضافة الى انشاء المدارس المسيحية كمدراس اخوات المحبة والراهبات^(٧٤١) ومدرسة الموصل الابتدائية ومدرسة الموصل الثانية^(٧٤٢) .

كما صدرت الاوامر من الحكومة المركزية للسلطة العثمانية الى والي الموصل العثماني محمد طيار باشا (١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) ببناء وترميم الكنائس

^(٧٣٩) - سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣١٠ هـ/١٨٩٢ م ، ص ١٣٩- ١٤٠ ، قاسم ، محمود : لمحات من تاريخ الطب والمؤسسات الصحية في الموصل خلال العهد العثماني ، مجلة التراث الشعبية ، ٣٤ ، السنة ٣٣ ، الموصل ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٢ ، عثمان : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، شيلدرز : المصدر السابق ، ص ١١٦ .

^(٧٤٠) سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣١٠ هـ/١٨٩٢ م ، ص ١٣٩ ، ٢٣٧ ، الربيعي : تاريخ اهالي نينوى ، ص ١٤٦

^(٧٤١) شيلدرز : المصدر السابق ، ص ٦٠ ، سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣١٠ هـ/١٨٩٢ م ، ص ١٣٩ .

^(٧٤٢) - النورة، ماهر حامد جاسم : المدارس الاهلية والاجنبية في الموصل خلال العهد الملكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤ ، ص ٧١ .

وتبع ذلك انشاء كنيسة الالباء
الدومنيكان في محلة الجولاق التي بوشر بالعمل فيها
سنة (١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م) والتي اطلق عليها اسم
كنيسة الساعة بعد قيام الحكومة الفرنسية ممثلة
بالسيدة (اوجين زوجة نابليون) بأهداء ساعة
كبيرة للالباء الدومنيكان في مدينة الموصل تكريماً
لهم لجهودهم التبشيرية وخدماتهم الطبية في المدينة
حيث وضعت عند برج الكنيسة الكبير
فاصبحت تشرف على المنطقة مما طغت تسميتها
على محلة الجولاق وأصبحت تعرف بمحلة الساعة
(٧٤٥). وانشاء كنيسة مار يوسف سنة
(١٨٩٤م) (٧٤٦).

فضلا عن الاهتمام بانشاء الكنائس
اليهودية حيث ضمت مدينة الموصل كنيستين
الاولى تقع في محلة اليهود (الاحمدية) شمال غرب
مدينة الموصل القديمة والثانية تقع ضمن حدود
محلة الخاتونية على الطريق الممتد الى جامع الامام
الباهر غرب مدينة الموصل القديمة (٧٤٧) يضاف الى

(٧٤٥) - جرجيس : دليل الموصل العام منذ تأسيسها ،
ص ٩٧ ، عثمان : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

(٧٤٦) - فيه : الآثار المسيحية في الموصل ، ص ٨٠ .

(٧٤٧) الديوه جي : تاريخ الموصل ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، الديوه
جي : الموصل في العهد الاتابكي ، ص ٧-٨ ،
الربيعي : تاريخ اهالي نينوى ، ص ١٣٥ ، ١٤٦ .

ذلك سعي الحكومة العثمانية الاهتمام بالجوانب
الامنية لمحات مدينة الموصل ومتاجرها واسواقها
ومنها الاهتمام بعمارة مخافر الشرطة (بالقلع) عند
بوابات المدينة والسعي لتجديد عمرانها وتوسعها
وزيادة عددها حيث كانت تقام عند كل باب من
ابواب سور الموصل قلع (مخفر شرطة) يضمن حماية
المدينة ومحلاتها عند تلك الأبواب فضلا عن دائرة
الجندرية (مديرية الشرطة) في مركز المدينة عند
الشارع النجفي^(٧٤٨) وأصبح جميع ذلك العمران
داخل حيز كبير من الأرض داخل حدود مدينة
الموصل يحيطها سور متين عال مبني بالحجارة
والجص يبلغ محيطه زهاء عشرة الآلاف متر^(٧٤٩)
وقد انشا هذا السور على أنقاض السور الاتابكي
القديم الذي تم تدميره على يد المغول التتار سنة
(٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) وحملات تيمورلنك الغازية
المكررة (٧٩٦-٧٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م) (٧٥٠) .

(٧٤٨) - الصوفي : خطط الموصل ، ص ٢٩-٢٢ ، العبيدي:
مصدر سابق ، ص ٦١ .

(٧٤٩) - سالتامة ولاية الموصل لسنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م
، ص ١٣٩ ، عواد ، كوركيس : مدينة الموصل ، بغداد ،
١٩٥٩ ، ص ١-٢ .

(٧٥٠) الهمذاني : المصدر السابق ، ص ٢٤٠-٢٤٦ ،
الحسو : المصدر السابق ، ص ٢٥٦-٢٦٥ ، لين بول
: المصدر السابق ، ص ١٩٢-١٩٦ .

حيث سعى العثمانيون الى رفع أسسه وتعمير جدرانها حتى أصبح يحيط بالمدينة من جميع جهاتها منذ عام (١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م) على عهد والي الموصل بكر باشا الموصل حيث أصبح ارتفاعه خلال العهد الجليلي نحو عشرة أمتار وشحنه السميكة نحو ثلاثة أمتار وفيه من الابراج الكبيرة ما يبلغ ثمانية عشر برجاً بهيئة نصف دائرية وقطر البرج منها ثمانية أمتار^(٧٥١) وكان يحف بالسور خندق عميق يستمد ماؤه نهر دجلة ويبلغ عمقه نحو تسعة أمتار^(٧٥٢) حيث تتخلل السور ما مجموعه ثلاثة عشر باباً تفتح على أحياء المدينة ومحلاتها^(٧٥٣)، مع الاحتفاظ بباب القلعة القديم المعروف باب السر لاسيما وان قلعة الموصل

^(٧٥١) - الصوفي : خطط الموصل ، ص ٢٢ ، الجميلي : دولة الاتابكة في الموصل ، ص ٢٧٩ - ٢٨٣ .

^(٧٥٢) - الديوه جي : بحث في تراث الموصل ، ص ١٧ - ١٨ ، علاوي : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

^(٧٥٣) - العدول ، جاسم : معالم مدينة الموصل أبان الفترة الجليلية من خلال كتابات الرحالة العرب والأجانب ، مجلة اوراق موصلية ، ع ٨٤ ، منشورات مركز دراسات الموصل ، ٢٠٠١ ، ص ١٣٧ .

^(٧٥٤) - سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م ، ص ٢٦٢ ، العبيدي : الموصل ايام زمان ، ص ١٩ - ٢٤ ، الصوفي : خطط الموصل ، ص ٢٢ - ٢٦ .

القديمة (باشطابيا) كانت ولا تزال تعد من اعظم صروح هذه المدينة التي نالت اهتمام ورعاية ولاية الموصل وامرائها خلال العصر العثماني ، وسنورد تباعا ابرز المباني الاثرية التي لا تزال شاخصة نورها تباعا كمايلي:

المبحث الاول: ((محلات مدينة الموصل واحيائها القديمة))

من خلال النظر الى خارطة مدينة الموصل العمرانية القديمة نجد انها تبدو للناظر بشكلها الدائري ذي المركز المحتشد الذي يمثل في اصغر محيط يحوي في داخله اكبر اطار مساحي هذا من جهة ومن جهة اخرى يعد شكلا متوافقا مع الاهمية المركزية للمدينة عندما تتركز المؤسسات المهمة في مركز الحيز الحضري بحيث تتوافر الحماية المتكافئة له من كل الاتجاهات سواء اكانت للمسجد الجامع او السوق او دار الوالي او الباشا فضلا عن دور السكن وما جاورها من مرافق عامة اخرى ، ونظرا لكون مدينة الموصل من المدن (النهرية) فان هذا الموقع شجع على امتداد عمرانها واتساع مساحتها بمحاذاة النهر طويلا أكثر من البعد عن النهر الأمر الذي غير شكل المدينة من الدائري او شبه الدائري الى الشكل البيضوي الطويل ، كما ان توسعها شمالا وجنوبا زاد ذلك الشكل اختلافا ليلقي توسعا مقابله نحو الغرب وخارج حدود السور الذي يتضمن المدينة بنسيجها العمراني

محلة الشيخ عمر، محلة الإمام عون الدين، محلة

المشاهدة، محلة الشيخ فتحي

، محلة الحمام المنقوشة، محلة الحمودين، محلة

الرابعة، محلة القنطرة، محلة الجولاق، محلة

شهرسوق، محلة جامع خزام، محلة السرجخانة،

محلة السوق الصغير، محلة الإمام إبراهيم، محلة

الخاتونية، محلة الشفاء، محلة باب النبي، محلة باب

المسجد، محلة باب السرا، محلة باب البيض

الفوقاني، محلة باب البيض التحتاني، محلة باب

الجديد (باب العراق)، محلة باب لكش، محلة باب

الطوب، محلة اليهود (الاحمدية، محلة الحديثين

الحضيرة، محلة الزنكة، محلة الكوازين، محلة الإمام

الباهر، محلة التركماني، محلة باب سنجار، محلة

النبي شيت، محلة الشماعين، محلة التكارته، محلة

القلعة (الإمام محسن)، واخيرا محلة الجوبة (

العكيدات) .

المبحث الثاني ((المباني الدينية الشاخسة في

مدينة الموصل))

ضمت مدينة الموصل الكثير من المساجد الجامعة

التي تشرفت بها المدينة منذ الفتح الاسلامي العظيم

والسكاني فاتخذت أشكالا للنمو المتنوع والمختلف نتيجة

لزيادة عدد سكانها والتطور ونمو عمرانها نتيجة لتوافر

الظروف السياسية والاقتصادية والبشرية والاجتماعية

والجغرافية فيه، وبمختلف جوانبها العمرانية والخدمية

والصحية والبيئية^(٧٥٥)

وبعد استعراض القواعد التي سميت بموجبها محلات

مدينة الموصل لا بد من التعريف باهم تلك المحلات

لمعرفة مواقعها وخصائصها المهنية والعرقية والدينية

، والتي لا زالت قائمة حتى وقتنا الحاضر مع

مراعاة تاريخ نشوئها وتكوينها الاقدم فالاقدم،

نوردها تباعا^(٧٥٥)

ابتداء من محلة خزرج ثم محلة الشيخ أبو العلا ومحلة

البارودجية، محلة الشيخ محمد، محلة عمو البقال،

محلة المنصورية، محلة المياسة وتعرف (بمحلة

النصاري)، محلة حوش الخان

، محلة الميدان، محلة المكاوي، محلة جمشيد، محلة

راس الكور، محلة الجامع الكبير، محلة عبدوخب،

^(٧٥٥) - الصوفي : الاثار والمباني العربية والاسلامية ، ص ٥،

سيوفي :مجموع الكتابات المحررة على ابنية مدينة الموصل ،

ص ٣٥، العمري : منية الأدباء ، ص ١١٣-١١٤ ، الصوفي

: خطط الموصل ، ص ٣٣، العلي بك : تاريخ الدمام الوقفية

، ص ١١٢ ، كركجة : المصدر السابق ، ص ٦٣ - ١٠٠ ،

السلطان : المصدر السابق ، ص ٦١ ، عجلاج : النمو

السكاني والمناخي لمدينة الموصل ، ص ١٦٨ .

حتى نهاية العصر العثماني، والتي لاتزال اثارها
شاحصة الى يومنا هذا نوردتها تباعاً^(٧٥٦)

المساجد الجامعة :

ومنها الجامع العتيق (الجامع الأموي)، الجامع النوري
الكبير، الجامع المجاهدي، جامع الزبواني، جامع
النبي شيت، جامع الإمام عبد الله الباهر، جامع
الرابعة، جامع جمشيد، جامع الحمدون، جامع
قضيبة البان، جامع الإمام محسن، جامع زقاق
الحصن (زينب خاتون)، جامع الشهوان، جامع
العباس، جامع حمو القدو، جامع باب الطوب،
جامع النعمانية، جامع الخاتون، جامع عبد الله بك،
جامع باب لكش، جامع الجويجاتي، جامع النبي
جرجيس، جامع خزام، جامع الشيخ محمد، جامع

الحاج عبدال، جامع التوكدي (خنجر خش)،
جامع شهر سوق (عمر الاسود)، جامع العمريّة،
جامع السلطان ويس، جامع سوق العلوّة، جامع
المعاضيدي (العنبار)، جامع الباشا، جامع
الاغوات.

المساجد الصغيرة^(٧٥٧):

حيث اشتملت مدينة الموصل القديمة على الكثير
من من المساجد الصغيرة التي انتشرت في اغلب
محلات الموصل واحيائها نوردتها تباعاً ، من
ابرزها مسجد ملا مصطفى، مسجد زيد بن
علي، مسجد الحاج حسين الحجار، مسجد
الحاج سليمان عجاج، مسجد السيد جاسم،
مسجد دندل، مسجد حمام السراي، مسجد
الملا ياسين المدرس، مسجد الشماعين،
مسجد محمد امين بك، مسجد محمود بن علي
النومة، مسجد قاسم اغا الجليلي، مسجد ملا
حسن، مسجد الرضواني، مسجد السيد حمو

(٧٥٦) - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٣٧ ،
البلاذري : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٤٠٧ ، الجمعة :
محارب مساجد الموصل الى نهاية حكم الاتابكة ، ص ٢٣ ،
٣٤ ، الديوه جي : جوامع الموصل في مختلف العصور
، ص ٢٢١-٥ ، سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٨٩٢ ،
ص ١٢٨ ، الصائغ : تاريخ الموصل ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ ،
الصوفي :

خطط الموصل ، ص ٣٩ ، سيوفي : مجموع الكتابات الحرة ،
ص ١٠-١١ ، الحياي : خطط مدينة الموصل ، ص ١٢٣-
١٦١ ،

(٧٥٧) - دليل العراق العام لسنة ١٩٣٦ ، ص ١٥٧-١٦١ ،
سيوفي : المصدر السابق ، ص ٢١ ، ٢٢ ، الربيعي :
المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، السلطان : المصدر
السابق ، خارطة رقم (٩) ، الخياط : المصدر
السابق ، ص ٥٧ ، علي : ولاية الموصل في القرن
السادس عشر ، ص ١٤٧ ، الديوه جي : بحث في
تراث الموصل ، ص ٩٩-١٠٣

- الصراف، مسجد الحاج يوسف الصباغ، مسجد
 خزرج، مسجد الشيخ احمد المتعافي، مسجد
 السيد احمد الوسواس، مسجد عمر اغا شويخ،
 مسجد المدرسة الاحمدية، مسجد الحاج
 (فتحي الصباغ)، مسجد الصابرين ، مسجد
 الشيخ محمد البلقيسي، مسجد مريم خاتون ،
 مسجد عيسى دده، مسجد فاطمة خاتون،
 مسجد الشيخ صالح، مسجد سليمان اغا بن
 محمد اغا، مسجد الست ملكة، مسجد
 ابراهيم الزيتوني، مسجد الشالجي، مسجد
 الجليلين، مسجد عمر بك ميرالاي، مسجد عبد
 القادر القزاز ،مسجد الشيخ بوشي ، مسجد
 الحسان، مسجد أولاد خروفة، مسجد أيوب
 بك الجليلي ، مسجد العقبة ، مسجد حيو
 بك، مسجد أولاد عبد الغني ، مسجد الشيخ
 أبي العلا، مسجد عثمان الخطيب مسجد
 الشيخ أبي نصر :مسجد الحاج فتحي، مسجد
 الحوسقي مسجد يونس بك الجليلي ،مسجد
 الحاج زكريا ،مسجد الشيخ شمس الدين،
 مسجد بيت التكريت، مسجد الحلال ،مسجد
 الياس بك ،مسجد الملا حسن(شط الجومش)،
 مسجد الإمام إبراهيم، مسجد احمد أفندي
 الحياط، مسجد عبد الله أفندي الكوسا
- ،مسجد عذيان،مسجد الحاج خليل ،مسجد
 اليتيم (عبدو خوب)، مسجد احمد بن يحيى بن
 أبي قيع، مسجد أبي مغيث الحلاج ،مسجد
 الحاج محمد الازكاني، مسجد الخاتونية، مسجد
 ملا على الكيسجي، مسجد عثمان أفندي
 المديد ،مسجد ملا عبد الحميد، مسجد
 محمود البكري،مسجد الشيخ محمد الغرابيلي،
 مسجد الحاج بكر الآلوسي، مسجد أولاد قاسم
 اغا السعرتي، مسجد سليمان اغا الجليلي،
 مسجد يعقوب اغا آلي بك ،مسجد الكوازين
 ، مسجد الإمام محمد ، مسجد الشيخ محمد
 الملحم ،مسجد ام التسعة شاه زنان ،مسجد
 الحاج عبد الله ،مسجد العراكة ،مسجد
 العراقي ،مسجد النبي دانيال ،مسجد
 السبيلخانة (ملا علي) ، مسجد أبي عجاج
 ،مسجد الباب الجديد ، مسجد فاطمة
 خاتون(الجماسين)، مسجد الست نفيسة،
 مسجد محضر باش، مسجد الشيخ مجول،
 مسجد النقشبندية ،مسجد الإمام علي الهادي
 ، مسجد يوسف بك ،مسجد المخيول، مسجد
 محمود الجليلي ، مسجد محمود بك ، مسجد
 الحويرة ، مسجد ملا احمد ،مسجد المحكمة،
 مسجد الصياغ ،مسجد الدبكة ،مسجد الشيخ

الموصل ومحلاتها القديمة قبل الاسلام ، ثم تعاظم دورها لما لفته الطائفة المسيحية من حرية تامة في اداء الطقوس والشعائر الدينية ابان الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني مما اثر ايجابيا على نشؤ وتطور العديد منها نوردها تباعا وكما يلي^(٧٦٠)

كنيسة مار كوركيس، كنيسة مار اشعيا (دير ايشو عياب)، كنيسة شمعون الصفا (مار بطرس)، كنيسة مار توما، كنيسة الطاهرة التحتانية (مار كوربيل)، كنيسة الطاهرة الفوقانية، كنيسة الطاهرة القديمة (البيعة العتيقة)، كنيسة المار حوديني (مارحو وأمه)، كنيسة مار فيثيون (بيثون)، كنيسة مسكنة، كنيسة الالباء الدومينكان ، كنيسة الارمن والكنيسة اليهودية^(٧٦١)

(٧٦٠) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، الاصحاح الاول ، فيه : الاثار المسيحية في الموصل ، ص١٥١، فيه : الاثار المسيحية في الموصل ، ص١٨٥، ٢٤٧ . حي : المصدر السابق ، ص٢٩، السلطان : المصدر السابق، ص٤٨ ، جرجيس : دليل الموصل العام منذ تاسيسها ، ص٩٣-٩٧ فيه : الاثار المسيحية في الموصل ، ص١٥٥-١٥٦، الربيعي : تاريخ اهالي نينوى ، ص١١٧ ،

(٧٦١) -عرفت لدى العديد من الباحثين باسم كنيسة اليهود عند الحديث عن الكنائس المسيحية ، ابن شداد ، عز الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن

كعوب ،مسجد الشيخ عبد الحليم ، مسجد ملا حسن الاحبيطي ومسجد الحاج شريف .

الكنائس^(٧٥٨) والاديرة^(٧٥٩) المسيحية:

ضمت مدينة الموصل العديد من بيع النصارى وكنائسهم واديرتهم والتي كانت منتشرة في اغلب احياء

(٧٥٨) الكنيسة :جمعها كنائس ويراد بها الكنيس وهي التستر ، حيث كان يستتر فيها الرهبان للتعبد وقيل يكنن فيها، عبد الحميد ، محي الدين واخرون : المختار من صحاح اللغة ، ط٤ ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٣٤ ، ص٤٣٣ ، وهي محل العبادة عند النصارى وهي مرادفة للفظ البيعة ، كما تطلق لفظة الكنيسة كذلك على كنائس اليهود و معابد المجوس، غالب ، عبد الرحيم : موسوعة العمارة الاسلامية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٣٢٧ ، المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩ ، ص١٠٤ ، ٢٧٢ ،

(٧٥٩)-الدير : جمعها اديرة واديار وديوره وديارات ويراد به لغويا الدار وهو مأخوذ عن الدار جمعه اديار واديرة وقيل انه بيت يتعبد فيه الرهبان وهو يقوم بوظائف شتى دينية وثقافية وعلمية وغيرها وكان يطلق على صاحب الدير الديراني او الدياري كما يراد به خان النصارى ومقام الرهبان والراهبات ، الشابشتي ، ابو الحسن علي بن محمد : الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، دار الرائد العربي ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٦ ، ص١٠ ، السلطان : المصدر السابق، ص٤٧

:،مدرسة الحاج زكريا : ،مدرسة مسجد النبي

دانيال،مدرسة باب المسألات ،مدرسة جامع

العبدالة،مدرسة جامع التوكدي ،مدرسة جامع

الزيواني ،مدرسة المحمدية،مدرسة جامع النبي

شيت ،دار حديث الرابعة ،،مدرسة جامع

السلطان ويس ،مدرسة عثمان بك الحيائي

،مدرسة الكمالية (مدرسة جامع

الشهوان)،مدرسة جامع الرابعة ،مدرسة جامع

جمشيد،مدرسة جامع بكر أفندي،مدرسة

جامع الحمودين ،مدرسة الحمودية ، مدرسة

الحجيات،مدرسة حسن باشا،مدرسة الحسينية

،مدرسة جامع عبد الله بك ،مدرسة مسجد

العراكد ،مدرسة جامع سوق العلوة،مدرسة

جامع الباشا ،مدرسة جامع الخاتون،مدرسة

الشيخ محمد ،مدرسة الشيخ عثمان

الخطيب،مدرسة جامع الاغوات ،مدرسة

الخليلية ،مدرسة جامع العنبار

(المعاضيدي)،مدرسة جامع خزام ،مدرسة

جامع الجويجاتي ومدرسة باب العراق مدرسة

جامع النبي جرجيس، المدرسة الجرجيسية

،مدرسة جامع العميرية: مدرسة جامع

النوري:مدرسة الجامع المجاهدي، مدرسة

مسجد المدرس، مدرسة مسجد حسان

المبحث الثالث ((المباني العلمية الشاخصة في

مدينة الموصل))

أولاً: المدارس الاسلامية الملحقة بالمساجد والجوامع

ومن ابرز المدارس الملحقة بالمباني الدينية التي

أنشئت في مدينة الموصل خلال العصر العثماني ولا

تزال شاخصة الى يومنا هذا نوردتها كما يلي^(٧٦٢) :

مدرسة جامع باب الطوب ، مدرسة جامع حمو

القدو ، مدرسة جامع العباس،مدرسة محضر

باشي : ' مدرسة عثمان أفندي الديوه جي

ابراهيم : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام

والجزيرة ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سامي

الدهان ، دمشق ، ١٩٥٦ ، ص١٠٤ ، ٢٧٣ ،

غالب : موسوعة العمارة الاسلامية ، ص٣٢٧ الديوه

جي : تاريخ الموصل ، ج١ ، ص١٨٥ ، ج٢ ،

ص٢٩٧ ، والطائي : مرفولوجيا الحواضر العربية ،

ص٢٢٥ ، الربيعي : المصدر السابق ، ص١٣٥-١٣٦

، ١٥٦ .

(٧٦٢) - الديوه جي : جوامع الموصل في مختلف العصور ،

ص٢٣٢-٢٣٤ ، سبيوفي : المصدر السابق ، ص١٥٩ ،

لحمداني : المصدر السابق ، ص٤١٦ ، العلي بك : المصدر

السابق ، ص١٩٠-٢٥١ ، مراد : المصدر السابق ، ص

٨-٢ ، العبيدي : الادارة العثمانية في الموصل فيعهد

الاتحاديين ، ص٩١ ، الجلي : المصدر السابق ، ص١١-

١٢٢ ،

مدرسة الآباء الدومنيكان الثانية: مدرسة القديس

عبد الأحد : مدرسة الكلدان الأهلية :

مدرسة اليعاقبة: مدرسة السريان الكاثوليك :

مدرسة أخوات المحبة :مدرسة شمعون

الصفاء:

المدرسة الخارجية الكاثوليكية: المعهد الكهنوتي :

ثالثا : ومن ابرز مدارس الطوائف اليهودية التي

انشئت في مدينة الموصل ولا تزال شاخصة الى

يومنا هذا نوردها كما يلي^(٧٦٥):

العهد العثماني ، ٢٢٢ ، احمد ، تطور التعليم الوطني في

العراق ، ص ٤٣ . مزعل : التربية والتعليم ، ص ٤٨٧ ،

ياسين : بداية حركة التحديث ، ص ١٩٨ ، عبد الكريم :

المصدر السابق ، ص ٤١ ، الصائغ : تاريخ الموصل ، ج ١ ،

ص ٣٢٣ ، مراد : اوضاع التعليم في الموصل ، ص ٩ ، ١١ ،

النائلة : المصدر السابق ، ص ٤١٨ ، علاوي : المصدر

السابق ، ص ١٤٦ ، ياسين : بداية حركة التحديث .

ص ١٩٨ ، مراد : اوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف

القرن ١٩ ، ص ٩ ،

(٧٦٥) - الحمداني : المصدر السابق ، ص ٢٢١ ، مزعل :

التربية والتعليم ، ص ٤٨٧ ، النائلة : المصدر السابق ،

ص ٤٢٠ ، السلطان : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، الديوه جي

: تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ ، الصوفي : خطط الموصل

، ص ٣٥ ، الطائي : الاتجاهات الاصلاحية في الموصل ،

ص ٤٠ ، دليل العراق العام لسنة ١٩٣٦ ، ص ٦٦٥ ، ٧٢٩٠

٨٦١٠ ، الربيعي : تاريخ اهالي نينوى ، ص ١٣٥ - ١٤٧ ،

البكري :مدرسة مسجد الشيخ كعوب، مدرسة

مسجد الرضواني، مدرسة مسجد أولاد

الحسن، مدرسة الخياط ، مدرسة مسجد خزرج

، المدرسة الإسلامية ، مدرسة الحبار ، مدرسة

محمد اغا السعرتي، المدرسة الاحمدية ، المدرسة

الحسنية ، .مدرسة ياسيا أفندي المفتي ، مدرسة

نعمان اغا الخزندار، مدرسة مسجد أم التسعة،

^(٧٦٣) مدرسة محمود أفندي الخضري، مدرسة

فتحية خاتون، المدرسة المحمودية ، .مدرسة

نعمان باشا أجليلي ، مدرسة يحيى باشا

،مدرسة الشيخ محمد صالح الخطيب، .

مدرسة الصائغ، مدرسة ملا حسن أفندي

الحبار، ومدرسة ابن مهاجر .

ثانيا " المدارس المسيحية التابعة للكنائس والاديرة:

ومن ابرز مدارس الطوائف المسيحية التي انشئت

في مدينة الموصل قبل الاسلام ولا تزال شاخصة الى

يومنا هذا نوردها كما يلي^(٧٦٤) مدرسة الآباء

الدومنيكان :

(٧٦٣) - العمري : منية الأدباء، ص ١٢١ - ١٢٢ ، سيوفي :

المصدر السابق ، ص ١٦١ ، مراد : اوضاع التعليم في الموصل

، ص ١٤ ، العلي بك : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ،

(٧٦٤) - الحياي : خطط مدينة الموصل ، ٢٩٩ ، الطائي :

الاتجاهات الإصلاحية في ولاية الموصل ، ص ١٥٦ ، عثمان :

المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، الطائي : خطط الموصل في

للبنات ،مدرسة تطبيقات دار المعلمين،

مدارس و دور المعلمين

خامسا: المطابع (دور الطباعة والنشر)

ضمت مدينة الموصل العديد من المطابع الحجرية

في كنائس مدينة الموصل القديمة والتي لاتزال اثارها

شاخصة الى يومنا هذا ^(٧٦٧) نوردها كما يلي:

١- مطبعة الالباء الدومنيكان

٢-، مطبعة الكلدان :

٣- مطبعة الولاية :

٤- مطبعة نينوى:

٥- مطبعة ابن فتح الله عزيز.

المبحث الرابع ((المباني الخدمية وملحقاتها في مدينة

الموصل))

أولا/ الأسواق ^(٧٦٨)

^(٧٦٧) - احمد ،ابراهيم خليل: ولاية الموصل دراسة في

تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، رسالة ماجستير

غير منشورة ، كلية الاداب ،جامعة بغداد ، ١٩٧٥،

ص١١٧، احمد ،ابراهيم خليل : نشأة الصحافة

العربية في الموصل، ص ٥ ، الطائي: الاتجاهات

الإصلاحية في ولاية الموصل ، ص١٢٦ . شيلدرز :

المصدر السابق ، ص٦٠.

^(٧٦٨) السوق جمعها اسواق وهي مجموعة من الدكاكين

المفتوحة على جانبي الطريق ولكل منها صناعة

مدرسة عزيز عبد النبي الصائغ ، المدرسة اليهودية

(الآليانس)، مدرسة رعية خضوري ،المدرسة

الخالدية اليهودية .

رابعا : المدارس المهنية والرسمية:

ومن ابرز المدارس الرسمية التي انشئت في مدينة

الموصل ولا تزال شاخصة الى يومنا هذا نوردها

كما يلي ^(٧٦٦)

المدرسة الحميدية ،المدرسة الابتدائية الرسمية

،مدرسة الإنان، مدرسة دار العرفان

الابتدائية ،مدرسة دار الآداب، مدرسة

الإعدادية الشرقية، مدرسة صنائع الموصل،

مدرسة الاتحاد والترقي ،مدرسة الابتدائية

^(٧٦٦) - الطائي: مرفولوجيا الحواضر العربية في العهد

العثماني، ص٢٢٨-١٣٦، مراد: أوضاع التعليم في

الموصل، ص١٤، الصائغ : تاريخ الموصل ، ج١ ،

ص٣٢٣ ، عبد الكريم : المصدر السابق ، ص٤٨-

٥٨ . ألبعدي :الإدارة العثمانية في الموصل ،

ص١٠١ . النائلة : المصدر السابق ، ص٣١٨، ٩٧،

الطائي : الاتجاهات الإصلاحية في مدينة الموصل ،

ص١٦١، مراد : أوضاع التعليم في الموصل ، ص١١-

١٣، الديوه جي : تاريخ الموصل، ج٢، ص٩٩،

الصوفي : تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ص٢٦-٣٤،

الهلالي : تاريخ التعليم في العراق ، ص١١٣

^(٧٦٦) - مراد : أوضاع التعليم في الموصل ، ص١١.

السبعة تجمع الأصناف المتشابهة والمقاربة وذات العلاقة ، بسبعة أصناف لسهولة إدارتها والإشراف عليها في مدينة الموصل وستتناول أسواق مدينة الموصل الشاخصة وكما يلي^(٧٧٠) :

سوق الشعارين ، سوق الصوافين ، سوق القتاين ، سوق الأربعاء ، سوق مجاهد الدين قايمار ، سوق باب الجسر ، جهار سوق ، سوق البزازين ، سوق السراجين ، سوق الخفافين ، سوق الحدادين ، سوق الخشابين ، سوق المعاش القديم ، سوق الميدان ، سوق الحنطة ، سوق الملاحين ، سوق الخبازين^(٧٧١) ، سوق الصرافين ، سوق باب السراي ، سوق الشكرجية ، سوق تحت المنارة ، السوق العتيق ، سوق القصابين ، سوق الخيل ، سوق السوفاجية ، سوق الصفارين ، سوق العطارين ، سوق الصياغ (الصاغة) ، سوق اليوزبكية ، سوق الكوازين ، سوق البرذعجية ، سوق الجقمقجية ، سوق الراوه جية ، سوق اللوله جية ، سوق باب الطوب ، سوق السمكرية ، سوق التنكجية ، سوق الدواب ، سوق التنسوق القرطاسية والكتب

(٧٧٠) - العمري: منهل الأولياء ، ص ١٤٢ ، ، سيوفي : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، العلي بك : المصدر السابق ، ص ٥٩٩ ، ياسين : المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .

(٧٧١) - الطائي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

امتازت مدينة الموصل بكونها مركزا مهما للنشاط التجاري والاقتصادي في العراق خلال العصر الاسلامي انتشرت فيها العديد من المهن التي ظلت راسخة فيها رغم الظروف الصعبة التي واجهتها كما كان فيها العديد من أرباب الحرف والمهن كالحدادين والتجارين والقصابين والصباغين وغيرهم وكان لمكائهم المهمة في الموصل سبب في تسمية العديد من احيائها ومحلاتها بحرف غالبية سكانها^(٧٦٩) وأسماء حرفها وصنعة رجالها التي كانوا يزاولونها .

وقد تم توحيدها نهاية العصر العثماني حيث أصبحت جميع تلك الأصناف والمهن تحت سبعة أصناف يرأسها شيخ يعرف بشيخ الاصناف

خاصة او حرفة او مهنة كما ان لكل منها تجارة خاصة ويكون عادة مسقوفا بكامله ويضم بداخله فروع وازقة لاسواق صغيرة ولجميع تلك السوق باب عظيم يقفل بعد اغلاق اخر دكان فيه ، الرحاوي : العمارة العربية الاسلامية ، ص ١٩١ ، غالب : موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٢٣٠ ، شافعي :

العمارة العربية في مصر ، ص ٤٣٨ .

(٧٦٩) - الصوفي : خطط الموصل ، ص ٥-٨ ، الديوه جي :

تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ١٥٧-١٥٨ ، سيوفي :

المصدر السابق ، ص ٣٣ ، ٢٨ ، ٢٢٦ . شيلدرز :

المصدر السابق ، ص ٩٥-٩٦ .

والتحرير بطرازها حيث امتازت بمداولة بعض أنواع البضائع الثمينة التي تحتاج الى حماية وأمان مع توفر أماكن خزن وحفظ على اختلاف أنواعها وأحجامها مع مراعاة تواجد أصحابها بالقرب منها مما استوجب ذلك إنشاء وإقامة وحدات بنائية وسكنية من حجر وأروقة إضافية ذات سطوح مسقفة إحكام مداخلها وغلق أبوابها ليلا وفتحها نهارا أمام التجار وأصحاب الأموال والحرفيين وأرباب العمل^(٧٧٤) كما انها تكون من السعة والكبر حيث تتخللها الأسواق على هيئة أروقة فيها عدد من الدكاكين والمخازن والحجر وما الى ذلك وقد انتشرت كثيرا في مدينة الموصل، نوردها تباعا وكما يلي:^(٧٧٥)

قيصرية البزازين، قيسرية الطمعة، قيسرية أيوب بك ، قيسرية المطربازية، قيسرية البابوجية، قيسرية السبعة أبواب ، قيسرية القزازين، قيسرية العبدالية ، قيسرية السراجين، قيسرية الخفافين ، قيسرية الصولجية، قيسرية العباجية، قيسرية الدلائن، قيسرية سعد الله باشا

(٧٧٤) - العلي بك : المصدر السابق، ص ٤٣١ .

(٧٧٥) - ذنون : المباني الخدمية في مدينة الموصل ، ج ٢، ص ٦٢ - ٢٦٠ ، الطائي : خطط الموصل ، ٢١٣ ، الجمعة : المميزات والتصاميم المعمارية والتراثية في الموصل، ص ٣٣٠ ، العلي بك : المصدر السابق، ص ٤٣٢ ، ٦٠٩ ، ياسين :

المصدر السابق ، ص ٣٣١

سوق الكب ، سوق هرج، سوق الفحامين ، سوق الوتارين ، سوق العبايجية ، سوق البلورات ، السوق الصغير ، سوق الخياطين ، سوق النعلبنديّة، سوق الغزل
ثانيا/ القيسريات^(٧٧٢)

من المباني ذات العلاقة بالأسواق ومكملة لعملها فهي عبارة عن دكاكين وحوانيت لها بعض الخصوصية من حيث طراز بنائها وتخطيط عمرانها وسعتها وتداول البضائع النادرة فيها والتمينة ، والتي انتشرت مواقعها في منطقة اسواق الموصل القديمة^(٧٧٣) كانت عبارة عن أسواق لها بعض الخصوصية من حيث نوعية البضائع مع التغير

(٧٧٢) القيسرية : وقيل القيسرية بكسر القاف او فتحها طريق مستوف تستعمل سوقا وقيل انها مكمله للاسواق أي انها جزءا منه ، جمع قياسر وقيسريات بفتح القاف وسكون الياء هي ثغر من ثغور الشام حاصرها معاوية بن ابي سفيان سبع سنين حتى فتحها وبعث بعد فتحها الى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب يشره بذلك فقام الخليفة ونادى في الناس قائلا الا ان قيسارية قد فتحت ، رزق : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، ص ١٥٥ ، ٢٤٥ ، الرازي : مختار الصحاح ، ص ٥٥٩ ، المقرئ : المصباح المنير ، ج ٢ ، ص ٧١٦ .

(٧٧٣) - ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٨٠ - ٢١٢ ، الديوه جي : خطط المدينة ، ص ٢٦٧ .

،قيصرية اسباهي بزار،قيصرية معاش العسكر(المعاش القديم) ،قيصرية الحصريجية ،قيصرية اليوزنيكية ،قيصرية الكونجة،قيصرية المسك والعطور .

ثالثا/الحمامات^(٧٧٦)

لقد حث الدين الإسلامي على ضرورة النظافة والتطهر مما جعل كافة المسلمين يهتمون ببناء

^(٧٧٦) الحمام : جمعها حمامات مشددا يراد بها الحمام المبنية بناء مستقلا مخصصا للاغتسال في ، بتشديد الميم وهي العين الحارة يستشفى بها ، وقيل حممت الماء بفتحين أي سخنه ، والحميم الماء الحار ، رزق : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، ص٨٤ ، المقرئ : المصباح المنير ، ص٢١٠ ، بهنسي ، عفيف : معجم مصطلحات الفنون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ ، ص٢٣١ ، وقد عرف بناء الحمامات العامة للاستحمام منذ العصور القديمة ثم تطورت فكرة انشائها وطرز بنائها تطورا ملحوظا خلال العصر الروماني ثم انتقلت بعده الى البلاد العربية الاسلامية مع انتشار الاسلام كونها اصبحت ضرورة اوجبها الاسلام في اداء الفرائض والعبادات فكان التطهر شطرا اساسيا على كل مسلم ومسلمة ، غالب : موسوعة العمارة الاسلامية ، ص١٤٩ ، فكري ، احمد : مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، ١٩٦١ ، ص٦ ، شافعي : العمارة العربية في مصر ، ص١٨٥ ، ٣٥٩ ، ومن اولى تلك الحمامات التي انتشرت خلال العصر الاسلامي ، ورد ذكر ثلاث منها في مدينة البصرة وواحدة في الفسطاط ، غالب : موسوعة العمارة الاسلامية ، ص١٣٩ .

الحمامات الخاصة داخل الدور والقصور الى جانب تشييد وإنشاء الحمامات العامة التي يؤمها الناس على اختلاف طبقاتهم حيث كان لتوجيهات رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وسنته الشريفة الاثر الكبير في بلوغ نظافة المدينة وساكنتها مبلغا دينيا اجتماعيا وصل حد كبيرا في ان تصبح الطهارة والنظافة فرض على كل مسلم ومسلمة كبيرا وصغيرا، ونتيجة للزيادة السكانية فكان لابد من ان تزداد أعداد الحمامات العامة بالوتيرة نفسها ولعل ابرز الأسباب التي دعت الى زيادة وانتشار الحمامات العامة في مدينة الموصل منذ الفتح الاسلامي الخفيف حتى الوقت الحاضر، لاسيما بعد ان أصبحت مركزا تجاريا يصل الشرق والغرب كما يصل الشمال بالجنوب^(٧٧٧) فالحمامات عبارة عن مبان تتصل بالطرق والأزقة والسوق وتتألف من عدد من الحجر الكبيرة تحيط بها حجر صغيرة مؤلفة من ثلاثة أقسام متباعدة في الحرارة وتعلوها قباب تخللها ثقب ينفذ منها الضوء الى داخل أروقة وحجر الحمام بأقسامها الثلاثة، وقد ضمت

^(٧٧٧) - سيوفي : المصدر السابق ، ص٣٤ ، ٨١ ، ١٢٧ ،

٢٢٢ ، جرجيس : الحمامات الشعبية في الموصل ،

يغفلوا هذا الجانب الحيوي والمهم في حياة الناس
والشعوب حيث شرع الرسول الكريم (ﷺ) في
اختيار مواضع الذبح والجزارة في اماكن بعيدة عن
المواقع التي تزدهم فيها المارة ودور السكن لاسيما
من خلال اقتداء صحابته الاخيار والتابعين رضوان
الله عليهم اجمعين في الاقتداء بسنته الشريفة عندما
ضحى في يوم العيد ذكر انه قد اختار موضعا عند
نهاية الزقاق بعيدا عن الدور، ومن ابرز المباني

الخدمية في مدينة الموصل مايلي: (٧٨٠).

١- مسلخ ميدان القلعة

٢- مسلخ عثمان بك

٣- مسلخ الدملماجة

٤- مجزرة (مسلخ البلدية)

خامسا / المصابغ

١- مصبغة باب الطوب

٢- مصبغة سوق الشعارين

٣- مصبغة الميدان

٤- مصبغة شهر سوق

مدينة الموصل الكثير منها سيتم الحديث عنها
تباعا (٧٧٨) وكما يأتي:

حمام العطارين، حمام الصالحية، حمام باب الجديد،
حمام القلعة، حمام السراي، حمام عبيد اغا، حمام
اليهود (الاحمدية)، الحمام المنقوشة وتدعى بنقش
حمام، وحمام باب البيض، الحمام الجديدة، حمام
الحضيرة (السادة)، حمام التك وحمام باب لكش.

رابعا/المسالح (٧٧٩)

لقد كان توجيهات رسول الله محمد

(ﷺ) الدور الكبير والفعال في نظافة المدينة
وساكنيها والحفاظة عليها حيث ان المسلمون لم

(٧٧٩) - الزبيدي: العمائر الخدمية في الموصل خلال العصر

العثماني، سيوفي: المصدر السابق، ص ٩٨، ذنون:

العمائر الخدمية في مدينة الموصل، ج ٢، ص ٧٤، الجمعة

: المميزات والتصاميم العمارية التراثية في الموصل

، ص ٣٣١، جرجيس: الحمامات الشعبية في الموصل،

ص ٢٤٣، ذنون: العمائر الخدمية في مدينة الموصل

، ص ١٨٢، علي بك: المصدر السابق، ص ٣٥٣،

(٧٧٩) المسالخ: بفتح الميم والام وسكون السين جمعها

مسالخ ويراد بها مكان ذبح المواشي وقيل الموضع

الذي يسلك فيه الجلود من الحيوان وقد ورد في

المسطلح المعماري البناء المخصص لذبح الحيوانات

ثم بيعها في الاسواق، رزق: معجم المصطلحات،

ص ٢٨٥، الرازي: الصحاح، ص ٣٠٩، غالب:

موسوعة العمارة الاسلامية، ص ٣٩٦.

عثمان: المدينة الاسلامية، ص ٦١، عن السهمودي

: وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي

الدين عبد الحميد، ج ٣، بيروت، ١٩٧١، ص ٧٨٠،

العمرى: منهل الاولياء، ص ٦٢، شيلدرز: المصدر السابق

، ص ٩٣، الصوفي: المكسر السابق، ص ٢٤،

- ٥- مصبغة باب العراق
سادسا / المدافع
- ١- مدبغة الحاج يوسف اغا
٢- مدبغة فاطمة خاتون
٣- مدبغة مكية جلبي
٤- مدبغة مريم خاتون
٥- مدبغة يحيى باشا
٦- مدبغة حمرة خاتون
سابعا/ المعاصر^(٧٨١)
- ١- معصرة بيت أفندي
٢- معصرة حسن بك
٣- معصرة الحاجة حمرة خاتون
١- معصرة بيت اسوفي :
- المبحث الخامس ((المباني الإدارية والدفاعية والعسكرية))
اولا: دور الحكومة (دور الدولة)
ان الجذور الأولى لنشأة و تطور دور الحكومة في مدينة الموصل خلال العصر العثماني تعود باصولها الى دور الامارة التي انتشرت ابان الفتح الاسلامي ، وقد تنوعت مسمياتها تبعا لتنوع وظائفها ، فعرفت بدور الدولة وسراي الباشا و سراي الوالي^(٧٨٢) وتطورت على اثر ذلك

^(٧٨٢) فالسراي هي الدور التي اتخذها حكام الموصل وولاتها وقادتها مساكن لهم ومقرا لأدارتهم وكبار موظفيهم ودواوينهم الإدارية والمالية والعسكرية والسياسية وأخذت تطلق مرادفة لعدة كلمات كالقشلة ودور الحكومة ودور السلطنة ودور المملكة ، وقره سراي ، وسراي الوالي و الباشا . وكان السراي يقع ضمن حدود القلعة الاتابكية القديمة (باشطابية) ودور السلطنة (القصور الاتابكية) اولاً ثم اصبح ضمن حدود القلعة الداخلية (ايح قلعة) ثانياً ثم انتقل بعدها الى بناية مستقلة عرفت بـ(السراي والقشلة) ، الطائي : مرفولوجيا الحواضر العربية في العهد العثماني ، ص ٢٢١ ، العزازي : العراق بين احتلالين ، ص ٨٠ ،

^(٧٨١) المعصرة : جمعها معاصر ، عصر الشيء بفتحين استخرج ماءها بالضغط ، والمعاصر بكسر الصاد عصر الشيء وانصباب عصارتها وبضم العين ما سال عن العصر ، والمعصرة ما يعصر فيه العنب ، وهي اماكن عصر العنب وقصب السكر والزيتون والسمن حيث اشتهرت بكونها تتألف من مبنى خاص او ملحقة بمبان اخرى حيث ورد في مصر بمعاصر القصب وبلاد الشام بمعاصر العنب والعراق بمعاصر التمر والسمن ، الريحاوي ، عبد القادر : العمارة العربية الاسلامية ، وزارة الثقافة والارشاد ، دمشق ١٩٧٩ ، ص ٥٧ ، المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي : السلوك لمعرفة الملوك ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، ٢٥٨ ، غالب : موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٣٩٦ ، رزق : معجم المصطلحات ، ص ٢٩٥ .

الرسمي في العصر العثماني لوالي المدينة وحكامها
(٧٨٥).

ثانيا/ سور الموصل^(٧٨٦)

ورد السور في المصلحات الاثرية
والعمارية على انه جدار عالي ضخم البناء يسير
مسافة ليحيط بالمدينة ويحف به خندق زيادة في
حماية المدينة وقد ذكره مع بداية الفتوحات
الاسلامية واصبح عنصرا اساسيا من عناصر
تحصينات المدينة الاسلامية خلال العصرين الاموي

فاصبحت تعرف بالقشلة^(٧٨٣) المتصرفية، وهكذا
مع اختلاف اسمائها ووظائفها الادارية و
السياسية المقتبسة باصولها من فكرة تشييد دار
الامارة الذي سبق إنشاؤها في مدينة الموصل على
عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب وتمصيرها
ووضع خططها على وفق الخطة التي كانت متبعة
في المدن والامصار العربية والاسلامية والتي كانت
تتخذ مقرا رئيسيا للوالي او الأمير او قائد الجند
آنذاك في الفتوحات الاسلامية^(٧٨٤) واصبحت المقر

ص ٧٠، الصوفي : خطط الموصل، ص ٢٨ .

(٧٨٣) - القشلة: جمعها قشلات كما اخذت بلفظها قشلاق
وهي من اصل لفظ تركي معناها المبنى الكبير لايواء
الجند واتخذ مركزا رسميا في الدولة العثمانية ، تتألف
من بناية مستقلة مؤلف من قسمين الاول يمثل القسم
العسكري والمعروف بالقشلة العسكرية والثاني القسم
المدني والمعروف بالقشلة المدنية ، الصانع : تاريخ
الموصل، ج١، ص ٢١٣، العمري : منية الادباء ،
ص ٢٩٣، ٢٩٤، الديوه جي : بحث في تراث الموصل
، ص ١٣٧ .

(٧٨٤) - محمد ، غازي رجب : العمارة العربية في العصر
الاسلامي في العراق ، ص ، الديوه جي : الموصل
في العهد الاتابكي ، ص ٨-٩ ، الجمعة : المميزات
والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل، ص ٣١٧-
٣٢١، الراوي : المصدر السابق ، ص ١١٥-١٢٢ .

(٧٨٥) - الصانع : تاريخ الموصل، ج١، ص ٢٦٥، روفوف :
المصدر السابق ، ص ٢٠-٢٨ ، العمري : منية الأدباء ،
ص ٧١، ٧٢ .

(٧٨٦) السور جمعه اسوار وسيران والسور هو حائط المدينة
والسور هو كل منزلة من البناء ، مختار الصحاح ،
ص ٢٥٤، والسور هو كل ما يحيط بشيء من البناء
والبلاد وتخلله ابراج ويدور حول قلعة كبيرة فهو
يدعى سور ، رزق : المصدر السابق، ص ١٥٣ ،
ويراد به حائط عظيم يحيط بالمدينة كالرصافة التي
بناها الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك او الذي
يحيط بقصر عظيم كالخير الغربي الذي امتد سوره
مسافة ٦ كم ، غالب: موسوعة العمارة الاسلامية
، ص ٢٣٠ ، الحموي : معجم البلدان ، لفظة
رصافة.

حيث فتحت بالصور ثلاثة عشر باباً^(٧٩١) استمرت حتى الوقت الحاضر^(٧٩٢).

ثانياً/ أبواب سور الموصل

١- باب الجسر

٢- باب المشرعة

٣- باب الطوب

٤- باب لكش (باب الالوجش):

٥- باب السراي

٦- باب الجديد

٧- باب البيض

٨- باب سنجار

٩- باب الحصاين

١٠- الباب العمادي

١١- باب شط عين كبريت

١٢- باب شط المكاوي

والعباسي^(٧٨٧) امتازت مدينة الموصل بتحصيناتها

الدفاعية والعسكرية منذ عصور قديمة سبقت

الفتح العربي الإسلامي بقرون عديدة اذ تعود

جذورها الى بداية عهد الإمبراطورية

الآشورية^(٧٨٨). وقيل انها تعود لما قبل ذلك

بكثير^(٧٨٩) ومن هنا بدأ الاهتمام بتحصينها وحمايتها

وإقامة المنشآت الدفاعية حولها فحصنها بسور

كبير وأقاموا فيها حامية عسكرية ضمت الكثير

من الجند والعتاد وأصبحت تمثل معقلاً لصد

هجمات الغزاة والطامعين وأصبحت تدعى

بالحصن والحصين كما اصبحت نواة لمدينة كبيرة

أخذت تتسع شيئاً فشيئاً ضمت مختلف الطوائف

والقوميات التي هاجرت اليها واستقرت فيها

منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني^(٧٩٠)

^(٧٨٧) عثمان : المدينة الاسلامية ، ص ١٥٣-١٧٣ ، رزق

: المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

^(٧٨٨) - الصائغ ، سليمان : تاريخ الموصل ، ج ١ ، ص ٣٩ -

٤٠ .

^(٧٨٩) - الجنابي ، صلاح : جغرافية الموصل ، موسوعة

الموصل الحضارية ، مجلد ١ ط ١ ، الموصل ، ١٩٩١ ،

ص ٣ .

^(٧٩٠) - السلطان : الموصل في العهدين الراشدي والاموي ،

ص ٢١ - ٢٥ ، الديوه جي : بحث في تراث الموصل

ص ٩ ، ١٨٢ - ١٨٤ .

^(٧٩١) - العدول : معالم مدينة الموصل ، ابان فترة الجليلية ،

ص ١٣٧ ، الصوفي : خطط الموصل ، ص ٢٣ - ٢٦ ،

العبيدي : الموصل ايام زمان ، ص ٣٥ ، الطائي :

مرفولوجيا الحواضر العربية في العهد العثماني ،

ص ٢١٩ .

^(٧٩٢) سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م ،

ص ٢٦٢ ، سيوفي : المصدر السابق ، ص ١٢٥ -

٢٢٣ ، الديوه جي : الموصل في العهد الاتابكي ،

ص ١٢٣ ،

١٣- باب شط القلعة

ثالثا/القلعة الاتابكية القديمة (باشطابيا)

تعد قلعة (باشطابية) ^(٧٩٣) من بقايا القلعة الاتابكية القديمة والتي تقع شمال مدينة الموصل جوار مرقد الامام يحيى أبي القاسم ، تضم في داخلها السلاح والعتاد والذخيرة فضلا عن المؤن والخيول الخاصة بجند الحياالة احد صنوف الجيش العثماني في مدينة الموصل ^(٧٩٤) كما تمثل مقرا لدزارها وقائد الجيش ومحافظة حيث كانت ومنذ العصر الاتابكي ضمن مسؤوليات دزدار القلعة ، وبالنسبة الى انشائها فلا يعرف بالضبط تاريخه ، وتعود قلعة باشطابية بتاريخها الى حدود

القرن الثاني الهجري حينما تم تجديد عمارتها ابان العصر الاموي ^(٧٩٥) والتي لاتزال اثارها شاخصة حتى الان .

رابعا/قلعة الموصل الداخلية (ايح قلعة)
انشأ العثمانيون قلعة جديدة داخل مدينة الموصل عرفت بالقلعة الداخلية (ايح قلعة) وتم ذلك على يد والي الموصل بكر باشا الموصل بن إسماعيل باشا عام (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م) على انشائها في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة الموصل القديمة على ضفة نهر دجلة عند باب الجسر القديم كما أقيم أمامها من جهتها الغربية الميدان الذي كان يمثل مكان تدريب الجيش العثماني وتنظيمه ^(٧٩٦) .

خامسا/مقرات الشرطة ومخافرها :

^(٧٩٣) القلعة لغويا مأخوذة من الفعل الثلاثي قلع وجمعها قلاع وقلاع ولها معاني ومدلولات عديدة منها انها تدل على الصخرة العظيمة تتلع من الجبل وتكون صعبة المرتقى ، وقيل هي الحصن المتين والمنيع على ارض مرتفعة، وتمثل معقل الجيش ومستودع الذخيرة والمؤن، الدراجي : عمارة القلاع وتخطيطها في شمال العراق ، ص ٤١ . والطابية : يراد بها جدار او حصن او قلعة ومنها البناء بالتراب كانه قطعة واحدة يسمى الطابية يؤدي وظيفة القلعة والحصن ، غالب : موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٢٥٩ .

^(٧٩٤) - ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٢ ، الجملي

: دولة الاتابكية في الموصل ، ص ٢٨٢ .

^(٧٩٥) الجمعة ، احمد قاسم : الاستعدادات العسكرية والاستخدامات الدفاعية واثرها في افشال حملة نادر شاه على الموصل عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، بغداد ١٩٨٨ ، العدد ٤ ، ص ٧٩-٨٢ .

^(٧٩٦) - العمري : منية الادباء ، ص ٧٣ ، العمري : منهل الاولياء ، ص ١٣٥ ، الطائي : مرفولوجيا الحواضر العربية في العهد العثماني ، ص ٢١٩ ، العبيدي : الموصل ، ص ٥ . الدراجي : عمارة القلاع وتخطيطها في شمال العراق ، ص ٤٤-٤٦ . كيمب : الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي ، ص ١٦-٢١ .

لقد ضمت مدينة الموصل عدة مخافر للشرطة

(٧٩٧) | أبرزها (٧٩٨)

مخفر باب الجسر، مخفر باب النبي، مخفر باب السراي، مخفر باب لكش، مخفر باب الطوب، مخفر باب الجديد، مخفر باب البيض، مخفر باب سنجار، مخفر خزرج (الساعة)، دائرة الحبس خانة (السجن المركزي) (٧٩٩) عند محلة السجن. (٨٠٠)، قره غول خانة (سجنا مركزيا)، دائرة الجندرية، الطوب خانة (مصانع السلاح) البارود خانة (مخازن السلاح)،

مقرات الجيش العثماني في الموصل:

صنف الخيالة (الاسباهي) (٨٠١)، صنف المشاة (البيادة)، صنف الجيش الانكشارية (٨٠٢)، صنف الجيش (الينكجيرية) وصنف السيفاء (٨٠٣)

الحاميات الاجنبية :

تركزت القوات البريطانية في محلة باب سنجار ، تركز الجيش الفرنسي في مركز مدينة الموصل ، فيما تركز الجيش الالماني الذي استقرت في محلة راس الكور عند تل قليعات بينما توزعت الجيش النمساوي في محلة باب البيض ، كما تركز وجود الجيش الروسي في محلة المكاوي (٨٠٤)

((الخاتمة والاستنتاجات))

تبعنا عبر صفحات بحثنا مراحل نشوء مدينة الموصل وتطور عمرانها واتساع مساحتها وحصر ودراسة كافة المياني الاثرية والتراثية التي لاتزال شاخصة ومحفوظة بكافة عناصرها العمرانية والفنية ونقوشها الخطية والكتابية عبر تاريخها الطويل والممتد منذ الفتح العربي الاسلامي حتى نهاية

صنف السيفاء ، لامب : سلطان الشرق العظيم ،

ص ٤١ .

(٨٠٢) الانكشارية:احدى صنف الجيش العثماني التي

كانت مسؤوليتها تكمن في تنفيذ اوامر السلطان العثماني في المدن الخاضعة للدولة العثمانية ،لامب:

سلطان الشرق العظيم،ص٢٩٤،٤٢، دليل العراق

العام لسنة ١٩٣٦ ، ص ١٠٦ .

(٨٠٣)-، ذنون: العماثر الخدمية ،ح٢، ص ٣٢ ، لامب :

سلطان الشرق العظيم ، ص ٤١ .

(٨٠٤) الربيعي : تاريخ اهالي نينوى ، ص٧٦-٧٧ .

(٧٩٧)- الصوفي : تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ص٢، ٣٩،

٣٢، الديوه جي : بحث في تراث الموصل ، ص١٢٦ .

(٧٩٨)- الصوفي : خطط الموصل ، ص٢٣-٢٦ .

(٧٩٩)- سالنامه ولاية الموصل ، ١٨٩٢ ، ص١٣٩-١٤٠ ،

علاوي : المصدر السابق ، ص١٠٥-١٠٦ .

(٨٠٠) الربيعي : تاريخ اهالي نينوى ، ص ١٣٣ .

(٨٠١)-، ذنون: العماثر الخدمية ،ح٢، ص٣٢، وكان صنف

الاسباهي (الخيالة) في مقدمة السلطان العثماني

وعند خروجه حيث ترافقه حمايته والدفاع عنه

من باب السراي حتى ابعد نقطة تمتد سيطرته مع

العصر العثماني، وعلى مدى قرون عديدة بدأً بالفتوحات الاسلامية التي نالت مدينة الموصل حتى نهاية الحكم العثماني، ضمن حدود اسوار المدينة القديمة وعلى ضفتي نهر دجلة ، حيث خلص البحث الى جملة استنتاجات اهمها :-

١- لقد تم اخضاع مدينة الموصل تحت الحكم العربي الاسلامي بمراحل عديدة جرت وفق سياسة عسكرية مدروسة ، تبعها خضوع المدينة للخلافتين الاموية والعباسية ، مروراً بما تعرضت له المدينة من غزوات وهجمات عدة انتهت بحكم سلاطين الدولة العثمانية تخضعت عنها حملات عسكرية متكررة ضد الوجود الصفوي الفارسي في البلاد ابتداءً بحملة السلطان العثماني سليم الاول ٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م ثم حملة السلطان العثماني سليمان القانوني ٩٢٦-٩٧٠هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م ثم حملة السلطان العثماني مراد الرابع ١٠٤٨هـ/١٦٣٥م .

٢- امتازت مدينة الموصل بموقع جغرافي و استراتيجي هام مكنها من ان تكون قاعدة اساسية للدولة العثمانية في عموم العراق والخليج العربي انعكس ايجاباً على اتخاذها مقراً

للجيوش العثمانية ونقطة انطلاقها نحو الاجزاء الوسطى والجنوبية من البلاد والاعتماد عليها في تمويل الجيش العثماني وقاعدة لمقر القيادة والجهاز المركزي العثماني الامر الذي ادى الى زيادة اتفاق الدولة العثمانية وسلاطينها في المدينة وازدواج العديد من المنشآت العمرانية السياسية والعسكرية وقلاعها حيث ضمت مراكز قيادة الجيش العثماني وولاتها الى جانب توزيعها بين محلات المدينة واحيائها وبالأخص ضمن حدود محلة الميدان وراس الكور وباب العراق وباب سنجار مع انتشارها الى اقصى الشمال واقصى الجنوب عند الارياض العليا والسفلى .

٣- لقد سعت الحكومة العثمانية متمثلة بسلاطينها وولاتها وحكامها بانشاء العديد من المساجد الصغيرة والجوامع الكبيرة ضمن محلات مدينة الموصل واحيائها القديمة وفق اوامر سلطانية تصدر من الباب العالي في استانبول كونها (المساجد والجوامع) كانت تمثل نواة للمحلات والاحياء السكنية التي تتجمع حولها السكان وتصبح اماكن ملائمة للنمو والازدهار شيئاً فشيئاً .

و(٨) مستشفيات و(٥) صيدليات و(٦) مدابع و(٥) معاصر و(٥) مصابغ و(٤) مسالخ ونحو قلعتين وسور كبير يحف بالمدينة ونحو (٨) مخافر للشرطة (قلع) وما يقرب من (٨) مواقع للجيش العثماني وطوبخانة واحدة ونحو متحف واحد ودار ضيافة واحد ونحو (٤) جسور قائمة ومتحركة ونحو (٤) بنوك ومصارف ، و قشلتان احدهما تدعى بالقشلة العسكرية ووالثانية القشلة المدنية ، بالإضافة الى نحو(٩) مباني ادارية وخدمية وعسكرية .

٦- امتازت مدينة الموصل بوضوح التعايش الديني والقومي بين مختلف الطوائف والاديان والمذاهب وقد انعكس ذلك ايجابيا على وضع خطط المدينة ورسم خارطتها وتحديد شكلها العام فظهرت العديد من المساجد الجامعة والمساجد الصغيرة جنباً الى جنب وضمن الزقاق الواحد والحلة الواحدة مع بعض الكنائس المسيحية واديرتها تجاورها الكنائس اليهودية كما تجلي ذلك ايضا على المدارس الدينية والرسومية التي نجد ان مستوى التعايش في مدينة الموصل قد وصل اعلى مرحلة من التآلف والتآخي حيث ضمت عشرات المدارس التي كانت تضم طلابا من مختلف الاديان والقوميات من مسلمين

٤- ان المتبع لمراحل تطور ونمو خطط مدينة الموصل خلال العصر العثماني منذ مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر للميلاد حتى نهاية العهد العثماني وعلى مدى اربعة قرون مضت يجد خطط المدينة ومحلاتها قد شهدت تطورا ملحوظا في عدد محلاتها التي كانت لا تتجاوز ال(١٦) محلة بداية الحكم العثماني لتصل الى ما يقرب من (٢٧) محلة منتصف القرن السابع عشر للميلاد ثم تطورها ونموها الى ما يقرب من ال(٣٨-٣٩) محلة خلال فترة الحكم المحلي (الاسرة الجليلية)(١١٣٩-١٢٤٩هـ/١٧٢٦-١٨٤٣م) بلوغها ما يقرب ال(٥٠) محلة مع اعلان الحكم المركزي الرسمي في البلاد نهاية العهد العثماني .

٥- تنوع خطط مدينة الموصل ومخلفاتها الاثرية من دينية ومدنية وعلمية وخدمية وتجارية وصحية وادارية وعسكرية ودفاعية ثم حصر ودراسة ما يقرب من (١٠٧) مسجد و(٣٢) جامع و(١٠) كنائس و (٨٣) مدرسة دينية واهلية ورسمية ونحو (٤) مطابع حكومية واهلية ونحو(٥٠) محلة صغيرة وكبيرة و(٥٠) سوق و(٤٠) خان و(٢١) قيسرية و(١٣) حمام

- ٧- شهد العهد العثماني وبالتحديد منتصف القرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر للميلاد وبعد اعلان الحكم الرسمي المركزي للحكومة العثمانية تطورا ملحوظا في مجمل جوانب المدينة السياسية والادارية والاجتماعية والثقافية والخدمية انعكست بصورتها الايجابية على وضع خطط المدينة ورسم خارطتها وتحديد شكلها ونمو عمرانها واتساع محلاتها وأحيائها نتيجة للتطورات الحاصلة مع تحسن أوضاعها وأحوال ساكنيها وازدهار اقتصادها وانتعاش تجارتها وتقدم الخدمات فيها مع تطور وسائل النقل وفتح الشوارع وتبليطها وإنارتها وامتدادها لمسافات بعيدة تصل الى مجمل أحياء المدينة وارباضها وتشعباتها وفروع ازقتها وشوارعها فضلا عما شهدته من انتعاش كبير وواسع في الجانبين الإداري والعمراني حيث تم إنشاء دوائر خاصة مستقلة عن سراي الحكومة التي كانت عليها ضمن بناية القشلة العسكرية او المدنية وأصبح لكل دائرة من دوائر الدولة والحكومة بناية خاصة بها .
- ٨- ومن ابرز ما يلاحظ على خطط مدينة الموصل ومخلفاتها الاثرية وتراثها العربي والاسلامي هو الاحتفاظ بالاسس والمواقع القديمة لكل منها وضمن الحي ذاته مع الاحتفاظ بالاسماء والاتقاب والاعلام والشخصيات التي اقيمت اصلا على ذكرها .
- فضلا عن تمسكهم بالحفاظة على ما كانت تحويه من مخلفات اثرية وعناصر عمارية وفنية جرى تجديدها وتعميرها الا انها لا زالت قائمة الى يومنا هذا ما عدا اختلاف تسميات بعضها ،وان اغلب خطط مدينة الموصل وعمائرهما امتاز بالحفاظة على ماهيته ودوره والغرض الذي انشأ من اجله منذ قرون عديدة سبقت العهد العثماني ثم جرى وعلى مدى القرون الاربع من عهد الدولة العثمانية السعي لتجديدها واعادة اعمارها يقابله في الوقت ذاته انشاء البعض الاخر من خطط دينية ومدنية وعلمية وتجارية وخدمية على اسس جديدة لم تكن اصلا من قبل .
- ٩- اعتماد الحكام العثمانيين سياسة الاستيطان السكاني وهجرة الاقوام وانتقالها ، حيث سعى سلاطين الدولة العثمانية وحكامها الى انتقال العديد من الاسر العربية كالسادة العمرية والاعرجية من مكة المكرمة والمدينة المنورة الى

مدينة الموصل بغية نشر المذهب الحنفي الذي هو مذهب الدولة العثمانية .

١٠- هجرة العديد من الطوائف والقوميات خلال العصر العثماني الى مدينة الموصل كاليديزية والاكرد والتركمان والافغان والارمن والاتيارية وغيرهم وبالتحديد نهاية العهد العثماني الامر الذي ادى الى زيادة الكثافة السكانية في المدينة واتساع مساحتها حتى خرجت الى ما وراء اسوارها لتظهر لنا احياء جديدة انتشرت عند ربضي المدينة شمالا وجنوبا وامتدادها الى اجزاءها الغربية .

((نتائج البحث والدراسة))

تنوعت وتعددت المباني الاثريّة الشاخصة في مدينة الموصل منذ الفتح العربي الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني تنوعا كبيرا ادى الى ظهور مختلف العماثر الاسلامية والمسيحية، من دينية وتعليمية وخدمية وتجارية واقتصادية ودفاعية وعسكرية ، ومنها جاء تقسيم محاور الدراسة الى جوانب عدة منذ البدايات الاولى لنشوء مدينة الموصل وتوسعها على ضفتي نهر دجلة منذ الفتح الاسلامي الى نهاية العصر العثماني والموقع الجغرافي لمدينة الموصل ووضعها الإداري وتقديرات السكان والتراث المعماري ، وقد خرجت الدراسة والبحث بحصر

واستنتاج جملة من العماثر والمباني التي تم الوصول اليها بالمسح العام والدراسة الميدانية التي قام بها الباحثان ، حيث خلصت بتقسيمها الى جداول منفردة ومستقلة تضمنت جميع المباني الاثريّة والتراثية التي لاتزال شاخصة بكافة عناصرها العمارة والفنية وتقوشها الخطية والكتابية وريازتها العربية والاسلامية الممتد منذ الفتح الاسلامي العظيم حتى وقتنا الحاضر نوردها ضمن جداول منفصلة ومستقلة كلا على حدى حصرت فيها نتائج الدراسة والبحث توزعت على المباني الدينية المتمثلة بالمساجد والجوامع والبيع والكشائس والأديرة ، والمباني التعليمية وملحقاتها ومنها الكنائس ودور الحديث والقران الكريم والمدارس الدينية والحرفية والرسومية والأهلية والمعاهد العلمية وماتبعا من المكتبات المطابع ، والمباني الخدمية بتنوعها من أسواق تجارية ووكالات وقيسريات وخانات وحمامات ومستشفيات ومصانع ومعاصر ومدافع ومقابر ومشاريع النقل وجسور، والمباني الإدارية والحكومية المتمثلة بدور الدولة ابتداء بسراي الحكومة والبلدية والبريد والأوقاف والأملاك والحكمة الشرعية والمعارف والكمارك والريجي) والأشغال النافعة ودائرة متحف الموصل ودار الضيافة ، والمباني الدفاعية

التمثلة بسور الموصل وقلاعها باشطابيا وايح قلعة
والطوبجانة ومواقع الجيش العثماني والحاميات
الأجنبية والقنصليات التابعة لها فضلا عن تحديد
مواقع مخافر الشرطة (القلع) ودوائرها .

السياسي والاديب يوسف غنيمه

وأثره في الفكر الحديث في العراق

د.لمى عبد العزيز مصطفى

الملخص

إن معظم الكتابات في تاريخ العراق المعاصر وخاصة تلك التي تناولت دراسة بعض الشخصيات ركزت فيما ركز بعض دراسة شخصيات كان لها دور أساسي في الحكم ولم تتسع هذه الدراسات لتتناول حياة شخصيات كان لها دور مشهود خارج الحكم سواء في المجلس النيابي أو في مجالات أخرى، ومنهم يوسف غنيمه السياسي المعروف الذي عاصر ثلاثة عهود مرت على العراق اواخر العهد العثماني والاحتلال البريطاني والحكم الوطني. فضلاً عن كونه شخصية متعددة المواهب من خلال نظمه للشعر والكتابة التاريخية والنشاط السياسي، بإضافة إلى مواقفه ومقالاته ومؤلفاته الأخرى والتي سيتم تناولها في ثنايا البحث.

The politician and the writer , Youssef Ghaneema, and his influence on modern ideology in iraq

Abstract

Ghaneema has witnessed three times in Iraq, the end of the ottoman era, the british occupation and the national government, the first aspect of this research will focus on the social and cultural environment that Ghaneema has lived in and undoubtedly the lessons he has received by the teacher and scholars and from different sects and religions including patriarch Mari Alkaramli has left its clear imprint on his personality and his thinking and paved the way for him to adopt a new kind of free thinking. The study also devote part of the research to his political activities by handing him over to the ministry of finance and through several ministries during the period (1948- 1929), and electing him to as member for number of legislative councils such as the founding council and the house of representatives which he has being taken as a platform for his proposals and at all levels.

The last aspect will focus on the methodology of Youssef Mohamed in his writings through his articles in newspapers and magazines and through his writings, which are dominated by the character of arab nationalism, but this pride should not be an obstacle to his duty as a historian, which is confirmed in the introduction of the "confusion" by saying : " . . . I have forgotten in the attitudes of criticism and scrutiny of nationalism so that i can look at the jewels of the facts in the past

centuries, and i go into the abstract of everything that would degrade the scientific or increase in value, and i will praise when the money is praised... ". His articles published in a number of newspapers also focused on defending the rights and interests of the working class at a time when talking about such topics was rarely touched by a writer or a researcher.

تمهيد:

بالواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمدينة

العراقية^(٢).

ظهرت الازدهارات الأولى للتغيير في أوضاع

العراق الاقتصادية والاجتماعية في النصف الثاني من

القرن التاسع عشر وتحديداً بعد سنة ١٨٦٩، إذ

شهدت المنطقة حدثاً اقليمياً ودولياً مهماً تمثل بافتتاح

قناة السويس وما رافق هذا الحدث من انعكاسات

ايجابية على بعض الولايات العربية ومنها العراق^(١)

والذي تزامن مع تولي مدحت باشا إدارة ولاية بغداد

١٨٦٩-١٨٧٢ وتنفيذ برنامجه الاصلاحى الذي

استند على مرتكزات رئيسية استهدفت النهوض

ساعدت التطورات الاقتصادية التي رافقت

عملية الاصلاح إلى سلسلة من التغيرات المدنية العراقية

من زيادة في إيرادات العائلة العراقية وما رافق هذا

التحسن من زيادة في نفوس العراق^(٣).

أمام هذه التطورات الاقتصادية التي طرأت

على المجتمع العراقي ظهرت الحاجة إلى إعداد عناصر

مثقفة -غير تقليدية- كفيلة بإدارة المؤسسات

الاقتصادية التي تمت اقامتها لتلبية احتياجات السوق

العالمية من دخول الآلات الحديثة ونشاط حركة

^(١) محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا

١٢٨٦-١٢٨٩هـ / ١٨٦٩-١٨٧٢م مؤسسة مرتضى للكتاب

العراقي.

^(٢) قدرت إحدى الاحصائيات التي تعود إلى منتصف القرن

التاسع عشر نفوس العراق حوالي ١.٢٥ مليون نسمة ارتفع

العدد ليصل إلى ١.٤٠ مليون نسمة سنة ١٨٨٤ أما سنة

١٨٩٧ فوصل العدد إلى ١.٥٥ مليون نسمة. ثريا فاروقي

وآخرون، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية

(١٦٠٠-١٩١٤)، م٢، ترجمة: قاسم عبدة، المدار

الاسلامي، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص ٥١٩.

^(١) تحول الاقتصاد العراقي من اقتصاد قائم على الكفاف إلى

اقتصاد مالي دولي وبالتالي شهدت النشاطات التجارية

ازدهاراً ملحوظاً فعلى سبيل المثال لا الحصر ارتفعت أقيام

صادرات العراق من ١٥٠.٠٠٠ ألف دينار خلال الفترة

(١٨٦٤-١٨٧١) إلى ٩.٢ مليون دينار خلال السنوات

(١٩١٢-١٩١٣). وبغية اعطاء صورة تفصيلية على

الازدهار الذي شهده قطاع التجارة ينظر: محمد سلمان

حسن، التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية

والتطور الاقتصادي (١٨٦٤-١٩٥٨)، ج٢، (بيروت،

(١٩٦٥)، ص ص ٩٤-١١٣.

الدعوة الاسلامية. وكانت الصحافة إحدى الأدوات الرئيسية التي استخدمتها الفئة المثقفة كمنبر للتعبير عن الأفكار والأهداف التي نادت بتحقيقها ومن الجدير بالذكر أن العراق شهد في سنة ١٩٠٨ اصدار عدد من الصحف والمجلات الأهلية ومنها جريدة بغداد^(٢) لترتفع أعداد الصحف سنة ١٩١١ إلى ٢٧ صحيفة بين سياسية وأدبية وهزلية نذكر منها الايقاظ والعلم والدستور والنهضة والانتقال...^(٣).

ورغم سيطرة التيار الاسلامي في العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين برز عدد من الأدباء والمفكرين ممن طالبوا ومن خلال كتاباتهم بهدم الأفكار البالية التي كانت تغزو المجتمع العراقي، ورفع مستوى فئات الشعب العراقي الفكرية والثقافية نذكر منهم محمود

التجارة والتراكم التدريجي لرؤوس الأموال وبالتالي كانت هذه المتطلبات دافعاً إلى ظهور المدارس من رشدية ومتوسطة ومهنية^(١).

كان لهذه التحولات افرازاتها على الجوانب الثقافية وما صاحب ذلك من تصاعد في الوعي السياسي لدى النخبة العراقية المثقفة تحديداً من خلال تبني هذه الشريحة للمفاهيم العصرية والديمقراطية التي كانت سائدة في أوروبا وارتفاع المطالبات والدعوات إلى تطبيقها في الولايات العربية ومنها العراق مع التأكيد بأن هذه المفاهيم الحديثة لا تتناقض مع القيم الأساسية التي نادى بها الاسلام كالعدالة والحرية والمساواة، بل أنها في صميم

(١) بلغت أعداد المدارس الابتدائية وعلى مستوى الولايات العراقية سنة ١٨٩٠ ثمانية مدارس، تركزت اربع منها في ولاية بغداد فيما توزعت البقية على باقي الولايات العراقية وبواقع مدرستين في كل من الموصل والبصرة، ثم بدأ التعليم الرشدي والثانوي يتطور وبوتيرة أقل، لينعكس ذلك على ازدياد اعداد الطلبة الملتحقين في هذه المدارس فعلى سبيل المثال لا الحصر بلغت اعداد الطلبة الملتحقين بصفوف المدارس الرشدية سنة ١٨٩٨ حوالي ٩٦٢ طالباً ليرتفع العدد سنة ١٩٠٠ إلى ١٢١٨ طالباً.

Abdul Wahab Abbas Al Qaysi, The Impact of Modernization on Iraq society during the Ottoman Era: A study of intellectual development in Iraq 1869-1917 a dissertation submitted in partial fulfillment of the degree of ph. D.

(٢) جريدة بغداد: جريدة سياسية علمية أدبية اسبوعية ولسان حال حزب الاتحاد والترقي صدر العدد الأول منها في ٦ آب ١٩٠٨، لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما توقفت في سنتها الثانية كان يوسف غنيمه أحد الأقلام البارزين التي رفدت هذه الجريدة بنتائج أدبية سيجري التطرق إليها فيما بعد . روفائيل بطي، صحافة العراق تاريخها وكفاح اجيالها، مطبعة الاديب البغدادي، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ص ١٥-١٦.

(٣) عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، ط١، (بغداد، ٢٠١٢)، ص ص ١٣٠-١٣١.

وموضوع البحث- يوسف رزق الله غنيمة فضلاً عن
عدد كبير من الادباء والمفكرين.

شكري الآلوسي^(١)، وجميل صدقي الزهاوي^(٢)،
انستانس ماري الكرمل^(٣)، واسماعيل بابان^(٤)، -

المبحث الأول:

١- يوسف غنيمة - الولادة والنشأة ونشاطاته السياسية والحزبية:

هو يوسف بن رزق الله بن يوسف بن
سمدان بن الياس بن عيسى بن غنيمة بن القس يشوع،
واسرة غنيمة من أقدم الاسر النصرانية المعروفة في
العراق، امتهن ابناء هذه الاسرة التجارة ولهم شغف
باقتناء المؤلفات النفيسة^(٥)، التحق يوسف بالمدرسة

(١) محمود شكري الآلوسي: ولد في بغداد سنة ١٨٥٦، نشأ
في عائلة عرفت بالعلم والأدب، درس على يد والده محمود
الآلوسي (مفتي الحنفية) مبادئ العلوم والقرآن وبعد والده كفله
عمه نعمان الآلوسي، ساهم في تحرير جريدة الزوراء بالإضافة
إلى إمداد المقالات والبحوث لجلات المقتبس والمشرق والمنار
ومجلة الجمع العلمي وقد وصفه البعض بأنه "ناصر السنة
وقامع البدعة علامة المنقول ودراكه المعقول، دائرة المعارف
الاسلامية"، نبراس الأمة العربية، له عدد من المؤلفات نذكر
منها بلوغ الأدب في معرفة العرب، غاية الاماني في الرد على
النهجاني وعقد الدرر في شرح نخبة الأثر وعدد من المؤلفات
وصلت إلى (٥٠) مؤلفاً. ابراهيم السامرائي، السيد محمود
شكري الآلوسي وبلوغ الارب، المؤسسة الحكمة للدراسات
والنشر والتوزيع، ط١، (لبنان، ١٩٩٢).

(٢) جميل صدقي الزهاوي: ولد سنة ١٨٦٣، تلقى علومه في
الكتاتيب، عين مدرساً في مدرسة السليمانية سنة ١٨٨٥،
اختير عضواً في مجلس معارف بغداد ثم محرراً في جريدة
الزوراء-القسم العربي-، دافع عن حقوق المرأة وطالب بتركها
للحجاب، له مؤلفات علمية وأدبية نذكر منها الجاذبية
وتعليقها، الفجر الصادق، نظم الشعر بالعربية والفارسية. توفي
سنة ١٩٣٦. خالدة عثمان فتاح، "القصة في شعر جميل
صدقي الزهاوي، دراسة فنية موضوعية"، مجلة الجامعة
الاسلامية، العدد ٣٤، ٢٠١٠.

<http://www.iosj.net>

(٣) انستانس ماري الكرمل: ولد في بغداد سنة ١٨٦٦ في
بغداد من أب لبناني أكمل تعليمه الابتدائي في مدرسة الآباء

الكرملين وفي سنة ١٨٨٦ التحق بكلية الآباء اليسوعيين في
بيروت مدرساً للغة العربية والأدب الفرنسي وعدد من اللغات
الاجنبية سافر إلى فرنسا ليدرس الفلسفة واللاهوت، في سنة
١٩١١ انتخب عضواً في لجنة التأليف والنشر في وزارة
المعارف العراقية له العديد من المؤلفات منها الفوز بالمراد في
تاريخ بغداد وخلاصة تاريخ العراق. حسين الكرخي، مجالس
الأدب في بغداد، ج١، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ص ٨١-٨٢.

(٤) اسماعيل بابان: ولد في بغداد سنة ١٨٧٦، أكمل تعليمه
الابتدائي والاعدادي فيها وفي استانبول التحق بكلية الحقوق
له مؤلفات عدة، أصبح نائب بغداد في مجلس المبعوثات
العثماني توفي سنة ١٩١٣. النصيري، المصدر السابق، ص
١٢٠.

(٥) ابراهيم عبد الغني الدروبي، البغداديون اخبارهم
ومجالسهم، ط٢، (بغداد، ٢٠٠١)، ص ٨٨.

رفاقه مكتبة السلام^(٣) التي شكلت نواة المكتبة الوطنية الحالية في باب المعظم^(٤).

انتدب في سنة ١٩٢٣ من قبل وزارة المعارف للعمل كمحاضر في دار المعلمين العالية^(٥). ليتولى جمع المحاضرات التي القاها في هذه المدرسة ونشرها بكتاب حمل عنوان "تاريخ المدن العراقية" - والذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد -^(٦).

(٣) هيثم محي طالب الجبوري، "النشاطات الثقافية للمكون المسيحي في العراق منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٣٩"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية (جامعة بابل)، مجلد ٥، العدد ٢، ٢٠١٥، ص ٧٩.

(٤) واجه القائمين على هذه المكتبة مشاكل عدة منها قلة الاعتمادات المالية والتي وقفت حائلاً دون الاستمرار في تنفيذ هذا المشروع، وبالتالي لم يكن أمام اللجنة المشرفة على هذا المشروع إلا إغلاق هذه المكتبة والتبرع بمحتوياتها من كتب والبالغة ٤٢٨٣ كتاباً إلى وزارة المعارف والتي أعادت افتتاح المكتبة اسم "المكتبة العامة" ليتحول اسمها فيما بعد إلى "المكتبة الوطنية". المصدر نفسه، ص ص ٢٢-٢٣.

(٥) حميد المطبعي، اعلام العراق في القرن العشرين، ج١، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون العامة، (بغداد، ١٩٩٥)، ص ٢٣٣.

(٦) حارث يوسف غنيمه، السياسي والاديب يوسف غنيمه ١٨٨٥-١٩٥٠ من أركان النهضة العلمية الحديثة في العراق الحديث، حياته آثاره عصره، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ص ١٤-١٥.

الكلدانية الابتدائية وبعد انتهائه لدراسته الابتدائية التحق بمدرسة الاتحاد الاسرائيلي الاليانس^(١). والتحق بعد ذلك بأحد المدارس لتعلم أصول مسك الدفاتر على يد احد المعلمين، وتعلم السريانية والكلدانية على يد احد الرهبان ليلتحق بأحد الأديرة التابعة للآباء الكرمليين ومن ثم ليلتحق بإحدى المدارس التابعة لهذا الدير وفي هذه المدرسة اتقن غنيمه عدداً من اللغات الاجنبية ففضلاص عن العربية التي تولى تدريسها الأب انستانس ماري الكرملي^(٢). في سنة ١٩٠٦ افتتح محلاً تجارياً واتخذ التجارة مهنة له فراسل أوروبا وأمريكا والاساتنة وفارس والهند وحصل على وكالات لاستيراد المضخات، كما قام في سنة ١٩١٩ بتأسيس مصلحة للنقل بالسيارات والتجارة بين العراق وايران. وفي سنة ١٨١٩ أسس مع مجموعة من

(١) احدى المدارس التي تولى الاتحاد الاسرائيلي العالمي تأسيسها في بغداد سنة ١٨٦٤ تلقى الطلاب فيها دروساً في العلوم الطبيعية والانسانية فضلاً عن دراسة عدد من اللغات الاجنبية كالانكليزية والفرنسية... فضلاً عن العربية. فاضل البراك، المدارس اليهودية والارمنية في العراق "دراسة مقارنة"، الدار العربية، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٦.

(٢) جريدة الزوراء، العدد ١٦٤، ٢٧ تموز ٢٠٠٠.

شغل يوسف غنيمه وحتى سنة ١٩٤٤
العديد من المناصب الادارية فخلال الفترة ما بين
١٩٤٤-١٩٤٨ استوزر ولاكثر من وزارة وكما مثبت
في الجدول أدناه^(١):

(١) زهير علي أحمد النحاس، التكوين في العراق ١٩٣٩-
١٩٤٨، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل،
١٩٨٩)، ص ٧٩، ص ٢٠٥، ص ٢٣٦. لعل أبرز المناصب
التي تولاهها مدير عام في وزارة المالية سنة ١٩٣٥. الجبوري،
المصدر السابق، ص ٧٩. ومديراً عاماً للآثار ١٩٤١-١٩٤٤
ومديراً عاماً للتكوين سنة ١٩٤٤. للتفاصيل: حيدر حميد
رشيد وكاظم عبد الله عطية وسمرة كيطان، "المتحف
العراقي نشأته تطوره حتى عام ١٩٦٣"، كلية التربية، المجلد
٢٧، العدد ٢، ٢٠١٦، ص ٦٠٣، ارشيف صحيفة المستقبل

ت	الوزارة	المنصب
١	وزارة عبد الحسن السعدون الثالثة ١٤ كانون الثاني ١٩١٨-٢٠ كانون الثاني ١٩٢٩	وزيراً للمالية
٢	وزارة توفيق السويدي الأولى ٢٨ نيسان ١٩٢٩-٢ آب ١٩٢٩	وزيراً للمالية
٣	وزارة علي جودت الايوبي الأولى ٢٧ آب ١٩٣٤-٢٣ شباط ١٩٣٥	وزيراً للمالية
٤	وزارة جميل المدفعي الثالثة ٤ آيار ١٩٣٥-٥ آذار ١٩٣٥	وزيراً للمالية
٥	وزارة حمدي الباجه جي الثانية ٢٩ آب ١٩٤٤-٣٠ كانون الثاني ١٩٤٦	وزيراً للتموين
٦	وزارة ارشد العمري الأولى ١ حزيران ١٩٤٦-١٦ تشرين الثاني ١٩٤٦	وزيراً للمالية ووزير للتموين بالوكالة
٧	وزارة صالح جبر ٢٩ آذار ١٩٤٧-٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨	وزيراً للمالية

توفي سنة ١٩٥٠^(١).

(١) حارث يوسف غنيمه ١٨٨٥-١٩٥٠ المصدر السابق، ص ٢١٧.

١- دوره في الحياة الحزبية في العراق (١٩٢٢-١٩٣٠):

نشطت الحياة السياسية مع وصول جماعة الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٨ عندما جرى افتتاح فروع لها في عدد من المدن العراقية ومنها بغداد وقد انتمى اليها غنيمه سنة ١٩١٠ وكان أحد أعلامها النشطة في صحيفة الفرع (بغداد) إلا أن غنيمه وبعد انحراف الجمعية عن مبادئها^(١).

بعد تأسيس الحكم الوطني في العراق دخل غنيمه معترك الحياة الحزبية عندما أصبح أحد أركان حزب الحر العراقي^(٢) وأحد الأعلام النشطة في جريدة

(١) للاستزادة حول هذه الجمعية يراجع: عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي (١٩٥٨-١٩٠٨)، دار الحرية للطباعة والنشر، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ١٨-١٩.

(٢) حزب الحر العراقي: يعد أول حزب سياسي حكومي في تاريخ العراق المعاصر يدخل في الصراعات السياسية داخل الوزارات العراقية بمباركة من الادارة البريطانية في العراق في ايلول ١٩٢٢ تألفت الهيئة المؤسسة من محمود النقيب، توفيق الخالدي، عبد المجيد الشادي، فخري الجميل ويوسف غنيمه... وآخرون. ارتبط وجوده بوزارة عبد الرحمن النقيب لذلك ما أن سقطت هذه الوزارة في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٢ حتى انتهى وجوده في الساحة السياسية العراقية.

سرحان غلام حسين، "الاحزاب السياسية والرأي العام في عهد فيصل الأول"، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي،

(العاصمة)^(٣) الناطقة بلسان الحزب إلا أن نشاطات الحزب لم تستمر طويلاً بسبب سياسة الحزب ولأن الحزب وعلى حسب قول غنيمه كان "حامل جرثومة الاضمحلال منذ يوم ولادته"^(٤).

كان غنيمه متذبذباً في ولاءاته لمبادئ الاحزاب والجمعيات السياسية الموجودة على الساحة السياسية العراقية، فبعد حل الحزب الحر العراقي أسس وبالإشتراك مع لجنة من السياسيين العراقيين حزب الاخاء الوطني^(٥). كان غنيمه أحد الأعلام

العدد ١٦، ٢٠٠٥، ص ص ١٠٧-١٠٨؛ سعدي يوسف السوداني، الحزب الحر العراقي ١٩٢٢-١٩٢٣ دراسة تاريخية، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، (بغداد، ٢٠٠٩)، ص ص ٣١-٣٢، ص ٥٥.

(٣) جريدة العاصمة: صدرت في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ وبدعم من رئيس الوزراء وبرسي كوكس Persey Cox المندوب السامي البريطاني شنت هذه الصحيفة حملة عنيفة ضد وزارة نوري السعيد الأولى ٢٣ آذار ١٩٣٠-١٩٢٩ تشرين الأول ١٩٣١. علي محفوظ عزيز الحفاف، "جريدة الاهالي" البغدادية ١٩٣٢-١٩٣٧، دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، (جامعة الموصل، ٢٠١٧)، ص ٢١.

(٤) بدهاء علاوي شمخي جبر الشويلي، يوسف غنيمه حياته نشاطاته ١٨٨٥-١٩٥٠، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ابن رشد، ٢٠٠٣)، ص ١٧٧.

(٥) حزب الاخاء الوطني: يرقى تأسيس هذا الحزب إلى سنة ١٩٣٠، تألفت الهيئة المؤسسة من كل من ياسين الهاشمي

المبحث الثاني

نشاطاته النيابية

أ- المجلس التأسيسي^(٥):

شكل افتتاح المجلس التأسيسي حدثاً تاريخياً مهماً للعراقيين، لأنه سيضع لأول مرة أسس دولة عراقية تلتزم بالمفاهيم الدستورية التي تمثل روح العصر، وهو أول مجلس منتخب يجتمع في بغداد، منذ أن وفدت المفاهيم الدستورية على العراق في أواخر الدولة العثمانية، حيث كان السكان ينتخبون مبعوثين وتكون اجتماعاتهم في عاصمة الدولة العثمانية^(٦).

النشطة في جريدة الحزب (البلاد) التي اتخذها الحزب منبراً للترويج لأهداف الحزب ومبادئه^(١).

كما كان يوسف غنيمه احد اعضاء كتلة (الاخاء الوطني)^(٢) ورغم تعدد الاحزاب التي انتمى اليها يوسف غنيمه وتنوع برامجها إلا أنه أثبت قدرة فائقة في التنظيم ونشاطاً حزبياً منقطع النظير وهذا ما تطرق إليه روفائيل بطي^(٣) عندما قال "وقد أدى واجبه في عمله الحزبي بمنتهى المواظبة والدقة في درس المسائل ..."^(٤).

وجودت الأيوبي وعبد الله حافظ ويوسف غنيمه... تحالف الحزب مع الحزب الوطني العراقي في ١٦ كانون الثاني ١٩٣٠ ليؤلف جبهة موحدة ضد التوقيع على معاهدة ١٩٣٠. الجبوري، المصدر السابق، ص ٧٨-٨٢.

(١) المصدر نفسه.

(٢) ظهرت هذه الكتلة من دمج حزب الاخاء الوطني مع الحزب الوطني العراقي وكان الهدف الرئيس لهذه الكتلة التصدي لوزارة نوري السعيد ولمعاهدة ١٩٣٠ التي جرى تشكيلها في هذه الفترة. الجبوري، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) روفائيل بطي: ولد في الموصل سنة ١٩٠١، تخرج من دار المعلمين الابتدائية حصل على شهادة الحقوق سنة ١٩٢٩، عمل في ميدان الصحافة عرف باتجاهه الوطني والقومي، انتخب نائباً منذ سنة ١٩٤٥ ولأكثر من مرة. خالد الراوي، روفائيل بطي في كتاب موسوعة اعلام العرب، ج١، بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٠)، ص ١٨٥.

(٤) الشويلي، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٥) بغية استكمال القواعد الاساسية للمملكة العراقية الجديدة، وسعيًا من الاخيرة لاستكمال الصيغة الدستورية للحكم، صدر في ٤ آذار ١٩٢٢ قانون الانتخاب وفي ١٩ تشرين الأول من العام نفسه صدرت الارادة الملكية والتي حدد بموجبها يوم ٤ تشرين الأول موعداً للبدء بانتخابات اعضاء المجلس التأسيس الذي حددت مهامه:

١. البت في أمر المعاهدة العراقية-البريطانية.
٢. اقرار دستور للبلاد (القانون الأساسي).
٣. سن قانون الانتخابات لمجلس النواب. للاستزادة يراجع: فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية-البريطانية وأثرها على السياسة الداخلية ١٩٢٢-١٩٤٨، (بغداد، ١٩٧٧)، ص ٩١؛ محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، ج٢، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ١٠ وما بعدها.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

منهم من كانت خططهم توافق آمالها
ورغباتهم...^(٣).

في يوم ٨ حزيران ١٩٢٥ اجريت الانتخابات
والتي فاز فيها يوسف غنيمه وفي اليوم التالي وجه ندائه
إلى أعضاء المجلس التأسيسي وعبر جريدة السياسة
طالب منهم انقاذ البلاد عندما قال "شرقنا الأمة
بثقتها العظيمة فلنحقق آمالها بتقائنا في سبيل
مصلحتها مضحين على هيكل هذا الوطن كل صالح
ذاتي... لنرفع منزلة الدولة العراقية ونرقي شأن
قوميتنا بين القوميات... ولنعمل بكل اخلاص
وشجاعة في إنقاذ البلاد..."^(٤).

كان التصديق على المعاهدة العراقية-
البريطانية والذي عدها يوسف غنيمه " أول خطوة
يخطوها الشعب لاسترجاع مجده وتأييد عرشه"^(٥)،
ضمن أولويات المهام والتي أوكلت إلى المجلس النيابي
فخلال الجلسة الثالثة التي عقدت في ٣١ آذار قدم
رئيس المجلس عبد المحسن السعدون إلى النواب مذكرة
حكومة جعفر العسكري (٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣-

وقبيل اجراء انتخابات المجلس التأسيسي
ركزت النخبة المثقفة ومن خلال طروحاتها عبر
الصحافة المحلية على ضرورة انتخاب العناصر الكفوءة
والمؤهلة لخوض غمار مناقشات هذا المجلس بحكم ما
تمتلكه هذه الشريحة من امكانيات كافية انطلاقاً من
حجم المهمات المصيرية التي أوكلت إليها منذ
البداية^(٦).

من هذا المنطلق رشح عدد من أقطاب
الثقافة لانتخابات المجلس ومنهم يوسف غنيمه^(٧)، وفي
غمرة الانتخابات النيابية استعان يوسف غنيمه بجريدة
"السياسة" التي أسسها في ١٣ آذار ١٩٢٥ لعرض
برنامجه الانتخابي ففي العدد ٥١ والصادر في ٢٥ أيار
سنة ١٩٢٥ قدم يوسف غنيمه مقالته التي حملت
عنوان "ابن مناهج المرشحين" طالب من خلالها
المرشحين بتقديم برامجهم الانتخابية "لأن الأمة تصبوا
إلى الاطلاع عليها والوقوف على وعودهم لتتخبر

(٣) غنيمه، المصدر السابق، ص ص ٦٥-٦٦. ومن الجدير

بالذكر أن يوسف غنيمه أوقف جريدة السياسة عن الصدور
بعد فوزه بالانتخابات النيابية.

(٤) غنيمه، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٥) النصيري، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٦) النصيري، المصدر السابق، ص ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٧) زيد عدنان ناجي، أقطاب العراق في العهد الملكي،

دراسة في الدور السياسي والبرلماني، ط١، (لبنان، ٢٠١٥)،

ص ٧١.

٢٢ آب ١٩٢٤) المتضمنة عرض المعاهدة على المجلس للمصادقة في أقرب وقت ممكن. وبعد توزيع نسخ المعاهدة اقترح يوسف غنيمه أن توزع نسخها بالعربية والانكليزية معاً لأن المادة (١٧) من المعاهدة قد نصت على أن النص الانكليزي هو المرجع الوحيد إذا حدث اختلاف بين النصين العربي والانكليزي...^(١). أما الاتفاقية المالية فكان غنيمه من أشد المنتقدين لها والتي قال عنها بأنها "اجحاف لا بل هي مما يتقل كاهل الشعب ويجعل تنفيذها نقمة دائمة على الحكومة العراقية..."^(٢).

في ٢٩ أيار ١٩٢٤ ناقش المجلس التأسيسي مواد المعاهدة وملاحقتها وانقسم النواب بين مؤيد ومعارض للمعاهدة ففي جلسة يوم ٣ حزيران ١٩٢٤ طالب يوسف غنيمه بتعديل بنود المعاهدة بقوله "كنت أود أن تفرغ المعاهدة في قالب غير قالبها الحاضر... فإن المجلس اليوم في موقف بين الإبرام والرفض... وأن أمر تعديل المعاهدة قد غدا من الضروريات... وإن تنفيذها نقمة دائمة على

الحكومة العراقية والحليفة معاً فلا يمكن أن تحملها هذه البلاد..."^(٣). ورغم معارضة عدد كبير من النواب إلا أنه وبضغط من بريطانيا ممثلة بالمندوب السامي البريطاني (هنري دويس Henry Dobbs) تمت المصادقة على بنود المعاهدة في ١٠ حزيران ١٩٢٤^(٤).

بعد المصادقة على المعاهدة وملاحقتها قدم رئيس الوزراء في ٣ نيسان ١٩٢٤ لائحة القانون الأساسي لعرضها ومناقشتها وإقرار المجلس لها. وقد قرر المجلس في ٧ نيسان ١٩٢٤ تأليف لجنة تدقيق لائحة القانون الأساسي اختير يوسف غنيمه ممثلاً عن بغداد^(٥). والتي قدمت في ١٤ حزيران ١٩٢٤. وفي هذا اليوم تحدث يوسف غنيمه أمام أعضاء المجلس التأسيسي والذي اعتبر القانون الأساسي بمثابة "حجر

(٢) المصدر نفسه، الجلسة ٢٠، ٣ حزيران ١٩٢٤، ص ٣٢٢-٣٢٧.

(٤) المصدر نفسه، الجلسة ٢٤، ١٠ حزيران ١٩٢٤، ص ٤٤٦.

(٥) تألفت اللجنة من ١٥ عضواً مثل كل لواء عضواً واحداً باستثناء الموصل التي مثلها عضوان. المصدر نفسه، ص ١٢٧. وللمزيد حول المهام التي اسندت إلى هذه اللجنة يراجع المصدر نفسه، ص ٤٣٥-٤٤٠.

(١) الحكومة العراقية، وزارة الداخلية، مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي لسنة ١٩٢٤م، ١٣٤٣هـ، مطبعة دار السلام، ج١، (بغداد، ١٩٢٤)، ص ٣٨.

(٢) يراجع نص المداخلة في. غنيمه، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٧.

هذه المادة عدلت بـ "مجلس الأمة يتألف من مجلس الأعيان والنواب...".^(٤)

كان يوسف غنيمية من المدافعين والمتحمسين لحقوق الاقليات والطوائف الدينية^(٥) فخلال الجلسة (٢٦) والمنعقدة في ١٦ حزيران ١٩٢٤ وأثناء المذاكرة على المادة (١٤) من القانون الأساسي والتي اعطت الحق للطوائف المختلفة لتعليم افرادها بلغتها الخاصة... اعترض عدد من النواب وطالبوا من خلال مداخلتهم حصر الدراسة في كافة مراحلها أو على الأقل في المرحلة الثانوية باللغة العربية^(٦). وهنا انبرى يوسف غنيمية بالاعتراض قائلاً "إني من الذين يحبون بل يسعون إلى انتشار اللغة العربية ولكن مع هذا لا أستطيع أن أوافق على أن يحصر التعليم باللغة العربية لأن الحرية عامة ونحن نريد أن تؤسس حكومة

الزاوية في بناء الاستقلال"^(١) وبالفعل وبعد جلسات مطولة تمت المصادقة على لائحة القانون الأساسي في ١٠ تموز ١٩٢٤ بإجماع الارادة بعد اجراء بعض التعديلات الطفيفة عليه^(٢).

وخلال مناقشات مواد القانون الأساسي كان ليوسف غنيمية تعليقاته وطروحاته وعبر جلسات المجلس فعند مناقشة المادة (١٦) من مشروع القانون الأساسي والتي نصت على أن مجلس الأمة يتألف من الملك ومجلس الأعيان ومجلس النواب^(٣) وللحد من تدخلات الملك في أعمال السلطة التشريعية كان يوسف غنيمية أحد المقترحين بتعديل هذه المادة عندما قال "فسر رئيس اللجنة المادة ولم يعين الأسباب وأني مبين الأسباب التي دعت إلى تعديل المادة، رأت اللجنة في المادة التي تصرح بأن يقسم الملك أمام مجلس الأمة فإذا عُد الملك من مجلس الأمة فيكون قد أقسم أمام نفسه فلذلك أرادت بمجلس الأمة المجلسين فقط...". وأمام مناقشات وإصرار عدد كبير من النواب بتعديل

(٤) مجموعة مذكرات، الجلسة ٢٨، ٢١ حزيران ١٩٢٤، ص ٥٨١.

(٥) حول هذه المداخلات ينظر: المصدر نفسه، الجلسة ٢٥، ١٤ حزيران ١٩٢٤، ص ٤٥٤، ص ٥١١؛ المصدر نفسه، الجلسة ٢٦، ١٦ حزيران ١٩٢٤، ص ٤٨٨؛ المصدر نفسه، الجلسة ٢٩، ٢٣ حزيران، ص ٥٨٣، ص ٥٩٢.

(٦) المصدر نفسه، الجلسة ٢٥، ١٤ حزيران ١٩٢٤، ص ٥١٦.

(١) المصدر نفسه، الجلسة ٢٥، ١٤ حزيران ١٩٢٤، ص ٤٥٤.

(٢) فائز عزيز أسعد، انخراط النظام البرلماني في العراق، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ١١٢.

(٣) اقتضت الضرورة اختيار بعض المداخلات والاقتراحات التي تقدم بها يوسف غنيمية لكثرتها وتعذر طرحها بالكامل لذلك أكتفت الباحثة بإحالة القارئ إلى هذه المداخلات.

الأساسي وقانون انتخاب النواب ووضعها موضع التنفيذ وجمع المجلس النيابي^(٣).

إن المتتبع لمحاضر جلسات المجلس التأسيسي يلاحظ مدى التزام غنيمه بحضور جلسات المجلس وحرصه على طرح آرائه وانتقاداته حول جميع المهام التي أوكلت إلى المجلس التأسيسي سواء كانت فيما يخص المعاهدة العراقية-البريطانية أم سن القانون الأساسي العراقي أم سن قانون الانتخاب للمجلس النيابي.

ب- يوسف غنيمه نائباً في مجلس النواب العراقي:

يعد تشكيل مجلس النواب العراقي نواة الحياة الديمقراطية في العراق، حيث نص دستور سنة ١٩٢٥ على انتخاب برلمان يتألف من مجلسين (النواب والأعيان) يجري انتخاب مجلس النواب بناء على الاقتراع المباشر، أما مجلس الأعيان فتوكل إلى الملك مهمة اختيار أعضائه^(٤).

ديمقراطية فيجب أن تعين هذه المسائل بمقتضى قانون خاص...^(١).

وعند طرح قانون انتخاب النواب على المجلس التأسيسي تحدث يوسف غنيمه حول الموضوع عندما اقترح اجراء بعض التعديلات حول المادة (٣) من لائحة انتخاب النواب والخاصة بالشروط الواجب توفرها في الناخب عندما قال "يجب أن يكون عمر الناخب الأول ٢١ سنة لا ٢٠ لأن سن ٢١ أكثر القوانين الاوربية والتجارية تحول الشخص الذي أتمها حق الانتخاب وحق تعايطي المعاملات التجارية...^(٢).

في ١٠ تموز ١٩٢٤ صادق المجلس التأسيسي على القانون الأساسي وعلى اثر ذلك استقالت وزارة جعفر العسكري في ٢ آب ١٩٢٤ لتعقبها وزارة ياسين الهاشمي التي نشرت منهاج وزارتها والتي كان في مقدمة مواده "الإسراع في نشر القانون

(٣) عبد الرحمن البزاز، "نظرات في القانون الأساسي

العراقي"، مجلة القضاء، العددان ١-٢، ١٩٥٨، ص ٦-١٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول ظروف تشكيل مجلس النواب، انتخاباته، صلاحياته، يراجع: عباس عطية جبار، الحياة البرلمانية في العراق ١٩٣٢-١٩٣٩، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٢؛ عبد الزهرة مكطوف

(١) المصدر نفسه، ص ٥١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩٦-١٠٩٧. إن هذه المداخلة

لم تكن الوحيدة فيما يتعلق بقانون انتخاب النواب حيث كانت لغنيمه عدة مقترحات وآراء حول الموضوع. للاستزادة يراجع:

المصدر نفسه، ص ١٠٠٨، ص ١١١٣-١١١٤، ص

١١٣١.

الكثيرين ومنهم ياسين الهاشمي^(٣). الذي علق على هذه الطروحات بقوله "كنت احترم كل الآراء التي كان يرشدني بها على الدوام عندما كنت رئيساً للجنة المالية"^(٤).

شغلت المسائل المالية -ومحكم كونه مقراً للجنة المالية التابعة لمجلس النواب- الحيز الأكبر من طروحاته وكانت البداية عندما تطرق إلى مسألة الديون العثمانية^(٥) التي شكلت وعلى حسب قول

استعان غنيمه بجريدة "السياسة" -التي سبقت الإشارة إليها- للترويج لبرنامجها الانتخابي ففي أحد مقالاته التي عنوانها بـ "أين مناهج المرشحين" طالب بـ "أن يعلن المرشحون عن مناهجهم ويجهزون بها لأن الأمة تصبو إلى الاطلاع عليها والوقوف على وعودهم لنتخب منهم ما كانت خططهم توافق آمالها"^(٦). وبعد إجراء الانتخابات النيابية فاز غنيمه في الدورة الانتخابية الأولى نائباً وممثلاً عن الاقلية (غير المسلمة)^(٧).

كان ليوسف غنيمه طروحاته التي امتازت بالجرأة ونقد الواقع والمقدرة على التحليل وأصالة الرأي وقدم الكثير من الطروحات التي نالت استحسان

(٣) ياسين الهاشمي: ولد في بغداد سنة ١٨٨٤، تخرج من الكلية الحرب الحربية في استانبول، التحق بالأمير فيصل أثناء الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٤ حيث قاتل في صفوف الجيش العربي عاد إلى بغداد بعد سقوط الحكم العربي في دمشق تقلد أكثر من وزارة منها وزيراً للمواصلات سنة ١٩٢٢ ورئيساً للوزراء سنة ١٩٣٤، توفي سنة ١٩٣٧. سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦، ج١، ج٢، مطبعة حداد، (البصرة ١٩٧٥).

(٤) ومن الجدير بالذكر أن يوسف غنيمه جرى اختياره مقراً للجنة المالية وفي جميع دورات مجلس النواب التي جرى فيها انتخابه.

(٥) على اثر خسارة الدولة العثمانية للحرب العالمية الأولى وصلت ديونها إلى ١٢٦ مليون باون استرليني وبموجبه مقررات مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٣ تم توزيع هذه الديون بين الجمهورية التركية وبين الأجزاء التي انسحلت عنها في نهاية الحرب ومنها العراق. للمزيد حول هذه المسألة يراجع: مدونة

الجوراني، الحياة البرلمانية في العراق ١٩٣٩-١٩٤٥، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٣).

(٦) الشويلي، المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٧) ناجي، المصدر السابق، ص ١٣١. ومن الجدير بالذكر أن غنيمه فاز ولأكثر من دورة انتخابية علماً أن انتخابه في الدورة الانتخابية الثانية سنة ١٩٢٨ كان يشغل وزيراً للمالية في وزارة عبد الحسن السعدون الثالثة (١٤ كانون الثاني-٢٠ كانون الثاني ١٩٢٩) واعيد استيزاره في وزارة وفيق السويدي (٢٨ نيسان ١٩٢٩-٢٥ آب ١٩٢٩) أي أن غنيمه جمع بين المنصب وبين عضوية المجلس النيابي.

يوسف غنيمه "العبء الثقيل الذي بقي على كاهل العراق من دولة انفقت مبالغ قروضاها على مناطق اخرى غير العراق... وتركت البلاد خراباً..."^(١).

وفي حديث ذا صلة بالأمور المالية دعى غنيمه وفي أكثر من مداخله إلى الاهتمام بمسألة مهمة جداً ألا وهي "الميزانية فهي التي ترفع من شأن البلاد وتوصلها إلى نقطة الاستقلال التام فبدون ميزانية منتظمة لا يمكن أن ترفع شأن العراق..."^(٢).

وبالتالي فإن "تأخير اعلان الميزانية لا يتفق مع القواعد الدستورية"^(٣). وفي جلسة أخرى لفت يوسف غنيمه أنظار الحكومة إلى مسألة مهمة ألا وهي... قلة رواتب المسؤولين عن الإدارة المالية في الأولوية مما يدفعهم إلى أن يحتسسون مبالغ ويهربون بها...^(٤). كما ناشد

الدكتور إبراهيم العلاف، ديون العراق في عهد الملك فيصل الأول ١٩٢١-١٩٣٣.

www.allafblogspot.com.blogspot.com

(١) م.م.ن، الجلسة ٨، الاجتماع غير الاعتيادي لمجلس النواب لسنة ١٩٢٨، ٤ آذار ١٩٢٧، ص ٨١٤.

(٢) المصدر نفسه، الجلسة ٩، ٥ كانون الثاني ١٩٢٨، ص ٩١.

(٣) المصدر نفسه، الاجتماع غير الاعتيادي الثاني لمجلس النواب، الجلسة ٣، ٣ ايار ١٩٢٧، ص ١٩.

(٤) المصدر نفسه، الاجتماع غير الاعتيادي الثاني لسنة ١٩٢٧، الجلسة ٤، ٧ ايار ١٩٢٧، ص ٨٥٩.

الحكومة العراقية إلى الاهتمام بمسألة مهمة تصل باستقلال العراق وهي اصدار عملة عراقية على "اعتبار أن اصدارها هو إحدى دعائم الاستقلال..." مشبهاً إصدارها بـ "العملية الجراحية..." لـ "صعوبة وضع قواعد ثابتة لضرب العملة" مركزاً في الوقت نفسه على مسألة "الثقة المالية - بهذه العملة- في الأسواق الداخلية والخارجية"^(٥).

انتقد غنيمه الواقع الخدمي الذي أمست عليه الولايات العراقية^(٦) ففي الجانب الصحي وجه غنيمه طروحاته حول تدني الخدمات الصحية في الأولوية واقتصار الخدمات الصحية على المدن الكبيرة كالبصرة وبغداد والموصل فيما انعدمت العناية الصحية "في النواحي وفي القرى وحتى بعض الأقضية" مقترحاً "أن تكون هناك مستوصفات سيارة في الأماكن التي لا يمكن إنشاء مستوصفات دائمية فيها..."^(٧). وفي جلسة أخرى سلط الضوء على المستنقعات

(٥) م.م.ن، الجلسة ٥، ٢ ايار ١٩٢٧، ص ٨٨٧.

(٦) نظراً لكثرة الطروحات والمداخلات التي طرحها غنيمه أثرت الباحثة اختيار بعض منها.

(٧) المصدر نفسه، الاجتماع غير الاعتيادي الثاني لسنة ١٩٢٧، الجلسة ٨، ١١ ايار ١٩٢٧، ص ٩٦٤.

الذين هم في قسم التحقيقات الجنائية... ليؤهلهم هذا التدريب لإظهار الجرائم...^(٤).

لم تسلم نشاطات ولجان المجلس النيابي من انتقادات يوسف غنيمة عندما تساءل عن سبب إيقاف أعمال لجنة الإصلاحات اللغوية التابعة لمجلس النواب عن أعمالها ووفقاً لرغبات المجلس الذي أرصد لها المخصصات الضرورية في الميزانية العامة لسنة ١٩٢٦ مستفسراً عما إذا كانت اللجنة قد كلفت أن تشتغل مجاناً عندما قال "لا أظن أن تكليف هيئة تشتغل مجاناً موافق لأن الأشغال المجانية على رأي العراق أشغال سخرة..."^(٥).

ج- يوسف غنيمة نائباً في مجلس الأعيان:

أوردت المصادر أن ترشيح غنيمة كان بتركية من البطريك مار يوسف عمانوئيل الثاني - والذي كان يشغل عضوية مجلس الأعيان- الذي طلب من الملك فيصل الأول تعيين يوسف غنيمة في مجلس الأعيان- ومن جانبه كان الملك فيصل من المعجبين بشخصية يوسف غنيمة لذلك فما أن قدم مار يوسف استقالته من مجلس الأعيان حتى صدرت الإرادة الملكية المرقمة (٢٠٣) بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٥ واستمر

واخطارها على المدن العراقية مطالباً الحكومة بـ "رصد المبالغ الكافية لهذا الغرض..."^(١).

أما في الجانب الاجتماعي ركزت مداخلات يوسف غنيمة على أن تولي الحكومة اهتمامها لشريحة المتقاعدين مناشداً الحكومة "أن تولي المتقاعدين الذين يقدرّون على العمل ما يستحقونه مرة أخرى مقترحاً أن تعطيهم الدولة أرضاً يفلحوها ويزرعونها...^(٢) خاصة وأن "البلاد محتاجة إلى أيدي عاملة..."^(٣).

وفي محور آخر حذر غنيمة من ازدياد اعداد المساجين وعزا أسباب هذه الظاهرة إلى أسباب عدة منها "نقص المعارف... والهجرة إلى الأطراف والبلاد المهاجرة...^(٤) مشدداً في الوقت نفسه على تطبيق قانون المهاجر. أما السبب الثالث فهو "الأحوال الاقتصادية فالجوع هو الذي يسوق الكثيرين إلى ارتكاب الجرائم..."^(٥).

وفي موضوع ذات صلة بالجريمة حاول يوسف غنيمة "توجيه الأنظار إلى تدريب الضباط

(١) المصدر نفسه، الجلسة ٩، ٥ كانون الثاني ١٩٢٨، ص

١٩٠.

(٢) المصدر نفسه، الجلسة ٢، ٤ أيار ١٩٢٧، ص ٨١٨.

(٣) م.م.ن، الاجتماع غير الاعتيادي لمجلس النواب لسنة

١٩٢٧، الجلسة ٦، ٩ أيار ١٩٢٧، ص ٩١٨.

(٤) المصدر نفسه، الجلسة ٨، ١١ أيار ١٩٢٧، ص ٩٥٢.

(٥) غنيمة، المصدر السابق، ص ٧٣.

الحكومة أن تتخذ ما يجب للتوصل إلى حل يمكن للكاثوليك الاستفادة من القانون الأساسي...^(٣).

في ٢٨ أيار ١٩٥٠ كانت آخر جلسة حضرها غنيمه، في هذه الجلسة تمت مناقشة لائحة قانون الميزانية العامة لسنة ١٩٥٠ المالية ووضح من خلال مداخلته العجز اصاب هذه الميزانية ملقياً باللائمة على الحكومة العراقية لعدم اتخاذها الاحتياطات اللازمة مقدماً المعالجات اللازمة من خلال "زيادة الإيرادات وتقليص المصروفات وتشجيع الصناعة الوطنية..."^(٤).

المبحث الثالث

نشاطاته الثقافية

١- الصحافة:

بدأ يوسف غنيمه نشاطاته الثقافية في مراحل متقدمة من حياته وتحديدًا خلال النصف الأول من القرن العشرين واحتلت الصحافة مكانة

في عضويته لمجلس الأعيان حتى وفاته في ١٠ آب ١٩٥٠.^(١)

توزعت طروحات غنيمه على مواضيع عدة بين جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية... فعلى أثر اصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها القاضي بتقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ وجه غنيمه مذكرة إلى مجلس الأعيان حذر من خلالها من مخاطر الصحافة الأمريكية وعلى وجه الخصوص المقالات التي نشرتها مجلة نيوزويك ودعى من خلال مذكراته تلك إلى مقاطعة هذه المجلة^(٢).

وعند طرح لائحة قانون أصول المحاكمات لطوائف المسيحية على طاولة مناقشة مجلس الأعيان في ٢ آذار ١٩٥٠ كان لغنيمه مداخلته عندما قال: "لم يستقد الكاثوليك على اختلاف طوائفهم من كلدان وسريان وأرمن ولا تين وروم من احكام هذه القائمة وذلك لاختلاف وجهات النظر في بعض هذه الأحكام بين السلطة المدنية والسلطة الدينية... راجياً من

(١) م.م.ن، الاجتماع العادي لسنة ١٩٥٠-١٩٥١، الجلسة

١، ٢ كانون الأول ١٩٥٠، ص ٥. وأمام اتساع مشاركات

وطروحات غنيمه في جلسات مجلس الأعيان أثرت الباحثة

اختيار بعض النماذج من هذه الطروحات.

(٢) الشويلي، المصدر السابق، ص ١٧.

(٣) م.م.ن، الاجتماع الاعتيادي لمجلس الأعيان لسنة ١٩٤٨،

الجلسة ٩، ١١ تشرين الأول ١٩٤٨، ص ص ٥٧-٥٨.

(٤) المصدر نفسه، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٩/١٩٥٠،

الجلسة ١٢، ٢٨ أيار ١٩٥٠، ص ص ١٨٦-١٨٧.

متميزة من هذه النشاطات بحكم كونها المعرض الرئيسي لطرح أفكاره^(١).

امتلك غنيمة ثقافة عالية قلما نجدها في مثقفي عصره وما ساعده على تنمية هذه الثقافة إجادته لأكثر من لغة كالإنكليزية والفرنسية فضلاً عن عدد من اللغات الشرقية.

ابتدأ يوسف غنيمة نشاطه الصحفي موزعاً بين عدد من الصحف والمجلات ابتداً بمقالة دينية حملت عنوان "نظر في الوردية المقدسة" والتي نشرها في مجلة أكليل الورد^(٢). ليتبعها سلسلة مقالات في جريدة بغداد والتي عدت في حينها أول جريدة أهلية تولى إصدارها فرع جمعية الاتحاد والترقي في بغداد. واسهم غنيمة في رفد الجريدة بمقالات متنوعة وبعناوين شتى تناول من خلالها قضايا وبعناوين شتى نذكر منها

(١) وهنا لابد من الإشارة إلى أن غنيمة وفي غالبية مقالاته لم يذيل هذه المقالات باسمه الصريح وإنما بتوقيع مستعارة إذ بلغت توقيعه (١٦) توقيعاً نذكر منها عصامي، مبدئي، المنذر بن ماء السماء، بن قطر الندي.

(٢) صدر العدد الأول من هذه المجلة في كانون الأول ١٩٠٢ وجاء في ترويسها أنها مجلة دينية أدبية علمية شهرية تولى الآباء الدومنيكان إصدارها وكرست مقالاتها لنشر المذهب الكاثوليكي على نطاق واسع. للتفاصيل يراجع: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ٢٣-٣٢.

"كوكب الصباح" و"بحث في الشورى" و"الوطن والوطنية والاقتصاد" و"تكميل الافادة في البحث عن السعادة". وفي المقالة الأخيرة ينتقد ما ذهب إليه الكاتب والاديب "معروف الرصافي في حث المواطنين على العمل بالوظائف الحكومية ومن خلال مقاله هذه يوصي غنيمة المواطنين بالتوجه نحو الاعمال الحرة إذا كانت في الزراعة أم الصناعة وباقي نواحي الحياة لأن الأمة بحاجة إلى خدماتهم...".^(٣)

ومن الجرائد الأخرى جريدة صدى بابل^(٤). حيث كان يوسف غنيمة مسؤولاً عن إدارة هذه الجريدة إذ رفد الجريدة بعدد كبير من المقالات والأبحاث نذكر منها "أحوال الكلدان على توالي الزمان" و"إتقاء الزوجات" و"إنهاض الحمم في مدرسة مدينة الأمم" وعدد كبير من البحوث والمقالات^(٥).

فيما شكلت جريدة العرب^(٦) مرتعاً خصباً

لعشرات المقالات التي تولى يوسف غنيمة نشرها. إلا

(٣) غنيمة، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

(٤) جريدة صدى بابل، صدر العدد الأول منها في ٣ آب ١٩٠٩ وجاء في ترويسها انها صحيفة سياسية تجارية ادبية إخبارية هادفة، بطي، المصدر السابق، ص ١٦.

(٥) غنيمة، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٦) جريدة العرب: صدرت في بغداد في ٤ تموز ١٩١٧ وهي جريدة سياسية تاريخية ادبية كان الهدف من إصدارها

أن نقطة الانطلاق في نشاطات يوسف الصحفية كان في جريدة السياسة والتي تولى -وكما سبقت الإشارة إلى ذلك- مهمة اصدارها متخذاً من صفحاتها منبراً لطرح افكاره واتجاهاته السياسية حيث أوضح يوسف غنيمة خطة الجريدة في العدد الأول منها عندما قال "... وقد اتخذنا لنا منهاجاً وحيداً لا يجيد عنه مهما يكلفنا الأمر... نناضل لحقوق العراقيين بالبرهان والحجة وندافع عن استقلاله بالقلم واللسان...".^(١) فيما سلطت مقالاته الضوء على قضايا الساحة السياسية والداخلية والخارجية كشر القانون الأساسي وانتخابات المجلس النيابي وقضية الموصل وعلاقة العراق ببريطانيا واتفاقيات النفط التي وقعتها الحكومة العراقية مع الشركات الاحتكارية مستخدماً اسلوباً فصيحاً ومبسّطاً وفكرة واضحة في عرض افكاره من خلال عدد من المقالات نتقي منها افتتاحية حملت عنوان "الوزارة الهاشمية وامتياز النفط" مبيناً من خلالها التناقض في موقف هذه الوزارة مبيناً ومن خلال استعراضه للحوادث التاريخية التنازلات المستمرة التي قدمتها هذه الوزارة بشأن المعاهدة العراقية-البريطانية عندما قال "وهكذا كان

موقف المجلس التأسيسي إذ قبل المعاهدة فإنه اقتدى الموصل بالتساهل في أمر قبول هذه المعاهدة ويظهر أن الوزارة ضمنت شيئاً من منافع العراق المالية لصيانة سلامة البلاد من التجزئة في قضية الموصل فتساوت كفتا الميزان في قبول المعاهدة ومنح امتياز النفط وفي الأمرين تنازل عن منافع وربما كان التنازل الأخير أثمن من الأول والفرق بين الاثنين أن قبول المعاهدة وافقت عليه الأمة في شخص نوابها ووافقت على امتياز النفط الوزارة وحدها"^(٢).

شغلت قضية الموصل والمطالبات التركية بها الساحة السياسية فترة من الزمن وفي هذا المجال كتب غنيمة مقالة تصدرت صفحات جريدة السياسية حملت عنوان "نحن والأتراك" تقتطف بعضاً مما ذكر فيها "سنبقى حضوم الاتراك طالما النزاع عن قضية الموصل والحدود الشمالية قائم على ساق وقدم..."^(٣). والحقها بمقالة أخرى أكد ومن خلالها على أن مستقبل العراق السياسي والاقتصادي مرهون بقضية الموصل ومما جاء فيها "إن قضية الموصل قد أصبحت على قاب قوسين من البت فيها، وبقاؤها للعراق ضروري من الوجهتين الاقتصادية والدفاعية

مجادلة فرض الرأي السياسي لسلطات الاحتلال على المجتمع

العراقي.

(١) الجبوري، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٢) غنيمة، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

وعلى هذا الأمر الحيوي متوقف مستقبل دولة العراق،
فحق العراق صريح في قضية الموصل...^(١).

وعبر سلسلة من المقالات استعرض غنيمة
من خلالها الواقع الزراعي للمدن العراقية مقدماً من
خلال مقالاته تلك الحلول الناجعة نذكر تلك الحلول
"تأسيس بنك زراعي يسند إليه تقديم القروض
للفلاحين وبواسطة هذه القروض يتمكن الفلاح من
ابتاع البذور والأدوات وكل لوازم الزراعة... حتى
يخفف من ويلات الزراعة في العراق..."^(٢).

وفي حديث ذا صلة بالجانب الاقتصادي
دعى غنيمة أصحاب رؤوس الأموال إلى استثمار
أموالهم في مشاريع تخدم العملية الانتاجية كما شجع
أيضاً على "تأسيس شركات مساهمة لاستدراك
مرافق البلاد واكتار ثروة القطر وانماء أحوال الأمة"
مشترطاً أن تكون تلك الشركات وطنية مجتة. وفي
موضع آخر ينبه الحكومة والمواطنين من "تقليل الاعتماد
على رؤوس الأموال الأجنبية"^(٣).

أما بالنسبة للمرأة فاتخذ غنيمة من
الصحافة منبراً لتعزيز ثقة المرأة بنفسها والمطالبة
بمقوقها مستذكراً ومن خلال مقالاته المكانة التي كانت

تتمتع بها المرأة وعبر حقبة التاريخ المختلفة. مهاجماً
في الوقف نفسه العادات والتقاليد السائدة في المجتمع
العراقي والتي حجمت كثيراً من نشاطات المرأة^(٤).

كان للقضايا العربية الموقع الأكبر في مقالات
يوسف غنيمة نذكر منها قضية الريف المراكشي عندما
بارك وفي إحدى مقالاته نضال الريفيين وزعيمهم عبد
الكريم الخطابي بقوله "إن الريفيين وعلى رأسهم عبد
الكريم الخطابي... يجاربون الفرنسيين... بمقتضى ما
تطلبهم الحرب من قيادة فتية واستعداد والآت
عصرية..."^(٥).

واسوة بباقي الأقاليم الصحفية سخر غنيمة
قلمه لمساندة القضية الفلسطينية والمظاهرات التي
اندلعت في عموم الأراضي الفلسطينية لمقاومة اسرائيل
منتقداً وعبر إحدى مقالاته الأساليب والخطط
الاسرائيلية قائلاً "إن الصهاينة يأتون بالمال من أوروبا
 وأمريكا وينفقونه في سبيل تشييد الجامعات والمدارس

(١) تولى يوسف غنيمة نشر مجموعة من المقالات في مجلة
المقتطف وبعاونين مختلفة نذكر منها: "النساء والطب"، م
٤١، ج ٤، أكتوبر ١٩١٢، ص ص ٣٢٩-٣٣٦؛ المصدر
نفسه، م ٥٢، ج ٣، نوفمبر ١٩١٢؛ المصدر نفسه، "المرأة في
العراق"، م ٥٢، ج ٣، آذار ١٩١٢، ص ص ١٦٩-١٧٣؛
المصدر نفسه، "المرأة الفارسية قديماً وحديثاً"، م ٦١، يوليو
١٩٢٢، ص ص ٥٧-٦١.

(٢) الشويلي، المصدر السابق، ص ٤٦.

(١) الشويلي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢) غنيمة، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٣) الشويلي، المصدر السابق، ص ٤٩.

(المنشورة وغير المنشورة) عن هذا السياق فتراه يركز في إحداها على واحد من النشاطات الاقتصادية ألا وهي التجارة - قديماً وحديثاً - فيما خصص مؤلف آخر للحديث عن تاريخ اليهود منذ أقدم العصور وهكذا دواليك. والمطلع على هذه المؤلفات يلاحظ أسلوبه المباشر وعمق المعاني في الكتابة وامام كثرة مؤلفات وتعدد تخصصاتها ارتأينا تقسيمها إلى مجاميع متعددة:

أ- الكتب التاريخية (المنشورة):

١- برديسان والبرديصانية^(١):

وهو عبارة عن كتيب يتألف من ١٦ صفحة وهو في الأصل دراسة تولى يوسف غنيمه نشرها في مجلة المشرق البيروتية بعددها الثاني والصادر في سنة ١٩٢٠ ثم تولت مطبعة الآباء اليسوعيين وفي السنة ذاتها طبعها:

٢- تجارة العراق قديماً وحديثاً:

الكتاب في الأصل مجموعة محاضرات القاها يوسف غنيمه على طلبة المعهد العالي ببغداد، تولت عدد من المجلات وهي (مرأة العراق والهلل وجريدة

واسكان المهاجرين من اليهود الذين ينزلون فلسطين، يعمرن القرى والمزارع ويتاعون أراضي المسلمين ودور المسيحيين ويدفعون لهم ثناً ربما تجاوز قيمتها الحقيقية...^(٢).

كان يوسف غنيمه من المتأثرين بالنهضة الأدبية وتحديداً اليابان وقد كتب عن ذلك ما هو نصه "...اليابان أصبحت بعد أول مرة يطاول إنتظامها فلك المجوزاء حتى كادت أن تكون هي الدولة الوحيدة في العالم...^(٣).

٢- مؤلفاته:

يعد يوسف غنيمه أحد مثقفي العراق ممن امتازوا بغزارة اتاجهم المعرفي. إذ بدأ ومنذ مراحل مقدمة من حياته برصد الصحف والمجلات بكم هائل من المقالات والبحوث والتي تناولت جوانب مختلفة من تاريخية مختلفة ولم تخرج مؤلفاته من البحوث والكتب

(١) المصدر نفسه. تولى حارث يوسف غنيمه نجل يوسف غنيمه وفي كتابه الذي حمل عنوان السياسي والأديب يوسف غنيمه ١٨٨٥-١٩٥٠ من أركان النهضة العلمية في العراق الحديث حياته آثاره وعصره وفي ملحق خاص عناوين بحوث يوسف غنيمه ومقالاته والتي تولى نشرها في عدد كبير من الصحف والمجلات العراقية والعربية لذلك أكتفت الباحثة بإحالة القارئ إليها والاكتفاء بذكر بعض منها تجنباً للتكرار.

للتفاصيل: غنيمه، المصدر السابق، ص ص ٢١٤-٢٢٦.

(٢) الشويلي، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٣) البرديصان: بدعة تاريخية يرقى تاريخ ظهورها وفي العراق

تحديداً إلى القرن الثاني الميلادي.

ومؤلفه مجدith طويل تقطع بعضاً منه "أما صاحب هذا الكتاب فعجيب في جميع ما يكتب ويتكلم ويرثي. إذ قلما نرى من يضارعه في هذه الأمور الثلاثة لأنه إن كتب ابتدع وإن تكلم أفحم وإن ارتأى رأياً نر فيه من تقدمه... أما الكتابة على ما هو درة من الدرر، لأننا لم نر إلى الآن من تعرض للمباحث التي طرقها الكاتب المحقق...^(٢).

٤- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق:

صدر هذا الكتاب وبأكبر من طبعة كان أولها سنة ١٩٢٤ وآخرها سنة ٢٠٠٦ والكتاب من القطع المتوسط وفي ثنايا هذا المؤلف يجد القارئ بعض الصور الفوتوغرافية النادرة لليهود. يستعرض يوسف غنيمية في مؤلفه تاريخ اليهود في العراق من أقدم الأزمنة ويلحق بالكتب كلمة لير بصري بحكم كونه رئيس للطائفة الموسوعية.

كما يستفيض المؤلف في البحث باللغة العبرية وآدابها وتحديداً في بابل متناولاً وفي مواضع أخرى من الكتاب دور اليهود في افتتاح عدد من المدارس اليهودية في العراق^(٣).

الأحوال البيروتية وجريدة العراق) نشرها كل على حدة لتجمع هذه المحاضرات وتشر في كتاب مستقل وذلك سنة ١٩٢٢. يتناول فيه يوسف غنيمية نشأة التجارة عند الأمم القديمة من مصريين وفينيقيين واشوريين... مروراً بالعرب والتعاملات التجارية على عهد سيدنا محمد (ﷺ) ومن ثم العباسيين مقدماً وصفاً دقيقاً لأسواق بغداد، تعاملاتها وعملياتها وطرق التجارة المارة عبرها^(١).

٣- محاضرات في مدن العراق:

يتألف الكتاب من ١٣٦ صفحة أصدره غنيمية سنة ١٩٢٤ وهو مجموعة محاضرات في تاريخ العراق القديم القاها يوسف غنيمية على طلبه دار المعلمين العالية قدم ومن خلالها استعراضاً تاريخياً لأهم المدن العراقية نذكر منها أكد وأوروك وأور... مستعيناً في كتابه المادة التاريخية بما ذكره عدد من الرحالة الاجانب نذكر منهم لا يارد وبدج... فضلاً عن ما ذكر في التوراة وامهات الكتب العربية معجم البلدان لياقوت الحموي.

أثنت مجلة لغة العرب وفي عددها الثالث والصادر في ايلول سنة ١٩٢٦ على هذا الكتاب

(٢) نقلاً عن: غنيمية، المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٣) يوسف رزق الله غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط١، مطبعة الفرات، (بغداد، ١٩٢٤)، ص ٢١٢.

(١) يوسف رزق الله غنيمية، تجارة العراق قديماً وحديثاً، بحث تاريخي اقتصادي، ط١، مطبعة العراق، (بغداد، ١٩٢٢).

لأننا لم نرى الآن من تعرض للمباحث التي طرقها الكاتب المحقق...^(٣).

٥- الحيرة - المدينة والمملكة العربية:

بدأ يوسف غنيمه بإعداد هذا الكتاب سنة ١٩٣٢ إذ عمد غنيمه إلى استلال عدد من فصول هذا الكتاب ونشرها في عدد من الصحف والمجلات. ثم تولى جمع هذه الفصول في كتاب مستقل تم إصداره سنة ١٩٣٦.

تألف الكتاب من ٣٣٦ صفحة تناول من خلالها تاريخ هذه المدينة العميقة في تاريخها مستعينا بكتابة المادة التاريخية بكم من المصادر القديمة وبلغات مختلفة، منهجاً في الكتابة منهجاً شيقاً يظهر للقارئ تاريخ هذه المدينة بشخصها، ممتلكاتها، عاداتها واجناس أهلها... كما أعطى المؤلف صورة تفصيلية عن تطور الخط في مدينة الحيرة. الحق بالكتاب عدد من الصور الأثرية لمدينة الحيرة. لقي إصدار الكتاب أصداءً واسعة لدى الكتاب والمؤلفين العراقيين^(٤) ومنهم كوركيس عواد في رسالة وجهها إلى يوسف غنيمه بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٣٦ عندما قال "يحقق اللغة العربية

وفي هذا المؤلف يقدم يوسف غنيمه إحصائية بأعداد اليهود في العراق حتى سنة ١٩٢٠، وإحصائيات بأعداد طلبة المدارس اليهودية الرسمية للسنة ١٩٢١ بجوالي ٤٣١٦ طالباً، أما الفصل الأخير من الكتاب فأفرده يوسف غنيمه للحديث عن تاريخ المزارات اليهودية في بلاد الرافدين^(٥).

لقي هذا الكتاب استحساناً تصدر صفحات عدد من الصحف والمجلات تذكر احداها "انه بحث جليل في تاريخ الاسرائيليين من أقدم العصور إلى اليوم، فيه من الفوائد الممتعة ما عانى في تأليفه عناءاً كبيراً وتصفح كتب عديدة في اللغات الشرقية والغربية..."^(٦).

أثنت مجلة لغة العرب في عددها الثالث والصادر في أيلول ١٩٢٦ على هذا الكتاب ومؤلفاته بجديث طويل تقطع بعضاً منه، أما صاحب هذا الكتاب فعجيب في جميع ما يكتب ويتكلم ويرتأي. إذ قلما نرى من يضارعه في هذه الأمور الثلاثة لأنه إن كتب ابتدع وإن تكلم أفحم وإن ارتأى رأياً نرى فيه من تقدمه... "أما الكتاب على ما هو درة من الدرر،

(٣) نقلاً عن: حارث يوسف غنيمه، المصدر السابق، ص

(٤) للمزيد: يراجع حارث يوسف غنيمه، المصدر السابق،

(٥) يوسف غنيمه، نزهة المشتاق ص ٢١٦، ص ٢٥٢.

(٦) الشويلي، المصدر السابق، ص ٦١.

اليوم أن تفخر بوجود كتاب نفيس مثل كتابكم، الذي
سد فراغاً بارزاً في تاريخ العراق...^(١).

ب- مؤلفاته (غير المنشورة):

ليوسف غنيمه مؤلفات (غير منشورة) كان
في النية أن يقوم بطباعتها لولا أن المنية عاجلته نذكر
منها "مباحث عراقية"، "أنظار اقتصادية"، "ازدهار
وأثمار"، "نشر الدفين في مذاهب الأديين والثوئين"،
"مالية العراق في عهد العباسيين"^(٢).

ج- أدب الرحلات:

١- رحلة إلى كربلاء:

يعد يوسف غنيمه أحد أولئك الأشخاص
الذين أولوا لأدب الرحلات حيزاً من اهتمامهم عندما
قام وخلال مسيرة حياته بعدد من الرحلات -داخل
العراق وخارجه- قدم من خلالها وصفاً دقيقاً وعموم
الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بلغة
عربية سلسلة واسلوب أدبي رفيع وتناسق في الألفاظ
وليوظف هذا الوصف أما في دراسته مستقبلاً أو في
بحث تولى نشره في إحدى المجلات والنماذج كثيرة على
ذلك ففي سنة ١٩٠١ وأثناء زيارته إلى كربلاء
المقدسة وحال وصوله إلى مشارف هذه المدينة يردف

غنيمه قائلاً "فتراءت لنا كربلاء ورأينا بين عسب
(جمال) النخيل مآذنها المذهبة وقبابها المزينة
بالقاشاني وأبراج ساعاتها الشاهقات فعلمنا أننا على
مقربة من أمهات مدن العراق. كما يصف المرقد
الحسيني الطاهر بقوله هو "أكبر معهد ديني في كربلاء،
وربما كان من عداد المعاهد الدينية الكبرى في
العراق"^(٣).

٢- رحلة إلى إيران:

دون غنيمه تفصيلات هذه الرحلة في كتاب
مستقل أصدره سنة ١٩٢١ والذي عني بتحقيقه
ودراسته بعد مرور فترة طويلة على إصداره كل من
د. طارق الحمداني وبيداء علاوي شمخي، وصدر
عن دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع^(٤).

وتأتي أهمية هذه الرحلة في الوصف الذي
قدمه غنيمه للمدن الإيرانية والتي كانت تعيش أوضاعاً
متدهورة بتأثير الحرب العالمية الأولى وانعكاساتها على
المدن الإيرانية، ويستمر غنيمه في وصفه طوال طريق

(١) يراجع تفصيلات الرحلة في: يوسف رزق الله غنيمه،
"خواطر في العراق"، مجلة المقتطف، ج١، م ٥٥، ١ تموز
١٩١٩، ص ص ١٤-١٦.

(٢) كان غنيمه -وكما سبقت الإشارة إلى ذلك- قد أسس
مصلحة للنقل بالسيارات بين العراق وإيران ويهدف الإشراف
على هذه المصلحة قرر يوسف غنيمه سنة ١٩٢١ أن يقوم
بزيارة إيران.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٢٨٩-٢٩١.

(٤) للمزيد حول هذه المؤلفات يراجع: المصدر نفسه، ص ص
٢٩١-٢٩٧.

ويذكر غنيمه انه دَوّن هذه الرحلة في دفترين صغيرين حجم صفحاتها ١٤x٩ سم، فضلاً عن الأمور الشخصية والعائلية التي دَوّنها يوسف غنيمه تطرق إلى مواضيع تخص الشؤون العامة وعلى وجه الخصوص المبتكرات الحديثة التي لم يعرفها العراق كالسينما والمصعد الكهربائي... "وكل ما استرعى انتباهه، مع تركيز وصفه على المتاحف وخص بالذكر تلك التي تحتوي كوز بلادنا الأثرية والتي استولى عليها الاجانب ونقلوها إلى بلادهم...". صدر الكتاب في ١١٢ صفحة كما احتوى الكتاب على عدد من الصور تولى نجله حارث يوسف غنيمه التعليق عليها كما أضاف للكتاب ترجمة ما نشرته الصحف عن سفرته وتحديدًا جريدتي "شيكاجو تريبون" و"مانشستر غارديان" بعد أن قام بترجمتها من الانكليزية إلى العربية^(٢).

د- البحوث المنشورة:

اهتم غنيمه اهتماماً كبيراً ومنذ مراحل متقدمة من حياته بالأبحاث وعلى وجه الخصوص الأبحاث التاريخية والاقتصادية حتى بلغ مركز الصدارة بين المشتغلين بهذه المواضيع في العراق حيث أثنى على مجهوداته تلك عدد من الأدباء والمفكرين نذكر منهم روفائيل بطي الذي قال عنه "بجائته في التاريخ

الرحلة وحتى وصوله إلى بغداد التي كانت تعاني هي الأخرى من تراجع في الخدمات المقدمة لساكنتها (صحية، تعليمية، ... الخ) وهنا تنطلق مطالبات يوسف غنيمه بالاصلاح ولم يكن غنيمه فيما اورده من معلومات حول المناطق التي زارها بل انه كان يطرح وجهة نظره في المعلومات التي اختلفت فيها الآراء فيقول (أما أنا فأرجح)^(١).

٣- رحلته إلى أوروبا:

في سنة ١٩٢٩ وعلى اثر توعك صحة يوسف غنيمه سافر إلى أوروبا مع عائلته وخلال سفرته تلك وصف غنيمه طريق السفر من بغداد إلى الشام إلى لبنان (سوق الغرب) حيث مكثت عائلته ليتابع هو السفر لوحده إلى حيفا فالقاهرة فروما فباريس فلندن ليعود إلى باريس ففينيسيا فاستنبول ثم حلب فلبنان واصطحب عائلته ليعود إلى بغداد التي وصلها في ٣ تشرين الأول ١٩٢٩ عن طريق بيروت-الشام. ورغم مرض غنيمه اتسمت هذه الرحلة بالبراعة في التعبير

(١) أورد غنيمه في مؤلفه هذا تعاريف ملاحق جريدة المدى للمدن والقصبات والقرى العراقية والایرانية مستنداً في تعريفاته تلك على ما أورده عدد من المؤرخين نذكر منهم ياقوت الحموي والمستولي القزويني وآخرون. قحطان جاسم جواد، "رحلة إلى إيران قراءة في أدب الرحلات ليوسف غنيمه"،

ملاحق جريدة المدى، العدد ٤٣٤٧، ٢٠١٩.

(٢) "يوسف غنيمه ورحلته إلى أوروبا"، ملاحق جريدة

المدى، العدد ٤٣٥٧، ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٩.

والاقتصاد وكانت له أبحاث ذات قيمة، كثير الدرس والتحقيق سهل الأسلوب في كتابته التي يسترضاها العامة وتنزل عند حكم الخاصة بالإجادة"^(١).

امتازت بحوث يوسف غنيمه بالتنوع إذ لم تترك نشاطاً سياسياً اقتصادياً اجتماعياً إلا وتناولته بالبحث والتحقيق ففي أحد بحوثه التي حملت عنوان "كوزنا الأثرية" تناول وبشيء من التفصيل تاريخ البعثات الأثرية التي وفدت إلى العراق وتحديدًا تلك التي نقت على الآثار في مدينتي بابل وآشور وجهود هذه البعثات المحمومة في تهريب الآثار للعراق محذراً في الوقت نفسه من هذه النشاطات التي لا تقل خطورة عن نشاطات القوى الاستعمارية في الهيمنة على مقدرات العراق السياسية فـ "إذا كان زيت العراق ومعادنه مطمع أنظار الباحثين، وإذا كان خصب أراضيه مطمع أصحاب رؤوس الأموال والاقتصاديين فإن كوزه الأثرية وعادياته العريقة في القدم لا تقل خطورة اقتصادية وعلمية في عيون الغربيين والشرقيين"^(٢).

وفي بحوث أخرى تناول وبشكل مفصل واقع الملكية الزراعية في العراق منتقداً في بحوث أخرى قلة الاهتمام الحكومي بقطاع الزراعة مقدماً في نفس الوقت

الحلول الناجمة لانتشال هذا القطاع مسلطاً الضوء على أهمية الزراعة في دعم الاقتصاد العراقي ففي هذا المجال نشر بحثاً في مجلة المشرق تحت عنوان "نخل العراق وثمره-نظر زراعي اقتصادي" تطرق من خلاله مناطق زراعة هذا المنتج وأنواعه ومردود هذا المنتج على الاقتصاد العراقي.

وانتقى غنيمه بعض الشخصيات التاريخية مسلطاً فيها الضوء على سيرتها الذاتية نشاطاتها السياسية والأدبية وكل حسب اختصاصه نذكر منها "أبو زيد حنين بن اسحق" والخليفة العباسي المستنصر بالله^(٣).

كان الفلكلور العراقي إحدى المحاور التي أفرد لها عدد من بحوثه نذكر منها بحته الموسوم "الأمثال العامية في البلاد العربية" تناول ومن خلالها (١٢٠) مثلاً تداوله العراقيون وعبر سنوات طويلة عني غنيمه بترتيبها ترتيباً هجائياً مع التعليق عليها بحواشي خصصها لإيراد معانيها وتفسير لغتها فيما تناول وفي بحث مفصل موضوع الخرافات التي توارثها المجتمع البغدادي ببحث حمل عنوان "نبذة فكهية في

(١) الشويلي، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٦٧-٦٨.

(٣) مجلة لغة العرب، ج٣، ايلول ١٩٢٦، ص ص ١٢٩-١٣٩،

حارث يوسف غنيمه، المصدر السابق، ٣٣٤

الخرافات العامة" استعرض ومن خلاله الخرافات المتداولة لدى البغداديين^(١).

يُعد غنيمة أحد المثقفين الذي عرف عنه كثرة الهمة في قراءة الكتب وتقديم عرض تحليلي عن محتوياتها يتولى نشره في عدد من المجلات نختار منها كتاب "مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد ليعقوب سركريس وكتاب خواطر طونزند والتي قام بترجمتها عبد المسيح جويده وكتاب عبد الرزاق الحسني موجز تاريخ البلدان العراقية"^(٢).

كانت اللغة العربية إحدى المجالات التي استرسل فيها قلم غنيمة عندما قدم أحد بحوثه بعنوان "اللغة العربية في طورها الأول" ليتوسع فيما بعد في أبحاثه اللغوية وقد أعان غنيمة في مهمته تلك إجادته ولأكثر من (لغة شرقية) وبالتالي كان لهذه المعرفة تأثيرها في المباحث اللغوية التي تناولها بالشرح والتمحيص وتحديدًا مما يتصل بالمعجم العربي أو بالنحو العربي، فجاء بجته المعنون "الألفاظ الآرامية في اللغة العراقية العامية" نموذجاً على ذلك^(٣).

كانت القصة أحد أبواب الفن الأدبي التي طرقها غنيمة حتى عد من رواد القصة في العراق

وباعتراف مؤلفي عصره^(٤). متخذاً من شخص قصصه رموزاً انتقد ومن خلالها واقع الحياة السياسية والاجتماعية... وتأتي قصته "غادة بابل" التي تولى من خلالها رصد الحياة البابلية عندما نقل للقارئ مشاهد حية عن الحياة اليومية للبابليين طقوسهم عاداتهم تقاليدهم مع وصف لمدينة بابل وحياتها فلاحيتها وعملها.

ووصف مآثمهم وطقوسهم داخل المعابد وللإطلاع على تفاصيل هذه القصة يلمس وبشكل واضح أن غنيمة اطلع على الكثير من مؤلفات علماء الآثار حتى يقدم مثل هكذا قصة وبهذه التفاصيل الدقيقة^(٥).

مارس غنيمة الشعر وامتازت أبياته بالجرأة وقوة السبك نذكر من قصائده (أم الطفل في معترك السلب) و(الحريق في بغداد) و(عيد النهضة) و(ليالي في الكرادة) و(سقوط بغداد) نستل بعض الأبيات من القصيدة الأخيرة:

ما بال بغداد قد وخفق بالأهل

ضاقَتْ بها منها اليوم ترحال

(١) بصري، اعلام البقطة الفكرية في العراق، ص ١٦٧.

(٢) للاطلاع على تفاصيل هذه القصة ينظر: مجلة لغة العرب،

الأعداد ١، فبراير ١٩٢٨، ص ص ٣٧-٤٢؛ المصدر نفسه،

العدد ٣، أبريل، ١٩٢٨، ص ص ٢٠٨-٢١٣؛ أرشيف

الشارخ للمجلات الأدبية والثقافة، مجلة لغة العرب:

preview<belatest.sakhrit.CQ

(١) حارث يوسف غنيمة، المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٢) الشويلي، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣.

الحال	فيها وللناس	وسبر أغوارها من كتابته في مجال التاريخ
بالأمس كانت	اشغال وأعمال	والشعر والقصة.
بقيا الجند	واليوم للترك لا قيل	- يلاحظ القارئ خفوت في نشاطات غنيمة
رابضة	ولا قال ^(١)	الأدبية خلال الفترة من سنة ١٩٢٨ وحتى
وكان للترك		وفاته سنة ١٩٥٠ وذلك بسبب دخوله
فوضى من		معتك الحياة السياسية بعد فوزه بمقعد في
تجبرهم		كل من المجلس التأسيسي ومجلس النواب
		والأعيان ثم تقلده مناصبي وزارتي المالية
		والتأمين.

الخاتمة

- يعد غنيمة أحد أعمدة الفكر الحديث وباعتراف من كثير كتاب ومؤرخي تلك الفترة وذلك بحكم التاريخ الطويل وإسهاماته الفكرية في الصحف والمجلات والتي تم استعراضها وخلال صفحات هذا البحث والتي ابتدأها يوسف غنيمة في مراحل مقدمة من حياته وتحديداً في العقد الأول من القرن العشرين من خلال إسهاماته في مجلتي أكليل الورد والمشرق مروراً بإدارته لصحيفة صدى بابل... ومجلتي لغة العرب والمقتطف...

- امتازت نشاطات غنيمة الثقافية بالتنوع فلم يترك جانباً من جوانب الحياة الثقافية إلا

(١) الشويلي، المصدر السابق، ص ص ٧٩-٨٢.

المناسبات والأعياد الدينية في الموصل منذ أواخر العهد العثماني وحتى سنة ١٩١٨م

د. عروبة جميل محمود

الملخص:

عرف أهل الموصل بجميع دياناتهم وطوائفهم عن اهتمامهم الكبير بالمناسبات والأعياد الدينية وذلك لارتباط الأهالي بدياناتهم، فمثلاً يحتفل المسلمون بقدوم شهر رمضان ومجول عيد الفطر المبارك وحلول عيد الأضحى المبارك، وللأديان والمعتقدات الغير إسلامية أعياد ومناسبات فمثلاً، النصارى يحتفلون بعيد المسيح وغيرها من المناسبات الدينية المعروفة لديهم أما الطائفة اليزيدية فيحتفلون بعيد الحيا وغيرها من الأعياد وقد تبين من خلال البحث عدة أمور أهمها ان لكل ديانة من الديانات لها مناسباتها وأعيادها الخاصة بها التي يحتفلون فيها، كما أشارت هذه الدراسة إلى وجود زيارات مشتركة بين المسلمين والنصارى لبعض الأماكن الدينية في الموصل. وذلك لاعتقادهم بمكانتها الدينية.

Religious Festivals and Occasions in Mosul from the Late of the Ottoman Reign to 1918

Assistant Professor : Oruba Jameel Manhood Othman.

Mosul Studies Center

Abstract:

Mosulis were and are still, of all faiths, devotes much attention to celebrate religious festivals and occasions because they intimately connected with their religions. For instance, Muslims were celebrating the advent of the holy month of Ramadan and Id al Adha (a sacrificial festival) . Christians also celebrated their own religious festivals and occasions. Whereas Yazidi sect was celebrating Al-Mhyah festival and other festivals.

The research found out that each religious sect in Mosul had festivals and occasions of her own, and some Muslims have in common with the Christian religious visits to certain holy shrines.

المقدمة:

أهالي المدينة بإنارة الشوارع بقناديل كثيرة إلى جانب إيقاد الشموع في البيوت الموصلية، التي تمتاز بكونها شموع ذات موصفات خاصة، إذ يبلغ طول الواحدة منها قرابة المتر، في حين يبلغ قطرها نحو عشرين سنتمترًا ويجري تثبيتها على قطعة خشبية تتركز على ثلاثة قوائم خشبية، بحيث تبدو كأنها تحفة فنية مضيئة . وكان معظم أهالي الموصل يحرصون على مجالسة علماء الدين في هذا الشهر المبارك للاستماع إلى المواعظ الدينية والتربية فضلاً عن النصح والإرشاد والتوجيه الاجتماعي، وعند أذان الإفطار تتجمع العوائل حول الموائد في بيوتها، ثم تقوم بإداء الصلوات المفروضة، لينطلق بعدها الأهالي ولاسيما من الرجال لارتداء المقاهي الشعبية للتسلية وممارسة بعض الألعاب الشعبية الشائعة في شهر رمضان^(١) ويعد الاحتفال بحلول عيد الفطر وعيد الأضحى المباركين من المناسبات الإيمانية التي حرص الأهالي على إحيائها، فقبل عيد الفطر يبادر معظم أهالي إلى توزيع الصدقات على الفقراء والاحتاجين والمعوزين من السكان والتي تعرف شرعاً باسم (زكاة الفطرة) ولم يقتصر الأمر على ذلك إذ يبادر أثرياء الموصل ووجهاؤها بتوزيع الأموال النقدية والعينية على الفئات الاجتماعية الفقيرة، وذلك بهدف مد جسور الألفة

تطرقت الدراسة إلى التعرف على طبيعة المناسبات والأعياد الدينية في الموصل منذ أواخر العهد العثماني وحتى سنة ١٩١٨م، إذ يحتفل المسلمون بقدم شهر رمضان المبارك بصيامه وقيامه والاحتفال بحلول عيد الفطر المبارك وحلول عيد الأضحى المبارك، وللأديان والمعتقدات غير الإسلامية أيضاً أعيادها ومناسباتها إذ يعد يشكل النصاري أهل الكتاب الديانة الثانية في الموصل إذ يحتفلون بعيد السيد المسيح والذي يصادف في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول من كل سنة فضلاً عن أهم الأعياد المعروفة لدى النصاري عيد الدنح وعيد الباعوثة وعيد السعائين وعيد السلوقه وعيد الغشيش، أما الطائفة اليزيدية فيحتفلون بعيد الحيا، والذي يصادف منتصف شهر شعبان من كل سنة هجرية وعيد السر صالي وعيد القربان وعيد الجماعة وعيد حضر الياص .

حرص أهالي الموصل على إقامة الاحتفالات في المناسبات الدينية، وذلك لارتباط الأهالي بدياتهم . فبالنسبة للمسلمين يعد شهر رمضان المبارك من المناسبات الدينية التي يحتفي الموصليون بصيامه وقيامه ابتداءً من استقباله بالصوم ونشر معالم الابتهاج والفرح التي تتناسب مع حرمة هذا الشهر المبارك، إذ يبدأ

والحبة والتعاون، ناهيك عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ولذلك كانت العوائل الموصلية الثرية تنفق اليتامى والأرامل في المقام الأول ثم تقوم بتوزيع الصدقات والهبات على بقية فقراء المدينة^(٢)

وفي فجر اليوم الأول من العيد يهرع أهالي الموصل للصلاة في الجوامع، حيث يتبادلون التهاني والتبريكات بمناسبة عيد الفطر، ثم يتوجهون لاداء مراسم زيارة قبور موتاهم لقراءة سورة الفاتحة على أرواحهم تبعاً لسنة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) كما كانوا يستثمرون الزيارة لغرض توزيع ما يتيسر لديهم من الأموال والخيرات عند القبور، ليعودوا بعدها إلى بيوتهم، ولتبدأ فعالية اجتماعية أخرى من خلال تبادل الزيارات فيما بينهم، وفي ذات الوقت يذهب الأطفال إلى الأماكن للألعاب الشعبية المخصصة لهم للتسلية، والتي تمثل بالعاب النواخير، المراجيح، والتي كانت تقع في أماكن معينة في مدينة الموصل^(٣).

تعبيراً عن حبهم لرسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقد كان أهالي الموصل وما يزالون يحتفلون بالمولد النبوي الشريف في الثاني عشر من شهر ربيع الأول الهجري من كل عام، ويبدأ الاحتفال في ليلة

المولد بالاستعداد بإقامة الحيام الكبيرة وإظهار معالم الزينة في الأسواق والحلات الشعبية حيث يسهم أهالي المدينة ابتهاجا بهذه الذكرى العطرة وعلى مستوى الاحتفاء الديني، ينشط أهالي الموصل في إقامة حلقات الذكر بعد صلاة العشاء إلى جانب المناقب النبوية التي تقام في عدد من جوامع الموصل، ومنها جامع النبي جرجيس، والجامع الكبير (جامع نور الدين زنكي)، وفي هذا المجال فإن التكايا الصوفية تقيم هي الأخرى حلقات الذكر أحتفاء بهذه المناسبة، ويشارك كبار علماء الدين مشاركة فعالة في الاحتفال بالمولد الشريف، إذ يعمدون إلى شراء الذبائح لأجل توزيع لحومها على الفقراء والمساكين ويمكن القول أن مناسبة مولد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت تمثل مناسبة دينية تجمع مختلف شرائح المجتمع الموصلية في حبهم للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم).^(٤)

وللأديان والمعتقدات غير الإسلامية أعيادها ومناسباتها، ويشكل النصارى (أهل الكتاب) الديانة السماوية الثانية في مدينة الموصل، ويعد الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) من أهم الأعياد الدينية التي يحيى ذكرها النصارى في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول من كل سنة، ومن مراسيم هذا العيد، الاستعداد للصلاة في منتصف الليل عبر الإيذان بها بعد قرع ناقوس الكنائس في تمام

ومن الأعياد الدينية المعروفة لدى النصارى
،عيد الدنح ،ويقصد به الاحتفال بذكرى تعميد السيد
المسيح في نهر الاردن، وكانت تجري مراسيم هذا العيد
من خلال جلوس رجلين من أعيان النصارى منذ
الفجر بالقرب من باب الكنيسة إذ يضعان أمامهما إناء
كبيرا يحتوي على ماء يعتقد النصارى أنه مبارك، كما يو
ضع في داخل هذا الإناء صليب كبير وهو رمز تعميد
السيد المسيح (عليه السلام) ويتوجب على كل خارج
من الكنيسة أن تقوم بتقبيل الصليب^(٩).

وهناك (عيد الباعوثة)^(١٠) أحد أعياد

النصارى الدينية ،والباعوثة هي كلمة سريانية تعني
الدعاء إلى الله تبارك وتعالى في حالة مواجهة
المصائب الشديدة ويتوجب على النصارى في هذا
العيد الصوم لمدة ثلاثة أيام وكان من طقوس هذا العيد
أن يتضمن أولا التراتيل الدينية والأدعية والتوبة عدم
ارتكاب الذنوب ،أما فيما يتضمن الثاني إلقاء مواعظ
دينية من الكتاب المقدس (الإنجيل)^(١١).

وقد يرافق هذا العيد صلوات طويلة تمتد
من صباح اليوم حتى ظهيرة ويمتنع الصائمون عن تناول
الدهون والبروتينات ذات المصادر الحيوانية ،وهناك
إشارة إلى صيام بعض النصارى ثلاثة أيام متتالية
،ويتوج العيد بصناعة نوع خاص من الحلويات المعروفة

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ،إعلانا يبدأ الاحتفال
وعند الصباح يتوافد النصارى مع عوائلهم وهم يزينون
بأزياء العيد قاصدين الكنائس للالتقاء وتبادل التهاني
والمسرة والأفراح فيما بينهم ،بينما ينشر فيها الأطفال
ويندفعوا بنشاطاتهم المختلفة بشراء أنواع الحلوى
وممارسة الألعاب التي تناسب أعمارهم ،ولعل أجل
الصور الدينية تكمن في اجتماع العوائل النصرية في
الكنيسة^(٥) وهم يتحلقون حول القسيسين^(٦) يسمعون
منهم الكلمات والمواعظ الدينية ،وترنيمات الشماسين
بهذه المناسبة^(٧).

وتهيئ العوائل النصرية وجبات طعام
خاصة بهذه المناسبة وفي الغالب تكون ،بما يعرف
لدى أهالي الموصل ب (أكلة الباجة) ،ويبدو أن هذا
تقليد اجتماعي لدى النصارى في العيد إذ تكتنف
هذا الفعالية الاحتفالية الخاصة بأعداد الطعام بعض
الطرائق التي من شأنها مباهاج الفرح والسرور لدى
الحاضرين ، والمتمثلة بإقدام البعض من أقارب أو
أصدقاء العائلة سرقة الطعام ،وهذه الحالة تكون
مقبولة لدى الطرفين ،لأن القصد منها إشاعة الفرح
والسرور ليس إلا ذلك . ويتبع ذلك زيارة العوائل
النصرية بعضها البعض الآخر لتقديم التهاني بهذه
المناسبة^(٨).

لدى أهالي الموصل بتسمية (حلاوة خضر الياس)
(١٢).

ويستعد النصارى للصيام الكبير الذي يكون
توقيته عادة في فصل الربيع في الفترة الواقعة ما بين نهاية
شهر شباط وبداية شهر نيسان من كل عام^(١٣) إذ
ينقطعون طوال هذه الفترة عن تناول الاطعمة التي من
أصل حيواني كافة واللحوم والبيض وكذلك الدهون
لمدة خمسين يوما^(١٤).

ويحتفل النصارى أيضا ب (عيد السعائين)
، وذلك في يوم الأحد والعيد يشكل تمجيدا لذكرى
دخول السيد المسيح (عليه السلام) مدينة القدس أو
يحتفل النصارى بهذا العيد وهم يحملون سعف النخيل
وأغصان الزيتون مرتلين الأناشيد الخاصة بهذا العيد
، إلى جانب إظهار معالم الزينة وارتداء أبهى الأزياء
وتبادل التهاني ، ويقفون في رعاية شماس الكنيسة
، يتقدمهم الساعور ، ويطلقون في محلات المدينة ، حيث
تقدم النساء النقود والبيض للساعور ، ويتم تقسيمها
فيما بعد على القسس والعاملين في الكنيسة^(١٥).

وهناك "عيد القيامة" يحتفل فيه النصارى ، وهو من
الأيام المباركة عندهم بمناسبة قيامة السيد المسيح
(عليه السلام) ، أما طقوس هذا العيد فتتمثل بتوافد
جموع النصارى إلى الكنيسة^(١٦) لغرض حضور
القداس^(١٧) الذي يتلى من خلال قصة قيامه المسيح

(عليه السلام) بعد صلبه، لتبدأ بعدها أداء الصلوات
الدينية النصرانية^(١٨) ويتبع ذلك فعاليات تقوم بها
النساء وذلك بسلق البيض وصبغه بمختلف الألوان
حيث يأخذه الأطفال إلى ساحات اللعب التي يكون
البيض فيها أساسا لمرحهم وسرورهم بهذا العيد
(١٩).

كما يحتفل النصارى بعيد السلوكة (الصعود)
ويقصد به صعود السيد المسيح (عليه السلام) إلى
السماء ، ويحتفل بهذا العيد بعد مرور أربعين يوما على
عيد القيامة ، وتتركز مظاهر الفرح والسرور في هذا
العيد من خلال طقس رش المياه على الآخرين وكذلك
على المارة تعبيرا عن بهجة هذا العيد ، ولذلك غالبا
ما كان يتخرج غير المسيحيين المروور في طرقات
ومحلات تواجد النصارى تقاديا لتعرضه لوابل من المياه
، لذلك عرف هذا العيد في الأوساط الشعبية الموصلية
باسم (عيد الغشيش)^(٢٠).

أما بالنسبة لطائفة اليزيدية ، أحد شرائح
الجموع الموصلية ، فلهم أعيادهم الخاصة وفق
معتقداتهم ، ومنها (عيد الحيا) الذي يحتفل به اليزيديون
في منتصف شهر شعبان من كل سنة هجرية ، حيث
يتقدمهم أمير اليزيدية ومعه مجموعة من رجال الدين
لتأدية الصلاة التي يعتقدون أنها مفروضة عليهم بسياق
يختلف عما هو موجود لدى المسلمين ، حيث تتم

الصلاة بسبع ركعات على نحو متواصل وبسجدة واحدة، وتقرأ في أثناء ذلك سورة الإخلاص مئة مرة، وبعد انتهاء الصلاة تقدم الموائد من الطعام والتي تكون بإشراف خادم مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري، وبعد الانتهاء من الطعام يشرعون في الصلاة بستة ركعات متواصلة، مع تلاوة سورة القدر في الركعة السادسة وعلى وفق اعتقادهم فان أداء هذه الصلاة بمجموع ركعاتها تعادل مجموع صلوات سنة بأكملها ويتبع ذلك فعالية دينية يتم من خلالها تجمع الأهالي والعوائل مع بعضهم البعض لتبادل التهاني والأحاديث الاجتماعية فيما ينشط فيه (القوالون) وهم المسؤولون عن أداء الأناشيد الدينية، وإشاعة الأحاديث والقصص ذات المقاصد التربوية والدينية، ويتبادلون الأطعمة ثم ينصرفون^(٢١).

ويعد (عيد السرصالي)، ويراد به عيد رأس السنة من الأعياد المهمة لدى الطائفة اليزيدية، وتأتي أهميته لكون السنة حسب المعتقدات الدينية اليزيدية، تبدأ في اليوم الأول من شهر نيسان، حيث يكون لهذا العيد كل التقديس والاحترام، لأنهم يعتقدون انه في هذا الشهر قد تزوج الأنبياء وبناءا عليه فأنهم يحرمون عقد الزيجات في شهر نيسان، تجاوزا للتشبه بالأنبياء وفق معتقداتهم. كما أنهم يعتقدون أن الملائكة (عليهم السلام) حيث يأمرها (الله

تعالى) بالالتفاف حوله، وبعد ذلك يصدر (الله تعالى) الأمر والإرادة إلى (طاووس ملك) الذي يهبط إلى الأرض ويطبق ما يرغب في تعاليمه لأبناء الطائفة اليزيدية^(٢٢). يأخذون معهم إلى قبور موتاهم، كما يرتدون في هذا العيد الأزياء الجميلة حيث تزين نسائهم بالحلي الذهبية^(٢٣) ويقمن بجمع الزهور ذات اللون الأحمر^(٢٤). ويضعنها في ثلاث أماكن متساوية الأبعاد من بيوتهن، كما يعمد أبناع الطائفة اليزيدية بهذا العيد إلى تلوين بيض المائدة^(٢٥) بألوان مختلفة، للتعبير عن مظاهر الفرح والسرور، في حين يتجمع الرجال في المقاهي والطرقات لممارسة لعب القمار^(٢٦).

ومن أعياد اليزيدية الأخرى (عيد القربان)، ويسمى أحيانا بعيد الحج، وحقيقة هذا العيد أن اليزيدية يأمنون نحو وجهتهم مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري (الكائن في منطقة عين سفي بقضاء لشيخان) يومي السابع والثامن من شهر ذي الحجة الهجري، فهم يعتقدون أن (الطاووس ملك) قد أمر النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) أن يذبح ابنه إسماعيل، ولكن (طاووس ملك) أمر إبراهيم (عليه السلام) بعدم الإقدام على ذبح ابنه وان يفديه بكبش ويؤمن اليزيدية أن صورة هذا الكبش مازالت موجودة في خزانة مقللة في قرية (باعدرة) التابعة لقضاء الشيخان. ومن مراسيم هذا العيد صعود الحجاج

اليزيدية إلى جبل لاش (وهو جبل مقدس لدى اليزيدية ويسمونه عرفات وهو يطل على مرقد الشيخ عدي الهكاري من الجهة الشرقية ويتقدمهم ما يعرف بأمر الحج ومعيتة رجال الدين، فيما تسير وراءهم جموع اليزيدية، فيشرعون بالدعاء إلى الشيخ عدي الهكاري ويطلبون الغفران لذنوبهم وقبيل الغروب ينزلون باتجاه الوادي، ثم يدخلون المراقد المقدسة، وتنتهي المراسيم الدينية على وفق معتقدتهم بغسل وجوههم وأيديهم من ماء زمزم يلي ذلك القيام بالنشاطات الاجتماعية المتعلقة بهذا العيد حيث مظاهر الزينة والابتهاج والطرب^(٢٧).

وهناك (عيد الجماعة) ويعد من الأعياد المهمة التي يحتفل بها اليزيدية، ويحدد تاريخه في الثاني عشر من شهر أيلول من كل سنة، إذ يتوجه اليزيدية خلال هذا العيد إلى مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري ويحرم عليهم جلب (الخبز) من بيوتهم، وذلك لأنهم مدعون إلى أكل الخبز الذي تم أدخله داخل مرقد الشيخ الهكاري^(٢٨). وتستمر الاحتفالات بهذا العيد على مدى سبعة أيام، لاعتقادهم أن الاشتراك بهذا العيد^(٢٩) يعد مناسبة لغفران الذنوب والخطايا^(٣٠)، ولذلك أصبح على كل يزيدي واجب الحضور في هذا العيد، ولهذا السبب قدم رؤساء اليزيدية إلى الوالي العثماني طلبا يرجون فيه عدم شمول أبنائهم في

أداء الخدمة العسكرية الإلزامية، وذلك حسب اعتقادهم، أنه في حالة عدم حضور اليزيدي لهذا العيد فانه يصبح (كافرا) وخارجا عن الملة اليزيدية، وإتماما لمراسيم هذا العيد، يقوم اليزيدي بإبراز مظاهر الاحتفال بهذا العيد من خلال وضع الأقمشة الملونة على قبر الشيخ الهكاري^(٣١).

كما يحتفل اليزيدية ب (عيد خضر الياس)^(٣٢)، الذي يبدأ بقدم فصل الربيع، وكانوا يعدون لهذا العيد نوعا خاصا من الحلويات تسمى (حلاوة الخضر)^(٣٣)، ويعمد اليزيدية إلى وضع هذه الحلاوة قرب مجموعة من الشموع المضيئة لاعتقادهم بأن الخضر (عليه السلام) سوف يكون قريبا من الحلاوة لكي يباركها. فضلا عن ذلك فان اليزيدية يهيئون مختلف أنواع الأطعمة لتناولها بهذا العيد^(٣٤).

أما المناسبات الدينية، فقد تعددت واحتفل بها المجتمع الموصل بمختلف أطيافه الدينية، فأهالي مركز مدينة الموصل كانوا يحتفلون ليلة الإسراء والمعراج وذلك في السابع والعشرين من شهر رجب من السنة الهجرية، ومن مظاهر الاحتفاء بهذه المناسبة الكريمة، ينشط أهالي الموصل في زيارة مراقد الأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين، تيمنا وتبركا لمقام الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وغالبا ما كانت تقام المناقب النبوية في الجوامع والمساجد والتكايا

أسبوع . وتصطحب معظم العوائل أطفالها ، للخروج للزيارة ، وبعد أكمال مراسيم الزيارة تغادر هذه العوائل سواء كانت مسلمة أم نصرانية المناطق المفتوحة القريبة من تلك المراقد طلبا للراحة التي تتزامن مع حلول فصل الربيع الذي ينتظره الموصليون بشوق للترويح عن النفس والخروج للسفريات الترفيهية^(٣٦) .

فضلا عن، كان ذلك معظم الموصلين في العهد العثماني يخرجون إلى المناطق الريفية القريبة من مدينة الموصل ليتواصلوا مع سكان الأماكن في التوجه لزيارة مقامات الأولياء والصالحين في تلك المناطق الريفية ، إذ تنتشر العوائل الموصلية في فضاءات أراضي الريف الموصلية طلبا للنزاهة والراحة من عناء نمط الحياة المدنية داخل الموصل ومن الزيارات التي يحرص عليها الموصليون ، قيامهم بزيارة مرقد الشيخ (قضيبي البان الموصلية)^(٣٧) (رضي الله عنه) وكان آنذاك خارج سور المدينة ، إذ يعتقد الأهالي أن لهذا الشيخ كرامات ، ومنها استجابة الدعاء عند روضته المباركة ، كما يعتقد الموصليون بان المقام الشريف يعد حملا لرد المظالم والتي تعرف عند أهالي الموصل باسم (الحوبة) ، فضلا عن ذلك فان الموصليون يرون في مكانة الشيخ قضيبي البان مصدرا لشفاء العديد من الأمراض ، فكثيرا ماكانوا يقصدون روضة الشيخ

، ويصاحب هذه المناسبة إطلاق الجيش العثماني قذائف المدفعية في مدينة الموصل ، كما يصاحبها عزف الفرقة العسكرية المهترخانة في الأماكن العامة لإشاعة حالة من السرور والفرح وسط الجموع المحتشدة فيما بين الأطفال رغبتهم في هذه المناسبة من خلال تواجدهم بالمساجد والجوامع بالشوق لسماع سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)^(٣٥) .

وتعد زيارة مراقد الأنبياء والأولياء الصالحين في مدينة الموصل من أساسيات الطقوس التي تعبر عن إيمان أهالي المدينة واحترامهم لمكانة الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) وهناك مواعيد محددة للزيارات ، إذ كان أهالي الموصل يزورون النبي يونس (عليه السلام) في يومي السبت والأربعاء ، وغالبا ماكانت تكتنف الزيارات حالة التوسل والرجاء من حضرة النبي لاسيما من النساء بان يهب الله تعالى مولودا ذكرا وتعاهد النبي على تسمية مولودها المرتقب باسم النبي يونس (عليه السلام) .

وتجدر الإشارة إلى وجود زيارات مشتركة بين المسلمين والنصارى لبعض الأماكن الدينية ومنها زيارة دير (مار ميخائيل) في منطقة حاوي الكنيسة ، وزيارة دير (مار كوركيس) ، التي تجري عادة في يوم الأحد في فصل الربيع من غير تحديد أيام معينة للزيارة ، ولكنها على العموم كانت تجري في أيام الآحاد من كل

قضييب البان لاعتقادهم أنه يتشفع لهم عند الله تعالى^(٣٨)

كما حرص نصارى الموصل على زيارة النبي دانيال الكائنة في محلة باب المسجد وذلك لاعتقادهم بمكانته لدينية ويشار هنا أن أغلب الذين كانوا يقصدونه من أهالي المحلات الشعبية الموصلية مثل محلة (حوش الخان) القريبة من سوق الشعارين^(٣٩).

ومن المناسب الإشارة إلى الزيارات الدينية التي تقوم بها طائفة الشبك التي ركزت على مقامات آل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الواقع في القرية العباسية بالقرب من نهر الخازر . وزيارة حسن فردوش الواقع بالقرب من قرية الدراويش في طريق الموصل - بعشيقه ، فضلا عن زيارة علي رش المعروف لدى الطائفة اليزيدية باسم مقام زين العابدين بن الحسين علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) (٤٠).

كما كان طائفة الكاكائيون يقومون بزيارة بعض المراقد المقدسة عندهم ومنها مرقد (السلطان إسحاق) الواقع في قرية الشيخان ، فضلا عما كانوا يقصدونه من مقامات مثل مقام (بابا طاهر) ، الواقع في منطقة مندلي القريبة من الحدود الإيرانية الحالية ، وزيارة مقام (بابا يادكار) الواقع في منطقة زهاب الإيرانية ، وتصاحب تلك الزيارات بعض الفعاليات

، ومنها تناول واجبات الطعام المكونة عموما من لحم الديك - الحلوة - الخبز ويبدو أن هذا النوع من الطعام كان يتوافق مع طقوس تلك الزيارات . وتتبعني الإشارة إلى أن الكاكائية كانوا يحتفلون بعيد النوروز إذ تقوم العوائل الكاكائية بإيقاد النيران احتفاء بهذا العيد . كما كانوا يحتفلون بعيد ذي نمط خاص لديهم . ويسمى (عيد الإله - جيه زين خوندكار) ، إذ يتبع الاحتفال قيام الكاكائية بالصوم ثلاثة أيام ، وبعد قضاء الصيام ، يجتمع الكاكائية في بيوتهم ويحضر عدد من الديوك بهذه المناسبة ، ويتم إخفاؤها حتى حضور الإمام الروحي لهم والمعروف بتسمية (مام) حيث يذبح تلك الديكة - وعندها تقوم ربات البيوت بإعدادها بشكل وليمة العيد^(٤١).

أما اليزيدية فقد كانت لهم زيارات تعرف ب(الطوافات) ، ويقصد ب(الطوافات) ، الأنصاب التي ترمز إلى أحد مشايخهم أو أوليائهم ، وهي سبعة طوافات ، وتقع في بعشيقه ، بجزاني ، جرونة ، باعذرة ، حطارة^(٤٢) . أما الباحثة سجي فقد ذكرت طبيعة هذه الأعياد في أطروحتها قائلة " أما أعيادهم فمعظمها أعياد دينية خاصة ذات رونق وطابع قبلي خاص ، بعضها يشترك فيها الرجال والنساء ، والبعض الآخر يقتصر على الرجال الروحانيين ، وتنقسم الأعياد لدى اليزيدية إلى نوعين ، الأولى أعياد ثابتة ، والثانية

أما الأعياد غير الثابتة فهي عديدة منها (عيد الأموات)، ويستمر إلى عشرة أيام يتم خلالها تقديم القرابين إلى الأضرحة وعلى اليزيدي الذي فقد عزيزا عليه أن يقوم بتحضير عيد رأس السنة الذي يوافق هذا اليوم أن تقدم القرابين من الحيوانات كالأغنام والماعز وكذلك الدجاج إلى ضريح الشيخ عدي (في منطقة الشيخان) وتزين المنازل بالزهور، وفي الليل توقد النيران وتسمى (نار الفرع) .

الخاتمة فيما تقدم يتضح لنا مايلي :

- ١- أن لكل ديانة من الديانات لها مناسباتها وأعيادها الخاصة بها التي يحتفلون بها .
- ٢- وللأديان والمعتقدات غير الإسلامية أعيادها ومناسباتها، ويشكل النصارى (أهل الكتاب) الديانة السماوية الثانية في مدينة الموصل، ويعد الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) من أهم الأعياد الدينية. وعيد الدنح، وعيد الباعوثة .
- ٣- أشارت الدراسة إلى وجود زيارات مشتركة بين المسلمين والنصارى لبعض الأماكن الدينية ومنها زيارة دير (مار ميخائيل) في منطقة حاوي الكنيسة، وزيارة دير (مار كوركيس)، التي تجري عادة في يوم الأحد في فصل الربيع من غير تحديد أيام معينة للزيارة، ولكنها على العموم كانت تجري في أيام الآحاد من كل أسبوع .

أعياد غير ثابتة، فمن الأعياد الثابتة عيد أروحا (عيد الشمس)، ويكون في الأول من شهر كانون الأول من كل عام بعد الصيام، أما الثاني العيد فهو عيد خضر الياس وهذا العيد ليس خاصا باليزيدية وإنما يحتفل به من قبل المسلمين والنصارى على السواء، فهو احتفال محلي متوارث ليس له علاقة بطائفة أو بديانة معينة وقد يصوم اليزيدية في الأيام الثلاثة التي تسبق العيد، أما العيد الآخر فهو عيد (سري صال) أو عيد رأس السنة، ويكون عادة في أول أرباء من شهر نيسان الشرقي الموافق (٤ نيسان الغربي)، وقد لاحظ لايارد أن السنة عند اليزيدية تبدأ مع سنة النصارى الشرقيين، غير أن الرحالة بادجر الذي جاء بعد لايارد اعتبر هذا الأمر خطأ وقع فيه لايارد، واعتبر السنة عندهم تبدأ في (١٧ نيسان وجمع كلاهما على أن يوم الأربعاء هو يوم مقدس عند اليزيدية، وأشار لايارد إلى أن قسما منهم يصوم في ذلك اليوم على الرغم من أن الصيام لا يجعلهم يتوقفون عن العمل .

وجرت العادة في عيد رأس السنة الذي يوافق هذا اليوم أن تقدم القرابين من الحيوانات كالأغنام والماعز وكذلك الدجاج إلى ضريح الشيخ عدي (في منطقة الشيخان) وتزين المنازل بالزهور، وفي الليل توقد النيران وتسمى (نار الفرع) .

فاتن يونس محمد ، "الحياة الاجتماعية في ضوء مؤلفات الديوه جي " ، بحث مقدم إلى مركز دراسات الموصل .

٤-مقابلة شخصية للباحثة مع الشيخ محمد أمين الشريف بتاريخ ٢٦/١٢/٢٠٠٣، نقلا عن والده، ينظر مقابلة شخصية للباحثة مع الحاج ميرزا قادر خالد ، بتاريخ ٢٥/١٢/٢٠٠٣ (نقلا عن والده)؛ العبيدي ، الموصل . . . ، ص ١٧٥ .

٥-القس ميخائيل ججوبزي ، بلدة تكليف ماضيها وحاضرها ، (الموصل ، ١٩٦٩) ، ص ١١٠ - ١١١؛ مقابلة شخصية للباحثة مع السيد بهنام سليم حبابه بتاريخ ٢١/١٢/٢٠٠٣ (نقلا عن والده) . : تأليف المهندس حبيب حنونا ، تاريخ كرامليس ، مراجعة النص والإعداد التراثي بهنام سليمان متي ، تقديم الدكتور يوسف جي ، ص ١٢٠ .

٦-مفردها قس ، قسيس: كلمة سريانية أصلها باللفظ السرياني (قاشيشو) ، وتعني لغة (الشيخ) ، وهو لذي يقد خدمه الكهنوت في الكنيسة المسيحية وللكنيسة جمعان الأول قسوس وقسان والجمع الثاني قسيسون وأسم الخدمة التي يقوم بها القسيسية وهي الكهنوت . أغناطيوس أفرام الأول برصوم بطريرك أنطاكية و سائر المشرق ، اللؤلؤ المنشور برصوم في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، (حمص ، ١٩٥٦) ص ٦١٨ .

٤-حرص نصارى الموصل على زيارة النبي دانيال الكائنة في محلة باب المسجد وذلك لاعتقادهم بمكاته لدينية .

٥-قيام طائفة الشبك بزيارة مقامات آل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الواقع في القرية العباسية بالقرب من نهر الخازر . وزيارة حسن فردوش الواقع بالقرب من قرية الدراويش في طريق الموصل - بعشقة ، فضلا عن زيارة علي رش المعروف لدى الطائفة اليزيدية باسم مقام زين العابدين بن الحسين علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) .

٦-قيام طائفة الكاكائيون بزيارة بعض المراقد المقدسة عندهم ومنها مرقد (السلطان إسحاق) الواقع في قرية الشيخان ، فضلا عما كانوا يقصدونه من مقامات مثل مقام (بابا طاهر) .

الهوامش :

١-سعيد الديوه جي ، "الموصل" ، مخطوط بحوزة أبنه أبي سعيد الديوه جي ، ص ٣ ، قيد الطبع ؛ مقابلة شخصية مع السيد محفوظ محمد عمر العباسي ، بتاريخ ١٥/٦/٢٠٠٣ ؛ أزهر العبيدي ، الموصل أيام زمان ، (الموصل ، ١٩٩٠) ص ١٧٢ .

٢-الديوجي ، المصدر السابق ، ص ١-٣ .

٣-مقابلة شخصية للباحثة مع السيد إبراهيم عبد الله شهاب ، بتاريخ ٢٠/٦/٢٠٠٣ (نقلا عن والده وجده) ؛

- ٧- بزي، المصدر السابق، ص ١١٠-١١١، مقابلة شخصية للباحثة مع السيد بهنام سليم حبابة بتاريخ ٢١/١٢/٢٠٠٣، (تقلا عن والده).
- ٨- بزي، المصدر السابق، ص ١١١-١١٢.
- ٩- المصدر نفسه، ص ١١٢.
- ١٠- الباعوثة لفظة سريانية معناها دعاء وتضرع إلى الله في محنة شديدة أما في طقوس كنيسة المشرق الآثورية - الكلدانية وهي رتبة دينية لمدة ثلاثة أيام بالصوم والصلاة والتوبة إلى الله، والتأمل في كلامه المحيي اثر مرض الطاعون الذي أنتشر في منطقة كركوك ونيوى وأودى بحياة الألوف من الناس واستمر يقتل الناس لفترة طويلة حتى خلت المنازل من أهلها وفي تلك الأثناء قام مطران كركوك ومطران نينوى يدعوان الناس إلى التوبة بالصوم والصلاة لثلاثة أيام (الاثنين والثلاثاء والأربعاء)، وكانت قبل الصوم الكبير بعشرين؛ "الباعوثة توبة نينوى" مجلة الفكر المسيحي، العددان ٣١١-٣١٣، السنة الثانية والثلاثون، (الموصل، ١٩٩٦)، ص ٣٨.
- ١١- الباعوثة، المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.
- ١٢- بزي، المصدر السابق، ص ١١٢.
- ١٣- سهيل قاشا، "عيد السعائين في قره قوش" مجلة الفكر المسيحي، العدد ١١٤، السنة ١٤، (بغداد، ١٩٧٦)، ص ٢٥.
- ١٥- بزي، المصدر السابق، ص ١١٣.
- ١٦- سعيد شاما يا، سناط الفردوس المفقود، (د/م ٢٠٠٢)، ص ٦٦، قاشا، "عيد"، ص...، ١٧٦.
- ١٧- بزي، المصدر السابق، ص ١١٥.
- ١٨- عبد المسيح بهنام، قره قوش في كفة التاريخ، (بغداد، ١٩٦٢)، ص ١٥.
- ١٩- بزي، المصدر السابق، ص ١١٥.
- ٢٠- سهيل قاشا، أعياد الشعبية عند نصارى العراق، مجلة التراث الشعبي، المجلد ٥، العددان ٢-٣، السنة ١٩٧٣، ص ٣٣.
- ٢١- بزي، المصدر السابق، ص ١١٥؛ قاشا، المصدر السابق، ص ٣٣.
- ٢٢- صديق الدمولوجي، اليزيدية، (الموصل، ١٩٤٩)، ص ص ١٩٦-١٩٧٢.
- ٢٣- سامي سعيد الأحمد، اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، ج ١ و ٢، (بغداد، ١٩٧١)، ص ص ١٧٥-١٧٦، عبد الرزاق الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، (صيدا، ١٩٣٥)، ص ٧٧؛ عبد الرزاق الحسني، "الأعياد الدينية لدى الطائفة اليزيدية"، مجلة التراث الشعبي، المجلد ٤، العدد ٧، السنة الرابعة، (١٩٧٣)، ص ١٠.
- ٢٤- ممتاز حسين سليمان الحلو، "السنن الاجتماعية عند اليزيدية"، مجلة التراث الشعبي، العدد ٤، السنة

- ١٩٧٣، ٤، ص ١٦٠؛ باسم عبد الحميد حمودي
، عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية
، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ١٤٨.
- ٢٥- جورج حبيب، اليزيدية بقايا دين قديم، بحث
تاريخي، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٤٥؛ "الاعباد الدينية
...،" ص ١٢.
- ٢٦- الجندي، المصدر، ص ١٥٥.
- ٢٧- عروبة جميل محمود، الحياة الاجتماعية في الموصل
١٨٣٤-١٩١٨م أطروحة دكتوراه غير منشورة كلية
الآداب، (جامعة الموصل ١٠٠٦)، ص ص ١٩٨-
١٩٩.
- ٢٨- الأحمد، المصدر السابق، ص ص ١٧٨-
١٧٩؛ الجندي، المصدر السابق، ص ١٥٧.
- ٢٩- الأحمد، المصدر السابق، ص ١٧٩.
- ٣٠- عبد ربه سكران إبراهيم الوائلي، أكراد العراق
١٨٥١-١٩١٤، دراسة في التاريخ الاقتصادي
والاجتماعي والسياسي، أطروحة دكتوراه غير
منشورة كلية الآداب، (جامعة القاهرة
١٩٨٧)، ص ٢٢٣.
- ٣١- الأحمد، المصدر السابق، ص ١٧٩.
- ٣٢- يقع في أول يوم خميس من شهر شباط شرقي
وبعضهم يصوم الأيام الثلاثة التي تسبقه أيوما واحدا
فقط وهو مقبَس من عيد خضر الياَس عند النصاري
- ويسمونه عيد مار بهنام؛ الجندي، المصدر السابق، ص
١٥٨.
- ٣٣- وهي حلوى مصنوعة من الطحين والدبس. كما
أعتاد الأهالي على صنع حلوى محلية تدعى (حلوة
طحين) التي تعمل من مزيج الدبس مع الطحين المحمص
بطريقة خاصة والأكثر من ذلك فقد اعتادت العوائل
على صنع السوق معمول من حبوب الحنطة والشعير
والذرة واللوبيا والحمص والبقلاء، ويضيفون إليها
قشور البرتقال أو مسحوق السعد ويطحن كالطحين
، وقد يوزع على الأهل والجيران والأطفال يكثرون من
أكله وذلك من خلال وضعه في أكياس صغيرة ومخرمة
من فتحاتها العليا بواسطة خيوط معقودة يضعها
الأطفال في رقابهم ثم يضعون قسبة صغيرة داخل
كيس ليسهل بعد ذلك جر السوق بواسطتها؛ علي
الشيخ إبراهيم التلعفري، "خضر الياَس عيد تلغفر
"، مجلة التراث الشعبي، العدد ٤، ١٩٦٩.؛ سعيد الديوه
جي، اليزيدية، (بغداد، ١٩٧٣)، ص ١٨٠.
- ٣٤- طلال سليم الحديثي، "اليزيدية بقايا دين قديم
"، مجلة التراث الشعبي، المجلد ٩، العدد ٦، السنة ٩
، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ١٨٥.
- ٣٥- عماد عبد السلام روؤف، "مظاهر الحياة
الاجتماعية"، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد
٤، (جامعة الموصل، ١٩٩٢)، ص ص ٢٨٨-٢٨٩.

- ٣٦-المصدر نفسه، ص٢٩٠؛مقابلة شخصية للباحثة مع السيد إبراهيم عبدا لله شهاب، بتاريخ ٢٠/٦/٢٠٠٣، نقلا عن والده
- ٣٧-روؤف، المصدر السابق، ص ٢٩٠ .
- ٣٨-هو أبو عبدا لله الحسين بن يحيى بن علي الموصلي ٤٧١هـ/ م وثقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان يأخذ نفسه بالمجاهدات يزور الصالحين ويأخذ عنهم، مثل الشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ عدي بن مسافر الهكاري، والشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان يصلي إماما بالشيخ الكيلاني وتزوج من أخته، وسافر إلى الحج وعاد إلى الموصل، أنقطع في داره خارج المدينة يدرس ويعظ الناس، وتوفي سنة ٥٧٣هـ/، ودفن في منزله الذي صار يعرف بمسجد قضيب البان؛سيوفي، المصدر، ص ١٥١ .
- ٣٩-روؤف، المصدر السابق، ص ٢٩٠؛ محمد، "الحياة الاجتماعية في ضوء..."، ص ٥ .
- ٤٠-مقابلة شخصية للباحثة مع السيد حميد إسماعيل الدباغ بتاريخ ١٧/٦/٢٠٠٣(نقلا عن والده)،الموالد ١٩٠٩، المهنة راوه جي .
- ٤١-الوائلي، المصدر السابق، ص ٤٢٤-٤٢٦ .
- ٤٢-كريم نجم خضر الشواني، الكاكية أصولها وعقائدها، رسالة ماجستير في الدين مقدمة غالى كلية
- الشرية، (جامعة بغداد، ١٩٨٩)، ص ص٢٠٤-٢٠٦ .
- ٤٣-الأحمد، المصدر السابق، ص ١٧٢ .
- ٤٤-سجى قحطان محمد علي قبع، الموصل في كتابات الرحالة في العهد العثماني ١٥١٦ - ١٩١٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ٢٠١٠)، ص ص ٢٦٢-٢٦٣ .

حرب القرم وتقرير مصير ولايات البلقان العثمانية (١٨٥٣-١٨٥٦م)

م.د. ماهر حامد جاسم النورة أ.م.د. عماد عبد العزيز يوسف

ملخص البحث :

احتلت حرب القرم مكاناً فريداً من تاريخ أوروبا الحديث، وذلك أن حروب بريطانيا التي خاضتها كان للدفاع عن مصالحها وتحقيقاً لمطامعها التوسعية^(١١١). كما وأن هذه الحرب هي آخر الحروب الأوربية التي اتبعت فيها أساليب الحرب القديمة ، فعلى الرغم من وقوعها في منتصف القرن التاسع عشر وفي وقت عرفت فيه أوروبا بعض الأساليب الحربية الحديثة إلا أن هذه الحرب ظلت بعيدة كل البعد عن تلك الأساليب^(١١٢)، وقد قامت هذه الحرب ظاهرياً لسبب ديني رغم انتهاء الحروب الصليبية منذ أمد قريب وهي مرحلة من مراحل المسألة الشرقية التي بدأت في الظهور حين أخذت موجة الفتح العثماني في الانسحاب وأخذ العثمانيون يتقهقرون تدريجياً من ولاياتهم المتمردة وخاصة من أواسط أوروبا ، وقررت نتيجة هذه الحرب مصير ولايات البلقان العثمانية وانتهت حرب القرم بتوقيع معاهدة باريس في ٣٠ آذار ١٨٥٦ .^(١١٣)

The Crimean War and the Fate of the Ottoman Balkans (1853-1856)**Abstract**

The Crimean War occupied a unique place in the history of modern Europe. The wars of Britain were to defend its interests and to achieve its expansionist ambitions. This war was the last European war to be followed by the old methods of war. The war was ostensibly a religious one, despite the end of the Crusades a long time ago. It was one of the stages of the Eastern question that began to emerge when the Ottoman contract began to with drawal. Ottoman gradually retreating from their mandate rebel, especially from central Europe, and determined the outcome of this war, the fate of the states of the Balkans and the Ottoman Empire ended the Crimean War signed the treaty of Paris on 30 March 1856

(١١١) عبدالعزيز سليمان نوار ، المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠-١٩١٤ ، (القاهرة : ١٩٦٨) ، ص ١٠٦ .

(١١٢) محمود شاكر ، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم ، ج٢ ، (عمان : ٢٠١١) ، ص ٦٧٩ .

(١١٣) Akşitve Egilmez, A.G.E, 591 .

أسباب قيام حرب القرم :

على الرغم أن حرب القرم قامت لسبب ديني في الظاهر إلا إنها جاءت بسبب سياسات الدول الكبرى فبحكم اعتناق روسيا للمذهب الارثوذكسي النصراني الشرقي كانت ترى نفسها وريثة للدولة البيزنطية ويحلم قياصرتها بذلك اليوم الذي يستطيعون فيه دخول استانبول^(١) ومصالحها الجغرافية والمادية الإستراتيجية تقضي بضرورة تحديد علاقاتها بالدولة التي تسيطر على المضائق (البوسفور والدردنيل) أما عن طريق القضاء عليها أو السيطرة عليها أو على الأقل ضمان حرية المرور في كل الأوقات لسفنها التجارية والحربية وإغلاق هذه الممرات أمام سفن أعداء روسيا ، وكانت سياستها بصفة عامة في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر تقوم بالعمل على استغلال ضعف الدولة العثمانية وتشجيع شعوبها البلقانية على الاستقلال عنها وانتزاع ما يمكن انتزاعه من ممتلكاتها ، وحاولت روسيا في عشرينات القرن التاسع عشر مساعدة اليونان الارثوذكس في ثورتهم

ضد الدولة العثمانية لذلك وضعت بريطانيا سياستها التقليدية بالنسبة للدولة العثمانية والتي تلخص في مبدأ المحافظة على كيان تلك الدولة^(٢) وحتى أثناء الصراع بين محمد علي والسلطان تدخل القيصر الروسي نيقولا^(٣) لنجدة السلطان ضد محمد علي بعد موقعة قونية وعقد معاهدة خنكارا سكلسي، وهكذا تفوق النفوذ الروسي في استانبول عام ١٨٣٣ واحتج بالمرستون وزير خارجية بريطانيا على معاهدة هنكارا

(٢) جلال يحيى ومحمد نصر مهنا ، مشكلة قبرص ، (القاهرة : ١٩٨١) ، ص ١٠٥؛ تهاني شوقي عبدالرحمن ، الاصول التاريخية للمسلمين في البلقان ، (القاهرة : ٢٠١٠) ، ص ٤٨ .

(٣) وهو من مواليد عام ١٧٩٦ تولى الحكم عام ١٨٢٥ بعد وفاة أخيه الكساندر الأول وبقي في الحكم حتى عام ١٨٥٥ . وكان أكثر رجعية من أخاه فيما يتعلق بالشؤون الداخلية على الرغم من انه أكمل تنظيم القوانين عام ١٨٣٣ ومنح الاقنان (العبيد) الذين يعملون في أراضي الحكومة الحرية الفردية . وفي عام ١٨٢٦ أنشأ الشرطة السرية ، واشتهر بالقمع خاصة عندما اخمد الثورة البولونية عام ١٨٣٠-١٨٣١ الان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥ ، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين ، ج ٢ ، (بغداد : ١٩٩٢) ، ص ١٤١ .

A.A. Ahmohoba, T.C. (I)

Jiebahqobckuu, In. one ūhukob, B.B.I Iohomapēba, Nctopn. pocnn: IXIXBek, (Mockba: 2008), C404.

سكلسي وأوضح محمد علي أن بريطانيا ستقف ضده إذا قامت الحرب بينه وبين الدولة العثمانية^(١) .

كان دافع بالمرستون هو مصالح بريطانيا في الشرق وقد كانت بريطانيا وفرنسا تحتجان على معاهدة خنكارا سكلسي فكلتا الدولتين ترى فيها تدميراً لاستقلال الدولة العثمانية وبسط لحماية روسيا عليها ومنذ عقد الاتفاقية العثمانية الروسية ، زاد حقد بالمرستون على روسيا وزاد شكه في سياستها ، ولم تكن صداقة روسيا لبريطانيا في عام ١٨٣٩ لتعني أن بريطانيا تختل عن سياستها وإنما الذي حدث أن روسيا في هذه السنة حاولت العمل على مجاملة بريطانيا وتأييدها في سياستها في وقف محمد علي عند حده هذا في الوقت الذي تخلت فيه فرنسا عن بريطانيا وأيدت مطالب محمد علي الاستقلالية ونجح بالمرستون من أن تعقد الدول الكبرى اتفاقية ١٨٤١ والتي تنص على تعهد الدول والسلطان بعدم السماح لأية سفن حربية تابعة لدولة أجنبية من دخول مضيق

البوسفور والدردينيل وبذلك قضت بريطانيا على معاهدة خنكارا سكلسي وفي ذلك الوقت بدأ القيصر الروسي يتقرب إلى بريطانيا ويوضح لها بأن الدولة العثمانية مشرفة على النهاية في الواقع كانت معاهدة الممرات انتكاسة للسيادة العثمانية في ممارسة حقوقها المشروعة على أراضيها ، فأصبحت الدولة العثمانية في وقت السلم حارسا للممرات تحت إمرة أوروبا ، كما كانت المعاهدة في مضمونها موجهة ضد روسيا ، إذ أنها ألغت الامتيازات التي حصلت عليها روسيا نتيجة معاهدة خنكار اسكلسي وحرمتها من مزاوله دورها كدولة متوسطة و مع ذلك فقد ساعدت المعاهدة روسيا ايضا وذلك لأنها منعت بريطانيا من استخدام الممرات في حالة السلم لأغراض عسكرية ، كما أن معاهدة الممرات التي بقيت سارية المفعول حتى الحرب العالمية الأولى كانت عبارة عن ضمان أخذته كل من روسيا و بريطانيا الواحدة ضد الأخرى ، و برهانا على الوفاق الذي جمعهما عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠

في المحافظة على الدولة العثمانية من الانهيار^(٢)

(١) أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلي ، أوروبا في القرنين التاسع

عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة بهاء فهمي، ط٦ ،

(القاهرة: ١٩٥٠) ، ص ص ٤٠٩-٤١٠ .

(2) بيير رونفان ، المصدر السابق ، ١٤٠-١٤١ ؛

اقتراب روسيا من شواطئ البحر المتوسط وما يحمله
من احتمال تهديد قوات روسيا للأسطول البريطاني في
هذا البحر^(١) .

هكذا كانت سياسة الدول الكبرى المتداخلة مع بعضها
قد هيأت الظروف للقيام بحرب القرم ، وينقسم
المؤرخين فيما بينهم حول الأسباب الحقيقية لحرب القرم
، فمنهم من يضع الخلافات الدينية بين فرنسا وروسيا
حول الأماكن المقدسة في بيت المقدس و ذلك نتيجة
نزاع حدث بين رهبان الكيستين الأرثوذكسية و
الكاثوليكية حول أحق بحراسة بعض الأماكن
المقدسة ، في حين أن البعض الآخر من المؤرخين لا
يرى في النزاع الديني سوى سببا مباشرا للحرب وإن
المصالح السياسية و الاقتصادية و الإستراتيجية
المتضاربة بين الدول الأوربية ، و خصوصا بين روسيا
من جهة و بريطانيا و فرنسا و النمسا من جهة أخرى
، هي الأسباب غير المباشرة للحرب ، و هذه
الأسباب مهمة أيضا مثل الأسباب الدينية ، أما

بعد انتهاء الأزمة المصرية نعمت الدولة العثمانية
بفترة هدوء من جانب روسيا وقد استمر هذا
الهدوء حتى عام ١٨٥٣ أي حتى اندلاع حرب القرم ،
و لكن هدوء جبهات القتال الروسية والعثمانية ، لم
يكن يعني أن تتخلى روسيا عن خططها لتقسيم
الدولة العثمانية و الاستحواذ على الممرات ، فالفترة
الممتدة بين انتهاء الأزمة المصرية و اشتعال حرب القرم
، شهدت نشاطا روسيا دوليا لتقسيم الدولة العثمانية
و لكن بالتفاهم مع الدول الأوربية .

على الرغم من الجهود التي بذلها القيصر الروسي
لإقناع بريطانيا على أن يتفقا سوياً لتقسيم ممتلكات
الدولة العثمانية فيما بينهما ، فتأخذ بريطانيا مصر
وكريت وتأخذ روسيا استانبول ولكن هذا العرض لم
يجد قبولا لدى بريطانيا في ذلك الوقت لاعتناقها مبدأ
الحفاظة على كيان الدولة العثمانية ولخشيتها من

(١) شارل سه نيوبوس ، تاريخ سياسي عصر حاضره
أوربا (١٨١٤) (د.ن) (١٨٩٦) يه قدر ، مترجمي علي
رشاد ، برنجي جلد ، (استانبول، ١٣٢٤هـ) ، ص ٣٧٣ .

Ali fuat Turk Geldi, Moaili Muhimme:
I Siyasiyye, 1 Cilt, (Ankara: 1987).
Ss 11-12; Akdes Nimet Kurat,
Turkiye ve Rusya (Ankara: 1990).
S71 .

بالنسبة للسبب الظاهري فهو النزاع للسيطرة على الأماكن المقدسة في فلسطين^(١)،

كان السلاطين العثمانيون قد اقرروا بالامتيازات التي منحوها للملوك فرنسا منذ القرن السادس عشر واقروا أيضا بحق بعض الرهبان الكاثوليك في القدس و الناصرة و بيت لحم في إنشاء الكنائس و الأديرة ، كما أعطت معاهدة كوتشك كنارجي الموقعة بين السلطان عبد الحميد الأول و القيصرية كاترين في عام ١٧٧٤ المسيحيين الأرثوذكس في الأماكن المقدسة مثل الحقوق الممنوحة سابقا للكاثوليك ، و قد اعترف السلطان عبد الحميد الأول لروسيا في هذه المعاهدة بامتيازات دينية كثيرة لكن الأزمة المصرية وجهت أنظار فرنسا مجددا نحو الشرق في محاولة لاسترجاع ما فقدته من نفوذ ، ففي عام ١٨٤٣م وصل إلى مدينة القدس أول قنصل فرنسي .^(٢)

على أية حال تأزمت العلاقات بين الرهبان الكاثوليك و الأرثوذكس في عام ١٨٤٨ عندما فقدت نجمة من الفضة تحمل عبارات لاتينية من هيكمل كان يرعاه الأرثوذكس في المغارة التي ولد فيها السيد المسيح فاتهم الكاثوليك الأرثوذكس بأنهم أتلّفوها ليمحووا أثر يثبت كان سابقا في أيديهم ، واتهم الأرثوذكس الكاثوليك بأنهم سرقوها ليثيروا خلافا بين الطائفتين و يعملوا على استعادة نفوذهم في الهيكل ، و في مايو من عام ١٨٥٠ قدمت الحكومة الفرنسية مذكرة إلى الباب العالي تطالب بها (بحقوق الكاثوليك المقتضية) في الأماكن المقدسة عملا بمعاهدة عام ١٧٤٠م بين السلطان محمود الأول و لويس الخامس عشر^(٣) كان من الطبيعي أن يؤدي التحرك الفرنسي باتجاه الباب العالي إلى إحراج الحكومة العثمانية ، التي كانت تدرك حساسية المسألة و إنها قضية سياسية مجرد حقوق إحدى الطائفتين في الأماكن المقدسة^(٤)

(١) هـربرت فشر ، تاريخ اوربا الحديث (١٧٨٩-٩٥٠) ،

القاهرة - ١٩٧٠ ، ص ٢١٩

Anthony wood, Europe 1815-1945 (London. 1967), P.185.

(٣) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر

١٨١٥-١٩١٩، الاسكندرية - ٢٠٠٠ ، ص ١٠٠

(٤) Clayton, op,cit, p 104

(٢) صفوت ، المصدر السابق ، ص ٢٩

لذلك نرى أن الدولة العثمانية لزمّت الصمت في بادئ الأمر ولكن توالي الضغط عليها و استمرار التهديد تارة من جانب الروس و تارة من جانب فرنسا اضطر الدولة العثمانية إلى تشكيل لجنة لتحديد الامتيازات الممنوحة في معاهدة عام ١٧٤٠م للفرنسيين ، وتشكيل لجنة أخرى للنظر في الامتيازات الروسية المقررة في معاهدة كوتشك كارجي عام ١٧٧٤، و لكن حلت هذه اللجنة و تشكلت لجنة أخرى لدراسة الموضوع ، و بينما كانت اللجنة تواصل عملها ، كانت هناك تطورات أخرى تجري في فرنسا و انتهت بتنصيب لويس بونابرت إمبراطورا على الفرنسيين باسم نابليون الثالث ، حيث توترت أعصاب القيصر نيقولا الأول لان نابليون كان من أسرة مؤسس مجدها العدو الكبير لروسيا ، و كذلك كان نيقولا الأول يخشى من نابليون الثالث أن يقلب النظام المنبثق عن مؤتمر فيينا كما قلب دستور بلاده ، كما أن نابليون الثالث كان يفكر في حرب تنتصر فيها جنوده فيفرض نفسه على أوروبا وشعر بسمارك بهذا الشعور و قال لأعوانه " إن إمبراطور الفرنسيين يريد الحرب و هي ضرورية له لينصرف إليها تفكير شعبه ، و يهيئ لنفسه السيطرة

على أوروبا " و على أية حال لم يكن القيصر الروسي اقل من نابليون الثالث استعداد للحرب ، و في أواخر يناير ١٨٥٢م أصدرت اللجنة العثمانية قرارا يرضي إلى حد كبير مطالب القيصر و الأرثوذكس و يمنح الكاثوليك حقا في إضاءة شمعة في هيكل السيدة العذراء ، و كان هذا الهيكل في يد الأرثوذكس و لم يكن للكاثوليك في بيت المقدس أي حق فيه و أن يكون للكاثوليك احد مفاتيح أبواب كنيسة بيت لحم ، احتجت فرنسا بينما وافقت روسيا القرار و طالبت بإصدار فرمان سلطاني به ، فصدر فرمان في ٨ فبراير ١٨٥٢م ، فجدد لافاليت Lavalette ، السفير الفرنسي في استانبول احتجاجه ، و حاولت الدولة العثمانية إرضاء الفريقين معا ، فأرسلت مذكرة إلى فاليت تؤكد فيها تمسك الدولة العثمانية بمعاهدة عام ١٧٤٠ و حرصها على احترام حقوق الرهبان الكاثوليك في الأماكن المقدسة ، لكن القيصر الروسي طالب بإلغاء اعتراف الدولة العثمانية باستمرار معاهدة ١٧٤٠م ، فرد السلطان طلبه قائلا " إن الاعتراف و عدمه من الشؤون العثمانية التي لا كلمة فيها لدولة أجنبية ، و انه يعجب كل العجب من

مشاركاً للطوائف النصرانية جميعاً فقد كانت الكنيسة الارثوذكسية أقوى الكنائس النصرانية داخل الدولة العثمانية الذين ادعت روسيا حمايتها لهم وفي الوقت نفسه ادعت فرنسا حمايتها للكاتوليك^(٣). وكان نابليون الثالث (١٨٥٢-١٨٧٠) قد جاء حديثاً إلى العرش فأراد أن يظهر في أوروبا ويعزز مركزه ويتدخل في السياسة الخارجية لذلك أعلن أن لفرنسا بفضل المعاهدات السابقة المعقودة مع الباب العالي والامتيازات التي نالتها منذ أيام السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) حق المحافظة على الكاثوليك من النصارى واشتد النزاع بين الطرفين^(٤)، وعلى الرغم من أن المعاهدات التي عقدت مع الدولة العثمانية لم تنص صراحة على مثل هذه الحماية فإن الدولتين حاولتا تأكيد نفوذهما على رعايا السلطان

تدخل القيصر الروسي في أمور لا شأن له فيها لأنها تتعلق بسيادة السلطان وحرية المطلق في حكم رعاياه " ، فاغضب هذا الرد القيصر ، وقرر أمام موقف فرنسا القوي فيما يخص حقوقها في الأراضي المقدسة ، القيام بمناورات حربية على الحدود العثمانية ، كما قرر أيضا إرسال بعثة يرأسها منشكوف إلى الأستانة لاتزاع معاهدة جديدة لا تقل في أهميتها عن معاهدة خنكار اسكسلي .^(١)

كان جوهر المشكلة يكمن في إدارة أماكن الحج في القدس لاسيما كنيسة الميلاذ في بيت لحم في وقت حاولت الدولة العثمانية حفظ التوازن بين المزايم المتناقضة للكاتوليك من ناحية والارثوذكس من ناحية أخرى^(٢)، إلا أن روسيا استغلت ما عرف باسم أزمة البقاع النصرانية في فلسطين للتحرش بالدولة العثمانية وتعود أصول هذه الأزمة إلى نهاية الحروب الصليبية حين أصبحت الأماكن المقدسة وما حولها ملكاً

(٣) هـ. أ. ل. فشر ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث

(١٧٨٩-١٩٥٠) ، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ،

طه ، (القاهرة : ١٩٥٩) ، ص ٢١٩ .

(4) B.O.A.HR. MKT, Do61. Go35.

T1269. (1852);

عبدالعزیز سلیمان نوار وعبدالمجید النعیمی ، التاريخ المعاصر

أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، (بيروت:

١٩٧٣) ، ص ٢٣٣ .

(١) عمر ، المصدر السابق ، ص ص ١٠١-١٠٢ ؛ تمبيلي ،

المصدر السابق ، ص ٤٧٣

(2) David M. Gold frank, The origins of the Crimean War (London : 1996) , P77.

كل منهما الضغط على السلطان الذي سعى إلى الالتزام بالحياد وعدم إغضاب أي من الطرفين وعلى الرغم من تهديد روسيا للسلطان بقطع علاقاتها الدبلوماسية معه إذا ما استسلم للضغط الفرنسي، فقد قرر السلطان في عام ١٨٥٢ إعطاء بعض الامتيازات لرجال الدين الكاثوليك أهمها تسليمهم المفاتيح الثلاثة الخاصة بالأبواب الرئيسة لكنيسة العذراء والسراديب الكائنة تحت كنيسة المهد في بيت لحم فأدى هذا العمل بدوره إلى استياء روسيا حكومةً وشعباً^(٣) لذا أرسل القيصر الروسي مبعوثاً للتفاوض مع الباب العالي بشأن توطيد مركز روسيا في البقاع النصرانية المقدسة وفي الوقت نفسه حاول كسب ود بريطانيا بتكرار عروضه السابقة الخاصة بتقسيم أملاك الدولة العثمانية وذلك في محاولة منه لعزل فرنسا ، واعتقدت روسيا أن تزايد نفوذ فرنسا في الدولة العثمانية وفي أوروبا يعد بمثابة دعم للاتجاهات التحريرية والثورية في بريطانيا كذلك أثارت عواطف روسيا مسألة حيازة مفاتيح كنيسة بيت لحم ثم انتهى هذا النزاع في سنة ١٨٥٢ بالتسوية التي وضعتها الدولة العثمانية والتي أثارت غضب

غير المسلمين عن طريق توفير حماية خاصة لكل منهما في الوقت نفسه الذي ركزت فيه مختلف الديانات والمذاهب النصرانية تنافسها في فلسطين على الطموح للسيطرة على كل عمل يتصل بالبقاع النصرانية المقدسة^(١).

من جانب آخر كان قد حصل بطريرك الارثوذكس في القدس عام ١٨٤٣ على موافقة السلطات العثمانية على انفصاله عن بطريرك استانبول واخذ يقوي سلطته بمساعدة القيصر ودعمه وعلى الجانب الفرنسي قامت الحكومة الفرنسية بمساعدة الكاثوليك وطالبت بامتيازات جديدة عام ١٨٥٠م.

أخيراً كشف القيصر عن نواياه ففاوض السفير البريطاني في بتروغراد بوجوب ، القضاء على الدولة العثمانية ولكن لندن حطمت آماله معلنة رغبتها في الاحتفاظ بالدولة العثمانية فغضب الروس^(٢)، وأشدت الاحتكاك بين روسيا وفرنسا حيث حاولت

(١) شاكر ، موسوعة ، ج٢ ، ص ص ٦٨٠-٦٨١ .

(٢) خيرية قاسمية ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، (دمشق

: ١٩٨٢) ، ص ١٠٧ ؛ نصري ذياب خاطر ، تاريخ أوروبا

الحديث ، (عمان: ٢٠١١) ، ص ص ١١٤-١١٥ .

(٣) نيوبوس ، المصدر السابق ، برنجي جلد ، ص ٣٧٤ .

روسيا ^(١) هكذا انتهى عام ١٨٥٢م من دون أن تستطيع الدولة العثمانية أن ترضي أيا من الفريقين في مسألة الأماكن المقدسة .

اجتمع القيصر نيقولا في شباط ١٨٥٣ بالسفير البريطاني في بطرسبورغ هاملتون سيمور وطرح عليه المسألة الشرقية من جوانبها كافة و ضرورة اتخاذ

الترتيبات للحيلولة دون تورط الدول الأوروبية في نزاع فيما بينها نتيجة انهيار الدولة العثمانية ، لارتباط ذلك بالتوازن الأوروبي ^(٢) لكن سيمور الذي لم يظهر تحمسا لمشروع القيصر أجاب قائلا " بان بلاده لا ترحب بفكرة تقسيم ممتلكات صديق و حليف قديم قبل أن يكون قد قضى نحبه " لكن القيصر كرر وجهة نظره ، معتبرا الدولة العثمانية بمثابة " دب يحتضر " و إن

إعطائه المسك لن يقيه على قيد الحياة ^(٣) من المؤكد بان (المسك) الذي كان يقصده القيصر هو محاولات الإصلاح الداخلي في الدولة العثمانية المدعومة من قبل بريطانيا و التي رآها عديمة الجدوى لان الدولة العثمانية في طريقها إلى الزوال ومن اجل ذلك قرر القيصر نيقولا الأول (١٨٢٥-١٨٥٥) إرسال بعثة .

تحرك القيصر نيقولا الأول (١٨٢٥-١٨٥٥) في اتجاهين قبل أن يدخل الحرب فكان الاتجاه الأول هو اتجاه دبلوماسي باتجاه الأستانة ممثلا ببعثة منشيكوف إلى استانبول من اجل التفاوض مع السلطان العثماني للحصول على امتيازات للرعايا الارثوذكس ^(٤) أما الاتجاه الثاني فكان اتجاه عسكري و هو احتلال ولايتي الدانوب في تموز ١٨٥٣ و كان هذا بقصد تحقيق مصالح بلاده في الدولة العثمانية و إلحاق الهزيمة

(٣) صفوت ، المصدر السابق، ص٣١

(4) BO.A.HR.MKT. Do 68. Go42.

T1270 (1853);

أحمد حامد ومصطفى محسن ، تورية تاريخي قرن جديد وعصر حاضره استانبولك فتحى زمانمزه قادار ، (استانبول :

(١٩٢٦) ، ص 611

(I) BO.A.HR.MKT. Do 68. Go42.

T1270 (1853);

أحمد حامد ومصطفى محسن ، تورية تاريخي قرن جديد وعصر حاضره استانبولك فتحى زمانمزه قادار ، (استانبول :

(١٩٢٦) ، ص ٦١١ .

(2) driault, p170f.

- السياسية بفرنسا ، فقبل بدء حرب القرم لم تكن روسيا مهياة عسكريا نتيجة تخلفها الاقتصادي و الذي انعكس سلبا على تسليح الجيش بشكل واضح ، بالإضافة إلى مصاعب روسيا المالية ، فكانت البلاد تفتقر إلى شبكة مواصلات حديدية لنقل قواتها و احتياطيها من الجنود^(١) في أواخر شهر شباط عام ١٨٥٣ أوفد الأمير منتشيكوف بمهمة خاصة تهدف الوصول إلى معاهدة بين الدولتين تكفل لروسيا موقفاً متفوقاً في الدولة العثمانية ويعطيها مبرراً قانونياً للتدخل في شؤونها الداخلية و على أية حال وصل السفير الروسي منتشيكوف إلى استانبول على متن سفينة حربية في ٩ اذار ١٨٥٣م و معه عدد كبير من الدبلوماسيين و العسكريين الروس ، و كان القيصر نيقولا يعتقد أن ضخامة الوفد المفاوض ستحدث أثرا عميقا في نفوس العثمانيين .^(٢)
- حدد القيصر لمنشيكوف في هذه المهمة تحقيق أربعة أهداف وهي :
- ١- تأمين اعتراف الباب العالي بحماية القيصر الروسي لرعايا السلطان من الطائفة الأرثوذكسية
 - ٢- الحصول على مرسوم عثماني بإعادة الأوضاع في الأماكن المقدسة إلى ما كانت عليه قبل عام ١٨٥٢م
 - ٣- عقد اتفاقية مع الحكومة العثمانية تضمن بموجبها حقوق الطائفة الأرثوذكسية .
 - ٤- عقد تحالف سري بين الدولتين تقوم بموجبه روسيا بدعم الباب العالي عسكريا ضد أي اعتداء فرنسي .
- بالإضافة إلى ذلك حصل منشيكوف على معلومات مفصلة عن مواقف الدول الأوربية من هذه الأزمة ، إلى جانب معلومات كثيرة عن مجلس الوزراء العثماني ومقرراته .^(٣)

(١) موسوعة تاريخ العالم الروسية ، ج ٦ ، ص ٢٩٦ ؛

الموسوعة العسكرية ، ج ١ ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٧٥٢

(٣) تمبلي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ؛ عمر ، المصدر

السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) عمر ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

آنذاك فقدمت مذكرة إلى الباب العالي تطلب فيها إعلان استقلال الجبل الأسود وعزل وزير الصرب الذي كانت روسيا تعدّه خصماً لسياستها وبعد مناقشة هذه المذكرة الجديدة مع السفير البريطاني كتب الباب العالي إلى منتشيكوف يقول له أن ما طلبه اعتداء على حقوق السلطان وتدخلًا صريحاً في شؤون الدولة وخروجاً عن مهمته ، وأخبره الصدر الأعظم أن المشاكل البلقانية لها حلول أخرى منها ما هو من شؤون السلطات الخاصة ومنها ما يتعلق بالتوازن الأوروبي^(٣) .

جاء هذا الرد صدمة لمنتشيكوف فغضب وأرسل في ٥ آيار ١٨٥٣ إلى الباب العالي مشروع معاهدة على غرار معاهدة خنكار اسكلي وأرفقه بمذكرة لها صفة الإنذار طلب فيها الاعتراف لروسيا بحماية الأرثوذكس حماية تامة مطلقة غير مقيدة بشرط وأعطى مهلة للرد على مذكرته تنتهي في ١٠ آيار يكون بعدها لسيده القيصر أن يتصرف كما يشاء للقيام بواجبه وتأمين مصالحه^(٤) .

عرض السلطان العثماني هذه المقترحات على بعض السفراء الأجانب ولاسيما السفير البريطاني في استانبول اللورد سترافورد أشار عليه الأخير أن يقبل البند الأول ويرفض البنود الأخرى^(١)، فالبريطانيين كانوا يريدون المحافظة على سلامة الدولة العثمانية إلى حين بأي ثمن وإعطاء الروس حق حماية الرعايا الأرثوذكس وهذا يعد أمراً خطيراً للغاية كون هؤلاء ليسوا كالكاثوليك أقلية ضئيلة العدد وإنما يمثلون الأكرية ونظراً لتجاور البلدين وللمطامع الروسية المعروفة في الدولة العثمانية كان هذا الطلب يعد خطيراً للغاية^(٢) .

تدخلت بعض الدول للوصول إلى حل بين العثمانيين والروس وعندما أبدى العثمانيين الموافقة على بعض البنود التي طالبت بها البعثة الروسية تمادت البعثة

(١) هاشم صالح الكركي ، "دبلوماسية حرب القرم ١٨٥٣ -

١٨٥٦" ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، العدد (٣٦) ، ١٩٨٨ ،

ص ١٠٧ .

(2) Inari Rauts, "The Eastern

Question Revisited, Case studies in ottoman Balance of power", this is of Doctor , the faculty of social sciences of the university of Helsinki-1993, P85.

(3) Oktay, A.G.E, S154 .

(٤) شرف ، تاريخ ، ص ٣٣١ ؛ هيثم هلال ، موسوعة

الحروب ، (بيروت : ٢٠٠٦) ، ص ٣٥٩ .

لتهدة الوضع^(٣) وطلب من منتشكوف ان يسحب إنذاره ، ويستعيز عنه بمعاهدة جديدة يطلب من السلطان منح بعض الامتيازات للروس في الأماكن المقدسة فقدم منتشيكوف المذكرة الجديدة ولكنه ختمها بقوله ((إن رفض الباب العالي قبول هذا الطلب يعتبره جلالة القيصر عملاً عدائياً لروسيا ولدينها))^(٤).

جاء رفض السلطان لهذا الطلب بتشجيع من سفيرى بريطانيا وفرنسا، فما كان من منتشيكوف إلا أن غادر استانبول هو وأعضاء وفده وحاشيته والسفير الروسي ليلة ٢١-٢٢ آيار، وكان إخفاق مهمة منتشيكوف نقطة تحول في السياسة الأوروبية في الشرق ولطمة عنيفة لكبرياء نيقولا الأول و عندما وصل خبر رفض الدولة العثمانية للمطالب الروسية قال القيصر نيقولا الاول " إنني أتحسس على خدي أصابع السلطان

اعتمد السلطان على رفض بريطانيا وفرنسا لبنود المعاهدة واخبر رئيس الديوان منتشكوف قبل نهاية مدة الإنذار انه لا يعتقد أن السلطان مستعد لتوقيع أي معاهدة تنال من استقلاله وتحد من سلطته الشرعية على رعاياه^(١).

حدد الديوان لمنتشكوف موعداً في ١٣ آيار أي بعد انقضاء المهلة بثلاثة ايام لمقابلة السلطان وتسلم الرد على مذكرته ، إلا انه في ذلك اليوم توفيت السلطنة الوالدة فطلب الديوان من منتشكوف تأجيل المقابلة إلى يوم آخر ولكنه أصرَّ على المقابلة في موعدها فأستاء السلطان كثيراً فأصدر في الحال أمراً بإقالة الوزراء جميعاً وإسناد الصدارة العظمى الى رشيد باشا^(٢) . وادخل في الوزارة اشد الساسة العثمانيين عداء لروسيا وفي ١٧ آيار بلغ منتشيكوف قراراً من قراراً من الصدر الأعظم الجديد وهيئة العلماء برفض المطالب الروسية ورد إنذار ٥ آيار ١٨٥٣ . وخلال هذه المدة تدخل السفير النمساوي

(١) А.М. ЗАЙОНУКОВСКИЙ , ВОСТОЧНАЯ ВОЙНА 1853-1856 TOM I Служба- Илетеру2002С341-342.

(٢) محمود شاكر، الخلفاء العثمانيون ، (بيروت : ٢٠٠٣) ،

(٣) محمد عابدين حمادة ، تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ،

ط ٢ ، (دمشق : ١٩٤٦) ، ص ٨ .

(٤) شرف ، تاريخ ، ص ٣٣٢ .

الخمس " (١) . و بعد مغادرة منشيكوف من استانبول
بأيام قليلة قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين (٢) .

قرر القيصر ان يضع أوروبا أمام الأمر الواقع بعمل
عسكري سريع فأذاع على شعبه في الكنائس في اواخر
يونيو ١٨٥٣م نداء جاء فيه " على الروس ان يعتمدوا
على الله في الدفاع عن الدين الارثوذكسي " (٣) .

احتلال المقاطعتين الدانوبيتين :

بعد رفض المطالب الروسية ووصول
الأسطولين البريطاني والفرنسي إلى مياه المضائق
العثمانية أمر القيصر الروسي جيوشه بان تحتاج
الولايتين الدانوبيتين الأفلاق والبغدان (رومانيا) وكانت
الولايتين تابعتين للسلطان العثماني اسمياً (٤) ، وقد أعلن

(١) مانتران ، المصدر السابق ، ص ١٣٥

Routsi, Op. Cit , P.85 . .

(٢) حسون ، المصدر السابق ، ص ١٨٩

(٣) عمر ، المصدر السابق ، ص ١٠٦

القيصر الروسي أنه لا يريد ان يفهم عمله هذا على انه
إعلان للحرب وإنما يهدف منه الى احتلال المقاطعتين
بوصفه تديراً وقائياً لكي لا تهاجم روسيا على حين
غرة (٥) . أعقب هذا التدبير نشاط دبلوماسي كبير
في اوربا الغربية للحيلولة دون تحول هذا النزاع إلى
حرب أوربية وحصره في إطار العلاقات بين روسيا
والعثمانيين إلا أن تأييد بريطانيا القوي للعثمانيين جعل
السلطان يتصلب في موقفه ويرفض كل تساهل في قضية
حماية الارثوذكس ، وأخيراً أحتج السلطان العثماني
على احتلال الجيوش الروسية لجزء من أراضيه وانذر
القيصر بضرورة الجلاء عنها فأجاب الروس على هذا
الإنذار بإعلانهم الحرب على العثمانيين في ٢٣ تشرين
الأول عام ١٨٥٣ . ونتيجة لخوف البريطانيين والفرنسيين
من اجتياح الجيوش الروسية للأراضي العثمانية فقد
تقدم أسطولهما نحو البحر الأسود في محاولة لتهديد
الروس وكبح جماحهم وأعلن البلدين ان أساطيلهما لن
تنسحب إلا إذا انسحبت روسيا من الأمارتين

اشرف محمد عبدالرحمن مؤنس ، الجمل في تاريخ الدول
العثمانية من النشأة إلى السقوط ، (القاهرة : ٢٠٠٩) ،

ص ٨٠ .

(5) Lord Eversley , The Turkish
Empire Its Growth and Decay
(London: 1918). PP 300-301. .

(4) Hans Kohn, Basic history of
Modern Russia, (Princeton: 1957) ,
P.29;

البريطانية لذلك كان للعامل الاقتصادي دور مهم في وقوف بريطانيا بجانب الدولة العثمانية^(٢) .

أما فرنسا فقد كان نابليون الثالث يشعر انه طرف رئيس في هذا النزاع طالما ان سببه ولو ظاهرياً السيطرة على الأماكن المقدسة كونه يعتمد في حكمه على تأييد الكاثوليك الفرنسيين ثم انه لا يستطيع أن ينسى أنه سليل عائلة بونابرت وهو ملزم بالتالي بإرواء ظمأ الفرنسيين للأجناد والانتصارات بعد أن حرموا منها حقبة طويلة^(٣)، وفوق ذلك فهو يرى في هذا النزاع وسيلة لإخراج فرنسا من العزلة التي فرضتها عليها اتفاقيات مؤتمر فينا كخطوة في طريق القضاء على كل هذه الاتفاقيات التي أبعدت فرنسا عما تصفه حدودها الطبيعية ولذا كانت هذه الحرب بالنسبة للفرنسيين وسيلة لاستعادة نفوذهم القديم^(٤) .

بالنسبة للنمسا فإنها كانت تحاول إيجاد حل مقبول لكل من روسيا والدولة العثمانية وعلى هذا

الدانوبيتين وفي ٢٣ تشرين الأول عام ١٨٥٣م أعلنت الدولتان الحرب على روسيا بعد ان دمرت هذه الأخيرة أسطولاً عثمانياً في البحر الأسود مما عدّ بمثابة عمل عدائي تجاه الدولتين^(١) .

موقف الدول الأوروبية من النزاع العثماني - الروسي

تباينت مواقف الدول الأوروبية تجاه هذا النزاع الذي زاد فيما بينهما الخلافات فبريطانيا لها موقف معروف متمسك به منذ أن برزت روسيا بوصفها قوة كبرى مناوئة لجارتها الدولة العثمانية ومزاحمة لبريطانيا في مناطق نفوذها (البحر المتوسط ، الهند وفارس) ، وهو المحافظة على سلامة الدولة العثمانية ومنع روسيا من الوصول إلى البحر المتوسط كما أن بريطانيا خشيت على اقتصادها من ان تتأثر ، نتيجة الخوف من تعرض روسيا لطريق التجارة

(٢) نوار ، تاريخ الشعوب ، ص ١٨٩ ؛ جرانث وتبرلي ،

المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ . وللمزيد من التفاصيل ينظر

التكريتي ، دبلوماسية ، ص ١٠٨ .

(٣) أكرم عبد علي ، تاريخ أوروبا الحديث ، (الأردن :

٢٠١٠) ، ص ١٧٢ .

(٤) نوار ونعني ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(١) أ.ج.ب. تايلور ، الصراع على السيادة في أوربا ١٨٤٨-

١٩١٨ ، ترجمة كاظم هاشم نعمة ويوثيل يوسف عزيز ،

(بغداد: ١٩٨٠) ، ص ٩٥ ؛ زياد ابو غنيمه ، جوانب مضبوطة

في تاريخ العثمانيين الأتراك ، (عمان : ١٩٨٣) ، ص ٢٣٦ .

الأساس قام وزير خارجيتها بيول بمباحثات مع الدول الأوربية للوصول إلى هدفين الأول إقناع القيصر بضرورة التوصل إلى حل مع السلطان والجلاء عن الإمارات الدانوبية^(١)، والثاني في حال فشل مساعيها هذه فإنها ستعرف المكافأة التي يمكن أن تحصل عليها من باريس ولندن إذا وقفت ضد روسيا لذا كان إمبراطور النمسا فرانسوا -جوزيف (١٨٤٨-١٩١٦) حذراً جداً من فرنسا بالرغم من عداوته لروسيا لأنه يرى أن فرنسا تريد توريطة في النزاع ضد روسيا كي تتمكن من طرد القوات النمساوية من مدينة لومبارديا وكان نابليون الثالث يمارس ضغوطاً مباشرة على النمسا لإجبارها على الوقوف ضد القيصر ومن هنا وجد فرانسوا جوزيف نفسه مجبراً على الاختيار بين أمرين إما الوقوف إلى جانب بريطانيا وفرنسا ضد القيصر أو الوقوف إلى جانب روسيا مع كل ما يتبع ذلك من احتمالات خسارته للمناطق الإيطالية ووقوعه تحت سيطرة القيصر في حال انتصار روسيا على الدولة العثمانية^(٢).

أما موقف بروسيا فقد كان مختلفاً فانهايار الدولة العثمانية لا يعينها مباشرة في حين ان معاداة روسيا قد تجر في المستقبل إذا ما تغيرت الظروف الحالية الى قيام تحالف روسي -فرنسي يضعها بين فكي كماشة ويؤدي للقضاء عليها وأكثر من ذلك فإن بسمارك لا يريد ابدأ التنسيق مع النمسا في الموقف ضد روسيا فمصلحته تتطلب تعميق الخلافات بينه وبين النمسا التي يجب أن يبعدها عن لعب أي دور مقبل فعال في الوحدة الألمانية التي يطمح لتحقيقها^(٣)، ولذا فإنه لا يريد اتخاذ موقف ضد روسيا التي سيؤدي انتصارها وبلا أدنى شك إلى إضعاف النمسا وبالتالي ستمتع بروسيا عن اتخاذ موقف واضح وتبعها في ذلك النمسا التي حاولت مرة ثانية اللجوء إلى المفاوضات الدبلوماسية لحل الأزمة القائمة بين روسيا والدولة العثمانية. وخلال ذلك قام بيول وزير خارجية النمسا بإعداد مشروع اتفاق ينص على تنفيذ المعاهدات السابقة بين الدولة العثمانية وروسيا وألح على وجوب التزام السلطان بإعطاء امتيازات

(١) تالور ، المصدر السابق ، ص ٨٥.

(2) BOA. A3 DVIV. MHM. DO. 96.

GO.18.1272. (1855).

(٣) عبد المجيد نعنعي ، محاضرات في معالم التاريخ الأوربي

الحديث ، (بيروت : ١٩٧٤)، ص ١٩٥ .

جاءت معلومات السفير الروسي في باريس على عكس ذلك إذ بدأت العمليات الحربية ضد روسيا بنزول قوات فرنسية وبريطانية قرب فارنا لمساعدة مدينة سيلستريا^(٥) على الدانوب المحاصرة من قبل الجيش الروسي، وعقب هزيمة جزئية للروس لعبت النمسا دوراً دبلوماسياً^(٦)، انسحبت بنتيجته روسيا من مقاطعتي الافلاق والبغدان في آب ١٨٥٤ واحتلتها النمسا مؤقتاً ، ثم تحول القتال إلى شبه جزيرة القرم في البحر الأسود ونزلت القوات الحليفة شمال سيباستبول حيث تحصن القوات الروسية واستمرت المقاومة سنة وسقطت بعدها المدينة^(٧).

خاصة للكنيسة الأرثوذكسية ودعى سفراء فرنسا وبريطانيا لمناقشته في مؤتمر يعقد في فينا^(٨).

توصل المؤتمر إلى إقرار المشروع في ٣١ تموز ١٨٥٣ وتم إرساله إلى القيصر الذي وافق عليه^(٩)، وإزاء هذا المؤتمر فإن بريطانيا ومن خلال سفيرها - سترافورد الذي علم بما يحضر في فينا عمد الى تحريض السلطان عبدالمجيد وحته على رفض المشروع المذكور والرد عليه بمشروع آخر يظهر فيه استياء الدولة العثمانية من مقررات فينا^(١٠)، وعندما استلم القيصر الملاحظات العثمانية التي لم يخف انزعاجه منها ، قرر التمسك بموقفه ضد العثمانيين مستنداً بذلك الى المعلومات الواردة من سفيره في باريس والتي تؤكد له عدم قدرة فرنسا وبريطانيا على القيام بعمل عسكري مشترك ضده^(١١).

حرب القرم ومعاهدة باريس

(٥) وهي مدينة محصنة في أوروبا العثمانية في بلغاريا بُنيت على الطرف المنبسط من نهر الدانوب عند سفح منحدرات صغيرة في ولاية روسجق فيها حوالي (٢٠٠٠٠) نسمة . وقد احتلت سلسلتيا عام ١٨٢٩ من قبل روسيا ثم عادت للعثمانيين وفي عام ١٨٥٤ حاصروها . موستراس ، المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

(6) William Miller, The Ottoman Empire and Its successors 1801-1927. (London : 1966), P216.

(7) Anderson M.A. The Eastern Question 1774-1923, Astudyin

(٨) مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، (القاهرة : ١٨٩٨) ،

. ١٨٩

(2) Rautsi, Op, Cit , P87.

(3) Ya\$ar Yiicel ve Ali Sevim Turkiye Tarihi, osmanli Donemi (1730-1861), Clit, IV. (Ankara: 1992), S279.

(4) B.O.A. HR. MKT DO.61 . GO.35 . T 1270 . (1853).

الشروط بوضع نظام جديد للولايتين الدانوبيتين بضمانة أوربية مشتركة مع حرية الملاحة في الدانوب وإعادة النظر في معاهدة المضائق الموقعة عام ١٨٤١م وتنازل روسيا عن مطلبها في حماية نصارى الدولة العثمانية^(٤)، وقد فشلت محاولات الوساطة الأولى إلا أنه بعد سقوط سياستبول وتولي الأسكندر الثاني (٢) آذار ١٨٥٥) العرش بعد وفاة نيقولا الأول^(٥)، وكان القيصر الجديد أكثر اهتماماً بشؤون روسيا الداخلية من السياسة التوسعية أو التدخل في الشؤون الأوربية ولما شعر اسكندر الثاني بأن متابعة الحرب قد باتت صعبة نتيجة للالزمة المالية التي تعانيها البلاد وخسارته للأسطول الروسي فضلاً عن هزائم الجيش في الحرب اخذ يمنح نحو السلم^(٦) وأمام شعور النمساويين بأن نهاية الحرب باتت وشيكة وخوفاً من ميل الفرنسيين نحو مساعدة سردينيا في قضية الوحدة الإيطالية قرروا ان يخوضوا الحرب ضد روسيا وفي أوائل ١٨٥٦

بحث الحلفاء عن حليف جديد وتمسكت النمسا بجيادها رغم الضغط المستمر من قبل الحلفاء إلا أن دولة سردينيا (البيد مونت) الصغيرة ابدت استعدادها للمشاركة ، ذلك ان رئيس وزرائها (كميلونودي كافور ١٨١٠-١٨٦١) (كافور)^(١) كان يعمل لتحقيق الوحدة ويبحث عن مساعدة الدول الكبرى لمواجهة النمسا ووجد في هذه الحرب فرصة لكسب عطف بريطانيا وفرنسا^(٢) .

أرسلت مملكة سردينيا (البيدمونت) قواتها للجبهة بصفتها دولة حليفة على قدم المساواة^(٣) . وجدت النمسا عروض الوساطة بين الفريقين وافقت مع الحلفاء على الشروط وأبلغتها روسيا وتقضي هذه

international Relations (London-1974), PP.132-133.

(١) رجل دولة إيطالي ولد في تورينو وتولى رئاسة وزراء سردينيا عام ١٨٥٢ وكان من أبرز العاملين على تحقيق الوحدة الإيطالية وإعلان مملكة إيطاليا بزعامة فكتور عمانوئيل الثاني (١٨٦١) . المنجد ، المصدر السابق، ص ٤٥٢ .

(٢) مجهول ، تلخيص ، ص ١٣٣ .

(٣) نعنعي ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ ؛ جورج لنشوفسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر خياط ، (بغداد : ١٩٦٤) ، ص ٣٨ .

(4) Basil Dmytryshyn, A history of Russia , (U.S.A: 1977), P.357 .

(5) B.O.A. A.3 DVN. MHM. Do 16 .

Go 18. T 1272 . (1855).

(6) شرف، فذلكه، ص ٢١٧ ؛ شميدت وآخرون ، موجز

تاريخ الاتحاد السوفيتي ، (موسكو : ١٩٨٦) ، ص ٨٧ .

- أرسلت النمسا إنذاراً إلى روسيا تطلب فيه منها أن تقبل بالمبادئ الأربعة دون قيد أو شرط وإلا سوف تعلن الحرب عليها^(١) والنقاط الأربع هي :
١. وضع الإمارات الدانوبية تحت حماية فرنسا ، بريطانيا ، النمسا ، روسيا ، بروسيا المشتركة على أن تحتلها القوات النمساوية مؤقتاً^(٢) .
 ٢. تضمن الدول المذكورة حماية الرعايا النصارى الخاضعين للسلطان .
 ٣. تشرف هذه الدول على حرية الملاحة في الدانوب^(٣) .
 ٤. تتفق هذه القوى مع الدولة العثمانية لتعديل الاتفاق المعقود في ١٨٤١ والمتعلق بمرور السفن في المضائق^(٤) .
- في ١٦ كانون الثاني ١٨٥٦ أجابت روسيا بالقبول ولم تعد هناك ضرورة لدخول الحرب فوجهت الدعوة إلى عقد مؤتمر للسلام في باريس وانتهى بتوقيع معاهدة باريس في ٣٠ آذار ١٨٥٦^(٥) (ومشاركة الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا) والتي نصت على ما يلي :
١. إدخال الدولة العثمانية إلى حظيرة الدول الأوروبية وخاضعة للقانون الدولي ووافقت الدول على أن تشترك في ضمان استقلال الدول العثمانية ووحدةها^(٦) .
 ٢. قبول مبدأ تحكيم الدول في حالة وقوع خلاف بين الدول العثمانية وبين إحدى الدول الأوروبية .
 ٣. يعترف السلطان بالمساواة التامة بين رعاياه على اختلاف اديانهم ومذاهبهم أي انه لا

(١) أ.ج.ب، تايلور ، الصراع على سيادة أوروبا ١٨٤٨-

١٩١٨، ترجمة فاضل جنكر ، (ابو ظبي: ٢٠٠٩) ، ص ص

١٣٠-١٣١ .

(٥) حسين فوزي النجار ، السياسة والإستراتيجية في الشرق

الأوسط ، ج ١ ، (القاهرة : ١٩٥٣) ، ص١٦٣ ؛ للمزيد من

التفاصيل عن مواد معاهدة باريس ينظر الحامي ، تاريخ ، ص

ص ٥١٤-٥٢١ .

(6) Eversley , Op. Cit . PP. 97-98 .

(2) Dmytryshn, Op. Cit , P.357 .

(3) Davison , Ottoman diplomacy , P.582.

(4) Rautsi , Op.Cit , P.92 .

٧. ضمنت الدول العظمى لصربيا مكافأة على
حيادها خلال الحرب مع بقائها خاضعة
لسيادة السلطان^(٤).
٨. الاعتراف بحق الدولة العثمانية في إغلاق
مضيق البوسفور والدردنيل في وجه السفن
الحربية لسائر الدول^(٥).
٩. إعادة سيواسبول (شبه جزيرة القرم) إلى
روسيا مقابل أن تكون قارص للدولة
العثمانية.
١٠. تتمتع الولايتين الدانوبيتين (الافلاق والبغدان)
باستقلال ذاتي ضمن الدولة العثمانية^(٦).
- يحق لأية دولة أجنبية التدخل بشؤون رعايا
السلطان^(١).
٤. تعترف الدول الأوروبية بالسيادة العثمانية
على المضائق ويحظر على روسيا بناء
أسطول حربي وإنشاء معامل حربية
وأسلحة وحصون وبذا يصبح البحر الأسود
محايذاً^(٢).
٥. حفظ كيان الدولة العثمانية وهكذا حفظت
الدول السلطان عبد المجيد من شر القياصرة.
٦. حرية الملاحة في نهر الدانوب (الطونة)^(٣).

نتائج حرب القرم :

١. انتشار الكثير من الأمراض كالتييفوس والكوليرا وذات
الرئة نتيجة كوارث الحروب.

(I) B.O.A.A DVN, Do 155 , Go 9. T
1274. (1856).

(٢) توفيق ، عثمانلي تاريخي ، ص ص ٣٠٦-٣٠٧ ،
حقوق عمومية دول ، ايكيجي كتاب ، ص ٨٢٤ .

(٣) عدنان العطار ، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ،
(بيروت : ٢٠٠٦) ، ص ١٥٢ ؛ محمد موسى آل طويرش ،
دراسات في تاريخ العلاقات الدولية ، (بغداد : ٢٠٠٧) ،
ص ٤٣ ؛ محمود شاكر ، محنة المسلمين في كوسوفا ، (الرياض :
٢٠٠٠) ، ص ٩٣ .

(5) G.A. Kertesz, Documentsin the
political history of European continent
1815-1939. (London: 1968),
PP.198-199.

(6) B.O.A.A DVN Do 155 Go 9. T
1274 (1856).

الشؤون المشتركة بينهما^(٣)، وكانت الحركة الوطنية في رومانيا قد بلغت مرحلة متقدمة حين اجتمع البرلمان عام ١٨٥٩ الأول في ملدافيا والثاني في ولاشيا لينتخب كل واحد منهما أمير ولايته وإذا بالجلسين ينتخبان للامارتين شخصاً واحداً هو اسكندر كوزا (CUZA)^(٤) ونجحت هذه المؤامرة الوطنية فاعترفت الدولة العثمانية والدول الأوربية بالأمر الواقع وقد وحد الأمير اسكندر البرلمانيين عام ١٨٦١ وأعلن وحدة الولايتين وقيام الدولة الرومانية الجديدة وجعل عاصمتها بخارست في ولاشيا، وقد وافقت الدول على ذلك على ان تدفع رومانيا جزية سنوية للسلطان^(٥).

٢. استقلال رومانيا (ملدافيا وولاشيا)^(١)، إذ ان هاتين المقاطعتين كانتا قد وقعتا تحت السيطرة العثمانية منذ نهاية القرن الخامس عشر ولكنهما ظلتا تتمتعان بحكومتين محليتين يحكمهما أمراء من أهلها ثم وضع العثمانيون حكمهما في يد أميرين يونانيين يوليها الباب العالي . وكانت العوامل التي ايقظت رومانيا وأثارت فيها الروح القومية هي العوامل ذاتها التي ايقظت الشعب اليوناني، فقد بدأ الرومانيون يشعرون أنهم أصحاب قومية لاتينية قائمة بذاتها ذات تاريخ مجيد فاحذوا يهتمون بلغتهم يدرسونها ويصلحونها وقامت حركة أدبية وتهديبية تجلت مظاهرها في المدارس التي أنشئت، وفي الصحف التي أصدرت^(٢).

بموجب معاهدة باريس ١٨٥٦ منحت استقلالاً داخلياً لتكونا حاجزاً بين الدولتين العثمانية والروسية . ثم ما لبثت الدول ان اعترفت عام ١٨٥٨ بحق الولايتين في أن يكون لكل منهما دستورها وبرلمانها الذي ينتخب أميرها وان تتألف لجنة تعالج بعض

RE\$AT EKREM, Osmanli
muahdeleri vekapitula-siyonlar
1300-1920 Velozanmahedesi 24
temmuz 1923, (Istanbul: 1934),
S200.

(٤) هو سياسي ولد عام ١٨٢٠ ووصل إلى رتبة عقيد في جيش البغدان ثم انتخب أميراً عليها وأكره على الاستقالة عام ١٨٦٧ م ، علي حسون ، العثمانيون والروس ، (بيروت : ١٩٨٢) ، ص ١٢٠ .

(٥) جرائد وتبرلي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ؛ حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١٢٠ .

(١) مؤلف مجهول ، التاريخ الحديث ، (دمشق : ١٩٥٦) ،

ص ١٩ .

(٢) قاسم وحسين ، تاريخ القرن التاسع عشر، ص ١٨٥ .

٣. اجتهدت الدول الأوروبية في مساعدة الصرب والجبل الأسود للحصول على الانفصال، كما بذرت بذور الشقاق في بلاد البوسنة والهرسك حتى قامت فيهما حركات خطت خطوات واسعة نحو الانفصال فأظهر ميلوش اوبرينوفيتش أمير الصرب الانفصال حين أعلن وراثية حكمه عام ١٨٥٩م على غير مشيئة السلطان^(١)، وأضفى خلفه ميخائيل على الصرب مظهر الدول الأوروبية المتمدنة ونجح في إجبار الحاميات العثمانية على الجلاء عن بلاده بحيث لم يبق من سلطة الدولة العثمانية في الصرب من اثر سوى رفع العلم العثماني بجوار العلم الصربي فوق أسوار بلغراد^(٢) .
٤. حافظت إمارة الجبل الأسود على انفصالها عن الدولة بفعل مناعة موقعها وفشلت محاولات الباب العالي في إعادة بسط سيطرته على الإمارة بفعل تدخل الدول الأوروبية ، حيث أرسلت فرنسا وروسيا مراكبهم عام ١٨٥٨ إلى سواحل الجبل الأسود لمنع الجيوش العثمانية من الدخول إلى الجبل الأسود^(٣) .
٥. زادت حرب القرم من تدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية وإثارة الفتن في بعض الولايات ومساعدتهم في الاستقلال عن الدولة^(٤) ، ومثال ذلك ما حدث في جزيرة كريت ومدينة جدة .
- وبالنسبة لجزيرة كريت فقد أوقعت الدول الأوروبية فتنة بين المسلمين والنصارى وحدث قتال بينهم وقتل عدد كبير ولولا فضل تساهل وزراء الدولة العثمانية وبعض الدول بعزل واليها وتعيين سامي باشا مكانه لتقرير الأمن وإرضاء النصارى من سكان الجزيرة فرجعت السكينة إلى ربوعها وأمكن فؤاد باشا أن يجاوب سفراء الدول على ملاحظاتهم بخصوص هذه المسألة أن لا حق لهم بالتدخل إذ لا اضطرابات أو قلق لتوجب هذا التدخل غير الشرعي^(٥) .
٦. بدأ في هذه الحرب تطوع الصليب الأحمر لإسعاف الجرحى وتخفيف آلام المصابين بعد أن كثرت المصائب

(٣) مجهول ، التاريخ الحديث، ص ٢٢٢ .

(٤) رونفان، المصدر السابق، ص ٣٤١ .

(٥) مجهول ، التاريخ ، ص ٢٠ : قاسم وحسني ، تاريخ القرن

التاسع عشر منذ ، ص ١٨٦ : رونفان ، المصدر السابق ،

ص ٣٤٢ .

(١) مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ،

ط ٣ ، ج ٣ ، (عمان : ٢٠٠٩) ، ص ٧٩٩ ؛ عبدالحكيم

عبدالغني قاسم ، العلاقات الدولية بين أوروبا والشرق ١٧٨٩-

١٩١٩ ، (القاهرة : ٢٠٠٩) ، ص ٢٤٦ .

(٢) جرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٤٠ .

كان القيصر الروسي منذ فترة طويلة يرغب بتقسيم الدولة العثمانية والحصول على كامل شواطئ البحر الاسود والمضائق التي يعتبرها حيوية للمصالح الروسية السياسية والاقتصادية، وكان قد حاول عدة مرات الحصول على موافقة بريطانيا .

غالبا ماكانت روسيا تتدخل في شؤون الولايات العثمانية الاوربية خاصة ذات السكان الذين يعتنقون المذهب الارثوذكسي وعندما وقعت حرب القرم كان لها اثر كبير على مصير الولايات العثمانية الاوربية .

في الحرب، وكان الفضل بتأسيس جمعيات الصليب الأحمر إلى الأنسة فلورنس نينغل التي قامت بأعمال التمريض في الحرب^(١) .

الخاتمة :

لم تكن هناك مسألة شرقية طالما كانت الدولة العثمانية في مرحلة التوسع والفتح وفي وضع يجعلها قادرة على حماية اراضيها ومكتسباتها وقد برزت المسألة الشرقية مع بداية انحسار المد التوسعي العثماني عن اوربا ومع اتجاه العثمانيين المتزايد نحو فقدانهم تفوقهم العسكري بالنسبة لدول اوربا وخاصة بالنسبة لجيرانهم الروس والنمساويين وفي خلال القرن التاسع عشر طرحت المسألة على بساط السياسة الاوربية بشكل جدي في أكثر من مناسبة ويمكننا ان نعتبر حرب القرم والتي وضعت حدا لفترة السلم الاوربي الطويلة التي اعقبت مؤتمر فيينا احدى مراحل هذه المسألة الهامة .

(١) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى ، العالم الحديث ، (دمشق

: ١٩٥٠) ، ص ٣٣١ ؛ محمد رفعت بك ، التيارات السياسية

في حوض البحر الأبيض المتوسط ، (القاهرة : ١٩٤٩) ،

التعليم في الموصل في فترة عودة الحكم المركزي عام ١٨٣٤ - ١٨٧٩

م. د. سجي قحطان محمد قبع

شهدت الموصل بوجه خاص والعراق بوجه عام، منذ مطلع القرن الثامن عشر بوادر حركة ثقافية ذات طابع ادبي شملت اغلب مدنه الكبيرة وقد لعب ظهور الاسر الحاكمة دوراً اساسياً في احراز أي تقدم ثقافي في ذلك العصر خاصة وان عدداً من هذه الاسر كان من الشعوب المحكومة ذاتها الامر الذي ساهم في ارتفاع شأن اللغات القومية وتقدم ادابها المحلية وهذا ما حصل في الموصل في زمن حكم ال عبد الجليل والذي دام ما يزيد على المئة سنة.

هذا التطور والتقدم ازداد بعد عودة الحكم المركزي للولايات العربية الخاضعة للحكم العثماني ومنهم الموصل سنة ١٨٣٤ والذي ساهم في هذا التطور هو ظهور مجموعة القوانين الإصلاحية العثمانية خط شريف كوخانة ١٨٣٩م، وخط شريف همايون ١٨٥٦م التي طرحت ضمن قوانينها قوانين خاصة بالتعليم الحديث مبدأ تطبيقها في مختلف الولايات الخاضعة للحكم العثماني ومنها الموصل. فضلاً عن ذلك فقد سمحت تلك القوانين لأبناء الطوائف غير المسلمة بافتتاح مدارس أهلية خاصة بهم هذا ناهيك عن المدارس الأجنبية التي أسستها الارسلالات التبشيرية.

قسم البحث الى ثلاثة مباحث سلط الأول منها الضوء وبشكل مختصر على أوضاع التعليم في الموصل حتى عودة الحكم المركزي اليها عام ١٨٣٤م ثم المؤسسات التعليمية الدينية وقسمت الى قسمين الأول خصص للكتابة عن المدارس الدينية الملحقة بالمساجد والجوامع والتي بدأ انشاؤها ما بعد دخول الموصل في حوزة الدولة العثمانية.

اما البحث الثاني فقد خصص للكتابة عن التعليم الحديث الذي يشمل المدارس الابتدائية والمدارس الرشدية ثم الإعدادية فضلاً عن المدارس المهنية كما عالج المبحث مسألة غاية في الأهمية الا وهي النظرة الى تعليم المرأة تعليمياً حديثاً وكيف كانت ردة فعل أهالي الموصل تجاهه.

في حين تعرض المبحث الثالث الى التعليم الخاص والذي قسم الى قسمين الأول مدارس الطوائف غير المسلمة والتي يعود منشأؤها الى سياسة الدولة العثمانية في اعتبار كل طائفة ملة قائمة بذاتها فمنحتها امتيازات خاصة كان من بينها حق تأسيس مدارسها الخاصة اما القسم الثاني فهي مدارس الارسلالات الأجنبية التي كان التعليم من ابرز أنشطتها حيث

وضافه في خدمة نشاطهم التبشيري كما تطرق المبحث الى مظهر مهم من مظاهر التقدم وهو ادخال اول مطبعة الى الموصل وذلك سنة ١٨٥٨ من قبل الادباء الدومينكان.

Introduction

Mosul in particular, and Iraq in general, since the beginning of the eighteenth century, has witnessed a cultural movement of a literary nature that included most of its large cities and the emergence of the ruling families played a key role in the achievement of any cultural progress in that age, especially as a number of these families were a controlled people themselves, which contributed to the language of the national languages and the progress of their local literature, which happened in Mosul at the time of the reign of Abdul Jalil, which lasted more than a hundred years.

This development and progress has increased after the return of the central Government of the Arab States of the Ottoman rule, including Mosul in 1834, which contributed to this development is the emergence of the group of Ottoman correctional laws the line of Sharif Kulkhanad 1839 CE.

The line of Sharif Samuel of 1856, which has introduced in its laws special laws on modern education, is the principle of its application in the various states under Ottoman rule, including Mosul. Moreover, these laws have been heard for the news of non-muslim communities by the opening of their own private schools, not to mention the foreign schools established by missionaries.

المبحث الأول

أوضاع التعليم في الموصل حتى عام ١٨٣٤م

عندما خضعت الموصل للحكم العثماني سار العثمانيون على النهج القديم في مسألة كون التعليم بيد علماء الدين الذين يزودون الكتاتيب ومدارس العلوم الدينية العليا بالمعلمين كل هؤلاء يخضعون لشيخ الإسلام الذي يعد الموجه الأول للتعليم في الدولة العثمانية فهو الذي يقرر ما يدرس للشباب في الدولة^(١).

أما بالنسبة للمؤسسات التعليمية فمن الجدير بالإشارة أن أمرها لم يكن منوطاً بمؤسسة رسمية إذ كان السلاطين وبعض الميسورين وورثة المتوفين من الأغنياء هم الذين يقومون بإنشاء هذه المدارس وتخصيص المبالغ لها والصرف على طلبتها من باب القيام بالأعمال الخيرية^(٢) وكانت هذه المدارس مرتبطة بالمساجد والجوامع وقد ضمت الموصل العديد منها مثل المدرسية العبدلية في جامع الشيخ عبدالوالت

شيدت عام ١٦٧١م، والمدرسة الخزامية في جامع الشيخ خزام عام ١٦٩٥ ومدرسة الحاج محمود النومة التي شيدت في مسجد خزرج عام ١٧٠٨م وغيرهم^(٣) وعندما فوضت الدولة العثمانية حكم الموصل إلى آل الجليلي، أحدث هؤلاء الولاة نهضة علمية بما بذلوه من مساع حثيثة في الاهتمام بالعلوم ونشرها عن طريق تشييدهم للمدارس المستقلة^(٤) والملحقة بالمساجد والجوامع حتى قبل توليهم الحكم في الموصل المدرسة الخليلية التي بناها خليل أغا بن عبد الجليل عام ١٧٠٢ م^(٥) كما جددوا عمارة بعض المدارس القديمة كالمدرسة الأمينية التي جسدت عام ١٧٧٨ م من قبل سليمان باشا بن محمد امين باشا الجليلي^(٦)، وقد أوقفوا على هذه المدارس كل ما تحتاجه العملية الدراسية وجعلوا في كل مدرسة خزانة تحتوي على نقائس الكتب والمخطوطات في شتى العلوم فضلاً عن

(١) H. U. Weitbrecht , "Educational Reform in Turkey" , The Moslem World, January 196, (New York , 1966) ,. VI - 267.

(٢) بدر مصطفى عباس، الحياة التعليمية في ولاية بغداد (

١٨٦٩ - ١٩٠٩م)، أطروحة دكتوراه كلية الاداب، (جامعة

الموصل، ١٩٩٧) ، ٣٠.

(٣) للمزيد ينظر : سعيد الديوه جي، مدارس الموصل في العهد

العثماني، (الموصل، ١٩٦٤)، ١٢ - ١٥.

(٤) سليمان الصايغ، تاريخ الموصل، (مصر، ١٩٢٣)، ١/٣٢١.

(٥) الديوه جي، المصدر نفسه، ١٦-١٧.

(٦) المصدر نفسه، ٢١.

لقد طبعت الموصل بطابع ثقافي لفترات لاحقة للفترة الجليلية وهذا ما يتجسد لنا بوضوح من خلال اندهاش القنصل الفرنسي في الموصل من اهلها الذين كانوا يعلمون اخبار فرنسا و نابليون بنابرت، حيث يقول في تقريره المؤرخ في سنة ١٨٥٤ "انني ازداد اندهاشا واستغرابا في كل يوم من أن تاريخ الإمبراطورية (الفرنسية) يعرفه الناس هنا (اي في الموصل) . . .^(٦)

المؤسسات التعليمية الدينية:

أ- الكتائب

تعد الكتائب التي وجدت في العراق ايام العثمانيين أمّدادا للأسلوب القديم في التعليم اذا كانت تسير على

أهتمامهم وتكريمهم للعلماء الذي نبغوا وفاضت بهم الموصل^(١).

والملاحظ أن حركة التعليم خلال هذه الفترة شهدت تطورا مهماً يتمثل في استقلال بعض المدارس والجامع^(٢) ومن أهم تلك المدارس مدرسة الرابعة ومدرسة العمانية ومدرسة يحيى باشا^(٣).

هكذا نلاحظ أن الحركة التعليمية في الموصل ازدهرت في العهد الجليلي فبرزت طبقة اجتماعية مؤثرة في تاجها الفكري وتكاد الموصل تنفرد بذلك عن بقية المشرق العربي، وعد مركز الموصل في علاقاته الثقافية مستقطب لمئات الدارسين والمعلمين والزوار من مراكز الاقاليم والولايات العربية العديدة^(٤) فضلا عن الوافدين اليها من المدن العراقية الأخرى كالبصرة وبغداد^(٥).

العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١٧٢٦-١٨٣٤م)، (النجف، ١٩٧٥) ٤١٤-٤١٥.

(٦) للمزيد عن الحياة الفكرية في الموصل خلال العهد الجليلي ينظر: المصدر نفسه، ٣٩١، وما بعدها ينظر: سيار كوكب علي الجميل، "الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي (١٧٢٦-١٨٣٤) ندوة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني"، (زغوان، ١٩٨٨)، ٢٥٦، وما بعدها.

(٦) سيار كوكب علي الجميل، زعماء وافندية الباشاوات العثمانية والنهضويون العرب، البنية التاريخية للعراق الحديث (الموصل نموذجا)، (عمان، ١٩٩٩)، ١٦٨.

(١) ذنون يونس الطائي، "خطط الموصل في العهد العثماني"، بحث منشور في ندوة الموصل في مدونات الرحالة، مركز دراسات الموصل، (الموصل، ١٩٩٧)، ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الصايغ، المصدر السابق، ١/ ٣٢٢.

(٤) لقد كان من بين الذين قصدوا الموصل في تلك الفترة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي الذي نشره في نجد وكان قد التقى بعلماء الموصل من المحددين في المذهب السلفي للتفاصيل ينظر، عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في

تصرف وارداتها كأجور للشيخ واغذية و البسة للطلاب وبالطبع كان الواقف هو الذي يعين الشيخ القائم بالتدريس^(٦) ومما ساعد على ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن في البداية تعد الخدمات التعليمية من اختصاصها وإنما من اختصاص الأفراد والجماعات كما اسلفنا من قبل، إلا أنها على الرغم من ذلك كانت تشرف عليها من بعيد عن طريق القاضي^(٧).

وقد أطلق على هذه المدارس تسميات أخرى مختلفة مثل (مدرسة الحلة) لوجودها في كل حلة من محلات المدن كما كانت تسمى بـ (دار التعليم) او (

النهج نفسه وتتبع الخطوات الدراسية نفسها^(١) فكان الأطفال يتعلمون فيها القرآن الكريم والكتابة، والحساب^(٢) وفق أساليب خاصة. والكتاب هو المدرسة الأولى التي يدخلها الطفل بعد سن السادسة من العمر^(٣) وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع المدن والقرى وتقوم عادة بالقرب من المساجد أو في المساجد نفسها ولم تكن الحكومة تتدخل في هذه الكتاتيب أو تقدم المساعدة لها، وإنما كان ينشؤها الشيخ بنفسه^(٤) وكان التعليم في هذه الكتاتيب مجانا إلا أن الإباء عادة كانوا يسهمون في تقديم الأموال إلى المعلمين (الملاي)^(٥) ويوقفون عليها الأوقاف التي

(١) عبدالرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (١٦٣٨ - ١٩١٧م)، (بغداد، ١٩٥٩)، ٤٧.

(٢) محمد حسين الزبيدي، التربية والتعليم، حضارة العراق (بغداد، ١٩٨٥)، ٢٩٦/١٢؛ محمد انيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤)، (القاهرة، ١٩٨٥)، ٩٩.

(٣) الهلالي، المصدر السابق، ٤٧.

(٤) ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، (دمشق، ١٩٧٣)، ١٧٠؛ كروتورد بيل، فصول من تاريخ العراقي القريب، ترجمة جعفر خياط، (بيروت، ١٩٧١)، ٣٣-٣٤.

(٥) الملاي: مفرداها ملا أو منلا وهي كلمة عربية الأصل وكانت سابقا تطلق على القضاة الكبار الحاصلين على مرتبة المولية مثل قاضي مكة وقاضي مصر كما تطلق على العالم

الكبير وعلى طلبة العلوم الدينية، ينظر: شمس الدين سامي، قاموس تركي، (استانبول، ١٣١٧ هـ) ١/ ١٣٩٨.

وفي الموصل كان مؤدب الصبيان يعرف أيضا باسم الملا كما حمل بعض المشعوذين الذين يمارسون أعمال السحر هذا الاسم أيضا فكان ملا علي وملا حسين في بعض احياء الموصل والمقصود بهم السحرة: ابراهيم خليل أحمد، "اوضاع التعليم في العراق في مطلع العهد العثماني"، مجلة التربية والعلوم، (الموصل، ١٩٨١)

٣، ٣٨.

(٦) الصباغ، المصدر السابق، ١٦٩.

(٧) المصدر نفسه، ١٦٩.

التعليم هي اللغة العربية ليس في الولايات العربية فحسب بل في استانبول أيضاً^(٥).

وفي الواقع لا توجد احصائية ثابتة ودقيقة لعدد الكتائب في الموصل خلال الفترة قيد البحث^(٦) ومن الملاحظ ان الدولة العثمانية لم تمد يد الاصلاحات إلى هذه المدارس على الرغم من اهتمامها باصلاح اوضاع التعليم بوصفه الركيزة الأساسية في التقدم والرفي الذي كان ينشده دعاة الاصلاح حيث بقي امر هذه المدارس على حاله حتى عام ١٨٧١^(٧) والسبب في ذلك هو خشية الدولة من حدوث صدام بينها وبين المتعصبين الذين كانوا يعدون رجال الاصلاح ملحدين، لرغبتهم في الاقتباس من الغرب هذا فضلاً عن ان الدولة اخذت بزمام الاصلاحات بشكل هرمي أي انها تبدأ بالمؤسسات التعليمية العليا لحاجتها الماسة إلى توفير كوادر ادارية وعسكرية متقدمة.

ب- المدارس الدينية الملحقة بالمساجد والجوامع:

معلمخانه) او (مكتبخانه) او (صبيان مكتبلري) وكلها تقابل تسمية الكتائب^(١).

ولم تكن مباشرة الأطفال بالمدرسة تتطلبه سوى جلب القرآن الكريم أو أحد اجزائه التعليمية الدينية وهو عادة (جزء عم) وبعض الألواح والمحبرة والاقلام القصية^(٢) ولم يكن يشترط في الملا أو الملية (الملاية) بالنسبة للبنات - سوى ان يكون حافظاً للقرآن الكريم وما يتطلب ذلك معرفة للقراءة والكتابة أما مكان التدريس فيكون في حجرة صغيرة في المسجد أو في دار الملا أو في دكانه وكان يساعد الملا في عمله شخص يدعي الخلفة وكان من واجباته الاشراف على الاطفال الجدد واناة الملا عند غيابه^(٣) وهذه مدارس كانت تختص بتعليم القرآن والصلاة وتهتم قليلا بالكتابة^(٤) وما ان اهدف الاساس من الكتائب هو تعليم القرآن الكريم فانه من البديهي ان تكون لغة

(١) فاضل مهدي بيات: "التعليم في العراق في العهد العثماني،

دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية" مجلة المورد، م

٢٢، ع(١)، ١٩٩٤، ٣٤.

(٢) الهلالي، المصدر السابق، ٤٨.

(٣) غانم سعيد العبيدي : التعليم الأهلي في العراق بمراحلته

الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، (بغداد، ١٩٧٠)، ٨٧.

(٤) بيات، المصدر السابق، ٣٤.

(٥) أنيس، المصدر السابق، ٩٩ ؛ الصباغ، المصدر السابق،

١٧٠.

(٦) هناك ثمة احصائية تخمينية للكتائب في العراق في أواخر

العهد العثماني تقول انها لا تقل عن (٤٠٠) كتاب، ينظر :

أحمد، اوضاع التعليم في العراق . . ، ٣٨.

(٧) بيات، المصدر السابق، ٣٤.

في نشر المذهب الحنفي فأنشؤا مثلاً في الموصل مدرسة لتدريس الفقه الحنفي وعلوم القرآن الكريم^(٣).
لقد كانت المدارس الدينية في الموصل كغيرها من المدارس الدينية في باقي ولايات الدولة، فهي إما أن تكون ملحقة بالمساجد والجامع أو في دور خاصة ولم يكن مقتصراً على ولاية الدولة فحسب بل أن العديد منها شيد من قبل أولي الخير وأوقفت عليها العقارات الكثيرة ويمكن للمطلع على سجلات مديرية الأوقاف العامة أن يجد العديد من المدارس التي كانت ولا تزال مرتبطة بها ويجري فيها تدريس العلوم العقلية والنقلية^(٤) وقد خصصت لكل مدرسة خزانة كتب تحتوي على نفائس المخطوطات في مختلف العلوم والآداب^(٥) وكانت هذه المدارس خاصة بالمسلمين ولغة التدريس فيها كانت العربية ثم دخلت اللغة الفارسية أما اللغة التركية

تعد المدارس الدينية أقدم مؤسسة تعليمية عثمانية وقد بدأ بإنشائها بعد قيام الدولة العثمانية مباشرة حيث تأسست أول مدرسة دينية في أزيك سنة ١٣١٣ م ثم في بورصة وأدرنة ومدن الأناضول والروميلي قبل فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣^(٦) إلا أن هذا لم يكن يعني أن العثمانيين هم من أوجدوا هذه المدارس في العراق حيث أنها وجدت فيه من العصور الإسلامية^(٧) والذي فعله العثمانيون لا يعدو عن كونه توسيعاً لدائرة تلك المدارس انطلاقاً من سعي العثمانيين

(١) المصدر نفسه، ٣٤.

(٢) لقد برزت في العراق منذ العصور الإسلامية الوسطى مدرستان رئيسيتان هما مدرسة النجف الدينية في النجف وفروعها في الحلة وكربلاء والكاظمية وسامراء ولها صدى غير قليل في بغداد والبصرة أما الثانية فكانت قاعدتها بغداد ولعلها في الموصل لا تقل شأنًا عما كان لها في بغداد واستمرت تقدم خدماتها في المحافظة على العلوم العربية والدينية وما بقي لها من تراث قديم على الرغم من وقوعها بين تيارات تجذبها ذات اليمين وذات الشمال وكان للسياسية التي أتهجتها السلطة العثمانية بانحيازها إلى الفئة الثانية سبباً في اغلاق الفئة الأولى على نفسها ما أحدث التقريب بين رعايا الدولة والانقسام في صفوف أبناء الوطن الواحد إذ بدأت كل فئة تهتم بأمورها العلمية والثقافية، ينظر: إبراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، (بغداد، ١٩٧٨)، ١٠٧-١٠٨؛ الهلالي، المصدر السابق، ٤٣.

(٣) الهلالي، المصدر السابق، ٣؛ هند قتال ورفيق سكري، تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر، (د. م، ١٩٨٨)، ٧٥؛ الطائي، الاتجاهات الإصلاحية، ٣٤.

(٤) الهلالي، المصدر السابق، ٨٣؛ رؤوف، المصدر السابق، ٤٢١.

(٥) سعيد الديوه جي، مدارس الموصل في العهد العثماني، (الموصل، ١٩٦٤)، ٢.

وكان في مقدمة هؤلاء الولاة الوالي محمد اينجه بيرقدار الذي عمر عدداً من المدارس منها:

١- المدرسة الأحمدية : تقع في محلة باب السراي قريبة من الجامع العباسي^(٥)، وقد بناها احمد افندي بن بكر أفندي بن علوان الموصلية وهو من علماء الموصل البازين وقد باشر ببناء المدرسة عاد ١٧٨٦م ووقف عليها خزانة كتب وجعل فيها مسجدا للصلاة^(٦) وفي سنة ١٨٣٩م، جدد محمد اينجه بيرقدار بعض اقسام المدرسة^(٧) وجرّد عمارة المصلّى والسبيلخانة^(٨) التي في الجامع ووقف عليها ابنه عثمان بك بعض الكتب والمخطوطات^(٩).

فلم تجد طريقها اليها إلا بعد اعلان التنظيمات سنة ١٨٣٩م^(١).

وكان مجموع هذه المدارس في عموم الدولة العثمانية لا يقل عن (٢٥٠٠) مدرسة^(٢) ويلتحق بها خريجو الكتاتيب^(٣) ولم يكن لهذه المدارس مدراء ولا اساتذة دائمين ولا اجور دراسية كما أنه ليس للمدرسة موازنة ولا مدة معينة من السنوات للتخرج، والتعليم في هذه المدارس يمتاز بالحرية الواسعة النطاق فالطالب حر في اختيار الأستاذ الذي يريد أن يتلقى عنه موضوعا من المواضيع و الدراسة فيها تستمر طوال السنة^(٤).

والملاحظ أن هذه المدارس ازدهرت كثيرا في العهد الجليلي وبعد عودة الحكم المركزي للموصل استمرت هذه المؤسسات التعليمية في عطائها، وعلى الرغم من عدم اهتمام الولاة العثمانيين بتشديد مدارس دينية جديدة إلا أن بعضهم اهتم بترميم المدارس القديمة

(٥) بنى هذا الجامع سنة ١٠١٤م ينظر : سنعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، (بغداد، ١٩٦٣)، ٢٤٨.
(٦) الديوه جي، مدارس الموصل في العهد العثماني، ٣٨.
(٧) نيقولا سيوفي، مجموع الكتابات المحررة عن أبنية المرسل، تحقيق : سعيد الديوه جي (الموصل : ١٩٥٦)، ٥١ - ٥٣.

(٨) السبيلخانة : وتعني السقايات وهي محلات شرب الماء النقي بالجان حيث اهتم الولاة والأثرياء بالاتفاق عليها وتهيئة المكان لها المزدان والمزركش بالكاشي والرخام وقد وجد في الموصل حتى اواخر القرن التاسع عشر (١٠) سقايات في الجوامع و (٣) في المساجد فضلا عن أماكن أخرى: دنون يونس الطائي "مورفولوجيا مدينة الموصل في العهد العثماني" مجلة دراسات تاريخية، ع(١)، ٢٠٠١م، ٢٥-٢٦.

(٩) الديوه جي، مدارس الموصل، ٣٨.

(١) بيات، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢) ألكسندر ادموف، ولاية الصرة في ماضيها وحاضرتها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ١ / ٨٦.

(٣) ياسين شهاب شكري، ولاية بغداد (١٨٧٢-١٩٠٩)، دراسة في اوضاعها الادارية والاقتصادية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ١٩٩٢)، ٧٢.

(٤) أحمد، المصدر السابق، ٣٩.

محمد بن طه الخياط قد بنى مصلي على قسم من فناء مرقد الامام ابراهيم وصار يعرف بمسجد ابن الخياط وفي عام ١٨٤١ م جدد عمارة المصلي ابنه احمد الخياط واتخذة مدرسة يدرس بها وفي عام ١٨٥٦ م وأوقف في هذه المدرسة خزانة كتب تحتوي على مخطوطات نفيسة وفي عام ١٨٥٨ م بنى مدرسة له إلى جانب المصلي وصارت تعرف بمدرسة ابن الخياط^(٥).

٢-مدرسة بنات الحسن : يُعد مسجد بنات الحسن من المساجد القديمة في الموصل ويقع في سوق الصاغة ويعتقد الناس ان فيه قبور بنات الحسن بن علي بن ابي طالب في بُر بداخل السرداب وفي تمام ١٨٨٣ م وجد ذكر لمدرسة في المسجد ومكتوب على بابها:

رياض علوم كالجنان تزخرفت ومنشؤها
للاجر خيرا ارادها^(٦)

٣-مدرسة الحاج حسين بك : تقع في جامع السلطان اويس^(٧) في محلة باب المسجد وقد أنشأ المدرسة

٢-مدرسة جامع سوق العلوة^(٨): كان هذا الجامع مسجدا صغيراً في فناءه سرداب عليه قبة فيها منبر الشيخ عبد القادر الكيلاني جددت عمارة المسجد والقبة لعدة مرات كان أهمها عام ١٧٦٨ م حيث هدم المسجد ووسعة الحاج عبد الحافظ الموصللي وبناءه جامعاً وأوقف له ما يكفي وفي سنة ١٨٤١ م جدد عمارته محمد اينجة بيرقدار وجدد المدرسة التي فيه والتي لم تذكر المصادر اسم من بناها غير أن الأستاذ سعيد الديوه جي يرجح أن من بناها هو عبد الحافظ الموصللي عند تجديده للمسجد^(٩).

٣-مدرسة مسجد النبي دانيال : جدد البيرقدار عمارة المسجد عام ١٨٤٢ م وبنى فيه غرفة للتدريس^(١٠).

وهناك مدارس أخرى بني بعضها وجدد البعض الآخر خلال هذه الفترة لكن ليس من قبل الولاة وإنما من قبل أبناء الموصل وهذه المدارس هي:

١-مدرسة ابن الخياط : تقع المدرسة على شارع سوق الشعارين في فناء مرقد الامام ابراهيم^(١١) وكان

(١) لا نعرف تحديدا متى بني الجامع غير أن أول تجديد له كان سنة ١٦٩٣ ينظر : الديوه جي، جوامع الموصل، ١٧١.

(٢) سيوفي، المصدر السابق، ١٠٣.

(٣) الديوه جي، مدارس الموصل، ٤٨.

(٤) لم نعر على تاريخ بناء هذا المرقد.

(٥) داؤد الجلي، مخطوطات الموصل، (بغداد، ١٩٢٧)، ١٣٩.

(٦) الديوه جي، مدارس الموصل، ٤٤-٤٥.

(٧) الديوه جي، المصدر نفسه، ٤٥.

الدينية التي تخرج منها العلماء فيتضمن منهاجا اللغة العربية والعلوم الاسلامية والشرعية^(٥)

ولم يكن هنالك مؤهلات ومتطلبات تؤهل صاحبا للالتحاق بهذه المدارس^(٦) سوى ان يكون من خريجي الكتاتيب وكان التدريس فيها على طريقة الحلقات الدراسية أي أن يجلس المدرس وحوله طلابه يلقي عليهم دروسه ويناقشهم فيما درسوه ولم يكن هناك صفوف يتدرج فيها الطالب سنويا انما كان يدرس الكتاب و متى انتهى منه يدرس غيره^(٧) حتى ان الدراسة فيها قد تصل الى تسعة أو اثنا عشر عاما^(٨) ومتى ما يتقن الطالب جميع العلوم العقلية والنقلية يجيزه استاذة أو شيخه في احتفال يحضره الطلاب و جمهور من الناس^(٩).

الحاج حسين بك بن علي بك وفيها خزانة للكتب تحتوي على مخطوطات نفسية انشأت عام ١٨٧٨^(١٠).

٤-مدرسة عبد الله بن محمد شريف بك : تقع في جامع عبد الله بك^(١١) في محلة رأس الكور وقد بناها عبد الله بك في عام ١٨٦٨م وتدرس فيها العلوم المختلفة^(١٢).

لقد عد البعض أن المؤسسات التعليمية الدينية لا تعدوا عن كونها تجسيدا لمعلومات المسجد أو الجامع المرتبطة به رغم انها كانت توصف في بعض الاحيان بانها في حالة اكفاء عن الجامع ففي الكتاتيب كان المنهاج يعتمد الخط العربي وقراءة القرآن، أما المدارس

(٥) wagne S. Vucinich, The Ottoman Empire, its Record and legacy, (Canad, 1965) . 40-44.

(٦) أحمد، اوضاع التعليم في العراق، ص ٣٩.

(٧) خليل علي مراد، "أوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، بحيث قدم لمركز دراسات الموصل سنة ١٩٩٨، ١.

(٨) Vucinich, op. Cit, P. 44.

(٩) غانم سعيد العبيدي، التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، (بغداد، ١٩٧٠)، ٣٦.

(١٠) عُمر هذا المسجد في سنة ١٦٨٢م إلى سنة ١٦٨٤ م من قبل الحاج جمعة الحديشي احد اغنياء محلة باب المسجد، ينظر : الديوه جي، جوامع الموصل، ١٦٦-١٦٧.

(١١) الديوه جي، مدارس الموصل، ٤٦.

(١٢) كان مسجدا صغيرا يعرفه بمسجد وراس الكور أو مسجد علي براز الشهبواني وجد البزاز في الموصل وفي سنة ١٨٦٨ جدد عبد الله بك عمارته فعرف بأسمه نظر : سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، (بغداد، ١٩٦٣)، ٢٤٢.

(١٣) الديوه جي، مدارس الموصل، ٤٦.

لقد خدمت هذه المدارس وبلا شك اللغة العربية والتراث العربي الإسلامي وحافظت عليهما وساعدت الناس في فترة عم فيها الجهل والتخلف في الفكر كما ان المدارس كانت المصدر الوحيد الذي يزود المجتمع انذاك بما يحتاجه من علماء وادباء^(٢٤٩) فبرز العديد منهم في هذه الفترة ومن ضمنهم الشاعر عبد الله راقم الانجيتي الذي اشتهر بدعوته للاصلاح والقضاء على الجهل كذلك الاستاذ عبد الله افندي الفيضي المتفقه بعلوم اللغة العربية والعلوم الشرعية و الشاعر عبد الباقي الفاروقي وغيرهم الكثير ممن تعلمت على ايديهم نخبة من المثقفين^(٢٥٠).

فضلا عن ذلك فقد خدمت هذه المؤسسات الدولة العثمانية من حيث انسجام أهدافها مع أهداف الدولة في اعداد ابناء البلاد وتربيتهم على التوجه بولائهم إلى الدولة والسلطان^(٢٥١).

^(٢٤٩) إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢م) ؛ (البصرة، ١٩٨٢)، ٢٨؛ سالم الحمداني، "التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر"، مجلة آداب الرافدين، ع١٠، ١٩٧٩، ٤١١.

^(٢٥٠) الجميل، زعماء وافنديه . . ٢٠٩-٢١٠.

^(٢٥١) أحمد، تطور التعليم . . ٣٠.

المبحث الثاني

التعليم الحديث

أن جذور التعليم الحديث تعود إلى عهد محمد الفاتح الذي أنشأ المدرسة المرتبطة بالقصر لخدمة كل ما يتعلق بالقصر وتطويره سواء كان حاشية أو اسرة مالكة أو وزراء وقادة عسكريين أو غيرهم وكان منهاجها يمثل بمختلف الميادين كالتصميم والخط، والعلوم العسكرية وصناعة المدافع وبناء السفن وكان الهدف من هذه المدرسة هو تربية وتأهيل جندي مقتدر وإداري ناجح ومع تقادم الزمن أصبحت مدرسة القصر تحمل صفة مدرسة الحكومة وكانت تبعد كل البعد عن النموذج المدرسة الدينية التقليدية (٢٥٢) وخلال عهد التنظيمات بدأت حركة الإصلاحات في مرافق الدولة المختلفة بدءاً بممارسة الأساليب الغربية الحديثة في التعليم ففتحت مدارس مختلفة في مراكز الدولة (٢٥٣). وقد أصدرت الدولة قوانين واتخذت إجراءات لتحسين أوضاع التعليم ولعل أهم تلك القوانين القانون الصادر في اب ١٨٤٦ م والذي تولت الدولة فيه الاشراف على التعليم كما أسست

نظارة المدارس العامة "مكاتب عمومية نظارتي" (٢٥٤)

والتي تحولت في السنة التالية إلى وزارة المعارف العامة اطلق عليها اطلق عليها "معارف عمومية نظارتي" وقد أخذت الوزارة الجديدة على عاتقها مهمة انشاء المدارس الحديثة والتي يدرس فيها معلمون دربوا تدريباً بعيداً عن السلطات الدينية (٢٥٥)

لقد اتجه التعليم في هذه الفترة إلى الاقتباس والتقليد من الأنظمة الغربية وبالذات النظام الفرنسي ويتضح هذا الأمر جلياً من خلال قانون معارف عمومية الصادر سنة ١٨٦٩ (٢٥٦) حيث يعكس مدى التأثير بنظام التعليم الفرنسي وذلك من خلال نقاط عدة أهمها اشراف الدولة المركزي على جميع المدارس وتكوين مجالس المعارف ونظام الامتحانات الابتدائي (٢٥٧) الذي

(٢٥٤) (احمد، تطور التعليم . . و ص ص ٣١-٣٢؛ "اوضاع

التعليم في العراق . ."، ص ٤٣.

(٢٥٥) المصادر نفسها.

(٢٥٦) John J Piskin , The Genesis of the Government Education system in Iraq, Adoctorale thesis Submitted to (the University of of pitts burgh, 1971) , P. 27.

(٢٥٧) خليل علي مراد، "أوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف

منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"،

بحث قدم لمركز دراسات الموصل، ١٩٩٨، ص ٢؛ J

Piskin, Ibid, P. 29

(٢٥٢) Vucinich , op. cit.,. 41

(٢٥٣) حامد، المصدر السابق، ٥٢٦.

(١٨٦١-١٨٦٧) في محلة باب لكش^(٢٦١). وكانت هذه المدرسة تضم صفوفًا ابتدائية وأخرى للدراسة الرشدية (المتوسطة). غير أن الملاحظ أن الإقبال على الدراسة فيها لم يكن بالمستوى المطلوب حيث أوردت إحدى سالتنامات ولاية بغداد لعام ١٨٧٥ م أي بعد فتح المدرسة بأربعة عشر سنة بأن عدد الطلاب الدارسين في القسم الرشدي كان (٥١) طالباً فقط^(٢٦٢) ثم ارتفع العدد ليصل إلى (٨٢) طالباً عام ١٨٧٧ م^(٢٦٣) والواقع أن هذا الازدياد في الحصول على الشهادة الرشدية مبرر، حيث أنها كانت تؤهل حاملها للحصول على وظيفة معينة في أحد الدوائر الحكومية، أما بالنسبة لاعداد الطلاب في المدارس الابتدائية فلم ترد أي إشارة له في المصادر المتوفرة عن تلك الفترة، وقد بقي القسمين الابتدائي والرشدي في مدرسة واحدة حتى عام ١٨٩٠^(٢٦٤).

وعلى الرغم من أن قانون المعارف العمومية لعام ١٨٦٩ م قد أورد كيفية إقامة المدارس في الولايات، ففي القرى تفتح فقط مدارس ابتدائية، أما المدارس

نص على جعل التعليم الابتدائي اجبارياً حتى سن الثانية عشر^(٢٥٨).

ومن المفيد أن نذكر أن حركة الإصلاحات هذه جاءت كرد فعل على الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الدولة في الداخل والخارج^(٢٥٩) وهذا ما يفسر لنا اهتمام الدولة بالمدارس العسكرية في العاصمة أولاً ثم نشرها في الولايات بالدرجة الثانية، ففي العراق أنشأ مدحت باشا المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٨٦٩م لتخرج ضباط عراقيين^(٢٦٠).

لقد كان التعليم الحكومي الحديث يشمل المدارس الابتدائية ثم الرشدية ثم الإعدادية فضلاً عن المدارس المهنية. وبقدر تعلق الأمر بالموصل فقد تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية إليها عام ١٨٦١ بمسعى من الحاج فهمي بن مصطفى العمري في عهد الوالي كنعان باشا

^(٢٥٨) محمود عبد الكريم، غرايبة، تاريخ العرب الحديث (١٥٠٠-١٩١٨)، (بيروت، ١٩٨٤)، ٢٨٢-٢٨٣.

^(٢٥٩) عبدالله عبد السلام القشطان، التعليم العربي الحكومي أبان العهد التركي والانتداب البريطاني (١٥١٦ - ١٩٤٨)، (عمان، د. ت)، ٣٠.

^(٢٦٠) جمال أسد مزعل، نظام التعليم في العراق، (بغداد، ١٩٧٨)، ٢٣.

^(٢٦١) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بغداد، ١٩٧٢)، ٢٥٩/٣.

^(٢٦٢) سالتنامة ولاية بغداد، ١٢٩٢ هـ، ٨٣.

^(٢٦٣) سالتنامة ولاية بغداد، ١٢٩٤ هـ، ٨٩.

^(٢٦٤) الهلالي، المصدر السابق، ١٧٧.

للتعليم في مدارسها ومع هذا فقد كانت قابليات هؤلاء المعلمين العلمية محدودة فضلاً عن كونهم لا يحسنون غير اللغة العثمانية لذلك حدثت الفجوة بينهم وبين الأهالي وقل الاقبال على المدارس لعدم معرفة الأطفال اللغة العثمانية^(٢٦٩)

اما فيما يتعلق بنفقات المدرسة ورواتب منتسبيها فقد كانت من مسؤولية اللجان المحلية الحكومية^(٢٧٠) وقد اختلف هؤلاء في مرتباتهم فالمعلم الأول كان يتقاضى (٨٠) قرش^(٢٧١) أي ما يعادل (٨) ليرات^(٢٧٢)، والمعلم الثاني يتقاضى (٥٠٠) قرش أي ما يعادل (٥) ليرات، والمعلم الثالث يتقاضى (٢٠٠) قرش أي ما يعادل (٢,٥) ليرة وهكذا بحسب درجاتهم

الرشدية فتكون خاصة بالقصبات التي يبلغ عدد بيوتها (٥٠٠) بيت^(٢٦٥) إلا أن ذلك لم يطبق في الموصل خلال هذه الفترة لعدم اهتمام الولاة أو بمعنى اصح سوء الادارة العثمانية وسياسة جمع المال التي انتهجها الولاة كانت وراء عدم التطبيق^(٢٦٦).

وكانت هذه المدارس تدار من قبل معلم اول ينوب عنه معلم ثان^(٢٦٧) فضلاً عن المعلم الثالث والخطاط والبواب^(٢٦٨) ولما كان نظام التعليم يحتم أن تسير المدارس في الولايات على نمط المدارس العثمانية في العاصمة، والتي كان التدريس فيها يجري باللغة العثمانية وبما أن العراق كان مفتقراً إلى المعلمين المختصين الذي يحسنون فنون التدريس باللغة العثمانية فقد استعين بأدئ الأمر بمن يحسن هذه اللغة من علماء الدين ونظراً لعدم وجود دار المعلمين الاعداد ما تحتاج اليه الولايات من معلمين فقد دأبت نظارة المعارف على ارسال المعلمين الأتراك إلى بغداد والموصل والبصرة

(٢٦٩) الهلالي، المصدر السابق، ٢٣٣.

(٢٧٠) نوفل نعمة الله نوفل، الدستور، (بيروت، ١٣٠١هـ)، ١٥٨/٢٢.

(٢٧١) القرش : عملة فضية بدأ التداول بها في نهاية القرن السابع عشر وفي سنة ١٦٨٨ م بدأت الدولة العثمانية بسك هذه العملة بوزن ٦ دراهم اي ٩٦ قيراطاً وكانت قيمته تعادل ٤٠ بارة أي ١٢٠ اقجة. ينظر خليل علي مراد، "النظام المالي"، موسوعة الموصل الحضارية، م (٤) ، (الموصل، ١٩٩٢) ، ٢٤٩ .
(٢٧٢) الليرة تساوي (١٠٠) قرش : المصدر نفسه، ٢٥٠.

(٢٦٥) بيات، المصدر السابق، ٣٠-٣١.

(٢٦٦) يوسف عز الدين، الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، (القاهرة، ١٩٦٥) ، ٢١ .
(٢٦٧) بيات، المصدر السابق، ١٠ .

(٢٦٨) للاطلاع على أسماء المعلمين والموظفين في المدرسة الرشدية في الموصل خلال هذه الفترة ينظر س. و ب، ١٢٩١ هـ، ص ٨٣؛ س. و ب. ١٢٩٤ هـ، ص ٨٩.

تدرسان في المرحلتين الثانية والثالثة، و اللغة الفرنسية والهندسة تدرسان في المرحلة الثالثة^(٢٧٦).

اما بالنسبة للمدارس الاعدادية فلم تشهد الموصل افتتاح مدرسة اعدادية فيها في هذه الفترة كالتى فتحت في بغداد عام ١٨٨٧١ م في عهد مدحت باشا على الرغم من ان قانون المعارف لعام ١٨٦٩م قد نص على فتح مدرسة اعدادية في كل مدينة يتجاوز عدد دورها الالف دار سواء كانوا مسلمين أو غير ذلك^(٢٧٧).

اما بالنسبة لمدرسة الصنائع فعلى الرغم من أن اهالي الموصل كانوا قد قدموا طلبا إلى مدحت باشا بفتح مدرسة للصنائع في الموصل على غرار المدرسة التي فتحت في بغداد إلا ان طلبهم لم يلق القبول من السلطات في بغداد^(٢٧٨)، والملاحظ أن بعض الباحثين رجحوا مسألة فتح هذه المدرسة في الموصل وذلك عام ١٨٧٢ وأنها ضمت عدداً كبيراً من النساء الفقراء واليتامى وتم توزيعهم على الفروع التي ضمها المدرسة كفرع الحدادة، والنسيج وصناعة الأحذية،

الوظيفية^(٢٧٣) وخول قانون المعارف مجالس التعليم في الولايات صلاحية التأكد من كفاءات المعلمين كما عالج القانون مسائل مهمة منها إعفاء التلاميذ من دفع رسوم التعليم حتى نهاية الدراسة الثانوية الدنيا (الرشدية)^(٢٧٤).

وقد قست الدراسة الابتدائية إلى اربعة صفوف يتلقى فيها الطالب دروس الالف باء والقرآن الكريم، والتجويد، والخط، والحساب، والتاريخ العثماني، والجغرافية، والمعلومات المفيدة واتبعت الاساليب الحديثة في التعليم الذي اصبح على وجبتين من الصباح وحتى المغرب^(٢٧٥)، أما بالنسبة للمدارس الرشدية فقد قسمت إلى ثلاثة صفوف وكانت المواد التي تدرس فيها في القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغتان العربية والتركية، والحساب، والجغرافية، والمعلومات النافعة (العلوم العامة)، والخط، والرسم وهذه المواد تدرس في المراحل الثلاث، واللغة الفارسية والتاريخ وهما

^(٢٧٣) بدر مصطفى عباس، الحياة التعليمية في ولاية بغداد (١٨٦٩-١٩٠٩)، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ١٩٩٧)، ٢٤.

^(٢٧٤) القشطان، المصدر السابق، ١٥؛ يوسف عز الدين، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، (القاهرة، ١٩٦٥)، ٢١.

^(٢٧٥) بيات، المصدر السابق، ٣٤.

^(٢٧٦) المصدر نفسه، ص ١١.

^(٢٧٧) المصدر نفسه، ص ١١٢؛ عباس، المصدر السابق، ٧٨.

^(٢٧٨) سلمان، المصدر السابق، ٦٧.

الدينية فضلا عن المدارس الخاصة بالطوائف غير المسلمة والتي ستأتي على توضيحها لاحقا .

وتكشف لنا وثيقة عثمانية الوضعية المتأخرة للتعليم في العراق بصورة عامة وهي عبارة عن تقرير لوالي بغداد عبد الرحمن باشا (١٨٧٥-١٨٧٧م) تضمن وصف الاوضاع السيئة في العراق ففيما يتعلق بالتعليم يقول : ان التعليم هو من نصيب بعض الخواص في المدن و القرى، اما الباقون فهم محرومون من وسائل التعليم ويعانون من الجهل وحتى هؤلاء الخواص لا يتلقون تعليمهم إلا في مدارس غير نظامية وفي بيوتات خاصة كما ان تعليمهم ينحصر في مواد معينة من دروس الفقه، والحديث، والتصوف، والقواعد من صرف ونحو، وبعض الكتب، اما المدارس التي تخدم المجتمع في رفع المستوى المعيشي له، وقيام الصنائع النفيسة، وازدهار الفنون الحديثة فيه فهي في حكم المعدوم وأشار صاحب التقرير إلى أن الناس ليسوا كما كانوا سابقا بل بدأوا يشعرون بالحاجة إلى التزود من العلوم والمعارف العصرية فلا بد من اقامة مؤسساتها وتهيئة اسبابها ووسائلها، وقال : " ان ذلك يأتي من حيث الأهمية بالدرجة الثانية بالنسبة لحاجاتهم إلى تقرير الأمن

والتجارة، والحياكة^(٢٧٩) إلا أننا لا نجد في الواقع أي ذكر لهذه المدرسة في السالنامات العثمانية التي تلت عام ١٨٧٢ م على الرغم من عدم اغفال هذه السالنامات لذكر مدرسة الصنائع في بغداد^(٢٨٠) لذلك فإننا نرجح أن هذه المدرسة اما ان تكون مجرد مشروع لم ينفذ أو ربما تكون قد فتحت لمدة قصيرة ثم اغلقت بعد ذلك .

ان المتعمق في المصادر التاريخية التي تحدثت عن هذه الفترة يلاحظ أن هناك اهمالا وقصورا من نوع ما في الاهتمام بتطبيق الأنظمة والاصلاحات الخاصة بالتعليم في مراحل كافة حتى مع مجيء والي وصف من قبل الكثيرين بأنه مصلح كمدحت باشا فلم تشهد الموصل افتتاح اية مدرسة من أي نوع في عهده سوى ما اشرنا اليه من مسألة افتتاح مدرسة الصنائع وهو امر غير مؤكد، وبقيت الموصل خالية من المؤسسات التعليمية الحديثة باستثناء المدرسة التي اشرنا اليها بقسيميا (الابتدائي و الرشدي) التي افتت عام ١٨٦١م لذا بقيت الموصل معتمدة في تعليم أبنائها على المدارس

(٢٧٩) ابراهيم خليل احمد، مدرسة صناع الموصل، جريدة الحداثة، ع(٢٢)، ١٣ ايلول، ١٩٨٥؛ الاتجاهات الاصلاحية...، ١٦٢ .

(٢٨٠) س.و.ب، ١٢٩٤هـ، ٦٩ .

والاستقرار في مجتمعاتهم^(٢٨١)، ومن المفيد أن نذكر أن هذا التقرير قدم عام ١٨٧٩ أي بعد عزل عبد الرحمن باشا بسنتين وبعد صدور قانون المعارف بعشر سنوات ومن هنا يتبين لنا مدى الإهمال الذي كان يعاني منه العراق في ظل الحكم المركزي العثماني خلال هذه الفترة وتطالعنا وثيقة عثمانية أخرى هي عبارة عن تقرير للمشير نصرت باشا لاصلاح أوضاع العراق وفي معرض حديثه عن التعليم انتقد وزارة المعارف وتوجهاتها نحو الأخذ بالنظم الغربية وابتعادها عن الإسلام ووصف من يشغلها بقوله : " أنه ليس له أقل المام بالقواعد الاسلامية واسسها الواردة من رسول الله (ﷺ) اما جهلا بها، أو تهاونا في امرها أو خدمة الاجانب في سبيل القضاء عليها . هذه الدائرة المستحدثة بدلا من ان تقوم بتعليم الاسلام ونشره وتعميمه على الناس كخدمة لسياسة اسلامية تدعو إلى توحيد الصفوف وترصيص البنيان والأخذ بأسباب القوة والطاعة لأولي الأمر، فبدلا من أن تفعل

ذلك فضلت السيرف ركاب الغربا وخدمة المال والمصالح الأجنبية^(٢٨٢) .

تعليم المرأة :

ظلت المرأة العراقية طوال العهد العثماني اسيرة العادات والتقاليد البالية التي لا تعطى للمرأة قيمة تذكر إذ ينظر اليها في مستوى اقل من مستوى الرجل، ويتوجب عليها أن تعيش داخل جدران بيتها ولا تخرج منه إلا لزيارات معينة وفي أوقات معينة^(٢٨٣) .

هذه النظرة كان ينظر بها إلى المرأة في العراق فلا عجب أن نقرأ كتابا بعنوان الاصابة في منع النساء من الكتابة (كان صاحبه قد ألفه عام ١٣١٣ هـ والموافق لعام ١٨٩٧ م^(٢٨٤) . يقول فيه " . . . فاما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله إذ لا أدى شيئا اخر منه بهن، فانهن لما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من اعظم وسائل الشر والفساد . . .

(٢٨٢) الأرشيف العثماني في استانبول، رقم البحث ٣٩٣٦، نوع الوثيقة اوراق يلدز، الرقم ٢٢٥٦، القسم ١٤، الظرف ١٢٦، الكارتون ١١، وثيقة غير مؤرخة.

(٢٨٣) طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، (بيروت، ١٩٨٩) ، ٣ .

(٢٨٤) يتزامن هذا التاريخ مع بداية ظهور الدعوة إلى تحرير المرأة في العراق والتي قادها جميل صدقي الزهاوي بعد عودته إلى العراق.

(٢٨١) الأرشيف العثماني في استانبول، رقم البحث ٣٩٣٠، نوع الوثيقة أوراق يلدز، الرقم ٢٠٥، القسم ١٤ : الظرف ١٢٦، الكارتون ٧، تاريخ الوثيقة ٢٤ شوال ١٢٧٩هـ/ ١٨٧٩م.

فالليبي من الرجال هو من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى^(٢٨٥).

ومن هنا يمكننا القول أن وضع المرأة ابان العهد العثماني كان نتيجة لضغظ الحياة الاجتماعية العراقية في جميع الجهات فمجرد تعلم المرأة القراءة والكتابة كان في نظر الناس مفسدة لها^(٢٨٦). ففي الموصل يقول سليمان الصايغ " اصبح تهذيب البنات امراً معدوماً منذ ان غابت الحكومات العربية حيث انحطت العلوم وقضي على حياة التهذيب فاصبحت المرأة الشرقية في العائلة مهتزمة الحقوق الاجتماعية ولا تأثير لها في السلطة العائلية ولا مشاطرة لها مع رجلها في أموره^(٢٨٧).

وفي الواقع ان امرا كهذا يعد طبيعيا إذا ما نظرنا نظرة متمعنة إلى ما مر بالعراق من : ظروف سبقت السيطرة العثمانية عليه و الدول العديدة التي سيطرت عليه وما مر به من نكبات وكوارث وحروب وأوبئة وما عاناه من سوء الادارة العثمانية والفقر المدقع الذي اصبح طابعا يطبع الغالبية العظمى من اهالي العراق كل ذلك لم يكن يسمح بمجرد التفكير بمسالة التعليم لا للنساء فحسب وانما للرجال ايضا . فإذا كان التقصير

في تعليم الصبيان والضيق فيه موجودين فكيف الحال بالنسبة للبنات خاصة في مجتمع ذو عادات وتقاليده منغلقة كالمجتمع الموصل الذي تميز بالحذر الشديد في مسألة منح الحرية للنساء في خروجهن من البيت وتعاملين مع الآخرين وهذا ما يفسر لنا اشغال النساء لأوقات فراغهن بالثرثرة أكثر من الرجال .

فضلا عن ذلك فان الحالة المعاشية المتردية التي كانت تتميز بها الغالبية العظمى من الناس كانت تفرض على المرأة أن تعمل لكي تساعد زوجها وكان عملها ايضا داخل بيتها فكان الغزل مثلا من الاعمال التي تؤديها النساء داخل البيوت وقد اشتهرت نساء الموصل به^(٢٨٨) فكانت هذه الاعمال كهيئة بقطع الطريق أمام النساء لاستغلال أي فرصة تعليم ان وجدت .

إلا أنه بالرغم من ذلك فقد كان للفتيات نصيبا ضئيلا من التعليم تمثل في بعض الكاتيب التي تديرها الملايات والمعنية بتعليم قراءة القرآن الكريم وأصول الديانة^(٢٨٩) وبعض المدارس القليلة للطوائف غير المسلمة وكانت اسر محدودة العدد ترسل بناتها للتعليم وهن بلاشك قلة قياسا بغيرهن^(٢٩٠) ولم تنزل الموصل محرومة من

(٢٨٨) أحمد، الحياة الاجتماعية في ولاية الموصل، ٥٣٤.

(٢٨٩) العبيدي، التعليم الأهلي في العراق، ٣٣.

(٢٩٠) عبد الرزاق الحلالي، معجم العراق، (بغداد، ١٩٥٣)

٢١٣/١.

(٢٨٥) الحمداني : المصدر السابق، ٦٣.

(٢٨٦) العبيدي، التعليم الأهلي في العراق، ٣٣.

(٢٨٧) الصايغ : المصدر السابق، ١/ ٣٢٤.

الأجانب في تدريس اللغات وتعليم الخياطة والتطريز^(٢٩٣).

المدارس الخاصة :

إلى جانب المدارس الدينية والمدارس الحكومية كانت هناك مدارس خاصة أعمدت أساليب حديثة في التعليم وتقسم هذه المدارس إلى مدارس أهلية أقدم على تأسيسها رعايا الدولة العثمانية من أبناء الطوائف غير المسلمة (النصرانية على وجه الخصوص) مدارس أجنبية أسستها الإرساليات التبشيرية الأجنبية^(٢٩٤).

أ. مدارس الطوائف غير المسلمة

إن منشأ هذه المدارس يعود إلى سياسة الدولة العثمانية نفسها والتي عدت كل طائفة من الطوائف الدينية (ملة) قائمة بذاتها فمنحتها امتيازات خاصة كان من بينها حق تأسيس مدارسها الخاصة بها وإداراتها دون تدخل من الدولة فكان لكل مدرسة

مدارس الإناث حتى قدوم المبشرين اليها وافتتاحهم المدارس منذ منتصف القرن التاسع عشر وهذا ما سنتكلم عنه لاحقاً .

لقد كانت مسألة إهمال تعليم المرأة وعدم الاهتمام بفتح مدارس خاصة للإناث محط انتقاد الصحف المحلية ومنها جريدة الزوراء التي دعت إلى ضرورة تأسيس مدارس خاصة بالإناث^(٢٩١) وبقي الوضع على هذه الشاكلة حتى أفتحت أول مدرسة حديثة للبنات وهي (إناث رشدية مكتبي) في أواخر القرن التاسع عشر^(٢٩٢)، ومن الجدير بالذكر أن التعليم النسوي في العراق بصورة عامة واجه مشكلة كبيرة تمثلت بقلّة المعلمات المؤهلات للتعليم، لأنه ليس من اليسير استقدام معلمات من أستانبول ولعدم وجود معلمات عراقيات آنذاك فقد استعين بزوجات الموظفين العثمانيين الموجودين في العراق لأن التدريس كان باللغة التركية كما هو معروف ومن تنوافر فيهن بعض المؤهلات المهنية والفنية كما استعين ببعض زوجات

(٢٩٣) عبد الوهاب القيسي، "حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق (١٨٣٩-١٨٧٧)"، مجلة كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٦٣)، ٣٤، ٢٤؛ الهاللي، تاريخ التعليم...، ٢٣٤.

(٢٩٤) مراد، أوضاع التعليم، ٥.

(٢٩١) الزوراء، ع (٨٠٠) ، ٧ ذي الحجة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ م

(٢٩٢) نمير طه ياسين، بداية التحديث في العراق (١٨٦٩-١٩١٤)، راسة ماجستير، معهد القائد المؤسسة للدراسات القومية والاشتراكية، (بغداد، ١٩٨٤)، ١٧٣.

وثالثة لليعاقة^(٢٩٨) ثم تأسست بعد ذلك في فترات لاحقة مدارس أنتشرت في قرى النصارى في الموصل^(٢٩٩) او في النواحي ففي بلدة تلكيف تأسست مدرسة للكاثوليك في خمسينيات القرن التاسع عشر وكانت تدرس فيها اللغة العربية و الكلدانية كما توجد اشارة لافتتاح مدرسة للنساطرة أيضاً^(٣٠٠).

اما بالنسبة لليهود فلم تشهد الموصل خلال هذه الفترة افتتاح مدارس خاصة بهم وقد افتتحت في بغداد سنة ١٨٦٤ م وكانت تسمى (الاليانس) ويشرف عليها (الاتحاد الاسرائيلي الفرنسي) وكانت على النمط الحديث من حيث المناهج وخاصة فيما يتعلق باللغات الاجنبية^(٣٠١) غير ان الرحالة اليهودي بنيامين الذي زار المدينة في النصف الأول من القرن التاسع

منهاجها وحتى لغتها الخاصة بها والتي تستخدمها في التعليم^(٢٩٥).

وكانت الطوائف غير المسلمة المختلفة تعني بتعليم أبنائها القراءة والكتابة والعلوم الدينية في المدارس التي أنشأتها في كنائسها وكان المعلمون في الغالب من الرهبان والقس والشماسة الذين تمتعوا بثقافة جيدة بحكم دراساتهم الطويلة ومعرفتهم باللغات القديمة والحديثة فضلاً عن توفر خزائن الكتب في كنائسهم والكتب التي كانت تطبعها مطابعهم الخاصة في مختلف اللغات ولذلك كانت تلك المدارس تغذي طلابها بثقافة لأبأس بها في تلك الفترة^(٢٩٦)

لقد كانت اول مدرسة حديثة أهلية تأسست في الموصل هي مدرسة الكلدان التي أسسها الشماس روفائيل المازجي سنة ١٨٦٣ م وبعد وفاته تولى امرها يوسف عمانوئيل الثاني يطريك الكلدان وكانت تدرس العلوم الحديثة واللغات الاجنبية وخاصة اللغة الفرنسية^(٢٩٧) كما تأسست مدرسة ثانية للسريان

(٢٩٨) محمود نديم شكري، أحوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية (١٩٠٨-١٩١٨) ، اطروحة دكتوراه كلية الاداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٥) ، ١١٨ .

(٢٩٩) مراد، "اوضاع التعليم..."، ٦ .

(٣٠٠) ميخائيل ججوبزي، بلدة تلكيف في ماضيها وحاضرها، (الموصل ١٩٦٩)، ٧٦ .

(٣٠١) يوسف رزق الله غنيمه، نزعة المشتاق في تاريخ يهود العراق، (بغداد، ١٩٢٣) ، ١١٧ .

(٢٩٥) سلامة حسن كاظم، التبشير في العراق وسائله وأهدافه، رسالة ماجستير كلية الاداب، (جامعة بغداد ١٩٨٥) ، ٢٠١ .

(٢٩٦) الهاللي، تاريخ التعليم...، ١٩٣ .

(٢٩٧) الصايغ، : المصدر نفسه، المصدر السابق، ٣٢٣-٣٢٤، العبيدي، التعليم الأهلي في العراق... ٤٤ .

افتتح المجال الداخلي للدولة العثمانية لقوي ثقافية ذات
اهداف خاصة مثل المؤسسات التبشيرية الأوروبية و
الأمريكية^(٣٠٤)

وقد اختلفت المدارس الأهلية عن المدارس التبشيرية
حيث كانت الأولى تهين الطالب من أي مذهب كان
جوا نصرانيا وتحمله فيه على ممارسة التقوى والسلوك
النصراني في حين أن المدارس التبشيرية تحاول أن تنقل
الطلاب من مذاهب مختلفة إلى مذهبها هي^(٣٠٥).

وكانت أولى الارساليات التي قدمت إلى الموصل
ارسالية الاء الدومنيكان التي تمول من قبل فرنسا^(٣٠٦)
في سنة ١٨٤٠ م افتتحو اول مدرسة في الموصل
اشتملت مناهجها على اللغة العربية، والتاريخ،
والجغرافية، والرياضيات، واللغات الفرنسية، والإيطالية
والسريانية فضلا عن دروس الدين واللاهوت^(٣٠٧) وفي

(٣٠٤) عبد العزيز سليمان نوار، عوامل فعالة في الاتجاهات
الفكرية والسياسية في العراق الحديث، (القاهرة، ١٩٧٤) ،
١١٤.

(٣٠٥) العبيدي، التعليم الأهلي في العراق... ٤٣ .
(٣٠٦) كانت الارسالية ايطالية في البداية ثم تسلمها
الدومنيكان الفرنسيون سنة ١٧٥٠ م. ينظر : رؤوف، الموصل
في العهد العثماني... ٣٣٠ .

(٣٠٧) للتفاصيل على مالت إليه أوضاع الراهبات ينظر من
ارشيف كنيسة الدومنيكان في الموصل، نبذة شن تاريخ جمعية

عشر ذكر أنه كانت في الموصل مدرسة دينية
يهودية^(٣٠٢).

ب. المدارس الأجنبية (الارساليات التبشيرية) :

لقد كان التعليم من ابرز أنشطة الارساليات التبشيرية
وذلك لتوظيفه في تغطية نشاطهم التبشيري وارتباطهم
بمصلح الدول الأجنبية^(٣٠٣) وقد وفرت حركة
التنظيمات العثمانية فرصة : للمؤسسات التبشيرية في
توسيع أعمالها ونشاطاتها في الدولة العثمانية التي
ادركت في النصف الأول من القرن التاسع عشر أنه
لا بد من تحديث التعليم إذا أرادت أن تلحق بمستوى
الدول الأوروبية المتقدمة او على الأقل المحافظة على
كيانها وتخليصه من عثرته فانها كانت مضطرة إلى
الانفتاح على الغرب الاستعماري وان تقيم معه علاقات
جديدة لكي تستفيد من خبرات وحضارة اوربا التي
ماكانت لتقدم تلك الخبرات إلى مسلمي الدولة العثمانية
دون أن يدفع هؤلاء الثمن بطريقة أو بأخرى فكان هذا
الانفتاح على الغرب يؤدي في الوقت نفسه إلى

(٣٠٢) المصدر نفسه، ١٧٤.

(٣٠٣) ديولافوا، رحلة إلى العراق سنة ١٨٨١ م، ترجمة علي
البصري، (بغداد، ١٩٥٨) ٧٦.

اليديوية والبيئية وكانت هذه المدرسة تضم (٦٠) تلميذة بينهم (٢٦) مسلمة والاخريات كاثوليكيات وهن مقسمات على اربعة صفوف ثلاثة للكاثوليكيات والصف الرابع للمسلمات وفي كل صف هناك اخت ومساعدة (مدرسة) من أهل البلد وكان التعليم فيها بالعربية - قل الاخوات انفسهن بمساعدات المدرسات المساعدات كذلك تدرس اللغة الفرنسية في الصف الأول^(٣١٣).

كما اسهم المبشرون الدومنيكان مع بعض الرهبان و المعلمين من النصراري في تأسيس معهد كهنوتي في سنة ١٧٧٨ م وهو معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل^(٣١٤) وهو خاص لتخريج القسس والرهبان ومن اراد اكمال دراسته العليا يلتحق بروما لاكمال الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، أو يقصد فرنسا إذا أراد أن يكون أباً دومنيكانياً^(٣١٥) وتدرس فيه الموضوعات الدينية، واللاهوتية، واللغات الشرقية، وبلغ عدد طلابه في عام

عام ١٨٥٠ اسست جمعية راهبات القديسة كاترينة^(٣٠٨) مدرسة القديس عبد الاحد في الموصل^(٣٠٩) ثم زاد الاقبال على مدرسة الابهاء الدومنيكان سنة ١٨٥٤ مدرسة منطقة الساعة الحالية^(٣١٠) وقد زاد اقبال على مدرسة الابهاء الدومنيكان الابتدائية في الموصل فاصبح عدد طلابها سنة ١٨٥٤ (١٢٢) طالباً يدرسهم اربعة معلمين^(٣١١). وفي عام ١٨٧٣ م تأسست مدرسة " اخوات المحبة^(٣١٢) لتعليم البنات القراءة والكتابة والقيام بالاشغال

الأخوات الراهبات الدومنيكان تقديسة كاترين منذ التأسيس إلى الوقت الحاضر .

(٣٠٨) مراد، اوضاع التعليم...، ٦، وعد سعيد العبايجي، التبشير وتوجهاته في ولاية الموصل (١٨٣٤-١٩١٤ م) ، رسالة ماجستير مقدمة إلى المعهد العربي للدراسات العليا ، (بغداد ، ٢٠٠٠ م) ، ٢٠١ .

(٣٠٩) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني (١٩٢٣-١٩٢١) ، (بغداد ، ٢٠٠٠) ، ٢٤٣ .

(٣١٠) الطائي، خطط الموصل...، ٢٢٢ .

(٣١١) احمد، تطور التعليم الوطني في العراق... ٤٣ .

(٣١٢) قدم عام ١٨٣٣ م من مدينة تور في فرنسا وكان عددهن (٦) اخوات بناء على طلب الابهاء الدومنيكان في الموصل وقد قسمت أمكنة عملهن ووضايقهن أنظر : نبذة عن جمعية الاخوات الراهبات الدومنيكان ولكن دوفال يختلف في عدد الأخوات حيث يذكر أنهن (١٢) اختاً . ينظر :

Duval. v. p. : Lamission Des Deminican ins Amossahl, (Cponis, 1898) , op. cit. , 15

(٣١٣) الصايغ، المصدر السابق، ٣٢٠؛ كاظم المصدر السابق، ٢٠٣ .

(٣١٤) Duval , op. cit. , 15.

(٣١٥) John. J Quest , The Yezidis , (London, 1987) , 147.

وينظر ايضاً: العبايجي، المصدر السابق، ٣٤٣ .

أن هذه المدارس كانت تعلم أيضا الاشغال اليدوية والبيئية كالخياطة والتطريز والنقش الا أن ذلك لم يكن المغربي ثم أن الهدف من تعلم المرأة القراءة والكتابة كان بالدرجة الأساس لتعلم قراءة القرآن الكريم باصولها وهذا ما لا توفره مدارس النصارى.

لقد بدأت الدولة العثمانية تستشعر خطر الإرساليات التبشيرية والمدارس التي تنشؤها لذلك اصدرت عام ١٨٦٩ م قرارا بعدم فتح أي مدرسة الا بعد اخذ موافقة الدولة وكذلك الحال بالنسبة لمدارس النصارى^(٣١٩) خاصة أن هذه المدارس كانت مفتوحة للطلبة المسلمين على الرغم من صدور اوامر الباب العالي والتي تحضر على المسلم الالتحاق بمدارس الإرساليات في حالة وجود مدرسة حكومية دينية اسلامية ومرد ذلك أن الباب العالي عد مدارس الإرساليات مركزا لاثارة القومية والثورة لدى الأقليات الدينية^(٣٢٠) وخشيته من انتقال هذا الشعور إلى المسلمين وهم الغالبية العظمى في الدولة العثمانية.

١٨٨٠ م (٢٠) طالبا^(٣١٦) فضلا عن ذلك فقد اقدم الدومنيكان على تأسيس ميثم في الموصل وهو أيضا مما يمكن عده من المؤسسات التعليمية ؛ لأنه كان مسؤولا عن استقبال الفتيات الشابات الفقيرات وتلقينهن وتهذيبهن وتأهيلهن للحياة^(٣١٧).

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن المؤسسات التعليمية الكاثوليكية في الموصل وبغداد كانت تلقى مساعدات مالية من الحكومة الفرنسية وكان القناصل الفرنسيون يفتشون هذه المؤسسات دون انقطاع ويضجون بالشكوى من مستوى التعليم ويجاهدون في معالجة هذه الحالة لكنهم كانوا يصطدمون بعدم تعاون اولياء امور الطلبة معهم من جهة وبجمود المعلمين من جهة اخرى^(٣١٨).

ومن المفيد أن نذكر هنا أن توجه اولياء امور المسلمين الى ادخال ابنائهم إلى هذه المدارس وخاصة بالنسبة للبنات كان محدودا ومقتصرا على بنات بعض الأسر الأرستقراطية وتكمن محدودية هذا التوجه في صعوبة تقبل أهالي الموصل لفكرة دراسة الفتيات في مدارس النصارى. لكي يتعلمن القراءة والكتابة على الرغم من

(٣١٩) نوري السامرائي " تغفل الرأسمال الأمريكي في الامبراطورية العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى مجلة المؤرخ العربي، ع (٣) السنة (١٢) ، ١٩٨٦، ٦٩.

(٣٢٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، (بيروت، ١٩٨٢). ٢١٩.

(٣١٦) الطائي، الاتجاهات الإصلاحية. ، ١٥٨.

(٣١٧) Duval. Op. Cit., 15.

(٣١٨) بدير دي فوسيل، الحياة في العراق منذ قرن (١٨١٤-١٩١٤)، ترجمة: أكرم فاضل، (بغداد، ١٩٦٨)، ١٤٦.

الولايات العربية ومنها العراق في كل ما هو حديث خشية أن يهب العربي الراح تحت سيطرتها مطالباً بالحرية والاستقلال والحياة الكريمة^(٣٢٣)

لقد ارتبطت حركة الطباعة في العراق بنشاط الإرساليات التبشيرية المختلفة ولعل الأباء الدومنيكان الذين قدموا إلى الموصل عام ١٧٥٠م كانوا من أوائل المهتمين بإدخال الطباعة الآلية الحديثة اليه^(٣٢٤) فقد شهدت المدينة عام ١٨٥٨م تأسيس المطبعة الحجرية بإشراف الاب بيصون (besson) رئيس الارسالية الدومنيكية، واستمر العمل بها مدة ثلاث سنوات^(٣٢٥) ولأنها لم تقب بالغرض الذي انشأت من اجله ابتاع الأباء الدومنيكان عام ١٨٥٩م مطبعة ذات حروف كاملة مع معداتها^(٣٢٦).

(٣٢٣) إبراهيم خليل احمد، حركة التربية والتعليم والنشر، موسوعة حضارة العراق، مج ١١، (بغداد، ١٩٨٥)، ٣١٣.

(٣٢٤) إبراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٢) ٥.

(٣٢٥) علي شاکر علی الموصل وحركة التنظيمات العثمانية (١٨٣٩-١٨٧٦ م)، موسوعة الموصل الحضارية، (٤)، ١٧٧، وللاستزادة ينظر: العباسي، المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٣٢٦) خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق الأوسط، (مصر : ١٩٩٦م)، ص ٢٩٧.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن بعض المبشرين الأمريكان كانوا قد قدموا إلى الموصل وعملوا في شتاء عام (١٨٤١-١٨٤٢ م) على تنظيم مدرسة للعاقبة في الموصل لكنها لم تستمر طويلاً بسبب توقف نشاطهم في الموصل منذ أواخر عام ١٨٤٤م، ومع أن هذا النشاط استأنف سنة ١٨٤٩م إلا أننا لم نلاحظ نشاطاً تعليمياً للمبشرين الأمريكان في الموصل بعد ذلك^(٣٢٧).

الطباعة:

لقد كان من جملة ما اهتم به دعاة الإصلاح في الدولة العثمانية في مسألة الأخذ بمظاهر التقدم الأوروبي إدخال المطبعة إلى الدولة العثمانية والتي لم تكن بالأمر السهل حيث كان يتوجب اخذ موافقة شيخ الإسلام قبل الإقدام على إدخالها وقد تم ذلك بجهود ابراهيم متفرقة فتأسست أول مطبعة عام ١٧٢٨. ^(٣٢٨)

وفي العراق تأخر ظهور الفن المطبعي حتى القرن التاسع عشر ويمكن السبب في ذلك الى تدهور أوضاعه العامة خلال السيطرة العثمانية كما أن السلطة العثمانية حرصت على فرض العزلة على

(٣٢٧) مراد، المصدر السابق، ٦.

(٣٢٨) للمزيد من التفاصيل ينظر، خالد زيارة، اكتشاف التقدم الأوروبي دراسة في المؤشرات الأوروبية في القرن الثامن عشر، (بيروت، ١٩٨١)، ٣٦-٣٩.

وكان من أهداف جلب المطبعة هونشر الفكر المسيحي ويعد كتاب رياضة درب الصليب والذي طبع عام ١٨٦١ اول كتاب يطبع فيها وفي عام ١٨٦٣ م وجد الدومينيكان أن مطبعتهم لا تفي بالغرض لذلك عمدوا إلى توسيعها بشراء معدات طباعية كاملة خصصوا لها مبالغ كبيرة من المال اسهمت فيها مدارس من الشرق بباريس بستة الاف فرنك ، فضلا عن تبرع المطبعة الاهلية بباريس بمجاميع من الحروف العربية والسرانية والفرنسية وقد الحق بالمطبعة مسبك لصب الحروف، وقسم لتجليد الكتب وتذهيبها بالطرق الحديثة^(٣٢٧).

وفي عام ١٨٦٣ م تأسست المطبعة الكلدانية بجهود روفائيل المازجي في محلة حوش الخان^(٣٣٠) وفي عام ١٨٦٤ م صدر قانون المطابع والمطبوعات العثمانية^(٣٣١) تلاه بعد عدة سنوات تأسيس اول مطبعة حكومية في الموصل وذلك عام ١٨٧٥ م وسميت بمطبعة الولاية ومؤسسها هو تحسين باشا متصرف الموصل وكانت تدار من قبل مكتوبي الولاية (مدير تحريرات الولاية) ونصبت مكائنها التي جلبت من استانبول في سرا^{٣٣٢}ي الحكومة وقد طبعت بمطبعة الولاية الدفاتر والأوراق الرسمية وفيما بعد طبعت الكتب السنوية (السالنامات) الخاصة بالموصل فضلا عن الكتب الثقافية وخاصة التاريخية^(٣٣٣)

وقد نصبت هذه المطبعة في كنيسة الموصل للاباء الدومينيكان في منطقة الساعة الحالية وتم اعداد العمال وتدريبهم للأغراض الطباعية (الصف، السبك، الطباعة) وبما ان الموصل كانت تفتقر إلى المواد الطباعية فان هذه المواد كانت تستورد من أوروبا^(٣٢٨) وكانت المطبعة تطبع الكتب العربية والتركية و الفرنسية

وكانت المطبعة تطبع الكتب العربية والتركية و الفرنسية

(٣٢٩) جريدة الزوراء العدد ٤٥١، ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م

(٣٣٠) روفائيل بطي، الصحافة في العراق، (مصر، ١٩٥٥) ، ١٧ ؛ احمد، نشأة الصحافة . . . ٥ .

(٣٣١) سليم فارس، كثر الرغائب في منتخبات الجوائب، (الاسيانة، ١٢٩٤هـ)، ٥ / ٥٦

(٣٣٣) أحمد، النشر والصحافة في الموصل، ٣٦٣ .

(٣٣٧) ابراهيم خليل احمد، " النشر والصحافة في الموصل)

١٨٥٨-١٩١٨ م)"، موسوعة الموصل الحضارية مج ٤، ٣٦٢ .

(٣٣٨) الطائي، الاتجاهات الاصلاحية ١٢٧ .

وصف اربل في المصادر الجغرافية والبلدانية والادبية في العصور الاسلامية

أ.م.د. عكاب يوسف جمعة

ملخص :

تعد مدينة اربل (اربيل) من المدن التاريخية ذات العمق الحضاري ولاهيتها التاريخية فقد شغلت حيزا مهما في المصادر التاريخية عموما ، وهذا البحث يتناول مدينة اربل في المصادر الجغرافية والبلدانية والادبية مسلطا الضوء على مذكرته هذه المصادر من معلومات تتعلق بوصف المدينة والاشارة الى موقعها وتسميتها ومحاسنها واهميتها ومظاهرها الحضارية او وصف امرائها واهلها ، فهي دراسة وصفية لهذه المدينة نخلص من خلالها الى اهمية تلك المدينة ومكانتها بين المدن الاسلامية في مختلف العصور الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي ، وذلك من خلال نسبة ذكر مدينة اربل في هذه المصادر ومدى اهتمامها بالاشارة الى تلك المدينة واهم الجوانب التي ركزت عليها تلك المصادر، ويقسم البحث الى عن ثلاث محاور يتناول الاول منها تسمية المدينة ونبذة تاريخية والثاني اربل في المصادر الجغرافية والبلدانية ويركز المحور الثالث على ذكر اربل في المصادر الادبية ، وذلك بالاعتماد على مصادر متنوعة جغرافية وبلدانية وادبية واستقاء النصوص منها واستقراءها وتحليلها وفق منهج البحث العلمي التاريخي .

Description of Erbilin geographical , country, literary References in Islamic Eras

Assist.prof.Dr.okab yousif jumaa

Mosul University /College of Basic Education /History Dep.

ABSTRACT:

Erbil is a city of history with cultural depth due to its historical importance , it occupied an important space in historical resources in general . this research deals with Erbil city in geographical , country and literary dictionaries , shedding light on what information presented by those References regarding description of the city , its location name , virtues , importance , cultural aspects , governors and people It is a description study of the city to know its importance status among Islamic cities in various Islamic eras until the end of Abassid era , through stating the ratio of its occurrence in these references , their interest in mentioning this city and the most focused on aspects in these references .

the research is divided into three parts : the first about the name of the city and a historical review . the second talks about Erbil in geographical , country and literary dictionaries geographical , countries dictionaries . the third focuses only on Erbil in literary references , depending on different geographical , country and literary references driving texts from them , reading and analyzing them according to approaches of historical scientific research .

المقدمة :

اهتمامها بالاشارة الى تلك المدينة واهم الجوانب التي

ركزت عليها تلك المصادر، ويقسم البحث الى عن

تعد مدينة اربل (اربيل) من المدن التاريخية ذات

ثلاث محاور يتناول الاول منها تسمية المدينة ونبذة

العمق الحضاري ولاهيتها التاريخية فقد شغلت حيزا

تاريخية والثاني اربل في المصادر الجغرافية والبلدانية

مهما في المصادر التاريخية عموما ، وهذا البحث

ويركز المحور الثالث على ذكر اربل في المصادر الادبية ،

يتناول مدينة اربل في المصادر الجغرافية والبلدانية

وذلك بالاعتماد على مصادر متنوعة جغرافية وبلدانية

والادبية مسلطا الضوء على مذكرته هذه المصادر من

وادبية واستقاء النصوص منها واستقائها وتحليلها وفق

معلومات تتعلق بوصف المدينة والاشارة الى موقعها

منهج البحث العلمي التاريخي .

وتسميتها ومحاسنها واهيتها ومظاهرها الحضارية او

المحور الاول : اربل الاسم والتاريخ:

وصف امرائها واهلها ، فهي دراسة وصفية لهذه

اسم إربل:

المدينة نخلص من خلالها الى اهمية تلك المدينة

عرفت اربل عند الجغرافيين والبلدانيين واللغويين

ومكاتها بين المدن الاسلامية في مختلف العصور

باسم (إربل) ، وقد ورد في لفظ هذا الاسم واصله

الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي ، وذلك من

عدة اراء وهي :

خلال نسبة ذكر مدينة اربل في هذه المصادر ومدى

لغة : لفظ إِرْبِلُ بالكسر ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، ولام، بوزن إئد، ولا يجوز فتح الهمزة لأنه ليس في أوزانهم مثل أفعل، إلا ما حكى سيبويه من قولهم: أصعب وهي لغة قليلة غير مستعملة^(٣٣٤)، وقال ابن المستوفي: "وَقِيلَ لِأَبِي الْحَرَمِ إِنَّ بَنِي يُنُسَ يَقُولُونَ: إِرْبِلُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، فَمَا تَقُولُ؟ فَقَالَ: مَا عِنْدِي فِي ذَلِكَ شَيْءٌ، فَتَحَتِ الْهَمْزَةُ أَوْ كُسِرَتْ"^(٣٣٥).

وهي لغة من الربل ، والرَّبْلُ وَرَقٌ يَنْقَطِرُ فِي آخِرِ الْقَيْظِ بعدَ الهَيْجِ بِبُرْدِ اللَّيْلِ من غيرِ مَطَرٍ وَالْجَمْعُ رُبُولٌ وَرِبْلٌ أَرْبَلٌ كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا الْمُبَالَغَةَ وَالْإِجَادَةَ^(٣٣٦) ،

وقال الحموي عن تسمية اربل : " فان كان إربل عربياً، فقد قال الأصمعي: الرِّبْلُ ضرب من الشجر، إذا برد الزمان عليه وأدبر الصيف تقطّر بورق أخضر من غير مطر، يقال: تربلت الأرض ، لا يزال بها ربل، فيجوز أن تكون إربل مشتقة من ذلك ، وقد قال الفراء: الرِّبَالُ النبات الكثير الملقف الطويل، فيجوز أن تكون هذه الأرض، اتفق فيها في بعض الأعوام من الخصب، وسعة النبات ما دعاهم إلى تسميتها بذلك، ثم استمر"^(٣٣٧).

وهذه التسميات هي من اجتهادات الجغرافيين واللغويين لايجاد اشتقاق لغوي للفظ اربل .

واطلق على اربل ايضا اسماء وصفات اخرى منها (محروسة اربل)^(٣٣٨) ، كما اشير اليها باسم الغراء ، ورد ذلك في ابيات لعدد من الشعراء ومنهم عمر بن عليّ بن محمد بن الوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، أبو الفضل بن أبي الحسن الشيباني ، الذي

^(٣٣٤) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي : معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر (بيروت ، ١٩٩٥ (، ١٣٧/١ ؛ الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ٣٠/٢٩ .

^(٣٣٥) المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب الإربلي : تاريخ إربل ، تحقيق : سامي بن سيد خماس الصقار ، دار الرشيد للنشر ، (العراق ، ١٩٨٠) ، ٧٨/١ .

^(٣٣٦) ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل : المحكم والحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هندواوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ٢٥٥/١٠ .

^(٣٣٧) معجم البلدان ، ١٣٧/١ .

^(٣٣٨) ينظر : ابن الشعار ، كمال الدين أبو البركات المبارك: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» تحقيق: كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٥ م) ، ٢٤٣/٤ ، ٢٩٤/٤ .

دخل مدينة إربل سنة ثلاثين وستمائة ليخدم سلطانها
الملك المعظم كوكبوري ، وكتب ابياتا يمدح بها شرف
الدين أبي البركات المستوفي ومنها :

زهت بكم إربل الغراء وافخرت ... لما عدت
سلب الغر المناحيب
كذا المبارك أنذى حل في بلد ... كساه بالفخر
فضفاض الجلاليب (٣٣٩) .

كذلك ذكرها بهذا الوصف والاسم الشاعر يوسف بن
إبراهيم بن نصر بن عسكر بن نصر بن عسكر، أبو العز
بن أبي إسحاب الموصللي ، في ابیات كتبها الى احد
اصدقائه باربل يتشوق اليها ومنها :

ترى إن سألت الريح حمل تحيّي ... إلى إربل الغراء
تحملها عني
فما حنَّ مشتاق إلى طيب منزل ... حنيني إلى
الغراء كلاً ولا حزني (٣٤٠) .

وبعض الأهالي يقولون أرويل والبعض الآخر أربيل (٣٤١)
.

(٣٣٩) ابن الشعار : قلائد الجمان ، ٢٥٠/٤ .

(٣٤٠) ابن الشعار : قلائد الجمان ، ١٤٠/٨ .

(٣٤١) مجلة لغة العرب العراقية - مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية
، صاحب امتيازها: أنستاس ماري الكرمللي ، بطرس بن

والمنسوب الى اربل من العلماء والشخصيات يسمى :
الإربلي - بكسر الهمزة وسكون الراء وكسر الباء
الموحدة (٣٤٢) .

وهناك مدينة اخرى تحمل اسم اربل وهي مدينة
صيدا ، قال الهمداني : " وإربل اسم مدينة صيدا
على ساحل بحر الشام " (٣٤٣) .

ورد اسم اربل بالكتابات السومرية بصيغة اوربيلم
، ووردت ايضا بهيئة اربيلم (٣٤٤) .

جبرائيل يوسف عواد ، وزارة الاعلام ، مديرية الثقافة العامة ،
مطبعة الآداب ، (بغداد ، د . ت) ٣٤٦/٥ .

(٣٤٢) السمعاني ، عبد الكريم بن محمد : الأنساب ، تحقيق :
عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، مجلس دائرة
المعارف العثمانية ، ط ١ ، (حيدر آباد ، ١٩٦٢) ،
١٥٢/١ . ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن
محمد : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق : إحسان
عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٠٠) ، ١٨٧/١ .

(٣٤٣) زين الدين أبو بكر محمد بن موسى : الأماكن أو ما اتفق
لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ، تحقيق : حمد بن محمد
الجباسر ، دار اليمامة (د . م ، ١٤١٥ هـ) ، ٦٨/١ ؛ الحموي ،
ياقوت : المشترك وضعاً والمفترق صقعا ، ط ٢ ، عالم الكتب ،
(بيروت ، ١٩٨٦) ، ص ١٩ .

(٣٤٤) ينظر : باقر ، طه و سفر ، فؤاد : المرشد الى مواطن
الاثار والحضارة ، الرحلة الخامسة ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٣ ؛

باسم اربيل (Arbela) ، ومعركة أربيل معروفة وهي التي وقعت بين الفرس واليونانيين في عهدي الاسكندر الأكبر وداريوس الثالث سنة ٣٣٠ ق م (٣٤٧).

ويذكر ان اربل هي المدينة الاشورية القديمة الوحيدة التي ظلت مستوطنة ومحفظة باسمها الى يومنا هذا (٣٤٨) ، لانها كانت ملتقى طرق القوافل ولهذا حفظت اسمها بحالته إلى يومنا هذا لأنه كان على السنة التجار والمكارين والرحالين، بينما أن سائر أسامي مدن آشور اضمحلت شيئاً بعد شيء (٣٤٩).

(٣٤٧) الحسني : العراق قديماً وحديثاً ، ص ٢٣٧ ؛ الحسني : العراق قديماً وحديثاً ، ص ٢٣٥ ؛ باقر : المرشد ، ص ٣-٤ ؛ فرنسيس : موسوعة المدن والموقع في العراق ، ١/٦٧ ؛ جميل : حدياب اربيل ، ٢٢٤-٢٢٥ . اسماعيل : اربيل في ادوارها التاريخية ، ص ٩٥-٩٦ ؛ بلاد ما بين النهرين في الكتابات اليونانية والرومانية ، (هيرودوتس- زينفون- بليني - اربا) ، ترجمة : افرام منصور ، فؤاد جميل ، نشر : المركز الأكاديمي للأبحاث (كندا) ، ط ١ ، (بيروت ، ٢٠١٥) ، ص ١٥٣-١٥٩ .

(٣٤٨) الحسني ، عبدالرزاق : العراق قديماً وحديثاً ، ط ٣ ، مطبعة العرفان ، (صيدا ، ١٩٥٨) ، ص ٢٣٦ ؛ باقر : المرشد ، ص ٣ ؛ جميل : حدياب اربيل ، ٢٢٠ .

(٣٤٩) الحسني : العراق قديماً وحديثاً ، ص ٢٣٧ ؛ مجلة لغة العرب العراقية ، ٨/٦٠٩، ٩/٦٦٤ - ٦٦٥ .

وجاء ذكرها أيضاً في الكتابات الآشورية والبابلية بصيغة أربائيلو التي تعني اربعة الهة، حيث اشتهرت بكونها من مراكز عبادة الالهة الشهيرة عشتار التي نسبت اليها باسم عشتار اربلا، وورد اسم معبدها في الكتابات المسمارية بصيغة - أي كشان كلاما - ومعناه بيت سيدة الاقليم، وقد سميت بـ (عشتار- اربائيلو) أي (عشتار اربيل) تميزاً لها عن عشتار نينوى وعشتار اكد (٣٤٥) ، وذكرتها الرقم الفارسية القديمة باسم (أربيرة) (٣٤٦) ، في حين سمّتها المصادر اليونانية

جميل ، فؤاد : حدياب اربيل وعشتار اربيل ، مجلة «سومر» المجلد ٢٥ لسنة ١٩٦٩ م ، ٢٢٠ ؛ اسماعيل ، زبير بلال : اربيل في ادوارها التاريخية ، مطبعة النعمان (النجف الاشرف ، د.ت) ص ٦١ .

(٣٤٥) باقر : المرشد ، ص ٣ ؛ فرنسيس ، بشير يوسف : موسوعة المدن والموقع في العراق ، ط ١ ، (لندن ، ٢٠١٧) ج ١ ، ص ٦٨-٦٩ ؛ وينظر عن الالهة الاربعة : شحيلات ، علي و الحمداني ، عبد العزيز الياس : مختصر تاريخ العراق (تاريخ العراق القديم) ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠١١) ج ١ ، ص ٣٠٢ ؛ مجلة لغة العرب العراقية ، ٨/٦٠٨-٦٠٩ ؛ للتفاصيل عن هذه المعركة ، ينظر : جميل : حدياب اربيل ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ .

(٣٤٦) الحسني ، عبدالرزاق : العراق قديماً وحديثاً ، ط ٣ ، مطبعة العرفان ، (صيدا ، ١٩٥٨) ، ص ٢٣٧ ؛ فرنسيس : موسوعة المدن والموقع في العراق ، ١/٦٩ .

واطلق على المدينة وما جاورها اقليم الزابين نسبة الى الزاب الاعلى والزاب الاسفل اللذين تقع بينهما مدينة اربل^(٣٥٠) ، حيث ذكر طه باقر ان مدينة اربل التي تقع على بعد متساو تقريبا من النهرين اللذين يعرف كل منهما باسم الزاب، هي منذ القدم قصبة الاقليم الذي يحده من الشمال والجنوب هذان النهران، وقدما كان هذا الاقليم يسمى باسم العاصمة، فكان يقال له اديابين (Adiab) وحدياب عند اهل الشام ، وقد أطلقت كلمة حدياب في العهد الفرثي ١٤٨-٢٢٦ ق م على هذا الاقليم، ولعل كلمة اديابين التي هي الاصل من كلمة حدياب مشتقة من كلمة زابين، والزاب في اللغة الارامية يلفظ بشكل ذاب فيكون معنى حدياب او اديابين (اقليم الزابين)^(٣٥١).

يحدّها من الشمال تركيا وقسم من محافظة نينوى ومن الجنوب محافظة كركوك ومن الشرق ايران وقسم من محافظة السليمانية ومن الغرب محافظة نينوى^(٣٥٢) .

وتعد من المدن التاريخية الحضرية العريقة الموغلة في القدم ، والتي يرجع تاريخها الى الاف السنين، وقد ورد اسمها في الكثير من المخطوطات والمدونات والمصادر والمراجع القديمة^(٣٥٣) .

والمرجح ان اقدم ذكر لها كان في كتابات الملك السومري شولكي نحو ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وانها كانت ضمن امبراطورية اور الثالثة ٢٠٥٠-١٩٥٠ ق م^(٣٥٤) ، وكانت في العهد الآشوري مركزا رئيسيا لعبادة الإلهة عشتار وكان الآشوريون يقدسون أربل ويحج

نبذة تاريخية :

^(٣٥٢) الحسني : العراق قديما وحديثا ، ص٢٣٥ ؛ اسماعيل: اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٥ .

^(٣٥٣) باقر : المرشد ، ص٣ ؛ فرنسيس: موسوعة المدن والموقع في العراق ، ١/٦٦ .

^(٣٥٤) باقر : المرشد ، ص٣ ؛ اسماعيل: اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٦١ ، ٦٦ ؛ الصقار ، سامي بن خماسي : اماره اربل في العصر العباسي ومؤرخها ابن المستوفي ، دار الشواف (الرياض ، ١٩٩٢) ، ص ٣٠ .

تقع مدينة اربل الى الشمال من بلاد وادي الرافدين ، في المنطقة المحصورة ما بين الزابين الاعلى والاسفل ،

^(٣٥٠) الحموي : المشترك ، ص١٩ .

^(٣٥١) المرشد ، ص٤ ؛ للتفاصيل عن حدياب ينظر : فرنسيس: موسوعة المدن والموقع في العراق ، ١/٢٩٨-٢٩٩ ؛ جميل: حدياب اربلا ، ص ٢١٩ ، ٢٢٣ .

إليها ملوكهم قبل الإقدام على أي حملة عسكرية^(٣٥٥) ، الى هذا اليوم، وليس غريبا ان يسمى الآثاريون اربيل بانها من اقدم المدن الحية في العالم^(٣٥٨) .

وتحتوي القلعة على معالم اثرية منها معبد للالهة اشور، ووجدت فيها بعض الآثار المكتوبة منها تمثال برونزي مكتوب عليه اسم الملك الاشوري اشور دان الثالث (٧٧٢-٧٥٤ ق.م)^(٣٥٩) .

الملك الاخميني داريوس ودخوله المدينة^(٣٥٦) .

ومن بين ابرز معالمها الحضارية القلعة التي بنيت أساسا لأغراض دفاعية فوق تلة قديمة من عدة طبقات يرجع اقدمها الى العصر الاكدي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد^(٣٥٧) ، حيث كانت تعد حصناً متيناً لمدينة أربل في تلك الحقبة الزمنية، وكانت القلعة في بادئ الامر وعند انشائها تضم المدينة بالكامل ، وقد احتفظت القلعة بشكلها وبكونها اهلة بالسكان

ويرى باحث الآثار العراقي طه باقر ان القلعة كانت أكثر ارتفاعا فيما مضى، وان (قارا قه للا Qaraqalla) الامبراطور الروماني الذي غزا اربل بعد عودته من حملته على طيسفون في عام ٢١٦ م ، هدم ذروتها ونبش فيها القبور التي تعزى الى الملوك الفرثيين^(٣٦٠) .

وقد حظيت مدينة اربل باهتمام بالغ من قبل الملوك السومريين والاشوريين وكانت من امهات مدنهم ،

^(٣٥٥) باقر : المرشد ، ص ٣ ؛ كما فعل اشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٦ ق.م) في معركته الفاصلة مع العيلاميين . ينظر : جميل : حدياب اربلا ، ٢٢٠ ، ٢٤٣؛ وكذلك حجج الى اربل الملك سنحاريب قبل حربه مع البابليين سنة ٦٩٢ ق.م . اسماعيل: اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٧٦-٧٨ .

^(٣٥٦) جميل : حدياب اربلا ، ٢٢٣-٢٢٨ ، وللتفاصيل عن هذه المعركة ينظر : ص ٢٢٩-٢٣٠ .

^(٣٥٧) الحسيني : العراق قديما وحديثا ، ص ٢٣٨ ، ٨٧ .

^(٣٥٨) اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٤٠-٤٢ .

^(٣٥٩) باقر : المرشد ، ص ٣ ؛ فرنسيس: موسوعة المدن والموقع في العراق ، ١/٦٦ .

^(٣٦٠) باقر : المرشد ، ص ٤ ؛ اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ١٠١؛ شحيلات : مختصر تاريخ العراق ، ١/٣٠٥ .

فأقاموا فيها اعمالاً عمرانية ومشاريع اروائية^(٣٦١)، وكان الملك الاشوري اشور ناصربال (٨٨٤-٨٥٩ ق م) (يسمىها (مدينتي)^(٣٦٢) . وكانت اربل في العهد الفرثي تشكل مركز اقليم حدياب وعاصمته^(٣٦٣)، وعبر هذا الاقليم كان يمر ما يعرف بالطريق السلطاني الذي ينقل عليه البريد في العهد الاخميني^(٣٦٤)، مما أكسب المدينة اهمية اخرى . ونظراً لاهميتها في العصور القديمة ومكاتها التاريخية وموقعها المهم ، فقد تعرضت مدينة اربل للكثير من الهجمات من قبل العديد من الامبراطوريات

والممالك في ذلك الوقت كالمازيين والكلدانيين والاكديين والبابليين والاشوريين واليونانيين والاشمينيين والسلوقيين والفرثيين والرومان والساسانيين ، وكانت مسرحاً للتنافس والصراع للسيطرة عليها بين تلك القوى^(٣٦٥) . وبرزت اربل في العصور الاسلامية منذ ان فتحها المسلمون وما جاورها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رض بقيادة عتبة بن فرقد^(٣٦٦) ؛ لتكون من بين الامارات الاسلامية والمراكز الحضارية والثقافية^(٣٦٧) ، وكانت خلال العصر الاموي ضمن اقليم الجبال ، وخلال العصر العباسي من ضمن اقليم الموصل

^(٣٦١) الحسني : العراق قديماً وحديثاً ، ص ٨٧ ؛ فرنسيس: موسوعة المدن والموقع في العراق ، ٦٦/١ ، ومنها مشروع ارواء اربل الذي قام به الملك الاشوري سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) ، ينظر لذلك : باقر : المرشد ، ص ٦-٧ ؛ سفر ، فؤاد : اعمال الارواء التي قام بها سنحاريب ، مجلة سومر ، ج ١ ، مج ٣ ، (بغداد ، ١٩٤٧) ص ٨٤-٨٦ ؛ اسماعيل: اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٧٦ .

^(٣٦٢) جميل : حدياب اربلا ، ٢٢٠ ؛ اسماعيل: اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٧٢-٧٣ .

^(٣٦٣) باقر : المرشد ، ص ٤ ؛ جميل : حدياب اربلا ، ٢٢٢ ؛ اسماعيل: اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٩٩ .

^(٣٦٤) باقر: المرشد ، ص ٢ ؛ جميل : حدياب اربلا ، ٢٢٢ ؛ بلاد ما بين النهرين ، ص ٢٦-٢٨ .

^(٣٦٥) الحسني : العراق قديماً وحديثاً ، ص ٢٣٧ ؛ باقر : المرشد ، ص ٤-٥ ؛ شحيلات : مختصر تاريخ العراق ، ٣٠٢/١ - ٣٠٥ ؛ فرنسيس: موسوعة المدن والموقع في العراق ، ٦٦/١ - ٦٧ ؛ جميل : حدياب اربلا ، ٢٢٩ - ٢٣٢ ؛ وللتفاصيل ينظر: اسماعيل: اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٦١ وبعدها - ١١١ ، ١٣٠ .

^(٣٦٦) ينظر : اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ١٢٣ ، ولم تشر المصادر الاسلامية الى فتح اربل بوضوح ، وانها فتحت مع ما جاورها من المناطق . ينظر : الصقار : اماره اربل ، ص ٣١-٣٢ .

^(٣٦٧) شحيلات : مختصر تاريخ العراق ، ٣٠٦/١ ؛ فرنسيس: موسوعة المدن والموقع في العراق ، ٦٧/١ - ٦٨ .

وبعد وفاة كوكبري سنة ٦٣٠ هـ أصبحت اربل ضمن النفوذ المباشر للخلافة العباسية^(٣٧٣).
ونالت اربل نصيبها من الهجمات المغولية ، وكانت من بين المدن التي صمدت بوجه المغول لعدة مرات ومنها هجوم سنة ٦٢٨ هـ حيث دخلها المغول ونهبوا وخربوا قراها وقتلوا من ظفرو به ، قصدى لهم اميرها مظفر الدين كوكبري فرحلوا عنها^(٣٧٤) ، وكذلك سنة ٦٣٤ هـ تعرضت اربل لهجوم عنيف من قبل المغول وحاصروا قلعتها وضربوها بالمنجنقات ثم انسحبوا بعد سماعهم بقدم جيش الخلافة^(٣٧٥)، ثم حاصرها المغول بعد

والجزيرة^(٣٦٨) ، وقامت فيها الامارة الهذبانية في العصر البويهي^(٣٦٩) ، ولم تكن اربل بعيدة عن الصراعات الداخلية بين الامراء السلاجقة وتأسست فيها اتابكية اربل^(٣٧٠).
وحظيت اربل بالهدوء والاستقرار والقوة في عهد اميرها مظفر الدين كوكبري (٥٨٦ هـ - ٦٣٠ هـ)^(٣٧١) ، ومن ابرز معالمها الحضارية في تلك الحقبة الجامع المظفري ومنارته الذي بني في العصر العباسي وكذلك انشأت فيها العديد من المدارس والمراكز العلمية والاعمال العمرانية الاخرى^(٣٧٢).

ينظر: اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ٤٤-٤٧ ، ١٧٧-١٨٣ ؛ فرنسيس: موسوعة المدن والموقع في العراق ، ٦٧/١؛ للتفاصيل عن هذه الحقبة ينظر : الصقار : اماره اربل ، ص ٧١ وبعدها .

^(٣٧٣) ينظر : ابن الفوطي ، كمال الدين : الحوادث الجامعة ، (بغداد ، ١٣٥١ هـ) ص ٤٤-٤٥ .

^(٣٧٤) النويري ، أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط١ ، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة ، ١٤٢٣ هـ) ج ٢٧٨، ص ٣٤٥؛ المقريزي ، أبو العباس أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٧) ج ١، ص ٣٦٣ .

^(٣٧٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ٩٨-٩٩؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير

^(٣٦٨) اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ١٢٨ .

^(٣٦٩) اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ١٣٣ .
وللتفاصيل عن اربل في العصور الاسلامية ينظر المرجع نفسه ، ص ١٢٣ وبعدها .

^(٣٧٠) اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ١٤٧ وبعدها؛ للتفاصيل عن هذه الحقبة ينظر : الصقار : اماره اربل ، ص ٤١ وبعدها .

^(٣٧١) اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ١٦٠ وبعدها ، ١٧٥-١٧٦ ، للتفاصيل عن هذه الحقبة ينظر : الصقار : اماره اربل ، ص ٥٣ وبعدها .

^(٣٧٢) باقر : المرشد ، ص ٦؛ شحيلات : مختصر تاريخ العراق ، ٣٠٢/١ . واسم الجامع نسبة الى مؤسسه الامير مظفر الدين كوكبري امير اربل (ت ٦٣٠ هـ) للتفاصيل عن الجامع والمنارة

واقدم من ذكر اربل من الجغرافيين والبلدانيين هو: ابن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ) في حديثه عن السواد فذكر اقسامه وهي اثنا عشر كورة ومنها كورة استان شاذ فيروز وهي كورة حلوان وهي خمسة طساسيج (ناحية) وهي : طسوج فيروز قباذ ، طسوج الجبل ، طسوج تامرا ، طسوج اربل وطسوج خاقيقين^(٣٧٧) ، وكذلك ذكرها ضمن ناحية حلوا عند حديثه عن مملكة الاسلام واعمالها^(٣٧٨) ، وبهذا يجعل ابن خرداذبة اربل ضمن بلاد السواد ناحية حلوان ، ولم يقدم وصفا للمدينة .

وذكر ذلك ايضا ابن الفقيه (ت ٣٦٥ هـ) حيث عدها ايضا من ناحية حلوان^(٣٧٩) ، فيبدو ان اربل ظلت اداريا على نفس التقسيم حتى عصر ابن خرداذبة في العصر العباسي المتأخر .

احتلهم بغداد سنة ٦٥٦ هـ . وامتنعت عليهم وقاوم اهلها طويلا داخل القلعة وقتلوا الكثير من المغول حتى نفذ صبرهم فسلموها لبدر الدين لؤلؤ فهدم اسوارها واستولى عليها^(٣٧٦) .

المحور الثاني : وصف اربل في المصادر الجغرافية والبلدانية

ورد ذكر اربل ووصف احوالها في كتب الجغرافيين والبلدانيين ، اسهب قسم منها في ذلك وفصل واوز بعض الآخر واختصر، كل حسب منهجه وغاية تأليفه او طبيعة ومعطيات عصره وسنتناول هذا الوصف من تلك المصادر بحسب قدمها لنستبين اوجه الاختلاف والتشابه في وصف المدينة وموقعها وتبعيتها جغرافيا اداريا ، او ماحدث فيها من تغيرات بين الحقبة والتي تليها :

^(٣٧٧) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، دار صادر (بيروت ، ١٨٨٩) ج ١ ، ص ٥-٦ .

^(٣٧٨) المصدر نفسه ، ١ / ٢٣٥ .

^(٣٧٩) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني : البلدان تحقيق: يوسف الهاادي ط ١ ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٦) ج ١ ، ص ٣٨٢ .

والأعلام ، تحقيق: بشار عواد معروف ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٣ ، ج ١٤ ، ص ١٥ .

^(٣٧٦) اسماعيل : اربل في ادوارها التاريخية ، ص ١٩٣ .

وذكرها التطيلي (ت ٥٦٩هـ) في رحلته ، في معرض حديثه عن الموصل فقال : " وعلى بعد اربعين فرسخا منها قلعة اربيل القديمة"^(٣٨٣) ، وقد توهم التطيلي بتحديد المسافة بين اربيل والموصل : فالفرسخ = ٥٥٦٥ متر ، فعلى حسابه تكون المسافة بينهما ٢٢٢ كم ، وهو خطأ كما معلوم ، فاربيل تبعد عن الموصل ٨٧ كم تقريبا .

ولعل أكثر من توسع في وصف اربيل والحديث عنها هو ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) فقدم وصفا مفصلا ودقيقا ناتج عن مشاهدة عيانية حيث زار اربيل واطلع على معالمها واحوالها ولا نعلم بالتحديد تاريخ تلك الزيارة الا انها كانت في عصر اميرها مظفر الدين كوكبري ، فوصف والقلعة والمدينة وموقعها ومساحتها وتجارتها واسواقها وعمائرهما واميرها واهلها ، فقال عن المدينة وقلعتها: " واربل: قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، في فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق عميق، وهي في طرف من المدينة، وسور المدينة ينقطع في نصفها، وهي على تل عال من التراب،

وقد حضيت خلال هذه الحقبة بشهرة وازدهارا ما جعل ابن حوقل المتوفى (٣٦٧ هـ) يصفها من المدن الرائجة التي تقع ما بين الزابين الصغير والكبير^(٣٨٠) .
واشار السمعاني (ت ٥٦٢هـ) بايجاز الى اربيل فقال : " وهي قلعة على مرحلة من الموصل ، كان منها جماعة من العلماء ..."^(٣٨١) ، في حين ذكر ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) بعدها عن الموصل بمرحلتين^(٣٨٢) ، وهذا الاختلاف يعود لاختلاف حساب الميل بالمتر عند المذاهب .

^(٣٨٠) ابو القاسم محمد : صورة الارض ، دار صادر (بيروت ، ١٩٣٨) ج ١ ، ٢٠٨ .

^(٣٨١) عبد الكريم بن محمد بن منصور: الأنساب ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى العلمي وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط ١ ، (حيدر آباد ، ١٩٦٢) ج ١ ، ص ١٥٢ . المرحلة = مسيرة يوم وهي = ٢٤ ميل ، وهناك اختلاف في حساب الميل بين المذاهب فعند الحنفية والمالكية : الميل = ١٨٥٥ م ، فتكون المرحلة عندهم = ٤٤,٥ كم وهو الصحيح ؛ وعند الشافعية والحنابلة الميل = ٣٧١٠ م ، فتكون المرحلة عندهم ٨٩ كم . محمد ، علي جمعة : المكايل والموازين الشرعية ، ط ٢ ، (القاهرة ، ٢٠٠١) ص ٥٦ ، ٥٣ .

^(٣٨٢) ابو الحسن علي بن أبي الكرم : اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر (بيروت، د.ت) ج ١، ص ٣٩ . تكون المسافة بين الموصل واربل مرحلة على حساب المذهبين الشافعي والحنبلي ، ومرحلتين على حساب المذهبين الحنفي والمالكي .

^(٣٨٣) الرازي بنيا مين : رحلة بنيامين التطيلي ، ط ١ ، الجمع الثقافي ، (ابو ظبي ، ٢٠٠٢) ج ١ ، ص ٢٨٨ .

بشهامته وكثرة تجربته حتى هابوه، فانحفظ بذلك أطرافه، وقصدها الغرباء، وقطنها كثير منهم، حتى صارت مصرا كبيرا من الأمصار^(٣٨٧).

ثم يعود الحموي ويصف اميرها كوكبري واختلاف طباعه فقال عنه: "وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة، فإنه كثير الظلم، عسوف بالرعية، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها، وهو مع ذلك مفضل على الفقراء، كثير الصدقات على الغرباء، يسير الأموال الجمّة الوافرة يستفكّ بها الأسارى من أيدي الكفار...^(٣٨٨)".

اما اهلها فيشبه الحموي طباعهم بطباع اهل القرى وانهم غلبت عليهم اللهجة العربية، ويصف احوالهم المعشية وزراعتهم فقال: "ومع سعة هذه المدينة، فبنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن، وأكثر أهلها أكراد قد استعربوا، وجميع رسائيقها وفلاحيتها وما ينضاف إليها أكراد، وينضمّ إلى ولايتها عدّة قلاع...، وليس حولها بستان، ولا فيها نهر جار على

وجه الأرض، وأكثر زروعها على القنيّ المستنبطة

عظيم واسع الرأس^(٣٨٤)، ثم ذكر مباني المدينة التي بداخل القلعة فقال: "وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة، وهي شبيهة بقلعة حلب، إلا أنها أكبر وأوسع رقعة^(٣٨٥)".

وحدد مساحة اربل وبين ان طولها ٦٩ درجة ونصف وعرضها ٣٥ درجة ونصف وثلاث، وبين ان موقعها - كما اشار ابن حوقل - بين الزابين وعدّها من اعمال الموصل وان المسافة بينهما يومان، وبينها وبين بغداد مسيرة سبعة أيام للقوافل^(٣٨٦).

ووصف الحموي المدينة التي توسعت وامتدت في عصره الى خارج القلعة واصبحت ذات شهرة وهيبة وعمارة بمجهود اميرها مظفر الدين كوكبري فقال: "وفي ربض هذه القلعة، في عصرنا هذا، مدينة كبيرة، عريضة طويلة، قام بعمارتها وبناء سورها، وعمارة أسواقها وقيسارياتها، الأمير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كوجك علي، فأقام بها، وقامت بمقامه بها، لها سوق وصار له هيبة، وقاوم الملوك ونابذهم

^(٣٨٤) معجم البلدان، ط٢، ١/ ١٣٨.

^(٣٨٥) الحموي: معجم البلدان، ١/ ١٣٨.

^(٣٨٦) المصدر نفسه، ١/ ١٣٨، وذكر الحموي ذلك في كتابه

المشترك وضعاً، ص ١٩.

^(٣٨٧) المصدر نفسه، ١/ ١٣٨.

^(٣٨٨) المصدر نفسه، ١/ ١٣٨.

تحت الأرض، وشربهم من آبارهم العذبة الطيبة المريئة،
التي لا فرق بين مائها وماء دجلة في العذوبة والخفة،
وفواكهها تجلب من جبال تجاورها^(٣٨٩).

ويثني الحموي بعد ذلك على فضل ابن المستوفي
ومكاته وعلمه فقال عنه: "وله دين واتصال
بالسلطان، وخلة شبيهة بالوزارة، وقد سمع الحديث
الكثير ممن قدم عليهم إربل، وألف كتباً، وقد أشدني
من شعره، وكتب لي بخطه عدة قطع، منها:

تذكرنيك الريح مرت علية . . . على الروض مطولاً،
وقد وضع الفجر
وما بعدت دار، ولا شطّ منزل ، . . . إذا نحن
أدتنا الأمانيّ والذكر^(٣٩٣).

ووصف القزويني (ت ٦٨٢هـ) مدينة إربل محدداً
موقعها ومشيراً إلى مناعة قلعتها وصمودها بوجه
المغول ، وذكر مسجدتها فقال: "مدينة بين الزابين، لها
قلعة حصينة لم يظفر بها التتر، مع أنهم ما فاتهم شيء
من القلاع والحصون، بها مسجد يسمى مسجد

^(٣٨٩) المصدر نفسه ، ١/ ١٣٨ ، وينقل وصف الحموي هذا :

ابن الخباز، أحمد بن الحسين : توجيه اللمع ، تحقيق: فايز زكي
محمد دياب، دار السلام ، ط ٢ ، (مصر ، ٢٠٠٧) ، ص ١٩ .

^(٣٩٠) المصدر نفسه ، ١/ ١٣٨ .

^(٣٩١) للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : ابن المستوفي ، المبارك

بن أحمد بن المبارك بن موهوب الإربلي : تاريخ إربل ، تحقيق :

سامي بن سيد خماس الصقار ، وزارة الثقافة والإعلام، دار

الرشيد للنشر (العراق ، ١٩٨٠) .

^(٣٩٢) معجم البلدان ، ١/ ١٤٠ .

^(٣٩٣) المصدر نفسه ، ١/ ١٣٨ .

من الأرض واسع، لها قلعة حصينة ذات خندق عميق في طرف المدينة ينقطع سور المدينة في نصفها، وهي على تل عال عظيم من تراب، وفيها أسواق ومنازل للرعية، وهي شبيهة بقلعة حلب إلا أنها أكبر وأوسع^(٣٩٧)، وقال في موضع آخر عن بست: "وادي من نواحي أذربيجان، ويشق إربل في وسطها"^(٣٩٨).

وكحال العديد من بلاد المشرق الاسلامي تعرضت مدينة اربل لمجاعات وقحط اصاب اهلها من جرائه ضيق مات على اثره منهم الكثير اسهبت المصادر في وصفه لشدة، ومنه ما حدث سنة ٧١٨هـ، الذي وصفه النويري بقوله: "وفي هذه السنة وردت الأخبار إلى الشام بما حصل بديار بكر والموصل وإربل وماردين والجزيرة وميفارقين وغيرها من الغلاء العظيم والجلاء وخراب البلاد وبيع الأولاد ٣٢/٢٩٢، وأما

الكف، فيه حجر عليه أثر كف إنسان، ولأهل إربل فيه أقاويل كثيرة ولا ريب انه شيء عجيب.."^(٣٩٤).

ويبدو ان مدينة اربل قد تعرضت للدمار والخراب في العصور المتأخرة بسبب الهجمات المغولية حيث يذكر ابو الفداء (ت ٧٣٢ هـ): "وعن بعض أهلها انها مدينة كبيرة قد خرب غالبها"^(٣٩٥)، وقال في وصفها: "قال ابن سعيد واربل مدينة محدثة وهي قاعدة بلاد شهر زور... ولها قلعة على تل عال داخل السور مع جانب المدينة في مستو من الأرض، والجبال منها على أكثر من مسيرة يوم، ولها قني تدخل منها اثنتان إلى المدينة للجامع ودار السلطان؛ وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية"^(٣٩٦).

ويوصف صاحب كتاب مراصد الاطلاع (ت ٧٣٩ هـ) اربل وصفا موجزا يبدو انه اخذه عن الحموي باختصار فقال: "اربل مدينة كبيرة في فضاء

^(٣٩٧) صفى الدين البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والباقاع، ط ١، دار الجيل، (بيروت، ١٤١٢ هـ)، ج ١، ص ٥١.

^(٣٩٨) المصدر نفسه، ١/ ١٩٦؛ وينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس، المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ٨، (بيروت، ٢٠٠٥)، ج ١، ص ١٤٧.

^(٣٩٤) زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، د.ت)، ج ١، ص ٢٩٠.

^(٣٩٥) عماد الدين اسماعيل: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية (باريس، ١٨٤٠)، ص ٤١٢.

^(٣٩٦) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤١٢-٤١٣. ونقل مذكره الحموي في المشترك عن اربل.

مدينة إربل فأكل أهلها جميع النبات الموجود ثم أكلوا
لحاء الأشجار وقلوبها ثم أكلوا الميتة وجاءهم الموت
الذريع ثم شرعوا في الجلاء فنزح منهم جماعة من
الحواضر نحو أربعمائة بيت لقصد مدينة مراغة
فسقط عليهم ثلج وأصابهم برد شديد فماتوا بأجمعهم
وخرجت طائفة أخرى أكثر من الأولى من البلد
والسواد والفلاحين صحبة أردوا التار فوصلوا إلى
عقبة فتركهم التار أسفل العقبة، ومنعهم من الصعود
معهم لعجزهم عن إطعامهم فماتوا بجملةهم ووصل
كتاب من البلد إلى الموصل وفيه إنا اعتبرنا جملة من
بقي من أهل البلد فكانوا خمسمائة بيت من خمسة
عشر ألف بيت المتعينون بمن بقي نحو خمسين بيتاً
والباقيون ضعفاء وفقراء" (٣٩٩) ، وأشار ابن الوردي

(ت ٧٣٩هـ) الى سبب هذا الغلاء والمجاعة فقال :
وَكَانَ سَبَبُ الْغَلَاءِ جَرَادًا وَعَدَمُ الْمَطَرِ سَنَيْنَ وَجُورِ

التتر لموت خربنده وتغير الدول والغارات، فسبحان
الفعال لما يُريد" (٤٠٠).

المحور الثالث : اربل في المصادر الادبية :

ورد ذكر اربل في العديد من المصادر الادبية وفي
قصائد الشعراء اشارة او تعريضا ، في رسائل الى
الاصدقاء او في ابيات مدح او بيان مآثر المدينة
واحوالها ، واهلها وامرائها .

ومن مدح اربل في شعره ووصف اجواءها وربوعها
الشاعر العدل ابو القاسم الاربلي (ت ٨٩هـ) (٤٠١) ،
حيث يقول :

يَا رَّبِّعَ إِرْبِلَ أَنْتَ نَعْمَ الدَّارُ . . . دُمَّ عَامِرًا
نُتَمَّى بِكَ الْأَعْمَارُ
فَلَقَدْ أَنَارَ بِكَ الرَّبِيعَ وَفَوَّتَ (و) . . . مِنْكَ الرَّبُوعُ
بِزَهْرِهَا الْأَمْطَارُ

(٤٠٠) عمر بن مظفر بن عمر: تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، دار
الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٦) ج٢ ، ص ٢٥٨ .

(٤٠١) هو ابو القاسم جبريل بن محمد ، شاهد عدل ، من اهل
الدين والفضل وله طبع في الشعر ، وهو من اهل اربل ولادة
ونشأة . ابن المستوفي ، المبارك بن احمد : تاريخ اربل ، تحقيق :
سامي بن سيد خماس الصقار ، دار الرشيد للنشر، (العراق ،
١٩٨٠) ج١ ، ص ٧٤ .

(٣٩٩) نهاية الارب ، ٢٩٣/٣٢ : العمري ، أحمد بن يحيى بن
فضل الله : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ط١ ، الجمع
الثقافي، (أبوظبي ، ١٤٢٣ هـ) ، ج٢٧ ، ص ٥١٨ .

وَكَمَا الْقَطَارُ رَبَّكَ وَشَيْ مَلَابِسٍ . . . ضَاعَتْ بِأَرْجٍ
نَسِيمَهَا الْأَقْطَارُ^(٤٠٢) .
وللحاجري ايضا ابيات يتشوق فيها الى ايام مع صحبة
قضاها في اربل جاء فيها :

يا راقد الطرف هناك الكرى . . . عيني عن الرقدة
في معزل
اربل قال فيها :

يا برق إن جئت الديار بإربل . . . وعلى عليك من
التداني رونق
كم قلت خوفاً من دواعي الهوى . . . إياك
والهجر فلم تقبل

بلغ تحية نازح حسراته . . . أبداً بأذيال
الصبا تعلق^(٤٠٤) .
أذكر عهداً كنت عاهدتني . . . إذ نحن
بالشرقي من إربل^(٤٠٥) .

وقد اجاد الشاعر الموصلي ابو عبدالله محمد بن
منصور بن دبيس الواعظ المعروف بان الحداد ، في
مدح اربل حين زارها سنة ٦٢٦هـ بآبيات قال فيها :

حُيِّتِ إِرْبِلُ مِنْ دَارٍ وَمِنْ وَطَنِ . . . وَلَا تَعْدَاكَ
صَوْبُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ

وطاب مِنْكَ نَسِيمُ الرِّيحِ فِي السَّحَرِ . . . الأعلى
لأنك مأوى الإلفِ والسكن

^(٤٠٢) ابن المستوفي : تاريخ اربل ، ٧٨/١ .

^(٤٠٣) أبو يحيى عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلي، المعروف
بالحاجري الملقب حسام الدين؛ هو جندي ومن أولاد الأجناد،
وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة وفيه معاني جيدة ، ٥٠١/٣
اعتقل بقلعة اربل ثم خرج من الاعتقال، واتصل بخدمة امير اربل
مظفر الدين ، ثم توفي مقتولا سنة ٦٣٢هـ ، والحاجري: نسبة
إلى حاجر، وكانت بليدة بالحجاز ، ولم يكن الحاجري منها، بل
لكونه استعملها في شعره كثيراً نسب إليها، وهو إربلي الأصل
والمولد والمنشأ . ابن خلكان : وفيات ، ج٣، ص٥٠١-٥٠٤،
الذهبي : تاريخ ، ٨٢/١٤ .

^(٤٠٤) ابن خلكان : وفيات ، ٥٠٣/٣ .

^(٤٠٥) الحمداني ، بهاء الدين محمد بن حسين: الكشكول ،
تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ط١، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، (١٩٩٨) ، ج١ ، ص٢٢٢؛ الشرواني ، : أحمد بن
محمد بن علي: نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، ط١ ، ()
مصر ، ١٣٢٤ هـ ، ص١١٤-١١٥ .

وكيف لا أخلص الودَّ الصحيح لمغ . . . ناك الأئيس -
 رعاك الله - من وطن
 في إربل لم تغيَّر^(٤٠٨) .
 وكان الكثير ممن دخلوا إربل واقاموا فيها ثم خرجوا
 منها، يتشوقون اليها ويذكرون ايامها ، ولابن الفرضي
 المؤدب (ت ٦٠٢ هـ) - الذي ورد إربل سنة ٥٧٢ هـ
 - ايام عشق في إربل فكُتب يتشوق اليها :
 ملني بعد الوفا من كان لي . . . وبحكمي خاتماً
 في إصبعي
 لو رعى حفظ ودادي لم يضع . . . ما رأى في خلوتي
 من ورعي
 حين ضمتنا ليالٍ برى . . . إربل لا
 بالملوى والأجرع^(٤٠٩) .

وكتب يوسف بن إبراهيم بن نصر ، أبو العز بن أبي

إسحاب الموصل^(٤١٠) الى احد اصدقائه بربل :

^(٤٠٦) ابن المستوفي : تاريخ إربل ، ج١، ص٤٥٩ .

^(٤٠٧) أحمد بن قرطاي بن عبد الله ، أبو الثناء بن أبي الوفاء
 الإربلي الأصل الكامل، والأروع، الفاضل . . . له النظم
 المطرب في النشر المغرب، والبلاغة الإنشائية، والعبارة الكتابية،
 كان والده من عتقاء الملك مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري
 صاحب إربل وكان أعظم أمير في دولته، ناب عنه في مملكته .

ابن الشعار ، كمال الدين أبو البركات المبارك الموصل^(٤١٠) : قلاند
 الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان
 الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٥) ، ج١، ص

^(٤٠٨) ابن الشعار : قلاند الجمان ، ١ / ٢٧٢ .

^(٤٠٩) ابن الشعار : قلاند ، ٥ / ٧٩ .

^(٤١٠) يوسف بن إبراهيم بن نصر بن عسكر بن نصر بن عسكر،
 أبو العز بن أبي إسحاب الموصل^(٤١٠) ، قرأ الفقه على مذهب الإمام
 الشافعي بالموصل بالمدرسة النورية ، وتأدب وكان له دراسة
 وفهم، يقول أشعاراً . ابن الشعار : قلاند ، ٨ / ١٣٩ .

تري إن سألت الرّيح حمل تحيّتي ... إلى إربل الغراء
تحمّلها عني
وكتب ابوالحسن علي بن يونس الموصلي^(٤١٣) الى
صديق له في اربل يتشوق اليه :

فما حنّ مشتاق إلى طيب منزل ... حنيني إلى
الغراء كلّاً ولا حزني
سلامٌ كشر المسك تفقته الصّبا ... على ساكن
الغراء في الجانب الغربي

سررت ببقياه فعاد فراقه ... عليّ بأضعاف
السُّرور من الحزن^(٤١١) .
على جيرة جار الزّمان بعدهم ... فلم
أحظّ إلاّ بالرّسائل والكتب^(٤١٤) .

ومدح اربل العالم والفقير الاندلسي الفتح بن موسى بن
حماد بن عليّ بن إبراهيم بن اسماعيل حين زارها سنة
٦٢٥هـ ، فقال فيها :
وانشد أبو الحسن الشيباني عمر بن عليّ بن الوزير
يحيى بن محمد بن هبيرة، حين جاء الى اربل سنة
٦٣٠هـ ، لخدمة ملكها مظفر الدين كوكبري ، ابياتا

يا إربلُ ما أنت إلاّ جنّة ... خصّت بأكرم
جيرة وقرار
يمدح فيها وزيرها ومؤرخها ابن المستوفي ويصف اربل
بالغراء ، ومما قاله :

لو لم تكوني جنّة الدُّنيا لما ... كان الصّراط إليك
بيت النّار
ولي رسائل حمد أسّغين بها ... مستوهب المسك
منها نفحة الطّيب

سلطانها الملك المعظم قدره ... في قلب كلّ
معظم جبار
زهت بكم إربل الغراء واقترخت ... لما عدت
سلب الغرّ المناحيب

يكفيه عند الله وهي عظيمةٌ ... تعظيم مولد
أحمد المختار

فليحمد إذا التقى بمحمد ... آثار ما
أولاه من آثار^(٤١٢) .
^(٤١٢) ابن الشعار : قلاّند ، ٣٠٠/٤
^(٤١٣) وهو ممن نظم الشعر وحفظ القرآن الكريم ، حسن الخلق ،
تام المروءة ، له مؤلفات لطيفة منها : "كتاب الجوهرة الفذة من
جوامع اللذة" . ابن الشعار : قلاّند ، ٩٨ / ٤ .

^(٤١١) ابن الشعار : قلاّند ، ١٤٠/٨ .
^(٤١٤) ابن الشعار : قلاّند ، ١٠٢ / ٤ .

كذا المبارك أنذى حلَّ في بلد ... كساه بالفخر
فضفاض الجلايب^(٤١٥)
وَأُوْلَئِكَ أَنْ حَلُّوا دِيَارَ رَبِيعَةٍ ... مَا بَيْنَ دَجَلَتِهَا
وَبَيْنَ الْجَازِرِ

وكثيرها من امهات المدن الاسلامية ، فقد اصاب
اربيل ما اصابها من الخراب فتغيرت احوالها سيما بعد
وفاة اميرها مظفر الدين كوكبري سنة ٦٣٠هـ ،
وتعرضها للهجمات المغولية ؛ فرثاها وزيرها ومؤرخها

ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) بابيات مؤثرة قال فيها :
حيّا الحيا وطنا بإربل دارسّا ... أخنت عليه
وخلاط ترجع بعد بهجة منظر ... فقرا تداوس
باختلاف الحافر

هذا وتعلق أربل من دونهم ... تسعا وتفتح في
التّهار العاشر
وَبَطُونُ نِينُوهُ وَيُؤْخَذُ مَاهَا ... ودوابها من
معشر متجاوز^(٤١٧)

حوادث الأيام
أقوت مرابعه وأوحش أنسه ... وخلت مراتعه من
الآرام
وقال ابن ابي اصيبعة : " والله أعلم أن يكون الشّيع
الرئيس قال هذه القصيدة أو غيره "^(٤١٨) .

وعلق الصفيدي - الذي ينقل عن ابن ابي اصيبعة -
على نسبة القصيدة لابن سينا ونفى ذلك قائلا:
وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ الَّذِي نَظَّمَ الْقَصِيدَةَ الْعَيْنِيَّةَ فِي النَّفْسِ مَا
يَنْظُمُ مِثْلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ السَّاقِطَةُ الرِّكْبَةُ السَّمِجَةُ

التركيب وأنّها نظم بعض العوام أراد أن يحكي ما جرى
يدخلونها ومنها:
وتنسب الى الطبيب والفيلسوف ابن سينا (ت
٤٢٨هـ) قصيدة يتنبأ فيها بما سيقع على البلاد
والمدن الاسلامية على يد المغول ، وقد جاء في

القصيدة ذكر اربل ونها تصمد بوجه المغول مرات ثم
يدخلونها ومنها:
عني الشتات بأهله فقرّقوا ... أيدي سبا في غير
دار مقام^(٤١٦)

والذي أراه أن الذي نظم القصيدة العينية في النفس ما
ينظم مثل هذه القصيدة الساقطة الركيكة السمجة
التركيب وأنّها نظم بعض العوام أراد أن يحكي ما جرى
يدخلونها ومنها:

^(٤١٧) ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم

، : عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق : نزار رضا ، دار

مكتبة الحياة (بيروت ، د.ت) ، ص ٤٥٥ .

^(٤١٨) طبقات الاطباء ، ٤٥٤ .

^(٤١٥) ابن الشعار : قلائد ، ٤ / ٢٤٩-٢٥٠ .

^(٤١٦) ابن الشعار : قلائد ، ٥ / ٥٢ .

وَلَمْ تَنْظَمْ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ إِلَّا بَعْدَ خَرَابِ بَغْدَادَ
وَلَمْ يَقُلْ ابْنُ سِينَا مِنْهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً وَلَا عَرَفَ هَذِهِ
الْوَقَائِعَ قَبْلَ حَدُوثِهَا بِمِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً تَقْرِيْبًا سَلَمْنَا أَنَّهُ
عَلِمَ كَلِيَاتَهَا مِنْ حِسَابِ النُّجُومِ وَلَا نَسْلُمُ أَنَّ هَذَا كَلَامَهُ
وَلَا نَظَّمَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَلَمْ
أُورِدْهَا إِلَّا لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَطْنُبُ فِي أَمْرِهَا ^(٤١٩) .

وكما مدحت اربل فقد مدح امرائها على السنة
الشعراء وابيات نظمها العلماء ، نذكر نماذج منها :
ماكبه عميد الدين ابن عباس الحنبلي ناظر الاعمال
المجاورة لاربل ، في ابيات يثني بها على تاج الدين ابن
صلايا نائب اربل ، الذي قتله المغول سنة ٦٥٦هـ يقول
فيها :
سَلَامَ كَأَنفَاسِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى . . . سَحِيرًا
وَرِيَاها لَهُ عَطَرِ شَمَالٍ
تَزُرُّ عَلَى الرَّائِنِ أَزْرَارَ ضَوْعِهِ . . . فَأَرْجُ مِنْهُ الْعَرَفَ
أَرْجَاءَ إِرْبِلِ ^(٤٢٠) .

وللشاعر ابو عبدالله محمد بن شعيف البصري -
وكان قد زار اربل عدة مرات - ابياتا يمدح بها الملك
مظفر الدين كوكبري ، منها :
من يبلغ الملك المعظم بعد إِبْ . . . لاغ إليه تحيةً
وسلاما
من عبده وربيب نعمته الذي . . . ملأ العراق بمدحه
والشّاما
. . .
أبدًا يرى من نحو إربل ذاكراً . . . أشياء تحدث للفتى
أوهاما ^(٤٢١) .

على الرغم مما ورد من اشعار في مدح اربل ووصفها
وبيان محاسنها ومدح امرائها ، الا انها لم تسلم من
السنة الشعراء وهجائهم ؛ فقد تعرض لها البعض
لاسباب اما سياسية او للتكسب اوعدم حصول
الخطوة لهم فيها و اكرامهم من قبل امرائها ، فهذا
الشاعر انوشروان البغدادي المعروف بشيطان العراق
، له شعر غلب عليه الهزل والفكاهة ، له ابيات يهجو
بها اربل واهلها ومنها :

تَبَا لِشَيْطَانِي وَمَا سَوَّلَا ، . . . لَأَنَّهُ أَنْزَلَنِي إِرْبِلَا

^(٤١٩) صلاح الدين خليل بن أيبك : الوافي بالوفيات ، تحقيق:

أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت

، ٢٠٠٠) ، ج ١٢ ، ص ٢٥٥ .

^(٤٢٠) الصفدي : الوافي ، ٨٨/٥ .

^(٤٢١) ابن الشعار : قلائد ، ١٣٣/٦ .

نزلتها في يوم نحس، فما . . . شككت أني نازل كربلا
(٤٢٢).

ونال اربل الذم من شعرائها ومنهم : الشاعر طه بن
إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن مختار جمال الدين
الهذباني الاربلي ، المولود باربل سنة ٥٩٤هـ وتوفي
بالقاهرة ، له ابيات يهجو بها اربل منها :

اربل ! لا سقاك الله غيثاً . . . فقد أفقرت
من رجل لبيب

أرى العزاء قد ملئت لياماً . . . وقد ضاقت على
الشيخ الوهوب

فما في ماليكها من معين . . . على صرف الزمان ولا
الخطوب

ولا في قاطنيها أريجى . . . ولا في ساكنيها
من طروب (٤٢٤).

وكان سبب ذمه وهجائه انه اعتقل من قبل امير اربل
مظفر الدين، فأنشأ أربع مقامات في الحبس بألفاظ
تشجي سامعها، ضمنها شرح حاله في السجن ويذم
إربل وأهلها، وعمال الديوان (٤٢٥).

نزلتها في يوم نحس، فما . . . شككت أني نازل كربلا
الا انه عاد واعتذر عن هجاء اربل ، وكذب ابياتا
يلوم نفسه بها ويمدح اربل والامير مجد الدين قال فيها :

قد تاب شيطاني وقد قال لي: . . . لا عدت أهجو
بعدها إربلا

كيف؟ وقد عانيت في صدرها . . . صدرا، رئيسا
سيدا مقبلا

مولاي مجد الدين، يا ماجدا . . . شرفه الله،
وقد خوّلّا

عبدك نوشروان، في شعره، . . . ما زال للطّيبة
مستعملا

لولاك، ما زارت ربي إربل . . . أشعاره قطّ،
ولا عوّلّا

ولو تلقّاك بها لم يقل : . . . تبا لشيطاني،
وما سوّلّا (٤٢٣).

(٤٢٤) البيهقي ، أبو الفتح موسى بن محمد: ذيل مرآة الزمان ، ط ٢

، دار الكتاب الإسلامي ، (القاهرة ، ١٩٩٢) ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٤٢٥) ابن الشعار : قلائد ، ١٦٤/٢ - ١٦٥ .

(٤٢٢) الحموي : معجم البلدان ، ١/١٣٨-١٣٩ .

(٤٢٣) الحموي : معجم البلدان ، ١/١٣٩؛ وينظر: ابن الفوطي ،

كمال الدين أبو الفضل: مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق:

محمد الكاظم ، ط ١ (إيران ، ١٤١٦) ج ٤ ، ص ٤١٩-٤٢٠ .

كما تعرض بعض من امراء اربل وموظفي دوواينها ،
 للهجاء والذم اما بسبب سوء ادارتهم وسياستهم ، او
 تعرض خصومهم لنكبات ، وتقلب الاحوال بهم ،
 ومنهم يعقوب بن إسماعيل النصراني البابوري مشرف
 ديوان إربل، الذي سجن ، انشد أسعد بن إبراهيم أبو
 الجد النشأبي الإربلي الكاتب^(٤٢٦) ابياتا يهجو بها
 يعقوب ويشمت به ومنها :

امراء إربل كلهم نسقٌ . . . ما فيه من عنده
 كرم

قصرت به عما يطول إلى . . . كسب الثناء بمثله الهمم
 وتكاد لو قطعت أناملهم . . . من شحها أن لا
 يشح دم^(٤٢٨) .

وقد اورد ابن الشعار اشعارا كثيرة من هذا القبيل
 ضمنها في كتابه قلائد الجمان ، لا مجال لذكرها في هذا
 المقام .

الخاتمة :

وفي نهاية هذا البحث نخلص الى القول :

- ان مدينة اربل تعد من المدن العريقة الموعلة في اعماق
 التاريخ والحضارة ، التي ظلت اهلة وعامرة ومحفوظة
 بهويتها بوجودها حتى يومنا هذا .

- ان المدينة قد حظيت باهتمام الامبراطوريات والممالك
 السياسية على مر العصور وانها كانت محط انظار تلك

قد خسرت دولة من يرتجي . . . عندك يا يعقوب
 إصلاحها

وكم أجيحت إربل مرة . . . وغير تدبيرك ما
 اجتاحتها

وإن أقل أحسنت مستهزئا . . . يا صدر بابوري
 وفلاحها^(٤٢٧) .

وللشاعر أبي بكر بن أبي الفتح الدمشقي محمد بن
 نصر لله بن محمد بن القاسم الأنصاري المعروف بابن

^(٤٢٦) كاتب ديوان الانشاء في اربل ، سجن ثم افرج عنه بعد
 وفاة الامير كوكبري ، وتوجه الى بغداد ، وكان شاعرا بذي
 اللسان مقداما على الهجو والسب ، كثير التعرض بأرباب
 الدولة وأصحاب المناصب؛ قل أن سلم احد من رؤساء إربل
 وأمثالها من لسانه . ابن الشعار : قلائد ، ٣٨٨/١ .

^(٤٢٧) ابن الشعار : قلائد ، ٣٩٥/١ .

^(٤٢٨) ابن الشعار : قلائد ، ٣١/٦ .

- القوى لاهميتها ، حتى اصبحت مسرحا للتنافس - كما ورد ذكر اربل في كثير من الاشعار والقصائد التي والصراع فيما بينها . اشارت اليها كتب التراجم والسير والكتب الادبية .
- كما نالت اربل شهرة ولعبت دورا سياسيا وحضاريا - تعرضت اربل لحقبة المجاعات ، واصابها الخراب في العصور الاسلامية المتأخرة . والضعف بسبب الهجمات المغولية وسيطرته عليها .
- تناولت مدينة اربل المصادر التاريخية والجغرافية والبلدانية بشكل واسع ، واسهمت البعض من تلك المصادر في وصفها .

التربية والتعليم وأثرهما في المجال الديني والثقافي

الفترة المدنية

د.م.د. رنا سالم الحفّو

مستخلص البحث

يعد موضوع التربية والتعليم من أكثر المواضيع سعة وشمولا في كافة نواحي الحياة ، دينيا ، وثقافيا ، واجتماعيا ، واقتصاديا ، إذ لم يقتصر على تنمية وتنشئة صغار السن فحسب ، وإنما أمتد ليشمل تعليم الكبار أيضا عن طريق الإرشاد والحكمة والموعظة الحسنة ، إذ يكاد أن يكون هذا مصطلح (التربية والتعليم) جزءا واحدا لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، ذلك أن التعليم يعد أحد فروع التربية .

لقد حمل الإسلام في ثناياه تعاليم تربوية وثقافية مختلفة ومتنوعة في أساليبها وغاياتها ، مثلت مرتكزا أساسيا انطلقت منه المبادئ التربوية والتعليمية للدعوة الإسلامية داخل وخارج شبه الجزيرة العربية ، لما لها من تأثير في بناء وتقويم شخصية الإنسان المسلم ، ويعود الفضل في ذلك إلى شخصية الرسول (ﷺ) المربي الأكمل والمعلم الأول ، حيث تتلمذ على يديه المسلمون الأوائل من الصحابة (صغارا وكبارا) وغدو شموعا يستضيء بعلمهم القاصي والداني .

وقد شهدت المرحلة المكية نجاح الرسول (ﷺ) في وضع اللبنة الأولى لتعليم الناس وتبصيرهم في الأمور الدينية والدينية ، إذ استطاع من خلال الآيات القرآنية العديدة في تحريك العقول والأذهان والفكر الإنساني نحو التأمل والتدبر والتفكير في خلق الكون وعظمة ذات الله في خلقه ، فضلا عن تشجيعه (ﷺ) للمسلمين في احاديثة الشريفة وأفعاله للمسلمين على طلب العلم والتعلم ، مع الإشارة إلى إن هذا التشجيع لم يقتصر على طلب العلم الديني والثقافي فقط ، بل كل علم نافع يرفع من قيمة الإنسان ثقافيا وأخلاقيا .

ويمكن اعتبار المرحلة المكية مرحلة تأسيس وتأصيل لإكمال البناء التربوي والثقافي الذي تم في المرحلة المدنية ، حيث وجدت الدعوة الإسلامية أرضا أكثر أمنا وخصوبة لتوسيع نشاطها التربوي والتعليمي منهاجا وأسلوبا ، وهذا صميم

بجئنا

لقد غدا المسجد الذي إنشأه الرسول (ﷺ) في المدينة بمثابة مدرسة كبرى لتعليم المسلمين أمورهم الدينية (من وضوء وصلاة) والدينية ، كما لم تخلو المدينة من وجود بعض الدور التي أخذها الصحابة الكرام مقرا للقراءة والتدريس ، وتعليم القرآن والمبادئ الإسلامية ، عرفت باسم دور القراء .

ويعد الصيام -وهو احد أركان الدين الإسلامي- إحدى الوسائل التربوية للمسلمين دينيا واجتماعيا ، أما الزكاة ، فقد لعبت دورا مهما في تقويم وتركية نفوس المسلمين وتربيتهم دينيا ، واقتصاديا ، وإلى جانب الزكاة ، ركن الحج ، كونه فريضة دينية وثقافية واجتماعية ، فهو وسيلة يعود فيها الفرد ضربا من ضروب التربية الدينية والأخلاقية من حسن الاحترام ومعاملة الناس بمحبة وألفة كونهم أخوة في الله . وهذا ابرز ما تضمنه البحث من محاور وعناوين . وبذلك فان الرسالة الإسلامية قد أنشأت قاعدة رصينة للأساليب التربوية والتعليمية في المجال الديني والثقافي لكي تواصل مشوارها التاريخي في العصور اللاحقة .

Bringing up and Education and their Impact on the Field of Religion and Culture during the Prophet's Mission

(Medina Period)

Dr. Rana Salim Mohammad AL-Haffo.

Abstract:

The subject of bringing up and education is one of the most comprehensive aspects of life, religiously, culturally, socially and economically, which is not only restricted to the raising up and nurturing of young people, but also extended to adult teaching through guidance, wisdom and good advice. (Bringing up and education) are inseparable part of each other, as education is one of the branches of bringing up. Islam has included various educational and cultural teachings in their methods and aims that represented a fundamental base which has emerged from the educational principles of the Islamic mission inside and outside the Arabian Peninsula, because of its influence in building and setting right the personality of the Muslim individual. Thanks to the character of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) who is the perfect educator and the first teacher, since the first Muslims of the Sahabah

(young and old) were his students as they became an example for the distant and eternal of people .

The Mecca phase witnessed the success of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in setting the first step to teach people and enlighten them in religious and worldly matters. He managed through the many Quranic verses in moving the minds, intellects and human thought towards contemplation , reflection and thinking in the creation of the universe and the greatness of God in His creation; as well as his encouraging (peace and blessings of Allah be upon him) to Muslims in his honest hadith to seek knowledge and learning, noting that this encouragement not only to look for the religious and cultural knowledge, but all science beneficial to raise the value of human culturally and morally.

The Mecca phase can be considered a stage of establishing and rooting for the completion of the educational and cultural construction that was carried out within the Medina stage. The Islamic call found a safer and fertile ground for expanding its bringing up and educational activities in method and style; that is the core of research.

The mosque, established by the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in the Medina, has become a great school to teach Muslims their religious matters (such as ablution and prayer) and their worldly things, in addition to the houses used by the honorable companions, as a place of reading and teaching the Koran and Islamic principles known as the houses of readers.

As for Zakat, it is one of the pillars of the Islamic religion; educational means for Muslims, religiously and socially. Zakat has played an important role in adjustment and cleansing the souls of Muslims and raising them religiously, economically . Beside Zakat, there is the pillar of Hajj which is a form of religious and moral education of good respect and treating people with love and kindness as brothers in God. These are the most prominent axes and titles included in the research.

Thus, the Islamic mission has established a solid foundation for methods of bringing up and education in the religious and cultural fields in order to continue its historical journey in later times.

المقدمة

لقي موضوع التربية والتعليم اهتماما غاية في الأهمية عند العلماء ليس في عصر الرسالة فحسب بل في كل العصور اللاحقة ، لكونه النواة واللبنة الأساسية التي تسهم في إصلاح ونهضة المجتمعات وتقدمها ، وقد عرفت التربية والتعليم قديما عند العرب بالتنشئة الاجتماعية للصغار (داخل الأسرة أو القبيلة) حيث يزرع الآباء في نفوس أبنائهم العادات والتقاليد التي توارثوها من السلف عن طريق الحفظ والتلقين والتقليد والفصاحة ، وهنا بدأ يتسع نطاق التربية ليدخل معه التعليم بأسلوب ومنهج منظم وبذلك يمكن اعتبار التعليم والثقافة إحدى الفروع المكملة للتربية ، وأصبح المصطلحين (التربية والتعليم) مترادفان ولا ضرورة لتفرقة بينهما .

وفي مكة انطلقت الدعوة الإسلامية لعرض مضمونها وفق نمطين متوازيين ،الأول: مثل الجانب التربوي وما حمله من قيم ومثل أخلاقية أكدت عليها الآيات القرآنية والسنة النبوية ، أما النمط الثاني: فمثل الجانب الديني والثقافي من حيث تعليم الناس العقيدة الصحيحة وتقلهم من الشرك إلى التوحيد بالله وملائكته ورسوله ، وعقيدة البعث بعد الموت وصفة الجنة والنار ، وقد زين هذا النمط بنزول أولى الكلمات القرآنية التي تدعو إلى العلم والمعرفة وهي كلمة ((اقرأ)) وبصيغة أمر

والزام ديني وثقافي متعدد المفاهيم والإشارات إلى العباد كافة ، وبما ساعد المسلمين في مكة على الإقبال على التعلم هو نزول القرآن الكريم منجما الأمر الذي سهل عليهم حفظه وتلاوته في الصلاة وتطبيقه على ارض الواقع .

وفي الفترة المدنية غدا هذا الموضوع أوسع شمولاً ونطاقاً إذ اكتملت فيها العبادات والتشريعات الدينية والثقافية والتربوية فضلا عن اكتمال أركان الإسلام الخمسة الأساسية ، من صلاة و أنواعها وفروضها ونوافلها ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، وما تحتاج إليه هذه الأركان من مراكز تعليمية كالمساجد وأهميتها في حياة الفرد المسلم ، ودور القراء من الصحابة . وهي امتداد لدار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة . لتفقيه الناس أمور دينهم ودنياهم ، إلى جانب الدور الأساسي والتربوي والتعليمي للمعلم الأول والمربي الأكمل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في توجيه المسلمين إلى الطريق القويم بأسلوب يمتاز برفق ولين ، وتعليمهم الحوار والنقاش في مواجهة المشاكل والمعضلات التي تعترضهم وحلها بأسلوب تربوي وثقافي سلمي بشكل لا يتعارض مع مبادئ الإسلام وتعاليمه .

الخميس ، وأسس مسجدة^(٢) . وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة ، لقوله تعالى : ﴿لَسَجْدٌ أَتَى عَلَى الْتَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٣) .

وكان الهدف الأول من بناء المسجد هو تعليم المسلمين الصلاة وأمور الدين الإسلامي ، وكان أول شرط من شروط الصلاة الوضوء وهو الغسل والمسح على أعضاء مخصوصة ، وقيل إيصال الماء الى الأعضاء الأربعة مع النية^(٤) . وهو فرض على كل مسلم لقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٥) .

فالاغتسال والوضوء بمثابة التهيئة والأعداد للصلاة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ)

(٢) أبو محمد بن عبد الملك ابن هشام المعافري، السيرة النبوية، تح: طه عبد الرؤوف، (بيروت، دار الجليل ١٩٧٥) : ١٠٠/٣ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات ، تح: إبراهيم

الأيباري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٢) : ٢٠٢ .

(٥) المائدة : ٦ ؛ ينظر : النساء : ٤٣ .

كل هذه المواضيع شغلت جزءا كبيرا من الدعوة الإسلامية في تربية وتعليم الفرد المسلم دينيا وثقافيا ، وهو ما سنتكلم عنه مفصلا في طيات هذا البحث .
أولا : دور المسجد في التربية والتعليم

بعدما تعلم المسلمون قواعد الإسلام الأساسية في الحقبة المكية ، وجد الرسول (ﷺ) في المدينة مجالا لتحقيق وتكامل بقية العبادات ، من صلاة - وصوم ، وزكاة وحج ، وقد كان للمساجد دورا مركزيا في خدمة الحياة العبادية والثقافية في المجتمع الإسلامي فضلا عن الجوانب الإدارية والسياسية . لذا فقد أولاها الرسول (ﷺ) عناية كبيرة منذ وصوله الى المدينة ، وذلك لارتباطها بالصلاة التي هي الركن الأول في العبادة ، ومن ثم فقد سعى الرسول (ﷺ) إلى إيجاد الأماكن لممارستها، خاصة وان وظيفة هذه الأماكن ستعدي فريضة الصلاة الى ان تكون مركزا عاما للمسلمين يجتمعون فيه للتداول في أمورهم العامة وسماع توجيهات الرسول (ﷺ) .^(١)

وأقام الرسول (ﷺ) بقاء ، في بني عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم

(١) هاشم مجيب الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، (ط١، جامعة الموصل، ١٩٩١) : ١٩٣ .

: ﴿ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ﴾ ^(١) ، وقد علم الرسول (ﷺ) ذلك للمسلمين ، فقد ذكر أبو هريرة أن الرسول (ﷺ) قال له : ﴿ يا أبا هريرة ، إذا توضأت فقل : بسم الله والحمد لله ، فان حفظتك لا تبرح تكتب لك الحسنات حتى تحدث من ذلك الوضوء ﴾ ^(٢) ، وعلى الرغم من أن السواك ليس له شأن في السلوك التعبدي للرسول (ﷺ) والمسلمين ، بيد أن واقع الحال أكد الترابط الكبير والتلازم الشديد بينهما ^(٣) ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال : ﴿ عليكم بالسواك ، فإنه مطيبة للفم ، مرضاة للرب تبارك وتعالى ﴾ ^(٤) .

وقد أوصى الرسول (ﷺ) أنس بن مالك بإسباغ الوضوء فقال : ﴿ يا بني ، عليك بإسباغ الوضوء يحبك ما حافظاك ، ويزاد في عمرك ... ﴾ ^(٥)

وكان صحابة الرسول (ﷺ) يعلمون أولادهم الوضوء والصلاة ، ^(٦) كما علم الرسول (ﷺ) أهله وأصحابه الصلاة ، وروى مسلم ، عن ابن عباس قال : " كان الرسول (ﷺ) يعلمنا التشهد كما يعلمنا السور من القرآن " ^(٧) ، وفي أغلب الأحيان كان الرسول (ﷺ) يباشر بنفسه بتعليم أهله ما يحتاجونه في الصلاة ، فقد ذكر الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال : علمني رسول الله (ﷺ) كلمات أقولهن في الوتر : " اللهم اهديني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، ... " ^(٨) .

^(١) أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه ببلوغ الأماني ، (ط ١ ، مصر ، مطبعة الفتح الرباني ، ١٩٣٧م) : ٥/٢ .

^(٢) نور الدين علي أبو بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تح : محمد عبد القادر ، أحمد عطا ، (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١) : ٣٠٣/١ .

^(٣) عبد الستار جاسم محمد عبد الرحمن الحياتي ، المنحى التعبدية لحياة الرسول (ص) دراسة تاريخية ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، ٢٠٠٠) : ٩٣ .

^(٤) الهيثمي ، مجمع الزوائد : ٣٠٤/١ .

^(٥) الهيثمي ، مجمع الزوائد : ٣٧٨/١ .

^(٦) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، السنن الكبرى ، تح : عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كروي ، (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩١م) : ٨٤/١ - ٨٥ .

^(٧) أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، (د . ط ، الجمالية ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩١٨) : ٣٣/١ .

^(٨) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : محمد إبراهيم ألينا وآخرون ، (مصر ، دار الشعب) : ١١/٢ .

كما كان الرسول (ﷺ) يصحح الأخطاء لهم في الصلاة ، فعن أم سلمة قالت : " رأى الرسول (ﷺ) غلاماً لنا يقال له أفلح إذا سجد ، نفخ ، فقال : يا أفلح ترب وجهك " (١) .

ومن رفق الرسول (ﷺ) ورحمته بالأطفال فقد كان يخفف صلاته عند سماعه بكاء الصبي ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال : أن النبي (ﷺ) قال : ﴿إني لأسمع بكاء الصبي وأنا في الصلاة فأخف مخافة أن تفتن أمه﴾ (٢) .

وقد أكد الرسول (ﷺ) على صلاة الجماعة في المسجد ، فعن ابن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال : ﴿ صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ﴾ (٣) . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)

(١) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، تح: كمال يوسف الحوت

(٢) (ط، بيروت ، دار الكتب العربية ، ١٩٨٧) : ٢/٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخبار ، (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٣م) : ٢/١٢٥ .

(٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، السنن الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م) : ٣/٨٤ .

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ ، وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة (٥) ، فصلاة الجمعة واجب على كل مسلم ، قال الرسول (ﷺ) : ﴿ الجمعة واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة : عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض ﴾ (٦) فالمسجد كمدار للعبادة تمارس فيه الصلاة وبالأخص الصلاة الجامعة تغرس العادات التربوية في النفوس ، وتعودها الخشوع والطاعة ، والصلاة بما فيها من ذكر الله ووحدانيته ، ومعاني القيادة والإمامة والانتظام ، كل هذه المعاني إسلامية ينشأ عليها الفرد المسلم ويتعلق بها (٧) . وهناك بعض الآداب الإسلامية التي على الفرد ان يتصف بها أثناء وجوده في المسجد منها :

(٤) الجمعة : ٩ - ١٠ .

(٥) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي المعروف بابن

كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (النجاة، دار مصر للطباعة)

: ٤/٣٦٥ .

(٦) علي بن عمر الدار قطني ، سنن الدار قطني ، تح : السيد عبدالله هاشم يمانى المدني ، (المدينة المنورة ، ١٩٦٦م) : ٣/٢ .

(٧) إبراهيم سليمان الكروي ، عبد التواب شرف الدين ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، (ط٢ ، الشامية ، منشورات ذات السلاسل ، ١٩٨٧م) : ٤٢٥ - ٤٢٦ .

دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان
يجلس^(٤) .

٤ . الإنصات والاستماع الى الخطيب ، عن ابي
هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : ﴿ إذا قلت
لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد
لغوت ﴾^(٥) .

ثانيا : دور الرسول (ﷺ) في التربية والتعليم

ولقد قام الدين الإسلامي على العلم وحض
على المعرفة ، وبعث النبي (ﷺ) رسولا ومعلما^(٦) ،
قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾^(٧) . فكان الرسول
(ﷺ) يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه
، ويأمرهم وينهاهم في الخطبة إذا عرض له أمر أو نهى
، ... وكان يقطع خطبته لحاجة تعرض أو السؤال
لأحد من أصحابه فيجيبه ، ثم يعود الى خطبته فيتمها
. وربما نزل عن المنبر للحاجة ، ثم يعود فيتمها ، كما

١ . التصرف بأدب واحترام وتعظيم لله سبحانه في
المسجد لكونه بيت الله ، فقد كان الرسول (ﷺ)
يأشر بنفسه تعليم المسلمين أمور دينهم وديناهم
^(١) متبعا أسلوب اللين والرفق وعدم القسوة .
فعن عائشة (رضي الله عنها) ان النبي (ﷺ) قال
: ﴿ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا
ينزع من شيء إلا شانه ﴾^(٢) .

٢ . ومن آداب دخول المسجد والخروج منه ،
الدعاء بما علمه الرسول (ﷺ) للمسلمين بقوله
(ﷺ) : ﴿ إذا دخل أحدكم المسجد ، فليسلم
على النبي (ﷺ) ، ثم ليقل : اللهم افتح لي أبواب
رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من
فضلك ﴾^(٣) .

٣ . على المسلم إذا دخل المسجد أن يركع ركعتين ،
وروى أبو قتادة ان رسول الله (ﷺ) قال : ﴿ إذا

^(٤) البيهقي ، السنن الكبرى : ٧٥/٣ .

^(٥) مالك بن انس ، الموطأ كتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ ،
تح : فاروق سعد ، (ط١ ، ١٩٧٩م) : ٩٨ - ٩٩ .

^(٦) الزين عوض صالح احمد ، الدولة العربية الإسلامية الأولى في
المدينة (١ - ١١هـ) اطروحة دكتوراة غير منشورة (جامعة
الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٠) : ٩٧ .

^(٧) البقرة : ١٥١ .

^(١) محمود عبد الرزاق شفشق ، منير عطا الله سليمان ، تاريخ
التربية (ط٢ ، الكويت ، دار القلم) : ١٩٢ .

^(٢) تقي الدين احمد بن عبد الحلیم ابن تيمية ، الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، تح: ابي عبد الرحمن فاروق ، حسن
الترك (ط١ ، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠٠٢) : ٤٠ .

^(٣) محي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي، الأذكار، تح:
محمد أديب الجادر ، (ط١، دمشق، دار الشام، ١٩٩٩) :

نزل لأخذ الحسن والحسين وأخذهما ثم رقي بهما المنبر وأتم خطبته^(١) .

وقد كان المسلمون يلتفون حول النبي (ﷺ) ويتعلمون من خطبته أمور الدين والقرآن الكريم ، فعن خارجة بن النعمان قال : " ما تعلمت سورة (ق) إلا من في رسول الله (ﷺ) وهو يخاطب بها يوم الجمعة " (٢) .

وعن علقمة بن سعد بن عبد الرحمن بن ابزي عن ابيه عن جده قال : " خطب رسول الله (ﷺ) ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ، ثم قال : ((ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ، ولا يأمرؤنهم ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ولا يتعظون...)) (٣)

وأكد الرسول (ﷺ) في خطبته في حجة الوداع على جملة من الأخلاق والأفعال الكريمة والقيم الإسلامية العالية ، فقال في بعض منها : " ايها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا . وأنكم ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون ، ... " (٤) .

وقد كان النبي (ﷺ) يصغي ويستمع الى الشعراء ويقول : ﴿ إن من الشعر حكماً ﴾^(٥) ، وأما قوله (ﷺ) : ﴿ لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً يرية خيراً له من أن يمتلئ شعراً ﴾^(٦) ، أي انه هو من غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية : ١٨٥/٤ ؛ ينظر : ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تح: احمد أمين وآخرون ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٦) : ٥٧/٤ .

(٥) سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الاسدي المعروف بابي داؤود ، سنن أبي داؤود ، (القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٨٨) : ٣٥/٤ .

(٦) ابو عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، صحيح البخاري ، محمد محمد تامر ، (ط١ ، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ٢٠٠٤) : ٣ / ١٢٨٤ .

(١) شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، تح : طه عبد الرؤوف طه ، (دار أحياء التراث العربي) : ١٤٦/١ .

(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة : ٨٨/٢ .

(٣) يوسف قرضاوي ، الرسول والعلم ، (طه ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩١م) : ١١٤ - ١١٥ ، ينظر : سعيد حوى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، (ط٣ ، ١٩٧٤م) : ١١٣/١ .

الرسول الله (ﷺ) "خرج ذات يوم من بعض حجره
فدخل المسجد فإذا هو مجلقين إحداهما يقرؤون القرآن
ويدعون الله والآخرى يتعلمون ويعلمون فقال النبي
(ﷺ) كل على خير هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله
فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وهؤلاء يتعلمون
ويعلمون وإنما بعثت معلماً فجلس معهم" (٦).

ومن الآداب العلمية الترحيب بالمتعلم
والبشاشة له ، وروى صفوان بن عسال المرادي قال :
" أتيت النبي (ﷺ) وهو متكئ في المسجد على برد
له أحمر ، فقلت : يا رسول الله : إني جئت اطلب
العلم ، قال : ﴿ مرحبا بطالب العلم ، إن طالب العلم
تحفه الملائكة بأجنحتها ﴾ (٧) .

وخصص الرسول (ﷺ) يوماً لتعليم النساء
في المسجد ، فعن أبي سعيد الخدري قال : قالت
النساء للنبي (ﷺ) : " غلبنا عليك الرجال ، فاجعل
لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه ،
فوعظهن ، وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ﴿ ما

القرآن (١) . فكان أشد الشعراء على الكفار حسناً
وكعباً (٢) .

وأكد القرآن الكريم على ان مهمة الرسول
(ﷺ) هي تعليم معتنقين الدين الكتاب والحكمة .
والتي كانت استجابة لدعوة إبراهيم (ﷺ) لأهل
الحرم ان يبعث الله فيهم رسولا منهم أي من ذرية
إبراهيم (٣) ، ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) .

وكان للحلقات العلمية والدينية التي تعقد في
المسجد أهمية في تعليم المسلمين أمور حياتهم الدينية
والدنيوية (٥) ، وروى عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) ان

(١) ابو علي الحسن ابن رشبقي القيرواني ، العمدة في محاسن
الشعر وآدابه وقده ، تح: احمد محي عبد ، (ط٤ ، بيروت
، دار الجيل ، ١٩٧٢) : ٣٢/١ .

(٢) حسنين بن محمد بن الحسن الديار البكري ، تاريخ الخميس
في أحوال أنفس نفيس ، (بيروت ، مؤسسة شعبان) :
١٨٤/٢ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١٨٤/١ .

(٤) البقرة : ١٢٩ .

(٥) ابراهيم سليمان الكروي، وشرف الدين عبد التواب ، المرجع
في الحضارة العربية الاسلامية ، (ط٤ ، الكويت، منشورات
ذات السلاسل ، ١٩٨٧) : ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٦) ابو الحسن الحنفي السندي، شرح سنن ابن ماجه القزويني ،
(بيروت ، دار الجيل) : ١٠١/١ .

(٧) شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم
الجوزي ، مفتاح دار السعادة والإرادة ، تح : بشير محمد
عيون ، (ط١ ، دمشق ، دار البيان ، ١٩٩٨ م) : ٩٣/١ .

كما حرص الرسول (ﷺ) في العديد من أحاديثه على حث المسلمين على العلم وطلبه وجعله إلزاميا على المسلمين ، فعن أنس بن مالك قال : قال الرسول ————— (ﷺ) : ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾^(٥) ، وقوله (ﷺ) : ﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾^(٦) ، لذا فقد أرسل الرسول (ﷺ) المعلمين الى البلدان التي اعتنقت الإسلام وذلك لتعليمهم القرآن وأصول الدين ،^(٧)

وكان الرسول (ﷺ) يرسل المعلمين مع الوفود التي تقدم إليه لإعلان إسلامها لتعليمهم قراءة القرآن

منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجابا من النار ﴿ فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : ﴿ واثنين ﴾^(١) .

وللنساء نصيبهن في الكتابة فكانت حفصة زوج النبي (ﷺ) تكتب ، وأم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب كذلك كريمة بنت المقداد أنها كانت تكتب^(٢) . وكذلك أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر وأم المؤمنين أم سلمة (رضى الله عنها)^(٣) .

وقد عنيت المسلمات بالعلوم الدينية وذلك ليعرفن من تعاليم الدين الجديد وليقمن برواية أحاديث الرسول (ﷺ) ، وكانت عائشة نفسها واسطة العقل بين النساء ذلك الجيل^(٤) .

^(٥) أبو سليمان جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري ، الروض البسام بترتيب وتخرّيج ، فوائد تمام ، (ط١ ، بيروت ، دار البشائر ، ١٩٨٧م) : ١/١٣٢ .

^(٦) صحيح البخاري : ١١٦٥/٣ ؛ ينظر : أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ، المدخل ، (ط١ ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، ١٩٦٠م) : ٢/٣١٥ .

^(٧) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، (ط٥، القاهرة ، دار المعارف) : ٩٩/٣ .

^(١) صحيح البخاري : ٣٩/١ .

^(٢) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، تح : رضوان محمد رضوان ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨) : ٤٥٨ .

^(٣) علي بن محمد الانصاري ، المرأة تعليمها وعملها في الشريعة الإسلامية ، (السعودية ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨٦م) : ٢٩ .

^(٤) عبد الله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ ، (ط٥، بيروت، دارالعلم للملايين ، ١٩٨٤) : ٢٢٤ .

من يتعلم القرآن ويقرؤه رياءً واتباعاً لا هواء النفس
(٧).

والفقه ، ومن بينهم المعلمون الذين قتلوا في حادثة بئر
المعونة (٨) .

وروى جابر بن سمرة قال : " دخل رسول
الله (ﷺ) المسجد وهم حلق ، فقال :
﴿ مالي أراكم عزيزين ؟ ﴾ (٩) ، أي فرق مختلفة لا
يجمعها مجلس واحد ، وكان شعارهم انه " من عرف
شيئاً علمه ، وجعل شيئاً تعلمه " (١٠)

وكانت فصاحة الصحابة وطبايعهم السليمة
تقتضي قدرتهم على أداء القرآن ، كما سمعوه من النبي
(ﷺ) ، لأنه نزل بلغتهم (١١) . وكان النبي (ﷺ) قد بين
للمسلمين الناسخ والمنسوخ ويعرف سبب نزوله (١٢) .
وأرشد الرسول (ﷺ) المسلمين الى تبليغ العلم ونشره ،
فعن عبد الله بن عمر ان النبي (ﷺ) قال : ﴿ بلغوا
عني ولو آية ﴾ (١٣) ، وعن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ)
قال : ﴿ نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها
عني فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ﴾ (١٤) ، وقوله
(ﷺ) : ﴿ من سئل عن علم فكتمه الجحيم يوم القيامة
بلجام من نار ﴾ (١٥) ، وحذر الرسول (ﷺ) المسلمين

وعن جندب بن عبد الله البجلي قال رسول
الله (ﷺ) : ﴿ اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ،

(١) ابو الحسن علي بن احمد الواقدي ، المغازي ، تح : مارسدن
جونس ، (ط ٣ ، بيروت ، ١٩٨٤) : ٣٤٧/١ .

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،
تح : محمد ابو الفضل إبراهيم ، (الهيئة المصرية العامة ،
١٩٧٤) : ٣٤٤/١ .

(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق : ٤٣٩/٢ .

(٤) منصور علي ناصيف ، التاج الجامع للاصول في احاديث
الرسول (ص) ، (ط ٤ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٦) :
٦٦/١ .

(٥) السندي ، شرح سنن ابن ماجة : ١٠٤/١ .

(٦) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٢٩/٥ .

(٧) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٣٢/٥ .

(٨) ابي داؤود ، سنن ابي داؤود : ٢٥٩/٤ .

(٩) محمود قمبر ، دراسات تراثية في التربية الاسلامية ، (الدوحة
، دار الثقافة ، ١٩٨٥) : ١٢٥ .

(١٠) ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، رسالة الأدب
في الدين ، نشرها عبد الأمير شمس الدين ، الفكر التربوي
عند الامام الغزالي ، (ط ١ ، الرملة البيضاء ، دار اقرا ،
١٩٨٥م) : ٢٥١ .

رجل يحسن تعليمك وأدبك^(٣) ، وبين الرسول (ﷺ) للمسلمين أخذ القرآن وطريقة قرأته من أربعة من الصالحين فـ قال لهم: **«خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة»**^(٤) .

وذكر عثمان وابن مسعود وأبي : " أن رسول الله (ﷺ) كان يقرئهم العشر فلا يجاوزنها الى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل ، فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً " ^(٥) . فأمر الله سبحانه رسوله الكريم (عليه الصلاة والسلام) أن يرتل القرآن متأنياً في تلاوته مبيناً لحروفه ، يقرؤه على الناس على تمهل حتى يسهل فهمه وحفظه وإتقان تجويده^(٦) .

^(٣) عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، (بيروت، دار احياء التراث العربي) : ٤٠/١ - ٤١ .

^(٤) جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، (ط٤ ، مصر ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٤) : ٣/٢ .

^(٥) عبد الهادي الفضلي ، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ، (ط٢ ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨٠م) : ١٥ .

^(٦) انس كرزون ، صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به ، (ط١ ، بيروت : دار ابن حزم ، ٢٠٠٣م) : ٩٤ .

«فإذا اختلفتم فيه فقوموا»^(١) ، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : سمعت هشام بن الحكم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ﷺ) ، فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله (ﷺ) فكذت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلمت ، فلبيته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : قرأنيها رسول الله (ﷺ) ، فقلت : كذبت ، فان رسول الله (ﷺ) قد قرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده الى رسول الله (ﷺ) فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها . فقال رسول الله (ﷺ) : " أرسله اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعت يقرأ فقال رسول (ﷺ) : كذلك أنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقراني . فقال رسول الله (ﷺ) : كذلك أنزلت ، ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فقرأوا ما تيسر منه " ^(٢) .

وروى ثعلبه قال : لقيت رسول الله (ﷺ) فقلت : يا رسول الله ادفعني الى رجل حسن التعليم فدفعني الى أبي عبيدة بن الجراح ثم قال دفعك الى

^(١) صحيح مسلم : ٢٠٥٣/٤ .

^(٢) صحيح البخاري : ١١٥٨ - ١١٥٩ .

عبد الله بن عباس بترجمان القرآن^(٥). وكان القراء يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحطبون فيبعون ويشترتون به الطعام لأهل الصفة^(*) والفقراء^(٦).

وقد أكد الإسلام على أهمية القراءة والكتابة لكونه وسيلة من وسائل العلوم الإنسانية، والآيات القرآنية التي نزلت في الفترة المدنية، وقد حثت على التعليم والكتابة بالقلم^(٧)، وكتابة الوثائق والعقود كالديون والشهادة^(٨)، والزواج^(٩)، وتحرير الرقيق^(١٠)، والوصية^(١١).

ومن شدة اهتمام الرسول (ﷺ) بالقراءة والكتابة جعل فداء بعض أسرى بدر من المشركين

واشتهر من بين النساء من كن يقرآن القرآن كأمر ورقة الانصارية والتي كانت تؤم المؤمنات المهاجرات^(١). وكان سعيد بن المسيب يستفتح القراءة بـ "بسم الله الرحمن الرحيم! ويقول إنها أول شيء كتب في المصحف، وأول الكتب، وأول ما كتب به سليمان بن داود الى المرأة^(٢). حيث كان الكثير من الصحابة يقرءون في المصحف ويستحبون الا يخرج منهم من داره الا وقد نظر فيه^(٣).

وكان ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) من اعلم الصحابة، وقد قدمه رسول الله (ﷺ) للصلاة بالناس في حياته، وقال (عليه الصلاة والسلام): ﴿ليؤمكم اقرأكم لكتاب الله عز وجل، فان كنتم في القراءة سواء فليؤمكم أعلمكم بالسنة﴾^(٤)، كذلك لقب

(٥) الشافعي، طبقات الفقهاء: ٤٩.

(*) أهل الصفة: هم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوم فقراء لا منازل لهم. وكانوا في صفة، يأوون اليها في المسجد. احمد بن يحيى البلاذري، أنساب الإشراف، تح: محمد حميد الله، (مصر، دار المعارف، ١٩٥٩): ٢٧٢/١.

(٦) الكثاني، التراتيب الادارية: ٤٧٦/٢.

(٧) ال عمران: ٤٤.

(٨) البقرة: ٢٨٢.

(٩) البقرة: ٢٣٥.

(١٠) النور: ٣٣.

(١١) النساء: ١٢.

(١) أبو نعيم احمد بن عبد الله بن الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الإصفياء، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م): ٦٣/٢.

(٢) ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، عيون الأخبار، تح: يوسف الطويل، (بيروت، دار الكتب العلمية): ١٣١/٢.

(٣) الكثاني، التراتيب الادارية: ٢٩٠/٢.

(٤) أبو اسحاق الشيرازي الشافعي، طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس، (ط٢، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١م): ٣٦.

فيه ، فقال : ﴿ اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق ﴾^(٣) .

وقد قدر عدد كتاب الوحي لرسول الله (ﷺ) ما يقرب نيف وأربعين كتاباً^(٤) . منهم " ابو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب . . وغيرهم "^(٥) .

وأوصى الرسول (ﷺ) المسلمين بترتيب الكتب ، فعن جابر ان رسول الله (ﷺ) : ﴿ إذا كتب أحدكم كتاباً فليرتبه فانه أنجح للحاجة ﴾^(٦) .

ولقد تعددت الآراء والروايات بخصوص الرسول (ﷺ) وهل تعلم القراءة والكتابة قبل الإسلام

تعليم عشرة غلمان من غلمان المدينة ، ممن لا يملكون الأموال لفداء أنفسهم^(١) . وكذلك أمر زيد بن ثابت^(*) بالتعليم كتاب اليهود ، فقال له الرسول (ﷺ) : ﴿ يا زيد تعلم لي كتاب اليهود فإني والله ما أمن اليهود على كتابي ، قال زيد فتعلمت لهم كتابهم ما مرت خمس عشر ليلة حتى حذقته ، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، واجيب عنه إذا كتب ﴾^(٢) . وعن عبدالله بن عمرو ، قال : " كنت أكتب كل شيء اسمعه من رسول الله (ﷺ) اريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله (ﷺ) بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) ، فأوماً بإصبعه الى

^(٣) سنن ابي داود : ٣١٧/٣ .

^(٤) الديار البكري ، تاريخ الخميس : ١٨٢/٢ .

^(٥) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، التنبيه والأشرف ، تح : عبدالله إسماعيل الصادق ، (١٩٣٨م) : ٢٤٥ - ٢٤٦ ؛ ينظر : أبو عبدالله محمد بن علي بن احمد بن ابي حديدة الانصاري ، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله الى ملوك الأرض من عربي وعجمي ، تح : شرف الدين احمد ، (ط١ ، الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدرآباد ، ١٩٧٦م) : ٢٩/١ ؛ ينظر : جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم ، محمد علي البجادي ، (صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٨٧م) ٣٥١/٢ .

^(٦) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٦٣/٥ .

^(١) ابو عبد الله بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى ، (بيروت دار صادر ، دار بيروت، ١٩٦٠) : ٢٢/٢ .

^(*) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن ملك بن النجار الانصاري الخزرجي . وهو من علماء الصحابة . شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، (ط١ ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩١٠م) : ٥٦١/١ .

^(٢) عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية (ط٢ ، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧) : ٣٤٦/٥ .

بين يدي رسول الله (ﷺ) فقال : يا معاوية ألف الدواة وحرف القلم وأنصب الباء وفرق السين ولا تقور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم" (٥) وهذا يدل على ان الرسول (ﷺ) كان يحسن القراءة والكتابة ، وربما تم ذلك في الإسلام .

ثالثاً: أهمية دور القراء في التربية والتعليم

ومن الأماكن التي خصصت لتعليم القرآن والمبادئ الإسلامية ، دور القراء ، والتي نشأت في المدينة المنورة ، فقد ذكر ابن سعد ، أن مصعب بن عمير حين قدم المدينة نزل على اسعد بن زرارة ، وكان يقرئهم القرآن (٦) . وكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم فيدعوهم الى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن فيسلم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام وفشا في دور الأنصار كلها ... (٧) وكان مصعب يؤم المسلمين من أهل المدينة فجمع بهم أول جمعة جمعت في الإسلام

أم عصر الرسالة . وقد أجمعت معظم المصادر على أن الرسول (ﷺ) لم يكن كاتباً أو قارئاً قبيل الإسلام (١) . بدليل ما أورده القرآن الكريم : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢) ، فلو كان الرسول (ﷺ) ممن يقرأ كتاباً ويخط حرفاً " لأرتاب المبتلون " ، أي أهل الكتاب وكان في ارتيابهم متعلق ، وقالوا الذي نجده في كتابنا انه أمي لا يكتب ولا يقرأ (٣) .

وذكر أعتبي أن : " الأمية في رسول الله (ﷺ) فضيلة وفي غيره نقیصة لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الإنسان بها من الحيلة في تأليف الكلام ، واستنباط المعاني ، فيتوسل الكفار الى ان يقولوا أقدر بها على ما جاء به " (٤) . وروى معاوية قال : " كنت أكتب

(١) هاشم يونس عبد الرحمن ، الحياة الفكرية في الجزيرة العربية

قبل الاسلام وعصر الرسالة ، اطروحة دكتوراة غير منشورة

(جامعة الموصل، كلية الاداب، ١٩٩٢ : ١٣٧)

(٢) العنكبوت : ٤٨ .

(٣) ابو عمر يوسف عبد الله بن احمد بن عبد البر النمري

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: سالم مصطفى

البدری، (ط١، بیروت، دار الکتب العلمیة، ٢٠٠٠) ، مج ٧

: ٢٣٣ / ١٣ .

(٤) ابو العباس احمد بن علي بن عبد الله القلقشندي ، صبح

الاعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس

الدين، (ط١، بيروت، دار الکتب العلمیة، ١٩٨٧) :

٧١ / ١ - ٧٢ .

(٥) ابو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ادب

الاملاء والاستملاء، (ط١، بيروت، دار الکتب العلمیة،

(١٩٨١) : ١٧٠ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢٢٠ / ١ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ١١٨ / ٣ ؛ ينظر : الاصفهاني

، حلية الأولياء : ١٠٧ / ١ .

في هزم حرة بني بياضة في بقيع يقال بقيع الخضات وهم أربعون رجلاً^(١).

وكان ابن أم مكتوم الذي قدم المدينة بعد بدر يسيّر ونزل دار مخزّمة بن نوفل ، يقوم بتعليم الناس القرآن الكريم^(٢). ويذكر أن دار عبدالله بن مسعود التي كان الرسول (ﷺ) قد اختطها بعد الهجرة الى المدينة كانت هي الأخرى دار للقراء^(٣). وكان قتادة بن النعمان بن زيد عامر الأوسي أول من دخل المدينة بسورة من القرآن هي سورة مريم . . . ورافع بن مالك الزرقبي الذي لقي الرسول (ﷺ) بالعقبة فأعطاه الرسول (ﷺ)، ما نزل عليه في العشر سنين التي خلت فقدم بها رافع المدينة ، ثم جمع قومه فقرأ عليهم^(٤).

وقد ذهب محمد أسعد طلس الى ان هذه الدار التي اسمها " دار القرآن " كان يسكنها بعض القراء ليحفظوا آي كتاب الله ويحودوا قراءته ويقصدهم الناس إليها فيفيدون مما عندهم من علم كتاب الله ، وما حفظوا من حروفه^(٥) وكان الرسول (ﷺ) يجلس في منزله ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويزكيهم^(٦). وكانت مجالسه (ﷺ) مع أصحابه مجالس تذكير بالله ، وترغيب وترهيب أما بتلاوة القرآن الكريم ، أو بما أتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين^(٧). وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : " كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله (ﷺ) فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزجرها ، قبل ان نحفظها " ^(٨).

وكان الرسول (ﷺ) يرفق بالمسلمين ويسهل أمورهم ، وهو ما أوصى به رسله ، ومبعوثيه ، فقد روى أبو موسى قال : " بعثني النبي (ﷺ) ومعاذًا الى

^(١) ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تخ: علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣) : ٧٢ - ٧٣ .

^(٢) الكثاني ، التراتيب الادارية: ٥٦/١ .

^(٣) عبد الرحمن ، الحياة الفكرية في الجزيرة العربية قبل الإسلام وعصر الرسالة : ١٣٦ .

^(٤) هادي حسين حمود ، القراء ودورهم في الحياة العامة في صدر الإسلام والخلافة الأموية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٤م) : ٣٤ .

^(٥) محمد أسعد طلس ، التربية والتعليم في الإسلام ، (ط٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٧م) : ٦٧ .

^(٦) احمد شلي ، التربية الإسلامية نظمها . فلسفتها . تاريخها ، (ط٧ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢م) : ١٨ .

^(٧) كرزون ، صحابة رسول الله (ص) : ٨٠ .

^(٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد : ٣٩/٢ .

يحسن الى الفقراء والمساكين فيه أكثر مما كان يحسن
غيره من الشهور^(٣)

اليمن فقال : ادعوا الناس وبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا
تعسرا ، وتطاولوا ولا تختلفا " ^(١) .

وفرض الصيام على المسلمين في السنة الثانية
من الهجرة المباركة^(٤) . لقوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٥) .

ويمكن أن نلاحظ مدى اهتمام المسلمين بالعلم والتعليم
من خلال الأسئلة التي كانوا يطرحونها على الرسول
(ﷺ) ، والتي بينها القرآن الكريم في آيات عدة ، كقوله
تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنتَقِمُ مِنْ
خَيْرِ فَلِلَّذِينَ وَالْقَرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾^(٦)

رابعا : الصيام

وكان المسلمون يعلمون ويدربون صغارهم
على الصيام ، فعن الربيع بنت المعوذ قالت : " أرسل
النبي (ﷺ) غداة عاشوراء الى قرى الأنصاري من
أصبح منطرا فليتم بقية يومه ، ومن أصبح صائما
فليصم . قالت فكنا نصومه صبيانا ونجعل لهم اللعبة
من العهن^(*) ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها
ذلك حتى يكون عند الإفطار " ^(٦) .

ومما له صلة وثيقة بتربية المسلمين وتعليمهم
على المستوى الديني بعد أداء الصلاة ، وتقربهم الى الله
سبحانه وتعالى وطاعته هو أداء فريضة الصيام ، وقد
كان لشهور رمضان مكانة خاصة عند رسول الله
(ﷺ) قبل نزول الوحي ، إذ ثبت انه كان يخص هذا
الشهر بالعبادة والانتقطاع عن الناس قبل نبوته ، وكان

ومن شروط الصيام النية الخالصة لله تعالى
فلا يسيء ولا يظلم أحد ، ولا يمارس غدرا وعدوانا

^(٣) نظام الدين عبد الحميد، العبادة واثارها النفسية
والاجتماعية، (بغداد، مكتبة القدس، ١٩٨٥) : ٨٧ .
^(٤) ابو بكر الجزائري ، منهاج المسلم، (ط٨، القاهرة، دار الكتب
السلفية، ١٩٨٥) : ٢٨٣ .

^(٥) البقرة : ١٨٣ .

^(٦) العهن : الصوف الملون ، ابو السعادات المبارك بن محمد بن
محمد بن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ،
تح : طاهر احمد الزاوي ، محمود الطناجي ، (بيروت ،
المكتبة العصرية) : ٣/٣٢٦ .

^(٦) صحيح البخاري : ٤٣/١ .

^(١) ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد ابن علي
ابن الجوزي ، الزهديات في علم الحديث ، تح: مصطفى
السبكي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢) :
٥٢٩/١ .

^(٢) البقرة : ٢١٥ .

والمساواة ، ويكون في المؤمنين عاطفة الرحمة وخلق الإحسان^(٥) .

خامسا : الزكاة والحج

وقد تكامل فرض الزكاة على المسلمين مع فريضة الصلاة والصيام في تربية المسلم وتهذيب طباعه كي تتطهر وتنزكي عن نوازغ الأثانية فيه والتعلق المفرط بالمال فيسعى لمساعدة إخوانه المحتاجين مما أنعم الله عليه من مال وثروة .

وقد عرف علماء اللغة الزكاة بأنها تعني الطهارة والنماء والبركة والمدح^(٦) . واصطلاحا اسم لما يخرج به الإنسان من حق الله تعالى الى الفقراء ، وسميت زكاة لما يكون من رجاء البركة ، وتزكية النفس وتميئتها بالخيرات^(٧) .

وقد فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة بعد فرض زكاة الفطر^(٨) . فزكاة الأنصبة فرضت ضمن ضوابط وشروط مخصوصة منها بلوغ

على الناس ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ان رسول الله (ﷺ) قال : " الصيام جنة ، فإذا صام أحدكم فلا يرفث ، ولا يجهل ، وأن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل : إني صائم ، إني صائم ، مرتين " ^(٩) .

فالصوم له تأثير فعال على طبع الإنسان وسلوكه إذ هو وسيلة قوية لترويض الإرادة على الصمود أمام نوازغ الشهوات ودوافع الهوى ، ومغريات الحياة ، أنه أداة تعود الإنسان على الصبر وتحمل المشاق واستسهل الصعوبات^(١٠) . ذلك لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان ولهذا أوصى الرسول (ﷺ) به للشباب فقال : ﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ﴾ ^(١١) .

كذلك يبعد الإنسان عن الكذب والغش وقول الزور ، وروى ابو هريرة (رضي الله عنه) قال : قال الرسول (ﷺ) : ﴿ من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه ﴾ ^(١٢) . ومن فوائد الصوم انه يعود الأمة النظام والاتحاد ، والعدل

^(٥) الجزائري ، منهاج المسلم : ٣٥٨/١٤ .

^(٦) ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (ط٣، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤) : ٣٥٨/١٤ .

^(٧) سيد سابق ، فقه السنة ، (ط٤ بيروت ، دارالفكر، ١٩٨٣ : ٢٧٦/١)

^(٨) عبد الحميد ، العبادة واثارها النفسية والاجتماعية : ٧٠ .

^(٩) النووي ، الأذكار : ٢١٩ .

^(١٠) عبد الحميد ، العبادة واثارها النفسية والاجتماعية : ٨٨ .

^(١١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢١٣/١ .

^(١٢) صحيح البخاري : ٤٢٥/١ .

٤. التحديد من تضخيم الأموال عند الأغنياء ،
وبأيدي التجار والمحترفين ، كيلا تنحصر الأموال في
طبقة محدودة^(٥) . قال تعالى : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ
دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾^(٦) .

على الرغم من إباحة الإسلام للملكية
بالوسائل التي بينها الإسلام ، فقد فرض الزكاة ، لكي
تتربى النفس الإنسانية على الإيثار وحب الخير للناس
لان الله تعالى جعل الزكاة المالية حقا للفقير له ان
يطالب الغني به^(٧) .

أما الحج فهو قصد التوجه إلى البيت
بالأعمال المشروعة فرضاً لسنة^(٨) ، وفرض في السنة
السادسة من الهجرة ، وفي السنة العاشرة حج الرسول
ﷺ بنفسه بالمسلمين حجة الوداع ، وبين للناس
عملياً كيفية الحج^(٩) . فقال :
﴿ خذوا عني مناسككم ﴾^(١٠) .

^(٥) الجزائري ، منهاج المسلم : ٢٧١ .

^(٦) الحشر : ٧

^(٧) عبد المجيد طعمة حلي ، التربية الإسلامية للأولاد ، (ط١) ،
بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠١ : ١٦١ .

^(٨) ابن منظور ، لسان العرب : ٢/٢٢٦ .

^(٩) عبد الحميد ، العبادة وأثارها النفسية والاجتماعية : ٩٥ -
٩٦ .

^(١٠) ابن عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، جامع بيان
العلم وفعله تح : عبد الرحمن محمد عثمان ، (ط٢) ،

النصاب ، وحولان الحول^(١) . قال تعالى : ﴿ خُذْ
مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(٢) وقد
حذر الله سبحانه ما نعي الزكاة والذين يخلون
بأموالهم على الفقراء ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْمُنُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَعَتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾^(٣) ، أي لا يحسب
البخيل ان جمعه المال ينفعه ، بل هو مضرة عليه في
دينه ، وربما كان في دنياه ، وعن ابي هريرة قال : قال
رسول الله ﷺ : ﴿ من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل
له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ
بلهزميته يعني بشدقيه يقول : أنا مالك أنا كركك ﴾^(٤) .

ومن الأهداف التربوية التي يجنبها الفرد من

الزكاة :

١. تطهير النفس البشرية من رذيلة البخل والشح .
والشره والطمع .

٢. مواساة الفقراء . وسد حاجة المعوزين
والبائسين والمحرومين .

٣. إقامة المصالح العامة ، التي تتوقف عليها حياة
الأمة وسعادتها .

^(١) الحلياني ، المنحى التعبدية : ١٣٨ .

^(٢) التوبة : ١٠٣ .

^(٣) النساء : ٣٧ .

^(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤٣٢/١ .

يضره ورسول الله (ﷺ) يتسم ، ويقول : " انظروا الى هذا الحرم ما يصنع" ^(٤).

وعن ابن عمر قال : " جاء غلام الى النبي (ﷺ) ، فقال : إني اريد هذا الحج ، فقال : يا غلام زدك الله التقوى ، ووجهك في الخير ، وكفاك الهم ، فلما رجع الغلام سلم على النبي (ﷺ) ، فرفع رأسه إليه فقال : يا غلام قبل الله حجك ، وغفر ذنبك ، واخلف نفقتك" ^(٥).

هذا كله الى جانب ما قد يمارسه المؤمن من تجارة نافعة في المواسم أباحها الله له ، ^(٦) قال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ^(٧) ، فعن ابي امامة التميمي قال : " قلت لأبن عمر : أنا قوم نكري فهل لنا حج ؟ قال : اليس تطوفون بالبيت وتأتون المعروف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم ؟ فقلنا : بلى . قال جاء رجل الى النبي (ﷺ) فسأله عن الذي سألتني عنه ، فلم يدر ما يقول حتى نزل

وجاءت الآيات الكريمة تحت المسلمين على تادية هذه الفريضة ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ^(٨) ، والحج يعود الفرد على تربية لا يتعرض لمثلها مدة حياته أبدا ^(٩) ، قال تعالى : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ ^(١٠) ، وعن أسماء بنت ابي بكر قالت : " خرجنا مع رسول الله (ﷺ) حجاجاً حتى إذا كنا بالعرج ^(*) ، نزل رسول الله (ﷺ) ونزلنا ، فجلست عائشة الى جنب رسول الله (ﷺ) وجلست الى جنب أبي ، وكانت زمالة ابي بكر وزمالة رسول الله (ﷺ) واحدة مع غلام لأبي بكر فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه ، فطلع وليس معه بغيره قال : ابن بعيرك ؟ قال : اضلته البارحة ، قال : فقال ابو بكر بعير واحد تضله ؟ قال : فطفق

القاهرة ، مطبعة العاصمة ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، ١٩٦٨م) : ٢/٢٣٣ .

^(١) ال عمران : ١٩٧ .

^(٢) شعبان محمد اسماعيل ، الثقافة الاسلامية في ضوء القرآن والسنة ، (الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٠) : ٩٤ .
^(٣) البقرة : ١٩٧ .

^(*) العرج : عقبة بين مكة والمدينة . شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٥٧م) : ٩٩/٤ .

^(٤) سنن أبي داود : ١٦٩/٢ .

^(٥) أبو بكر احمد بن محمد الدينوري المعروف بأبن السني ، عمل اليوم والليلة ، تح : بشير محمد عيون ، (ط٣ ، سوريا ، دار

البيان ، الرياض ، مكتبة المؤيد ، ١٩٩٤م) : ٢٣٩ .

^(٦) إسماعيل ، الثقافة في ضوء القرآن والسنة : ٩٥ .

^(٧) البقرة : ١٩٨ .

جبريل (عليه السلام) بهذه الآية فقال النبي (ﷺ) انتم حجاج^(١).

والنواهي الإلهية وتطبيقها قولاً وفعلاً في العبادات والمعاملات .

فالحج يدعو المسلمين إلى الألفة والتحابب وانجذاب القلوب بعضها إلى بعض ويشعر المسلم بلزوم التكاتف مع أخيه المسلم^(٢). يبدو مما سبق أن البعد الديني والثقافي شكلاً حافظاً لدى المسلمين لتأدية أركان الإسلام الخمسة والمداومة عليها ، إضافة إلى تعلم القرآن الكريم والأحاديث النبوية ونشرها وتبليغها إلى الناس .

الخاتمة

خرج البحث بجملة استنتاجات كان منها :

١. اكتمال التعاليم الدينية والمبادئ التربوية التي جاء بها الإسلام في الفترة المدنية حيث ساعدت هذه التعاليم في توجيه المسلمين نحو الالتزام بالأوامر

٢. لم يكن المسجد فقط مكاناً لأداء فروض العبادة والصلاة بقدر ما كان مكاناً لالتقاء المسلمين مع معلمهم (صلى الله عليه وسلم) ومع بعضهم البعض لغرض تعلم أمورهم الدينية والدينية والفقهية ، فضلاً عن توجيهات الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين في كيفية التصرف داخل المسجد من أدب وحسن احترام وخشوع وانتظام .

٣. لم يقتصر التعليم على الرجال دون النساء فالتعاليم الإسلامية شملت الإنسان بغض النظر عن جنس الإنسان ذكراً كان أم أنثى ، لذا فقد خصص الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوماً لتعليم النساء وشجعهم على التعليم والقراءة والكتابة .

٤. كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) دور كبير في توجيه وتعليم المسلمين دينياً ، وثقافياً واجتماعياً ، واقتصادياً عن طريق الخطبة ، والثقافة المسلمين حوله أو من خلال الكلام والموعظة والنصح والوصية لهم، كما بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين بأن طلب العلم والحكمة فريضة على كل مسلم وعليه أن يسعى في طلبهما أينما وجد ، حتى عند الأقوام التي لا تدين بالإسلام ، وبذلك غدت دور ومنازل بعض

^(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع تأويل البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري ، تح: محمود شاكر ، (ط١ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ٢٠٠١) : ٣٤١/٢ .

^(٢) عبد الحميد ، العبادة واثارها النفسية والاجتماعية : ١٠٢ .

الصحابة مراكز للتعليم والتدارس، فأصبحت النواة الأولى لإنشاء المدارس في العصور اللاحقة .

٥ . كان للصيام ، والزكاة ، والحج أهمية في تربية المسلمين كبارا وصغارا ، وتهذيب نفوسهم وتطهيرها عن النوازع الأنانية ، وتحقيق المساواة ، والمساعدة ، والألفة ، مع بعضهم البعض .

الاراضي الزراعية في بلاد الشام في العصر الاموي

م.م. فيان فارس ناصر

ملخص البحث

تناول البحث دراسة الاراضي الزراعية في بلاد الشام في العصر الاموي، اذ شهد العالم الاسلامي حركة فتوحات واسعة منذ عصر الخلافة الراشدة واستمرت عمليات الفتح الاسلامي خلال العصر الاموي ادى ذلك الى اتساع رقعة العالم الاسلامي وكثرة الاراضي الزراعية واصبحت بحاجة الى دراسة، خصوصاً ان بلاد الشام بمدنها الساحلية من ناحية وسهولها الداخلية من ناحية اخرى اسهمت بنصيب وافر في زيادة ثروة العالم الاسلامي، وتبين من خلال الدراسة ان الاراضي في بلاد الشام غالبيتها اراضي خراجية لان معظم مناطق بلاد الشام فتحت صلحاً ووضع عليها الخراج وقسمت الى اربع اصناف وهي الاراضي الخراجية، والعشرية، والصوافي والموات. ومن خلال استقراء النصوص التاريخية لدراسة ملكية الاراضي ظهرت في تلك الفترة طبقة من الملاكين العرب في بلاد الشام نتيجة اقطاع الاراضي من قبل الخلفاء كذلك التعامل ببيع وشراء الاراضي ويتضح ان غالبية مالكي الارض هم من الخلفاء الامويين والامراء واشراف القبائل.

Agricultural Land in Syria in Umayyad Reign

Assistant Lecture: Vian Faris Nasir

Mosul University/College of Basic education/ History Dept

Abstract

This research studies the agricultural Land in Syria during Umayyad Reign. Islamic world witnessed wide conquering movement since Rashid era a movement that continued during Umayyad Reign which lead to increase the lands classified as Islamic world as well as agricultural Lands that needed a study not to forget to mention that the diversity of Syrian region from coast and plateaus from the other hand resulted in a great abundance of Islamic worlds wealth. This study shows that most lands in Syria follow taxes system because most Syrian lands were conquered by signing a treaty and then underwent taxes. The lands then were divided into four types: taxed, 10% taxes, wools, and grazed lands. Historical texts for owning lands, that period witnessed the dawn of Arab land owners in Syria due to the gifts of caliphs. As well as the deals in buying and selling. Most land owners were Umayyad caliphs, princes and tribe Shikhs.

المقدمة

لقد اسهم المسلمون عبر تاريخهم بالعديد من وجوه الابداع في الكثير من المجالات لكن من يتصفح كتب التاريخ العربي الاسلامي يلاحظ ان الصفة الغالبة على موادها هي النواحي السياسية او الحربية، وقلمنا اعتنى العرب بكتابة النواحي الاقتصادية وانطلاقاً من ذلك نرى ان الابحاث الحديثة متأثرة بهذه النظرة اذ يغلب عليها الاهتمام بالنواحي الاقتصادية، وتبرز أهمية دراسة الاراضي الزراعية في بلاد الشام لما تتميز به من موقع جغرافي فضلاً عن خصوبة تربتها وطيب مناخها ووفرة محاصيلها. تنتشر الزراعة في الشام في الجهات التي تستقبل كميات من المطر تساعد على انجاح الزراعة او في المناطق التي يمكن ان يستفاد فيها من مياه الري ويمكن تقسيم بلاد الشام الى ثلاثة مناطق زراعية وهي السهول الساحلية، والسهول الداخلية والواحات، والهضاب والسهول الجبلية. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي القائم على البحث واستقراء النصوص التاريخية والاستنتاج منها وربط الاحداث بعضها ببعض. اشتملت الدراسة على مقدمة وتصنيف للأراضي الزراعية في بلاد الشام الى اراضي خراجية، وعشرية، وصوافي، وموات واعطاء تعريف شامل لكل صنف كما تناولت الدراسة ملكية الاراضي واساليب تملك الاراضي في العصر الاموي.

كما تضمن البحث خاتمة لاهم الاستنتاجات. وقد اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر التي اغنت البحث كثيراً ومن اهمها كتاب الخراج لابن يوسف (١٨٢هـ-٧٩٨م)، وكتاب الاموال لابن سلام (٢٢٤هـ-٨٣٨م)، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري (٢٧٩هـ-٨٩٢م)، وكتاب تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧١هـ-١١٧٦م)، واخيراً كان لكتب لبلدان دور مهم في اغناء البحث واهمها كتاب معجم البلدان ليقوت الحموي (٦٢٦هـ-١٢٢٥م).

أولاً: اصناف الاراضي الزراعية في بلاد الشام في

العصر الاموي

١- الاراضي الخراجية: تعددت الآراء حول اصول كلمة خراج واستعمالاتها، وقد وردت كلمة الخراج في القرآن الكريم في موضعين الاول في قوله تعالى: "أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين" (٥٥٧) والثاني في قوله تعالى: "فهل نجعل لك خرجاً على ان تجعل بيننا وبينهم سداً" (٥٥٨). ويرى بعض المفسرين ان الخراج يعني الاجر أو الرزق

(١) سورة المؤمنون/ اية: ٧٢

(٥٥٨) سورة الكهف/ اية: ٩٤

المفتوحة فمنهم من اراد قسمتها بين الفاتحين واعتبروها من حقهم، وكان بلال بن رباح من المطالبين بتقسيم الارض.^(٥٦٤) لكن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يقسم الارض وانما جعلها في ايدي اصحابها يزرعونها على ان يؤدوا عنها ضريبة الخراج^(٥٦٥)، ومن اسلم منهم يعفى من اداء الخراج^(٥٦٦).

وتعددت دوافع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من وراء اتخاذ هذا القرار فمنها ما يتعلق بمصلحة الامة، ومنها ما يخص الظرف العسكري الذي كان يمر به العرب وحركة الفتوحات الاسلامية فان امتلاك العقار الثابت وانشغالهم بالزراعة يؤدي الى انصرافهم عن الجهاد وقور الروح العسكرية^(٥٦٧).

ويرى فلها وزن^(٥٦٨) ان فكرة تقسيم الارض لا يمكن تنفيذها على الاراضي المفتوحة لان العرب لم يكن بإمكانهم ان يقتسموا فيما بينهم نصف العالم. وقد نهى الفقهاء عن بيع اراضي الخراج

فقد اوضح القرطبي^(٥٥٩) في تفسيره كلمة الخراج بمعنى الاجر، وقد عرف الامام الحافظ^(٥٦٠) الخراج بقوله انه المال الذي يؤخذ في اوقات محددة.

كما عرف ابو يوسف^(٥٦١) الخراج بأنه الاراضي التي فتحت عنوة من سواد العراق وبلاد الشام.

وتعتبر الاراضي الخراجية من ابرز اراضي بلاد الشام في العصر الاموي اذ ان الامر الذي لم يكن فيه خلاف ان غالبية اراضي بلاد الشام اعتبرت فيئاً^(٥٦٢) ووضع عليها الخراج^(٥٦٣) وكان لها دور مهم في تمويل بيت المال.

وقد اختلف الصحابة في مصير الارض

(٥٥٩) ابو عبد الله محمد بن احمد، الجامع لاحكام القرآن،

تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم

الكب، (الرياض: ٢٠٠٣)، ١٢/١٤١.

(٥٦٠) ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد، الاستخراج لاحكام

الخراج ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٥)، ص ٩.

(٥٦١) يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد، الخراج، تحقيق:

طه عبد العوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الازهرية

للتراث، (القاهرة: د: ت)، ص ٥٩.

(٥٦٢) ابن سلام، ابو عبيد القاسم، الاموال، تحقيق: خليل

محمد فراس، دار الفكر، (بيروت: د: ت)، ص ٦٦، المقدسي،

ابو محمد موفق الدين عبد الله، المغنى، مكتبة

القاهرة، (القاهرة: ١٩٦٨)، ٢/٧١٧.

(٥٦٣) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان دار

ومكتبة الهلال، (بيروت: ١٩٨٨)، ص ١٢٦.

(٥٦٤) ابو يوسف، الخراج، ص ٢٣.

(٥٦٥) ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله، تاريخ

دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العدوي، دار الفكر،

(د. م: ١٩٩٥)، ١٠/١٨٦.

(٥٦٦) ابو يوسف، الخراج، ص ١٤٠.

(٥٦٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٨٦.

(٥٦٨) يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد

عبد الهادي، (القاهرة: ٢٠٠٧)، ص ٢٨.

باد اهلها ولم يتركوا عقبا فاقطعهم منها ورفع ما كان عليها من خراجها عن اهل الخراج)) ويبدو من هذا النص وكأنه قطع ارض خراجية الا انها في الحقيقة اصبحت من اراضي الصوافي تعود ملكيتها لبيت المال لأنها اصبحت لا مالك لها .

ويذكر المقدسي^(٥٧٣) الفقيه الشامي الذي يعبر عن الواقع كثير انه اذا كان في البيع مصلحة براي انه جاز البيع على انه يدفع ثمنها الى بيت المال .

ودليل نفي بيع اراضي الخراج كتاب الخليفة

عمر بن عبدالعزيز الذي جاء فيه ((فحل بين اهل الارض وبين بيع ما في ايديهم انما يبيعون فيء المسلمين))^(٥٧٤) في حين انه لم يجعل لقراره اثر رجعي وبدأ بالمنع سنة ١٠٠هـ / ٧١٩ م فمن اشترى شيئاً بعد ذلك فان بيعه مردود^(٥٧٥) .

وقد حاول الخليفة عمر بن عبدالعزيز ايقاف مسألة بيع الاراضي وعمل على ايقاف موجة استملاك الاراضي وتوسع الملكيات الكبيرة للحفاظ على موارد الدولة وضريبة الخراج ، حتى ان منع اهل الذمة من بيع ألاتهم ((يستقيها من اجل خراجها لأنه اذا اباع اداة

لمسلم باعتبارها وقف وخراجها دائم^(٥٦٩) لان بانتقالها من الذمي الى المسلم يسقط عنها الخراج^(٥٧٠)، وتبقى هذه مجرد آراء فقهية اذ تفيد الروايات التاريخية انه جرى التعامل بالأراضي الخراجية بيعاً وشراءً منذ ايام عبدالملك ، فيفصل ابن عساكر^(٥٧١) ذلك وهو يتكلم عن ما حدث في بلاد الشام اي الاقطاع^(٥٧٢) من الاراضي الخراجية فقد طلب اناس من عبدالملك ان يقطعهم اراضي((فنظر عبدالملك الى ارض خراج قد

^(٥٦٩) ابن مالك، انس بن عامر الاصبحي، المدونة، ط١، دار الكتب العلمية، (د.م: ١٩٩٤)، ٢٧١/٤، ينظر: ابن قدامة، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ط١، دار الرشيد للنشر، (بغداد: ١٩٨١)، ص ١٢٢-١٣٤؛ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الاحكام السلطانية، دار الحديث، (القاهرة: د.ت)، ص ١٣٧-١٤٧؛ ابو يعلي ، محمد بن الحسين، الاحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٠)، ص ١٤٨ .
^(٥٧٠) الدوري، عبدالعزيز، العرب والارض في بلاد الشام، وقائع المؤتمر الدولي الاول لتاريخ بلاد الشام، ط١، الدار المتحدة للنشر، (بيروت ١٩٧٤)، ص ٥ .

^(٥٧١) تهذيب تاريخ بن عساكر، مطبعة روضة الشام، (دمشق: د.ت)، ١٨٣/١، تاريخ دمشق، ٥٩٥/١ .
^(٥٧٢) الاقطاع: نظام يقوم على العلاقة بين السادة ونوابهم، يقضي بأن يملك الاولون الآخرين قطائع من الارض على سبيل المنحة لهم ولأولادهم . ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، (القاهرة: د.ت)، ٧٤٥/٢ .

^(٥٧٣) المغني، ٧٢٣/٢، ابن عساكر، تهذيب، ١٨٣٠/١ .

^(٥٧٤) ابن سلام، الاموال، ص ١٣٦ .

^(٥٧٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٨٧/١ .

الزراع لم يستطيع ان يزرع فيبطل خراجهم^(٥٧٦) فهو اذن منع البيع خوفاً من تعطيل الخراج.

وقد تراجع الناس عن شراء الارض الخراجية بعد سنة ٧١٩/٥١٠م بناء على اوامر الخليفة عمر بن عبدالعزيز وقد حاول الخلفاء بعده التأكيد على هذا المنع، وخاصة الخليفة هشام بن عبد الملك الذي عاقب خالد بن عبد الله القسري لما اشترى ارض في الغوطة دون اذنه محافظة منه على اموال المسلمين العامة^(٥٧٧). لكن قرار الخليفة عمر وتأكيد الخليفة هشام له لم يصمد امام التيار اذ لم يدم القرار طويلاً لان العرب كانوا قد اشتروا اراضي كثيرة^(٥٧٨) فالأرض الخراجية بيعت وانتقلت الى ايدي العرب رغم ما يرد احيانا يمنع انتقالها باعتبارها وقفاً^(٥٧٩) على الامة الاسلامية مما ادى الى فرض الخراج على الارض الخراجية ولو ملكها العرب المسلمين^(٥٨٠).

٢- الاراضي العشرية: هي الارض التي اسلم اهلها وهم عليها دون حرب ولم تؤخذ عنوة^(٥٨١) وكذلك يطلق على الارض التي صولح اهلها ثم اسلموا^(٥٨٢) والاراضي المفتوحة عنوة اذا قسمت على المقاتلين تحولت الى ارض عشرية يقع عليها اخراج عشر غلتها زكاة^(٥٨٣) ثم ان الارض التي يقطعها الخليفة لاحد المسلمين وهي ارض بور تكون ارض عشرية^(٥٨٤) كما ان الارض اذا قطعت لمسلم وهي من اراض الخراج باذن الخليفة اصبحت ارض عشرية يسقط عنها الخراج وتدفع العشر^(٥٨٥).

وحدث مثل ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان عندما أقطع ارض كانت خراجية في الاصل توفي اهلها دون وريث فأصبحت ارض عشرية^(٥٨٦) وان ارض الخراج اذا اشتراها شخص عربي مسلم تصبح ارض عشرية^(٥٨٧) وارااضي الجبال التي لا يصل اليها الماء تعتبر

(٥٧٦) ابن سلام، الاموال، ص ١١١.

(٥٧٧) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ط ٣، دار

الشرق (بيروت: ١٩٧٨)، ص ٣٣.

(٥٧٨) بنظر: ابن عساكر، تهذيب، ١/١٨٤؛ تاريخ

دمشق، ١/٥٩٦-٥٩٧.

(٥٧٩) الوقف في اللغة: الحبس، اي تكون هذه الاراضي خالصة

للامة. ينظر: الشرباصي، احمد، المعجم الاقتصادي

الاسلامي، دار الجيل، (د. م. ١٩٨١)، ص ٤٨٣.

(٥٨٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١/٥٨٧-٥٨٨.

(٥٨١) ابو يوسف، الخراج، ص ٥٨.

(٥٨٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢.

(٥٨٣) ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٣٧.

(٥٨٤) بنظر: ابو يوسف، الخراج، ص ٥٨-٦٩.

(٥٨٥) ابو يوسف، الخراج، ص ٦٠.

(٥٨٦) ابن عساكر، تهذيب، ١/١٨٣.

(٥٨٧) الدوري، العرب والارض، ص ٥.

ارض عشرية^(٥٨٨) .

فأقطعت للقبائل^(٥٩٣) .

واخيراً فإن الاراضي العشرية في الشام هي كل ارض جلا عنه اهلها فاقطعها الخليفة للمسلمين فأحيوها، او كانت ارض مواتا لاحق لاحد فيها فأحيها المسلمين باذن الخليفة^(٥٨٩). وذكر ابن قدامة^(٥٩٠) ان الاراضي العشرية ((ما جلى عنه العدو من ارضهم فجعل في يد من قطنه واقام به من المسلمين من الثغور)) .

يتبين من هذا النص ان اراضي الثغور^(٥٩١) تكون عشرية وذلك لأن اصحابها تركوها ووزعت على المقاتلين كما حدث في ارض بالس^(٥٩٢) والقرى التابعة اليها حيث كانت في الاصل ملك للروم فلما فتحها المسلمين تركها اهلها هربا من المسلمين

٣- اراضي الصوافي: وهي الاراضي التي كانت مملوكة للأسرة الحاكمة والنبلاء من الروم البيزنطيين فلما قتلوا او هربوا نتيجة حروب التحرير انتقلت ملكيتها الى الدولة فقامت الدولة باستثمارها^(٥٩٤). ففي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قام الخليفة بضمها الى بيت مال المسلمين اي اصبحت ملكا عام^(٥٩٥) وعن اهلها في الشام ذكر ابن عساكر^(٥٩٦) ((فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة كما كان في ابداها من تلك المزارع فلحقت بارض الروم ومن قتل منها في المعارك فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين)) وذكر ابن آدم^(٥٩٧) ان الدولة الاموية اعتبرت كل ارض ليست ملك لاحد هي اراضي صوافي، وكذلك اراضي الخراج اذا توفي صاحبها دون وريث تعود ملكيتها الى الدولة ويتصرف بها الخليفة

^(٥٨٨) يحيى بن ادم، ابو زكريا بن سليمان القرشي، الخراج،

تحقيق: احمد محمد شاكر، ط٢، المطبعة

السلفية، (د. م. ١٣٨٤هـ)، ص ٢٥.

^(٥٨٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢.

^(٥٩٠) الخراج، وصناعة البلدان، ص ١٣٧.

^(٥٩١) تعرف الثغور على انها كل ارض متاخمة لاراضي العدو او كل موضع قريب من اراضي العدو. ينظر: ياقوت الحموي،

شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، ط٢، دار

صادر، (بيروت: ١٩٩٥)، ٧٩/٢.

^(٥٩٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة. ينظر: ياقوت

الحموي، معجم البلدان، ٣٢٨/١.

^(٥٩٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠-١٥١.

^(٥٩٤) ابن سلام، الاموال، ص ٣٩٩.

^(٥٩٥) ابن سلام، الاموال، ص ٢٨٣؛ الطبري، محمد بن جرير بن

يزيد، تاريخ الرسل والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت

د. ت. ٣١/٤٤).

^(٥٩٦) تهذيب، ١/ص ١٨٢-١٨٣؛ الدوري، النظم

الاسلامية، ط١، مطبعة نجيب، (بغداد: ١٩٥٠)، ص ١٢٠.

^(٥٩٧) الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٣.

شاء انفق عليها من بيت مال المسلمين^(٦٠٤). وقد اتبته معاوية الى الصوافي في وقت مبكر منذ ان كان واليا على الشام في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فقد ارسل معاوية رسالة الى الخليفة يصف فيها المزارع الصافية وطلب منه ان يقطعها اياها وقال له انها ليست من قرى اهل الذمة ولاهي من اراضي الخراج فوفق الخليفة على طلبه^(٦٠٥).

ومن هذا النص يتضح ان اقطاع اراضي الصوافي بدء منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

ولما ارسل معاوية الجند الى الساحل الشامي لحمايته من هجمات الروم اتبع سياسة اقطاع الجند هذه الاراضي في سواحل جبلة وطرطوس وبانياس ومرقية بعد ان تركها اهلها وهربوا^(٦٠٦) وقد قام معاوية بمسح شامل للصوافي في بلاد الشام واعطى منها لأهل بيته حيث انه ((استصفى ما كان للملوك من الضياع وصيرها لنفسه خالصة واقطعها لأهل بيته وخاصة))^(٦٠٧) كما اعطى معاوية قسم اخر من

كالصوافي^(٥٩٨) كما فعل عبد الملك بن مروان حيث اقطع ضيعة زمكا^(٥٩٩) لاحد الاشراف وهي في الاصل ارض خراجية اصبحت لبيت المال بعد وفاة اصحابها من الروم دون وريث^(٦٠٠). اي مازالت في العهد الاموي هذه الاراضي تابعة لبيت المال وللخليفة الحق بالتصرف بها وفق ما يراه مفيدا ومناسبا. وتوجد اراضي الصوافي في بلاد الشام حول جبلة وطرطوس وبانياس لان اهلها تركوها وهربوا^(٦٠١). كما ان المنطقة ما بين انطاكية وطرطوس تعتبر من اراضي الصوافي^(٦٠٢) وذكر ابن عساكر^(٦٠٣) ان الصوافي تكثر حول دمشق وحمص وفي البلقاء.

ويعود امر الصوافي الى الخليفة ان شاء اقام فيها من يعمرها لقاء ان يدفع مبلغ معين الى بيت المال وان

(٥٩٨) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٩٣.

(٥٩٩) زمكا: وهي قريتان احدهما ببلخ والاخرى بدمشق اما اهل الشام فيقولون زمكا بفتح اولها وثانيها هي قرية بغوطة دمشق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٥٠/٣.

(٦٠٠) ابن عساكر، تهذيب، ١٨٣/١، تاريخ دمشق، ٥٩٤/١.

(٦٠١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٣-١٣٧.

(٦٠٢) ابن الاثير، ابو الحسن على بن ابي الكرم، الكامل في

التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٧)، ٤٩٤/٢٠.

(٦٠٣) تهذيب، ١٨٣/١-١٨٥، تاريخ دمشق، ٥٩٧/١.

(٦٠٤) يحيى بن ادم، الخراج، ص ٢٣.

(٦٠٥) ابن عساكر، تهذيب، ١٨٣/١، تاريخ دمشق، ٥٩٥/١.

(٦٠٦) ينظر: البلاذري، فتح البلدان، ص ١٢٧-١٣٣، ابن

الاثير، ٤٣٦-٤٤٣.

(٦٠٧) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار

صادر، (بيروت: ١٩٦٠)، ٢٤/٢٣٤.

الصوافي التي لم يكن قد اقطعه اياه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لأشراف العرب وسار عبد الملك بن مروان على نهج معاوية اذ انه لما استلم الخلافة كان هناك بعض المزارع التي لم يقطعها معاوية لاحد ((فسأله اشراف الناس القطائع منها ففعل وقد مضت تلك المزارع لأهلها فلم يبق منها شي))^(٦٠٨) اما سياسة الخليفة عمر بن عبدالعزيز فكانت هي استغلال الصوافي وزراعتها بصورة مباشرة وعدم اقطاعها اذ كتب لعمالة ((انظروا ما قبلكم من ارض العافية فأعطوها بالمزراعة بالنصف وما لم تزرع فأعطوها بالثلث فان لم تزرع فأعطوها حتى تبلغ العشر فان لم يزرعها احد فامنحها فان لم ترزع فانفق عليها من بيت مال المسلمين ولا تبتزن قبلك ارضا))^(٦٠٩) .

ولربما كانت هذه الاراضي من غير بلاد الشام لان ابن عساكر^(٦١٠) روى انه في عهد عبد الملك وابنيه الوليد وسليمان لم يبق من اراضي الصوافي شاغر في بلاد الشام .

٤- اراضي الموات: وهي الارض الخراب التي ليس لها القابلية على الانتاج والاستثمار الا بعد احياءها

^(٦٠٨) ابن عساكر، تهذيب، ١/١٨٣؛ تاريخ دمشق، ١/٥٩٥ .

^(٦٠٩) يحيى بن ادم، الخراج، ص ٥٩ .

^(٦١٠) تاريخ دمشق، ١/٥٩٥؛ المقدسي، المغني، ٢/٧٧٢ .

وتكون لا مالك لها^(٦١١) .

ويحدد ابو يوسف^(٦١٢) هذه الاراضي كما يلي: اذ لم يكن فيها زرع ولا اثر للبناء ولم تكن قرية لأحد ولا موضع مقبرة ولا مرعى وهي ليست ملك لاحد فهي موات، كما يعتبر جلب الماء الى الارض واستخراج بئر فيها احياء ايضا^(٦١٣) ، كما ان تجفيف المستنقعات يعتبر احياء^(٦١٤) .

لقول الرسول محمد (ﷺ) ((من احيا ارضا مواتا فهي له))^(٦١٥) ، واذا احيا رجل ارض موات ثم هلك فيما بعد حتى عادت موات فأحيها رجل اخر مرة اخرى ملكها الاخير^(٦١٦) .

^(٦١١) المقدسي، المغني، ٥/٥١٣ .

^(٦١٢) الخراج، ص ٦٣؛ البخاري، محمد بن اسماعيل بن

ابراهيم، صحيح البخاري، ط ١، مطبعة البابي

الحلي، (القاهرة: ١٩٥٣)، ٢/٣٢٠؛ ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٢٦ .

^(٦١٣) يحيى بن ادم، الخراج، ص ٥٦؛ ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٢٦ .

^(٦١٤) ابن سلام، الاموال، ص ٤٠١ .

^(٦١٥) البخاري، صحيح بخاري، ٢/٣٢؛ ابو داود، سليمان بن اشعث بن اسحاق، سنن ابي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت: د. ت)، ٣/١٤٣، ابن

قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٥١٣-٥١٤ .

^(٦١٦) ابن عساكر، تهذيب، ١/١٨٥؛ تاريخ دمشق، ١/٥٩٧ .

المقدسي، المغني، ٢/٤٢٧ .

الأرض، بل وترى العمل الزراعي ما يشينها^(٦٢٢). لكن الاهتمام بالأرض وتملكه ظهر لدى كبار رجال قريش واشراف القبائل لانهم كانوا على معرفة تامة بأهمية الأرض واستغلالها.

ومنذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) نلاحظ ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو اول من اقطع ارض في الشام لتميم الداري لما اسلم طلب من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث اقطع له الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قريته في بيت لحم واقراها له عمر بن الخطاب بعد فتح الشام^(٦٢٣).

كما توسع عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في منح الاراضي واقطع كثيراً من اراضي الصوافي لمعاوية بن ابي سفيان واليه على الشام عندما طلب منه ذلك ليستعين بها على تيسير الامور في ولاية الشام^(٦٢٤).

وفي عهد الدولة الاموية توسع معاوية بن ابي سفيان في منح الاراضي حيث اتبعت الدولة سياسة خاصة ترمي الى كسب المؤيدين فكان الخلفاء الامويين يقطعون الضياع الواسعة للزعماء والاشراف. اضافة

ويبدو ان اراضي الموات محدودة في الشام اذ ان الاشارات اليها محدودة كمرج بردي وبعض المناطق حول حمص والرستن على نهر العاصي^(٦٢٧). والسبب في قلة الموات في بلاد الشام هو ان ارض بلاد الشام ارض خصبة حسنة الاستغلال.

اما عن احياء الارض فقد يكون باذن الخليفة او بدون اذنه لكن المرجح ان الاحياء كان في الاصل بدون اذن من الخليفة^(٦٢٨)، لكن الامويين وضعوا قاعدة بمنع احياء الارض الا بموافقة الخليفة^(٦٢٩).

ثانياً: ملكية الاراضي

لم يتجه نظر القبائل العربية اول الامر نحو تملك الارض الزراعية وذلك بسبب خلفيتهم الاجتماعية وتوجههم نحو الجهاد والفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام^(٦٣٠) اضافة الى ان وارداتهم من الغنائم لم تكن قليلة حيث كانت تكفيهم لسد احتياجاتهم^(٦٣١)، وان القبائل البدوية لم تكن تحبذ الزراعة والعمل في

(٦٢٧) ابن عساکر، تهذيب، ١/١٨٥.

(٦٢٨) ابن مالك، المدونة، ٦/١٩٥، الماوردي، الاحكام

السلطانية، ص ١٧٧.

(٦٢٩) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص ٥٦.

(٦٣٠) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص ٥٥.

(٦٣١) فلها وزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٧.

(٦٢٢) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص ٤٠.

(٦٢٣) ابويوسف، الخراج، ص ٢١٦، ابن سعد، محمد بن منيع،

الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت: ١٩٥٨)، ٧/٤٠٨.

(٦٢٤) ابن سلام، الاموال، ص ٤٠٠.

بلاد الشام حيث كانت تمنح بملكية تامة^(٦٣١)، وتكثر الاراضي المقطعة حول دمشق وحمص^(٦٣٢) واراضي الرستن على نهر العاصي^(٦٣٣) ويبدو ان حكم بني امية لم يكد يستقر في بلاد الشام حتى كانت اراضي بلاد الشام موزعة بين القبائل حيث يذكر ابن عساكر^(٦٣٤) اسماء عدد غير قليل من القرى الموزعة في الغوطة وخارجها .

حيث ساهم اقطاع التوطين^(٦٣٥) الذي مارسه الامويين في الساحل الشامي خاصة في خلق ملكيات عربية للأرض ، ويبدو ان هذا النوع من الاقطاع كان سياسة مرسومة حيث امر الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) معاوية وهو واليه على الشام ((ان ينزل العرب بمواضع نائية من المدن او القرى وبإذن لهم في اعتمال

الى حرص الامويين انفسهم على اقتناء الارض مما اضطر الخلفاء ان يقطعوا من اراضي الخراج التي ضمت الى بيت المال بعد وفاة اصحابها دون وريث^(٦٣٥) كما اقطع معاوية الاراضي من الصوافي لأهل بيته ومن هذه الاقطاعات قرية النمرانية^(٦٣٦) بالغوطة اقطعها لنمران بن يزيد المدحجي ، واقطع يزيد بن معاوية سعيد بن مالك بن بجدل الكلبي اقليم بيت الابار^(٦٣٧) .

وكان الاشراف يلحون في طلب الاقطاعات فنذت اراضي الصوافي في فترة خلافة عبد الملك بن مروان^(٦٣٨) ونتيجة لذلك فقد تكونت طبقة ملاكين عربية من الذين اتسعت املاكهم نتيجة اقطاع الخلفاء الاراضي لهم^(٦٣٩) ، وهذا الاقطاع يؤدي الى ملكية تامة للأرض^(٦٣٠) .

فقد كانت اراضي الصوافي مصدراً رئيسياً للإقطاع في

(٦٣١) فلها وزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٦٦ .

(٦٣٢) ابن سلام، الاموال، ص ٤٠٠، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٩٧/١ .

(٦٣٣) المقدسي، المغني، ٧٢٤/٢-٧٢٥ .

(٦٣٤) تهذيب، ١٧٦/٧ .

(٦٣٥) التوطين: اي اتخذه وطناً ، ساعد على اسكان

المهاجرين في المناطق المفتوحة. ينظر: الحميري، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن

عبدالله العمري وآخرون، ط ١، دار

الفكر، (بيروت: ١٩٩٩)، ١١٠/٧٢١٠ .

(٦٣٥) ابن عساكر، تهذيب، ١/ص ١٨٣-١٨٤؛ تاريخ دمشق، ٥٩٤-٥٩٥ .

(٦٣٦) قرية بالغوطة . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٣٠٤ .

(٦٣٧) الدوري، العرب والارض في بلاد الشام، ص ٢٩-٣٠ .

والابار قرية في غوطة دمشق فيها عدة قرى . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٥١٩ .

(٦٣٨) ابن عساكر، تهذيب، ١/١٨٣ .

(٦٣٩) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص ٨٤ .

(٦٤٠) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٩٣-١٩٤ .

الناس سألوا عبد الملك والوليد وسليمان ان ياذنوا لهم في شراء الارض من اهل الذمة فأذنوا لهم على ادخال اثانها في بيت المال)) وهذا مما يدل على ان الناس تعامل بالارض بيعا وشراء الى ان جاء عمر بن عبدالعزيز وحاول ايقاف ذلك للحفاظ على ضريبة الخراج التي تعد من اهم مصادر الدولة المالية.

ومن الاساليب الاخرى لتكوين ملكيات كبيرة في الدولة الاموية اضافة للشراء هو اللجوء^(٦٤٣) ومن امثلة ذلك انتقال بالس وقراها الى ورثة مسلمة بن عبد الملك بعد ان احتسب به اهلها وطلبوا منه حفر قناة من الفرات الى اراضيهم^(٦٤٤). واذا اردنا معرفة الملاكين في بلاد الشام نرى انهم ينقسمون الى :

أ- الخلفاء من بني امية: نذكر منها اقطاعات خاصة للخلفاء الامويين في بلاد الشام فمعاوية بن ابي سفيان كانت له ضيعة بالبلقاء^(٦٤٥) كانت لابيه سفيان بن حرب تدعي تقنس^(٦٤٦) كما كان له ارض في فلسطين

الارضين التي لاحق فيها لاحد^(٦٣٦).

وامره ايضا بتحسين المدن الساحلية في بلاد الشام فاقطع معاوية الاراضي الساحلية للمقاتلين واسكنهم فيها^(٦٣٧) فاقطع لهم الاراضي في انطاكية وكذلك في طرطوس ومرقية وبانياس^(٦٣٨).

استمر الخلفاء من بعده باقطاع المقاتلين حيث اقطع عبد الملك بن مروان للمقاتلين اراضي جديدة في انطاكية، كما اقطع المرابطين بعسقلان واقطع الوليد بن عبد الملك المقاتلة اراضي سلوقية عند الساحل قرب انطاكية^(٦٣٩).

ومن الاساليب الاخرى للملكية هو الشراء حيث كان له دور هام في توسيع الملكية نتيجة اقبال العرب على الارض وخاصة في فترة خلافة عبد الملك بن مروان ومن بعده^(٦٤٠)، حيث سمح لهم الخليفة بشراء الاراضي الخراجية ودفع العشر عنها وقد شمل ذلك الكثير من المناطق^(٦٤١) ويذكر المقدسي^(٦٤٢) ان البيع جائز بقوله ((قال غير واحد من مشايخنا ان

^(٦٤٣) اللجوء: هو التجأ الى فلان اي استند اليه، ينظر: مجمع

اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٢/٨١٥.

٨٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٠١؛ ينظر: ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ١/٣٢٨.

^(٦٤٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٩-١٠؛ ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ٤/٣٠٠.

^(٦٤٦) تقنس: وهي من قرى البلقاء من اراضي الشام. ينظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٣٠٠.

^(٦٣٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٧٨.

^(٦٣٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢/٤٣٦.

^(٦٣٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٣.

^(٦٣٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٧-١٤٨.

^(٦٤٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢/١٣٣.

^(٦٤١) المقدسي، المغني، ٢/٧٧٢.

^(٦٤٢) المغني، ٢/٧٢٣؛ ابن عساكر، تهذيب، ١/١٨٣.

بستان في دمشق خلف مرج عذراء^(٦٥٤) اما الخليفة هشام بن عبد الملك فقد ابداه اهتماما كبيرا بالأراضي فقد قام بأحياء ارض زراعية واسعة في الرصافة وحفر لها نهريْن هما الهني والمري^(٦٥٥) وكانت له ضيعة تسمى الزيتونة^(٦٥٦).

ب- الامراء من بني امية والاشراف:

منح خلفاء الدولة الاموية الاراضي الى الامراء وحاشية الخليفة فاصبح كثير من الامراء والاشراف من العرب قرى وضياع في بلاد الشام نذكر منها قرية تنهج^(٦٥٧) لعباد بن يزيد^(٦٥٨)، كما كان لسعيد بن عمرو بن عثمان قرية الفدين^(٦٥٩). وامتلك عتبة بن خالد بن ابي سفيان قرية السطح^(٦٦٠) قرب دمشق

وكورة عسقلان^(٦٤٧) وكانت له قرية في الغوطة تدعى "سام"^(٦٤٨) واخرى تدعى "طرميس"^(٦٤٩) كما كانت ضيعة بيت سابا ليزيد بن معاوية^(٦٥٠).

كما امتلك ابن معاوية عبدالله بن معاوية المرح^(٦٥١) ومن اصحاب الضياع الواسعة الخليفة عبد الملك بن مروان الذي كان له ضيع في الكثير من المناطق الشامية وتشير المصادر الى انه اشترى اربع ضيع من خالد بن يزيد بن ابي سفيان^(٦٥٢)، مما يدل على ان خالد كان من كبار الملاكين ايضا حيث كان لخالد قرية الصفوانية^(٦٥٣)، ولسليمان بن عبد الملك

^(٦٤٧) الجهشيارى، محمد بن عبد، الوزراء والكتاب، تحقيق:

مصطفى السقا ، ط١، مطبعة البابي

الحلي، (القاهرة: ١٩٣٨)، ص٢٦؛ الرئيس، محمد ضياء الدين،

الخارج والنظم المالية للدولة الاسلامية، ط٣، دار المعارف،

(القاهرة: ١٩٦٩) ص٢٠١.

^(٦٤٨) سام: من قرى دمشق بالغوطة من اقليم خولان. ينظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٧٢/٢.

^(٦٤٩) طرميس: من قرى دمشق. ينظر: ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ٣٢/٤.

^(٦٥٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١١٢/٣.

^(٦٥١) لم يذكر اي مرج الا ان الحموي قد ذكر مرج عذاء من

غوطة دمشق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠٠/٥.

^(٦٥٢) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص٩٦.

^(٦٥٣) الصفوانية: وهي من نواحي دمشق من اقليم خولان.

ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٤/٢.

^(٦٥٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٣/٥.

^(٦٥٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٠، البكري، ١٣٥٦/٤.

^(٦٥٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٥/٧.

المسعودي، ٢١١/٣.

^(٦٥٧) تنهج: قرية من مشارف البلقاء من اراضي دمشق،

ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥١/٢.

^(٦٥٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٣/٢.

^(٦٥٩) الفدين: من اراضي حوران. ينظر: ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ٢٤٠/٤.

^(٦٦٠) السطح: قرية من قرى دمشق كانت لعتبة بن ابي سفيان

. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٢٠/٣.

وجود طبقة كبيرة من الملاك العرب في بلاد الشام
واخيرا هناك اراضي تم امتلاكها من قبل القبائل وهي
من الاراضي الموات التي تم احياءها^(٦٦٩).

الخاتمة

لقد استخلص البحث جملة من النتائج

١- ان غالبية اراضي بلاد الشام خراجية لان معظم
مناطق بلاد الشام فتحت صلحا .

٢- لاحظنا تطور نظام ملكية الاراضي في الدولة
الاموية حيث توسعت الدولة الاموية في اقطاع
الاراضي وظهور طبقة من الملاكين العرب وكان اغلب
الملاكين الخلفاء والامراء من بني امية واشراف القبائل .

٣- التصرف بالأراضي الخراجية بعد وفاة صاحبها
عنها دون وريث وذلك باعتبارها اراضي صوافي تعود
ملكيتها للدولة.

٤- استخدم الامويين سياسة خاصة ترمي الى كسب
القبائل وكبار الشخصيات عن طريق اقطاعهم الضيع
والاراضي الواسعة .

٥- عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز منذ توليه الخلافة
على ايقاف موجة استملاك الاراضي للحفاظ على
موارد الدولة.

٦- نشأة اراضي الصوافي في الشام من اراضي الاسرة
الحاكمة والنبلاء من الروم البيزنطيين عندما قتلوا

وورثها عنه ابنه عمرو^(٦٦١) كما كان لعمر بن العاص
ضيعة في بيت جبرين تدعى عجلان^(٦٦٢)، اما مسلمة
بن عبد الملك فقد امتلك الضيع الكثيرة وكان له ارض
بغراس^(٦٦٣)، وقرى وضيع في شمال بلاد الشام
والاسكندرونة وعين السلوز^(٦٦٤) وكان لابان بن مروان
بن الحكم ارض أبان^(٦٦٥) .

كما امتلك سعيد بن عبد الملك املاك بمحلة
الراهب قرب دمشق^(٦٦٦) كما اقطع معاوية بن ابي
سفيان قرية النمرانية في الغوطة لنمران بن يزيد
المذحجي^(٦٦٧) .

كما اقطع يزيد بن معاوية لسعيد بن مالك بن مجدل
الكلي اقليم بيت الابار^(٦٦٨) وقد ادت هذه الاملاك الى

(٦٦١) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ١٣٦/٢ .

(٦٦٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٠، ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ١٠١/٢ .

(٦٦٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٨ .

(٦٦٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٨ . عين السلوز: قرب

انطاكية ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٧٨/٤ .

(٦٦٥) ابن عساکر، تهذيب، ١٣٣/٢ .

(٦٦٦) ابن عساکر، تهذيب، ١٥٥/٦ .

(٦٦٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٤/٤ .

(٦٦٨) ابن عساکر، تهذيب، ٧١/٦ .

(٦٦٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٧٧ .

وهربوا نتيجة حروب التحرير وتعتبر اراضي الصوافي
مصدرا رئيسا للإقطاع في بلاد الشام وكانت تمنح
بملكية تامة .

٧- اهتمت الدولة الاموية بأحياء اراضي الموات
واستصلاحها وزراعتها وحفر الابار وايصال الماء لها

الجغرافية التاريخية لبلاد القوقاز واثرها على الفتوحات الإسلامية

م.م ياسر مصلح عزيز

م.م وعد الله زيدان وهب

الملخص

بدأت حركة الفتوحات الإسلامية في شتى انحاء المعمورة بعد ان ترسخت اركان الدولة العربية الإسلامية من اجل نشر الإسلام ومبادئه السمحاء ، كانت حركة الفتوحات على محورين احدهما الى المغرب اما الآخر فقد انطلق باتجاه المشرق بعد ان تم فتح بلاد الشام والعراق ، استمرت الفتوحات باتجاه الشمال نحو بلاد القوقاز ، ونظرا لاختلاف الطبيعة الجغرافية بين الجزيرة العربية موطن المقاتلين المسلمين وبين بلاد القوقاز من حيث المناخ والتضاريس فكان للعامل الجغرافي الأثر الكبير على هذه الفتوحات سلبا وإيجابا من هنا جاءت أهمية العامل الجغرافي الذي دفعنا لاختيار هذا البحث الموسوم (الجغرافية التاريخية لبلاد القوقاز واثرها على الفتوحات الإسلامية) اذ يعد العامل الجغرافي من العوامل المهمة التي أسهمت في فتح هذه البلاد وبعد عدة حملات كانت ناجحة تم خلالها فتح بلاد القوقاز وادخالها في حضيرة الدولة العربية الإسلامية لتشكل ولاية من اهم ولاياتها التي أدت دورا كبيرا على مسرح الاحداث السياسية فيما بعد وهذا ما تم التنقيب في متن هذا البحث

Historical Geography for cocasian countries and its impact on Islamic conquerers

ABSTRACT

After the enroot of Islamic state , Islamic conquers move began all around to spread Islamic religion and its for giving principles . Islamic conquers were on two sides : west ward and east ward . after conquerring Syria , Iraq , the

conquers headed
north ward to ward cocasia . due the different geographical nature
between Arabian
peninsulca , home of fighters and cocasia regarding climate and features
geography
had the imminent importance wher ther positively or negatively on these
conquers
this is the importance of the subject of our research . Geographical factor
is one of the important factors that contributed to the conquer of this
region . after many successful campaigns , the attempts were crowned
with conquerRing cocasia and enrolling it into the body of Islamic state to
be one of its important states that played an important role on political
stage later on , a case that has been tackled in this research .

المبحث الأول

التسمية والموقع الجغرافي

القوقاز (القفقاس) هي تسمية لاتينية مشتقة
من (قاوقازوس) kaukasus ذكرت لأول مرة في
المدونات الجغرافية اليونانية وهي تسميتها الى يومنا
هذا في الخرائط العالمية واللغات الاوربية وهناك
تسمية روسية قفقاس kavkas تعود الى الاصل
نفسه ويعتقد ان اصل تلك التسمية قازقاز كركر
kazkaz ، وكان الحيشيون يطلقون هذا الاسم على
سكان الساحل الجنوبي من البحر الأسود(١)

وقد استعمل المسلمون مصطلح (القبق) او (جبال القبق) واحيانا (القبخ او القبيج) للدلالة على بلاد القوقاز ، وقد ورد تعريف الجغرافيين المسلمين : قبق : كلمة اعجمية، وهو جبل متصل باباب الأبواب وبلاد اللان ، وهي اخر حدود ارمينية (٢)
وكان المسلمون يجعلون أرمينيا وأذربيجان والران وجورجيا ومناطق القوقاز منطقة جغرافية واحدة .
وهناك رأى اخر من تسمية القوقاز وهو اقرب الى الأسطورة هو ان الأرمن يدعون ان اسم قفقاسا مشتق من اسم (قاوقاس) احد اجدادهم وهو من

الأسود وجر اوزوف ، ويحدها من الجانب الشمالي حوض الماتشين ونهر كوبان ، ونهر ترك ، اما الجانب الجنوبي فيحدها نهر كورا ، ونهر ريفون ، وتفصل اقسامها الجنوبية عن ايران نهر الرس ، وبعضها الاخر عن أرمينيا التركية جبل ارارات (٥) .

وهناك رأي آخر ان بلاد القوقاز تقع في المنطقة حيث ازدهرت الامارات والممالك الارمنية والايبيرية في اقصى شمال شرق حوض البحر المتوسط ، وتحميها من الشمال سلاسل جبال القوقاز ، ومن الشرق بحر القزوين ، ومن الغرب البحر الأسود ، وبهذا تطل في شكل شبه دائري من جهة الجنوب على اسيا الصغرى ، والشام ، والجزيرة وبلاد فارس (٦) ،

ونعرض رأي اخر أكثر تفصيلا في الشمال يشمل الخط الذي يقارب فيه نهري الفولغا (اتل) ونهر الدون (٧)، وقد تم حفر قناة مائي لكي تصل بينهما حديثا لتسمح بعبور السفن النهرية من البحر الأسود الى بحر الخزر (ويسمى قديما الطريق الخزري) اما جنوبا فيشمل نهر اراس (الرس) الذي يفصل بين كلتين

أولا كتلة جبال القوقاز وجبال ارارات ، وثانيا الهضبة العليا على الحدود بين أذربيجان وايران ، ونهر جوروخ بين أراضي كورجستان (جورجيا) وتركيا ، وهذه المسافة تزيد عن ألف كيلومتر ، ولو اعتبرنا العرض

أبناء يافث بن نوح(٣) وفي رواية أخرى ورد مصطلح (القاز) ويذكر انه من أسماء الشيطان (٤)

اما فيما يخص تحديد ورسم الموقع الجغرافي لبلاد القوقاز فان في ذلك بعض الغموض الذي يحيط بالبلاد ، وأيضا هنالك اختلاف بين المؤرخين والجغرافيين في تحديد البلاد ورسم حدودها ولا يمكن إعطاء صورة واضحة المعالم للحدود الجغرافية لهذه البلاد او دراستها في ضوء المصادر الإسلامية ، وكثرة التناقضات والغموض في العديد من جوانبها ، وذلك لان هذه البلاد كانت منطقة صراع بين الدولة الساسانية والدولة البيزنطية من قبل .وبعدها بين الدولة العربية الإسلامية من جهة وبين الدولة البيزنطية من جهة أخرى ، واختلفت حدود بلاد القوقاز بين المد والانحسار في كثير من الأوقات واختصر البلدانين المسلمين الحديث عن بلاد القوقاز وخصوا معلوماتهم عن المنطقة بصفحات معدودة . وايضا لا يمكن دراسة البلاد ضمن الحدود السياسية المصطنعة ، لأنها تتغير بين الحين والآخر وذلك حسب قوة الدولة او الإقليم من الحين الى الاخر بل من الاجدر دراستها والتقيد بالحدود الطبيعية .

ونذكر ابرز اراء الباحثين فيما يخص حدود بلاد القوقاز وهي : ان بلاد القوقاز يحدها من الشرق بحر القزوين (الخزر) ومن الجانب الغربي البحر

الوسطى لبرزخ القفقاس بين البحر الأسود والخزر (قزوين) ٦٠٠ كم ، بلغت المساحة (٦٠٠.٠٠٠ كم^٢) تقريباً (٨) .

ويذكر احد المؤرخين ان شمال القوقاز يقع جنوب شرق القارة الاوربية ، وهذا رأي معظم الجغرافيين ، في حين تدخل المصادر الروسية إقليم ما وراء القفقاس ضمن حدود القارة الاوربية (١٤) وتتميز الحدود الشمالية والجنوبية (وهذه الأخيرة ضمن الاناضول وايران) بالإرباك ، وعدم اتفاق الباحثين وتميز الحدود الشمالية بانها لم تكن مستقرة في يوم من الأيام ، ولذلك يمكن اعتبار نهر قوقاز ، الحدود الشمالية التي كانت تتراجع عبر التاريخ الى الجنوب

تحت ضغط القبائل الزاحفة نحو الغرب والجنوب الغربي منذ ما قبل الميلاد حتى قرن ٩ هـ / ١٥ م ، اما الحدود الشمالية والغربية فهي واضحة المعالم فالقوقاز بين بحرين بحر الخزر (القزوين) من الشرق وهو بحر داخلي معزول ومغلق ومستواه دون سطح العام للبحار والثاني البحر الأسود من جهة الغرب (١٥) .

ويعرض باحث اخر ان نهاية الحدود الشمالية يمثل بنهر ترك وقوبان وجنوباً بنهر الكر - وبون (١٦) وهناك رأي اخر لاحد الباحثين ان الحدود الشمالية تحدها انهر يسق وما ينتج وقوما ، وجنوباً تركيا وايران ، وتبلغ مساحتها (٤٢٠ كم^٢) منها ١٤٠ كم مساحة السلسلة الجبلية وحدها (١٧)

وهناك اراء أخرى لموضوع دراستنا تذكر ان بلاد القفقاس تنظم كل من (ارمينية ، اران ، أذربيجان) ، وليس من السهل إيجاد حدود فاصلة وثابتة لهذه الأقاليم ، والحدود السابقة ليست كما هي عليه الان ، فقد كانت معرضة للتغيير ، اذ ان تخوم الدولة او أي امارة تتسع كلما كانت الامارة قوية ، وتنحسر كلما ضعفت

قواها ، فضلاً عن اختلاف المصادر الجغرافية في رواياتها حول التخوم الفاصلة فيما بين هذه الأقاليم بشكل دقيق ونهائي ، فكيف اذا كان الامر يتعلق بتخوم الامارات التي كانت منشغلة في حروب طويلة بينها من الداخل وتارة أخرى مع الدول المجاورة الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية (٩)

وقد وصفت بلاد القفقاس على انها بلاد متصلة ومتداخلة بعضها مع البعض الآخر ، يتاخما من المشرق جيلان(١٠)، ومن الجنوب إقليم بلاد الجبل والجزيرة الفراتية ، ومن الغرب بلاد الاناضول وجزء من بلاد السريز(١١) ومن الشمال ما تبقى من بلاد السريز والخزر(١٢) وذلك لان بلاد الخزر متاخمة لبلاد السريز (١٣)

اما ياقوت الحموي كان له رأي اخر أشار فيه الى ان اذر تعني النار بالفهلوية وبايكان معناه الحافظ او الخازن ، ومعناه بيت النار او خازن النار ، ونرجح هذا الرأي وذلك لكثرة بيوت النار ومعابد النار في بلاد أذربيجان وانتشار عبادة النار فيها (٢٢)

أذربيجان بلاد لها أهمية كبيرة عبر عصور التاريخ ويعود أهميتها الى موقعها الاستراتيجي الرابط بين اسيا الوسطى وسهول روسيا الواقعة بين البحر الأسود وبين بحر قزوين (الحزر) وبلاد القوقاز الشمالية مع بلاد ايران والعراق وحتى بلاد الاناضول ، وعبرها كان يمر طريق الحرير القادم من بلاد الصين عبر ايران وأذربيجان وخط منه الى بلاد روسيا (٢٣)

ثانيا : الران : وهو الاسم العربي لالابانيا القوقازية (داغستان) اذ اطلق المسلمون على منطقة أذربيجان السياسية الحالية القوقازية تسمية اران ، وكان الاغريق يطلقون عليها اسم (اريانا) بدل من البانيا ، كما دعيت من الأرمن باسم (الونك) (٢٤)

ويمتد هذا الجزء من القوقاز من الدربند (باب الأبواب) في الشمال الشرقي الى تفليس غربا ويدخل في ذلك نهر الراس في الجنوب والجنوب الغربي (٢٥) ، ويذكر القزويني ان اران ناحية بين أذربيجان وارمينية وبلاد الخاز (٢٦) ، واران ولاية واسعة فيها مدن عدة

اما المؤرخ مسعود الخوند فيحدد الأطراف الشمالية مع روسيا وتبدأ من اطراف بحيرة (المانيتش) وهي أراضي منبسطة تصل شمالا مع سهول سيبيريا الشاسعة ، ويفصل بعض اجزائها الجنوبية عن ايران نهر اراس ، والبعض الاخر عن أرمينيا التركية جبل ارارات (١٨) وتعتبر جبل ارارات من الحدود الطبيعية التي تفصل بين الدولتين (١٩)

وتضم بلاد القوقاز الحالية من الجنوب ثلاث دول مستقلة (جورجيا ، أرمينيا ، أذربيجان) ومن الشمال منطقة القوقاز الشمالي او القوقاز الروسي وتضم المناطق من (كراسنودار ، روستوف ، شاقروبول ، كراي ، ادغيا ، قراتشاي ، تشيركسيا ، قبردينو ، بلقاريا ، الشيشان انغوشا ، اوسيتيا الشمالية ، داغستان) ويضم القوقاز الشمالي ثلاث دول مستقلة (انجازيا ، اوسيتيا الجنوبية ، قرقباغ) (٢٠) ومن الجدير بالذكر ان بلاد القوقاز تضم العديد من المناطق ومن أهمها . أذربيجان ، الران ، ارمينيا ، جورجيا .

أولا : أذربيجان : اختلف الباحثون في اصل تسمية أذربيجان ، فالمقدسي أشار الى ان الذي اختطها يدعى (اذرباذ بن بيوارسيف بن الاسود بن سام بن نوح (٢١)

على ساحل البحر الاسود ، وكان الجورجيون يعرفون باسم ابسكوى (abaskoi) عند المؤرخ البيزنطي (اريان) ، وبأسم أسجي ، كما اطلق على جورجيا تسمية ايبيريا وعلى سكانها الايبيريين وكانوا يرون ان اصولهم ترجع الى بيت المقدس (٣٢)

كما اطلق عليها المسلمون تسمية جرزان او ارض وبلاد الجرزية (٣٣). وأيضاً وردت باسم بلاد الكرج ، نسبة الى الكرج الساكنين فيها ، وسميت ببلاد الانجاز التي عرفها ياقوت الحموي : اسم ناحية من جبل القبق المتصل باباب الأبواب ، وهي جبال صعبة المسالك وعرة يسكنها امة من النصارى يقال لهم الكرج (٣٤)

ومن الجدير بالذكر ان بلاد القوقاز ضمت كل من الأقاليم التالية في العهود الإسلامية وهي كل من أذربيجان مع إقليم اران ، الكرج (جورجيا) وكذلك بلاد ارمينيا ، وكانت هذه الأقاليم الأربعة بمجموعها يطلق عليها تسمية بلاد القفقاس (٣٥).

وهناك ملاحظة يجب توضيحها في مسألة بلاد القفقاس وهي ان معظم البلاد والأراضي التي كانت واقعة ضمن تسمية بلاد القفقاس ، وكانت تمثلها في العصور الإسلامية الأولى إدارياً ولاية أرمينيا . حيث ان تسمية ولاية أرمينيا كانت تشمل كل البلاد التي

منها جنزة (كنجة) وبرذعة وشمكور وبيلقان وبين أذربيجان والران نهر الرس (٢٧)

وكانت مدينة برذعة (٢٨) ، وتمثل عاصمة الران (قصبة الران) حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أذ خربها الروس سنة (٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م) وما تزال خرائبها شاخصة للعيان ، ثم تحولت الإدارة والقصبة الى مدينة كنجة (٢٩) .

ثالثاً : ارمينا : تقع أرمينيا في اواسط البقع وأكثرها ارتفاعاً من المنطقة الجبلية الواقعة غرب اسيا وهي البلاد الجبلية الشاسعة التي تحدها غرباً اسيا الصغرى وشرقاً هضبة أذربيجان ، ويحدها من الشمال جورجيا بلاد (الكرج) ومن الشمال الغربي من بلاد الجزيرة الفراتية (حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى الذي يمتد الى الموصل) (٣٠)

ومن الجدير بالذكر ان عاصمة أرمينيا التاريخية هي مدينة اني وتسمى دوين (وسماها المسلمون ديبيل) وكان يقطنها من النصارى وكانت مدينة مزدهرة حضارياً وتخرج منها الكثير من السلع التجارية ، اما اليوم فتعد (يريفان) عاصمة أرمينيا القوقازية (٣١)

رابعا : جورجيا : (جرزان) تقع جورجيا في الجهات الشمالية الشرقية من اسيا الصغرى ، وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز ، وتطل جهاتها الغربية

كانت تشكل بلاد القفقاس والخلفاء المسلمون كانوا يتعاملون إداريا مع ولاية أرمينيا باعتبارها المركز الإداري لتلك البلاد ، في عصور الخلافة الراشدة والعصر الأموي . وحتى في عصر قبل الإسلام وذلك لأنها ضمت مساحات واسعة من بلاد القوقاز ويعود ذلك الى قوتها السياسية واتساع مناطق نفوذها ، حيث كانت حدودها تصل الى مناطق شمال العراق وفق ما اشارت اليه المصادر القديمة .

المبحث الثاني

التضاريس :

تأثرت ارمينية بمجموعة من تضاريسها ومياهها ، اذا انقسمت ارضها الى عدد من الاحواض التي تفصل بعضها عن بعض جبال مرتفعة ، يتكون سطح ارمينية من الجبال الشاهقة يتعدى ارتفاع بعضها الخمسة الف من الأمتار ، ويعد جبل ارارات اعلى جبالها اذ يبلغ ارتفاعه ٥١٦٥ متر (٣٦) .

ويستمر الشتاء طيلة ثمانية اشهر كاملة على هذه المرتفعات حيث تهب عليها الرياح الثلجية الاتية من جبال القوقاز او سهوب القزوين ، وكانت مجاري الأنهار والبحيرات تتجمد في فصل الشتاء لدرجة انها تؤثر على نهر الفرات ، وكذلك حال بحيرة وان وبحيرة سيفان (٣٧) . وشهدت ارمينية لياالي قارسة البرد

حتى ان الطبيعة كانت باستطاعتها تدمير جيش في بضعة ساعات ، وهذا ما حدث بجيش الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م - ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م) قرب مدينة هير (تقع شمال غرب ايران) سنة (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) حيث أصيبت خيوله وبغاله بالشلل التام ، اما مشاته فقد تجمدت اطرافهم ، وكانت العواصف الثلجية تقف عائقا امام تقدم الجيوش خشية ان يدفن المرء في أعماق الثلوج (٣٨) .

ومن اهم الجبال في بلاد القوقاز :-

أولا : سلسلة جبال القفقاس الرئيسة (القفقاس الكبير)

وقد ورد ذكره في المصادر الإسلامية باسم جبل القبق وتعني الأمير ، كما ترد أحيانا باسم جبل القبق او جبل الالسن أي جبل اللغات لكثرة الأمم وتنوعها حول هذا الجبل ، ويسمى حديثا بجبل البرز او البروز ، نسبة الى اعلى قمة فيه ، وتتميز هذه السلسلة بالارتفاع الشاهق ، والقمم الحادة ذات الرؤوس المسننة في سلاسله (٣٩) .

ويمتد هذا الجبل من الشمال الغربي على البحر الأسود ، الى الجنوب الشرقي على بحر قزوين ، ويبلغ متوسط ارتفاع الجبل عن سطح البحر بين (٧٠٠ -

توزعت في وديان انهار الدون والدينير والدينستر
وحتى الدانوب في أواسط اوربا (٤١).

وعليه فقد شكل طول جبال قفقاس وارتفاعه
منذ اقدم العصور حاجزا بين الامارات الإسلامية
ودول اوربا الشرقية التي تقع وراء جبال القفقاس ،
لذلك شكلا أهمية كبرى في استمرارية العالم الإسلامي
المتحضر لاسيما في أرمينيا وأذربيجان ، اذا كان سدا
منيعا امام الاقوام الهمجية ولاسيما بعد ضعف
الخلافة العباسية
وسيطرة الروم على مناطق الجزيرة والشام في القرن
(٤٤هـ / ١٠م) (٤٢)

فلولا هذه العوارض الطبيعية والصناعية لكان من
الممكن توغل هذه الاقوام حتى العراق ، ولأنتهب
حضارة المسلمين المتمثلة بالخلافة العباسية ببغداد قبل
اجتياح المغول في منتصف القرن (٧هـ / ١٣م)
والحقيقة ان جبال القفقاس تمثل في التاريخ نهاية العالم
المتحضر (٤٣) .

ويشق جبال القوقاز ممران اساسيان هما :

١. ممر دربند : ورد في المصادر الإسلامية باب
الأبواب او مدينة الأبواب ، كما سمي بمر صول وهذه
الأخيرة هي من الكلمة الإغريقية Tzour ويرد
بالأرمينية Tsur وتعني باب ، وهو يقع على ساحل

(٣٦٠٠ م) ، وتضم قمما يتجاوز ارتفاعها (٤٥٠٠ م
(اما طوله ما بين (١٢٠٠ - ١٣٠٠ كم) ، ويبلغ
عرض هذه السلاسل (١٦٠ - ١٨٠ كم)

وتقسم هذه السلسلة الجبلية الى ثلاثة اقسام :

١. القفقاس الشرقي : ويمتد من ابشيروان حتى جبل
كارزبك بطول (٤٠٠ - ٥٠٠ كم)
٢. القفقاس الأوسط : ويمتد بين جبل كارزبك وجبل
البرز بطول (١٥٠ - ٢٠٠ كم)
٣. القفقاس الغربي ويمتد على الساحل البحر الأسود
من جبل فتيشتا الى جبل انابا (٤٠)

وكان لجبال القوقاز أهمية كبيرة من الناحية
التاريخية وذلك لان هذه الجبال شكلت عارضا
طبيعيا التي حددت التوزيع الجغرافي (السكاني)
لعديد من الأمم التي حاولت عبر التاريخ الانتقال من
موطنها الى مكان اخر وذلك بسبب الصراعات بين
القوى المتصارعة آنذاك . وأيضا كان للقبائل الرعوية
للشعوب التركية الدور

الكبير لتهجير السكان واجبارهم على ترك اوطانهم
والبحث عن مكان جديد للاستقرار في اسيا الوسطى
وشرق بحر قزوين ، وكانت لهذه الجبال ممرات ومنها
الباب (دربند) وباب اللان (داريال) ، لذلك
توجهت اغلب الموجات البشرية المختلفة نحو السهول
الشاسعة التي تقع الى جهة الجنوب من روسيا ، ثم

مجر قزوین الغربي ويعد من ايسر الممرات واسهلها ، وهذا الممر عبارة عن منطقة سهلية ضيقة بين الجهات الشرقية لجبال القفقاس الشمالية وبين مجر قزوین ، ومن المعالم العمرانية لدريند قلعة أبو العباس ، وبرج المدافن ، فكانت سكناً للأمراء ومقراً لإعلان الجهاد (٤٤) .

ثانيا : سلسلة جبال ارارات :

تمتد جبال ارارات من بحيرة فان Van في الجنوب الغربي حتى بحيرة سيفان sevan في الشمال الشرقي من الاناضول ، وهي جبال مخروطية الشكل ومعظمها فوهات بركانية خامدة (٤٧) .

وتعد هذه الجبال واحدة من اشهر الجبال في العالم ، وقد ازدادت شهرتها عندما ذكرت الكتب المقدسة استقرار سفينة نوح (عليه السلام) عليها (٤٨) .

اما بالنسبة لتسمية الجبل فقد اطلقت عليه المصادر الفارسية (كوه نوح) اي جبل نوح ، وكلمة ارا تعني النار وكلمة ارارات معناها جبل النار لما كان يلفظه في العصور الغابرة من مواد بركانية مشتعلة ، اما الان فقد خمد (٤٩) . ويسمى أيضا بالقوقاز الصغير (٥٠) .

وذكرت المصادر العربية الإسلامية هذا الجبل باسم الحارث او الحويرث فالحارث هو جبل ارارات الكبير ، اما الحويرث فالمقصود به جبل ارارات الصغير (٥١) .

ومن اهم اقسام جبال ارارات :

٢. ممر داربال : ويسميه العرب المسلمين باب اللان (٤٥) ، ويسمى حاليا بممر كازبك ، وهو يتكون شمالا من وادي نهر تيرك وجنوبا باتجاه تفليس من وادي نهر كر ، وحوله مساكن (الايرون والاستين) ويعد

هذا الممر طريق جورجيا الحربي الذي يمر عبر (ممر كريستوفي) في الشمال حتى مدينة (تفليس) عاصمة جورجيا ، الذي يغلق في الشتاء (٤٦) .

وكانت هذه الممرات تربط شمال القفقاس بجنوبه ، وكانت تلعب دورا مهما في الفتوحات الإسلامية لكونها تعتبر مقرات مهمة للجيش الإسلامية في بلاد القوقاز تساعد على تهيئة الحملات الإسلامية في أوقات قصيرة دون الحاجة الى استقدام جيوش ومقاتلين من البلاد العربية التي كانت تستغرق أوقات طويلة مقارنة بالجيش المتواجدة هناك .

١. جبل ارارات الكبير : و يطلق عليه في المصادر العربية تسمية (جبل الحارث) ويسمى أيضا بجبل النار ، ويبلغ ارتفاعه (٥٢٠٥ م) وتغطي الثلوج سفوحه على مدار السنة (٥٢) . ويقع هذا الجبل بين أطول نهريين في بلاد القوقاز نهر الكر ونهر الرس (٥٣) .
٢. جبل ارارات الصغير : ويسمى في المصادر العربي الإسلامية بجبل الحويرث ويبلغ ارتفاعه (٣٩١٤م) ويقع الى الشرق من ارارات الكبير (٥٤) .
- وهناك جبال أخرى منتشرة في العديد من النواحي تمثل تفرعات لسلاسل جبال القوقاز وارارات ، ومنها جبل السلوان (٣٨٢٠م) ويقع غرب اردبيل ، اما جبل سهند (٧٠٠م) فيقع جنوب تبريز ، وجبل بنغول داغ ويسمى بجبال بحيرات الالف وينبع منها نهر اراس ومعظم روافد نهر الفرات ويبلغ ارتفاعه (٣٦٥٠م) (٥٥) .
- ومن ابرز انهار بلاد القوقاز :
١. نهر الكر (كورا) :
- ويعتبر من اطول الأنهار في جورجيا وجنوب القفقاس ، وينبع من سفوح الشمالية لجبال القوقاز الكبير الواقع شمال جورجيا (٥٦) .
- وتنتشر العديد من المدن والقرى على جانبي النهر وشمل حوضه مساحات واسعة من السهول الصالحة للزراعة . ويمر بمدينة تفليس فيقسمها الى قسمين ويستمر في جريانه مارا بشكي وكبجة و شمكور ، ثم يمر بالقرب من مدينة برذعة (٥٧) . ويلتقي نهر الكر مع نهر الرس (اراس) فيكونان نهرا واحدا يصب في بحر الخزر (٥٨) . ويبلغ طوله من منبعه حتى التقائه بنهر الرس نحو (٩٤٠ كم) (٥٩) .
٢. نهر الرس :
- عرف هذا النهر قديما بنهر اراكسيت ، وينبع من جبال بيك كول طاغي في أرمينيا ، وهو يلي نهر الكر في الطول ويذكر ان منبع هذا النهر من جبال قاليقلا ، ثم يستمر في الجريان الى البلاسجان ، وتكون هنالك التخوم الطبيعية التي تفصل بين اران وأذربيجان وارمينية ثم يقترب من مدينة وراثان ويمر عبرها ليلتقي بنهر الكر بالقرب من بحر الخزر مكونا نهرا واحدا يصب في هذا البحر (٦٠) .
٣. نهر الترك : (تيرك)
- ينبع من المنطقة الوسطى لجبال القوقاز في المكان المسمى (كريستولا) في ممر داربال ثم يخترق الممر المذكور ويتجه في جريانه الى الشمال الشرقي ، وترفده عشرات الأنهار الناتجة عن ذوبان الثلوج الجبلية ، التي تسيل من وديان الكتلة الجبلية الوسطى مثل انهار

من الفاكهة وغيرها وكانت أشجار الفاكهة تنتشر في هذه البقاع مما يوفر للجيش الإسلامي المأكل والمشرب التي تمثل محطات استراحة للمقاتلين المسلمين .

سونجا وصولاً . وروافدها ، ثم يصب في بحر الخزر ، ويكون سريع الجريان اثناء انحداره من أعالي الجبال ثم يبطئ عند وصوله الى السهل (٦١) .

٤ . نهر كوبان (كوبان) :

المبحث الثالث

الأوضاع السياسية قبل الفتح الإسلامي

من خلال دراستنا للموقع الجغرافي لبلاد القوقاز تبين لنا أهمية هذه البلاد من الناحية السياسية والجغرافية والاقتصادية ، اذ كانت تقع هذه البلاد بين أكبر امبراطوريتين في العالم آنذاك وهي الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والامبراطورية الساسانية الفارسية . وكانت هذه المنطقة منطقة صراع بين الامبراطوريتين لقرون طويلة ، وتعتبر السيطرة عليها مقياساً للقوة في المنطقة ، كما كانت لها الأهمية الاقتصادية الكبيرة في كثير من المجالات الحياة ، وكانت لوقوعها تحت هيمنة الامبراطوريتين لفترة طويلة الأثر الكبير في استفاد مواردها الاقتصادية أولاً ومواردها البشرية ثانياً اذا ان الكثير ممن يشاركون في صنوف الجيش البيزنطي او الساساني في الأرمن لا يعودون الى بلادهم يقتلون او يأسرون . مما حرم البلاد من طاقاتها الشابة الكبيرة والى يومنا هذا نلاحظ قلة افراد الشعب الارمني نسبة

تتكون منابعه من وديان كتلة جبل البروز شمال القوقاز ، ثم يخترق السهول شمال الجبال وتتجه الى شمال غرب البلاد اذا يرفده العديد من (٦٢) الأنهار التي تتحدر من وديان الجبال مثل لايار - ايتجينغ - شحه - كواشة وتتصف مجاريه بانها حجرية من أعلاه وطينية ورملية في بعض الأحيان في قسميه الأوسط

والادنى (٦٣) وفي شبه الجزيرة تاملان ينقسم الى قسمين يصب فرعه الشمالي في بحر ازوف وفرعه الجنوبي في البحر الأسود ويبلغ طوله (٨١٠ كم) (٦٤) .

كانت هذه المجموعة الكبيرة من الأنهار والبحيرات تشكل العامل المساعد للفتوحات الإسلامية والمقاتل المسلم اذ كانت الحملات الإسلامية في بلاد القوقاز دون الحاجة الى حمل مياه الشرب والتزود به ، وذلك لان مياه العذبة توفرها هذه الأنهار والبحيرات لشرب المقاتلين وكذلك لشرب الخيول والبغال التي ترافق الحملة أينما توجهت الحملة في كل انحاء بلاد القوقاز ، وكذلك وفرت هذه الأنهار والبحيرات الغابات الكبيرة من مختلف أنواع الأشجار

الهجري / السابع الميلادي ليتوسع رقعة المملكة الوليدة ، وعلى حساب امبراطوريتين عظيمتين ادنت شمسها بالمغرب ، هما فارس وبيزنطية ، حتى استطاعت ان تبلغ بالجيوش الإسلامية جبال القوقاز في اقصى الشمال ،

وكان على الامبراطوريتين الكبيرتين ، امام هذا المد الأسطوري ان تسلما بالأمر الواقع ، وتعترفا للعلاقات الذي يحمل اسم الدولة العربية الإسلامية بالغلبة والنصر (٦٥) .

كان لظهور الإسلام ، وفتح العرب المسلمين لكثير من المقاطعات البيزنطية في بلاد الشام وفلسطين ، بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها العرب المسلمين في معارك اجنادين ١٣هـ/٦٣٤م ، واليرموك سنة ١٥هـ/٦٣٦م ، وفتح بلاد فارس بعد معارك القادسية ، ومعركة نهاوند سنة ١٩هـ/٦٤٠م وكانت لهذه الاحداث الأثر الكبير على الشعب الأرمني ، لدخول الأرمن طرفا في المواجهة تارة الى جانب الفرس في معركة القادسية ، وتارة أخرى الى جانب الروم في معركة اليرموك (٦٦) .

لقد كانت هنالك العديد من الأسباب تكمن وراء الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز واهمها :

بغيرها من الشعوب . و تضم بلاد القوقاز أرمينيا ، وأذربيجان ، وبلاد اران وجورجيا الحالية .

وأيضا لوقوعها على طرق التجارة البرية والبحرية وربطها تجارة شرق اسيا مع الدول الأوروبية في قارة اوربا ونقل البضائع عبر أراضيها اعطتها أهمية كبيرة للدولتين البيزنطية والدولة الساسانية ومحاوله كل منهما السيطرة على هذه البلاد .

بعد انشار الإسلام في مكة والمدينة وفي الجزيرة العربية خرج العرب المسلمون من الجزيرة العربية مبشرين بالإسلام لينشره في ارجاء العالم آنذاك ، وكانت ارمينية وأذربيجان وبلاد اران من الأقاليم التي وصلت اليها جيوش العربية الإسلامية بعد فتح العراق والشام والجزيرة وبلاد فارس وأذربيجان ، وقد توجهوا اليها من عدة أماكن أهمها ، أذربيجان ، والجزيرة ، وبلاد الشام وقد تمكنوا من فتحها رغم الظروف المناخية القاسية من برودتها وطوبغرافيتها المعقدة وصعوبة مسالكها في الوقت الذي كان المقاتل العربي فيه لم يألف القتال في مثل هذه الأماكن والظروف الصعبة التي تختلف اختلافا كبيرا عن الجزيرة العربية ذات المناخ الصحراوي والأراضي الرملية السهلة .

وبقوة وزخم كبيرين منقطع النظر ، انطلقت الجيوش العربية الإسلامية في النصف الأول من القرن

ومن الجدير بالذكر ان بعض مدن شمال الجزيرة الفراتية تمثل حدود أرمينيا من الجنوب ، فأصبحت قاعدة امامية للروم تهدد الجزيرة الفراتية والشام ، فكان على المسلمين فتحها للتخلص نهائيا من تهديد الروم للجزيرة الفراتية والشام ، لان الروم كانوا يسيطرون على مناطق أرمينيا التي تهدد هذه المناطق المفتوحة من الشمال ، ولان الروم يحشدون قواتهم من أرمينيا لاستعادة الجزيرة والشام فلا سبيل الى حماية البلاد المفتوحة الا بفتح أرمينيا (٦٩) .

اهم الحملات الإسلامية على بلاد القوقاز .

١. حملة عياض بن غانم : اشارت بعض المصادر الإسلامية ان فتح المسلمين للجزيرة الفراتية بسهولة بقيادة عياض بن غنم الفهري شجع المسلمين على المضي قدما لفتح أرمينيا المجاورة ، ووصل الى مدينة بدليس وبلغ خلاط فصالحه بطريقتها حتى انتهى الى العين الحامضة من أرمينيا ثم عاد الى الرقة ومنها الى حمص وذلك في سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد ولاه عليها ومات سنة (٢٠هـ / ٦٤٠م) (٧٠) .

وهناك مصادر أخرى ذكرت ان احد القادة المسلمين (عبد الرحمن) توجه على رأس جيش قوامه (١٨ ألف) من الفرسان وطالب الأرمن بدفع الجزيرة واجتاح المدن الارمنية ثم عاد الى (

أولا : نشر الدين الإسلامي في انحاء المعمورة وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ، ومحاوله إيصال الدولة الإسلامية الى ابعد نقطة ممكنة .

ثانيا : تطلع المسلمون لفتح بلاد القوقاز وخاصة بعد ان أصبحت حدود دار الإسلام متاخمة لحدود ارمينية ، وبذلك بعد الفتح الإسلامي لبلاد الجزيرة وأذربيجان ، ولذا كان شغل المسلمين الشاغل هو سلخ ولاية أرمينيا عن الإمبراطورية البيزنطية .
وضمها الى الخلافة الإسلامية (٦٧) .

ثالثا : كان لأهمية موقع بلاد القوقاز الجغرافية لممر الطرق التجارية فيها ، واعتبارها حلقة وصل بين شرق اسيا وروسيا وبقية الدول الاوربية ، الأثر البالغ التي أدى بالعرب المسلمون للتطلع الى السيطرة على هذه البلاد وضمها الى الدولة الإسلامية .

رابعا : كان لدخول الأرمن الى جانب كل من الفرس والروم في القتال ضد الدولة العربية الإسلامية في معارك اجنادين واليرموك ونهاوند الأثر الكبير لرغبة العرب المسلمون لفتح هذه البلاد والسيطرة عليها .

خامسا : وكان لفتح ارمينية الأثر البالغ عند العرب المسلمون وذلك لان فتح ارمينية يمهّد الطريق لفتح بلاد الروم والسيطرة عليها ، لان ارمينية كانت بمثابة الدرع الواقعي الذي يحمي ظهر دولة الروم (٦٨) .

طشقستان) أي بلاد الشام ، وكانت هذه الحملة بين سنة (١٥ هـ / ٦٣٦م - ١٨ هـ / ٦٣٩م) وهي في حقيقتها حملة استطلاعية مهدت الطريق امام حملات المسلمين (٧١) .

ومن الجدير بالذكر ان المتبع للحملات الإسلامية الأولى على بلاد القوقاز يلاحظ ان قادة الحملات كانوا يواجهون صعوبة بالغة في اجتياز الأراضي الجبلية الوعرة والوديان العميقة ذات المسالك الصعبة والممرات الجبلية الضيقة كل هذه كانت تؤثر على قادة الفتح الإسلامي مما يدفعهم بقبول الصلح ، والاكتفاء بدفع الجزية

من السكان المحليين .

نلاحظ من قراءتنا للروايتين ان الحملة الأولى بقيادة عبد الرحمن كانت حملة استطلاعية في مناطق واسعة وبدأت في سنة (١٥ هـ / ٦٣٦م - ١٨ هـ / ٦٣٩م) مهدت فيما بعد للحملات الإسلامية التي فتحت مناطق واسعة ومنها حملة عياض بن غنم في سنة (١٧ هـ / ٦٣٨م) ونحن بدورنا نرجح ان الحملة الرئيسية كانت حملة عياض بن غنم .

ويذكر المؤرخ جيوفند تفاصيل عن حملة المسلمين الأولى على أرمينية ، ان المسلمين بعد فتحهم لبلاد فراس زحفت جيوشهم على أرمينية ، فسقطت المدن والقرى التي يسكنها اغمار ، واقليم جوجش)

في سيوني ومدينة تقجوان في قبضتهم وغنموا غنائم كبير إضافة الى اعداد كبيرة من الاسرى من النساء والأطفال

والرجال ثم عبر المسلمون نهر الرس ، وبعد نجاحهم في عبور النهر انقسم جيش المسلمين الى قسمين القسم الأول تقاد الاسرى الى الدولة الإسلامية ، والقسم الثاني يواصل زحفه مكسحاً الأقاليم هناك . وقام ثيودور الرشيتوني بتجهيز جيش لمواجهة المسلمين ، فكنم جيش البيزنطي وراء التلال وسدوا الممرات الجبلية على جيش المسلمين وقتلوا اعداد كبيرة منهم (٧٢) .

وفي هذه الحملة لعبت التلال والممرات الجبلية دورا كبيرا اثرت على هذه الحملة فقد مني الجيش الإسلامي بعدد كبير من الشهداء وعدد كبير من الجرحى لعدم معرفتهم بجغرافية هذه المنطقة وكما ان العدو التي انتشرت في الممرات الجبلية . يخدمهم في ذلك معرفتهم بالطرق الجبلية ، وقد اثرت سلبا على سير الحملة وتأخيرها .

٢ . حملة عثمان بن ابي العاص : في سنة (١٩ هـ / ٦٤٠م) وجه عياض بن غنم الى أرمينيا عثمان بن ابي العاص ، فقاومه اهل البلاد ، واستشهد فيها صفوان بن المعطل السلمي احد قادة الحملة

وبعد ان حاصر جيش المسلمين مدينة الباب ، قدم قائد الحامية ويدعى (شهر براز) وقد طلب من القائد عبد الرحمن الصلح مقابل الجزية لقاء حماية المسلمين لهم ، ونقلها الى القائد سراقه ، وكذب سراقه الى الخليفة بذلك فأجازه وحسنه (٧٥) .

وبذلك فتح المسلمين باب الأبواب سنة (٢٢هـ / ٦٤٢م) وبعد فتح المدينة وجه سراقه قاداته لفتح المناطق المحيطة فوجه بكير بن عبد الله الى موقان ووجه حبيب بن مسلمة الى تفلنس ، ووجه حذيفة بن اسيد الى جبال اللان وسط القوقاز ، كما وجه سلمان بن ربيعة الى بلاد الخزر شمال الباب ، ومات سراقه في باب الأبواب وكان قد استخلف قبل موته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي فأمره عمر (رضي الله عنه) على ثغر الباب (٧٦) .

٤ . حملة وفتح سلمان بن ربيعة الباهلي :
نقض اهل أذربيجان صلحهم مع المسلمين سنة (٢٥هـ / ٦٤٥م) فغزاهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط والى الكوفة للخليفة عثمان (رضي الله عليه) ، اذ اغار على موقان وبرزند والطيلسان فطلب اهل أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة بن اليمان وهو ثمانمائة الف درهم وقبض المال (٧٧) .

الإسلامية ، وبعد ذلك صالحهم عثمان بن ابي العاص على الجزية على كل اهل بيت دينار (٧٣) .

وفي الرواية السابقة يرى ان القائد عثمان فضل الصلح وفرض الجزية على السكان بعد ان رأى مقاومة شديدة من عندهم متحصنين بالجبال والتلال ، واتخذوا من الممرات الجبلية طرق تقرب لضرب الجيش الإسلامي ، ولم تذكر المصادر الإسلامية تفاصيل عن حملة عثمان ويبدو ان هذه الحملة كانت اشبه بغارة لضرب الروم في عقر دارهم حتى لا يهاجموا المسلمين .

٣ . حملة سراقه بن عمرو : كلف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مهمة فتح مدينة باب الأبواب الى القائد سراقه بن عمرو الذي كان يلقب ب (ذي النور) وسبب هذه الحملة لفتح هذه المدينة لموقعها الحيوي أولاً ووضع حد لمقاومة البلاد المفتوحة في ايران وأذربيجان والقضاء على معاقلمهم في أرمينيا ، كما ان السيطرة على المدينة يعني السيطرة على المنفذ الرئيسي الذي يربط بين الجنوب الدولة الإسلامية وبين الشمال حيث الوثنيين (٧٤) .

سلك سراقه الطريق الساحلي لاذربيجان على بحر الخزر لانه اقصر الطرق ، وقدم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي من أذربيجان باتجاه الباب حيث تولى الميمنة للجيش كما امره الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالقائد حبيب بن مسلمة الفهري ،

وتوجه سلمان بن ربيعة الى أرمينيا في اثني عشر ألف مقاتل ، وعاد من حملته منتصرا الى الكوفة عن طريق الموصل فنزل عند حديثة الموصل قرب الزاب الأعلى ، وكان حبيب بن مسلمة الفهري على رأس اهل الشام ففتح مناطق عديدة من أرمينيا وكان سلمان بن ربيعة مساعده الأيمن فيها (٧٨) .

ارسل حبيب بن سلمة الى اران ففتح البيلقان وصالحهم على الجزية والخراج واتى سلمان مدينة بردعه فقاتل أهلها أياما ، وشن الغارات على قراها فصالحوا مثل صلح بيلقان ودخلها المسلمون ، كما وجه سلمان فرسانه ففتح رساتيق اران ثم وجه سرية من قواته الى شمکور ففتحها ، وصالح سلمان صاحب (شروان) وسائر ملوك الجبال واهل مسقط والشابران ومدينة باب الأبواب (٧٩)، وهكذا استعاد حبيب بن سلمة وسلمان بن ربيعة فتح مناطق شاسعة من أرمينيا وفتحوا معا مناطق جديدة لأول مرة وذلك في سنة (٢٥هـ/٦٤٥م) (٨٠) .

٥ . حملات حبيب بن مسلمة الفهري :

توجه حبيب بن مسلمة على رأس حملة متوجها الى مدينة شمشاط سنة (١٩هـ/٦٤٠م) في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ولما تولى عثمان بن عفان (رض الله عنه) (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٣-٦٥٥ م) امر بتوجيه حبيب بن مسلمة الى

أرمينيا ، فتحرك حبيب نحو أرمينيا على رأس جيش مؤلف من ستة الاف مقاتل وقيل ثمانية الاف من اهل الشام والجزيرة فوصل الى قاليقلا فخرج اليه اهل المدينة فقاتلهم حتى هربوا الى داخل المدينة فطلبوا الأمان على الجلاء او الجزية فخرج كثيرا منهم الى بلاد الروم ، واقام حبيب شهرا في المدينة حتى وصلته الاخبار ان بطريق أرمينيا قد جمع للمسلمين وتوجه بشانين الفا من الروم وانضم اليه اللان والخزر (٨١) .

ارسل حبيب كتاب الى الخليفة يطلب منه المدد ، فارسل له الخليفة المدد بقيادة سلمان بن ربيعة على رأس ثمانية الاف مقاتل (٨٢) . ولما تأخر قدوم المدد الى حبيب بن مسلمة ، وقد حشد له الروم ونزلوا على نهر الفرات ، هاجمهم حبيب مع جيشه فاجتاح مواقع الروم وقتل قائدهم الموريان فانهزم الروم والارمن (٨٣) وبعد انتهاء المعركة وصل المدد الى حبيب بن مسلمة ، وسار حبيب بجيشه فنزل (مربالا) فاتاه بطريق المدينة كتاب عياض بن غنم بأمانه فصالحهم حبيب وقبض ما عليهم من مال الجزية (٨٤) .

توجه حبيب الى العاصمة (دبل) وفي الطريق خرج بطارقة البلاد يطلبون الصلح والأمان ودفع الجزية وكان حبيب يعطيهم العهد والأمان على ذلك . حتى

وكان للعامل الجغرافي تأثيره الكبير على العديد من الحملات الإسلامية في بلاد القوقاز .

١ . قنبر ، محمد مال الله ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز والجزر حتى نهاية القرن الرابع للهجرة / العاشر الميلادي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الموصل ٢٠١٧ ، ص ١ .

٢ . ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ط ٩ ، بيروت ، (لبنان - ٢٠١٥) ج ٤ ، ص ٣٠٦ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٧٧ .

٣ . مه ت جوناتوقه ، تاريخ القوقاز ، ص ٧٣ .

٤ . ابن المنظور ، لسان العرب ، ج ، ص ٤٩٥ .

٥ . الرفاعي ، محمد بشار ، الفقاس او القوقاز الدليل التاريخي المصور ، ص ٧

٦ . عبد الرحمن محمد العبد الفني ، ارمينية وعلاقتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين (٣٣-٤٥٧م) ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ط ١ ، (الكويت - ١٩٨٩) ص ١٧

٧ . نهر الدون : نهر مهم في الجزء الجنوب الغربي من روسيا ينبع من بحيرة صغيرة بالقرب من تولا ويجري جنوبا لمسافة ١٠٩٦٣ كم حتى ينصب مياهه من بحر ازوف وتربط قناة بين نهرى الدون

بلغ السهل القريب للعاصمة ، كانت مدينة دبيل العاصمة تقع في منطقة وعرة المسالك تحيط بها الاودية السحيقة والجبال الشاهقة ، مما أدى الى إعاقة هذه الحملة والتأخر بفتحها إضافة الى اسوارها القوية والعالية بحيث يصعب على الجيوش الوصول اليها (٨٥) . فامر حبيب بجيشه وقسمهم الى سرايا ، وذلك لصعوبة وصول الجيش الى المدينة لوعرتها ولضيق المسالك وتقدمت السرايا وحاصرت المدينة ، وبعد ذلك قرر حبيب ان يرميهم بالمنجنيق واخذ يقذفهم كرات النفط المشتعلة وحدث حرائق في المدينة وخلف الاسرار ، ودبت الفوضى في صفوفهم ، واضطرت المدينة الى طلب الأمان والصلح ، فأعطاهم حبيب العهد والأمان (٨٦) وتشير المصادر الارمنية ان هذه الحملة وقعت سنة (٦٤٢ م) أي ما يعادل (٢٢٢هـ) .

ونرى مرد أخرى ان للطبيعة والعامل الجغرافي كان له الأثر في تأخر فتح مدينة دبيل لما تحيطها من جبال وعرة وصعبة المسالك مما دعى بالقائد حبيب الى تقسيم جيشه الى سرايا لكي تتمكن من اجتياز المسالك الضيقة الى المدينة .

وهناك العديد من الحملات الإسلامية باتجاه بلاد القوقاز في عصر الخلافة الراشدة والعصر الأموي والعصر العباسي ولكن لا يسعنا ذكرها هنا لكثرتها ،

١٠. والفولكا في منطقة لا يبعدان ٦٠ كم عن بعضهما .
١١. محمود مال الله قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز والجزر حتى نهاية القرن الرابع للهجرة ، والعاشر الميلادي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الموصل كلية الاداب ٢٠١٧ م ، ص ٢ .
١٢. محمد جمال ابيه زاد ، تاريخ القفقاس والجر كس ، ص ١٧ .
١٣. اللهبي ، عماد كامل مرعي ال ظاهر ، الامارات الإسلامية في بلاد القفقاس دراسة سياسية (٢٤٧-٤٦٨ هـ / ٨٦١-١٠٧٥ م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل / كلية الاداب ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ١٥ .
١٤. جيلان : وهي بلاد واسعة ، ليس فيها مدينة كبيرة مشهورة انما هي قرى منتشرة في مروج بين الجبال ، ياقوت الجوي ، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٠٥
١٥. السري : وهي مملكة من ممالك التي تقع في جبال القفقاس يدعى ملكها فيلان شاه ، يدين أهلها بالنصرانية ، وهي من الممالك التي انشأها انوشيروان بعد سيطرته على ارمينية ، المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسن ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد اللحام ،
١٦. ط١، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت ، ٢٠٠٠ م) ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
١٧. الخز : اقوام تركية نزحت من أواسط اسيا ، واستقرت شمال جبل القفقاس ، اللهبي ، عماد كامل ، العلاقات العربية الخزرية حتى نهاية العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل (٢٠٠٢ م) ص ١٤٦ .
١٨. اللهبي عماد كامل ، الامارات الإسلامية ، ص ١٥-١٦ .
١٩. ميكل ، جغرافية الإسلام البشرية ، ص ٧٤ .
٢٠. بروج سكموغ ، الشركس في فجر التاريخ ، ص ١٦٥ .
٢١. جونا توفه تاريخ القوقاز ، ص ١١ .
٢٢. امين سكموغ ، مدخل الى تاريخ الشراكسة ، ص ٣١ .
٢٣. ارارات ، من اصل الكلمة القديمة (اوراطو) وهي كلمة ارامية قديمة تعني (ساكني الجبال) ومن تسمية اوراطو جاءت تسمية ارارات ، كما ان كلمة (ارا) تعني النار ، ولذا فارارات تعني جبل النار ، لم كان يقذفه في العصور الغابرة من مواد بركانية مشتعلة ، وقد ورد في القرآن الكريم باسم)

- جبل جودي (اديب السيد ، أرمينيا في التاريخ العربي، ص٢٤ .
١٩. الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢٥/١ .
٢٠. واثق محمد براك ، التوجهات الانفصالية المعاصرة ، في القوقاز ، (مجلة اداب الرافيدين) ، سنة ٢٠١١ ، عدد ٥٩ ، ص ٣٥٥ .
٢١. احسن التقاسيم ، ص ٣٧٥ .
٢٢. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
٢٣. الحديدي ، أكرم بلال محمود ، أذربيجان في القرنين الثامن و التاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، أطروحة غير منشورة ، كلية الاداب / جامعة الموصل ، ٢٠١٨ ، ص ٩ .
٢٤. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ٧ .
٢٥. الاصطخري ، المسالك ، والممالك ، ص ١٩٠ .
٢٦. القزويني ، اثار البلاد ، ص ٤٩٣ .
٢٧. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ١ ، ص ١٣٦ .
٢٨. بردعة : وهي بلد في اقصى الشمال الشرقي لاذربيجان وهي معرب من برده دار ، ومعناه بالفارسية موضع السبي ، وقيل بردعة قصبة
- أذربيجان ، وبردعة هي مدينة اران ، وهي اخر حدود أذربيجان ، وكانت مدينة كبيرة مزدهرة الى ان أصابها الخراب نتيجة الحروب وأصبحت قرية صغيرة . ياقوت الحموي ، ج ١ ، ص ٣٧٩-٣٨١ .
٢٩. الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ١٨٥ .
٣٠. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ٨ .
٣١. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ٨ .
٣٢. المصدر نفسه ، ص ١٠ .
٣٣. المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٢ .
٣٤. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٤ .
٣٥. المستوفي ، حمد الله بن ابي بكر بن احمد القزويني ، نزهة القلوب ، تحقيق ، كي لستريج ، (لندن ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) ، ص ٧٥ ، الحديدي ، أذربيجان في القرنين الثامن والتاسع الهجري ص ١٢ .

٣٦. إسكندر ، فايز نجيب ، الحياة الاقتصادية
في ارمينية ابان الفتح الإسلامية ، دار الفكر
الجامعية ، (اسكندرية - ٢٠٠٣) ، ص ٩ .
٣٧. بحيرة سيفان : او سيوان او حمام او
جوكشاي تكتيز أي البحيرة الزرقاء ، باللغة التركية
ويقع شمال ارمينية ، وتتميز بعذوبة مياهها ،
عكس بحيرة وان ذات المياه المالحة تبلغ مساحتها
١٤١٥ كم^٢ ، وترتفع عن سطح البحر بنحو ستة
الاف قدم ، الاصطخري ، مسالك الممالك
، ص ١٨٩ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٨٠ .
٣٨. إسكندر ، الحياة الاقتصادية في ارمينية ،
ص ١٠- ١١ .
٣٩. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ١١ .
٤٠. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ص ١١
، ينظر محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ،
ص ١٠- ١١ .
٤١. جمال رشيد احمد ، لقاء الكرد واللان ،
ص ٣١ .
٤٢. ميكيل ، جغرافية دار السلام ،
ج ٢ ، ص ٢١- ٢٢ .
٤٣. ميكيل ، جغرافية دار السلام ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
٤٤. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص
١٢- ١٣ .
٤٥. ابة زاو ، محمد جمال ، موسوعة تاريخ
القوقاز ، ص ٢٤٧ .
٤٦. المصدر نفسه ، ص ٢٨- ٢٩ .
٤٧. مروان المدور ، الأرمن عبر التاريخ ، ص ٧١
٤٨. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص
١٤ .
٤٩. اديب اسكندر ، أرمينيا في التاريخ العربي ،
ص ٢٤ ، إسكندر ، الفتوحات الإسلامية في
أرمينيا ، ص ٧١ ، هامش ٣ .
٥٠. محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ،
ص ١٢ .
٥١. قنبر ، الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ١٥
، محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ، ص ١٢ .
٥٢. مروان المدور ، الأرمن عبر التاريخ ، ص ٧١ .
٥٣. محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ،
ص ١٢ .
٥٤. مروان المدور ، الأرمن عبر التاريخ ، ص
٧١ .

٥٥. قنبر الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ١٥
٦٩. محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ، ص ٥٨ .
٥٦. محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ، ص ١٤ .
٧٠. اديب اسكندر ، ارمينية في التاريخ العربي ط١ ، ١٩٧٢ ، ص ٥ .
٥٧. المسعودي ، التنمية والاشراف ، ص ٦٢
٧١. اسكندر ، فايز نجيب ، الفتوحات الإسلامية لارمينيا (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) كلية الاداب ، جامعة الزقازيق (مصر ١٩٨٣) ج١ ، المقدمة (ط) .
٥٨. ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ٩٠ .
٥٩. محمود شيت خطاب فتوح أرمينيا ، ص ١٥ .
٦٠. قنبر الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ١٧ .
٧٢. المصدر نفسة ، المقدمة (ط) .
٦١. جمال ابيه زاو ، موسوعة تاريخ القفقاس ، ص ٢٩ .
٧٣. إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لارمينيا ، المقدمة ط
٦٢. قنبر الحياة الدينية في بلاد القوقاز ، ص ١٨ .
٧٤. محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ، ص ٥٢ .
٦٣. يوسف عزت ، تاريخ القوقاز ، ص ١٢٢ .
٧٥. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص ٥٤ .
٦٤. قنبر ، المصدر السابق ، ص ١٨ ؛ جمال ابن زاو ، موسوعة تاريخ القوقاز ، ص ٤٩ .
٧٦. الطبري ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٥٤١ ؛ قنبر ، الحياة الدينية ، ص ١٦٩ .
٦٥. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٤٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص ٣٥٨ .
٧٧. محمود شيت خطاب ، فتوح ارمينية ، ص ٦٢ .
٦٦. فايز نجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لأرمينيا ، ص ٣٧ .
٧٨. ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص ٤٥٧ .
٦٧. إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لأرمينية ، ص ٣٤ .
٧٩. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص ٤٥٩ .
٦٨. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص ٤٨٤ .

٨٠. محمود شيت خطاب ، فتوح أرمينيا ،

ص٦٨ .

٨١. ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٤٥٧ .

٨٢. قنبر ، الحياة الدينية ، ص١٧٠ .

٨٣. ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٤٥٧ .

٨٤. المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

٨٥. اديب السيد ، أرمينيا في التاريخ العربي ،

ص٥٩ .

٨٦. اديب السيد ، أرمينيا في التاريخ العربي ،

تجار العراق ودورهم في الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي

د . سري ممتاز عبدالله

الملخص

كان المجتمع العباسي يتكون من طبقتين احدهما خاصة/ تتالف من الخلفاء والامراء وكبار الموظفين والاشراف والاخرى العامة، وتضم عامة الناس وساده الاعظم وقد توصلنا الى ان التجار كانوا ينتمون الى الطبقة العامة الامن امل السار والثورة منهم اعتبروا في الطبقة الخاصة.

تمتع بعض التجار بحياة اجتماعية راقية وكان لهم نفوذ اجتماعي كبير مماثل لنفوذهم السياسي فضلا عن حياتهم الاجتماعية الكريمة التي دفعتهم الى ان تنافسوا في مظاهر الترف والبذخ مع الخلفاء والوزراء ويبدو هذا واضحا من خلال الاطلاع على منازلهم وانواع الاطعمة التي حرصوا على تناولها ومظاهر البذخ في المناسبات الخاصة بهم وهذا طبعا بسبب الثراء الواسع الذي وصلوا اليه وجعلهم من علية القوم

The dealers of Iraq and their role in the social life in the third and fourth centuries A-H /ninth and tenth A.D.

Dr. Sora Mumtaz Abdullah.

Abstract

The Abbasid community consisted of two classes, the first is the upper class, consist of caliphs, emirs, senior staff and high class people. The second class consist of the public people and its greatest blackness. So, we find out that the leaders belong to the public people but most of them who are wealthy. Owners considered from upper class. Most of them have a good standard of living and a higher social position just like their political position. So, their well being social living make them in competition with caliphs and ministers regarding a living in luxury, And that was very clearly from their house, the kind of food that they used to have it and their luxurious occasions and all of that certainly return to their big wealth which they can get it and that make them from the upper class people.

المقدمة

أتباع السلطان، الذين اعترف بعضهم " بفضيلة التجار،

عدت التجارة من أهم النشاطات

وتمنوا حالهم وحكموا لهم بسلامة الدين وطيب

الاقتصادية في العراق والتي كانت سائدة في تلك المدة،

الطعمة، وعلموا انهم اروع الناس، واهناهم عيشاً،

إذ كانت تفضل على غيرها من النشاطات وذلك

وآمنهم سرّاً " ومما أضفى مزيداً من الأهمية على هذه

لمردودها المالي الكبير، واستغل التجار مهاراتهم

الفئة، أن نسبة كبيرة منها اشتغلت بالفقه، حيث

التجارية في إنماء أحوالهم فكانوا يسافرون مستثمرين

شكل هؤلاء نسبة (٦٦,٦%) من مجموع الفقهاء في

أموالهم في تصريف بضاعتهم، مما أدى إلى نشوء فئة من

القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد ، ومن هنا تبين

التجار تمتلك اموالاً طائلة ومكانة اجتماعية كبيرة.

لنا المكانة المرموقة التي شغلها التجار في تلك الفترة ،

ذلك أن الوزراء والامراء وأصحاب النفوذ كانوا يقبلون

بشهادة بعض كبار موظفي الدولة.

على البضائع الثمينة والنقيسة، التي يعرضها التجار،

فإنهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون

فضلاً عن حاجة الناس وسكان المدن لخدماتهم وقد

حالهم، ويحكمون لهم بالسلامة في الدين، وطيب

وضع الجاحظ رسالته المعروفة، " في مدح التجار وذم

الطعمة، ويعلمون أنهم أودع الناس بدناً واهنؤهم

عمل السلطان "، يدافع فيها عن وظيفة التجار

عيشاً، وآمنهم سرّياً، لأنهم في أمينهم كالمملوك على

الاجتماعية، وما تضيفه عليهم من مركز اجتماعي أمام

اسرتهم يرغب إليهم أهل الحاجات، وينزع اليهم

ملتسمو البيان، للذلة في مكاسبهم ، ولا يستعبدهم
 في حفلات أحد تجار البزّ في بغداد، فيقول في وصف
 مجلس المنادمة: (ثم نقلنا إلى مجلس المنادمة، فإذا
 الضرع لمعاملاتهم.

اولاً: حياة التجار الإجتماعية:

نتيجة للدور الكبير الذي لعبه التجار في
 أقداحاً فخرجت علينا جارية كأنها غصن بان في
 العصر العباسي ولاسيما في الحياة الاقتصادية
 غاية الظرف وحسن الهيئة^(٢) وقد تمثل هذا الرخاء
 والاجتماعية والسياسية وبسبب كثرة أموالهم
 بتبذير الأموال وبناء البيوت الفخمة وتأثيرها بالآثار
 وثرواتهم، فقد زهت حياتهم التي اتصفت بالرخاء
 المميزة الباهظة الثمن^(٤).

ورغد العيش^(١)، فلم يكن الخلفاء والوزراء وحدهم
 ولقد تفاوتت دور عامة الناس في بغداد في
 الذين أفردوا برغد العيش ونعيم الحياة، بل شاركهم
 حجمها وفخامتها تبعاً للمستوى المادي، فقامت دور
 فئة التجار الكبار بملذات الحياة، بل إن هؤلاء فاقوا
 فخمة عاش فيها الأغنياء من التجار وكبار الموظفين
 وأصحاب المهن البارزة وكبار الشعراء وأرباب
 الخلفاء في غلوهم في اللهو والطرب، ذلك أن مجالس
 الخلفاء تقتضي الحشمة والوقار^(٢)، إذ جلس إبراهيم

بن المهدي ذات يوم يحدث الخليفة المأمون عما شاهده

(٢) ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب

ومعادن الجواهر، اعتنى به وراجعته كمال حسني مرعي،

(بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨) ١١/٤.

(٤) فهيم عبد الرزاق سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث

والرابع الهجريين، (بيروت، الاهلية، ١٩٨٣)

(١) عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة، (بيروت،

دار العرب الإسلامية، ٢٠٠٧م) ١٤١.

(٢) حسين علي المسري، تجارة العراق في العصر العباسي،

(الكويت، د. م، ١٩٨٢م) ٨٠.

الفنون^(١)، وكان التجار يبالغون في دفع مبالغ مالية كبيرة فقراء العامة لا يملكون الحمامات في منازلهم^(٤)،
 من أجل شراء بيوت خاصة بهم إذ أن التاجر دعلج،
 اشترى دار العباسية في بغداد بثلاثين ألف دينار،
 وكان يتفاخر بداره وبسعتها، وأنه لا يوجد مثلها،
 وهذا دلالة على سعة البيوت حيث قال: (ليس في
 الدنيا مثل داري...)^(٢) ولقد حرص التجار على
 إقامة الحمامات في منازلهم، وكانت هذه الظاهرة أي
 بناء الحمامات في المنازل، حكراً على الوزراء والكُتاب
 وكبار التجار والأغنياء،^(٣) في الوقت الذي كان فيه
 البيوت^(٥).
 وكانت البيوت تجهز بدهاليز تؤلف جزءاً من
 البيت، وربما أقيمت تحت البناء أيضاً، ويستعملها
 الأثرياء والتجار لإخفاء أشياءهم الثمينة داخلها، وربما
 كان للدهليز وظيفة سكنية، فهو جزء من المسكن ولم
 يكن جزءاً تزيينياً فقط، بل كان له مهمة أمنية وصحية،

(١) رمزية الاطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد حتى نهاية
 العصر العباسي الأول، (بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٢م)
 ٢١٦.

(٢) المرجع نفسه، ٢١٦.

(٣) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ
 بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر، (بيروت، دار الكتب
 العلمية، ١٩٩٧) ٤٢/٨.

(٤) أبو الحسن هلال بن الحسن الصابي، رسوم دار الخلافة،
 ميخائيل عواد، (بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦) ٢١.
 (٥) محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمداني، تكملة تاريخ
 الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، ط٣، (القاهرة، دار
 المعارف، ١٩٦٧) ١٠٧-١٠٨.

- ولاشك بأن الدهليز كان يستخدم للنوم، فقد طلب
أحد أبطال الجاحظ النوم في دهليز أحد البخلاء.^(١)
- ولقد وصل التجار إلى منزلة إجتماعية
عالية في السلم الاجتماعي، وصاروا يسكنون في
إحياء راقية لا يسكنها إلا عليّة القوم، ولقد توزعت
مساكن التجار في أنحاء البلاد المختلفة وفي بغداد،
واشتهرت محلة باب المراتب وهي في الجانب الشرقي
من بغداد، بأنها ضمت منازل أكابر التجار،
والأشراف، وامتازت مساكن التجار فيها بفخامتها^(٢)،
كما أحاطت منازل التجار ضفاف الانهار وعند نهر
كرخايا سمي الفرع من النهر باسم نهر الدجاج لأنه كان
- يباع فيه الدجاج^(٣)، وسكن بعض التجار في قطعة
الربيع، إذ قامت في قطعة الربيع من الكرخ سوق
البزازين وتجارها من خراسان، وخلف قطعة الربيع^(٤)
قامت منازل التجار وأخلاق الناس من كل بلد، وكان
كل درب فيها يعرف بأهله، وكل سكة بمن فيها^(٥).
- كما اشتهرت محلة درب سليمان في الرصافة
إذ يقول ابن الجوزي "... ودرب سليمان في الرصافة
-
- (١) ابن يعقوب جعفر بن وهب بن واضح يعقوبي، البلدان،
(بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)
- ٢٤٥-٢٤٦.
- (٢) قطعة الربيع: وهي منسوبة إلى الربيع بن يونس حاجب
المنصور ومولاه وهو والد الفضل وزير المنصور وكانت
قطعة الربيع بالكرخ مزارع للناس في قرية يقال لها
بساوري من أعمال بادوريا وهما قطعتان خارجة
وداخلية، فالداخلية أقطعة أياها المنصور والخارجية
أقطعة أياها المهدي وكان التجار يسكنونها حتى
صارت ملكاً لهم دون ولد الربيع. الخطيب، تاريخ
بغداد، ٨٨/١، ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٧/٤.
- (٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨٠/١.
-
- (١) ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه
الحاجري، (الثاهرة، دار المعارف، ١٩٣١)
- ٣٩.
- (٢) شهاب الدين ابي عبدالله بن عبد الله ياقوت الحموي،
معجم البلدان، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٦)
- ٣١٢/١.

حضارياً واجتماعياً مهماً لأي فئة كانت، فقد كان	إن سكن التجار في هذه المحال الخاصة بهم،
البغداديون سباقين في هذا الجانب، إذ كانوا يولون	يدل على المستوى الاجتماعي الجيد الذي وصل إليه
الاهتمام الكبير بظهورهم في الأعياد، وفي الأيام	التجار نتيجة للثروات التي جنوها فأقاموا في محال لا
العادية ^(٤) . وقد أشار الجاحظ إلى بعض أنواع الألبسة	يقيم فيها إلا الأغنياء .
التي يرتديها الناس على إختلاف طبقاتهم، فيقول:	ولم يتوقف إهتمام التجار بمظاهر حياتهم
(والخلفاء عمة وللقضاة عمة، وللبقالن عمة،	الاجتماعية عند هذا الحد إنما حرصوا على الاعتناء

وللأعراب عمة،^(٥)

(١) المصدر نفسه، ١/٨٠.

(٢) الزعفران: وهي من أحياء كرخ بغداد سكنها أعيان التجار، وأرباب الأموال وربما سكنها الفقهاء. ياقوت، معجم البلدان، ٤٤٨/٣.

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، مناقب بغداد، تحقيق محمد بهجت الأثري البغدادي، (بغداد، د. ١٩٢٣) ٢٨.

(٤) نوفل محمد نوري: الأعياد والمناسبات ووسائل الترفيه في بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٦م، ٢٦.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، (بيروت، دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م)، ٣/٦٠.

وتختلف أزياء الناس بحسب مكاتهم الجنين فيغطي نصف الوجه، وأما النعل، فكان لبسه
الاجتماعية ومستوى دخلهم، فأغنياء بغداد وتجارها يعد من مظاهر الزينة وكانت الطبقة الغنية تكثر من
لبسه^(٤)، وكان بعض التجار يرتدون قميصين ورداء فوق السراويل، وعليه فقد كان للتجار زي خاص^(٥)
زي خاص^(٦)، يتكون من رداء وطيلسان^(٣)، ونعال، فالرداء قطعة كبيرة، يلبس في ظاهر البدن وتكون
الأردية عادة ملونة، وأما الطيلسان فهو ضرب من الأكسية، وهو عبارة عن كساء مدور أسود سداه من
صوف يوضع فوق الكتف أو فوق الرأس ويتدلى على وأكمامها قصيرة تصل إلى أعلى المرافق^(٦)، كما لبسوا

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١١٦/١٠.

(٢) أبو علي الحسن بن علي التنوخي، نشوار الحضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عيود الثالجي، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٣)،

١٥٧/١.

(٣) صلاح حسين العبيدي: الملابس في العصر العباسي، (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠)، ٦٣؛ وينظر:

عمار حربي علاوي الجميلي: التجار مكاتهم ومساهماتهم الحضارية في الدولة العربية الاسلامية (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٤٩-١٠٥٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠٠٤، ١٥٩.

(٤) آدم متز، الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع

المجري، أعد فهارسه رفعت البدرأوي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٤٨، ٢/٢٢٣.

(٥) التنوخي، نشوار الحضرة، ٦٧/١.

(٦) رينهارد دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، (بغداد، دار الحرية للطباعة ١٩٧١م)، ١٠٧.

القلانس الطويلة^(١)، وعرف البزازون بزي خاص بهم
 الثياب فجاءته امرأة تريد ثياباً فاخرة، فأحبها التاجر
^(٢)، أما الصيارفة فكان لباسهم يتناسب مع عملهم،
 في الحال من حسن كلامها وجمال شكلها، وعندما
 جاء لها بالثياب، وخطبها من نفسها فرضيت ثم ظهر
 إذا كانوا يرتدون الجبة ذات الأكماس الواسعة التي يبلغ
 عرضها نحو ثلاثة أشبار وهي بمثابة الجيوب التي تحفظ
 أنها مملوكة أم المقتدر بالله (شغب)، وهي من أخص
 جواربها، فلما رأت منه ما يعجبها قالت للمرأة: " ما
 فيها الرقاع"^(٣)، ويبدو أن طبيعة الأعمال التي زاولها
 أصحاب المهن آنذاك، فرضت عليهم أنواع من الملابس
 التي تتلائم مع طبيعة عملهم.

وكان التجار يهتمون بمظاهر وتقاليدهم الزواج
 وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة المقتدر بالله، فإذا
 كباقي فئات المجتمع بدءاً من الخطبة وإنتهاءً بوليمة
 هو جالس والقادة والقضاة، فسلم عليهم ووقف فتقدم
 العرس، ويصف لنا ابن الجوزي^(٤) في رواية له عن زواج
 المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين فخطب له
 أحد التجار: أنه كان لأحد التجار محل وكان يبيع فيه
 وزوجته، فلما صار في بعض الدهاليز قريباً من الباب
 عدل به على دار عظيمة مفروشة بأنواع الفرش

الفاخرة، وطعام عظيم وهم يقولون:

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك،
 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٦، (القاهرة، دار المعارف،
 ١٩٦٧) ١٧/٩.

(٢) ابن الجوزي، الأذكياء، ط٣، (بيروت، المكتب التجاري
 للطباعة والنشر، د.ت) ١٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ١٩٠.

(٤) المنتظم، ٢٥٥/٦-٢٥٦.

" الليلة تزف فلانة باسم صاحبتني إلى زوجها البزاز "

مظاهر المباهاة والترف كما يقول التنوخي^(٣) على لسان

(١) احد الأشخاص. "... فدلني بعضهم على قبة

وبعد ليلة العرس بأسبوع أقيمت وليمة كبيرة

عظيمة، لقوم من التجار المياسير، وقد ماتت زوجته

اجتمع فيها الجوّاري^(٢)، ويبدو واضحاً من هذه الرواية

ويريد دفنها بالقبر، وقد حفر لها ". ويبدو أن ظاهرة

المكانة الاجتماعية الراقية التي وصل إليها بعض التجار

بناء القبة فوق الضريح كانت منتشرة عند المياسير في

ويبدو ذلك من اطراء أم المقتدر على حسن خلق

هذه المدة، إلا أن قبور الفقراء لم تكن على مثل هذه

ذلك التاجر واهتمام الخليفة المقتدر بالاعداد لحفلة

الشالكة بل كانت مشيدة

زواجه.

من اللبن قريبة من الأرض لا يظهر عليها أثر التعالي^(٤).

ويبدو أن ظاهرة الترف والبذخ لدى التجار

أما فيما يخص إهتمام التجار بأنواع الأطعمة،

لم تقف عن حد المظاهر الدنيوية فحسب، بل إمتد

فيبدو أن التجار لم يكونوا يتناولون وجبة الغداء في

هذا البذخ والإسراف في بعض الأحيان حتى بعد وفاة

منازلهم طيلة أيام الأسبوع بل إنهم يتناولونها في محل

أحدهم، وهذا ما نجده في بعض مقابر التجار

عملهم عدا يوم الجمعة، فيصنع لهم طعام خاص، وكان

والأغنياء في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي،

حيث نلاحظ إقامة القباب العالية على القبور وهي من

(٣) المصدر نفسه، ١٢٢/٥.

(١) المصدر نفسه، ٢٥٥/٦-٢٥٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٦/٧.

(٢) المصدر نفسه، ٢٥٥/٦-٢٥٦.

أكثر التجار سائرين على هذه الطريقة، حيث يحمل هذه الرائحة الطيبة، وكان من ضمن ما وضع على المائدة، بوصف أحد الجالسين "خبز نظيف وأتوا إليهم خدمهم الطعام في هذا اليوم^(١).

واهتم التجار بتقديم أنواع خاصة من الأطعمة^(٢)، إذ يذكر أحد الأشخاص أنه حضر عند صديق له من التجار وقد أقام دعوة وأنفق فيها مائة ألف دينار، وقد قدم على مائدته ديكبريكة^(٣) وبسبب حالة الترف والرخاء والبذخ التي كان يعيشها التجار، فقد كانوا يبالغون في الدعوات، إذ أن تاجراً دعى أصحابه، وكانت رائحة الابازير^(٤)، تفوح من الشبابيك، مما جعل الماشي يشم رائحته ويعجب من على صاحبته ثلاثة آلاف دينار، حتى أتى على

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ١١٢/٥.

(٢) المصدر نفسه، ١٧٧/٤.

(٣) ديكبريكة: طعام مكون من اللحم والحمص والخل، وقد يحلى بالسكر وقد ورد ما يدل على أن الديكبريكة كانت من طعام الخلفاء وكبار القوم والأغنياء ويبدو أنها كانت كثيرة الزفر والدهن. ابن الجوزي، المنتظم، ٢٥٤/٦-٢٦٠.

(٤) الابازير: ما يطيب به الطعام. ابراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ٨٢/١.

(٥) التنوخي، المستجاد من فعل الأجواد، تحقيق محمد كرد علي، (دمشق، الجمع العلمي العربي، ١٩٤٦م) ٥٥.

ثروته^(١)، وأنفق أحد التجار البغداديين مال تجارته وثمة سؤال قد يتبادر إلى الأذهان بعد أن عرفنا حياة البذخ والترف التي كان يعيشها التجار في المجتمع العباسي، هل أن الثراء الكبير الذي فيه هذه الفئة كان يؤثر على حياة الفئات الأخرى في المجتمع العباسي؟ والجواب على هذا السؤال، من المؤكد ما كان لحياة الترف التي يعيشها التجار من تأثير كبير على حياة فئات المجتمع الأخرى، خاصة ذوي الدخل المحدود، إذ أنها لم تستطع الصمود أمام هذا التيار الجارف، وقد حاولت بعض هذه الفئات أن تعيش حياة التجار ورفاهيتهم، وكان لهذا التقليد مردوده السيئ على المجتمع إذ كثر شرب الخمر، وارتكاب

البرذون^(٢) الفاره المزين بالفضة، ويزينون مجالسهم بالرياحين^(٣). وهذا يعني أن بعض التجار كان يمتلك من الأموال والثروات ما يضاهي ملك خلفاء بني العباس، وأمرائهم ووزرائهم، وهذا قد يربك اقتصاد الدولة من حيث حصر الثروات بأيدي فئات قليلة من المجتمع.

المفاسد^(٤)، ووصف الجاحظ التفاوت الكبير في طبقات المجتمع وانحصار الثروات والأموال بيد التجار قياساً إلى الفئات الأخرى، فقال "لم أر شواهاً قط بلغ

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ١٧٨-١٨٧.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ٣٨٤/٢-٣٨٥.

(٣) البرذون: هو نوع من الخيول المدجنة غير العربية. أبو

الحسن علي بن اسماعيل النحوي المعروف بابن سيدة:

المخصص، تحقيق خليل إبراهيم، (بيروت، دار احياء

التراث العربي، ١٩٩٦م)، ٩٧/٢.

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ٣٨٤/٢-٣٨٥.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ٣٤٣/٢.

حال اليسر والثروة، وكذلك شراب الدين، والطيان،
والحرث، وكذلك ما صغر من التجارات
والصناعات، ألا ترون أن الأموال أكثر ما تكون عند
الكتاب وأصحاب الجواهر، وأصحاب الوشي وعند
الصيارفة والخياطين، وعند البحري والبصري،
والجلاب، والبيازرة، أيسر من يتاع منهم^(١) ومثلما
كان لأهل الأسواق دورهم المتميز في الحياة الاقتصادية،
فقد كان لهم دور في الحياة الاجتماعية وهو لا يقل
أهمية عن دورهم الذي كان في الجانب الاقتصادي.
وفي الأعياد، كان للتجار دور اجتماعي عظيم،
فكانوا يستعدون لقدمها أفضل استعداد، فمن
عاداتهم وتقاليدهم ما كانوا يحدثونه في عيد النوروز،
إذ شكل مناسبة دينية واجتماعية يحتفل بها المسلمون

وأهل الذمة أزهى احتفال. ومن تقاليد أهل السوق
في الاحتفال بهذا العيد رش الماء على المارة بما فيهم
الجند والشرطة، مما أدى إلى إصدار الخلافة أمراً
بالغائها وذلك في سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) فنودي بالسوق
في ذلك، ولكن بسبب كونها من التقاليد القديمة التي
تعود الناس عليها، فقد عاودوها فيما بعد^(٢). ولقد
أسهم أهل الأسواق بالاحتفالات ببعض الأعياد التي
جرت العادة على الاحتفال بها في العصر البويهي، فلقد
أحتفلت بغداد بعيد الغدير^(٣) إحتفالاً كبيراً، ساهمت
فيه الأسواق فكانت تفتح في الليل، ويجري فيها مراسم

(١) الطبري، تاريخ، ٣٥/١٠.

١. (٢) عيد الغدير: وهو عيد خاص بالشيعة، وسبب
اتخاذهم له مؤاخاة النبي ﷺ لعلي عليه السلام يوم غديرهم، وهو
غدير على ثلاثة أميال من الجحضة يسرة الطريق تصب
فيه عين وحوله له شجر كثير وهي التي تسمى خمًا.
للمزيد ينظر: أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى
في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب، (بيروت،
دار الكتب العلمية، ١٩٨٧) ٢/٤٤٤-٤٤٥.

(١) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون،
(القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،
١٩٤٥)، ٥٤١-٥٤٢.

الإحتفال^(١) . إما إحتفال التجار بموسم الحج فله سمة
عرض الأجود من بضائعهم، والترويج والإعلان المسبق
خاصة وإحتفالية رائعة فيعملون على تزيين الاسواق
بهذه الطريقة الجميلة .
وتزيين محالهم التجارية وحتى الشوارع المحيطة بها
استقبالاً للحجاج وتوديعاً لهم^(٢) فكانوا يهيئون
المواكب لاستقبال الحجيج^(٣) ويضربون لهم القباب،
ويلبسون الحلبي والثياب الثمينة ويظهرون الفرح
والسرور شأنهم شأن باقي أهل السوق^(٤)، وربما
تكون طريقة إحتفالهم بهذا القدر من الترحيب
والحفاوة والسرور هو أحد الأساليب في استمالة
الناس، بما فيهم الحجاج للشراء والتبضع من طريق
السلام لذلك السرور والفرح ونشروا الزينة في الأسواق،
وأخرجوا الثياب والحلي والجواهر، ونصبت القباب في

(١) أحمد مختار العبادي: دراسات في التاريخ العباسي

والفاطمي، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١م)،

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٣/٦ .

(٣)، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني : **الأغاني**،

(القاهرة، دار الكتب، ١٩٦٣)، ٣٤٥/١٨ .

(٤) عريب، الصلة، ١٣٥/١١ .

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٠٩/٦-٢١٨

الشوارع" ^(١). واستبشر أهل أسواق العاصمة برجوع الخليفة المتقي لله إلى بغداد بعد غياب دام أكثر من سنة، فنصبوا القباب بباب الطاق تعبيراً عن تأييدهم وإبتهاجهم بعودة الخليفة إلى عاصمة ملكه ^(٢). وشارك أهل الأسواق في الاحتفالات التي كانت تقيمها الدولة في بعض المناسبات للأحتفال بقدم أمير بويه، إذ أحتفل أهالي بغداد وزينت الأسواق سنة (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) لقدم الأمير عضد الدولة إلى بغداد ^(٣)، وتم هذا الاحتفال بحضور الخليفة الطائع.

ووصل التجار في مركزهم الاجتماعي إلى الحد الذي أصبحوا فيه من المدعويين في الحفلات التي

كان يقيمها الخلفاء والأمراء ^(٤)، وإذا زار أحدهم الوزير علي بن الفرات، أمر بعض غلمانه بإيصال التاجر إلى داره إكراماً له ^(٥)، كما أن الوزير كان يوصي بانجاز معاملاتهم ^(٦) وكانت لهم مخاطبات خاصة ^(٧)، وربما هذا ما جعلهم يشاركون في اختيار الخلفاء الجدد ^(٨).

كما شارك التجار في المناسبات الحزنية، الدينية والاجتماعية، ولهم تقاليدهم الخاصة التي يعبرون من خلالها عن مشاعرهم. ومن هذه المناسبات يوم العاشر من محرم، يوم استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام، فكانوا يغلقون أسواقهم وينصبون

(١) المصدر نفسه والصفحة

(٢) الصابي، الوزراء، ١١٢.

(٣) المصدر نفسه الصفحة

(٤) المصدر نفسه الصفحة

(٥) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، ط١، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧)

(١) المصدر نفسه، ٦/ ١١٧

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: اخبار الرازي والمتقي عنيه بنشره ج هيروث، (بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩)، ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه والصفحة

- القباب ويعطلون البيع^(١)، إلا أن الدولة في بعض السنين^(٤)، كما أن معالم الحزن سادت أسواق التجار ومحالهم،
- منعت المشاركة في الاحتفال بهذا اليوم تحسباً من عند وفاة بعض الشخصيات المؤثرة في نفوس الناس من
- حدوث أي طارئ ولا سيما إذا كان الحال غير مستقر العلماء والزهاد . فكان التجار يغلقون أسواقهم ويعلنون
- وهناك حالات تضرر وعصيان . مثلما حدث في سنة الحداد معبرين عن حزنهم . ففي سنة
- (٣٣٨هـ/٩٩٣م)، حينما منع الوزير أبو الحسن الكوكبي (٢٧٥هـ/٨٨٧م)، أغلقت الأسواق حداداً على وفاة
- (٢)، أهل السوق من إداء ما تعودوا عليه بهذه الزاهد الجليل أحمد بن محمد^(٥)، كما أعلن أهل
- المناسبة^(٣)، وكذلك تكرر هذا الحال في سنة السوق حدادهم بوفاة الزاهد أبي الحسن الحربي^(٦)،
- (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، عندما منع عميد الجيوش أبو علي إن مشاعر الحزن هذه كانت نابعة من الأثر الطيب
- بن أبي جعفر أهل الكرخ من المشاركة بهذه المناسبة الذي تركه هؤلاء العلماء والزهاد في نفوس الناس من

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٥/٧ .

(٢) أبو الحسن الكوكبي: علي بن محمد بن المعلم الكوكبي، وزير الخليفة القادر بالله، يعرف بابن المعلم . ابن اعز الدين أبو الحسن بن أبي كرم ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٦) ١٥٩/٧ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة ؛ ينظر : إقبال أحمد زكريا العزاوي: أثر الأسواق في الحياة العامة في العصر العباسي (دراسة في دور السوق السياسي والاجتماعي والفكري)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠٠٢ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٢/٧ .

(٥) أحمد بن محمد: (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، بن غالب البصري، الزاهد المعروف، سكن بغداد، كان فصيحا عالماً .

الخطيب، تاريخ بغداد، ٨/٥ .

(٦) أبو الحسن الحربي: (ت ٤٢٢هـ/١٠٥٠م)، علي بن عمر بن الحسن المعروف بابن القزويني، كان زاهداً معروفاً، ولد بمحلة الحربية في بغداد سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) ، المصدر نفسه والصفحة .

أخلاق سامية وآثار حميدة مستقاة من روح الإسلام الصلاة ولا تغلق إلا في يوم السبت، فلما بلغ ذلك الوزير أبو شجاع^(١)، أمر المحتسب بأن يؤدب كل من فتح ومبادئه.

وأخيراً يمكن القول بعد استعراض حياة التجار ومظاهر بذخهم أنهم كانوا يملكون من الثروات الكبيرة وكانوا يتنافسون في إقتناء المجوهرات الثمينة والفرش والثياب وبناء المنازل الضخمة، وإنفاق الأموال الطائلة على الموائد والحفلات، في الوقت الذي كان فيه مئات من المجتمع تعاني من الضائقة المادية في المعيشة إلا أن هذا لا يعني أن التجار كانوا بمعزل عن هذه الفئات بل على العكس من ذلك إذ كان لهم الدور الكبير في تقديم المساعدات لهم وهذا ما سنوضحه لاحقاً.

(١) أبو شجاع: محمد بن الحسين بن محمد، الملقب ظهير الدين الروذراوري ولد في الأحواز، قرأ الفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي، وقرأ الأدب، وولي الوزارة أيام المقتدي بأمر الله بعد عزل عميد. المصدر نفسه والصفحة .

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٩١/٩-٩٢؛ المسري، تجارة العراق، ١٣٣.

(٣) المسري، تجارة العراق، ١٣٤.

وكانت أسواق العراق تعطل يوم الجمعة، إلا أن قسماً من التجار العاملين في الأسواق ومنهم البزازون كانت أسواقهم تفتح في يوم الجمعة عدا وقت

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

أن التاجر الكبير يقوم بدور مهم في فعل الخير والإحسان ورعاية المعوزين في الجماعة، فهو يقدم المؤن والضيافة للطلاب كما يقدم المساعدة للحجاج وعابري

ثانيا : دور التجار في التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي مبدأ إنساني وإسلامي دعا إليه الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٣) فدعا الإسلام إلى التكافل والتضامن الاجتماعي لكي يعيش الفقراء والعاجزين في مأمن من الخوف والضييق، ومما يجدر بنا ذكره هنا أن بعض التجار في هذه المدة كانوا يقدمون المساعدات المالية للمحتاجين من أفراد المجتمع من باب التكافل الاجتماعي وعمل المعروف قربة لوجه الله تعالى وتركية لأموالهم وهذا ما أمرهم به الإسلام، إذ

السبيل^(٤) فهذا الواقدي^(٥)

(ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م)، لما حضر العيد وقد افتقر قالت له زوجته: جاء العيد وليس عندنا نفقة فذهب إلى صديق له من التجار فأعطاه ألفاً ومائتي درهم ولما عاد إلى منزله جاءه صديق من بني هاشم يشكو الفقر، ففكر الواقدي أن يقاسم الهاشمي المال، فأخبر زوجته فقالت له: جاءك رجل له من رسول الله ﷺ

(٤) نجمان ياسين: " فئة التجار في العصر العباسي"، مجلة كلية الاداب، الموصل، العدد ٢٣، ١٩٩٢م، ٣١٢.

(٥) الواقدي: أبو عبد الله محمد بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم وقيل مولى بن أسلم، كان إماماً عالماً، له من تصانيف في المغازي وغيرها، كانت ولادته سنة ثلاثين ومائة وتوفي عشية يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة (٢٠٧هـ/٨٢٣م). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٠ / ٣

(١) سورة الجمعة / الآية: ١٠.

(٢) سورة المآثر، الآية: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ١٩.

قراءة فتعطيه النصف؟ بل أعطه المال كله، فأعطاه
 المال وفي الوقت نفسه حلت بالتاجر الذي أعطى
 الواقدي المال، ضائقة مادية فذهب إلى الرجل
 الهاشمي يطلب منه المساعدة، فأعطاه الهاشمي المال
 كله وهو في الكيس، فعرف التاجر أن المال ماله من
 طريق الكيس المختوم فذهب إلى الواقدي وأخبره
 بالأمر^(١). وهذه القصة تدل على أن التجار كانوا
 أصحاب فضل ومروءة لا يردون أحداً من الأصحاب
 إذا ضاقت بهم الحال، وتدل أيضاً على إثارة المسلمين
 على أنفسهم. وكان سري السقطي^(٢) ت

وكان تلميذ معروف التنوخي. الخطيب البغدادي،

تاريخ، ٣٥٧/٢،

(٢) المصدر نفسه والصفحة

(١) زكريا محمد بن أحمد الأنصاري: شرح الرسالة القشيرية مع
 حاشية العروس، الناشر عبد الوكيل الدوري وإسراء
 عرفة، (دمشق، م. د. ت. د)، ٨٣-٨٤.

(٢) ابن العناء: خرج من البصرة وهو بصير وقدم سامراء
 فاعتلت عيناه، فعمي وسكن بغداد مدة وعاد إلى
 البصرة، وكان مولده سنة تسعين ومائة. الخطيب،
 تاريخ، ٣٤٧/٤.

(١) الجزء نفسه والصفحة، ٢٠/٣؛ خولة عيسى صالح
 الفاضلي: "مستوى المعيشة في الدولة العربية
 الإسلامية"، مجلة الاقتصاد والإسلام، كلية التربية
 للبنات، بغداد، العدد ١٠٠، ٢٠٠٢، ٨٦.

(٢) سري السقطي: أبو الحسن سري بن المفلس السقطي، من
 كبار المتصوفة في بغداد، كان واحد زمانه في الورع
 وعلوم التوحيد، وهو خال أبي القاسم وجنيد استاذ،

ثلاثين ديناراً، فأشتراه ثم اعتقه بعد أن بنى له داره،
وَأَرَادَ الْغُلَامَ الْحَجَّ، فَجَهَّزَهُ وَزَوَّدَهُ^(١).

الموضع فجاء على رأس الماء قفاف من الخوص
فأخذتها وبعثها وأنفقت عليهم فأتيت اليوم الثاني

وهناك الكثير من التجار الذين قدموا نماذج
رائعة في مجال التكافل الاجتماعي، وكان هدفهم الفوز
بتجارة الآخرة على الدنيا ومنهم أبو اسحق الخواص^(٢)
(ت ٢٩١هـ/٨٩٦م) وهو من أهل سامراء، يقول
الخطيب البغدادي: "كان أحد شيوخ الخصوصية ويذكر
بالتوكل وكثرة الاسفار إلى مكة وغيرها، ورأى ذات
يوم عجوزاً قاعدة على شط النهر وهي تبكي: فقال
لها، مالك تبكين فقالت أعلم أن لي خمسة من الأيتام
مات أبوهم فأصابني الفقر والشدة فأتيت يوماً هذا
الذي كنت أعمل ذلك... فأقمت بأمرها وأمر
عيالها سنين"^(٣).

وكان إبراهيم بن عبد الله بن مسلم المعروف
بالكشي (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م) "يجهز التمر من البصرة
إلى بغداد وكان له ههنا وكيل يبيعه له فلما حَدَّثَ
كتب إلى وكيله أنني قد حدثت وصدقت على حديث

(١) المصدر نفسه ١٧٧/٣-١٧٩.

(٢) أبو اسحق الخواص: إبراهيم بن أحمد بن اسماعيل، صوفي
كان أحد المشايخ في وقته، ولد في سامراء ومات في
جامع الري، والخواص: هو بائع الخوص. خير الدين
الزركلي، الاعلام، ط٣ (بيروت، دار العلم للملايين،
د.ت ٢٨/١).

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد، ٧٠/٦.

رسول الله ﷺ فتصدق بما عندك من التمر أو بئمنه إن إلى حرمه، فأصلحوا أمرها، أعطاه في كل يوم عشرين

ديناراً^(٤)، هذه كانت صفات وأعمال التجار الذين كنت بعته شكر الله تعالى على ذلك " .^(١)

وقد عرف أحمد بن عمار وزير المعتصم قدموا أفضل أعمالهم لإرضاء الله تعالى وقدموا أجل

بالله الذي كان يعمل في التجارة كما مر سابقاً^(٢)، أنه الخدمات في مجال التكافل الاجتماعي للفوز بتجارة

كان كثير الصدقة فكان كل يوم يتصدق بمائة دينار^(٣)، الآخرة.

ويذكر صاحب الفرج بعد الشدة رواية تعطي صورة كما حرص التجار على المساهمة في إعمار

جميلة عن مساعدة التجار بعضهم بعضاً، إذ يذكر أن بعض الأسوار التي هدمت في بعض بلاد الثغور، فقد

تاجراً كان قد افتقر بعد أن كان غنياً ومرت به أحوال حثهم عبد الرحمن^(٥) بن أبي حاتم على عمارتها، فلما

أثرت فيه، قتالت عليه الحن، وكانت زوجته تطلق وجد منهم تأخيراً قال لهم: من يبنيه وأضمن له الجنة،

فولدت، ولم يكن لديه شيء، وكان يمشي في الليل، فقام إليه رجل من التجار فقال: أكتب لي بخطك هذا

وهو يبكي على المولود الجديد من شدة الجوع، فسمعه الضمان وهذه ألف دينار لعمارتها، فكتب له رقعة

تاجر من شباك بيته، فشرح له قصته، فأدخله إلى داره، وأمر غلمانته بإحضار زوجة التاجر فأدخلوها

(٤) التوخي، نشوار المحاضرة، ٣/٣٧٣-٣٧٦.

(٥) عبد الرحمن بن أبي حاتم: محمد بن أدريس بن المنذر

الجاحظ الثقة توفي بالري وقد قارب التسعين، رحل به

أبوه سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) فسمع من أبي سعيد الأشح

والحسين بن عرفة وغيرهم، وكان مجراً في العلوم

والمعرفة ومعرفة الرجال. الخطيب، تاريخ، ٢/٣٠٨.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٥١/٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة

(٣) المصدر نفسه والصفحة

بذلك، فعمر ذلك السور، ولما توفي ذلك التاجر وجد
القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بعد أن أصيب
ذلك الضمان في كفته^(١). لقد اتجه الكثير من التجار
التجار في ثرواتهم^(٢).
إلى التصديق بأموالهم في كثير من الأعمال الخيرية، ففي
ولقد كان لبعض التجار الموسرين دور في
القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أعتاد أحد
مساعدة المحتاجين من طلاب العلم، إذ كانوا يجمعون
التجار أن يحمل كل سنة إلى الحج مالا ينفقه لمن احتاج
الاموال فيما بينهم لمساعدة الغرباء والفقراء من طلاب
إلى نفقة، وأنفق تاجر آخر في موسم الحج عشرة آلاف
العلم، إذ تبرع أحد التجار الموسرين في بغداد
دينار في أعمال الثواب^(٣)، وأوقف ابن رزق الله التاجر
بالاشتراك مع أحد الاشخاص، بخمسين درهماً لأحد
البغداديين الأكسية في بلاد الروم لتدفئة أسرى
طلبة العلم في بغداد، وتبرع تاجر آخر بخمسين كساء
المسلمين، وعقد صفقة مع راهب بيزنطي مقابل أن
في الشتاء لمن يحضر مجلس أبي الحسن
الكرخي (رحمه الله تعالى)^(٤).
ينفق الأكسية في كل سنة^(٥).

ولا شك أن المساهمات من هذا النوع كانت
ومن خلال كل ما تقدم نلاحظ أن التجار كان
كثيرة، إلا أنها لم تلبث أن توقفت في النصف الثاني من
لهم العديد من المشاركات في مساعدة الفقراء ورفع
الحيف والعوز عنهم وتخفيف ضائقة المحتاجين
والفقراء، وهذا يدل على تراحم المسلمين فيما بينهم

(١) المصدر نفسه والصفحة

(٢) المصدر نفسه والصفحة

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ٨٥/١.

(٤) سعد، العامة في بغداد، ٢٤٧.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ٧٥/٢.

ويبين لنا عظمة الإسلام في فرض حق الفقراء في أموال
الذين ما زالوا في مرحلة التعليم^(١)، وصار يشار إليهم
بالأصناف^(٢)، وأصحاب المهن^(٣)، وأهل الصنائع.

ثالثاً : دور التجار في التكتلات الاجتماعية
والأصناف

شهد العراق في العصر العباسي تطوراً
ملحوظاً في الحياة الاقتصادية وقد أصاب الأسواق
حظ من هذا التطور، مما أدى إلى تطورها وتعقيدها،
الأمر الذي تطلب ضرورة تنظيم هذه الأسواق في
أصناف معينة وتكتلات خاصة. فمن ضمن هذه
التنظيمات كان لكل حرفة مسؤول عنها من أعضائها
تعيّنه الدولة أو تعترف به، وهو شيخ الصنف وهناك
الأساتذة وهم أهل الحنكة في الحرفة، ويليهم الصناع
وهم الذين أتقنوا الحرفة وبأماكنهم فتح حوانيت
خاصة بهم، وأدنى درجة في الحرفة تتمثل في المبتدئين

والصناعة، وصار من أقوالهم المأثورة (الصناعة نسب)
وبلغ التماسك حد العصبية للمهنة والاعتزاز بها،
ويشير الجاحظ إلى ذلك بقوله " وكل صنف من الناس
مزني عندهم ما هم فيه ومسها ذلك عليهم، فالحائك
إذا رأى تقصيراً من صاحبه أو سوء حذف قال:
يا حجام. والحجام إذا رأى تقصيراً من صاحبه قال يا
حائك

ومما يدل على قوة التماسك وقوة الانتساب

الحرفي، ظهور الاثقاب التي تدل على تمسك أهلها

(١) المسري، تجار العراق، ١٢٦.

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون ،

(القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤) ١٢٦.

(٣) المصدر نفسه والصفحة

بالانتساب إلى حرفهم، وأصبح هذا اللقب شائعاً
 الأمين والمأمون، إذ كان أهل السوق من جملة المتطوعين
 ويكاد يطغى على الانتساب إلى المدينة أو القبيلة.
 في الدفاع عن المدينة المحاصرة^(٨)، وعليه فقد دافع
 أصحاب السوق عن مدينتهم لأنهم أدركوا أنهم جزء
 فصاروا يسمعون (الزيات)^(١)، و(الجراح)
^(٢)، و(الزجاج)^(٣)، و(الفراء)^(٤)،
 من المجتمع ويقع على عاتقهم حمايته. وفي سنة
 (٣٠٧هـ/٩١٦م) أقتل الاساكفة مع أهل الطعام
 و(الحلاج)^(٥)، و(الثعالبي)^(٦)، وأصبحت النسبة
 بالحرفة شائعة بخاصة في الطبقة العامة^(٧)، وهذا
 بالموصل^(٩)، فاحترق من جرائها سوق الاساكفة وما
 الاتجاه ربما دل على تحسين النظر إلى الأعمال اليدوية.
 فيها^(١٠).

ورما يكون السبب في الخلاف بين أولئك
 ومن مظاهر تماسك الأصناف وتجمعهم ،
 احتكار الجماعة الثانية الطعام والتحكم فيه وفي
 وقوف الصنف موحداً تجاه الخطر الخارجي، فقد
 أسعاره، فأصبح من المتعذر على الاساكفة، ومن هم
 سبق لهم أن اشتركوا في الدفاع عن أنفسهم حين
 على شاكلتهم من الطبقة الفقيرة الحصول على قوت
 داهمهم الخطر وحوصرت العاصمة إبان الخلاف بين

(١) المصدر نفسه والصفحة

(٢) ياقوت، معجم الادباء، ٢٧٧/٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٦-١٧٧.

(٤) الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة، ١٦/٢.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١٢-١١٤.

(٦) السمعاني، الانساب، ١٣٢/٣.

(٧) الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة، ١٦.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٩٠/٥-٩٨؛ ابن الاثير،

الكامل، ١٥٨/٥، ١٦١.

(٩) المصدر نفسه والصفحة.

(١٠) المصدر نفسه والصفحة

هي المتغلبة، إذ استطاعت أن تجعل السِّنة النار تلتهم
عن مصالحهم ضد الضرائب التي فرضها عبدون
سوق الاساكفة وتأتي على جميع ما فيه^(١). وربما
متضمن رسوم السفن التي تنقل التمور من البصرة إلى
بغداد، والحق بمهنتهم البلاء فاضطرهم إلى مطاردته
حتى قتلوه، واجتمع ناصر الدولة الحمداني إلى
التمارين، بعد ان توفرت لديه القناعة بفرض الضرائب
على تمور البصرة التي يسيطر عليها البريدي في محاولة
منه لمحاربته اقتصادياً وتمكن ناصر الدولة من فرض
الرسوم على التمور والحبس^(٤).

اقتل أصحاب الطعام مع البزازين في الموصل ثم إشتراك
وهكذا يبدو واضحاً أن تكتل الأصناف
المنظم يعود إلى شعورهم بدورهم ومقدرتهم على رفع
الظلم والحيث عنهم والوقوف بوجه كل من يريد
أسواقهم^(٣).

وقد تصطدم الأصناف بالحكومة دفاعاً عن
مصلحتها إذ شكل التمارون وحدة متضامنة ودافعوا
ولقد تمكن التمارون من أن يتكثروا لحماية
مهنتهم وتصورهم، إذ يتحدث التنوخي عن شيخ

(١) المصدر نفسه والصفحة

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٥٣/٦

(٣) المصدر نفسه والصفحة

(٤) الصولي، اخبار الرازي والمتقي ، ٢٥١.

للتمارين كيف أن أصحابه من التمارين أنفقوا على
ومن مظاهر المنافسة ما ذكره أبو حيان التوحيدي من
الجنيد الديلم وعلى متضمن الزوارق التي تحمل التمور
تنافس الهراسين ببغداد، وتكايدهم، والمناداة على
من بغداد وإليها، ولحقوا بالمتضمن وأخذوا رأسه
ونصبوه في سوقهم^(١)، كما كان للملاحين دور مهم في
مقاومة طغيان الجنيد من الديلم في بغداد^(٢).
وهذا يدل على أن أهل الحرف كانوا غالباً
ما يقعون ضحية للصراعات السياسية التي تصيب
الدولة، وبما أن أهل الحرف كان يحسون بالضعف
السياسي، فكانوا يتضامنون بينهم ويوحدون صفوفهم
للقوف بوجه الأخطار التي تهدد مهنتهم. وكان
للتنافس بين أصحاب الحرفة الواحدة أثر في تجمعهم في
سوق واحدة^(٣)، ليتمكنوا من مراقبة بعضهم بعضاً،
وللتعرف على الأسعار التي تشتري السلعة بها وتباع.

ومن مظاهر المنافسة ما ذكره أبو حيان التوحيدي من
تنافس الهراسين ببغداد، وتكايدهم، والمناداة على
فضائل هريستهم^(٤). وذكر التنوخي أنه رأى غلام
هراس يحمل بيده عضارة هريسة ينادي عليها ويتقدم
من الناس ويشجعهم على الشراء قائلاً " جمع اللوز
والغنم" ثم يحلف ويتقدم بها من أنف الزبون ليجعله
يشمها^(٥)، على أن تجمع الأسواق لم يكن يخلو من
أضرار، منها إثارة المشاكل الكبيرة بين أصحاب
الحرف^(٦)، وكان على أصحاب السوق حمايتها من
الحرائق المفتعلة، فأقيمت الظلال فوقها. وفي سنة
(٢٩٧هـ/٩١٦م) أمر الناس بالطواف بأسواقهم لحمايتها

(١) نشوار الحاضرة، ٦٠/٣.

(٢) الصولي، أخبار الرازي والمتقي، ٢٠٦ و ٢٢٩.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ١٧٣/١.

(٤) البصائر والذخائر، ١٢٨/١.

(٥) نشوار الحاضرة، ١٢٨/١.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ١٢١/٨.

من مقفلي الحرائق وطلب إليها ألا يظهرها سراجاً ولا
فكان لكل درب رئيس، ولكل محلة شيخ، يتميز بكثرة
ناراً^(١).
تجاربه ويشرف على مراعاة شؤون أهل محله^(٢).

وكان من آثار تكمل الصناعات والحرفين
والتجار، أن أقيمت أماكن سكنية متجانسة، ويذكر
الطبري أن أبا جعفر المنصور طلب إلى عماله بناء
الكرخ وأن يجعلوها صفوفاً وبيوتاً لكل صنف^(٣)، ولم
وكان للأصناف شيوخ، وللملاحين تبع،
وللتجار البزازين شيخ^(٤)، وكان الشيوخ يستشارون في
صناعاتهم، كما كان لهم الحكم على أبناء صناعاتهم،
والسمع والطاعة^(٥).

تلبث الأسواق التي نصبها التجار وبنوا فيها^(٦)، وأقام
التجار الأغنياء في محلة باب المراتب^(٧)، والصرافون
بدرب عون^(٨)، وكان نتيجة هذا التكل في محال
وشوارع خاصة، أن قامت تنظيمات خاصة بالحال،
وهكذا كان للتجار رئيس، ينتخب من بين
الأعضاء البارزين في قبايتهم، إذ أن التجار انشأوا
نقابة مسؤولة عن مراقبة المعاملات التجارية ومنع
التدليس والغش ومراعاة مصالح أعضائها^(٩).

وكان من مظاهر تكمل التجار التعاون فيما
بينهم، وعلى الرغم من كونهم خليطاً من عرب وغير

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٠/٩.

(٢) المصدر نفسه، ٦٥٣/٧.

(٣) أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه الهمداني: بغداد أو

مدينة السلام، تحقيق صالح أحمد العلي، (العراق،

وزارة العلم، ١٩٧٧)، ٣٨.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١١/١.

(٥) التنوخي، شوارع الحاضرة، ١٣٣/٣.

(٦) المصدر نفسه والصفحة .

(٧) المصدر نفسه والصفحة

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ٥٠٧/٣.

(٩) أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ٣٦٣.

عرب^(١)، ومسلمين وأهل ذمة^(٢)، فقد جرت العادة بتجارته، وأمهل تجار بغداديون زميلاً لهم بدفع ديونه بينهم، انه إذا أفلس أحدهم حاول جماعة من التجار أن يجمعوا له رأس مال جديد^(٣). ومن صور هذا التضامن ما كان يحدث في سوق القصابين، حيث كان القصابون يتضامنون فيما بينهم، قال الجاحظ " إنه ليلبغني أن رجلاً من القصابين يكون في سوقه فيتلف ما في يديه، فيخلي له القصابون سوقهم يوماً، ويجعلون له أرباحهم، فيكون بها منفرداً، وبالبيع مفرداً، فيسدون بذلك خلتة"^(٤). ويذكر التوخي شيئاً من هذا القبيل، ما حدث في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد، فقد عجز أحد التجار عن الوفاء بالتزاماته فكفله أحد تجار الكرخ، وساعده على النهوض

بشراء ما يتوفر منه في بغداد^(٦).

ويرى بعض الباحثين أن الصيارفة اليهود أسسوا نقابة خاصة بهم أيضاً^(٧)، وربما يقوي هذا الرأي ما نجده من التنظيم المهني بينهم، مثل وراثة المهنة، فقد اعتاد أبناء الصيارفة وراثة مهنة آبائهم^(٨)، فهذا تنظيم على أساس الدين أو المعتقد.

(١) الفرج بعد الشدة، ٩٥/١؛ نشوار المحاضرة، ٥٠/٣.

(٢) الهمداني، التكملة، ١٥/١.

(٣) ترتون: اهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن الحسيني،

(القاهرة، ١٩٦٧)، ٢٢٤؛ للمزيد ينظر: الشيخلي،

الاصناف، ٢٧.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ١١٢/١-١٢٨؛ الصابي،

الوزراء، ٩٢.

(١) اليعقوبي، البلدان، ٢٤٥.

(٢) الصولي، أخبار الرازي والمتقي، ٢٥١.

(٣) وكيع محمد بن خلف بن حيان: أخبار القضاة، صححه

وعلق عليه عبد العزيز مصطفى المراغي، (القاهرة،

مطبعة الاشفاحة، ١٩٤٧)، ١٨٥/١.

(٤) رسائل الجاحظ، ٢٠١/٢.

الخاتمة

بعضهم وترابطهن المهني الذي يظهر واضحا في اوقات

الازمات اذ خرجوا نماذج رائعة في مجال التكافل

الاجتماعي وكان هدفهم الفوز بتجارة الاخرة على

الدنيا .

برز دور التجار في الجانب الاجتماعي على اظهار

دورهم في المناسبات والاحداث الدينية والاجتماعية

وذلك عن طريق اظهار الفرحة وعرض ادوات الزينة

في اسواقهم فكانوا يساهمون في المرات والاتجاهات التي

تضم سكان العراق في القرنين الثالث والرابع للهجرة

التاسع والعاشر الميلادي وعلى العكس من ذلك في

المناسبات الحزينة كان لهم تقاليدهم الخاصة التي

يعبرون من خلالها عن مشاعرهم الحزينة اذ كان

التجار يعلقوا في اسواقهم ويعلنون الحداد معبرين عن

خوفهم من هنا اتسمت مشاركة التجار في الجانب

الاجتماعي بقدر كبير من الحيوية سواء في المناسبات

المفرحة او الحزينة كما تناولنا بشأن الحياة العائلية

للتجار وبعض العادات والتقاليد الخاصة بهم مبينا

جانبا مهما من حياة التجار وتكاتفهم وتعاونهم مع

رؤية تاريخية في اختيار يثرب دار للهجرة النبوية الشريفة

دروس وعبر

أ.م.د. حنان عبد الرحمن طه التكريتي أ.م.د. محمد إبراهيم عبد الجناحي

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف البشر سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ، لم تكن الهجرة النبوية الشريفة أمراً عابراً ، مجرد هروب شخص يحمل أفكار سياسية أو دينية لا توافق أفكار البلد الذي يعيش فيه ، فحاول الحرب إلى مكان آخر يوافق فكره ومبادئه ، ولكن الهجرة كانت تحمل بين ثناياها القيم والمبادئ الإيمانية التي تركز عليها الشريعة الغراء كونه [٢] يسير وفق منهج وأوامر ربانية لا يمكن له أن يخالفها لذلك فإن النبي محمد [٢] كان واثقاً من ربه بتحقيق مبتغاه في نشر ما أرسل رغم كل الحزن والفنن التي واجهته ليعلم أصحابه هذا الفكر والمبدأ إنهم بحماية ربهم وانه ناصرهم ، لقوله تعالى [٢] إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [٢] (سورة محمد ، الآية : ٧) .

وقد اخترت هذا البحث المتواضع بأوراقه والكبير بمعناه ليكون نبزاً يضئ درب السالكين والسائرين على هذا المنهج

القويم لعلنا تعلم ونعلم الأجيال اللاحقة كيف كان المصطفى [٢] مدرسة للأجيال وللدعاة وللقيادة بكل تفاصيل الحياة

العلمية والأدبية والتربوية والعسكرية .

summary

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the honorable human beings, Muhammad and his family and companions. The noble Prophet's migration was not a passing matter, just the escape of a person carrying political or religious ideas that does not agree with the ideas of the country in which he lives. The migration

carried within it the values and principles of faith based on the shariah glue because it follows the approach and orders of the Lord can not be contrary to it, the Prophet Muhammad was confident of his Lord to achieve the desired publication of what was sent despite all the trials and tribulations that confronted him to teach his friends this thought The principle is that they are protected And that their Nazarem

We have chosen this humble research with its leaves and the great meaning of it to be a bright light to the path of those walking and walking on this proper approach. Perhaps we learn and teach the succeeding generations how Mustafa was a school for generations, advocates and leaders with all the details of scientific, literary, educational and military life

المبحث الأول : التخطيط وبداية الهجرة

إن ذلك الأذى لم يكن جسدياً فحسب بل يتخلله أذى

١ . ازدياد أذى المشركين

نفسى مصحوب بإذلال من اسلم واتبع الدين الجديد

وخالف دين قريش ، نلمس ذلك من أبيات قالها عبد

الله ابن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ،

حين امنوا لأرض الحبشة وتنفسوا الصعداء وحمدوا

جوار النجاشي ، وعبدوا الله جهاراً ، لا يخافون

أحداً ، إذ قال :

إن فكرة الهجرة إلى المدينة لم تكن حدثاً عارضاً أو

أمراً حدث على عجل ، بل نضجت تلك الفكرة

نضوجاً دينياً وفكرياً وسياسياً ، هياً لها القرآن الكريم

الأذهان لقوله تعالى : [١] يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

أَرْضِيَّ وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُوا [٢] () ، وعمل الرسول

[٣] على ترسيخها عملياً في نفوس أصحابه عندما

أمرهم بالهجرة إلى الحبشة () ، بعد ازدياد أذى

المشركين لهم هاجروا إلى الحبشة وفروا إلى الله بدينهم

، فكانت أول هجرة في الإسلام () .

كل امرئ من عباد الله مضطهد

بطن مكة

مقهور ومقتون

انا وجدنا ارض الله واسعة تنجي من
كان رسول الله ﷺ يتلقى دعما معنوياً من
زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، إذ
الذل والمخزاة والهوان () .

فالأمان الذي وجدوه على أنفسهم ودينهم هون عليهم
ألم الفراق ، وفي نفس الوقت هيج في صدورهم غصة
إخراج قومهم لهم وكيف حاولوا فتنهم () .

مهما يكن من أمر فإن رسول الله ﷺ قد أمن على
نواة الإسلام الأولى بعد أن وجدوا ملجأ امن لهم في
الحبشة ، وفشل زعماء قريش في مقاطعتهم لبني
هاشم وبني عبد المطلب ، كل تلك الأمور تشير إلى
تقدم في الدعوة الإسلامية في مكة ، أمام فقدان قريش
لصوابها ، يتجلى ذلك في تصرفاتهم التي أخرجتهم من
المثل التي لطالما وقفوا خلفها () ، إذ إن العرب كانوا
يتفخرون بإيواء الغريب، وإجارة من يطلب جوارهم ،
وإكرام الجار والإحسان إليه ، وكانوا يحرصون على إن
لا يسبقهم إلى ذلك احد، ويهجون من خالف تلك
القيم، فإذا بغير العرب يسبقونهم إلى ذلك ويؤون من
اضطهدتهم قريش وأخرجتهم من ديارهم ظلما
وعدوانا ، من أشرف الناس وضعافهم () .

وبات من الضروري البحث عن ميادين
جديدة لنشر الدعوة ، بعد ان اقتنع رسول الله ﷺ بعدم
جدوى الاستمرار في الاقتصار على بث الدعوة في
مكة، ولذلك اتجه نظر ﷺ إلى الطائف وذهب إليها
وفاوض ثلاثة من آل عبد ياليل، فلم يستجيبوا لما
دعاهم إليه ، وأغروا به سفهائهم وعبيدهم بإيذائه،
ورموه بالحجارة، حتى أدموا قدميه، وواجهوا رسول
الله ﷺ بأعنف ردٍ تلقاه منذ أن بدأ دعوته وبعد بذله

٢. البحث عن مواطن جديدة للدعوة

جهداً لا يوصف وهو يحاول إقناع قادة ثقيف فأمضى فيها أياماً يتصل بكل ثقيف شاباً وشيوخاً، ولكن دون جدوى (). ولم يش ذلك الإيذاء رسول الله ﷺ عن مهمته كداعية ، وما ضعف وما استكان . بعد ذلك بدأ رسول الله ﷺ مرحلة جديدة وبدأ يستثمر المناسبات وخاصة خلال الأشهر الحرم ، فيعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله () .

٣ . بداية إسلام الأنصار وبيعة العقبة الأولى

استمر رسول الله ﷺ يدعو الناس بهمة الداعية لا بشيء عن ذلك شيء ، وعند العقبة ((لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً)) () ، فكلهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله فأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، وصدقوه وقبلوا ما عرضه النبي ﷺ عليهم من الإسلام فذهبوا دعاة إلى قومهم ، وكان ذلك في السنة الحادية عشر من البعثة () ، وقدر عددهم ستة نفر ، ولم تكن هناك وثيقة مكتوبة () ، إن إجابة هؤلاء النفر الستة لدعوة رسول الله ﷺ دون تردد تعزى إلى أسلوب الداعية المتمكن الذي استخدمه رسول الله ﷺ وقال لهم بعد أن أخبروه أنهم من الخزرج : ((امن

مواالي يهود)) فأجابوه نعم ، ثم قال لهم ((أفلا تجلسون أكلهمكم)) () ، وكيف لهم إن لا يجلسوا ، بل أنهم لم يترددوا أمام هذا الرفق واللين وهذا الأسلوب السهل الممتنع .

لقد نقلهم رسول الله ﷺ بضع كلمات من مكة إلى المدينة حينما قال لهم ((امن مواالي يهود)) ، إذ إن اليهود كانوا معهم في بلادهم يثرب ، وكانوا أصحاب كتاب وعلم في حين كانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وما إن حدث بينهم شيء قال لهم اليهود : ((أن نبياً مبعوث الآن قد أضل زمانه تتبعه ، نقتلكم معه قتل عاد واربم)) (١٦) ، فلما كلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام ، قالوا لبعضهم : تعلمون انه النبي الذي توعدكم به اليهود ، فلا يسبقونكم إليه () ، وهذا عامل ثاني يضاف إلى أسلوب الداعية المتمكن الذي ذكرنا ، إذ أن اليهود قد هيئوا أذهان أهل يثرب لتقبل النبي الجديد وإتباعه ، دون أن يشعروا ، عندما كانوا يتوعدونهم بالنبي الذي أضل زمانه ، ويتقدم ذلك العاملين في إسلامهم عامل مهم هو إن الله أراد بهم خيراً () .

رسول الله ﷺ ، لا يشغلهم شاغل سوى أن يأخذ رسول الله ﷺ لربه ولنفسه ما يريد () .

أخذ رسول الله ﷺ بترتيب الأمور في المدينة بعد بيعة العقبة الأولى، إذ إن رسول الله ﷺ أرسل معهم مصعب بن عمير إلى المدينة ، ((فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ)) () ، وكان أول سفير في الإسلام () .

يلاحظ على تحركات مصعب بن عمير (رضي الله عنه) انه بدأ حال وصوله إلى المدينة، بعليّة القوم وسادتهم يدعوهم إلى الإسلام ، وان اسعد بن زراره ، خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الاشهل ودار بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن اسلم ، وسعد بن معاذ واسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه)) () .

٤ . بيعة العقبة الثانية

إن موكب الخير هذا اخذوا العهد على أنفسهم أن يدعوا قومهم ، فأوفوا بعهدهم الذي عاهدوا ، وكانوا دعاة إلى الله في أهلهم وقومهم ، فأصبح ذكر محمد ﷺ في كل دار من دور الأنصار () ، ليشع منها فيما بعد نوراً أضاءت منه الظلمات ، أنهم صدقوا وعدهم واخلصوا في تبليغ رسالة الإسلام .

بدأ رسول الله ﷺ يؤسس لمرحلة جديدة إذ إن هؤلاء الستة من الخزرج استجاب لهم الكثير من أهل المدينة، وهاهم يقبلون إلى مكة ، ليس ليطوفوا بأصنام قريش ، ولكن يحذوهم حادي الشوق لرؤية رسول الله ﷺ ، وكانوا اثنا عشر رجلاً وافوا رسول الله ﷺ عند العقبة () ، بايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب () .

كانت بيعة العقبة الأولى خطوة من خطوات السير الحثيث لا نشاء قاعدة جديدة للإسلام خارج مكة، يكون الأنصار مادتها الأولى بعد أن التزموا قضية الإسلام ، واجمعوا أمرهم على تسليم قيادتهم لرسول الله ﷺ () ، هؤلاء سوف يهدفون نحوهم للعرب، دون أن يطمعوا بأن يكون لهم الأمر من بعد

كانت بيعة العقبة الثانية تحمل دلالات أكثر
نضجاً من البيعة الأولى ، إذ أنها مكملت لها وفق
التخطيط الذي أراد رسول الله ﷺ ، مثلما كانت بيعة
العقبة الأولى ، مكملة لبيعة الستة الذين بايعوا من قبل
، ولما كان العام المقبل بعد العقبة الأولى وواعد
الأنصار أن يلتقوا رسول الله ﷺ بمكة ، خرج سبعون
رجلاً ممن اسلم من الأنصار، في حجاج قومهم من
المشركين () ، وعند مكة واعدوا رسول الله ﷺ
،العقبة من أواسط أيام التشريق ، ((حين أراد من
كرامته، والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال
الشرك)) () .

حتى إذا كان موعد العقبة ومضى ثلث
الليل الأخير ، كما قال كعب بن مالك : ((خرجنا
من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ تتسلل تسلل القطى
مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة))
() ، فبايعوا رسول الله ﷺ بيعة الحرب .

و كان في ذلك الرد إشارة إلى حماسة
الأنصار، والاستعداد الكامل لتقبل كل شروط الرسول
الكريم ﷺ للهجرة إلى مدينتهم () ، عندما رأى رسول
الله ﷺ حماسة الأنصار، تكلم، قتل القران، ودعا إلى

إن تلتفهم في الخروج من رحالهم ، يتسللون
تسلل القطى وهم مستخفين ، ولم ينبهوا نائماً ، ولم
ينتظروا غائباً ، كما أمرهم رسول الله ﷺ ، وميعادهم

الله ، ورغب في الإسلام، ثم قال: ((أبايكم على أن تمنعوني إذا قدمت إليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة)) () ، فبادر البراء بن معرور فضرب على يد رسول الله ﷺ مبيعاً ، ثم قال : والذي بعثك بالحق لمنعك مما تمنع منه أزرا ، بايعنا يا رسول الله فنحن أبناء حرب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كإبراهيم عن كابر () ، ثم تابع القوم كلهم مبايعين، ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إليه اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم ، فلما تخيروا النقاء ، قال لهم رسول الله ﷺ ((اتم كهلاء على قومكم ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي)) () ، وبعدها قال لهم رسول الله ﷺ ارفضوا إلى رحالكم فمضى القوم () .

لقد ثارت ثائرة قريش وضيقوا على أصحاب رسول الله ﷺ ، ونالوا منهم، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ ، واستأذنه أن يهاجروا () ، حينها كان رسول الله ﷺ يعلم أن يوجه أصحابه ، فقال لهم : ((قد أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراي حرة، فإذا أن يكون هجر () ، أو يكون يشرب () ، وما لبث أن أخبرهم ((إنها يشرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها)) () .

ورغم كل المصاعب التي كانت تحيط بالهجرة، هاجر المسلمون إلى المدينة، هجرة مخوفة بالمخاطر، وكان عددهم سبعين مسلماً، ولم يبق في مكة إلا من (حبس أو فتن) ، وكان عدد من بقي غير قليل () ، فتتابعوا الخروج وكانت كل جماعة تتواعد ، فخرجوا إرسالاً () ، وقد أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد خروج أصحابه ، إذ كان ينتظر أن يأذن الله له بالخروج واللاحق بهم () .

لما رأت قريش إن رسول الله ﷺ قد أصبح له أنصار خارج مكة ، وانه بعث أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد أصابوا منعة ، ونزلوا

٥ . تحديد دار الهجرة

لما مضى أصحاب العقبة وعاد رسول الله ﷺ بعد أن تمت البيعة، ((طابت نفس رسول الله ﷺ وقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين)) () .

بدار أمان، أدركوا أن الرسول ﷺ يريد أن يلحق بأصحابه ، وانه اجتمع على حربهم، اجتمعوا له بدار الندوة ، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ () .

٦. إعداد خطة الهجرة

عندما أقيمت قريش إن المسلمين قد أصبحوا في المدينة في عزة ومنعة، وان الرسول مهاجراً لا محالة ، عقدت مؤتمراً في دار الندوة، للتفكير في القضاء على الرسول نفسه ، اجتمع زعماء قريش بعد أن تواعدوا وكثرت أرائهم ، حول ما هم فاعلين برسول الله ﷺ ، فمنهم من قال قيدوه بالحديد، وقال آخر نفيه من بلادنا، واشتد الجدل، فقال أبو جهل بن هشام بقتله، واخبرهم بخطته، فاستقر رأيهم على ما قال أبو جهل، ((فتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون له)) () .

إما علي بن أبي طالب ﷺ فكان دوره ان يبقى بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده لأهل مكة ، وكلفة أن بيت في فراشه، إمعاناً بالسرية، ليوهم المشركين إن رسول الله ﷺ مازال في داره ليلة الهجرة ، إذ قام رسول الله ﷺ باصطحاب أبي بكر ﷺ في طريق هجرته () .

المبحث الثاني: طريق الهجرة

١. بداية الهجرة

علم رسول الله ﷺ بهذه الخطة وبما أجمعت عليه قريش، إذ إن الله سبحانه وتعالى أخبره خبرهم () ، قال تعالى ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ)) () .

لقد بدأت رحلة الهجرة من دار أبي بكر الصديق [?] عندما أتاه رسول الله [?] واخبره بخبر الهجرة، وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين للسفر أحبسهما عنده ليعلفهما، إعدادا ليوم الهجرة، واستأجرا عبد الله بن اريقط، رجل من بني الدليل، ليدلها على طريق غير الطريق المألوف، ودفعها إليه الراحلتين يرعاهما لميعدهما ().

اجمع رسول الله [?] وصاحبه على الخروج، خرجا من "خوخة" [?] لأبي بكر في ظهر بيته، ثم قصدا غار ثور أسفل مكة فدخلاه فأقام رسول الله [?] ومعه أبو بكر الصديق ثلاثة أيام في الغار، وكان دخولهما الغار ليلا، فبادر أبو بكر [?] فدخل قبل رسول الله [?] " فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية، بقي رسول الله بنفسه" ()، وقد كان خوفه على رسول الله [?] لا يوصف عندما أحاط المشركون بالغار قال يا رسول الله لو نظر أحدهم موطأ قدميه لأبصرنا، فقال [?] " ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ()، حمل أبو بكر الصديق معه كل ماله، وعمل على تدبير أمر الخروج تديرا محكما، ما ترك شيئا إلا واعد له أمر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يأتيهما بخبر القوم في المساء، وأمر عامر بن فهبره، وهو مولى لأبي بكر أن يرعى غنمه نهائرا ثم يريهما عليهما إذا أمسى في الغار فيحتلبان ويذبحان، ثم أمره بعد ذلك إن يتبع الغنم اثر عبد الله بن أبي بكر إذا عاد إلى مكة، إذ يأتيهما بخبر القوم فيعفي بذلك أثره، وأسماء بنت أبي بكر [?] كانت تأتيهما بالطعام إذا أمسى ()، لقد نذر أبو بكر الصديق [?] نفسه وأهله وماله، في سبيل دعوة الحق ().

أخذ رسول الله [?] يعد خطة محكمة لمغادرتهم مكة، والوقوف على أدق التفاصيل ومعه صاحبه أبو بكر الصديق [?]، بما فيها تأمين وصول الطعام، حيث إقامتهما الأولى، دون أن يسمح ذلك لقريش اكتشاف مكانهما، عندما يشتد عليهما الطلب ()، قالت عائشة ام المؤمنين : ((فجهزناهما أحسن الجهاز، ووضعنا لهما سفرة في جراب، ففقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين)) ().

بقي رسول الله [?] في منزل أبي بكر إلى الليل، حيث اتفقا على الخروج ()، ودار أبي بكر [?] واقعة في خط بني جمح أسفل مكة - إي جنوبها - ()، ولما

وبعد أن مضت الأيام الثلاثة وهدأ عنهما الطلب ،
 أتاهما عبد الله بن اريقط الذي استأجره ببيعيريهما
 وآخر له، واتهما أسماء بنت أبي بكر بطعامهما،
 حينها قدم أبي بة [?] أفضل الراحلتين إلى رسول الله
 [?] ثم قال : ((اركب فذاك أبي وأمي، لكن رسول
 الله [?] رفض اخذ الراحلة وقال : لا اركب بعيرا ليس
 لي ، فإجابة أبو بكر هو لك يا رسول الله، فطلب
 رسول الله [?] منه أن يحدها بثمان ففعل أبو بكر
 وأخذها رسول الله [?] فركبا وانطلقا)) () .

وعندما أيقنت قريش إن رسول الله [?] قد خرج من
 مكة قاصدا المدينة، جعلت لمن يرده إليهم مائة ناقة
 وهي جائزة مغربة () .

سلك بهم دليلهم عبد الله بن اريقط طريقا غير طريق
 المدينة المألوف إذ انه توجه بهم إلى الجنوب الشرقي من
 مكة، وكان عبد الله بن اريقط "خريتا" [?]، يتنقل بهم
 في سيره من طريق إلى طريق وأحيانا يقط الطريق
 الممتد من عرضه ، وما ترك سبيلا يرى انه أولى
 لإنجاح مهمته الخطيرة إلا سلكه طريق الهجرة () .

٢. خيمة أم معبد الخزاعية

بدأت المرحلة الثانية في طريق الهجرة بمغادرتهم
 الغار، اخذ أبي بكر الصديق [?] معه عامر بن فهيرة ،
 وهو مولى أبي بكر الصديق، وكان رديفه على راحلته،
 لخدمتهما في الطريق، فساروا ليلتهم، حتى أدركهم
 الظهر وهم يسيرون، فرأوا صخرة طويلة، فسوى أبي
 بكر هناك مكانا ليستظل فيه رسول الله [?] ويقل فيه،
 فنام رسول الله وأبي بكر يحرسه حتى رحلوا بعد
 زوال الشمس () .

كان أمر رسول الله [?] وصاحبه أبي بكر الصديق [?]،
 ومن معهما ، قد خفي على جماعة المسلمين الذين بقوا
 في مكة، بعد مغادرتهم الغار () ، تقول أسماء بنت
 أبي بكر: ((ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال وما ندري
 أين وجه رسول الله)) () ، حتى اقبل رجل من
 أسفل مكة يتغنى بأبيات شعر، وكان الناس يتبعونه
 يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من اعلي مكة
 وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا في طلبهم، وسألوا أم معبد عن رسول الله ﷺ فوصفوه خيمتي أم معبد لها، فقالت : ما ادري ما تقولون، ولكن قد ضافني

حالب الحائل، قالت قريش : ((فذاك الذي نريد)) ()
هما نزلاها بالهدى واعتدوا به فافلح من أمسى رفيق محمد

٣. سارقة يطعم بالجائزة

عندما أيقنت قريش أن محاولاتها باءت بالفشل، وان للمؤمنين بمصرصد () .

رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجرا، أعلنت كما أسلفنا في نوادي مكة انه من يأت بالنبي محم ﷺ حيا أو ميتا، فله مكافئة مجزية، حددتها قريش بمائة ناقة، وشاع هذا الخبر في قبائل العرب في ضواحي مكة، وتلقف الخبر سراقه بن مالك بن جعشم لنيل المكسب ، وكان يرجو أن يرده إلى قريش، فلحقهما، فلما دنى منهم سراقه، عثرت به فرسه وخر عنها، فركب وتابع سيره حتى تقرب من رسول الله ﷺ وسمع قراءته، عندها غاصت يدا فرسه في الأرض حتى بلغت ركبتيها ، فخرعتها ، حينها أدرك سراقه أن رسول الله ﷺ منع منه، وانه ظاهر () ، فاخذ يطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو له الله إن ينجيه وانه سوف يرد من وراءه من الطلب عنهم، وعرض على رسول الله ﷺ

فعلموا إن رسول الله ﷺ توجه إلى المدينة، و مرجعيتي أم معبد هو وصاحبه أبي بكر ومن معهما، في قديد وهو موضع قرب مكة يبعد كثيراً عن الطريق المعبد حيث مساكن خزاعة () ، وقال ابن كثير عن قصة أم معبد : " قصتها مشهورة مروية من طريق يشد بعضها بعض " () .

نزل رسول الله ﷺ ومن معه خيمتي أم معبد فطلبوا طعاماً فلم يجدوا شيئاً ، وأخبرتهم إن ليس لها إلا شاة حائل، فتناول رسول الله ﷺ الشاة ومسح ضرعها بيده فحلب ، وأعطى أم معبد فشربت ، وشرب هو وأعطى من معه فشربوا، ثم ارتحلوا، وجاءت قريش

أن يأخذ من إبله وغنمه بعد أن أخبره بمكانها وهي في طريقه، ما يشاء، فقال رسول الله ﷺ: "لا حاجة لي فيها"، فدعا له رسول الله ﷺ فانطلق من مكانه ورجع إلى أصحابه ()، وكان رسول الله ﷺ قال لسراقة: "اخف عنا"، فسأله سراقة أن يكتب له كتاب امن، فأمر عامر بن فهير فكتب له في رقعة من ادم، وان رسول الله ﷺ قال له "كيف بك إذا لبست سوارى كسرى" فعاد سراقة ولم يخبر احد، ومضى رسول الله ﷺ لوجهته ()، ولما قفل سراقة راجعا، اخذ لا يرى أحداً من القوم إلا رده وقال ((: كهيتكم هذا الوجه)) () .

وعندما وصلا الغار ليلا، طلب أبو بكر من رسول الله ﷺ أن يدخل قبله فدخل أبو بكر فجعل يلتمس الغار بيديه وكلما وجد جحرا شق من ثوبه وسد ذلك الجحر، حتى أتى على ثوبه كله، فبقي جحر، فوضع عقبه عليه، وبعد ذلك ادخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال له النبي: "أين ثوبك يا أبا بكر"، فأخبره بما صنع، وعندما رفع رسول الله ﷺ يديه ودعا لأبي بكر () .

هذا غير ما أسلفنا من ذكر أمر عبد الله بن أبي بكر في الغار عندما كان يأتهاما بجبر القوم، وأسماء بنت أبي بكر تذهب إليهما بالطعام، وعامر بن فهير مولى أبي بكر الصديق، الذي كان يرعى أغنامه نهارا، ويريحها إذا أمسى الى الغار، ليحتلبان ويذبحان ()، ويكفي أبا بكر فخرا إن الهجرة بدأت من

٤. موقف أبي بكر الصديق ﷺ وأهله من الهجرة

لقد جعل أبو بكر الصديق ﷺ نفسه وأهله وماله قربانا لدعوة الحق ولصاحب الدعوة رسول الله ﷺ، إذ إن أبا بكر لما خرج مع رسول الله ﷺ في الهجرة، احتمل معه ماله كله، وكان معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، قالت أسماء بنت أبي بكر: "فدخل علينا جدي أبو قحافة وهو قد ذهب بصره، فقال: والله إني لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبت انه

داره، وان رسول الله ﷺ اختاره صاحباً له في طريق هجرته، فأبي مكانة تبوأ، وأي شرفاً نلت أيها الصديق .

٥ . الدعوة في طريق الهجرة

ما ترك رسول الله ﷺ أمر الدعوة منذ أن أمر أن يجهز بها ، يدعو إلى الله وهو في أصعب الظروف ، لما انتهى رسول الله ﷺ في طريق هجرته إلى الغيميم ، أنه بريدة بن الحصيب الأسلمي ، فاسلم هو ومن معه، وكانوا ما يقارب السبعين بيتاً، وقد تعلم شيئاً من القرآن من رسول الله ﷺ ثم رجع بريدة إلى قومه () ، وعندما أتى بريدة ومعه السبعين راكباً من بني سهم ، فتلقى النبي ، فقال له نبي الله ﷺ من أنت : قال أنا بريدة ، حينها التفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فقال : " برد أمرنا واصلح "، ثم سأله ممن أنت ، قال: من اسلم، قال لأبي بكر: " سلمنا "، ثم قال من بني من، فأجابه بريدة: من بني سهم، فقال رسول الله ﷺ : " خرج سهمك "، وكان هذا شاهداً على تفاؤل النبي ﷺ وعدم تطيره () .

٦ . الطريق إلى المدينة

وعندما هبط الرسول ﷺ وصاحبه وادي العرج في طريق هجرتهم أبطاً عليهم بعض ظهرهم، فحمل اوس بن عبد الله بن حجر وهو من اسلم، رسول الله ﷺ على جمل إلى المدينة وأرسل معه غلاماً يقال له مسعود بن هنيذة، وقد اسلموا على يد رسول الله ﷺ ، وعندما أراد رسول الله ﷺ اختصار الطريق إلى المدينة، استعان برجلان اسمهما المهانان، وقد اسلما وسماهما رسول الله ﷺ، المكرومان وسلكا به طريق ركوبه، وهي ثنية بين مكة والمدينة عند العرج () .

سلك بهما دليلهما ابن اريقط ، أسفل مكة، ثم مضى معهما على الساحل ، وعارض بهما الطرق أسفل من عسفان ، وبعدها سار بهما إلى أمج ()، وعبر بهما حتى عارض الطريق بعد إن أجاز بهما قديداً، ثم سار بهما من مكانهما ذلك فسلك بهما الخرار وهو موضع قرب الجحفة ، ثم ثنية المرة، ثم لقف، وقطع بهما مدلجة لقف، فاستبطنوا مدلجة مجاج ، ثم سلخوا مرجح مجاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين ، ثم بطن ذي كشر، ثم اخذ بهما على الجداجد ()

وهي آبار، ثم الاجرد ()، ثم سلك بهما ذا سلم، ثم
على العبايد ()، ثم أجاز القاحه ()، ثم هبط بهما
العرج وهي قرية في واد من نواحي الطائف () .

وهنا أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فبعث معهما اوس بن
حجر ، غلاما له اسمه مسعود بن هنيذة ، حيث
خرج بهما من العرج إلى ثنية العائر يمين ركوبه، ثم قدم
بهما قباء على بن عمرو بن عوف، وكان ذلك في يوم
الاثنين " لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول" ()
وفي الطريق في بطن ريم لقي رسول الله ﷺ الزبير بن
العوام ، وهو في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين
من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابا
بيضاء (٨) .

٧. نجاح الحطة ووصول الرسوا ﷺ

أقام رسول الله ﷺ بقباء، في بني عمرو بن عوف ،
حيث مكث فيهم أربعة أيام ، وأسس مسجد قباء،
فكان أول مسجد بني في الإسلام ، وخرج رسول الله
ﷺ من بين أظهرهم في اليوم الخامس، فأدركته الجمعة
في بني سالم بن عوف، فصلاها رسول الله ﷺ هناك،
فكانت هذه أول جمعة صلاها الرسول ﷺ في المدينة)
(.

كان خروج رسول الله ﷺ من مكة " يوم الاثنين، ودخل
المدينة يوم الاثنين" إذ إن المدة بين خروجه من مكة
ودخوله المدينة " خمسة عشر يوما " بما فيها إقامته
بغار ثور ثلاثة أيام ، ويعود طول المدة، إلى أنهم سلكوا
الطريق الساحلي، وهو أبعد من الطريق المعبد،
واجتازوا في مرورهم خيمتي أم معبد الخزاعية () .

جاء رسول الله ﷺ وصاحبه، فأراحوا في ضواحي المدينة، ثم بعثا إلى الأنصار يعلمانهم، فاستقبلهما ما يقارب خمسمائة من الأنصار حتى وصلوهما، فقالت الأنصار: "انطلقا امنين مطاعين"، فاقبل رسول الله ﷺ وصاحبه، فخرج أهل المدينة وكلهم شوق لرؤية رسول الله ﷺ، فلم يرى منظرا شبيها به يومئذ، حتى إن انس بن مالك قال: " فلقد رأيته يوم اقبل علينا ويوم قبض، فلم أرى يومين مشبها بهما"، وأراد الفرح والسرور يوم قدومه المدينة، والحزن والغم يوم وفا ﷺ (.

التف الأنصار من حول رسول الله ﷺ، وكلهم يدعوهم إلى النزول لداره ويمسك زمام راحلته، يرجوه النزول، فقال لهم رسول الله ﷺ: "دعوها فأنها مأمورة"، فمضت ناقته حتى أناخت في موضع لغلابين يتيمين من بني النجار، أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فقال رسول الله ﷺ: "ههنا المنزل إن شاء الله"، فجاء أبو أيوب واحتمل الرجل إلى داره (.

المبحث الثالث : الدروس والعبر الإيمانية

عندما بدأ رسول الله ﷺ الإعداد للهجرة، ثم هاجر، وكذلك في طريق هجرته استعمل لأجل ذلك كل الأساليب والوسائل، أخذاً بالأسباب حتى انه لم يترك وسيلة رآها مناسبة إلا واتبعها ليوضح أن الإيمان بالله عز وجل لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب المادية، ولم يكن ذلك خوفاً من المشركين أن يمنعه من الهجرة، فهو ذكر في غير موضع إن الله مانعه، وهو يعلم حق اليقين إن المشركين لا يصلون إليه، وندرك ذلك عندما أحاط المشركون بالغار، ولو إن احدهم نظر عند قدمه لرآهم وخشي أبو بكر أن يراهم القوم، فجاءه الرد المطمئن من رسول الله ﷺ: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما"، إذن كل ما عمله الرسول ﷺ من احتياطات، كان لدواعي تشريعية، وليعتبر أولى الأبواب (.

١. أول من يضحى

اثبت رسول الله ﷺ ببقائه في مكة، أن القائد يجب أن يحرص على سلامة رعيته ويطمئن عليهم، فإذا كان

هو في منعة هذا لا يعني أن يترك من حوله يعانون، كان متابعاً لإخبارهم ، مشاركتهم لهمومهم، وعندما اشتد إيذاء المشركين لهم، أمرهم بالهجرة إلى المدينة بعد أن أرى دار هجرتهم ، وحدد الله تعالى له مكانها .

٢ . استبقاؤه لأبي بة [٢]

إن استبقاء أبي بة [٢] دون غيره، يحمل دلالات ويدعو إلى التفكير، إذ إن العلماء قالوا في ذلك ، إن الرس [٢] باختياره لأبي بكر للبقاء معه يفصح عن مدى حبه لأبي بكر، وإن أبي بكر اقرب أصحابه إليه، وعززت هذه الدلالة وأخرى غيرها مثل استخلاف أبي بكر لإمامة الصلاة في مرضه [٢]، اختيار أبو بكر خليفة لرسول الله [٢] ، وكان أبو بكر عند حسن ظن رسول الله [٢] به فقد رأيناه كيف عمل على تجهيز أمور الهجرة ومستلزماتها، ودخوله قبل رسول الله [٢] الغار خوفاً عليه، نذر نفسه وأهله وماله فداء لرسول الله [٢] ، فكان رسول الله أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه () .

٣ . الاستفادة من ذوي الخبرة من غير المسلمين

"... واستأجرا عبد الله بن اريقط ليدلهما على الطرق . . ()"، استأجراه وهو مشرك لخبرته بمسالك الطرق، لأن طريقتهما سيكون غير الطريق المألوف إلى المدينة ، ليتجنبوا الطلب ، ولا ضير أن يستفادوا من خبرته مادام انه مأموناً لا ينقل الأخبار للمشركين، ونرى إن رسول الله [٢] عندما أراد أن يختصر الطريق الى المدينة، عند وصولهما "العرج"، استفاد من خبرة رجل آخر وهو مسعود بن هنيذة ()، لأنه اعرف بذلك الطريق، من باب أهل مكة أدرى بشعابها .

٤ . علي بن أبي طالة [٢] في فراش رسول الله

إن بقاء علي بن أبي طالب [٢] في مكة، ونومه في فراش رسول الله [٢] يظهر مدى استعداد أصحاب رسول الله [٢] للتضحية من اجله، والدفاع عنه فهم يفدونه بأنفسهم . وإن تكليف علي [٢] للبقاء لرد الأمانات إلى أهلها التي كانت قريش قد أودعتها عند رسول الله الصادق الأمين ، يبين مسألتين، الأولى : عدم تخلي رسول الله عن أداء الأمانة وهو في أصعب الظروف ، فتلك من الثوابت بالنسبة له التي لا يمكن التخلي عنها حتى مع أعدائه الذين يحاولون قتله،

والثاني : يبين إن إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربهم له، دليل على إن المشركين لا يختلفون على استقامة الداعية وصدقه وأمانته ، ولكنهم أخذتهم العزة بالإثم وقيدتهم العادات والقيم وأضلّتهم عن طريق الهداية () ،

ولقد ذكرتكم والخطي يخطر بيننا وقد نهلت
مني المثقفة السمر
وقال آخر :

ولقد ذكرتكم والرماح كأنها أشطان برّ في
لبان الأدهم ()

٥ . التوكل على الله ﷻ وعبقرية التخطيط

إن التوكل على الله ﷻ لم يكن يوما يتعارض مع الأخذ بالأسباب ، إذ إن رسول الله ﷺ في هجرته ما ترك سببا لا نجاح هجرته إلا اخذ به، فنراه يخرج من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، محيطا أمر خروجه بسرية تامة، وهو يعلم ان الله مانعه من المشركين، في حين نراه عندما أحاط المشركين بالغار وخشي أبو بكر أن يراهم القوم ، يقول له رسول الله ﷺ بقلب الداعية الواثق من ربه والمتوكل عليه: " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " ، وهذه أقصى درجات

٦ . التوجه إلى الغار

عندما نعلم أن غار ثور في جنوب مكة وليس على طريق المدينة، تبدو لنا عظمة التخطيط، حيث احتمالات الرصد، وإن قريش سوف تجد بالطلب على طريق المدينة المتجه شمالا، ورسول الله ﷺ سلك الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه إلى اليمن () .

٧ . خبر القوم

كان رسول الله ﷺ حريصا على أن يعرف تحركات أعدائه ومخططاتهم، إنشاء مكوثهما في الغار، ليحدد الخطوة المقبلة على ضوء تلك التحركات، فأسند تلك وهو لعمرى كثيرا في إشعارهم ، كما قال:

المهمة إلى عبد الله بن أبي بَكْ [٢]، وكان شاباً ثقف لقن، لا يسمع كلاماً إلا وعاه، فيذهب من عندهما وقت السحر، فيصبح في قريش بمكة كبائت، فيأتيهما بخبر القوم وما يكتادون به حين يمسي، فأتى مهمته على أكمل وجه () .

١٠. قصة أم معبد

إن هذه الخطة من محطات الهجرة، كانت سبباً في ملاحقة المشركين للنبي [٢] ومن معه، وتحديد خط سيرهما، وقد مر بنا ما ذكرت أسماء بنت أبي بكر من قصة الرجل الذي تغنى بأبيات من شعر العرب، يسمعون صوته ولا يرونه، وعرفوا إن رسول الله مر بجيمتي أم معبد في مساكن خزاعة () ،

ان كشف طريق الهجرة من قبل هذا الذي ولا يرى ولا يسمع الا صوته ، هو أمر فوق طاقة البشر، لم تنفع معه كل السرية التي أحيطت بها الهجرة، ومع هذا إن كشف جانب من الخطة ما هو إلا امتحاناً عسيراً لتمحيص المؤمنين ، وان يكون الأخذ بالأسباب مقروناً بالتوكل على الله [٢] ، تماماً كما فعل رسول الله [٢] .

١١. النفس الطويل والتدرج في الدعوة

٨. الإقامة في الغار ثلاثة أيام

" . أقام رسول الله [٢] في الغار ثلاثة أيام ومعه أبي بكر () ، لماذا ثلاثة أيام ؟ لان الخروج في الأيام الأولى كان من الخطورة بمكان ، إذ إن الطلب بدأ يشتد عليهما في الأيام الأولى ، وان مدة الثلاثة أيام كانت على أساس المعلومات المقدمة من عبد الله بن أبي بَكْ [٢] ، الذي كان يأتيهم بخبر القوم، واخبرهم حينها بان الطلب خف عليهما، فغادرا حينها الغار () .

٩. شراء الراحلة

إن إصرار رسول الله [٢] على عدم قبول الراحلة من أبي بكر الصديق [٢] حتى يخبره بشئها، ما هو إلا رغبة رسول الله [٢] باستكمال فضل الهجرة لتكون هجرة إلى الله [٢] بنفسه وماله () .

٢. إن هجرة الرسول الكريم ﷺ وأصحابه كانت من صفات الداعية أن لا يكون عجولاً ، وإن لا تفتّر همته، فهذا نبي الله نوح ﷺ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ﷻ، ونلاحظ التدرج بالدعوة عند رسول الله ﷺ فعندما جاءته اطلاع الأنصار الأولى، ما زاد على دعوتهم إلى الله وترغيبهم بالإسلام، فلما عادوا في العام التالي بايعهم بيعة النساء التي بين لهم فيها تعاليم الإسلام، وفي بيعة العقبة الثانية في العام التالي بايعهم بيعة الحرب، التي شملت الجهاد والنصرة والإيواء، أي إن تلك المراحل تمت بالتدرج، وكل مرحلة استوفت حقها من الإعداد والتأهيل () .
٣. حكمة الرسول ﷺ في معالجة الموقف، فكان يرفع يديه بالدعاء وطلب من الله استكمالاً لفضله إن يحبب المدينة إلى أصحابه .
٤. إن رسول الله ﷺ علم الدعاة درساً في الدعوة بليغ، فكان يدعو إلى الله ﷻ في أصعب الصروف .

الخاتمة

أثبتت دراسة البحث الأمور التالية :

١. حين يئأس المبطلون من إيقاف دعوة الحق، ويسقط في أيديهم ، ويفلت المؤمنون من قبضتهم يلجأوا إلى محاولة قتل الداعية ، ظناً منهم أن قتلوه تخلصوا منه وقضوا على دعوته، وهذا لعمري تفكير أعداء الإصلاح ، الذين دفعهم الخوف على مصالحهم إلى أن يستغشوا ثيابهم ويضعوا أصابعهم في أذانهم ، إمعاناً في الضلال وإنكاراً للحق .
٥. كان اختيار مدينة يثرب اختيار رباني إذ أراد الله عز وجل النصر لهذا الدين فجعل المكان للزمان الذي بعث الله به الرسول ﷺ رحمه للعالمين .
٦. إن اختيار الأصحاب في الدعوة يعد من أولويات النصر إذ اختار الله تعالى لرسوله أصحاب من الطراز الأول في التضحية والإيمان بالعقيدة وحب النبي ﷺ .

٧. ن اختيار أبي بكر الصديق ليكون

صاحبه في الهجرة إنما يدل على ان ابي بكر الصديق

هو اقرب الناس لرسول الله ٢ . فكان نعم صاحب

ونعم الصديق .

٨. عندما وصل الرسول ٢ إلى المدينة اتخذ

إجراءات عملية سريعة كي يحافظ على بناء الدولة

الجديدة وعدم تفكك أصحابه من حوله ، فقام ببناء

المسجد ثم وضع وثيقة المدينة لتكون دستوراً خالداً

يقتدي به الدعاة من بعده .

وهذا ما طالته أيدينا من معلومات جمع وكتابة لهذا

البحث البسيط بعدد أوراقه الكبير بمعناه . ونسأل

الله التوفيق والسداد .

الاديرة والمدارس المسيحية في العراق (العهد الساساني)

أ.د عادل هاشم علي

م.م اشرف عبد الحسن

المبحث الأول: الحياة الرهبانية:

١-الاديرة لغةً واصطلاحاً:

الديرُ لغةً: هو خان النصارى والجمع اديار و(ديورة) مثل بعل وبعولة وصاحبه الذي يسكنه ويعمره يسمى ديار وديراني على غير قياس ويقال لمن رأس أصحابه هو رأس الدير أي مقدمهم (١)، ولفظة (الدير) من الالفاظ المعربة من أصل سرياني هو (دير) بمعنى دار أي بيتُ الراهب (٢).

الدير اصطلاحاً: كنيسة منقطعة العمارة، تنقطع فيها رهبان النصارى لعبدهم (٣). ولا يكاد يكون في المصر الأعظم وإنما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال، فان كان في المصر الأعظم فانه كنيسة او بيعة(٤)، ويختار النصارى لبناء اديرتهم المواضع الكثيرة الشجر والرياض والمياه وكانوا يجعلون في حيطانها وسقوفها الفسافس والذهب (٥).

والراهب، هو ذلك الانسان الذي يخاف الله، وهو فعل مشتق من الفعل رهب، أي الخوف والفرج، الذي يجعل الراهب يخصص ذاته لله والعيش حياة النسك والتوحد التي تحمله على ترك كل شيء وراء ظهره من ملذات الحياة ومتعها في سبيل الله. والراهب هو الذي يقدم ذاته طوعاً قرباناً حياً عن اخوانه، ويعيش القيم الروحية والأخلاق

(١) الرازي، مختار الصحاح، ج١، ص٢١٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤)، ج٤، ص٣٠٠.

(٢) جواد علي، المفصل، ج٦، ص٦٥٤.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٢٣٣؛ جواد علي، المفصل، ج٦، ص٦٥٤.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٥.

(٥) ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٠٣، ٦٠٤؛ فيه، اشور المسيحية، ج١، ص١٦ وما بعدها.

الدير، إذ فيها يؤدي الرهبان صلواتهم الجماعية، من الطقوس والرتب. وكان في الدير أحياناً أكثر من كنيسة واحدة، ويضم الدير الكثير من القلاي، أي الغرف، حسب عدد الرهبان. إذ كان لكل راهب قلايته (٤) أو صومعته الخاصة به. وفي الدير أيضاً أماكن عامة للاجتماع والاستقبال، بالإضافة الى أماكن خاصة لاستقبال الضيوف من مختلف الاجناس والطبقات. (٥) وكانت في الدير مكتبات خاصة للرهبان يطالعوا فيها مختلف أنواع الكتب-المخطوطة طبعاً- الدينية والأدبية والعلمية وغيرها من تفاسير الكتب الدينية ومن مؤلفات الفلاسفة واللاهوتيين، وكان عدد من الرهبان يقومون باستنساخ الكتب، فكانت ورشهم بمثابة مطبعة للدير، توفر للرهبان مختلف المراجع للقراءة والمطالعة. واضطلعت تلك الدير والمدارس بالنشاط العلمي الذي يتناول العلوم السريانية واليونانية على حد

ية بكل جذرياتها (١). الحياة الرهبانية: غالباً ما قيل ان حيوية الكنيسة منوطة بحيوية الرهبانية فيها. وكانت الأديرة دوماً مراكز للحياة الروحية وللعمل الدؤوب، وفيها مدارس الفكر والثقافة في مختلف ميادينها. وما ان انتشرت الحياة الرهبانية في الديار المصرية (٢)، حتى اقتبستها بلاد ما بين النهرين ومنها الى المشرق. فكان الرجال والنساء يعيشون في البدء حياة رهبانية في وسط العالم وبين ذويهم، عاكفين على الزهد والصلاة. وفي القرن الرابع، انتظمت هذه الحياة وتطورت إلى حياة جماعية في نطاق أديرة. وسرعان ما انتشرت هذه الأديرة في طول البلاد وعرضها، في سهولها وجبالها (٣). وكانت الكنيسة تشكل قلب

(١) ينظر: البير ابونا، ديارات العراق، ص ١٢؛ الفتلاوي، القاب الراهب في اللغة السريانية، ص ٥٥٥.

(٢) يعبر القديس انطونيوس الكبير مفتاح الطريقة النسيكية الشرقية في مصر، اذ اختار الصحراء الشرقية في مصر مقراً له وسكن مغارة هناك مدة تسعين سنة، ولد سنة ٢٥١ من ابوين مسيحيين وهو من عائلة ثرية، ولم يكن مصري الأصل بل ان مهاجرين يونان سكنوا مصر، وقد ترك ثروته واختار حياة الزهد والرهبة، للتفصيل ينظر: البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٨.

(٣) الدليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٦.

(٤) وهي مثل الصومعة يتعبد فيها الرهبان وهي من الالفاظ المعربة من اصل يوناني هو Kelliyon ومعناها غرقة الراهب او الناسك، والقلاية مرتفعة يبنها الرهبان كالمنازة، والقلاية تكون مفردة ينفرد الراهب بنفسه للتعبد، ينظر: جواد علي، المفصل، ج ٦، ص ٦٥٣؛ عطوي، الدير واثرا في انتشار النصرانية قبل الإسلام، ص ٣.

(٥) البير ابونا، ديارات العراق، ص ٢٥-٢٦.

من المدن والقرى، ويبدو أن السبب الرئيسي لاعتناقهم هذا الأسلوب من الحياة كان تعطشهم الى الله. فحملهم هذا العطش على التفرغ كلياً لله والتخلي عن كل شيء آخر. وقيل إن السبب الذي دفع هؤلاء الناس الى الحياة الرهبانية كان تخوفهم من إغراءات الحياة. وقيل أيضاً أن أحد الأسباب كان خوفهم من ظلم الطغاة ومن الاضطهادات المتلاحقة التي اضطرتهم إلى الابتعاد عن الأماكن التي تعرضهم للأخطار، والانعزال بعيداً عن المواضيع المأهولة (٣).

وتضاربت آراء المؤرخين بشأن الشخص أو الأشخاص الذين أنشأوا الحياة الرهبانية في كنيسة المشرق، فهناك من يظن أن أول من حمل طريقة الحياة الرهبانية الى كنيسة المشرق هم أولئك الأساقفة والنسك الذين اضطهدهم الإمبراطور الروماني والنس (٣٦٤-٣٨٧). فغادروا بلاد الروم ولجأوا إلى الإمبراطورية الفارسية. وهناك شرعوا يؤسسون أديرة في أمكنة عديدة. وقد تمحور معظم هذه الأديرة في جبل الألوف (جبل مقلوب) وحوله، وهو الجبل الواقع بين مقاطعتي نينوى ومرج (٤) الموصل (١). وظن

سواء. ولقد قامت هذه الأديرة بدور العوامل الفعالة في تقوية النفوذ السرياني وهو ينفذ على مهل إلى الحياة العربية، فترك عليها طابعه (١). وهكذا نرى بأن الأديرة لم تكن فقط أماكن للتعبد والتسك، وإنما كانت لها ادواراً اجتماعية تمثلت بإيواء المسافرين واکرام الضيوف، وكان في الأديرة أماكن خاصة لنزول الضيوف واکرامهم بكل ما يحتاجون من المأكل والشراب والمبيت، فضلاً عن دور الأديرة في مجال التعليم ونسخ الكتب ونشر الثقافة بين الرهبان خاصة وبين ضيوفهم والمناطق المحيطة بهم، وكان للأديرة كذلك دوراً اقتصادياً تمثل في ممارسة الرهبان للعمل والزراعة وممارسة بعض المهن في أوقات فراغهم بعد انقضاء أوقات العبادة، وقد ساهمت تلك الاعمال في سد حاجات السكان في الأديرة، فضلاً عن بيع ما يفضل عن حاجتهم في الأسواق (٢).

وهناك عدة آراء حول سبب نشوء الرهبانية في المسيحية الشرقية ومن كان السبب في نشوء تلك الرهبانية، واختيارهم حياة الزهد والعزلة والتوحد، في البراري والجبال، أو حياة جماعية بالقرب

(١) ينظر لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ٤٧١.

(٢) للتفصيل ينظر: الحسيني، الرهينة مفهومها ودورها في المجتمع، ص ١٤٩-١٥٦.

(٣) البير ابونا، ديارات العراق، ص ١٣.

(٤) المرج: هو اسم أطلق على المنطقة التي تشكل مثلثاً متساوي الساقين، قاعدته نحو الشمال في سلسلة جبال عقرة،

المضمار، تقوم نصيبين بدور المنطلق أو الأصل في الحركة الرهبانية في ما بين النهرين (٣).

والرأي الآخر يشير الى ان هناك أماكن مقدسة أو مزارات أقيمت إكراماً لأضرحة بعض القديسين. وكان أناسٌ يقومون بخدمتها لاستقبال الناس الوافدين ومساعدتهم لدى زيارتهم تلك الأماكن. وكان هؤلاء المتطوعون يشكلون نوعاً من جماعة رهبانية على نطاق ضيق. ومن بين هذه المزارات القديمة مزار مار ايثالاها قرب مدينة دهوك في شمال العراق. وهناك أديرة وصفت بأنها "قديمة جداً"، ولا يُعرف تاريخ تأسيسها ولا هوية مؤسسها، مثل دير نردوس شمالي الموصل (٤). والحياة الرهبانية ليست خاصة بشعب دون آخر، او على ديانة دون أخرى، فهي السعي الى الكمال الإنساني وفق المثل التي حددتها كل ديانة والانسان بطبيعته يبحث عن الكمال المطلق، وعلى ضوء ذلك نستطيع ان نرجح الرأي القائل بان الرهبانية المشرقية انما نشأت مستقلة نوعاً ما عن

آخرون أن ما وراء الحياة الرهبانية في كنيسة المشرق هو "اوجين" (٢) ورفاقه القادمين من البلاد المصرية ثم شرعت تنتشر في الشمال من بلاد بين النهرين، وفي منطقتي قردو وبث زبدى المجاورتين لجزيرة ابن عمر، ثم توجه لاحقاً إلى منطقة بئث نوهذرا. وفي هذا

ورأسه نحو الجنوب عند ملتقى نهر الزاب الكبير بالخازر. ويحد هذه المنطقة من الشرق نهر الزاب الكبير ومن الغرب نهر الخازر ورافده نهر الكومل، والاسم مشتق من تربة المنطقة الخصبة الغزيرة المياه، ويطلق على المريج بالكلدانية (مركا). ينظر: المرجعي، الرؤساء، ص ١١؛ الملا، حنان عبد الرحمن، الديارات النصرانية في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تكريت-كلية التربية، ٢٠٠٥، ص ٥٢.

(١) البير ابونا، ديارات العراق، ص ١٤؛ المرجعي، كتاب الرؤساء، ص ٦ من المقدمة؛ ص ٢٥٥.

(٢) أصله من مصر. أقبل من هناك بصحبة سبعين تلميذاً وسكنوا في نصيبين مدة، في عهد مار يعقوب أسقف المدينة، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع. ثم انتقلوا الى جبل "إيزلا" القريب من نصيبين، وعاشوا هناك في كهوف طوال ثلاثين سنة. وسرعان ما انضم إليهم أشخاص آخرون، حتى أصبح عددهم ثلاثمائة شخص. فبنى لهم اوجين ديراً هناك، وتوفي "اوجين" سنة ٣٦٢؛ ينظر: البير ابونا، ديارات العراق، ص ١٦.

(٣) البير ابونا، ديارات العراق، ص ١٥؛ فبيه، حنا، أضواء على انتشار الرهبنة في بلاد بين النهرين، تعريف: نجيب قاقو، مجلة بين النهرين-بغداد، عدد خاص، (مطبعة الأديب البغدادية، سنة ١٩٧٦م)، العدد ١٤ - ١٥، ص ٢٥٤.

(٤) البير ابونا، ديارات العراق، ص ١٧.

التيارات الرهبانية التي قدمت من البلاد المصرية، أو من منطقة الروم.

وبالرغم من الغموض الذي يكتنف نشأة الحياة الرهبانية في الكنيسة الشرقية، فإن الطريقة الرهبانية، في شتى صيغها، قطعت في بلاد المشرق أشواطاً كبيرة منذ نشأتها حتى نهاية القرن السادس، وتطورت تطوراً سريعاً على مختلف الصُّعد: الروحي، والثقافي، والتنظيمي، الخ... فقد انتشرت الحياة الرهبانية في القرن الخامس انتشاراً واسعاً، وكثرت الأديار في طول البلاد وعرضها، وشرع الرهبان يقومون بدور فعال في الكنيسة. فالأديرة تزود الكنيسة بمختلف فئات رؤسائها، من الجنازة والأساقفة، كما تهيم لهذه الكنيسة أساتذة مثقفين يقومون بهذيب الأجيال الصاعدة. وكانت ثقافتهم تشمل شتى فروع العلوم الدينية والكنسية والإنسانية. إلا أن الجدالات العقائدية التي دارت في النصف الأول من القرن الخامس شغلت الكنيسة عن إيلاء المؤسسة الرهبانية كل اهتمامها. وتميز القرن السادس بحركات عديدة، أسهمت في تعزيز صفاء الحياة الرهبانية، أدت في نهاية الأمر إلى خض الرهبانية ودفعها إلى أمام في امتدادها وانتشارها في مناطق واسعة من البلاد

المشرقية^(١). وسنتناول بعضاً من تلك الأديرة وبيان بعض الشيء عن أدوارها والمهام الروحية والاجتماعية:

أولاً: دير ايزلا الكبير: قام مار إبراهيم الكشكري بتأسيس دير ايزلا الكبير الذي يقع بالقرب من نصيبين في منتصف القرن السادس، واخذ الرهبان في هذا الدير على عاتقهم تنظيم الحياة الرهبانية في كنيسة المشرق وتحديد صيغتها القانونية وقد أولى إبراهيم الكشكري هذا الدير اهتماماً كبيراً وزوده بقوانين سنة ٥٧١ حتى اضحى ذلك الدير من أهم الأديرة، ليس في المنطقة وحدها، بل في كنيسة المشرق قاطبة، وسُميَ "بالدير الكبير". برز الراهب إبراهيم الكشكري في القرن السادس للميلاد، تضرع في علوم الدين وقصد الحيرة ثم الاسكندرية وسيناء وتعلم هناك أنظمة الرهبان والزهاد ثم عاد، ومن مصنفاته (سفرة في قوانين الحياة النسكية)^(٢). وبعد وفاة إبراهيم الكشكري سنة ٥٨٦، استلم داديثوع رئاسة الدير، وواصل عمله بالدير حتى وفاته سنة ٦٠٣، فصار باباي الكبير الرئيس الثالث لهذا الدير ودامت

(١) البيرابونا، المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٦٣ - ٦٤.

رئاسته من سنة ٦٠٣ حتى سنة ٦٢٨ (١) وقد أصبح مركزاً هاماً للثقافة زود كنيسة المشرق بعدد من رؤسائها وأساقفتها وعلمائها وأدبائها (٢).

ثانياً: الأديرة في كشكر: أقيمت في كشكر العديد من الأديرة، منها الدير الذي أنشأه الراهب راموي، وكذلك الدير الذي أقامه مار ققرا قرب نهر دجلة. كان حنانيا الحديابي قد ذهب إلى نصيبين حين جهد في التبشير بين الوثنيين وألف كتباً عدة وتاريخاً كسبياً ثم قدم كشكر وهناك قضى نخبه (٣).

كان الملك الساساني أردشير الأول (٢٢٤-٢٤١م) قد احتل كشكر ودمرها انتقاماً لمسيحياتها وصمودها في وجه غزوته، لكن بعد حين عاد العديد من سكانها، وازدهرت من جديد. وكان تومر صا (٣٦٣-٣٧١) من كشكر قد عُقدت له رياسة الأساقفة في طيسفون - ساليق وكان يطوف المدن ويعمر البيع اي الكنائس، وكان يعرف غوامض

(١) البيرابونا، ديارات العراق، ص ٢٠-٢١.

(٢) ينظر: الدليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٦.

(٣) ينظر: يشوعدناح، الديورة، ص ٥٢-٥٨؛ قزائجي، أصول الثقافة السريانية، ص ٨٦.

الناس، وبقي في هذه الرئاسة مدة سبع سنوات ودفن في طيسفون (٤). ومر بنا ان المسيحية كانت قد انتشرت في كشكر منذ القرن الاول الميلادي بفضل جهود الرسل، واصبحت من الاماكن الرئيسية للمسيحية وبرز فيها العديد من الاساقفة والعلماء وانشئت فيها الكنائس والاديرة، وكان البطريك سبريشوع (٥٩٦-٦٠٤) (٥) قد أمره الملك الفارسي (كسرى الثاني) (٥٩٠ - ٦٢٨م)، بالذهاب إلى مسقط رأسه كشكر على اثر خلاف بينه وبين بعض المطارنة. فلما ذهب عمد إلى بناء دير في الموضع المعروف باسم (يزداد نهروثا) وقام بالتبشير بالمسيحية بين الوثنيين هناك (٦).

(٤) ماري بن سليمان، كتاب المجلد، ص ٢٨.

(٥) مطران باجرمي التي مركزها كركوك، أصله من قرية فيروزاباد في منطقة شهرزور (السليمانية)، تلقى العلم في مدرسة نصيبين، وترهب في دير إيزلا، ثم رسم أسقفاً للاشوم القريبة من داقوق، وانتخب بطريكاً، عقد مجمعا شرح فيه الايمان المسيحي، وهو الذي أنشأ "باعوثا نينوى-صوم نينوى" وعند ذهابه الى كشكر وتعيينه مطراناً عليها شيد فيها عدة اديرة منها دير (يزداد نهروثا)، ينظر: Assyrie, chrétienne III, P.24.

(٦) ينظر: مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص ٦٣ - ٦٤؛ قزائجي، أصول الثقافة السريانية، ص ٨٦.

من نهر دجلة على نحو تسعين كيلومتراً جنوبي بغداد وتشاهد اطلاله اليوم في شمالي (العزنية حالياً) ويسمىها الاهلون (تلول الدير) وقد تبعد عن ضفة نهر

(البرص) فشفاهها الرسول مار ماري باعجوبة، فقابلت إحسانه بأن وهبته كثيراً من ضياعها وأراضيها، فشيء فيه ديراً هو دير قني. يقول الاب البير ابونا: (كان الملك اربطان الذي يقيم في قطيسفون وكوخي، ولكي يختبر الملك مصداقية رسالة مار ماري الرسول، عرض عليه أن يشفي اخته قني المصابة بداء عضال (البرص) والساکة في منطقة بعيدة، ورضي الرسول مار ماري بالذهاب إليها، وشفاهها من مرضها الذي كان يقيها في عزلة عن المجتمع وبعيدة عن أخيها الملك، واراد الملك اربطان ان يكافئ مار ماري الرسول على شفائه اخته قني، أهدى الملك إليه أرضاً بالقرب من العاصمة قطيسفون في منطقة من اكواخ، او صراف كان يسكنها فعلة الملك ومزارعوه، حتى عم اسم الاكواخ (كوخي) على تلك المنطقة كلها، وهناك أقام مار ماري الرسول الكنيسة الأولى الصغيرة التي تم ترميمها وتوسيعها في الاجيال اللاحقة، ولا سيما في عهد الجاثليق مار آبا الكبير في القرن السادس). البير ابونا، ملزمة (كنيسة المشرق في سطور)، كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت، بغداد - العراق، ٢٠٠١-٢٠٠٢.

وفي مطلع القرن الخامس برز اسم شمعون الكشكري^(١) كمفسر في مدرسة نصيبين احدى المدارس العالية مثل نصيبين وجنديشاور. وهناك أيضاً دير العمال (اي الحكام) وكان يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من كشكر، ثم دير بز الانهار؛ أسس هذا الدير غريغور الذي ولد في كشكر وأصبح مطرابطوط هذا الدير وتوفي فيه بعد شيخوخة متقدمة (٢). وهكذا نجد ان الاديرة في كشكر كما في غيرها خضعت لجملة من المؤثرات الثقافية والتوسع الجغرافي بحسب طبيعة كبار الرهبان فيها وخلفيتهم الثقافية.

ثالثاً: دير قني: (٣) وهو من جملة الاديرة الخاضعة الى ابرشية كشكر ويقع في الجانب الشرقي

(١) اشتهر شمعون في القرن الخامس الميلادي في مدرسة نصيبين الشهيرة كمفسر للعهد القديم، وهو احد تلاميذ نرساي وساعده في تأسيس مدرسة نصيبين سنة ٤٥٧، ينظر: فييه، اشور، ص ٢٠٧.

(٢) البير ابونا، ديارات العراق، ص ٣٣٢ - ٣٣٩.

(٣) قني: هناك حكاية تشير إلى ان مار ماري الرسول تلميذ الرسول ادي، وهو من ابناء المائة الأولى للميلاد، أسس دير قني، وخلاصة ذلك ان امرأة نبيلة تدعى قني وهي اخت الملك اربطان الذي كان يقيم في قطيسفون. اصيبت بمرض عضال

من جميع الثمار والنخل والزيتون وتباع غلته من مائتي دينار إلى خمسين ديناراً وعليه سور عظيم يحيط به وفي وسطه نهر جار(٤) .

وقد لاقى المعماريين مشقات جمّة لكثرة رطوبة المكان، لانه كان قريباً من ضفة نهر دجلة. وكثيراً ما كان يفرش الرهبان الحصر والثياب من الشط إلى الدير عندما ينزل الجاثليق من الشبارة (٥) لزيارة قبر مار ماري الرسول في هذا الدير. كان دير قني في بلاد ما بين النهرين من الاديرة الكبيرة التي اخذت على عاتقها نشر المسيحية في تلك المناطق. وقد لحد في مقبرته الواسعة (الجاثليق مار اسحاق المتوفى سنة ٤١١م). والجاثليق يابالاها المتوفى ٤٢٠م والجاثليق داديثوع المتوفى سنة ٤٥٦م وغيرهم، وامتازت كنيسته بمؤسستها المدفون فيها الرسول مار ماري رسول المشرق. فكان الناس يزورونها ولا سيما في عيد (٦) الصليب (١) .

دجلة زهاء كيلومترين بينما كان دير قني(١) لدى تأسيسه أقرب إلى النهر مما هو الآن (٢) .

وذكر الشابشتي ان: (هذا الدير على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدرًا في الجانب الشرقي بينه وبين دجلة ميل ونصف، وبينه وبين دير العاقول (٣) بريد وهو دير حسن، نزه، عامر وفيه مائة قلابة لرهبانية والمتبيلين فيه، لكل راهب قلابة. وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من ألف دينار إلى مائتي دينار إلى خمسين ديناراً وحول كل قلابة بستان، فيه

(١) اختلف الكتاب والمؤرخون في ضبط لفظة (قني) التي عرف بها هذا الدير، فقالوا فيها: (قُنّي) و (قُنّي) و (قُنّا) و (قُنّه) و (قُنّ) و (قُوني). ينظر: الشابشتي، الديارات، ص٣٠٠.

(٢) ينظر: عبد الحق، عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، (بيروت: الحلبي-دار المعرفة، ١٩٥٤)، ج١، ص٤٣.

(٣) دير العاقول: يقع بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطئ دجلة، فاما الآن فيبينه وبين دجلة مقدار ميل، وكان عنده بلد عامر واسواق ايام كون النهروان عامراً، فاما الآن فهو بمفرده في وسط البرية وبالقرب منه دير قني، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٦٧٦.

(٤) كتاب الديارات، ص٣٠٠؛ وينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٨.

(٥) الشبارة: ضرب من السفن النهرية، ينظر: الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٧٥.

(٦) ينظر: المجلد، ص ١٥٢ و ١٥٤؛ بطرس، ذخيرة الازهان، ١: ٤١؛ ١٥٧.

كان لدير قني عيد خاص ينفرد به تقريباً دون سواه، فيشمل جمال العيد وابته جميع سكان الدير ويمتد إلى ما يجاور الدير من قرى وأرياف، فيخرج الرهبان والقسوس في ذلك العيد إلى المذبح وبأيديهم الحماير، وقد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة (٢)، وجميعهم يرتلون التراتيل الدينية، فتجلى عندئذ عظمة العيد وجماله، ويتقاطر الناس من القرى المجاورة ليشتركوا بهذه المظاهر (٣).

ولا يخفى ان الصدمات التي لاقاها الدير كانت كثيرة العدد بالغة التخريب، فقد قال ماري ابن سليمان: (ان الملك فيروز بعد عودته من بلد الترك (أيام بابويه) عاد شره ورام محق النصرانية، فصار يهد الكنائس والديارات، ومن المؤكد أن بعض شظايا هذه النكبة كانت قد أصابت دير قني فأبادت قسماً من معالمه (٤).

رابعاً: الأديرة والرهبان في كركوك:

- (١) وهو في اليوم الرابع عشر من شهر أيلول في كل سنة عند المسيحيين، ينظر: الشابستي، الديارات، هامش صفحة ٣٠٠.
- (٢) ميخائيل عواد، دير قني، مجلة المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان ١٩٣٩، ص ١٨٨.
- (٣) مجلة المشرق، دير قني، ص ١٨٨.
- (٤) ماري، المجلد، ص ٤٣.

ان التقليد الرهباني في كنيسة المشرق يعود الى القرون الأولى. وذكر في كتابات أفراهاط الحكيم (٣٤٦م) أبناء وبنات العهد (أي الرهبان والراهبات). وفي القرن السادس نجد حركة ديرية قوية قادها إبراهيم الكشكري (٥٨٦م) الملقب بالكبير. وإن كتابات الرهبان الروحانية لاقت رواجاً كبيراً، وبعضها ترجم الى اليونانية واللاتينية والعربية (٥). وبين لنا ذلك تأثير الثقافة الشرقية المسيحية في الثقافة اليونانية.

وسنتناول بعضاً من حياة الرهبان في اديرة بيت عاببي:

١- يعقوب مؤسس دير بيت عاببي: ولد يعقوب في النصف الثاني من القرن السادس، في بلدة لاشوم (لاشين او لاسين الحالية) على مسافة ١٢ كم شمالي داقوق (٦). تهرب في دير ايزلا على يد إبراهيم الكبير وخليفته داديشوع (٧)، وسعى لتحصيل المعرفة

- (٥) ساكو، المسيحية في كركوك، ص ٥١.
- (٦) تقع داقوق في جنوب كركوك وعلى بعد ٢٨ ميلاً عنها وتشتمل على ٤٩ قرية، ينظر: فرنسيس، موسوعة المدن، ج١، ص ٤٠٣؛ الحسني، عبد الرزاق، موجز تاريخ البلدان العراقية، ط١، (بلا: ١٩٣٠)، ص ١٦٦.
- (٧) البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١، ص ٢٢٦.

٣-سركيس الزاهد: أصله من باجرمي .
تتلمذ أولاً على يد الربان قاميشوع من قرية خاصة في
كركوك. وترهب في دير بيت عابي ورأسه لفترة طويلة
من ٦٢٦-٦٣٦. ألف، على طلب يعقوب، كتاباً عن
سير القديسين الذين عاشوا في منطقة كركوك (٥) .

٤-يعقوب الرائي: أصله من قرية ريشا في
منطقة باجرمي(كركوك). وبعد ان تلقى تعليمه الاولي
فيها، قصد دير بيت عابي وترهب فيه. ولقب بالرائي
لأنه كان يرى الأمور البعيدة ويقرأ علامات الأزمنة.
ذهب الى دير مار ايشوعيا- ويعرف اليوم بدير مار
ياقو القريب من قرية شيوز التابعة لمدينة دهوك-وعاش
هناك مع ٣٠٠ راهب (٦) .

٥-أفنيماران: ولد في كركوك، وهو معاصر
للبطريك ايشوعيا-الحديابي (٦٤٩-٦٥٩). ترهب
في دير بيت عابي على يد الربان قاميشوع، ثم غادر
دير بيت عابي، واسس ديراً في سفح جبل بيخير، في
منطقة السليقاني-زاخو، دعي باسمه؛ وعرف أيضاً

وحياة الزهد والترهب. وبعد سبع سنوات، غادر
دير ايزلا مع ثمانية رهبان اخرين، إثر نزاع حصل بين
الرهبان. وقصدوا قرية "بيت عابي" في منطقة مركا
"المرج" التابعة لمدينة عقرة (في دهوك). وشيدوا لهم
ديراً كبيراً ملائمة الموقع، بأشجاره ومياهه. وسرعان
ما غدا هذا الدير الذي أسسه نحو سنة ٥٩٥ مركزاً
هاماً للحياة الديرية، وبلغ عدد الرهبان الثمانين عند
وفاة يعقوب سنة ٦٢٨ (١) .

٢-يوحنا سابا أو الشيخ: هو تلميذ يعقوب
من منطقة باجرمي. خلف يعقوب على دير بيت
عابي ستة أشهر، ثم انطلق سراً الى بلدة داقوق (٢)
وبنى على أحد تلالها ديراً يعرف بدير "حزقيال" (٣)
او دير "داقوق"، وفيه ختم حياته. ويذكر له
عبد يشوع الصوباوي بعض التآليف والمداريش (٤) .

(١) ساكو، المصدر نفسه، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) الصوباوي، عبد يشوع، فهرس المؤلفين، ترجمة الاب يوسف
حيي، (بغداد: طبع المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢)، ص ٢٢٠ .
(٣) يبدو ان هذا الراهب هو من أصل مصري ويهودي، جاء
الى بلاد ما بين النهرين في القرن السادس، وبني ديره في داقوق،
والتف حوله عدد من التلاميذ، ينظر: فييه، القديسون السريان،
ص ١٢١-١٢٢ .

(٤) الصوباوي، فهرس المؤلفين، ص ٢٢٠ .

(٥) المرجعي، توما، كتاب الرؤساء، ترجمة الاب البير ابونا،
الموصل، ١٩٦٦، ص ٥٨-٥٩ .

(٦) المرجعي، المصدر نفسه، ص ٦٤ .

البرادعي(٤) مطروبوليطا على تكريت وعينه مبشرا في المنطقة الساسانية ليدعو العرب الرحل الى المسيحية. ونَصَر من الجوس خلقا عديدا (٥)، ورسم لهم الشماسة والكهنة وشاد للرهبان ديرين الواحد في عين قنا (لقد شخص موقعه الاب جون فيسي الدومنيكي بقصر سريح قريبا من طريق الموصل الى الحدود السورية) والاخر في ضواحي تكريت ويقال انه نَصَر منهم كثيرين، وبينهم امير من العائلة المالكة وسمّاه جورجى، ويقال ابن كسرى انوشروان، فحنق عليه كسرى اذ ذاك وزجه في غياهب السجن، وتعرض للتعذيب الى ان امر كسرى بقطع راسه سنة

(٤) وهو احد القساوسة في الكنيسة الشرقية، سُمي بالبرادعي بسبب لباسه المتهرى (براذع) ليختفي به عن اعين السلطة بسبب رفضه لقرارات مجمع خلقيدونية، عُيّن مطرانا للرها سنة ٥٢٨، وبدأ ينظم الكنيسة المتوفيزية التي تؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح، ينظر: البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١، ص١٤١.

(٥) قاشا، سهيل بطرس، برطلي في مرآة الزمان، ط١، (بيروت: ٢٠٠٣)، ص٥٣.

بدير الزعفران أو الكرکم، وهو غير دير الزعفران (١) في طور عابدين، بقرب ماردين في تركيا، نظم افنيماران تراثيل عديدة وألف كتاباً في رؤوس المعرفة (٢).

٦-سابا كوشنيازاد: من مواليد بلدة بيت كلال بقرب دياالى؛ كان والداه من عائلة زرادوشية، يبدو انه من نهاية القرن الخامس، صار مسيحياً على يد مربية مسيحية، ثم صار راهبا، وبشر-كما تقول سيرته-العديد من الوثنيين في مناطق كركوك، وبنى اديرة وكنائس فيها (٣).

٧-اديرة مار آحودامة: ولد آحودامة وهي كلمة سريانية وتعني (الملتصق بأمه) في مستهل القرن السادس في بلد (اسكي موصل الحالية) الواقعة على نهر دجلة شمال الموصل، اقيم أسقفا لمنطقة باعربايي (بيت عربايي) الواقعة بين نصيبين وسنجانر. في سنة ٥٥٩م اقامه يعقوب

(١) هذا الدير بنصيبين، مما يلي الجانب الشرقي منها، في الجبل، وهو من الديارات الموصوفة والمواقع المذكورة بالطيب والحسن، وهو كثير القلايات والرهبان، ينظر: الشابشتي، الديارات، ص٢١٩.

(٢) المرجعي، المصدر نفسه، ص٦٦.

(٣) فيه، القديسون السريان، ص١٥٢.

وكيسة، بمساعدة أهالي القرى الجاورة: من القوش (٥)، وباقوفا (٦)، وذلك ما بين سنتي ٦٢٨ و٦٤٧ (٧) .

سادساً: دير مار ايشوعيا بـرقوسري:

عاش ايشوعيا بـ في حكم كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٨) وابنه هرمزد . أصله من نينوى . تعلم الحياة الرهبانية ثم مضى إلى القدس . ولما عاد صعد جبل الفاف (مقلوب) في منطقة سهل نينوى، وجاء الحصن العبوري (٨) (القلعة) حيث ابنتى

(٥) بلدة قديمة عامرة، تقع على حوالي ٥٠ كيلو متراً شمال مدينة الموصل في لطف جبل القوش ويعرف أيضاً بجبل "سدك"، ينظر، فرنسيس، موسوعة المدن، ج١، ص٨٣.
(٦) قرية في شمال شرقي الموصل على نحو ٤٠ كيلو متراً عنها تابعة لقضاء تلكيف، اصل اسم باقوفا ارامي من "بيت قوفا" بمعنى بيت القضبان او الحشيب، ينظر، فرنسيس، موسوعة المدن، ج١، ص١١٨.

(٧) ينظر: يوسف جبي، المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٨) الحصن العبوري (حسناً عبرايا) ومعناه القلعة التي على الضفة الأخرى من دجلة قبالة نينوى، وهذا الاسم عريق في القدم وربما يعود الى العصور الاثرية، اذ ان موقع الموصل كان قديماً قلعة اثرية، ينظر، سليمان الصانع، تاريخ الموصل، ج١، ص٤٠.

٥٧٥م. واخذ المسيحيون جثمانه ودفنوه في كنيسة مـــــــــــــــــــــاحوزا (١) . كان احودامة فيلسوفا ولاهوتيا صنف كتاب الحدود في مواضيع منطقية. ومقالات في الحرية الدينية والنفس والإنسان. ويظن انه ألف كتابا في النحو على طريقة النحو اليوناني (٢).

خامساً: دير الربان هرمزد:

يقع على بعد كيلومترين ونصف إلى الشمال الشرقي من القوش (٣) في قلب جبل، على علو ٥٠٠م، وهو أشبه بنسر باسط جناحيه وقلعة منيفة، يشرف على سهل فسيح يبسط فيه دير السيدة مريم العذراء (٤) . مؤسسهُ الربان هرمزد من بلاد فارس، توافد إلى الربان هرمزد العديد من الرهبان، لا سيما من دير بستين (شمال شرقي القوش) ومدرسة مار ايثالاها (دهوك)، فابنتى لهم الربان هرمزد ديراً

(١) قاشا، المصدر نفسه، ص٥٣.

(٢) ينظر: برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣) تقع في شمال الموصل واستمرت فيه الحياة الرهبانية الى فترة قريبة من العصر الحالي، ينظر: كمي، الدليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، ج٢، ص٢١٥-٢١٦.

(٤) يوسف جبي، كنيسة المشرق الكلدانية-الأثرية، ص١٠٣.

هيكلاً (١)، بعد أن اجتمع إليه الرهبان. دُفن في
كنيسة الدير. ويتراوح تاريخ تأسيس هذا الدير ما بين
عام ٥٧٠ و ٥٨١ (٢).

في بناء الدير ابن اخته حنانيشوع (٤) والاسقف يوحنا
الشيخ، وذلك في عهد هرمزد الرابع ابن كسرى
انوشروان (٥٧٩-٥٩٠) والجاثليق ايشوعياب الأول
(٥٨٢-٥٩٥). وبعد أن كُبرَ إيليا، جعل أمر تدبير
الدير بيد حنانيشوع (٥).

سابعاً: دير مار إيليا:

يقع في الساحل الأيمن من دجلة غربي
الموصل، على بعد ٧ كم من المركز في منخفض يعرف
بوادي الدير، وحالياً جنوب معسكر الغزلاني، تحيط به
تلال جميلة. وسمي بالدير المنقوش لأن غرفه وكنيسته
كانت منقوشة، ثم سُمي بالخرابان بعد إهماله وتهدمه
(٣).

ثامناً: الديارات في ميشان:
كانت مقاطعة ميشان في السابق مملكة
مستقلة في أقصى جنوب العراق. تم تنصيرها على يد
مار ماري رسول المشرق (٦)، وأصبحت مقاطعة
كنسية كبرى في عهد الجاثليق مار فافا (٣١٠)،
وجاءت في المرتبة الثالثة بين رؤساء أساقفة كنيسة
المشرق. وكان كرسي المطرافوليط في فرات ميشان،
ثم في البصرة. ولائحة أساقفتها تضم ثلاثة مواضع:
كرخا ديميشان (٧)، ريم (١)، ونهركور في لرستان التي

أسسه راهب حيرى الأصل هو (مار
إيليا)، تلقن العلم في مدرسة نصيبين، وتلمذ على مار
إبراهيم الكشكري مجدد الرهبنة في الدير الكبير في
جبل ايزلا، وقصد مار إيليا الموصل وعاش في توحّد
واختلاء. ولما كثر تلاميذه، ابنتى هيكلاً، وساعده

(٤) وهو عمر الحيري، صاحب الردود على اشعيا التحلي
ومسكين العربي أستاذ مدرسة (إسكول) في بلد، ينظر: يوسف
حي، المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٥) ينظر: يوسف حي، المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٦) ينظر: ماري، كتاب المجلد، ص ٤.

(٧) كورة جلييلة بين واسط والبصرة والاهواز، وهي الى الاهواز
اقرب، وتقع في الناحية الجنوبية الشرقية من البصرة وكانت اول

(١) يوسف حي، كنيسة المشرق الكلدانية-الأثرية، ص ٩٦.

(٢) يوسف حي، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٣) يوسف حي، المصدر نفسه، ص ٩٥.

تقع في وسط جبال زاكروس (٢). وسنتناول بعضاً من أديرتها:

١-دير مخراق (دير المرة)

يقع دير مخراق على طريق بيت هوزايي (الأهواز) على بعد نحو ١٣ فرسخاً عن واسط، و٢٢ فرسخاً عن سوق الأهواز. ويحدد يعقوب سرقيس، في كتاب "المباحث" (٣)، موقع هذا الدير في تل ريحة بالقرب من "تلو" (لكش) التي هي على مسافة ٦٠ كم من الناصرية، فنحن والحالة هذه في المنطقة الشمالية الغربية من ميسان، جنوبي "نقر"

ابريشية تابعة لمطرابوليطية "براث ميسان" سنة ٤١٠، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٥؛ فيه، آشور المسيحية، ج١، ص٣٦٠-٣٦١.

(١) كانت مدينة رما دير مخراق تقع على طريق "با هوزايي" بعد ١٣ فرسخاً عن واسط و٢٢ فرسخاً عن سوق الأهواز، والفرسخ يعادل أربعة الى ستة كيلومترات حالياً، وحُدد موقعها في تل ريحا قرب تلو (لكش) الذي يقع على بعد ٦٠ كم عن الناصرية، ينظر، فيه، آشور المسيحية، ج٣، ص٣٦٨.

(٢) ينظر: البير ابونا، الديارات، ص٤٨٧.

(٣) مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، تقديم: محمد رضا الشبيبي، (بغداد: طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٤٨)، ص ٢٩٧-٢٩٨، ٢٩٤.

(نيبور) وفي الجنوب الغربي من كسكر. (٤) وهناك تسميات أخرى تُطلق على هذا الموضع: -نهر المرأة أو نهر الدير أو بئق شيرين، وهو واقع فوق المعقل (٥).

تاسعاً: "مبرختا" ودير مار سرجيس:

تقع "مبرختا" بالقرب من ماحوزي، أي كوكي-فيه اردشير، على نحو كيلومترين حول "فيه اردشير"، على الشاطئ الغربي من دجلة، وكان دير مار سرجيس في مبرختا، وراء سور كوكي-فيه اردشير. وقد يكون الدير نفسه الذي يُطلق عليه اسم "دير الاخوة" المذكور في حياة نرساي الراهب الشهيد في نحو سنة ٤٢٠ (٦)، وقد عمل الراهب كيوركيس من ايزلا وشوالمارن مطرافوليط بيت كرماني بالاهتمام بهذا الدير والاحتفاظ به، الا انه وشي بهذين الشخصين الى الملك كسرى الثاني فأبعد المطرافوليط، اما الراهب كيوركيس فقد أعدم، لأنه جحد دين الدولة (المزدية)، وذلك سنة ٦١٥، ودُفن كيوركيس في الدير نفسه (٧).

(٤) البير ابونا، الديارات، ص٤٨٨.

(٥) فيه، آشور، ج٣، ص٢٧٨.

(٦) البير ابونا، المدائن ودورها في كنيسة المشرق، ص١٨٧.

(٧) ينظر: البير ابونا، المدائن، ص ١٨٠-١٨٧.

المبحث الثاني: المدارس في كنيسة المشرق (١):

اشتهرت كنيسة المشرق بمدارسها العديدة المنتشرة في طول بلاد ما بين النهرين وعرضه (٢)، ويضيق المجال لذكر جميع تلك المدارس وبعضها لم تتوفر عنها معلومات الاقلية جداً، ونكتفي بالإشارة الى المدارس الشهيرة التي كان لها دوراً فعالاً في الثقافة وتخرج العديد من العلماء الذين قاموا بدور ريادي في كنيسة المشرق:

أولاً: مدرسة قطيسفون أو المدائن:

تعد هذه المدرسة في مقدمات المدارس السريانية الشهيرة. فيها نشأ مؤلف كتاب "الديايطرون" في القرن الثاني للميلاد (٣). تعزى إلى مار ماري، وقد تخرج منها مار آبا مجدد المدرسة التي

استقطبت أساتذة وتلاميذ عديدين غادروا مدرسة نصيبين بعد إغلاقها مُدَّةً من الزمن (٤). والمدائن عموماً لها أهمية كبيرة في الدولة الساسانية وبالأخص انها كانت عاصمتها ولها موقع استراتيجي ربط الإمبراطورية الساسانية بالامبراطورية الرومانية، وهي تعتبر قلب بلاد الرافدين، لذلك استقطبت مشاهير العلماء، وتخرج منها كبارها.

ومدرسة المدائن أسسها مار آبا الكبير (٥٤٠-٥٥٢) في النصف الأول من القرن السادس، واستمرت زمناً طويلاً (٥). وتعد هذه المدرسة في مقدمات المدارس السريانية الشهيرة. فيها نشأ ططيانس (٦) السرياني (الآشوري) مؤلف كتاب

(١) نظرا لوقوع الإمبراطورية الفارسية شرق الإمبراطورية الرومانية فقد أطلقت على الكنيسة القائمة فيها تسمية "كنيسة المشرق" وأطلق على مقر سلطتها الكنيسة في المدائن لقب "كرسي المشرق"، وعلى الاسقف الجالس عليه لقب "جاثليق وبطريك المشرق"، ينظر: جمو، كنيسة المشرق، ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، ج ٢، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) طرازي، عصر السريان، ص ١٦.

(٤) حي، كنيسة المشرق الكلدانية-الأثرية، ص ١٣٦-١٣٧.

(٥) دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، ج ٢، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٦) وهو من بلاد ما بين النهرين من القرن الثاني الميلادي وتربى في ديانة الوثنيين ثم اعتنق المسيحية في بلاد رومية (روما) ثم رجع الى بلاد النهرين، عمل على جمع توفيتي للاناجيل الأربعة متى ولوقا ويوحنا ومرقس في انجيل واحد، لحل العبارات المتناقضة، وحذف الزائد منه، ينظر: ططيانوس، الديايطرون، ص ١؛ ادي شير، تاريخ كدو واثر، ج ٢، ص ٤١-٤٢؛ البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج ١، ص ٢٢.

المدرسة الجاثليق حزقيال (٥٦٧-٥٨١). (٤). من هنا تتضح أهمية مدرسة ساليق ونعرف أهميتها من أهمية الجاثليق مار آبا الكبير حيث أقامها وتنصير كاهنها الزرادشتي، ولابد ان لهذا الامر بالغ الأثر على كافة المناطق المحيطة بالمعبد، وبالأخص ان كبيرهم قد تحول من ديانة الى أخرى، وغير المعبد بالكامل وحوله الى مدرسة وبيت للعبادة.

ثالثاً: مدارس كسكر:

أما مدارس كسكر فهي تأتي بالمرتبة الثانية بعد مدارس المدائن، ومن الذين أهتموا بها (ثيودور الكسكري) وهو من أهل كسكر أخذ طريقته في الرهبنة من باباي (٥) في مدينة نصيبين الا أنه بعد عودته من هناك بنى ديراً ومدرسة (٦)، وكان

(٤) البير ابونا، المدائن ودورها في كنيسة المشرق، ص ١٨٠-١٨٧.

(٥) ولد حوالي سنة ٥٥١، واتخذ الحياة الرهبانية الى ان صار رئيساً لدير ايزلا من سنة ٦٠٣ الى سنة ٦٢٨، وهو من مشاهير مدرسة نصيبين وكاتب لاهوتي غزير الانتاج، انتخب جاثليقاً خلفاً لآفاق، توفي سنة ٦٢٨، ينظر: طرازي، عصر السريان الذهبي، ص ١٦؛ البير ابونا، ديارات العراق، ص ٢٠؛ أبو زيد، المسيحية في ايران، ص ٦٨-٦٩.

G. Morony , Iraq After the Muslim

(٦) Conquest , p. 361

"الديايطرون" في القرن الثاني للميلاد (١). ولا شك أن مدرسة قطيسفون، عاصمة الشاهنشاه الساسانيين الشتوية، ومقر جاثليق كنيسة المشرق تعد من اهم المدارس في ذلك الوقت (٢).

ثانياً: مدرسة ساليق:

لا بد أن هذه المدرسة كانت بالقرب من كنيسة كوشي. ولكنها شغلت موضعين متاليين: الأول حيث علم آفاق (٣) الجاثليق من سنة ٤٥٧ الى سنة ٤٨٤، ولا يُعرف موقعه بالضبط. اما الموضع الثاني الذي فيه اقام مار آبا الكبير المدرسة، فقد شغل موضع معبد صغير للنار كان هذا الجاثليق قد نصّر كاهنه الى الديانة المسيحية. وجدد بناية هذه

(١) أبو زيد، المسيحية في إيران، ص ١٠٧.

(٢) مجلس كنائس الشرق، المسيحية عبر تاريخها، ص ١٥١-١٦٢.

(٣) أُنخب المسيحيون آفاق الذي كان من خريجي مدرسة الرها جاثليقاً خلفاً لبابوي، وشغل كرسي ساليق اثنتي عشرة سنة (٤٨٤-٤٩٦)، وقد جرت مراسقات بينه وبين برصوما حول العقيدة في السيد المسيح من سنة ٤٩١ الى وفاة آفاق سنة ٤٩٦، ينظر: البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج ٢، ص ١١٦؛ ١١٨.

أيضاً بإسكول مار ماري إذ أسسها مار عبدا (٦) في الدير الذي شيده في القرن الرابع قرب كنيسته (٧).

ان مدرسة دير قني طرأت عليها تقلبات الزمن وان توالى الاضطهادات حال دون وصول اخبارها الاول الينا كما حال دون وصول اسماء مدرسيها وطلابها الاولين. بيد انها قد صحت الدهر زمناً مديداً فتقدمت حيناً وتأخرت أحياناً حتى أصبحت على تراخي السنين أكبر مدرسة، وخرج منها أعظم مشاهير المسيحيين (٨).

وكانت تدرس في مدرسة دير قني اللغة السريانية، واليونانية والعربية، ويضاف إلى هذه اللغات مجموعة قيمة من العلوم والفنون والنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى والفلك والفلسفة والعلوم الدينية، وبطبيعة الحال فقد كان لها خزانة كتب حافلة

قد أشغل مفسراً بها (١)، وكان قد ألف كتاباً أطلق عليه أسم (اسكوليون) وهو يضم العديد من المعلومات الفلسفية واللاهوتية والجدلية (٢).

وما امتازت به مدارس كسكر هو أن المسؤولين فيها يمارسون نفوذاً على سائر أساقفة المشرق، اذ يكون أسقفها هو النائب بعد وفاة (الجاثليق) الى أن يتم انتخاب (جاثليق) اخر، وهذا يدل على أهمية كسكر (٣). وكان لنصبيين دورها في تعزيز العلم في مدارس كسكر، فبعد أن أُجبر جريجوري (gregorey) الكسكري الى مغادرة نصبيين، أنشأ مدرسة التحق بها ٣٠٠ طالب في كسكر (٤).

رابعاً: مدرسة دير قني:

أقام دعائم هذه المدرسة أو هذا الاسكول مار ماري الرسول المتوفى نحو (٨٢م) في دير قني وسمي باسمه (٥)، (تقع قرب العزيزية) وعُرفت

(٦) كان أسقفاً على مدينة هرمزد ارداشير، وهو عالماً جليلاً ممثلاً فضائل مسيحية، واليه نسب المجوس حريق بيت النار، فأمر الملك يزدجرد الأول بقتله مع رفاقه من الأساقفة والكهنة، وكان استشهادهم سنة ٤٢١م، ينظر: ادي شير، سير أشهر شهداء المشرق، ج٢، ص ٢٩٧-٣٠٠.

(٧) حي، كنيسة المشرق الكلدانية-الأثورية، ص ١٣٧.

(٨) اسحق، مدارس العراق، ص ٥٧.

(١) البير ابونا، ادب اللغة الآرامية، ص ٣٠٥.

(٢) ادي شير، كلدو وآثور، ج٢، ص ٢٩٤.

(٣) ماري بن سليمان، اخبار فطاركة، ص ٥، ٧، ٦٦، ٧٠.

١٢٠.

G. Morony , Iraq After the Muslim

(٤) Conquest. p . 360

(٥) ينظر: اسحق، مدارس العراق، ص ٥٧.

تضم الكثير من المؤلفات القيمة التي كانت متداولة في ذلك العصر (١) .

وبلغ عدد أساتذتها الستين في إحدى حقبات تاريخها، وتخرج منها عبد يشوع من ميسان ومار آحا الجاثليق، ويهبالاها الجاثليق مشيد دير في منطقة بابل بلغ عدد رهبانه الأربعمئة، كانوا يتلون صلواتهم بالسريانية واليونانية واللاتينية والقبطية وأقاموا فرقتين تلازمان العناية بالمرضى وخدمة الغرباء . واشتهرت مدرسة دير قنسى بالفلسفة والمنطقيات (٢) . ولا يخلو دير من الديارات الكبيرة من "خزانة كتب" يحد فيها الرهبان ما ينشدون من التأليف التي تتناول موضوعات دينية وأدبية وعلمية مختلفة، كالانجيل وتفسيرها، والفلسفة واللاهوت، وسير الشهداء والقديسين، والحياة النسكية، والعبادات والطقوس الدينية، والأدب والشعر، وكانت خزانة الكتب مجتمع الباحثين من الرهبان، فيها يطالعون وفيها يؤلفون الكتب وفيها ينسخون (٣) . فكانت الديرية عبارة عن جامعات علمية، لا تقتصر في تدريسها على العلوم الدينية فقط، وإنما تدرس العلوم

الفلسفية، والأدب والشعر، والعلوم الطبية، كما عُرف عن بعض الرهبان مهارتهم في تلك الفنون والعلوم .

خامساً: مدرسة بلد (أسكي موصل):

قامت في بلد عدة مدارس، أشهرها التي أقامها الأسقف مرقس خارج المدينة وجمع فيها بعض تلاميذ مدرسة نصيبين، ومدرسة دير مار كوركيس (جرجيس) . وعُرف أسقفها شوحاليشوع سنة ٤٩٧، وماري الأسقف عضو الوفادة التي بعث بها كسرى إلى الامبراطور الروماني يوستينيانس (٥٢٧-٥٦٥م)، وبولس الأسقف الذي أوفدته بوران نحو سنة ٦٣٠ وأصبح مطراناً على حدياب، وإيشوعيا الجداي الذي أصبح جاثليقاً (٤) . ونستشف من ذلك ان لعلماء المسيحية آنذاك دوراً في المجال السياسي أيضاً، بل وعلى اعلى المستويات، دل على ذلك ما كانوا يقومون به من المفاوضات بين اكبر امبراطوريتين في وقتها .

سادساً: مدرسة الحيرة:

كانت هناك مدرسة أو أكثر في مدينة الحيرة، إذ أن ايليا الحيري مؤسس دير مار ايليا في حصنا عبرايا درس العلوم الدينية واللغة السريانية في مدرسة قريته، كما أن مار عبد الكبير درس أيضاً في

(١) ادي شير، كدو واثر، ج٢، ص ٧ .

(٢) حي، كنيسة المشرق الكلدانية-الأثرية، ص ١٣٧ .

(٣) الشابشتي، الديارات، مقدمة التحقيق، ص ٤٢ .

(٤) حي، كنيسة المشرق الكلدانية-الأثرية، ص ١٣٧ .

مدرسة الحيرة، وأن الشاعر المرقش الأكبر، وهو أبو
عمر الشيباني وأخاه (حرملة) درسا الكتابة العربية
على نصراني من أهل الحيرة (١).

وكان زيد بن عدي قد درس الكتابة العربي
وحذقها في مدرسة الحيرة، وكان زيد هذا أول من
كتب بالعربية في ديوان كسرى وكان يجيد الآرامية لغة
الدبلوماسية بين كسرى والبيزنطيين، كما أن البطريق
إشوعياث الثاني (٦٢٨-٦٦٤) حدث له صعوبات،
فجاء إليه مفسر من مدرسة الحيرة ليعضده في أمره،
وقد وسط المطران جرجيس (٦٦١-٦٨١) لإزالة
خلاف ناشئ بينه وبين مطران نصيبين، معلماً من
معلمي مدرسة الحيرة، وكان (المتمس) وهو شاعر في
الجاهلية قد طلب من شخص حيري أن يقرأ له
الصحيفة التي كتبها له ملك الحيرة عمرو بن هند، أمراً
فيها الشخص المرسلة له أن يقوم بقتل الرسول، وهكذا
نجا من الموت حينما قرأت له (٢).

ويذكر الشابشتي ان اللغة العربية واليونانية

والسريانية تدرس في هذه المدارس
فضلاً عن الشعر والموسيقى والفلك والطب وعلوم

(٣) الشابشتي، الديارات، ص ٣٩؛ الجبوري، إبراهيم محمد،

مراكز الحياة الفكرية في الحيرة قبل الإسلام، مجلة التربية والعلم،

جامعة الموصل-كلية التربية، المجلد (١٩) العدد (٥) لسنة

٢٠١٢، ص ٨٦.

(٤) نافع، عصر ما قبل الإسلام، ص ٩٦.

(٥) قزائجي، أصول الثقافة السريانية، ص ١٣٢-١٣٨.

(١) قزائجي، أصول الثقافة السريانية، ص ١٣٢-١٣٨.

(٢) غنيمه، الحيرة، ص ٢٢٠؛ سهيل قاشا، صفحات من

تاريخ المسيحيين، ص ٧١-٧٢.

أهمية التنمية الزراعية وأثرها في حياة الإنسان القديم في بلاد الرافدين

م. ياسمين ياسين صالح

الملخص

تعتبر بلاد الرافدين واحدة من أقدم المجتمعات الزراعية في العالم ، إذ مجدود الالف السادس قبل الميلاد أصبحت المحاصيل الغذائية تزرع والحيوانات تدجن في هذه المنطقة كذلك كانت بدايات عمليات الري . إنّ توفر بذور الحبوب البرية (مثل الحنطة والشعير) ومصادر مياه الري مثل الأنهار و التربة الصالحة و آلة الحراثة البدائية كل هذه العوامل شجعت إلى التحول من الزراعة الفردية نحو الزراعة الجماعية لزراعة مساحات كبيرة من الأرض . وبالرغم من المناخ الصحراوي لبلاد الرافدين فقد أصبحت هذه المنطقة من أغنى المناطق الزراعية في العالم القديم . لقد أنتجت الأراضي الزراعية ٩٠% من غذاء الإنسان في وادي الرافدين وال ١٠% الأخرى أتت من الحيوانات المدجنة ومنتجاتها مثل اللحم والحليب والبيض . إن اهتمام الإنسان إلى الزراعة وتدجين الحيوانات عد منعطفا هاما في اقتصاد القرى الزراعية في العراق قاد إلى جملة تطورات أخرى أفرزتها طبيعة تلك المرحلة وأسهمت بدور فعال في دعم مفصل ذلك الاقتصاد وتكامله والتعبير عن الصورة الحقيقية لنهضة الحياة الإنسانية وتطورها التي تم الكشف عنها من خلال أعمال التنقيب التي كشفت عن المخلفات المادية التي تركها الإنسان في مختلف المواقع الأثرية . تضمن هذا البحث نبذة عن بدايات تحول إنسان العصر الحجري القديم من عملية الصيد وجمع القوت إلى عملية إنتاج القوت في العصر الحجري الحديث وذلك بزراعة الحبوب والمحاصيل الزراعية الأخرى وتدجين الحيوانات . ووضح البحث أيضا الأسباب التي أدت إلى الثورة الزراعية في بلاد الرافدين ومن هذه الأسباب توفر الأصول البرية للحيوانات والنباتات التي دجنها الإنسان في بلاد الرافدين وكذلك أزمة المناخ التي جعلت الإنسان يهجر كهوف الجبال الباردة نحو السهول الأكثر دفئا . وكذلك بين البحث أهمية التنمية الزراعية في اقتصاد القرى الزراعية ودورها الكبير في تحول هذه القرى إلى مدن كبيرة . كما ذكر البحث أهم أنواع المحاصيل التي كانت تزرع في المستوطنات الأولى في بلاد الرافدين منذ الألف السادس قبل الميلاد .

Abstract:

This research consist of a summary about the beginnings of human transformation of the old stone age from hunting and food gathering to the food production in the modern stone age by cultivating plants and cereals and Animals domestication . This research also clarified the reasons led to the Agricultural revolution in Mesopotamia such as the availability of the origin wild plants and animals which domesticated by human and also Climate crisis which made the human left the cold mountain caves to more warm plains . Also this research has clarify the importance of the agriculture development on the economy of the agriculture villages , and its main role in transformation of the agriculture villages to big cities , also this research mentioned the most important types of plants which was cultivated in the first settling places in Mesopotamia in 6000 BC .

والنباتات الطبيعية التي كان يعتمد عليها في معيشته
التي مثلت مصدر غذائه الرئيس في تلك المرحلة من
خلال عمليتي القنص والجمع والتقاط كل ما يمكن أن
يؤكل مما ينبت على الأرض^(٢) .

الثورة الزراعية في بلاد الرافدين :

إن الثورة الزراعية في العصر الحجري الحديث كانت
وليدة أزمة المناخ التي أنهت عصر الجليد ومهدت
السيبل للاستزراع وتدجين الحيوانات وثم ارتبط نشوء
القرى منذ البداية بهما ارتباطاً وثيقاً بالتطور
الاقتصادي الجديد ، وتعد ارض بلاد الرافدين من
المناطق الأولى التي جرت فيها المحاولات المبكرة
للزراعة والرعي إذ يعد العراق وبالتحديد المنطقة

بدايات الاستقرار ومراحل التطور في بلاد الرافدين :

يعرف العصر الحجري الحديث بعصر الإنتاج الزراعي
أو عصر إنتاج القوت ، إذ اهتم الإنسان إلى زراعة
الحبوب بعد أن عاش حياته معتمداً فيما مضى طوال
آلاف السنين في غذائه على جمع النباتات الطبيعية في
مرحلة اصطلاح عليها الباحثون بمرحلة جمع القوت (Food Gathering) والتي شملت بشكل
أساسي العصر الحجري القديم والوسيط^(١) وقد
تميزت هذه الحقبة بأنّ إنسان ذلك العصر سكن في
الكهوف وشغلها كملاجئ له وكان يحتمي فيها من
قسوة الظروف البيئية التي كانت سائدة آنذاك ، إذ كان
يعيش في عصر جليدي بارد ترك آثاره بشكل مباشر
على مناطق وجود الإنسان وعلى انتشار الحيوانات

الشمالية الشرقية منه الموطن الأول لزراعة القمح والشعير وتدجين الحيوانات في الألف السادس قبل الميلاد ، إذ أن سفوح جبال العراق الغربية توفرت فيها الأصول البرية للحيوانات والنباتات التي دجنها الإنسان^(٣) ، فقد تم العثور في هذه المنطقة على مستوطنات قديمة ظهرت فيها البوادر الأولى للثورة الزراعية مثل زاوي جمبي التي تقع على ضفة الزاب الأعلى الشرقية وليس بعيدا عن كهف شانيدار وكريم شاهر قرب مركز قضاء جمجمال و ملفعات التي تقع على الكف الغربي لنهر الخازر قرب طريق الموصل - اربيل في محافظة نينوى ونمريك على الضفة الشرقية لدجلة إلى الغرب من مركز قضاء فائدة في محافظة دهوك ، وتدل الآثار المكتشفة في هذه المواقع على مرحلة انتقالية تدريجية من الزراعة البدائية إلى ممارسة الزراعة في قرى ثانية مثل قرية جرمو التي تقع على بعد ١١ كم شرق بلدة جمجمال و قرية حسونة التي تقع على بعد ٨ كم شمال شرق ناحية الشورة و ٣٥ كم جنوب مدينة الموصل و قرية شمشارة التي تقع على الضفة اليمنى لنهر الزاب الصغير إلى الجنوب من مدينة رانية وغيرها^(٤) . وكانت هذه الثورة أو الانقلاب الزراعي خطوة مهمة في تاريخ الإنسان إذ نقلته من حياة التنقل والترحال بحثاً عن حيوانات الصيد وجمع النباتات إلى حياة مستقرة في

قرى ارتبط فيها بالأرض والزراعة وتربية الحيوان وامتلاك وسائل الإنتاج والتعاون مع الآخرين ، ويعتقد أن مسيرة تدجين النبات والحيوان كانت مسيرة تدريجية يصعب تتبع مراحلها المبكرة ولكنها أدت بالتالي وبعد مرور زمن طويل إلى ظهور اقتصاد منتج أصبح الصيد فيه مسألة ثانوية ، وتبين من خلال التنقيبات الأثرية أن زراعة الحبوب وتربية الحيوانات بدأت أثناء الجفاف النسبي الذي أعقب العصور الجليدية ، وأن مواطن نمو النباتات البرية وتواجد الحيوانات البرية التي كان الإنسان يعتمد عليها في معيشته قبل العصر الحجري الحديث هي الموطن الأول الذي ظهر فيه تدجين النبات والحيوان . واتضح أيضا أن الأغنام والماعز والخنازير والأبقار والقمح والشعير والشوفان والعدس و البازلاء والكثبان دجنت في المنطقة الممتدة من هضبة الأناضول ووسط آسيا ومرتفعات شمال العراق وفي هذه المنطقة توفرت ظروف التدجين من حيث وجود الأصول البرية والطبيعية للحيوانات والنباتات والظروف المناخية الملائمة والأمطار الوفيرة والإنسان النشط^(٥) . وكان لحدوث هذه التغيرات آثار واضحة في التطور التدريجي لمناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإنسان مستفيداً من البيئة وما كان يتوافر فيها من ثروات طبيعية^(٦) . ويمكن أن نلمس في العصر الحجري

بينهم^(٨) لكي تسمح لها بالعيش سوية بسلام في مساحة محددة ولابد من أن تتغير الديانة أيضاً، فقد كان على الإنسان الآن أن يسترضي القوى المسؤولة عن خصوبة قطعانه أو عن هطول الأمطار المانحة للحياة^(٩). ويجب أن نعلم بعد هذا أن الانقلاب الهام في حياة الإنسان لم يحدث فجأة أو بطريق الصدفة بل حدث ذلك تدريجياً وبمراحل ونتيجة تراكم الخبرات لدى الإنسان ومعرفته الجديدة ببيئته وظروفها المناخية^(١٠).

أهمية التنمية الزراعية في اقتصاد القرى الزراعية :

يعد اهتمام الإنسان إلى تدجين النبات والحيوان ونشوء القرى الزراعية من أبرز التحولات التي شهدتها العصر الحجري الحديث في العراق^(١١)، إذ اتخذ طريقة جديدة في العيش وهي طريقة إنتاج القوت، وبطرق الزراعة البدائية أصبح هناك اكتفاء ذاتي بل وفائض عن حاجة الإنسان، وربما كان هناك عاملان مهمان أثرا في بداية ظهور الزراعة وتدجين أنواع معينة من النباتات ساعدته على الاهتمام إلى تدجين أنواع معينة من كلا النبات والحيوان أولهما عامل البيئة وثانيهما عامل استقرار الإنسان^(١٢). ولمعرفة كيف دجنت النباتات والحيوانات يعتقد بأن المزارعين الأوائل استطاعوا زراعة كل من الحنطة والشعير في المناطق المرتفعة في شمال العراق وخاصة في قرى جرمو وكريم

الحديث إنجازات الإنسان وتطوراته في العديد من الجوانب ذات الصلة بالتطور العام للمجتمع القروي الزراعي ومنها تطور صناعة الأدوات وبشكل خاص الأدوات ذات الاستخدام الزراعي كذلك تعلم الإنسان في الطور الثاني من هذا العصر طريقة صناعة الفخار عندما ميز الباحثون طورين رئيسيين فيها عرف الأول بعصر ما قبل الفخار وعرف الثاني بعصر الفخار، فضلاً عن ممارسة عمليات الزراعة البدائية لأول مرة وبشكل منظم نوعاً ما واتسمت بالاكفاء الذاتي في البداية كما كانت حقلية وموسمية، كما اتصفت الزراعة بأنها كانت ديمية تعتمد على الأمطار الموسمية فقد، ويمكن عد الزراعة الأساس الذي قامت عليه منجزات العصر الحجري الحديث كما عدت أساس التحول الجذري الجديد وانتقاله إلى مرحلة تطورية نوعية^(٧). كما شهد العصر الحجري الحديث ممارسة الإنسان تدجين الحيوانات إذ أن اعتماد الإنسان على الإنتاج الحيواني للأغنام والماعز والخنازير والأبقار كان على درجة من الأهمية في تحقيق النفع الاقتصادي. وهكذا رافقت هذه التطورات تغيرات اجتماعية مهمة عززت ارتباط الإنسان بالأرض ومساهمة الأفراد معه بالزراعة. فكان نشوء أولى القرى الزراعية الدور الأساس لظهور العلاقات الاجتماعية (العادات والأعراف والتقاليد) التي نظمت حياة الأفراد فيما

شهر والسبب في ذلك هو أن هذه الأراضي كانت المكان الملائم لزراعة كلا النباتين البريين . وذكر لنا العالم هيلبك بأن الإنسان في البداية كان يعتني بنوع من المحاصيل النباتية البرية التي دعت الحاجة أن يتخذها قوتاً له ويشير كذلك إلى أن المزارعين الأوائل ربما وجدوا أنه من المفيد نقل الحنطة التي تعتمد في نموها على سقوط أمطار شتوية وربيعية من المنحدرات إلى ارض سهلة قريبة من مصادر مائية وإلى أماكن أكثر ملائمة لمناطق عيش الإنسان^(١٣) .

إن التحول من حياة الصيد إلى حياة الزراعة وضع أسس اقتصاد المجتمعات القروية التي كانت تتحدد بعدد حيوانات الصيد وبكميات الحبوب الغذائية المتوفرة فيها ، وبعد ذلك أصبح بالإمكان الزراعة بصورة أكبر وتربية حيوانات أكثر كلما زاد عدد السكان لتوفر الظروف الملائمة لذلك . إن توفر الحبوب المفيدة مثل القمح والشعير ومصادر المياه وكذلك نظام الري واستخدام الحراثة كل هذه العوامل أدت إلى الاتجاه نحو الزراعة بحجم أكبر^(١٤) .

وبالرغم من المناخ الصحراوي لبلاد الرافدين إلا أنها أصبحت من أغنى الأراضي الزراعية في العالم القديم لتوفر الأراضي الزراعية الخصبة ومصادر مياه الري ، إن الزراعة في بلاد الرافدين أنتجت (٩٠%) من حاجة السكان أما الـ (١٠%) الأخرى فكانت تأتي من

الحيوانات المدجنة ومنتجاتها من اللحم والحليب والبيض^(١٥) .

كذلك أدى التطور الجديد الناتج من التنظيم الزراعي بوجه الخصوص إلى زيادة في الإنتاج الزراعي فاض عن حاجة الإنسان الفعلية للغذاء مما أدى إلى ظهور نظام المقايضة أي مبادلة الأفراد للسلع مع بعضهم البعض ، فقاموا بمقايضة المنتج الزراعي الفائض بما يحتاجون إليه من السلع الحياتية الأخرى التي كانت متوفرة في القرى الزراعية أو المناطق المجاورة^(١٦) ، إذ أُستُخدِمَ الشعير كسلعة للمقايضة كما كانت أجور العمل تعطى بشكل شعير أيضاً ، إن تجارة الحبوب أصبحت لاحقاً من أهم فقرات التجارة في بلاد الرافدين ، وأن العمل على زيادة الإنتاج تحقق بثلاث طرق :

- ١ . الاستخدام المكثف للأراضي الزراعية
- استخدام الأسمدة الحيوانية لزيادة خصوبة التربة .
- ٢ . توسيع الأراضي المستخدمة في الزراعة .
- ٣ . استخدام أيادي عاملة أكثر وطرق جديدة في الزراعة^(١٧) .

و من العناصر الأساسية للاقتصاد الزراعي المبكر هو خزن الحبوب أي جمع حبوب غذائية في كل موسم كافية لغاية الموسم اللاحق وخزنها^(١٨) ، لذلك تعلم إنسان ذلك العصر بناء البيوت والمخازن لحفظ الحبوب إذ تعددت أماكنها وتنوعت أشكالها في العديد من

القرى فقد تم الكشف عن مخازن ذات مواصفات معمارية مختلفة تناسب وطبيعة المواد المخزونة^(١٩).
لقد قام سكان بلاد الرافدين منذ أقدم العصور بتتبع خصائص المناخ الطبيعية والأحوال الجوية وتأثيراتها على الزراعة فعرفوا موسم الفيضان وموسم كل محصول من المزروعات الصيفية والشتوية وأتقنوا مسح الأراضي لتحديد ملكية كل ارض وكانت لهم أوزان ومكاييل ومقاييس ثابتة^(٢٠).

بسهولة ، إن مناطق الزراعة الأولى في العالم اعتمدت على زراعة القمح والشعير والرز والذرة وهذه الحبوب غنية بالكربوهيدرات المولدة للطاقة ، وإن الدلائل الأثرية والنباتية الحديثة تشير إلى أن موطن زراعة القمح والشعير هو الشرق الأدنى ، ولا نعرف كثيراً عن تطور أنواع القمح الحديثة ذات الإنتاج الغزير من الأعشاب البرية سوى أنها تنبت بالطفرة الوراثية والتهجين وامتزاج الكروموسومات ، إن هذه العملية استغرقت زمناً طويلاً وخضعت إلى الانتخاب الطبيعي أثناء تغيير أحوال المناخ التي تعرضت لها الحبوب الغذائية عند هجرة الإنسان من مكان إلى آخر^(٢١).

أصول زراعة النبات :

لكل نبات زرع من قبل الإنسان في بلاد الرافدين في العصر الحجري الحديث أهمية قصوى للبشرية من خلال توفير الاكتفاء الذاتي من الغذاء ، وربما كانت الزراعة في البداية من شأن النساء بالدرجة الأولى بينما كانت الحيوانات تدجن على يد الرجال بعد أن كان الصيد هو شغلهم التقليدي^(٢٢) ، وكانت الأعشاب التي تنمو سنوياً في الطبيعة تشمل أنواعاً برية من القمح والشعير تحتاج لنموها أمطار قليلة وتنتج كميات كافية من الحبوب تشجع على الحصاد ، إذ كانت الحنطة والشعير تنمو معاً في مراحل العصر الحجري الحديث المبكرة ، وكان كلاهما ضروري للاقتصاد الجديد ، وتعتبران مادة غذائية مهمة يمكن تخزينها

الحاصيل الزراعية :

الحبوب

هي عبارة عن محاصيل تزرع للاستهلاك البشري بالدرجة الأولى وكعلف للحيوانات بالدرجة الثانية وهي احد أهم المحاصيل الزراعية التي شكلت قيمة غذائية لدى الإنسان منذ أقدم العصور، ويعد القمح والشعير أهم تلك الحبوب التي تناولها الإنسان وعُدَّت المصدر الرئيس لبناء جسم الإنسان لاحتوائها على البروتينات والمواد المعدنية والفيتامينات وبعض الأملاح ومصدراً للطاقة التي يحتاجها الجسم لاحتوائها على نسبة من المواد الدهنية والكربوهيدرات^(٢٣).

١- القمح

إن منشأ زراعة أنواع القمح كان منذ أمد طويل موضوعاً مثيراً للبحث والتحقيق ، وقد دلت الأدلة الآثارية والنباتية على أن زراعة القمح والشعير بدأت في فلسطين ، ولا نعرف بالتحديد كيف تمت عملية تطور الأعشاب البرية في العصور الحجرية إلى أنواع القمح الحديثة ذات الإنتاج الغزير إلا أنها تضمنت الطفرات الوراثية والتهجين وامتزاج الكروموسومات ، إن هذه العملية التي استغرقت آلاف السنوات قد خضعت إلى الاختيار الاصطناعي بانتقاء الإنسان للبذور وإلى الاختيار الطبيعي خلال تغير أحوال المناخ التي تعرضت لها محاصيل الحبوب أثناء هجرات الإنسان من مكان إلى آخر^(٢٤) .

إن أنواع القمح المزروع المعروف بأسم *Triticum* تصنف عادة في عدة مجموعات (ينظر الشكل ١- أ/ب) . المجموعة الأولى تسمى *T. boeoticum* تحمل سنابلها صفيين من الحبوب وتتألف من القمح المسمى *Einkorn* (ينظر الشكل ٢ - أ/ب) والمجموعة الثانية تسمى *Triticaploid* تحمل سنابلها ثلاثة صفوف من الحبوب ، فيما أطلقت على المجموعة الثالثة تسمية *T. dicoccon* وتحمل أربع صفوف من الحبوب ذوات السبعة كروموسومات وتتألف من القمح المسمى *Emmer* (ينظر الشكل

- ٣ أ/ب) ومن عدة أنواع أخرى ، أما المجموعة الرابعة التي تحمل سنابلها ستة صفوف من الحبوب ذوات السبعة كروموسومات وتشمل قمح الخبز *T. Aestivum* والحنطة المكتسبة *T. Spelta* ، ويعتبر القمح الذي ينمو في سنبله صفيين من الحبوب أحد أنواع القمح التي كانت تنمو طبيعياً في أقطار الشرق الأدنى القديم ومن المحتمل أن يكون هذا النوع قد تطور وتبع عنه النوع المعروف *Einkorn* الذي لا تنكسر سنبلته بسرعة في طفرة وراثية . لقد زرع هذا النوع من القمح في بدايات العصر الحجري الحديث أما القمح الذي تحمل سنبله ثلاثة صفوف من الحبوب كان ينمو طبيعياً في أقطار الشرق الأدنى القديم أيضاً ولكن مناطق توزيع زراعته محدودة بالمقارنة مع النوع الذي تحمل سنبله صفيين من الحبوب . إن هذا النوع من القمح البري الذي تحمل سنبله أربعة صفوف من الحبوب المماثل لقمح *Emmer* كانت زراعته متيسرة كغلة غذائية أكثر من قمح *Einkorn*^(٢٥) . فقد وجدت دلائل عليه في عدة مواقع أثرية تعود للعصر الحجري الحديث في عدة مناطق من الشرق الأدنى وخاصة في جرمو بالعراق وكذلك في مصر وفي شمال غرب أوروبا^(٢٦) .

أما قمح الخبز الذي تنمو في سنبله ستة صفوف من الحبوب فلا يوجد منه نوع ينمو في الطبيعة ويعتقد أن

الأنواع المدجنة منه تطورت من القمح الثلاثي الصفوف في السنبله مع نبات ذي صفين من الحبوب في السنبله بواسطة التهجين ومضاعفة الكروموسومات والنوع والسداسي يشمل الحنطة المسماة T.Spelta التي ربما تم تدجينها أول مرة في العصر البرونزي وتشمل الحنطة المسماة club التي وجدت في أنقاض أثرية متفرقة للعصر الحجري الحديث^(٢٧). كما وجدت الحبوب الغذائية ومواد الطعام النباتية الأخرى في موقع جرمو على هيئة متفحمة وكذلك وجدت لها طبقات متميزة في الأرضيات. وقد تبين من الفحوصات المختبرية إنها تعود لنوع بدائي تحمل سنبله صفين من الحبوب يعرف باسم Einkorn ولنوع بدائي آخر تحمل سنبله أربعة صفوف من الحبوب يعرف باسم Emmer ويكون كثير الشعيرات وداكن اللون ويسقط على الأرض بعد نضجه لأن ساق السنبله هش وضعيف ويتكسر بسرعة وله قشرة صلبة تحيط بالحبة بحيث لا تطلق نواة بذرة القمح عند الدرس إلا بصعوبة^(٢٨).

٢- الشعير

القمح البري وربما يكون الشعير قد دخل المزرعة لأول مرة صدفة كمشب ضار في حقول القمح، وقد وجد في مواقع العصر الحجري في نفس الطبقات المبكرة التي وجد فيها القمح وهناك مجموعتان رئيستان من الشعير، الشعير الذي تحمل سنبلته صفين من الحبوب والشعير الذي تحمل سنبلته ستة صفوف من الحبوب. والنوع الذي تحمل سنبلته صفين من الحبوب يمثل النوع المعروف باسم Hordeum spontaneum الذي ينمو في البراري في الشرق الأوسط، أما النوع الذي تحمل سنبلته ستة صفوف من الحبوب عرف باسم Hordeum agricorithun فقد اكتشف لأول مرة في التبت وعرف أيضا في فلسطين^(٢٩) (ينظر الشكل - ٤). إن أقدم شعير مدجن عثر عليه في جرمو وكان من النوع الذي تحمل سنبله صفين من الحبوب. انه قريب الشبه جداً بالنوع البري المسمى H. spontaneum ولكنه يختلف عنه في كبر الحبة وصلابة الساق. لقد حل الشعير الذي تحمل سنبله ستة صفوف من الحبوب محل الشعير الذي تحمل سنبله صفين من الحبوب نتيجة طفرة وراثية عندما انتشرت الزراعة في السهل الرسوبي التي تسقي بوسائل الري. كانت زراعة النوع الكثيف السنابل من الشعير ذي الصفوف الستة شائعة في أوروبا في أواخر العصر

ينمو الشعير أيضا نمواً طبيعياً في البرية في كل مكان في مناطق الشرق الأدنى والأوسط وكل زمان تقريباً وفي ظروف بيئية مختلفة، إذ يتشابه وجوده مع نوعين من

والفاصوليا^(٣٢) . إذ تعد مصدراً مهماً من مصادر البروتين للإنسان والحيوان ، إذ أن بذورها غنية بالبروتين والكالسيوم والفسفور وبعض الأملاح المعدنية الأخرى والفيتامينات . كما تعد علفاً حيوانياً مهماً^(٣٣) . والبقول ذات أهمية كبيرة بصورة خاصة لكونها

نباتات مثبته - للنتروجين التي تغني التربة وبذلك تكفل الغلة للمستقبل ، وهذا يجد ذاته يمثل عنصراً ضرورياً في مخططات الدورة الزراعية ، فضلاً عن ذلك فإنها استعملت بنجاح في مشاريع استصلاح التربة في الأراضي الشديدة الملوحة^(٣٤) . فقد وجدت بقايا بذور هذه المحاصيل البقولية بهيأة متفحمة في أكثر من قرية قديمة إلى جانب بقايا بذور الحبوب المتفحمة مما يشير إلى استخدامها كمادة غذائية مهمة للسكان ، فقد اكتشفت بقاياها المتفحمة في قرية جرمو إذ أظهرت الدراسات الأثرية نمو هذه المحاصيل فيها ومنها البازلاء والعدس والحمص^(٣٥) . لقد كانت البازلاء والبقلاء والعدس تزرع على نطاق واسع في العصور المبكرة لكبر بذرتها وسهولة خزنها ومحتواها الغذائي الغزير بالبروتين . كما كانت عدة أنواع من البقوليات تنمو طبيعياً بشكل أعشاب مع نباتات أخرى تطورت إلى أنواع مدجنة دخلت الزراعة في حين ازدهرت زراعة الفول في المناطق الأوروبية . إن البازلاء نمت في مناطق أكثر دفئاً و البازلاء المدجنة

الحجري الحديث ، وعلى غرار القمح هناك شعير ذو قشرة وهناك شعير عار ومعظم الشعير الذي زرع في العصر الحجري الحديث كانت له قشرة^(٣٦) .

زراعة وحصاد الحبوب الغذائية :

كانت الحبوب الغذائية تزرع في قطع أراضي صغيرة المساحة ولهذا كانت المزرعة اقرب إلى الحديقة منها إلى الحقل ، كانت الأراضي تحرث بواسطة العصا الحافرة الثقيلة في المناطق الجافة المكشوفة وعندما تكون الأرض رخوة نسبياً تحرث بجاروف خشبي يقطع من غصن مشعب الفروع واستخدمت الجاريف الحجرية المسننة في بعض المناطق مثل قرية حسونة في شمال العراق . إن الجاروف الخشبي البدائي استمر في الاستعمال جنباً إلى جنب مع نماذج أكثر تقدماً في جميع أنحاء الشرق الأدنى والأوسط ولا يزال يستخدم من قبل بعض القبائل التي تسكن هضاب وسط أفريقيا والهند^(٣٧) .

المحاصيل البقولية :

تعد المحاصيل البقولية من المحاصيل التي كانت تزرع بهدف الحصول على بذورها الغنية بالبروتين ، إذ تعد هذه البذور ذات قيمة غذائية عالية وتشمل محاصيل الباقلاء والعدس والحمص والماش واللوبياء

تطورت من نوع بري كان نموه منتشراً في المنطقة الممتدة بين البحر المتوسط والهند وكان ينمو في جرمو في الألف السابع قبل الميلاد ، وتطور العدس الأحمر من العدس الأسود الذي كان ينمو في حوض البحر المتوسط وفي الأقطار الواقعة شرقي جبال الهملايا . وكان هذا النوع من العدس يزرع في جرمو بمحدود الألف السابع قبل الميلاد وفي جوخة مامي بالقرب من مدينة مندلي الحالية بمحدود سنة ٤١٠٠ قبل الميلاد وفي خفاجي بمنطقة دبالى بمحدود سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد^(٣٦) .

ويعود سبب نجاح عملية زراعة البقوليات من قبل سكان القرى الزراعية الى اعتمادهم على الري الاصطناعي على الرغم من إمكانية زراعة هذه المحاصيل وخصوصاً العدس بالاعتماد على نسبة متوسطة من المطر ، وبذلك يمكن القول أن زراعة البقوليات كانت غير مهددة مناخياً خصوصاً في المناطق ذات المعدلات المطرية المنخفضة إلا أن نسبة إنتاجيتها القليلة لم يكن يضمن للسكان غذاءً كافياً إلا عند توفر عمليات الري الاصطناعي وهذا ما يفسر قلة نسبته من بين الموجودات النباتية لبعض القرى الزراعية الواقعة ضمن هذا المستوى المطري المحدود^(٣٧) .

الحاصل اللبغية والزيتية:

تعد الحاصل اللبغية من الحاصل التي تزرع بهدف الحصول على أليافها وفي الوقت الذي تحوي جميع النباتات زيتاً فإن بعضها يحوي كميات أكبر من الأخرى ، وهو يخزن عادة في الجذور أو البذور ، إن فصول الربيع الدافئة في بلاد الرافدين وفصول الصيف الحارة والجافة والعدد الكبير من ساعات الشمس سنوياً تؤدي إلى تطور البذور إذ يكون فيها حاصل الزيت من البذور عالياً . وان أفضل ممثل للنباتات الزيتية جميعاً في بلاد الرافدين لا ريب هو الكتان الذي وجدت بذوره في أواخر عصور ما قبل التاريخ في تل الصوان وجوخا مامي والاربيجة وأور وفي الحقبة البابلية القديمة في خفاجي وفي الحقبة الآشورية الحديثة في النمرود^(٣٨) . ويرجح أن السكان عملوا جهدهم في تلك القرى على زراعة كتان الألياف بصورة أوسع من كان الزيت لحاجتهم المتزايدة له كمادة أولية في صنع المنسوجات نظراً لزيادة عدد السكان فيها . ان زراعة الحاصل الزيتية واللبغية ومنها بذور الكتان وهي من الحاصل التي لا تنمو في ظل ظروف مطرية منخفضة لذا كانت بحاجة لنموها إلى استخدام تقنية الري الاصطناعي في القرى الزراعية مما استدعى لزراعتها فتح قنوات مائية ووجود أيدي عاملة وجهود

مضنية لإنجاح العملية الزراعية لها . وبذلك يمكن أن ندرك أهمية زراعة تلك المحاصيل وما تتطلبه من إمكانيات كبيرة تعكس أهميتها والحرص على زراعتها لقيمتها في تصنيع الألبسة من خلال المنسوجات بالدرجة الأساس وكمادة مساعدة إلى جانب صوف الخراف وشعر الماعز فضلاً عن قيمة بذورها الغذائية الأخرى^(٣٩) .

الاستنتاجات :

إن للزراعة أهمية كبيرة في حياة الإنسان لتوفير قوته اليومي فلولا اهتداء الإنسان للزراعة لما تكونت المجتمعات الكبيرة للقرى والمدن ، ولما تطور الإنسان في حياته حتى وصل التطور إلى ما عليه الآن . لقد كان إنسان الكهوف يقضي معظم وقته في الصيد وفي جمع الأعشاب التي يمكن أن تؤكل ، وبعد نزوحه نحو السهول وحافات الأنهار بسبب الظروف المناخية القاسية لسفوح الجبال توفرت له الظروف لممارسة الزراعة ، والزراعة وفرت له قوت يومه مما أدى إلى توفر وقت فراغ قام الإنسان فيه ببناء بيوت له تقيه من الظروف الجوية بدل الكهوف التي كان يسكنها في الماضي . إن وفرة المادة الغذائية أدت إلى الزيادة الكبيرة في سكان ضفاف الأنهار وهذا ما أدى إلى ظهور القرى والتجمعات السكانية الكبيرة . كما إن توفر الغذاء لهذه المجتمعات الكبيرة بصورة وفيرة

وزيادة السكان أدى إلى ظهور المدن البدائية . إن ظهور المدن أدى إلى الحاجة لوجود نظام اقتصادي وسياسي ينظم الحياة اليومية لسكان هذه المدن وهذا ما أدى إلى ظهور الحكام وظهور الحكم أدى إلى ظهور قوانين تنظم حياة سكان هذه المدن . بعد ذلك تطورت هذه المدن لتكون دول ذات مساحات كبيرة ، لها حاكم عام وحكام أقاليم وتعيش ضمن نظام سياسي واقتصادي يسنه حكام تلك الدول .

الهوامش :

١. تشايلد ، كوردن ، التطور الاجتماعي ، ت لطفني فطيم ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٦ .
٢. النجم، حسين يوسف حازم ، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق ، أطروحة دكتوراه غير منشورة موصل، ٢٠٠٦ ، ص ٢٤ .
3. Childr, Gordon , What Happened in History , 2nd , E.D England , 1985 , p. 40-41
٤. الدباغ ، تقي ، من القرية إلى المدينة ، موسوعة الموصل الحضارية ، ج ١ ، ط ١ ، موصل ١٩٩١ ، ص ٣٤ .
٥. الدباغ ، تقي ، بدايات الزراعة في الوطن العربي ، مجلة المؤرخ العربي ، ع ٤ ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٢١٣ .

٦. النجم ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .
٧. المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
٨. كسار ، أكرم عبد ، قراءة في تناجات الإنسان الفنية الأولى ، مجلة سومر ، مج ٣٩ ، ١٩٨١ ، ص ٣٥ .
٩. بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، ت ، عامر سليمان ، موصل ١٩٨٦ ، ص ٣٣ .
١٠. أبو الصوف ، بهنام ، أعالي ما بين النهرين تشهد نواة أول ثورة زراعية في التاريخ ، مجلة ما بين النهرين ، السنة الأولى ، موصل ، ١٩٧٣ ، ص ١٠ .
١١. النجم ، المصدر السابق ، ص ٣١ .
١٢. الرويشدي ، سعدي ، نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان ، مجلة سومر ، مج ٢٩ ، ١٩٧٣ ، ص ٣ .
١٣. المصدر نفسه ، ص ٦ .
١٤. النجم ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .
15. Rhea, Kaven – Nejat , Nemet , Daily Life in Ancient Mesopotamia , 2nd E.d, U.S.A. ,2008, p. 444- 445 .
١٦. النجم ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .
17. Rhea – Nejat , op. cit , p. 445 .
١٨. الدباغ ، من القرية إلى المدينة ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .
١٩. الشيخ،عادل عبد الله ، عمارة العراق في العصرين الحجري الحديث والحجري المعدني حتى نهاية طور العبيد ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ٧٠ .
٢٠. الأحمد،سامي سعيد ، الزراعة والري،حضارة العراق،ج١ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٥٥ .
٢١. كول ، سونيا ، ثورة العصر الحجري الحديث ، ط ٣ ، لندن ، ١٩٦٥ ، ت تقي الدباغ ، ونادية سعدي الدبوني ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٩ .
٢٢. الدباغ ، تقي ، التدجين والإنتاج ونظم الزراعة والإرواء . العراق في موكب الحضارة ، الأصالة ، التأثير ج١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٥٢-٥٣ .
٢٣. الجنابي ، محسن علي احمد ؛ علي ، يونس عبد القادر ، المدخل إلى إنتاج المحاصيل الحقلية ، موصل ١٩٩٦ ، ص ٩-٣٨ ، ينظر كذلك : Steele , Philip , Eye witness Mesopotamia , New York , 2006 , p. 17-18 .
٢٤. كول ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

٢٥. بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين
الأسس المادية ، ت كاظم سعد الدين ، بغداد ،
٢٠٠٦ ، ص ١٠٢-١٠٣ .
٢٦. رايت ، ه أ ، البيئة الطبيعية لبدايات
مرحلة إنتاج الغذاء في شمال ما بين النهرين ، ت ، فؤاد
حمة خورشيد ، مجلة كلية الآداب ، ع ٦٤ ، بغداد ،
٢٠٠٣ ، ص ١٤٤ .
٢٧. الدباغ ، التدجين والإنتاج ونظم الزراعة
والإرواء ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .
٢٨. الشيخ ، عادل عبد الله ، بدء الزراعة
وأولى القرى الزراعية في العراق ، رسالة ماجستير غير
منشورة ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٧٣ .
٢٩. كول ، المصدر السابق ، ص ١٢ .
٣٠. الدباغ ، التدجين والإنتاج ونظم الزراعة
والإرواء ، المصدر السابق ، ص ٥٥-٥٦ .
٣١. كول ، المصدر السابق ، ص ١٣ .
٣٢. النجم ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٣٣. الجنابي ، علي ، المصدر السابق ، ص
١٤٧-١٤٨ .
٣٤. بوتس ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
٣٥. النجم ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٣٦. الدباغ ، التدجين والإنتاج ونظم الزراعة
والإرواء ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
٣٧. النجم ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
٣٨. بوتس ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
٣٩. النجم ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
- 40 . Cauvin Jacques ,The Birth
of the Gods and the origin of
Agriculture, Translated by
Trevor Watkins , Cambridge ,
2003 , p.53

حرب البسوس بين السرد التاريخي والشعبي وبين الفن الدرامي

أ.م.د. نذير عبد الغني محمد العزاوي

الملخص

تكون البحث من ثلاثة مباحث: استعرض المبحث الأول الأحداث التي تناولتها الملحمة الشعبية لسيرة حرب البسوس؛

في حين تناول المبحث الثاني التناقض والاختلال في رواية حرب البسوس في مصادرها التاريخية، واشتمل المبحث

الثالث حرب البسوس في الدراما التلفزيونية والدراما المسرحية، وأهم التعديلات التي أدخلها المؤلفون على تفاصيل هذه

الحرب وشخصياتها، مع مقارنة بين تلك الشخصيات، واستعرضت الخاتمة أهم نتائج البحث.

ABSTRACT

The current study consists of three sections. The first exposes the events that the epic of Albasoos fight contained. While the second sections deals with the contradictions and deficiencies of the historical resources of the story of Albaoos fight. The third section deals with Albassos fight in the TV and Drama and the most important reformations which were made by the authors and playwrights in the details of this fight, its characters in addition to a comparison among those characters. In the end of the study the most important findings of this study is exposed.

المبحث الأول: سيرة حرب البسوس في الملحمة

الشعبية

فسمي بذلك . وانتصرت تغلب في أربع حروب، وبكر

في واحدة، وتكافأت القبيلتان في واحدة^(١) . ولعل

التعريف الذي أورده كتاب الملاحم العربية هو أقرب

التعريف لمداول كلمة اليوم، فقد (أطلق العرب "الأيام"،

منذ العصر الجاهلي القديم على الملاحم، التي وصلت

إلينا والتي تزخر مضامينها بحياة أمتنا العربية وثقافتها،

وهي تشكل بالنسبة لذلك العصر أروع تراث شعري،

خلال الحقبة السابقة لإسلام^(٢) وهنا لا بد لنا أن

تعرف على البسوس التي أطلق اسمها على هذه

الحرب، والبسوس هي (المرأة التي تذكر الأساطير أنها

كانت السبب في نشوب الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب

اللتين تربطهما صلة رحم . وسمي الشعر الذي قالته

البسوس، وخاطبت به سعداً، ووضعت فيه ما نالها

صاغ لنا كتاب التاريخ ملاحم عديدة ومن أشهرها

حرب البسوس، ولعل سبب شهرتها يعود إلى طول

الفترة الزمنية التي استغرقتها . وعلى الرغم من

اختلاف الروايات في السبب الرئيس لدوافع قتل

كليب، إلا أن الناقة هي القاسم المشترك لتلك الروايات

المؤكدة على أن مقتل الناقة هو الذي أشعل فتيل الفتنة

بين بكر وتغلب . بادئي ذي بدء علينا أن تذكر

خلاصة تلك الحرب، فقد (وقعت هذه الحرب بين

بكر وتغلب ابني وائل، وقد مكثت أربعين سنة،

وقعت فيها هذه الأيام: يوم النهي، ويوم الذنائب، ويوم

واردات، ويوم عنيزة، ويوم القصبيات، ويوم تحلاق

اللمم، وجميعها أسماء مواضع تمت فيها الحروب، ما

عدا تحلاق اللمم لأن بني بكر حلقوا جميعاً رؤوسهم

(١) بلا مؤلف "حرب البسوس"، موقع الإمارات التعليمية،

www.uae7.com، ص ١.

(٢) عادل البياتي، الملاحم العربية (بغداد: مطبعة دار الجاحظ

للطباعة والنشر، ١٩٧٦)، ص ٦٣.

من حيفٍ يحمل جسّاس مغبّه بـ "الموثبات"، لأنّه كان
 بعض العبيد أن يأخذها إلى المرعى ويمر بها قرب
 السبب في قتل جسّاس لكليب، وما تلا ذلك من
 صيوان جسّاس في الصباح والمساء، وأوصته إذا سأله
 أحد عنها وعن سبب رائحتها يقول لا أعلم وإنما
 الحروب الدموية الطويلة بين هاتين القبيلتين. وتعدّ هذه
 الموثبات مثلاً للتحريض، كما أنّ النساء يقلنّها في ندب
 الموثي^(١).

في الأدب الشعبي كانت الحرب بتخطيط من العجوز
 سألها عن قضية الناقة فتهدت من فؤاد موجوع
 الشاعرة أخت الملك تبع حسّان الذي قتله كليب،
 وقالت: لا خفاك أطال الله عمرك وأبقاك، إن هذه
 وهي التي ألقت الفتنة في القبائل وبسببها يقتل كليب بن
 الناقة من سلالة ناقة صالح وفيها خواص غريبة يا ابن
 وائل، وهي التي أثارت الحرب بين بكر وتغلب، وبلغ من
 الأجواد، فإنّ بعرها من المسك وعرقها من الزباد.
 مكراها أنها بعد أن صار لها عند بني مرة القبول،
 فتعجب جسّاس غاية العجب وقال في نفسه: تبارك
 (وجميع كلامها عند جسّاس مقبول أخذت طاسة من
 الله ربّ العالمين، فلا بد لي من أخذ هذه الناقة فأقتخر
 الفضة وملأتها من المسك والزباد والعطر، وخفقت
 بها على جميع الملوك. فقال لها: هل تبيعيني إياها يا
 الجميع في بعضه البعض وعمدت إلى ناقتها الجربانة
 حرة العرب وأنا أعطيك مهما تطلبين من الفضة
 وأخذت تطلي أجناها وتدهنها بذلك الطيب وأمرت

^(٢) قصة الزير سالم الكبير، ط ١ (بيروت: منشورات

الجميل، ٢٠١٣)، ص ٧١.

^(١) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة (بيروت: دار

الشعب، بلا تاريخ)، ص ٣٧٣.

والذهب؟^(١). ولكن العجوز ما جاءت من أجل
عندنا، فقالت من حيث ذلك أريد أن تجعل ناقتي دون
المال من فضة وذهب، وإنما جاءت من أجل الانتقام،
ولم تجد خيراً من الفارس جسّاس ليقوم بتنفيذ مآربها
من دون أن يعلم، وها هو قد أصبح يحلّ الناقة وهو
الأمر الذي تحرص عليه العجوز أن يسير على هذا
النحو، ولتزيد من قدر الناقة وقدسيّتها (بكت
ولطمّت على وجهها وقالت: والله هذا الحساب الذي
كنت أحسبه فإنني ما هاجرت من بلادي إلا لأجل
هذه الناقة، وكلما نظرها أمير أو ملك يطلبها ومادام
الأمر كذلك فإنني سأرحل من عندك)^(٢)، وبعد أن
أنشدت له قصيدة من قلب حزين موجوع، انطلت
عليه الحيلة (فلما فرغت من كلامها أخذ جسّاس
يطلب بخاطرهما ويقول لها: إن كلامي معك هو على
سبيل المزاح فناقتك مباركة عليك وأنت المعزوزة

عندنا، فقالت من حيث ذلك أريد أن تجعل ناقتي دون
باقي النوق والجمال لأنها قد تربت بالدلال وأريد مرعى
لأنه أليق بها. فقال أرسلها الى المراعي مع نوقي
وجمالي، فقالت إنها لا تأكل إلا من الرياحين وزهر
البساتين. فقال: إنه ليس لنا كروم ولا بساتين. قالت:
وهذه الكروم التي بجانب القبيلة من هو صاحبها؟
قال: هي لابن عمي كليب زوج أختي الجليلة وهمام
متزوج أخته ضباع. قالت: ما دام أنكم أهل وأقارب
وأنت ملك نظيره فلماذا يكون كليب أعظم منك؟
فقال: إنه من بعد قتله الملك تبع عظم أمره وانتشر
ذكره وتملك على البلاد وطاعته العباد)^(٣)، فوصلت
العجوز بدهائها إلى المنعطف الذي به تحقق مآربها في
اشعال الفتنة، فهي تعلم جيداً الحمية التي توغر
الصدور، وهي تتقن التوقيت في بث سمومها، وإثارة

(١) قصة الزير سالم الكبير، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣.

حفيظة جسّاس فقالت: (والله لقد أخطأتُ وبُسّ ما
 (وذمة العرب وشهر رجب لقد تكلمت بالصواب وأنا
 فعلتُ، فأني تركتُ البحر وجئتُ إلى الساقية وتعلّقتُ
 من الآن وصاعداً لست أحسب له حساب، لأنه قد
 بالذنب وتركتُ الرأس. فاغتاظ جسّاس وحس
 وقال: ما معنى هذا الكلام يا حرة العرب، فإنك قد
 خرجتِ عن دائرة الصواب وباديتنا بقلة الأدب أهذا
 جزاء المعروف والإحسان؟ فقالت: لا تغضب ولا
 تغتاظ وما قولي هذا إلا من سبيل الحبة. فكيف يكون
 ابن عمك وصهرك وزوج أختك ويملك على هذه
 الأرض العظيمة وأنت ليس لك قدر ولا قيمة؟ أهكذا
 يكون الأهل وأبناء الأعمام أيها الملك الهمام؟^(١)
 وهنا جاءت الطعنة النجلاء في الصميم مع بلسم
 تعشقه النفس الامارة بالسوء، فهذه العجوز تناديه
 بالملك الهمام من جهة، ومن جهة أخرى تنعته بمن لا
 قدر له ولا قيمة، فينفجر جسّاس ثائراً لنفسه قائلاً:
 لتمادي في غيها فقد فرحت العجوز بما وصلت إليه
 مع جسّاس (فقبلت يده وخرجت من عنده وقالت
 لعبيدها: خذوا هذه الناقة واتركوها ترعى في البستان
 المعروف بجي كليب واجعلوها تهدم الحيطان وتقطع

^(١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.^(٢) قصة الزير سالم الكبير، ص ٧٣، ٧٤.

الأشجار وتأكل الاغصان وإذا اعترضكم أحد
جری علی الناقة فلما شاهدوا ما كان من أمرها
فاشتموه وسبّوه وإذا اقتضى الامر اقتلوه ولا تخافوا .
فقالوا: سمعاً وطاعة، ثم أخذوا الناقة وساروا بها إلى
ذلك المكان^(١)، وهكذا تم لها ما أرادت، فقام العبيد
بتنفيذ ما أرادته منهم على أتم وجه، فقد اختارت
البستان الذي اعتنى به كليب ولا يدخل إليه أحد إلا
هو وعياله فقط، فماذا سيكون شأنه مع من يعتدي
على حماه الخاص؟ وأي اعتداء يثير حفيظته أكثر من
الجلوس على سريره؟ وأي أمر يخرج الحليم عن حلمه
أكثر من سبه وشتمه من العبيد؟ (فعند ذلك
تراكضت غلمان كليب على العبيد لتقبض عليهما
فتركا الناقة وهربا . فأحظرت الغلامان الناقة أمام
كليب فأمر بذبحها فذبحوها وطرحوها خارج
البستان . وكانت عبيد العجوز تراقب عن بعد ما

رجعوا على الأعقاب وأعلموا مولاتهم بما جرى وكان،
وكيف أنّ غلمان كليب ذبحوا الناقة بأمر مولاها
وطرحوها خارج البستان فقالت: الآن بلغت مرادي
وأخذتُ ثأري من الأعادي^(٢)، وهكذا وفقاً لتلك
الخطّة تقف القبيلتان على شفا جرفٍ هارٍ، سينهار
بهما إلى حرب تدوم أربعين عاماً، وهكذا جاء دور
جساس ليقوم بفعلته المشؤومة، ولكي يقوم بها لا بدّ من
أداء العجوز لدورها في التحريض الى اقصاه فأمرت
(العبد أن يسلم الناقة ويأتيها بجلدها . فسار العبد
وسلخها وجاء بجلدها إليها وقامت من وقتها
ووضعت التراب على رأسها وشقت ثيابها مع بناتها
وعبيدها وجواربها وأخذت جلد الناقة وسارت به
لعند الأمير جسّاس فدخلت عليه وهو في الديوان مع

^(١)المصدر نفسه ، ص٧٤ .^(٢)المصدر نفسه، ص ٧٥ .

الأكابر والأعيان وصارت تندب وتبكي وألقت الجلد
بين يديه. فقال: علامك أيتها العجوز وما الذي
أصابك؟ وقالت له في آخر الكلام: لو كنتُ
أعلم بأن ليس لك عند ابن ربيعة قدر ولا مقام ما
كنت تركتُ ناقتي في حماه حتى يذبحها بل إني
اعتمدت على كلامك نظراً لعلمي برفعة مقامك بين
أهلك واقوامك حتى جرى ما جرى بسببك^(١)،
وهكذا نفتت سمومها في مجلس جساس ، على رأسهم
جساس الذي استطاعت العجوز أن تجعل الدماء
تغلي في عروقه، فحالما (فزعت العجوز من كلامها
استعظم جساس تلك القضية وعصفت في رأسه نحوه
الجاهلية وقال للعجوز: اذهبي بأمان فأنا أعرف
شغلي^(٢)، وعلى الرغم ما قال اجتمع جساس بالقوم
ولم يوافق أحد على النيل من كليب من قريب أو بعيد

بسبب ناقة، وحاولوا أن يثنوه عن عزمه ونزل عند
رأيهم في ارسال كتاب الى كليب يطلب فيه ثمن الناقة
مع الاعتذار، واستمرت العجوز في مكائدها وزادت
على الكتاب بيتين من الشعر فيه سبٌ وشتم لكليب،
وتولى الأحداث ورفض أفراد القبيلة الانصياع لمطالب
جساس وأسقط في يد جساس، فعاد اليها يساومها
على ثمن الناقة خوفاً من ازدياد الشر ووقوع البلايا
فقالت له: (أريد واحداً من ثلاثة أشياء . قال: وما
هي؟ قالت: أريد أن تملأ حجري بالنجوم، أو تضعها
جلد الناقة على جثتها لتقوم، أو رأس كليب بالدماء
يعوم. فقال لها: أما ملئ حجرك بالنجوم أو بأن الناقة
تعيش فتقوم فهذا لا يقدر عليه إلا الحي القيوم، أما
رأس كليب فأبشري به^(٣)، وفي هذه الملحمة الشعبية
تختلف طريقة قتل كليب، فالعجوز ترسل عبدها

^(١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .^(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.^(٣) قصة الزير سالم الكبير، ص ٧٨ .

ليتنصّي أمر اغتيال كليب، ويلطّخ منديلاً ايضاً بدم
يركض ويلتفت وراءه قاصداً أهله وحماه^(٢)، وجاء
كليب، وأعطته سكيناً ليجهز على كليب إن وجدته
العبد-الخادم للعجوز-ورق قلبه لكليب الجريح لهيبته
جريحاً مقابل حريته. وكاد يُحجم جسّاس عن قتل
كليب عندما أقسم كليب على جهله بصاحب الناقة
ونفى معرفته بأن صاحبها هي ضيفة جسّاس، بل
وعرض عليها اربع مائة ناقة عوضاً عنها وان أراد
المزيد فله ذلك، ولكنّ العبد الذي أرسلته العجوز
خلفه استطاع أن يجعل جسّاس يتحمّس (ونفض
ومسك له العبد الركاب فركب ثم تقدم نحو كليب
وبيده الرمح وطعنه في صدره خرج يلمع من ظهره فوق
على الأرض يتخبط بدمه)^(١)، واختلفت هذه الملحمة
عن نظيرتها التاريخية في موضع آخر وهو إسعاف
جسّاس لكليب بالماء (ثم إنه رفع رأسه عن ركبته
وأتى له بالماء فأسقاه ثم ركب وتركه وخلاه وهو

يركض ويلتفت وراءه قاصداً أهله وحماه^(٢)، وجاء
العبد-الخادم للعجوز-ورق قلبه لكليب الجريح لهيبته
ووقاره، وطلب كليب إمهاله حتى يكتب وصيته وقد
كانت شعراً في قصيدتين، ولم تطاوع العبد يده في ذبح
الرجل، ولكن كليب أمره بذلك من شدة الألم وقبل أن
يأتي أخوة كليب وأهلّه، (فعند ذلك أخرج العبد
السكين وانحنى عليه وذبحه من الوريد للوريد ولوث
المنديل بدمه ورجع إلى عند سيده فاعلمها بقتل
كليب وأراها دمه ففرحت فرحاً شديداً وصبرت إلى
الليل ثم حملت وسافرت بمن معها من تلك القبيلة سراً
حتى لا يعلم بها أحد وقالت: لقد أخذت الآن ثأري
وطفيت لهيب ناري)^(٣)، ونلاحظ أيضاً أنّ عودة
جسّاس الى أهله مختلفة أيضاً، فما بانّت ركبته وهو
عائد الى أهله (وأما جسّاس فإنه لما رمى كليب وولى

^(٢) المصدر نفسه، ص ٨١.^(٣) المصدر نفسه، ص ٨٤.^(١) المصدر نفسه، ص ٨٠.

هارباً، سار حتى وصل الى قومه وهو في خوفٍ التي اختلفت أحداثها عما جاء في ذكر هذه الحرب
عظيم، أصفر اللون متغير السكون. فسأله أبوه الأمير في غير الأدب الشعبي، نحو إلقاء القبض على الزير سالم
مرة: أين كنت؟ قال: كنت في البرية فالتقيت بابن أو المهلهل و(نزلوا عليه بالسيوف إلى أن اثنخوه بالجراح
عمي كليب فقتله وزال همي وغمي. فلما سمع مرة وأتلفوه حتى صار عبدة لمن اعتبر وكان دمه يسيل
هذا الخبر تبدل صفو عيشه بالكدر وقبض على كالمطر فازدادت أفراحهم وزالت أتراحهم وقالوا: لقد
جساس من ذراعه حتى كاد يخرج روحه من بين بلغنا الأرب ورفعنا الحرب عن العرب^(٢). وجاء
جنبيه وقال: يا عديم الزمان يا أخبت الأنام، أقتل الأدب الشعبي بأحداث لم تذكر في أماكن أخرى نحو
ابن عمك وهو من لحمك ودمك لأجل ناقة حقيرة وضع الزير سالم في صندوق مزفت كتابوت موسى
وصاحبته سائلة فقيرة، فماذا تقول العرب يا غدار إذا عليه السلام عندما ألقته أمه في اليم، وعلى الرغم من
سمعت عنك هذه الأخبار؟ فقد أجلبت علينا الأذى جرحه ودمه الذي كان يسيل كالمطر إلا أنه وصل
والضرر وفضحتنا بين البشر^(١). وقد زاد الوالد في ساحل مدينة بيروت التي كانت تسمى آنذاك الحبيرية،
التويخ، بل ومدّ يده وضرب جساس واستمر في لطمه وهي إشارة واضحة إلى أنّ سكانها من اليهود، غير
حتى خلصوه إخوته من بين يديه. واستعرت نار أن كاتب الملحمة نسي أو تناسى أن دين قبيلتي بكر
الحرب، ولنا أن نسلط الضوء على بعض الأحداث وتغلب هي النصرانية، فغالبيت الشخصيات اتسمت

^(١) قصة الزير سالم الكبير، ص ٨٤.^(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

بالطابع الإسلامي، فجسّاس لم يقسم بالربّ ولا بيسوع	وسابع بيت سالم كون راجل	لأخذ الثأر
المسيح، ولا بالروح القدس، وإنما كان يعيش هو وباقي	لا تعطي وناه ^(١)	
الشخصيات في أجواء إسلامية على الرغم من أنّ	وهنا نقول إمّا أن يكون المؤلف مصري الجنسية، وإمّا	
الحرب وقعت قبل الإسلام، فكان جسّاس يقول: تبارك	أنّ الأبيات أضيفت على يد مصري أو أكثر؛ لذلك	
الله ربّ العالمين، وذمة العرب وشهر رجب... إلخ،	جاءت الأبيات الشعرية باللهجة المصرية في بعضها، أو	
أما الأشعار التي زحرت بها الملحمة الشعبية فكان	على نمط الغناء المصري الحكواتي الذي عرفه الريف	
فيها الكثير من تلك الأشعار الركيكة والتي اشتملت	المصري، ولابدّ أنّ الملحمة كتبت في العصر الإسلامي	
على الكثير من الألفاظ العامية، وطغى الطابع	في زمن العباسيين حيث انتشرت المقاهي التي تصدر	
الإسلامي على قصائد لا تخصّ، فعلى لسان كليب:	فيها الحكواتي أو المخايل، فأفحموا عليها الطابع	
(أول بيت أقوله استغفر الله	الإسلامي في الأشعار والحوارات التي جاءت على	
يعبد سواه	لسان شخصياتها، لأنّ الجمهور هو في الغالب من	
وثاني بيت أقوله الملك لله	المسلمين.	
ورفع السماء		
وثالث بيت توصي باليتامى	نعود الى مدينة بيروت-التي لا ندري كيف أوصل	
ولاتنسى سواه	البحر الصندوق الذي كان فيه الزير سالم والذي	
ورابع بيت أقول الله أكبر	وضعه فيه أخته ضباع أليها- التي كان يحكمها الملك	
تنسى أذاه	(حكمون بن عزرا وكان من أجلّ الملوك قدراً واتفق	

^(١) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

بالأمر المقدر أن ثمانية من الصيادين بينما هم يصطادون السمك نظروا ذلك الصندوق في البحر العجاج تلعب فيه الأرياح وتقذفه طوارق الأمواج فقال أحدهم للآخر أنظر يا صموئيل هذا صندوق يا رؤوبيل قد ساقه إلينا إله إسرائيل^(١)، وكما نلاحظ أن الشخصيات يهودية أيضاً، وما يهمننا أن الزير سالم يحتلق قصة يقنع بها الحاكم ولكنه يعود في مناسبة أخرى فيعطي جواباً آخر، فيغضب الحاكم ويأمر بسجنه، ثم يعفو عنه ويدخل الحرب معهم ضد النصارى ولا ندري كيف يمكن لنصراني أن ينصر اليهود على بني جلدته النصارى! وبعد حرب ضروس (تم الاتفاق ووقع الصلح والوفاق ورجع برجيس «ملك النصارى» من تلك الآفاق بمن معه من الرفاق بعد أن رتب على الملك حكمون مالا معلوماً يدفعه كل سنة إلى خزينة الملك. (قال الراوي): وعظمت منزلة الزير عند حكمون وقال: مثلك تكون الفرسان فأنت عندي اليوم كالولد وأعز من الروح في الجسد فلولاك كنت في حال تعيس واستولى عليّ الملك

برجيس^(٢). وأكرم الملك الزير سالم، ولكن الأخير طلب أن يعود الى الديار ليكمل الحرب والثأر، وبعد معارك عديدة سقط فيها أكثر من مئة ألف حتى علم الجرو [وقد ذكر مرة واحدة بتسمية الهجرس ف ص ١٧٣ من الكتاب، بينما سمي في المصادر الأخرى هجرس، وهو جرو الثعلب] بأن كليب هو أبوه فيتفق مع الزير سالم ويقتلان جسّاساً (فلما طال بينهما الخطاب قال لهما الزير: أراكما قد أطلتما الكلام والعتاب فعند ذلك طعنه الجرو بالرمح في صدره فخرج يلعب من ظهره وتقدم إليه الزير بالسيف على رأسه فقطعه^(٣)، أما موت الزير سالم فكان على يد عبيدين كانا برسم خدمته حيث اجتمع الزير سالم (يوماً بالجرو وقال له: يا ابن أخي قد ضاقت أخلاقي من الوحدة والافتراق فأريد منك أن ترسلني مع بعض الأتباع للتنزه في البلاد فأجابه الى ما طلب وأركبه في هودج وأعطاه عبيدين برسم الخدمة وجميع ما يحتاج إليه من لوازم السفر فودعه المهلهل وما زال يحول حتى اقترب من بلاد الصعيد وكان العبدان قد تعبوا من

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(١) قصة الزير سالم الكبير، ص ١٢٧.

مشقة الطريق وهما يلاقيان من التعب أشدّ الضيق
فصمما على قتله واعدامه بالكلية وإنما يقولان لأهله
قد أدركت المنية^(١)، وأحسّ الزير بذلك فعمد إلى
الحيلة للإخبار عن هذه الجريمة بوصية يحملانها إلى
أهله، وهي بيت من الشعر، ولكن يبدو أن بيت
الشعر لا معنى له، لأن العبدین (اقتربا من الجرو
وأنشده البيت المذكور. فلما سمع الجرو هذا استغربه
حيث لا معنى له فاستدعى أخته اليمامة وكانت من
أدكى نساء العرب وعلمها عمها وأنشدها ذلك البيت
فلطمت على وجهها وبكت وقالت: إنّ عمي لا يقول
أبياتا ناقصة بل أراد أن يقول:

من مبلغ الأتوم أن مهلهلاً
أضحى قتيل
الغلاة مجدلاً

لله دركما ودرّ أبيكما
لا يبرح
العبدان حتى يقتلا

ثم إنهما قبضا على العبدین وألقوهما تحت العذاب
والضرب الشديد إلى أن أقرّا بأنهما قتلاه ودفناه
فقتلهما الجرو في الحال. وهكذا انتهت حياة الزير وقد

أخذ ثأره في حياته وبعد مماته^(٢). وفي هذه الملحمة
أكد الراوي على إكمال الزير سالم للثأر الذي دام أربعين
سنة وانتهى بقتل جسّاس فوضعت الحروب أوزارها.
ولكن الزير قُتل على يد عبدین، بيد أن الملحمة أكدت
على مجموعة من الوقائع والأحداث هي:

١. أن أمر الحرب والفتنة كانت من تدير سعاد
العجوز أخت الملك تبع حسان، التي
استطاعت أن تزرع الفتنة بين القبيلتين لتثأر
ممن قتل أخاها.

٢. كانت الناقة ترعى وفقاً لخطة مدروسة
ومعها العبدان اللذان عاثا فساداً في بستان
كليب وشتما عبد كليب.

٣. لم يكن كليب يعلم لمن تكون الناقة.
٤. كليب لم يقتل الناقة بنفسه وإنما أمر غلماناً
بذلك.

٥. ماتت الناقة على الفور وحُملت وطُرحت
خارج البستان وهي ميتة.

٦. اتسمت الملحمة باحتوائها على مشاهد
عديدة ومتنوعة خرجت عن المألوف كثيراً،

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

١٤. العبدان اللذان كانا برسم خدمة الزير سالم هما اللذان قتلوا الزير سالم.
١٥. تم قتل العبدین بعد أن كشفت الیمامة سر وصیة الزیر سالم، واعترف العبدان بجريمة قتلهما للزیر سالم ونالا جزاءهما.
١٦. كانت ارقام القتلى مبالغ بها كثيراً، فقد بلغ عدد القتلى في أحد المعارك مائة ألف في يوم واحد، وذكر عدد جيش التبّع بألف ألف.
١٧. ختمت الملحمة بالإرهاص بما سيأتي من أحداث في جعل جد الهلالين هو من نسل القوم. وأن تغربة بني هلال المعروفة هي تكملة لقصة الزير سالم الكبير.
١٨. كانت بعض الشخصيات خارقة في هذه الملحمة وولادتها.
١٩. الأشعار الكثيرة التي احتوتها الملحمة غير متقنة واشتملت على الكثير من الألفاظ العامية.
٢٠. تؤكد الملحمة على نبوة تنبأ بها التبّع عند إقدام كليب على قتله، وكيف سيتم الثأر من كليب، وهو ما أبلغ عبد التبّع لكليب (فقال له: لا خفي عنك أنا عبد التبّع
- نحو خروج حصان من البحر أكثر من مرة والصندوق الذي ألقى في البحر حتى وصل يبروت، ونجاة الزير سالم بذلك الصندوق، على الرغم من جراحه ونزيفه، وهناك الناقة من دون فضيل، وكانت ناقة ضعيفة لا خير فيها، أكسبتها العجوز قدسية مزيفة.
٧. قتل جسّاس لكليب قد تم بمساعدة أحد عبید سعاد العجوز. فجسّاس طعنه والعبد ذبحه.
٨. لم يكشف جسّاس عن ركبه عند عودته للديار.
٩. عتف والد جسّاس ابنه ولطمه وحاسبه.
١٠. ندم جسّاس على فعلته، وسقى كليب الماء، ولم يمنع عنه الماء.
١١. عاش الزير سالم أكثر من سنة في بلاد الشام ثم عاد الى دياره.
١٢. لم تذكر الملحمة الدين الذي كانت تدين به بكر وتغلب.
١٣. الجرو هو الذي قتل العبدین اللذان قتلوا الزير سالم.

السبب الرئيسي لقتل جسّاس لكليب، وكذلك التناقض والاختلاف في ذكر عملية القتل نفسها والقائم بالقتل.

من الأسباب في قتل كليب، هو تجرّ كليب على البكرين في أكثر من موضع، ومن بين ذلك إقدامه على قتل الناقة. وكان كليب شديد العشق للجليلة لا يريدّها أن ترى الفروسية والعزّة والأنفة وطبائع الملوك في أحد غيره، وإن كان أبيها أو أخيها، ولن ننكر أيضاً نوايا البسوس الدنيئة من سعيها لإشعال الحرب من أجل إرباح تجارتها وتحقيق أطماع شخصية أماً منها أن يتم زواج الجليلة من التبع اليماني، وهي خالة لجسّاس من أمه دون جلّ إخوته، ولذا هو أول من لبي ندائها، وابتلع دسائسها^(٢).

ونرى هنا إشارة إلى أنّ مرّة له أكثر من زوجة والبسوس خالة جسّاس من دون إخوته، وأنا لا أرحب بهذا الرأي بسبب دياتهم النصرانية التي لا تبيح لهم تعداد الزوجات مثل اليهود، وفقاً لمعتقداتهم، ولكن

اليماني فلما قتله أنت حضرت أخته سعاد العجوز الساحرة إلى هذه البلاد لتأخذ بثأره منك وتطفئ لبيب نارها وهي التي ألقت الفتنة بينك وبين ابن عمك حتى قتلك وأرسلتني لأذبحك وأخذ لها أثراً من دمك. فقال كليب: لقد صدقت فقد ذكر لي تبع هذا الكلام وفقد قوله الآن بالتمام وهذا تقدير ربّ الأنام^(١).

٢١. إن الزير سالم هو من طرد زوجة كليب بعد قتله.

وقد أورد الباحث بين الاقتباسات ما قام بتلخيصه من المصدر.

٢٢. البسوس لا ذكر لها.

٢٣. لم يترك المهلهل معاقرة الخمر ولكنه لم ينزع درعه عن جسده.

المبحث الثاني: حرب البسوس تاريخياً

زخرت المصادر والكتب بالحديث عن حرب البسوس، إلا أنها جاءت من دون اتفاق فيما بينها على التفاصيل. ومن هذه التفاصيل

(٢) أحمد التومي، "أفينا مثل جسّاس؟"، مدونات الجزيرة، ٢٦

نيسان، ٢٠١٨، ص ٥.

(١) قصة الزير سالم الكبير، ص ص ٨٢، ٨١.

البسوس هي التي اختارت جسّاساً لنجدتها فقد نزلت عنده من دون إخوته، أمّا دسائس البسوس فلا توجد إشارات واضحة تؤكّد مزاعم الكاتب في حرصها على تزويج الجلييلة من التبع اليماني. وإن كانت هذه المرأة ذات نوايا شريرة وإذ أنّ الناقة لم تكن لها، وإنما (لجارها سعد بن شمس الجرمي ويذكر المكثرون من رواة العرب أن هذه الحرب استمرت أربعين عاماً من سنة ٤٩٤/، ويذكر المقللون أنّها استمرت بضعة وعشرين سنة)^(١). هناك من يذكر أنّ الناقة سيقّت الى مرعى كليب وحماه، وفهم من أنّ الناقة هي التي انطلقت وراء الأبل إلى حقها، فقد (كانت البسوس بنت منقذ التميمية نازلة في بني شيبان عند جسّاس وكانت خالته وكان مع البسوس جار لها اسمه سعد بن شمس الجرمي القصاعي وكانت له ناقة تسمى: سراب فمَرّت إبل لكليب بسراب وهي معقولة فلما رأت الناقة الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعّت الإبل واختلطت بالإبل فلما رآها كليب بين الإبل أنكرها فرماها بسهم في ضرعها فنفرت وهي ترغو فلما رآها الجرمي أخبر البسوس فصاحت "واذلاه! واجاره!"^(٢). وهنا نرى أنّ الناقة لسعد، في حين تعود الناقة للبسوس خالة جسّاس في

ترغو فلما رآها الجرمي أخبر البسوس فصاحت "واذلاه! واجاره!"^(٢). وهنا نرى أنّ الناقة لسعد، في حين تعود الناقة للبسوس خالة جسّاس في مصدر آخر (فالبسوس خالة جسّاس، وهي صاحبة الناقة في هذا اليوم، شجعت جسّاساً على قتل كليب لأنّه قتل "السقب" وهو فصيل الناقبة. ثم رمى الناقة في ضرعها)^(٣)، وهذا المصدر أضاف فصيل الناقة ((السقب)) أي أن كليب قتل الفصيل أولاً، ثم قتل الناقة، وهذا يعني أن الناقة ذات صحة وفي سن الانجاب، وليست كناقاة الأدب الشعبي، فمرت إبل بسراب وهي معقولة فلما رأت الناقة الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعّت الإبل واختلطت بالإبل فلما رآها كليب بين الإبل أنكرها فرماها بسهم في ضرعها فنفرت وهي ترغو فلما رآها الجرمي أخبر البسوس فصاحت "واذلاه! واجاره!"^(٤). وهنا نرى أنّ الناقة لسعد، في حين تعود الناقة للبسوس خالة جسّاس في

^(٢) حرب البسوس، سابق، ص ٣.

^(٣) عادل البياتي، الملاحم العربية، مصدر سابق، ص ٢٤٢.

^(٤) أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد،

الجزء الخامس (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٧)، ص ٢١٣.

^(١) حرب البسوس،

ويكيبيديا <http://ar.m.wikipedia.org>، ص ١.

مصدر آخر (فالبسوس خالة جسّاس، وهي صاحبة الناقة في هذا اليوم، شجعت جسّاساً على قتل كليب لأنّه قتل "السقب" وهو فصيل الناقة. ثم رمى الناقة في ضرعها)^(١)، وهذا المصدر أضاف الفصيل (السقب)، أي أن كليب قتل الفصيل أولاً، ثم قتل الناقة، وهذا يعني أن الناقة ذات صحة وفي سن الإنجاب، وليست كناقاة الأدب الشعبي، الهزيلة والضعيفة. وهناك اختلاف واضح في ذكر قتل الناقة والموضع الذي قتلت فيه أو رميت بسهم، فجاء أن حرب البسوس (جرت بين بكر وتغلب، وكان بينهما قرابة، وهما قبيلتان نصرانيتان. وسببها أن سيد تغلب كليلاً رمى ضرع ناقة البسوس، عمّة جسّاس سيد بكر، لأنها وردت الماء، مع إبل له، فاختلط حليبيها بدمها. فاستجدت البسوس بجسّاس، فخرج إلى كليب وقتله)^(٢)، هنا أصيبت الناقة في ضرعها عند الماء الذي وردته مع الإبل. وعلى الرغم من اشارة المصادر أن كليب هو الذي رمى الناقة بسهم، ولكنهما

تختلف في صاحب الناقة فمرة هو سعد الجرمي، ومنهم من يقول إنها للبسوس، ومنهم من يقول إن كليب قتل فصيلها القسب، ومنهم من يقول أنه قتلها ولم يذكروا أن لها فصيلاً، ومنهم من جعل الناقة تعود إلى حيث البسوس، ومنهم من جعل الرعاة هم الذين ذهبوا وأخبروا جسّاساً بالأمر. ومنهم من جعل بين قتل الفصيل والناقة فترة زمنية، فلما خرج كليب غاضباً من قول زوجته جلييلة رأى فصيل الناقة فرماه بقوسه فقتله... ثم أن كليلاً أعاد القول على امرأته فقال: من أعزّ واثل؟ فقالت أخوأي؛ فاضمرها في نفسه وأسرّها وسكت، وحتى مرت به إبل جسّاس وفيها ناقة البسوس، فأنكر الناقة، ثم قال: ما هذه الناقة؟ قالوا لخالة جسّاس فقال: أو بلغ أمر ابن السعدية أن يجير عليّ بغير إذني؟ إرم ضرعها يا غلام، فأخذ القوس ورمى ضرع الناقة فاختلط دمه بلبنها^(٣). وكما ترون هنا أن أحد غلمان كليب هو الذي رمى ضرع الناقة وليس كليب، والناقة ترعى مع إبل جسّاس وليس مع إبل كليب. وهذا يؤكد وجود الضغينة على جسّاس في قلب كليب، ولعل ما جاء

(١) عادل البياتي، مصدر سابق، ص ٢٤٢.

(٢) ديزره سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط ١ (بيروت: دار

الصدقة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥)، ص ١٠٣.

(٣) ينظر: أيام العرب في الجاهلية، ص ١٤٤.

في الكامل في التاريخ هو الذي يعزز تأجيج الصراع بين
جساس وكليب حتى وصل الى التهديد المباشر (فقال
له جساس وهو معه: هذه ناقة جارنا الجرمي فقال: لا
تعد هذه الناقة إلى الحمى. فقال جساس: لا ترعى
إبلي مرعى إلا وهذه معها، فقال كليب: لئن عادت
لأضعن سهمي في ضرعها. فقال جساس: لئن
وضعت سهمك في ضرعها لأضعن سنان رحي في
جثتك! ثم تفرقا^(١)، فترى أن الناقة لسعد الجرمي
وليس للبسوس، وليس هناك فصيل للناقة، وأن
جساس هدّد الملك كليب وجهاً لوجه. وإذا علمنا أن
القوم كانوا ينالون من عاداهم (وكانت سنتهم إذ اشتها
لطموا من شتمهم، وإذا لطموا قتلوا من لطمهم)^(٢).
فكيف بمن يقتل لهم ناقة؟ لذلك قتل جساس كليب،
ولكن من جهة أخرى تقول فكيف من قتل منهم
رجلاً؟ ولاسيما أن ذلك الرجل هو ملكهم كليب؟
فماذا نظن أن يفعل أخوه الزير سالم؟ إنه بلا شك يريد

حرب إبادة للقاتل وعشيرته، وإن كانوا من أقرباء
المهلهل أو الزير سالم. لذلك عندما استجاب جساس
لنداء البسوس (وامتشق حسامه وضرب به كلياً
الضربة القاضية، وهناك قام أخوه المهلهل بن ربيعة-
الشاعر-ليثاً له)^(٣)، وهنا ذكر المؤلف أن جساساً
قام بقتل كليب بالسيف وليس بالرمح (لقبه جساس
واسمه الحقيقي عمرو بن مرة قاتل كليب بن ربيعة
(وائل بن ربيعة التغلبي) حيث تجرّ هذا الأخير عليه
واهان أهله بني ربيعة أولاد مرة فكان لهذا أثر كبير في
نفس جساس..... قتل كليب طعناً بالرمح)^(٤)،
أضف إلى ما سبق أن الراجح هو معرفة كليب
المسبقة بوجود الناقة، وقتلها كردّ فعل لما قالته زوجته،
جواباً لسؤاله المتكرر عليها (ثم إن كلياً أعاد على
امراته فقال: -من أعزّ وائل؟ قالت: -أخوي. فأخذ
الترس، فأتى السحاب، فرمى ضرعها، فاختلط لبنها
ودمها)^(٥)، وهناك دليل آخر على طول فترة وجود

(١) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم

بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير الكامل في التاريخ، تاريخ ما

قبل الهجرة النبوية الشريفة، المجلد الاول، ط١ (بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ص ٤١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

(٣) إبراهيم علي أبو الحشيب، القرآن الكريم (القاهرة: دار الثقافة

العربية، بلات)، ص ١٢٤.

(٤) موقع المعرفة، <https://m.marefa.org>، ص ١.

(٥) عادل البياتي، مصدر سابق، ص ٥٤٤.

الناقة وهي تدعى في الحمى فعندما (اختزقت النبله المنطلقة من قوس كليب، ضرع ((السراب)) ناقة البسوس، فتندفع الناقة ترغو وتشخب نحو بيت أهلها، والدم واللبن يمتزجان ويخرجان من فم الجرح المفتوح في صابني ضرعها المكتنز^(١)، والكل يعلم أن الحيوانات الأليفة تعود إلى بيت أهلها إذا كانت قد اعتادت الخروج منه والعودة إليه، وبالتالي فهذا يعني أن كليباً قد رآها أكثر من مرة بالتأكيد، ويعلم مكانها فقصدته ورمى ضرعها بسهم. وهناك إشارة الى موضوع التطير عند العرب آنذاك، وتقديسهم لأماكن وأشياء تحميها الآلهة (وأن حقيقة القبرة التي داست عليها ناقة البسوس بحفنها فأنلفت بيضاتها، كانت رمزاً لمعبودات لم تذكر في القصة^(٢)). وعلى الرغم من أن غالبية أموال العرب هي الإبل إلا أنهم يتشاءمون منها أيضاً:

(وما الشؤم من تعبٍ ونعته وما الشؤم إلا ناقة وبعير)^(٣)

وإذا كان جسّاس قد ندم في الادب الشعبي وسقى الماء لكليب، فإنه هنا رفض ذلك: (فطعن عمرو كليباً، فقضم صلبه، فلما تداءم الموت كليباً، قال: يا جسّاس اسقني، فلم يسقه^(٤)). وعلى الرغم من أن جسّاساً لم يسعف كليباً بشربة ماء، إلا أن بعض المصادر تضيف شخصية عمرو بن الحارث وتؤكد على أن الطعنة كانت بالرمح (فخرج كليب يوماً آمناً فلما بعد عن البيوت ركب جسّاس فرسه وأخذ رمحاً وأدرك كليباً، فوقف كليب. فقال جسّاس: يا كليب الرمح وراءك! فقال: إن كنت صادقاً فأقبل إليّ من أمامي، ولم يلتفت إليه، فطعنه فأرداه عن فرسه، فقال: يا جسّاس أغثني بشربة من ماء، فلم يأت به بشيء، وقضى كليب نحبّه، فأمر جسّاس رجلاً كان معه اسمه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان فجعل عليه أحجاراً لئلا تأكله السباع^(٥)، ويبدو أن عمرو بن الحارث لم يسعف كليباً بشربة من ماء، بل وتزيد المصادر على ذلك بأن عمرو بن الحارث هو الذي أجهز على كليب بعد أن

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٤٤.

(٥) ابن الاثير، مصدر سابق، ص ٥٢٥.

طعنه جسّاس. (فمّر عليه جسّاس ومعه ابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل، وهو واقف على غدير الذئاب، فقال له: طرّدت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً! فقال كليب: ما منعناهم من ماءٍ ونحن له شاغلون. فقال له: هذا كفعلك بناقة خالتي، فقال له: أوقد ذكرتها! أما إني لو ودتها في غير إبل مرة لاستحللت تلك بها! أترك ما نعي أن أذب عن حماتي! فعطف عليه جسّاس فرسه فطعنه برمح فأفّذ حُضنيه. فلما تداومه الموت قال: يا جسّاس، اسقني من الماء. فقال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه. فالتفت إلى عمرو وقال له: يا عمرو، أغثني بشرة ماء، فنزل إليه وأجهز عليه^(١)، وهذا يؤيد ما ذهب إليه بعض المفكرين بالرغم (أن السبب الرئيسي لحرب البسوس ما كان قتل ناقة البسوس وإنما الاشتباكات التاريخية لمصادر المياه بين بني بكر وبني تغلب^(٢)، وإذا كان المهلهل قد هجر

الدنيا ما خلا الخمر والقتال للثأر لأخيه كليب في الملحة الشعبية، فإنه هنا قد زاد على ذلك، فقد (جزّ شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرّم القمار والشراب وجمع إليه قومه وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان، فأثّروا مرة بن ذهل ابن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له: إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناقة وقطعتم الرحم، واتهكّم الحرمة، وأنا نعرض عليك خللاً أربعا. لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع، إما أن تحيي لنا كليباً أو تدفع إلينا قاتله جسّاساً فنقتله به، أو هتّاماً فإنه كفؤ له، أو تمكّنا من نفسك، فإن فيك وفاء لدمه^(٣)، وما عاد المطلب الأول، فإن المطالب الثلاثة فيها من المنطق القبلي الذي يرغب بتصفية الأمور وحقن الحرب بين القبيلتين. أما الرأي الآخر فيضع الظلم واعتصاب ما للجميع من فرد واحد والاستئثار به دون الجميع هو الدافع الرئيس لمقتل كليب لأن (كليباً كان يظلم قومه فأدركه مثل الذي تريان فالظالم والتجاوز على الملكية العامة كانا

(١) محمد احمد جاد المولى، وآخرون، أبام العرب في الجاهلية،

ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٤٢)، ص ١٤٦.

(٢) سالم ليهاجر، "حرب البسوس: مقتطفات وتحليلات،

sites.middlebury.edu ١٠ فبراير، ٢٠١٥، ص ١.

(٣) ابن الأثير، مصدر سابق، ص ٥٣٠.

سبب قتل كليب وليس الثأر للناقة^(١)، أما الحرّك الأساسي للحرب فهي المرأة وتحريضها فقد بقيت البسوس (تحرّض جسّاساً وغيره على الثأر من كليب، لذلك فإن عويل النساء وبكاءهن صباح مساء، هو الذي كان يدفع الرجل للثأر والغارة، إنّ الثأر في نفوسهم تنخر أحقاد قلوبهم، لا يستطيعون السكوت عليه أو الصبر على الواترين)^(٢). فلولا شعر البسوس وواحها على الناقة لما أُنقِض جسّاس وقام بقتل كليب. وعلى الرغم من أن الأيام (ليست وثيقة تاريخية وإنما هي عالم ينبض بالأساطير التي تصوّر حياة الأمة العربية في شبه الجزيرة)^(٣)، إلا أن هذا لا يعني أن جميعها من الأساطير، أو أن تلك الوقائع ليس لها شيء من الصحة، ويمكن أن تحوي أشعار أيام العرب على بعض الحقائق، ولا سيما (أن شعر العرب

يعدّ دليلاً واضحاً على مواقعهم، فهم يسمّون المواقع كما هي، وهو ما وصلنا في الوقت الحالي. يقول المهلهل بن ربيعة في قصيدة رثى فيها أخاه "كليب" ويذكر فيها مواقع متعددة لا تزال تحمل الاسم حتى وقتنا الحالي^(٤). ومن هذه المواقع "حمى ضرية" فهذا الموقع يتحدث (من تاريخ أسود عاشه العرب متمثلاً بـ "حرب البسوس" التي وقعت نتيجة قتل كليب والثأر له)^(٥). وهناك اختلاف ما بين الملحمة الشعبية والمصادر التاريخية عن خصلة جاء بها جسّاس وهي كشف الركبة، ومن الواضح أن كشف جسّاس لركبتيه معروف عند بني قومه باقتران ذلك بأمرٍ جلال: (وأمال جسّاس يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله على فرسه يركضه، وقد بدت ركبتاه؛ ولما رآته أخته قالت لأبيها: أن ذا جسّاس أتى كاشفاً ركبتاه، فقال: والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمرٍ عظيم)^(٦). ولكن الغريب في الأمر أن ما قاله الأب لولده جسّاس بعد أن علم ما

(١) نبيل ياسين، "التاريخ مدلس كبير. فلماذا الحاضر أيضاً"

www.thawabitna1.com ص ٦.

(٢) ابتسام نايف صالح أبو الرب، "صور الحرب وأبعادها

الأسطورية في الشعر الجاهلي"، رسالة ماجستير غير منشورة

مقدمة لكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية

(نابلس)، ٢٠٠٦، ص ٣٩.

(٣) عادل البياتي، مصدر سابق، ص ٩٥.

(٤) عيد اليحيى، "بهذا المكان بدأت حرب البسوس"، موقع

قناة العربية، ٢٠١٨، ص ١.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) محمد احمد جاد المولى، مصدر سابق، ص ١٤٦.

فعله بقتله كليب يمكن أن يكون الحل الأمثل لمنع الحرب فيما لو قام بتنفيذه: (فلما جاء جسّاس قال له: ما وراءك يا بني؟ قال: ورأيي أنني قد طعنت طعنةً لتشغلن بها شيوخ وائل زمناً. قال: وما هي؟ لأملك الويل! أقتلت كليياً؟ فقال: نعم! فقال له أبوه إذن نسلمك بجزيرتك، ونريق دمك في صلاح العشيرة! والله لبس ما فعلت! فرقت جماعتك، وأطلت حربها، وقتلت سيدها في شارفٍ من الإبل والله لا تجتمع وائل بعدها، ولا يقوم لها عماد في العرب)^(١). ولكن قوم مرةً عابوا على الأب ذلك وأشاروا عليه ألا يفعل ذلك لئلا يخذله قومه. ولاحظوا معي أن الأب يعرف موضوع الناقة، ووصف الناقة بالشارف وهي المسنة الهرمة، وهذا ينفي وجود السقب، فلا يعقل أن يكون لناقاة مسنة هرمة فضيل. ونحن أمام تناقض في أمر مقتل جسّاس فهناك روايتان تصفان مقتل جسّاس، الأولى هي أن القوم ضيقوا الخناق على بكر طالين جسّاس لقتله (فقال له أبوه مرةً: إلحق بأخوالك بالشام، فامتع، فألح عليه أبوه فسيّرهُ سرّاً في خمسة نفر، وبلغ الخبر مهلهلاً، فندب أباً نويرة ومعه ثلاثون رجلاً من

شجعان أصحابه، فساروا مجدين، فأدركوا جسّاساً فقاتلهم، فقتل أباً نويرة وأصحابه ولم يبقَ منهم غير رجلين، وجرح جسّاس جرحاً شديداً مات منه، وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً، فعاد كل واحد من السالمين إلى أصحابه)^(٢). بينما تصف الواقعة الأخرى مقتل جسّاس بحيلة دبرها المهلهل مع الهجرس بعد أن علم الأخير بأن كليياً هو والده وأن جسّاساً خاله هو قاتل أبيه (واتفق الجرو [الهجرس] مع عمه الزير على خطة مؤداها أن ينازلهم الجرو محققاً عدة انتصارات وهمية، يعود في أثرها إلى خاله جسّاس بالأسلاب إلى أن يوهمه بأن سيأتي إليه برأس الزير، بينما يضع الزير قربة دم تحت جواده يطعنه فيها الجرو ليسيل دمه، حيث يتقدم جسّاس لقطع رأسه فيقتلانه)^(٣)، وفعلاً تنطلي الحيلة على جسّاس، ولا سيما أنه هو الذي ربي الجرو وزوجه ابنته، هذا فضلاً عن كونه خاله، (وعندما تحقق تديرهما وطعن الجرو الزير على مرأى من خاله جسّاس، فنزل يتخبط

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٣) شوقي عبد الحكيم، الزير سالم أبو ليلى المهلهل (وندسور:

مؤسسة هندواوي، ٢٠١٧)، ص ١٣٩.

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٦، ١٤٧.

بدمه، ونزل أو هو تدلى عن ظهر فرسه، عندئذٍ تقدّم منه جسّاس ليجزّ رأسه، فهجم عليه الزير، ووضع الجرو الرمح بين كفيه، فتهاوى جسّاس... ثم تقدّم الزير سالم فقطع رأس جسّاس^(١). وعلى الرغم من أن هناك رواية ثالثة تتفق مع الرواية الثانية وتختلف مع الأولى، إلا أن هذه الرواية الثالثة قد رواها ابن الأثير، وقد جاء فيها أن جسّاساً أوجس خيفة من ثأر الهجرس منه فأراد أن يدخله في العهد الذي أبرم بين القبيلتين، وأعلمهم جسّاس (أنّ الهجرس يدخل في الذي دخل فيه جماعتكم وقد حضر ليعقد ما عقدتم. فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمح ثم قال: وفرسي وأذنيه، ورحمي ونصليه، وسيفي وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم طعن جسّاساً ثم لحق بقومه، وكان آخر قتيل في بكر^(٢)). وفي رواية ابن الأثير نلاحظ أن الحرب قد وضعت أوزارها وأبرم عقد للصلح بين القبيلتين على الرغم من بقاء جسّاس على قيد الحياة، وهذا أمر صعب التصديق، ولكن للرواية الأولى، والتي ذكرها

ابن الأثير أيضاً، تكملة، (فلما سمع مرّة قتل ابنه جسّاس قال: إنما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحداً. فقليل له: إنه قتل بيده أبا نيرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شاركه منّا أحد في قتلهم وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك ممّا يسكن قلبي عن جسّاس^(٣))، والأغرب هو قتل الصديق لصديقه فهذا (الهمام بن مرّة بن ذهل الشيباني البكري قد قُتل على يد عدي بن ربيعة^(٤))، وهو الزير سالم، فعلى الرغم من الصداقة المتينة بينهما إلا أن الثأر غلب الصداقة. ولكن الرواية الثانية تذكر قتل الهجرس لجسّاس، وقتل ناشرة لهما (ذلك ما وقع للهجرس في يوم البسوس عندما قتل خاله جسّاس، قاتل أبيه كليب، مع أنّ جسّاساً هو الذي ربّاه، وكذلك ما وقع لناشرة في يوم البسوس أيضاً عندما قتل هماماً، مع أنّ هماماً هو الذي ربّاه لقيطاً في بني بكر لكنّه لما عرف نسبه في بني تغلب وجد من همام غفلة، فقتله^(٥)). وجاء في مقتل

(١) المصدر نفسه، ص

(٢) أفنان أبو مفرح، "حرب البسوس"، موقع موضوع،

mawdoo3.com، صه

(٣) عادل البياتي، مصدر سابق ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٥) ابن الأثير، مصدر سابق، ص ٥٣٥.

المهلهل أو الزير سالم أكثر من رواية؛ فيقال إنه وقع أسيراً بيد عمرو بن مالك البكري وأحسن إيساره فلما أخذ فيهم الشراب مأخذه أخذ المهلهل ينشد ويغني من أشعاره التي كان ينوح بها على أخيه كليب، فلما سمع منه عمرو ذلك غضب وقال: إنه لريان، والله لا يشرب عندي ماءً حتى يرد الجمل زبيب الماء، وكان فحل لعمرو، وكان لا يرد الماء إلا كل خمسة أيام مرة. فخرج القوم على خيولهم يطلبون زبيبا وهم في حرص على أن لا يهلك المهلهل، فلم يقدروا عليه إلا بعد أن مات المهلهل عطشاً^(١). بينما جاء موته على نحو مختلف (موت بطل مأساتها، مهلهل بن ربيعة، تحت أرجل جمل خبطه بأخفاف فقتله)^(٢)، أما الميته الثانية فلا تختلف كثيراً عن ميته في الملحمة الشعبية، فلما (أسنّ وخرف كان له عبدان يخدمانه فملأه، وخرج بهما إلى سفر فبينما هما في بعض الفلوات عزما على قتله، فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله: من مبلغ الحنين

أن مهلهلا لله دركما ودر أبكما

من مبلغ الحنين أن مهلهلا أمسى قتيلاً في الفلاة
مجدلاً

لله دركما

ودر أبكما لا يبرح العبدن حتى يقتلا

فضربوا العبدن حتى أقرّا بقتله)^(٣). فكما نرى أن هناك اختلافاً واضحاً في أمر موت المهلهل (وتختلف النصوص حول موت المهلهل واندثاره على عادة الأبطال الآلهة أو المؤلهين؛ فالنصوص العامية ترى أنه اغتيل في صعيد مصر، والنصوص الكلاسيكية ترى بأن حدوث موته وقع بالبحرين، وأخرى باليمامة)^(٤).

والباحث يرى أن الأقرب للواقع في تحليل موضوع جسّاس وكليب هو أن هناك خيطاً من الغيرة والحسد بين كليب وجسّاس، ولاسيما أن جسّاساً تحدى كليباً، وختم تحديّه بالتهديد الصريح، فلا بد أن كليباً

(١) ينظر: ابن الأثير، مصدر سابق، ص ٥٣٨.

(٣) محمد أحمد جاد المولى، مصدر سابق، ص ١٦٨.

(٢) عادل البياتي، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

(٤) شوقي عبد الحليم، مصدر سابق، ص ١٤.

قد تأبط شراً وهو عائد الى زوجته، وأضمر شيئاً
لجسّاس، فعمد إلى سؤال زوجته عمّن هو أمتع منه
جاره، لما جاء جواب جلييلة زوجته بأن جسّاساً هو
الأمّنع، أحسنّ بطعنة لكرامته وزهوه بنفسه، فرأى أنّ
الناقة هي المتنفس الوحيد له وللحقّد الذي يضمّره
لجسّاس، لكي يثبت لزوجه أنّه أفضل من جسّاس،
وقرّر أن يقتل الناقة لاعتقاده بأنّ جسّاساً لا يقوى على
حماية جاره منه، عندئذٍ ستسمو منزلته، وتندنى منزلة
جسّاس أمام جلييلة. وكان كليب واثقاً من زعمه،
لذلك لم يلتفت نحو جسّاس عندما قال له: يا كليب
الرمح وراءك. وهذا يوضح مدى ثقته بنفسه،
واستهائته بجسّاس، وكان يعتقد أنّ جسّاساً أوطأ
شأناً من أن يقدم على قتله.

المبحث الثالث: حرب البسوس في الدراما .

من المؤكّد أنّ المؤلّف الدرامي الذي يؤلّف الدراما
التلفزيونية أو النص المسرحي، ليس مؤرخاً ولا باحثاً
تاريخياً، مما يعني بكل بساطة أنّ المؤلّف لن يعيد
تجسيد أحداثٍ تاريخية كما هي، فالأحداث التاريخية
موجودة في بطون أمّهات الكتب، وليس بوسع المؤلّف

أن يسرد جميع الوقائع كما هي، لذلك فهو في البداية
يختار الموضوع، ويحدّد من أين يبدأ بعمله الدرامي،
فنراه يختزل الكثير من التفاصيل، ويؤكد على أخرى،
ويحدف شخصيات ويضيف أخرى ليحافظ على قوام
النصّ الدرامي الذي يقوم بتأليفه، فوليام شكسبير ألف
مسرحية "يوليوس قيصر" من بين نصوصه المسرحية
الشعرية الكثيرة مستمداً أحداثها من أصول تاريخية
ولكنه كتبها بأسلوبه الخاص، ولا يشترط أن يبدأ عمله
الدرامي من بداية الحدث التاريخي، فها هو الفريد فرج
قد بدأ مسرحية^(١) بحفل تنصيب هجرس ملكاً خلفاً
لكليب رغبة في رابّ الصدع بين القبائل المتناحرة،
فهناك إichاءات من المؤلّف عن كليب، فهو لم يكن القاتل
للتبع حسان وأنه وافق على الجلوس على العرش تلبية
لرأي زوجته جلييلة، بل هي التي أوحى إليه أن لا
يدخل عليه أحد من القبيلة بسلاحه، وجعل المؤلّف
أول خيط للصراع بين جلييلة والوزير سالم أخو كليب،
فهي حريصة على ما في بطنها، وتحشى عليه من سالم

(١) مسرحية الوزير سالم، تأليف الفريد فرج، إخراج عادل

بركات، فرقة هواة المنصورة-هيئة قصور الثقافة، ٢٠١٢،

لئلا يكون سبباً في إزاحة ابنها الذي في بطنها عن كرسى العرش. فاستثمرت دخوله بيتها يوماً ما وهو معصوب العينين باحثاً عن جارية عصبت عينيه مازحة إياه ليجث عنها، فيلمس جليلة ظاناً أنها الجارية. فتوغر صدر زوجها طالبة معاقبة الزير سالم فيضطر كليب إلى نفيه سنة كاملة، فيتفرق الأخوان. ويتذمر جسّاس من أفعال كليب، فتأتي العرافة العمياء التي تدعي قراءة حديث النجوم بلا خطأ، وحالما تسمع شكوى جسّاس تسارع في إثارته على كليب وتوغر صدره عليه وتصفه بالخادم إن لم يكن ملكاً، وتخبره أن النجوم أخبرتها بأن جسّاساً سيقتل كليياً، وتطلب عنقود عنب فيسمح لها جسّاس بقطفه ولكنها تكسر الغصن بما يحمل، ويثور البستاني، فيوقفه جسّاس ويعلمه بأنها في حماه، ويحضر كليب فيطرد المرأة ويضربها بعصاه فتخرج مولولة، ويغضب جسّاس ويعاتب كليب على ضربه لضيفته فلا يبالى كليب، فيستشيط جسّاس غضباً ويستل خنجره ويطنع كليب أمام القصر. وقد استخدم المؤلف العرافة العمياء كما استخدم سفوكليس في مسرحية "أوديب ملكاً" العراف الأعمى تريزياس، أو كما استخدم وليام شكسبير الساحرات الثلاثة في مسرحية مكبث، عندما تتنبأ الساحرات باعتلاء مكبث العرش، وكيف تقوم زوجة مكبث بتحريض مكبث ليقول الملك فيخلو له العرش والتاج. فقامت هذه العرافة العمياء بتحريض جسّاس فأقدم على قتل كليب، ولاسيما أنّ قلب جسّاس مملوء بالغيظ مما يفعله كليب من طغيان وتخبر على أفراد القبيلة، فيأتي كلام العرافة العمياء كالقشة التي قصمت ظهر الجمل، فلا يبقى في القوس منزع، فيقتل جسّاس كلياً بخنجره. فالقاتل لكليب عند المؤلف ألفريد فرج هو جسّاس، وسلاح الجريمة هو الخنجر. وعلى الرغم من أنّ المؤلف قد بدأ مسرحيته بالهجرس بن كليب من جليلة أخت جسّاس، إلا أنّ الأحداث هي في الغالب استرجاع وتذكر.

ويبدأ الفصل الثاني بالعودة إلى حفل التتويج، واستفهام هجرس من الحضور عن الحرب وكيف قامت، فيعود مرةً والد جسّاس وجليلة في جوابه لهجرس، فيبدأ استرجاع جديد وترجيّ مرةً للزير سالم، عارضاً عليه دم ابنه جسّاس، ولكنه يحيله إلى يمامة ابنة كليب التي

المرأة ويضربها بعصاه فتخرج مولولة، ويغضب جسّاس ويعاتب كليب على ضربه لضيفته فلا يبالى كليب، فيستشيط جسّاس غضباً ويستل خنجره ويطنع كليب أمام القصر. وقد استخدم المؤلف العرافة العمياء كما استخدم سفوكليس في مسرحية "أوديب ملكاً" العراف الأعمى تريزياس، أو كما استخدم وليام شكسبير الساحرات الثلاثة في مسرحية مكبث، عندما تتنبأ الساحرات باعتلاء مكبث العرش، وكيف تقوم زوجة مكبث بتحريض مكبث ليقول الملك فيخلو له العرش والتاج. فقامت هذه العرافة العمياء بتحريض جسّاس فأقدم على قتل كليب، ولاسيما أنّ قلب جسّاس مملوء بالغيظ مما يفعله كليب من طغيان وتخبر على أفراد القبيلة، فيأتي كلام العرافة العمياء كالقشة التي قصمت ظهر الجمل، فلا يبقى في القوس منزع، فيقتل جسّاس كلياً بخنجره. فالقاتل لكليب عند المؤلف ألفريد فرج هو جسّاس، وسلاح الجريمة هو الخنجر. وعلى الرغم من أنّ المؤلف قد بدأ مسرحيته بالهجرس بن كليب من جليلة أخت جسّاس، إلا أنّ الأحداث هي في الغالب استرجاع وتذكر.

تطلب إعادة أبيها حياً. فيعود ليعرض عليه ألفاً من النوق، ويسأله إن كان يرضيه ذلك مع إهدار دم جساس، ولكن الزير يحيل الإجابة ثانية إلى يمامة التي تعيد طلبها بإصرار: أريد أبي حياً، ويعرض مرةً إثنين من أبنائه ليقتلها الزير سالم وينال ثأره، ولكنه لا يجيبه إلى مبتغاه، وتطرد الابنة يمامة أمها جلييلة متهمة إياها بأنها هي من فتح الباب لحالها جساس ليقتل أبيها كليب. ويظهر المؤلف جساساً وهو في الفلاة طريداً يلوم نفسه على جبنه وطعنه كليب من الخلف. ويلحق به إثنان من قبيلته يطلبان عودته للقبيلة وقيادة فرسانهم في الحرب. وتقع الحرب وتدور رحاها بين القبيلتين. كما ظهر شبح الملك المقتول لابنه هاملت عند شكسبير يظهر شبح الملك كليب لأخيه الزير سالم، ويفرض كل ما يريد سالم أن يقدمه له، ويطلب تنظيف بقعة الدم من على عرشه، وفي ذلك إشارة إلى بقعة الدم التي تظهر على يد "الليدي مكبث" في أحلامها وفي مشيها وهي نائمة، وكيف تتخيل نفسها وهي تحاول غسلها وإزالتها من على يدها. وكما كانت جلييلة توغر صدر كليب، جعل ألفريد فرج من يمامة الشخصية المحرّضة التي توغر صدر الزير سالم ولا

يشفي غليلها قتل ألف من عشيرة خالها جساس. ولغرض اجتياز بعض الأحداث استعان المؤلف بشخصية الراوي، كما أعطى شخصية جلييلة فرصة محاورة الزير سالم لثنيه عن الاستمرار بالحرب، فيلخص مطالبه في مطلب واحد هو عودة كليب حياً، ولن يوقف الحرب دون تحقيق ذلك، ولا يهمل إبادة العرب والعالم بأسره في سبيل عودة كليب للحياة. ومن الواضح جداً أن للمرأة الدور الأكبر في مسرحية ألفريد فرج في التأثير على مجريات الأحداث، متمثلاً ذلك في شخصية العرافة العمياء، وشخصية يمامة ابنة كليب، في حين لا وجود لشخصية العرافة في الملحمة أو المصادر التاريخية، وإنما هناك شخصية سعاد أخت الملك التبع في الملحمة الشعبية، كم أن شخصية يمامة لم يكن لها في الحرب ناقة ولا جمل. (ولم يكن غريباً أن يلعب الشعراء أدوار البطولة في عدد من مسرحيات ألفريد فرج، فألفريد فرج في المقام الأول شاعر مسرحي)^(١)، ومن المعروف عن المؤلف المسرحي أنه

(١) أحمد عبد المعطي حجازي، "ألفريد فرج الشاعر

المسرحي"، جريدة الاهرام، العدد ٤٣٥٢١، الأربعاء ١

فبراير، ٢٠٠٦، ص ١.

عندما يريد معالجة واقعه الذي يعيشه، فإنه يلجأ إلى التاريخ، (فكان استدعاء التاريخ هو وسيلة التي يطرح من خلالها رؤاه لواقعه، وكان التراث العربي بشكل عام والتاريخ العربي بشكل خاص هو المعين والمنهل الذي يلجأ إليهما للتأكيد على هوية عربية اهتزت دعائمها)^(١). وعلى الرغم من أن المؤلف المسرحي يضع يده على النقاط الساخنة التي يجدها مناسبة لنصه أو يمسك (بطرف الخيط الذي يصلح لبناء نصه المسرحي، دون أن يقحم فنه بتفصيلات وأحداثٍ فرعيةٍ زحرت بها السيرة الشعبية من شخصيات بالمئات وأماكن بالعشرات وأزمنة امتدت لما قبل الأعوام الأربعين)^(٢) لحرب دارت رحاها بين قبيلتين؛ ولذلك نجد الكاتب المسرحي علي أحمد باكثير في نصه المسرحي "حرب البسوس" قد سَاطَ الضوء على القاسم المشترك بين القبيلتين ألا وهو هجرس، فهو ولد

كليب التغلي من جلييلة البكرية، وكان المؤلف يستعير موضوع روميو وجولييت عند شكسبير الذي جمع بين العائلتين المتناحرتين، فموت العاشقين اللذين حالت أضغان العائلتين ونزاعهما دون زواجهما، وانتهت باتحارهما مما هزّ تلك العائلتين، إلا أن علي أحمد باكثير لا يريد الحلّ بالموت وإنما بالحياة، والحلّ الأمثل بما يجب أن تلتزمه القبيلتان في ذلك الوقت، ورصد المؤلف تجرّب الملك الذي إذا طغى على شعبه كيف ستكون نهايته على يد أحد أفراد رعيته، وعلى الرغم من قوّة شخصية المهلهل إلا أن المؤلف جعله انتهازياً ومحتالاً في أحد المشاهد، بل ويتنكر ويطلّي وجهه وأطرافه بالسواد ليظهر كعبدٍ أسود، ويستطيع بداهته تخليص نفسه من أسر الحارث له بعد أن يأخذ منه العهود والمواثيق على إطلاق سراحه إن دلّه على المهلهل، ويعترف للحارث بأنه هو المهلهل وأنه في حمى وعد الحارث وكلمته فيطلق الأخير سراحه، ولكن مقتل المهلهل المجالد في طلب الثأر لأخيه كليب وإسرافه في القتل، يُقتل على يد هجرس الذي يتهم المهلهل بأنه هو من أغرى بالحرب بين القبيلتين ومات فيها من مات وهو حيّ لأنه تركهم ونجا بنفسه، بيد أن

(١) أحمد هاشم، "الزير سالم نص كلاسيكي في ثوب عصري"،

موقع مسرحنا، www.masrahona.com، ص ٧،

أيار/مايو ٢٠١٢، ص ١٠.

(٢) أبو الحسن سلام، "معمار الدور المسرحي بين المؤلف

والمخرج والممثل والناقد"، الحوار المتمدن، ٢ أيار، ٢٠١٦، ص

المهلهل لا يستطيع أن يمدّ سلاحه لينال من هجرس لأنّه ابن أخيه كليب الذي سعى هو للثأر من قاتله، بل وقبل أن يموت متأثراً بجراحه يطرح على هجرس خطةً ليليدوا الأمر وكأنّ المهلهل قد انتحر، ويطلب شربة ماء ويقول له: ويحك لا تكن مثل خالك جسّاس إذ منع أباك شربة الماء وهو يموت؛ فينطلق هجرس ويأتيه بقدر من الماء فيسقيه. ويطلب من هجرس أن يساعده في كتم الجرح حتى لا يموت قبل مجيء رفاقه، فيفعل ويأتي الرفاق، ويصرّح لهم المهلهل بأنّه هو من قتل نفسه لأنّه لم يستطع أن ينال شرف الموت في الميدان. بل ويطلب منهم أن يقطعوا رأسه إذا مات ليدفن الرأس مع جثة أخيه كليب في قبره، ويموت عندما يرفع قدر الشراب إلى فمه، فيسقط القدر من يده. ويعزو المؤلف الفضل في الصلح الكريم بين بكر وتغلب إلى الأمير معد يكرب ابن الملك اليميني سيف بن ذي يزن، بل وينسب المؤامرة إلى شخصٍ يهودي اسمه مشكم ابن سلام الذي كان قد أرسل كتاباً إلى أبرهة الحبشي يخبره فيه أنّ معشر اليهود مع أبرهة، وأنهم أرسلوا دعائم مستعمرة جديدة في أرض بني شيبان على غرار مستعمراتهم في يثرب وخيبر وفدك

وتيماء ووادي القرى، وأن هدفهم المشترك هو تفريق كلمة العرب وتمزيق وحدتهم ليتمكنوا من إخضاع أرض العرب لسلطان الروم، وكانت خطة نشر الفتنة بين بكر وتغلب تعتمد على العبدن نشوان وأخيه ذكوان، فقد أهدى اليهودي العبد نشوان لمرة والد جسّاس، وأهدى العبد ذكوان لكليب، واتخذهما اليهودي مشكم بن سلام جاسوسين له على بكر وتغلب. ولم يجد الباحث هذا الاسم في الوقائع التاريخية إلا شخصية يهودية باسم سلام بن مشكم وهو زوج اليهودية التي حاولت تسميم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالشاء المشوية المسمومة؛ فيأتي معد يكرب كشخصية المؤلف الذي يرى أن قوة العرب باتحادهم ونبذ جميع الخلافات بينهم مهما كانت، لأنّ الفطنة أن يجعلوا أعداء العرب يتناطحون فيما بينهم، وعندها لن يستطيع أيّ عدو للعرب أن يُغير على بلاد العرب ما داموا متحدين فيما بينهم، ولذلك تنظّم أسماء وجيليلة إلى صفّ معد يكرب، في ترك القتال فيما بينهم، بل والعفو عن المسيء ليلتقوا إلى ما هو أهم من الثأر فجاء المشهد الأخير من المسرحية حين تصاول جسّاس وهجرس:

- (تدنو أسماء منهما وفي يدها السيف لتفصل بينهم)
الحارث: أسماء، ابتعدي عنهما يا أسماء .
- (يعطيها سيفه، ويعيد جساس السيف إلى أبيه ثم
يتقدم نحو وإذا مأمور بن معاوية ينهض قائماً فتطلع إليه
العيون) .
- هجرس: أعطيني سيفي يا أسماء .
أسماء: لتبارز به هذا الفتى اليمني؟
- هجرس: نعم
أسماء: ألا يستطيع أن ينتظر حتى تُخرج الأعداء من
أرض بلاده؟
- هجرس: قد وعدته يا أسماء ولن أخلّ بوعدي .
(ياخذ منها السيف) هلم يا مأمور .
مأمور: أعمد سيفك يا هجرس (يغمد سيفه)
هجرس: ما خطبك؟
- مأمور: لا حق لي أن أقتلك وأنت ماضٍ لتحرير أرض
اليمن .
- هجرس: لا تخف فإني أنا الذي سأقتلك .
مأمور: ولا حق لك أن تقتلني فإني ماضٍ لأقاتل معك
وأكون دليلك .
- هجرس: أحقاً يا مأمور بن معاوية؟
مأمور: إي والله يا هجرس بن كليب . (يعتقان)
(يطفى السرور على الجميع)
- (تدنو أسماء منهما وفي يدها السيف لتفصل بينهم)
الحارث: أسماء، ابتعدي عنهما يا أسماء .
- أسماء: (تعترض بينهما فيكفان عن القتال) اقتلاني أولاً
إن أبيتما إلا أن يقتل أحكما الآخر . لكأني غداً
بأعداء العرب قد ساقوا نساء العرب سبايا
إلى بلادهم، فمرحباً بالموت اليوم فهو أكرم لي من ذلّ
الغد . (يصمتان وينظر أحدهما إلى الآخر)
- جليلة: لقد صدقت يا أسماء . هجرس اترك خالك
من أجلي . جساس اترك ابن أختك من أجلي .
أسماء: بل من أجل أمة العرب جميعاً يا جليلة . إنه
اليوم أن يضيق حياته أو يبدّد قومه إلا في قتال أعداء
العرب وطردهم من أرض العرب . هات
سيفك يا هجرس .
- هجرس: ماذا تصنعين به؟
هجرس فيعتقان باكيين؛ ينظر الجميع إليهما مسرورين
أسماء: أحفظه عندي لأسلمه إليك يوم تمضي لقتال
الأحباش في اليمن .
- هجرس: وأنت معنا؟
أسماء: وأنا معكم .

الحارث: أبشروا يا معاشر العرب في الشرق والغرب

وفي الشمال وفي الجنوب. اليوم تجتمع كلمة العرب،

وغداً لن تكون أرض العرب إلا للعرب.

ستار الختام^(١)

ولعل هذا المشهد هو أبلغ دليل على ما يريده المؤلف

من مسرحيته حرب البسوس. (ولا شك أن كل من

تناول سيرة الزير سالم درامياً سواء في المسرح أو في

فنون الشاشة قد أمسك بطرف خيط درامي مناسب

لفنه-السيناريو الدرامي أو النص المسرحي-باعتبار

وجوه الاختلاف بين تقنيات كتابة الدراما المسرحية

التي يتقدم فيها الحوار الصوتي على الصورة المرئية أو

تقنيات دراما الشاشة التي تتقدم فيها الصورة المرئية

على الحوار المسموع، وهي تقنيات مختلفة كلياً عن

الصياغة الملحمية السردية التي لا تنقيد بالأمكنة ولا

بالأزمنة وتعتمد كلياً على الحكوي والرواية السردية

وأساليب الاستطراد والإسهاب في الوصف؛ الذي هو

أساس الحكوي والرواية^(٢)، ولضيق الوقت ومحدودية

البحث، اختزل الباحث موضوع الدراما التلفزيونية التي

اختارها المؤلف ممدوح عدوان لتكون الوسيط الذي

يتصل عبره بال جماهير في عمله التلفزيوني الدرامي الزير

سالم. وكذلك اختزل الظاهرة الدرامية الحكواتية

الظلية منها والبشرية على الرغم من وجود المصادر

التي يمكن أن تغني الموضوع في مبحث رابع، لأن هذه

الفنون الشعبية كانت نقلة ما بين المنشد والحكاوي

والشاعر الشعبي وبين فن المسرح^(٣).

الخاتمة

مما سبق نخلص إلى أننا لا نستطيع أن نعتمد على

الوقائع والأحداث والشخصيات لهذه الحرب اعتماد

المؤرخ المحقق؛ لأن المصادر التي تناولها الباحث قد

كُتبت بعدها بزمان ليس بالقصير، مما يؤكد على أن نقل

الكثير من سير الوقائع أو حتى تواريخ حدوثها قد

وصلتنا متوارثة عن طريق المشافهة لأجيال عديدة مما

يسهل أمر احتمالية التحريف والاختزال والإضافة

(٣) شوكت عبد الكريم البياتي، "السمات الحكواتية في الظواهر

الدرامية وأثرها في المسرحية العراقية" مجلة مركز دراسات

الكوفة، العدد السادس، ٢٠٠٧، ص ٣٤٤.

(١) علي أحمد باكثير، حرب البسوس (القاهرة: دار مصر

للطباعة، ١٩٩٠)، ص ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) أبو الحسن سلام، مصدر سابق، ص ٦.

والوضع، وهناك أمر يجب أن لا يغيب عن البال وهو من الذي يستطيع أن يتواجد في جميع الأمكنة التي دارت رحى الحرب عليها، ومن الذي يمكن أن يحفظ هذه الأشعار التي ملأت أرجاء أحداث هذه الحرب على مدى أربعين سنة ليقوم بتوثيقها وحفظها؟ ومن النتائج التي توصل لها الباحث أن أغلب الشعراء الذين ساهموا في هذه الحرب إن لم تقل جميعهم لم يقرضوا الشعر في غير هذه الحرب، فلم يعثر الباحث على قصائد لهؤلاء في غير موضوع الحرب، وتفصيلها. كما

ويرى الباحث أن الأهداف التي سعى إليها المؤلف علي أحمد باكثير هي الأفضل من الناحية الدرامية لأنها تكشف الأسباب وتعطي الجواب، فيكون للعمل الدرامي الهدف الأسمى من اقتباس العبر والمواعظ من الأحداث التاريخية.

قائمة المصادر

- ١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الكامل في التاريخ. تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة. المجلد الأول. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

- ٢- أبو الحشب، ابراهيم علي. القرآن الكريم. القاهرة: دار الثقافة العربية. بلات.

أكشف الباحث أن العاطفة القبلية يمكن أن تغطي على ما سواها فيقتل الصديق صديقه ويقتل ابن الأخت خاله، ويقتل العم ابن أخيه، ولا تشفع جميع أواصر القرابة الأسرية عند أفراد القبيلة المتناحرة مع القبيلة أخرى على الرغم من الوشائج التي تجمعهم برباط أسري.

ومن أهم الأمور أن غالبية الحروب في تلك الحقبة الزمنية كان للمرأة الدور الفاعل في تحريض الرجل ومن ثم اندفاعه إلى خوض الحروب، وأبرز دليل على ذلك الشعر الذي أطلق عليه المؤنثات، ولا ندري إن كانت

١٠ - التومي، أحمد . أفينا مثل جسّاس؟.

مدونات الجزيرة. ٢٦ نيسان، ٢٠١٨.

١١- حجازي، أحمد عبد المعطي . ألفريد فرج

الشاعر المسرحي . جريدة الاهرام. العدد ٤٣٥٢١،

الأربعاء ١ فبراير، ٢٠٠٦.

البسوس.

١٢-حرب

ويكيبيديا <http://ar.m.wikipedia.org>.

١٣ - سقال، ديزيره، العرب في العصر

الجاهلي. ط١ . بيروت: دار الصداقة العربية

للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.

١٤-سلام، أبو الحسن . معمار الدور المسرحي

بين المؤلف والمخرج والممثل والناقد . الحوار

المتمدن، ٢ أيار، ٢٠١٦.

١٥ - عبد الحكيم، شوقي. الزير سالم أبو

ليلي المهلهل . وندسور: مؤسسة هندواوي، ٢٠١٧.

١٦- غربال، محمد شفيق . الموسوعة العربية

الميسرة . بيروت: دار الشعب، بلا تاريخ.

٣- أبو الرب ، ابتسام نايف صالح. صور

الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر

الجاهلي . رسالة ماجستير غير منشورة

مقدمة لكلية الدراسات العليا في جامعة

النجاح الوطنية . نابلس، ٢٠٠٦.

٤- أبو مفرح، أفنان . حرب البسوس. موقع

موضوع، mawdoo3.com

٥- الأندلسي، ابو عمر احمد بن محمد عبد

ربه . العقد الفريد . الجزء الخامس.

بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٧.

٦- باكثير، علي أحمد . حرب البسوس

. القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٩٠.

٧- البياتي، شوكت عبد الكريم. السمات

الحكواتية في الظواهر الدرامية وأثرها في

المسرحية العراقية. مجلة مركز دراسات

الكوفة. العدد السادس، ٢٠٠٧.

٨- البياتي، عادل . الملاحم العربية . بغداد:

مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر،

١٩٧٦.

٩- بلا مؤلف . حرب البسوس. موقع الإمارات

التعليمي . www.uae7.com.

١٧- قصة الزير سالم الكبير. ط١. بيروت:
 ٢٣- ياسين، نبيل. التاريخ مدلس كبير.
 منشورات الجمل، ٢٠١٣. فلماذا الحاضر أيضاً

www.thawabitna1.com.

١٨- ليهابر، سالم. حرب البسوس:
 مقتطفات وتحليلات.
 ٢٤- اليحيى، عيد. بهذا المكان بدأت حرب
 البسوس. موقع قناة العربية، ٢٠١٨
 sites.middlebury.edu ١٠ فبراير،

. ٢٠١٥

١٩- مسرحية الزير سالم. تأليف الفريد فرج.
 إخراج عادل بركات. فرقة هواة المنصورة-هيئة قصور
 الثقافة، ٢٠١٢ youtube.

٢٠- موقع المعرفة،
<https://m.marefa.org>

٢١- المولى، محمد احمد جاد وآخرون. أيام
 العرب في الجاهلية. ط١. بيروت: المكتبة

العصرية، ١٩٤٢.

٢٢- هاشم، أحمد. الزير سالم نص كلاسيكي
 في ثوب عصري. موقع مسرحنا

www.masrahona.com.،

أيار/مايو ٢٠١٢.